مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

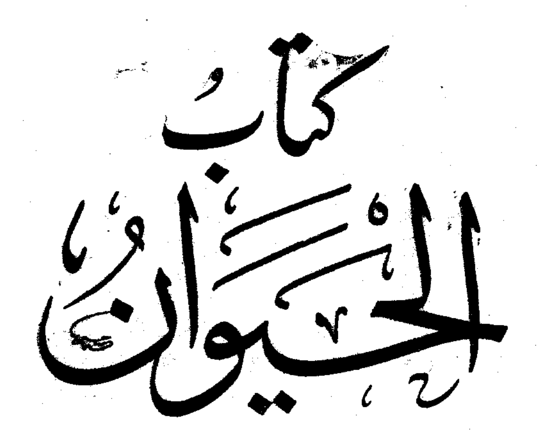
[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء السادس

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء



تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء السادس

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

باب [1]

بسم الله ، والحمدُ لله ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله ، وصلى اللهُ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم [2] .

اللهمَّ جنِّبْنا فضول القول ، والثِّقةَ بما عندنا ، ولا تجعلْنا من المتكلِّفين .

قد قلْنا فى الخطوط ومَرَافقها [3] ، وفى عموم منافعها ، وكيف كانت الحاجةَ إلى استخراجها ، وكيف اختلفَتْ صُوَرُها على قدر اختلاف طبائع أهلِها ، وكيف كانت [4] ضرورتُهم إلى وضْعها ، وكيف كانت تكون الخَلّة عند فَقْدها [5] .

وقلْنا فى العَقْد ولِمَ تَكلَّفوه [6] ، وفى الإشارة ولِمَ اجتلبوها [7] ، ولِمَ شبَّهوا جميع ذلك ببيان اللِّسان ، حتى سمَّوه بالبيان . ولم قالوا : القلم أحدُ اللِّسانين ، والعَين أنَمُّ من اللِّسان .

وقلنا فى الحاجة إلى المنطق [وعُموم نفْعِه ، وشدة الحاجة إليه] ، وكيف صار أعمَّ نفعا ، [ولجميع هذه الأشكَال أصلًا] ، وصار هو المشتقَّ منه ،

---

(1) هذه الكلمة والبسملة قبلها فى ط فقط ، دون سائر النسخ . وبدلهما فى س : « أول المصحف السادس من كتاب الحيوان » .

(2) ل : « وصلى الله على رسول الله » .

(3) مرافقها : منافعها . والمرفق : كمقعد ومجلس ومنبر : ما استعين به . هـ : « موافقها » تحريف . وقد سبق الكلام على الخطوط فى (١ : ٦٢ – ٧١) .

(4) فيما عدا ل : « وكيف صار » .

(5) الخلة ، بالفتح : الحاجة . هـ : « الحلة عند فقد » ، محرفة .

(6) سبق الحديث عن العقد والإشارة فى (١ : ٣٣ – ٣٥) . ط ، س : « تكلفوها » والعقد مفرد مذكر .

(7) س ، هـ : « اختلبوها » ، صوابه فى ل ، ط .

والمحمولَ عليه[١] ، وكيف جعلْنا دلالة الأجسام الصَّامتة نُطقًا[٢] والبرهانَ الذى فى الأجرام الجامدة بياناً .

وذكرنا جملةَ القَول فى الكلب والدِّيك فى الجزأين الأوَّلين ، وذكرْنا جملةَ القول فى الحمام ، وفى الذِّبَّان[٣] ، و [فى] الغربان ، و [فى] الخنافس ، و [فى] الجعلان ، ــ إلَّا مابقى من فضْل القول فيهما[٤] ، فإنّا قد أخَّرنا ذلك ؛ لدخوله فى باب الحشرات ، وصواب موقعهما فى باب القول فى الهمَج ــ فى الجزء الثالث[٥] .

وإذا سمعت ما أودعَها الله تعالى من عظيم الصَّنعة ، وما فطرَها الله تعالى عليه[٦] من غريب المعرفة ، وما أجرَى بأسبابها من المنافع الكثيرة ، والمِحَن العظيمة ، وما جَعَل فيها من الدَّاء والدَّواء ــ أجلَلْتَها أنْ تسمِّيَها همجا ، وأكبَرت الصِّنف الآخر[٧] أنْ تسمِّيه حشرة ، وعلمت أنَّ أقدارَ الحيوان ليست على قدر الاستحسان ، ولا على أقْدار الأثمان[٨] .

وذكرنا جملة القَول فى الذَّرّة[٩] والنَّملة ، وفى القرد والخنزير ، وفى الحيَّات والنَّعام ، وبعض القولِ فى النَّار فى الجزء الرابع .

---

(١) فيما عدا ل : « وصار هو الأصل المشتق منه والمحتمل عليه » ، لكن فى ط : « وصار » تحريف طبع .

(٢) انظر (١ ، ٣٣ — ٣٥) . ل : « تطلقا » ، محرف .

(٣) ط فقط : « الذباب » .

(٤) فيهما : أى فى الخنافس والجعلان . فيما عدا ل : « من فضول القول فيها » محرف .

(٥) أى ذكرنا جملة القول فى الحمام وما بعده — فى الجزء الثالث .

(٦) ل : « وما فطرها عليه » .

(٧) ل : « النصف الآخر » .

(٨) ل : « قدر الأثمان » .

(٩) الذرة : واحدة الذر ، وهو ضرب صغار من النمل . ط فقط : « الدرة » بالمهملة ، تصحيف .

والنار — حفظك الله — وإنْ لم تكن من الحيوان ، فقد كان جرى من السَّبَب المتَّصل بذكرها ، ومن القَوْل المضمر بما فيها ، ما أوجَبَ ذِكْرَها ٣ والإخبار عن جملة القول فيها .

وقد ذكرنا بقيَّة القول فى النَّارِ [1] ، ثمَّ جملةَ القول فى العصافير ، ثمَّ جملة القول فى الجرذان والسَّنانير والعقارب . ولِجَمْعِ [2] هذه الأجناس فى باب [واحد] سببٌ [3] سيعرفه من قرأه ، ويتبيَّنه [4] من رآه !

ثمَّ القولَ فى القمل والبراغيث والبعوض ، ثمَّ القولَ فى العنكبوت والنَّحل ، ثمَّ القولَ فى الحُبارَى ، ثمَّ القولَ فى الضَّأن والمعز ، ثم القولَ فى الضَّفادع والجراد ، ثمَّ القولَ فى القطا .

(الإطناب والإيجاز)

وقد بقيتْ — أبقاك الله تعالى — أبوابٌ توجِب الإطالة ، وتُحْوِج إلى الإطناب [5] . وليس بإطالةٍ ما لم يُجاوزْ مِقْدارَ الحاجة [6] ، ووقفَ عند منتهى البغية .

---

(١) كلمة : « قد » ليست فى ل . وفى ط ، هـ : « الفار » بالفاء بدل النون ، تحريف .
(٢) ل : « لجمع » ، فيما عدا ل : « جميع » ، صوابهما ما أثبت . والمراد : لجمع الجرذان والسنانير والعقارب فى باب واحد .
(٣) فيما عدا ل : « لسبب » ، تحريف .
(٤) ل : « ويثبته » .
(٥) فيما عدا ل : « وتخرج إلى الإطناب » .
(٦) فيما عدا ل : « وليست بإطالة ما لم تجاوز مقدار الحاجة » ، محرف . وكلمة : « مقدار » ليست فى ل .

وإنما الألفاظ على أقدار المعانى(١) ، فكثيرُها لكثيرِها ، وقليلُها لقليلها ، وشريفُها لشريفها ، وسخيفُها لسخيفها . والمعانى المفردةُ ، البائنة بصُورها وجهاتها ، تحتاج من الألفاظ إلى أقلَّ ممّا تحتاج إليه المعانى المشترَكة ، والجهاتُ الملْتبسة(٢) .

ولو جَهِد جميعُ أهلِ البَلاغة أن يُخبروا مَن دونَهم عن هذه المعانى ، بكلام وجيز يُغْنِى عن التفسير باللِّسان ، والإشارة باليد والرأس — لَمَا قَدَرُوا عليه .

وقد قال الأوَّل : « إذا لم يكنْ ما تُريدُ فأرِدْ مايكون(٣) ! » .

وليس ينبغى [للعاقل] أنْ يَسُومَ اللُّغاتِ ما ليسَ فى طاقتها(٤) ، ويَسومَ النُّفوسَ ما ليس فى جِبِلَّتها(٥) . ولذلك صارَ يحتاجُ صاحبُ كتابِ المنطق إلى أنْ يفسِّره لِمَنْ(٦) طلب مِنْ قِبَلِه علم المنطق ، وإن كان المتكلِّم رَفيق اللِّسان(٧) ، حسنَ البيان . إلّا أنّى لا أشُكُّ على حالٍ أنَّ النفوسَ إذْ(٨) كانَتْ إلى الطَّرائف أحَنَّ ، وبالنَّوادر أشغَف ، وإلى قصار الأحاديثِ أمْيَل ، وبها أصَبَّ — أنَّها خليقةٌ لاستثقال الكَثير(٩) ، وإن استحقَّتْ

---

(١) ل : « قدر المعانى » .

(٢) الملتبسة : المختلطة .

(٣) فيما عدا ل : « فرد مايكون » ، صوابه ماأثبت من ل .

(٤) سامه الأمر سوما : كلفه إياه . فيما عدا ل : « مما لبس » ، تحريف .

(٥) الجبلة : الخلقة والطبيعة . وفيها لغات ، فهى الجبلة : مثلثة ومحركة ، مع تخفيف اللام فيهن ؛ والجبلة بكسرتين ولام مشددة ، خمس لغات . هـ : « جلتها » ل : « حيلها » والأخيرة صحيحة . فإن الحيل بفتح الحاء وإسكان الياء : القوة ، كالحول. وفيما عدا ل : « ويسوم النفس » بالإفراد .

(٦) ط ، س : « ممن » هـ : « فمن » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٧) المتكلم : من صناعته علم الكلام . فيما عدا ل : « المنطق » تحريف . والرفق : اللطف . فيما عدا هـ : « رقيق » .

(٨) فيما عدا ل : « إذا » .

(٩) فى اللسان : فلان خليق لكذا : أى جدير به . وأنت خليق بذلك : أى =

تلك المعانىَ الكثيرة ، وإنْ كان ذلك الطَّويلُ أنفعَ ، وذلك الكثيرُ أردّ[١] .

(رجع إلى سرد سائر أبواب الكتاب)

وسنبدأ بعون الله تعالى وتأييده ، بالقول فى الحشرات والهمج ، وصغار السباع ، والمجهولات الحاملة الذِّكْر من البهائم ، ونجعلُ ذلك كله باباً واحداً ، ونتَّكل ، بعد صُنْع الله تعالى ، على أنّ ذلك الباب إذْ كان أبوابا كثيرة ، وأسماءً مختلفة[٢] ــ أنّ القارئَ لها لايملُّ باباً حتَّى يخرجَه الثَّانى إلى خِلافه ، وكذلك يكون مقامُ الثَّالث من الرَّابع ، والرابع من الخامس ، والخامس من السَّادِس[٣] .

(مقياس قدر الحيوان)

وليس الذى يُعتَمد[٤] عليه من شأن الحيوان عِظم الجثَّة ، ولا كثرة العدد ، ولا ثقل الوزن[٥] !

والغايةُ التى يُجرَى إليها ، والغرض الذى نرمى إليه[٦] غير ذلك ؛

= جدير » . وفيه أيضا : « وإنه لخليق أن يفعل ذلك ، وبأن يفعل ذلك ، ولأن يفعل ذلك ، ومن أن يفعل ذلك » ، فهو يقال باللام والباء ومن . س : « باستثقال » ، وهى صحيحة كما رأيت .

(١) فى اللسان : « هذا الأمر أرد عليه أى أنفع له » . ط ، س : « أورد » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « إذا كان أبوابا كثيرة بأسماء مختلفة » .

(٣) ل : « مقام الثالث من الرابع والسادس من الخامس » ، وهو تحريف ونقص .

(٤) ل : « نعتمد » بالنون .

(٥) ل : « ولا ثقل الوزن ولا كثرة العدد » .

(٦) كلمة : « إليه » ليست فى ل . وفى ط ، س : « يومى » هـ : « يؤمي » ، صوابهما ما أثبت من ل .

لأنّ خَلْق البعوضة وما فيها من عجيب التركيب ، ومن غريب العمل ، كخلْق الذَّرَّة وما فيها من عجيب التركيب[١] ، ومن الأحساس[٢] الصَّادقة ، والتدابير الحسنة ، ومن الرويَّةِ والنَّظر فى العاقبة ، والاختيارِ لكلٍّ مافيه صلاحُ المعيشة ، ومع مافيها من البُرهانات النيِّرة ، والحججِ الظَّاهرة . ع

وكذلك خَلْق السُّرْفة[٣] وعجيب تركيبها ، وصَنْعة كفِّها ، ونظرها فى عواقب أمرها . وكذا خلق النَّحْلة مع مافيها من غريب الحكم ، وعجيب التَّدبير[٤] ومن التقدُّم فيما يُعيشها ، والادِّخارِ ليوم العجزعن كسبها ، وشمِّها مالا يُشَمُّ[٥] ورؤيتها لما لا يُرى ، وحُسْن هدايتها ، والتَّدبير فى التأمير عليها ، وطاعةِ سادتها ، وتقسيط أجْناس الأعمال بينها ، على أقدارِ معارفها وقُوَّة أبدانها . فهذه النَّحلة ، وإن كانت ذُبابةً ، فانظرْ قبلَ كلِّ شيء فى ضروب انتفاع ضُروب الناس فيها ؛ فإنَّك تجِـدُها أكبرَ من الجبَل الشَّامخ ، والفضاء الواسع .

وكلُّ شيء وإن كان فيه من العجَب العاجب ، ومن البُرهان النَّاصع ، مايوسِّع فِـكر العاقل ، ويملأ صدْر المفـكِّر ، فإنَّ بعض الأمور أكثرُ أعجوبة ، وأظهر علامة . وكما تختلف بُرهاناتها فى الغموض والظُّهور ، فـكذلك[٦] تختلف فى طبقات الـكثْرةِ ، وإن شمِلَتْها الـكثْرةُ ، ووقعَ عليها اسم البرهان .

---

(١) الكلام من : « ومن غريب العمل » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) الأحساس : جمع حس . وانظر التنبيه ٤ من الحيوان (٢ : ١٠٩) .

(٣) السرفة ، بالضم : دودة القز ، أو دويبة صغيرة مثل نصف العدسة تثقب الشجرة ، ثم تبنى فيها بيتا من عيدان تجمعها وتجعلها مثل غزل العنكبوت ، وبها يضرب المثل فيقال : « أصنع من سرفة » .

(٤) فيما عدا ل : « من غرائب الحكم وعجائب التدبير » .

(٥) ل : « وشمها ما يشم » ، محرف .

(٦) ل ، هـ : « فلذلك » .

(رجْعٌ إلى سرد سائر أبواب الكتاب)

ولعلَّ هذا الجزء الذى نبتدئُ فيه بذكر مافى الحشرات والهمَج[١] ، أنْ يفضُل من ورقه شىءٌ ، فنرفعه ونتِمَّه بجملة القول فى الظِّباء والذئاب ؛ فإنَّهما بابان يقصُران عن الطوال[٢] ، ويزيدان على القصار[٣] .

وقد بقِى من الأبواب المتوسِّطة والمقتصِدة[٤] المعتدلة ، التى قد أخذت من القِصَر لمن طلب القِصَر بحظٍّ ، ومن الطُّول لمن طلب الطُّول بحظّ وهو القولُ فى البقر ، والقولُ فى الحمير ، والقولُ فى كِبار السِّباع وأشرافِها ، ورؤسائها ، وذوِى النَّباهة منها ، كالأسد والنَّمر ، والبَبْر وأشباه ذلك . مما يجمعُ قوّة أصْل النَّاب[٥] ، والذَّرَب[٦] ، وشَحْو الفم[٧] ، والسَّبُعيَّة[٨] وحِدّة البرثن ، وتمكُّنه فى العصَب ، وشِدّة القلب وصرامته عند الحاجة ، ووَثاقةَ خَلْق البدن ، وقوَّته على الوثْب .

وسنذكر تسالُمَ المتسالمةِ منها ، وتعادِىَ المتعادية منها[٩] ، وما الذى

---

(١) فى الأصل : « بذكرها فى الحشرات والهمج » .

(٢) س : « الطول » محرف .

(٣) الكلام من : « ولعل هذا » إلى هنا ساقط من ل .

(٤) هو من قولهم : رجل قصد ومقتصد : ليس بالجسيم ولا الضئيل . والواو قبله ليست فى ط ، ل .

(٥) ط فقط : « الباب » محرف .

(٦) الذرب : الحدة ، ذرب كفرح ذربا وذرابة فهو ذرب .

(٧) شحو الفم : اتساعه وانفتاحه . ل : « شحر » وفيما عدا ل : « شجر » بالجيم ، صوابهما ما أثبت . وانظر (١ : ١٠٣ س ٢) .

(٨) فى الأصل : « السحة » ، وانظر الاستدراكات .

(٩) ل : « المتعادى منها » .

أصلح بَينَها[١] عَلَى السَّبُعِيَّة الصِّرف[٢] ، واستواء حالِها فى اقتيات اللُّحمان ، حتَّى رُبَّما استوت فَرِيستُها[٣] فى الجنس .

وقد شاهدْنا غير هذه الأجناس يكون تعادِيها من قِبَل هذه الأمور التى ذكرناها . وليس فيما بين هذه السِّباع بأعيانها تفاوتٌ فى الشِّدَّة ، فتكون كالأسد الذى يطلب الفهد ليأكله ، والفهدُ لايطمع فيه ولا يأكله . فوجدنا التَّكافؤ فى القُوَّة والآلةِ من أسباب التَّفاسُد . وإنَّ ذلك لَيَعملُ فى طباع عقلاء الإنس حتَّى يخرُجوا إلى تهارُشِ السِّباع ، فما بالها لم تعمل[٤] هذا العمل فى أنفُس السِّباع ؟ !

وسنذكر عِلَّة التسالُم وعِلَّة التعادِى ، ولِمَ طُبِعت رؤساء السِّباع على الغفلة[٥] وبعض ما يدخُلُ فى باب الكَرَم ، دون صغار السِّباع وسفْلتها ، وحاشيتها وحَشْوِها[٦] ، وكذلك أوساطها ، والمعتدلة الآلة والأَسر [منها[٧]] .

(شواهد هذا الكتاب)

ولم نذكر ، بحمد الله تعالى ، شيئاً من هذه الغرائب ، وطريفة من هذه الطرائف[٨] إلا ومعها شاهدٌ من كتاب مُنْزَلٍ ، أو حديثٍ مأثور ،

---

(١) فيما عدا ل : « منها » ، محرفة .

(٢) على بمعنى مع . أى مع سبعيتها الصرفة وتوفر أسباب التنافس . وانظر الحيوان (٢ : ٥٠ — ٥٢) .

(٣) ل : « فرايسها » جمع فريسة . هـ ، س : « فرستها » وهذه محرفة .

(٤) ط ، هـ : « فما بالها لم تعمل » ، والوجه ماأثبت من ل ، س .

(٥) ل : « من الغفلة » .

(٦) الحاشية : الصغار ، وأصله فى الإبل وكذلك فى الناس . انظر اللسان (١٨ : ١٩٦) . والحشو : الصغار أيضا . وفى ل : « وحشوتها » والحشوة : بالضم والكسر : الرذالة من الإبل ومن الناس .

(٧) هذه من ل ، س . والأسر ، بالفتح : القوة . س : « والاسم » تحريف .

(٨) ل « وطريفته » س ، هـ : « وطريقة من هذه الطرائق » ، صوابهما فى ط .

أو خبرٍ مستفيض ، أو شعرٍ معروف ، أو مثَل مضروب ، أو يكون ذلك مِمّا يَشهد عليــه الطَّبيب[١] ، ومن قد أكثر قراءة الـكتب[٢] ، أو بعض من قد مَارَسَ الأسفار[٣] ، وركب البحار ، وسكَنَ الصَّحَارِى واستَذْرَى بالهضاب[٤] ، ودخل فى الغياض[٥] ، ومشى فى بطونِ الأودية .

وقد رأيْنــا أقواماً يدَّعُون فى كتبهم الغرائبَ الـكثيرة ، والأمور البديعة ، ويخاطرون من أجل ذلك بمروءاتهم[٦] ، ويُعرِّضون أقدارَهم[٧] ، ويسلِّطون السُّفهاءَ على أعراضهم ، ويجترُّون[٨] سُــوءَ الظَّنِّ إلى أخبارهم ، ويحكِّمون حُسَّاد النِّعم فى كتبهم ، ويمكِّنون لهم من مقالَتِهِم[٩] وبعضهم يتَّكل[١٠] على حُسْن الظَّنِّ بهم ، أو على التسليم لهم ، والتقليد لدعواهم وأحسنهم حالاً مَن يُحِبُّ[١١] أن يُتَفَضَّلَ عليه ببَسْط العُذْر له ، ويُتكلَّف الاحتجاجُ عنــه ، ولا يبَالِى[١٢] أن يُمَــنَّ بذلك على عقبه ، أو من دان بدينِه[١٣] ، أو اقتبس ذلك العِلم من قِبَل كُتُبه .

---

(١) فيما عدا ل : « يستشهد عليه الطبيب » . وسيأتى فى ص ١٨ : « ويقربه الأطباء » .
(٢) فيما عدا ل : « أو من أكثر من قراءة الـكتب » .
(٣) مارس الأسفار : عالجها وجربها : أى سافر كثيرا . فيما عدا ل : « دارس الأسفار » ، ومعنى هذه : قرأ الكتب وتعهدها . يقال : درست الـكتب ودارستها وتدارستها وادارستها . والسفر ، بالـكسر : الكتاب .
(٤) استذرى بالشجرة والحائط ونحوهما : اكتن وصار فى كنف منها . وفى الأصل : « استذرى الهضاب » .
(٥) ل : « ودخل الغياض » . والغيضة ، بالفتح : مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر .
(٦) ط ، س : « بمروءتهم » .
(٧) فيما عدا ل : « بأقدارهم » والوجه ما أثبت من ل .
(٨) الاجترار والجر بمعنى ، يقال جره واجتره . فيما عدا ل : « ويجزون » .
(٩) فيما عدا ل : « من مقاليدهم » .
(١٠) فيما عدا ل : « ينظر » تحريف .
(١١) ط ، هـ : « يحب » س : « يجب » بالإهمال ، صوابهما فى ل .
(١٢) فيما عدا ل : « ولا ينافى » محرف .
(١٣) ط فقط : « بدنيه » ، تحريف ظاهر .

ونحن حفظك الله تعالى ، إذا استنطقْنا الشّاهد ، وأحَلْنا على المثَل[١] فالخصومة حينئذٍ إنّما هى بينَهم وبينها[٢] ؛ إذْ كنّا نحنُ لم نستشهد إلاّ بما ذكرنا . وفيما ذكرْنا مَقنعٌ عند علمائنا ، إلاّ أن يكون شىءٌ يثبُتُ بالقياس ، أو يبطلُ بالقياس ، فواضعُ الكتاب ضامنٌ لتخليصه وتلخيصه ، ولتثبيتِهِ وإظهار حجّته[٣] .

فأمّا الأبوابُ الكبارُ فمثلُ القَوْل فى الإبل ، والقولِ فى فضيلة الإنسان على جميع الحيوان ، كفضل الحيوان على جميع النّامى ، وفضل النّامى على جميع الجَماد .

وليس يدخلُ فى هذا الباب التمولُ فيما قسم الله ، [عزّ وجلّ] ، لبعض البقاع من التّعظيم دون بعض ، ولا فيما[٤] قسم من السّاعات[٥] والليالى ، والأيّام والشّهور وأشباه ذلك ؛ لأنّه معنًى يرجع إلى المختبَرين بذلك[٦] ، من الملائكة والجنّ والآدميّين .

فمن أبواب الكبار القول فى فصْل ما بين الذُّكورةِ والإناث[٧] ، وفى فصْل[٨] ما بين الرّجل والمرأة خاصّة

وقد يدخل فى القول فى الإنسان ذكرُ اختلافِ النّاس فى الأعمار ، وفى طُول الأجسام ، وفى مقادير العقول ، وفى تفاضُل الصّناعات ، وكيف

---

(١) ل : « وأحلناهم على المثل » .

(٢) أى بين هؤلاء المدعين و بين تلك الشواهد .

(٣) التثبيت : الإثبات . فيما عدا ل : « ولعبيينه وإظهار خفيه » محرف .

(٤) س ، ه : « إلا لما » ط ، ل : « ولا لما » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) فيما عدا ل : « الساعة » ، صوابه الجمع .

(٦) ه : « المحيرين » ط ، س : « المخبرين » ، صوابهما فى ل .

(٧) الفصل : الفرق ، فيما عدا س : « فضل » . وفى ل : « الذكور » بدل : « الذكورة » وهما بمعنى . والتاء فى الأخيرة هى ما يسمونها تاء تأكيد الجمع .

(٨) فى الأصل : « فضل » بالضاد المعجمة . وانظر التنبيه السابق .

قال من قال فى تقديم الأوَّل[١] ، وكيف قال مَن قال فى تقديم الآخر .　٦

فأمَّا الأبوابُ الأُخَر ، كفضْل المَلَكِ على الإنسان ، وفضلِ الإنسان على الجانّ ، وهى[٢] جملة القول فى اختلاف جواهرهم ، وفى أىٍّ موضع يتشاكلون ، وفى أىٍّ موضع يختلفون — فإن هذه الأبوابَ من الأبواب المعتدلة فى القِصَر والطُّول . وليس من الأبواب بابٌ إلاّ وقد يدخلُه نُتَفٌ من أبوابٍ أُخَرَ على قدْرِ ما يتعلّق بها من الأسباب[٣] ، ويعرض فيه من التضمين[٤] . ولعلك أن تكون بها أشدَّ انتفاعا .

وعلى أنِّى ربما وشّحْت [هذا الكتاب] وفصَّلت فيه بين الجُزْء والجزء بنوادِر كلامٍ ، وطَرَفِ أخبارٍ[٥] ، وغُرَر أشعار ، مع طرف مضاحيك[٦] . ولولا الذى نُحاولُ من استعطافٍ على استتمام انتفاعكم[٧] لقد كنَّا تسخَّفْنا وسخَّفْنا[٨] شأن كتابنا هذا .

وإذا علم الله تعالى[٩] موقِع النِّيَّة ، وجهَةَ القصْد ، أعانَ على السَّلامةِ من كلِّ مخُوف

---

(١) جملة « وكيف قال » إلى هنا ساقطة من س .

(٢) ل : « وفى » تحريف .

(٣) س : « على قدرها » . بها : أى بالأبواب . فيما عدا ل : « به » .

(٤) فيه : أى فى الباب . فيما عدا ل : « فيها » . والتضمين ، هى فيما عدا ل : « التضمير » بالراء ، محرفة .

(٥) الطرف : جمع طرفة . س ، ه : « وطرق وأخبار » ، تحريف .

(٦) مضاحيك : جمع فات المعاجم ، وتقدير مفرده مضحك أو مضحكة ، وزيدت الياء فى الجمع على طريقة الكوفيين . والمعروف أضحوكة وأضاحيك . فيما عدا ل : « مضاحك » .

(٧) فيما عدا ل : « من استعطافك على استمتاع انتفاعكم » ، محرف .

(٨) التسخف : أراد به الذهاب مذهب السخف ، ولم تذكره المعاجم كما لم تذكر التسخيف . انظر (٣ : ٣٨ س ١٠ / ٥ : ١٧٨ س٦) . ط ، وس : « سخفنا وسجعنا » ه : « شخصنا شخصنا » ، ل : « بسخفنا وسخفنا » ، صواب ذلك ما أثبت .

(٩) ل : « عز وجل » . وهذه العبارات التنزيهية يتصرف فيها الناسخون كثيرا . كما أن كثيرا من علماء الصدر الأول لا يكتبونها إلا نادراً ، يكادون يغفلونها .

(العلة فى عدم إفراد باب للسمك)

ولم نجعلْ لما يسكنُ الِملحَ والعذوبةَ والأنهارَ والأودية ، والمناقع والمياهَ الجارية ، من السَّمَك ومَّما يخالف السَّمك ، مّما يعيشُ مع السمك ــ باباً مجرَّداً[١] ؛ لأنِّى لم أجدْ فى أكثره شِعراً يجمع الشَّاهدَ ويُوثَق منه بحُسْنِ الوصف[٢] ، وينشِّط[٣] بما فيه من غير ذلك للقراءة . ولم يكن الشّاهد عليه إلاّ أخبارَ البحْريِّين[٤] ، وهم قومٌ لايعدُّون القولَ فى باب الفِعْل[٥] ، وكلَّما كان الخبرُ أغرب كانوا به أشدَّ عُجْبًا ، مع عبارة غثَّة ، ومخارجَ سَمِجة .

وفيه عيبٌ آخر[٦] : وهو أنّ معه من الطّول والكثْرة ما لا تحتملونه ، ولو غنَّاكم بجميعه مُخارِق[٧] ، وضربَ عليه زَلْزل[٨] ، وزمَر به

---

(١) ط فقط : « مجرد » ، تحريف .

(٢) ل فقط : « الرصف » . والرصف : ضم الشيء بعضه إلى بعض ونظمه . والوجهان صالحان .

(٣) فيما عدا ل : « وينشط » ، محرف .

(٤) س : « الأخبار البحريين » ، تحريف .

(٥) أى لايعدون القول موجبا للثواب والعقاب ، كما يوجب الفعل الثواب والعقاب :

(٦) فيه : أى فى باب السمك ، وهذه الكلمة ليست فى ل .

(٧) هو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار ، مولى الرشيد ، وكان قبله لعاتكة بنت شهدة ، وهى من المغنيات المحسنات المتقدمات فى الضرب ، ونشأ بالمدينة ، وقيل : بل كان منشؤه بالكوفة ، وكان أبوه جزارا مملوكا ، وكان مخارق وهو صبى ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفا من الغناء ، ثم أرادت بيعه ، فاشتراه إبراهيم الموصلى منها ، وأهداه للفضل بن يحيى ، فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه . انظر الأغانى (٢١ : ١٤٣) والبيان (١ : ١٣٢) . ل : « ولقد غناكم » ، تحريف ، ووجهه : « ولو قد غناكم » .

(٨) هو منصور زلزل ، الضارب بالعود ، قالوا : هو أول من أحدث هذه العيدان الشبابيط ، وكانت قديما على عمل عيدان الفرس . وكان هو وبرصوما من سواد أهل الكوفة ، قدم بهما إبراهيم الموصلى سنة حج ، ووقفهما على الغناء العربى وأراهما وجوه النغم . وكانت أخت زلزل تحت إبراهيم ، وقد ولدت منه . وكان الرشيد قد وجد عليه لشىء بلغه عنه ، فحبسه عشر سنين أو نحوها ثم أطلقه . ومات فى خلافة =

بَرْصُوما[١] ، فلذلك لم أتعرَّضْ له .

وقد أكثر فى هذا الباب أرسطاطاليس[٢] ، ولم أجد فى كتابه[٣] على ذلك من الشّاهد إلاَّ دعْواه] .

ولقد قلت[٤] لرجل من البحريِّين : زعم أرسطاطاليس أنّ السَّمكةَ لاتبتلعُ الطُّعْم أبداً إلاّ ومعه شىءٌ من ماء[٥] ، مع سعَة المدخَل ، وشَرَه النفس . فكان من جوابه أنْ قال لى : مايعلم هذا إلاّ مَنْ كان سمكة [مَرَّةً] ، أو أخبرته به سمكة[٦] ، أو حدَّثه بذلك الحواريُّون أصحابُ عيسى ؛ فإنّهم كانوا صيّادين ، وكانوا تلامذَةَ المسيح[٧] .

وهذا البحرىُّ صاحبُ كلام ، وهو يتكلَّف معرفة العِلل[٨] . وهذا كان

= الرشيد . الأغانى (٥ : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٣) . وفى القاموس : « وكفدفد زلزل المغنى ، يضرب بضرب عوده المثل . وإليه تضاف بِركة زلزل ببغداد » .

(١) كان برصوما قرينا لزلزل ، ونشأ معه ، وطارت شهرته فى الزمر . انظر الأغانى (٦ : ٣٣) . ه ، س : « ورمز » محرف : وفيما عدا ل . « عليه » موضع : « به » . وبرصوما علم سريانى مركب من « بر » بمعنى ابن ، و « صوما » بمعنى الصوم فمعناه : ابن الصوم .

(٢) ل : « الأرسطاطاليس » فى هذا الموضع والذى يليه .

(٣) أى كتاب الحيوان له .

(٤) فيما عدا ل : « وقد قلت » .

(٥) س : « الماء » .

(٦) ه : « اختبرته » محرف . والكلام من : « أو أخبرته » إلى هنا ساقط من س .

(٧) تلامذة : كذا وردت فى عبارة الجاحظ ، ولم تذكر المعاجم إلا « التلاميذ » . ولدخول التاء على هذا الجمع وجهان : أحدهما أنه جمع لاسم معرب . وفى شرح الرضى الكافية (٢ : ١٥٢) : « الخامس أن يدخل على الجمع الأقصى كجواربة وموازجة وكيالجة ، دلالة على أن واحدها معرب » . والثانى أن تكون عوضا عن ياء المدة قبل الآخر ، كما قالوا فى جحجاح جحاجحة . قال الرضى فى (٢ : ١٥٢) : « وأما فرازنة وزنادقة ، فيجوز أن تكون عوضا من الياء ، وأن تكون علامة لتعريب الواحد » .

(٨) ل : « الفلك » ، والأوفق ما أثبت من سائر النسخ .

جوابَه[١] : ولكنِّى لن أدعَ ذِكْرَ[٢] بعض ما وجدته فى الأشعار والإخبار ، أوْ[٣] كان مشهوراً عند من ينزل الأسيافَ[٤] وشطوط الأودية والأنهار ، ويعرفه السَّمّاكون[٥] ، ويُقِرُّ بهِ الأطبّاء[٦] — بقدر ما أمكن من القول .

(زعم إياس بن معاوية فى الشبُّوط)

وقد رَوى لنا غيرُ واحد من أصحابِ الأخبار ، أنّ إياسَ بن مُعاوية زعم أنّ الشَّبُّوط كالبغْل ، وأنّ أُمّها بُنِّيّة ، وأباها زَجْرٌ[٧] ، وأنّ من الدّليل على ذلك أنّ الناس لم يجِدوا فى بطن شَبُّوطة قطُّ بيضاً .

وأنا أخبِرك أنِّى قد وجدته فيها مِراراً ، ولكنِّى وجدتُهُ[٨] أصغَرَ جُثّةً ، وأبعَد من الطِّيب ، ولم أجِده عامًّا كما أجده[٩] فى بطون جميع السمك .

---

(١) فيما عدا ل : « وهذا كله جوابه » ، تحريف .
(٢) ط ، ﻫ : « لم أقنع بذكر » س : « لم أقنع ذكر » ، صوابهما ما أثبت من ل .
(٣) فيما عدا ل : « إذا » .
(٤) الأسياف : جمع سيف ، بالكسر ، وهو ساحل البحر .
(٥) س : « وتعرفه السماكون » . ﻫ : « وتعرفه السالكون » ، وهذه محرفة .
(٦) س ، ﻫ : « وتقر به الأطباء » ل : « وتقربه » ، وضبطت فيها بكسر الراء المشددة ، من التقريب ، وهو خطأ فى الضبط .
(٧) البنية : واحدة البنى ، بضم الباء ، وتشديد النون المكسورة . والزجر ، بفتح الزاى ، وهما ضربان من السمك سبق الحديث عنهما فى شرح (٥ : ٣٦٩) وانظر (١ : ١٤٩ — ١٥٠) . ل ، ط : « برية » ﻫ : « بقية » صوابهما فى س : وفى ط : « بحرى » ﻫ ، س : « زخر » بالخاء المعجمة ، صوابهما ما أثبت من ل .
(٨) فى الأصل : « وجدتها » ، والمتحدث هو الجاحظ . انظر (١ : ١٥١ س ١) .
(٩) ل : « ولم أجده فيها على ما أجده » .

فهذا قول أبى واثلة إياس بن معاوية المزنى[١] الفقيه القاضى ، وصاحب الإزكان[٢] ، وأقْوَف من كُرْز بن علقمة[٣] ، وهو داهية مُضَر[٤] فى زمانه ، ومفخرٌ من مفاخر العرب .

(الشك فى أخبار البحريين والسَّماكين والمترجمين)

فكيف أسكُنُ بعد هذا إلى أخبار البحْريِّين ، وأحاديث السمَّاكين ، وإلى ما فى كتابِ رَجُلٍ لعلَّه أنْ لو وَجَدَ هـذا المترجمَ أن يُقِيمَهُ على المِصْطَبة[٥] ، ويبرأ إلى النَّاس من كذبه عليه ، ومن إفساد معانيه بسوء ترجمته .

(فضيلةُ الضبّ)

والذى حضرنى من أسماء الحشَرات ، ممَّا يرجع عمود صُورها إلى

---

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة ، المزنى ، من مزينة مضر . وولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة . وكان صادق الظن ، لطيفا فى الأمور . وكان لأم ولد ، ومنزله عند السى ، ومات بها سنة اثنتين وعشرين ومائة . وله عقب بالبصرة وغيرها . انظر المعارف ٢٠٥ وتهذيب التهذيب (١ : ٣٩٠) . ل : المدنى » تحريف

(٢) الإزكان : الفطنة والحدس الصادق ، يقال : أزكنت أى ظننت فأصبت . هـ ، ل : « الأركان » س : « الأذكان » ، صوابه بالزاى المعجمة كما أثبت من ط . وانظر (٥ : ٢٢٤ س ٧) .

(٣) أقوف : أشد قيافة . والقيافة : تتبع الآثار ومعرفتها ، ومعرفة شبه الرجل بأبيه وأخيه . ومادتها واوية . فيما عدا ل : « أفوق » محرف . وكرز هو كرز بن علقمة بن هلال الخزاعى ، صحابى أسلم يوم الفتح ، وعمر طويلا ، وعمى فى آخر عمره . وهو الذى استأجره المشركون فقفا أثر النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر حين دخلا الغار . وهو الذى وضع للناس معالم الحرم فى زمن معاوية بعد أن درس بعضها . انظر الإصابة ٧٣٩١ . فيما عدا ل : « كور » بالواو بعدها راء مهملة صوابه ما أثبت من ل . وجاء فى رسائل الجاحظ ١٠٤ ساسى : « وأين كان كرز بن علقمة من مجزز المدلجى » .

(٤) هـ : « مصر » تحريف . وانظر التنبيه الأول .

(٥) المصطبة ، بكسر الميم ، كالدكان يجلس عليه .

قَالبٍ واحد ، وإن اختلفَتْ بعــد ذلك فى أمور . فأوّل ما نَذكر من ذلك الضبّ[1] .

والأجناسُ التى ترجع إلى صورة الضّبّ : الوَرلُ[2] ، والحِرباء ، والوَحَرَة[3] والحُلْـكَة[4] ، وشحمة الأرض ، [وكذلك العَظاء[5] ، والوزَغ ، والحِرذَون . وقال أبو زيد : وذكر العظاية هو العَضْرَفُوط . ويقال فى أمّ حُبين حُبَيْنة . وأشباهُها ممّا يسكن الماء : الرّقّ ، والسُّلَحْفا[6]] والغيــلم ، والتِّمْساح ، وما أشبه ذلك .

(الحشرات)

و [ممّا] نحن قائلون فى شأنه من الحشرات[7] الظربان ، والعُثّ[8] والحُفّاث[9] .

---

(١) فيما عدا ل « يذكر » . وكلمة : « من ذلك » ليست فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « والورل » ، والصواب حذف الواو . وهو خبر « الأجناس » .

(٣) فيما عدا ل « والوحوه » بواو بعد الحاء ، صوابه ما أثبت .

(٤) الحلـكة ، بضم الحاء وسكون اللام ، ومثلها الحلكاء ، وبضم فسكون ، وبضم ففتح ، وبفتحتين ، وكذلك الحلــكة بضم ففتح : لغات . وهى ضرب من العظاء . ل : « الحلــكاء » .

(٥) العظاء بالفتح : جمع عظاءة .

(٦) السُّلَحفاة والسُّلَحفاء والسُّلَحفا والسُّلَحفِيَة والسِّلَحفاة : واحدة السلاحف من دواب الماء . وزاد بعضهم السِّلْحَفَا ، بكسر فسكون ففتح . وقد جاءت هنا باللغة الثالثة .

(٧) الحشرة : واحدة صغار دواب الأرض كاليرابيع والقنافذ والضباب ونحوها . ط : « الخضرات » هـ : « الحضرات » صوابهما ما أثبت من ل ، س .

(٨) العث ، بضم العين : دويبة تأكل الصوف والجلود . ل : « الفت » محرف .

(٩) الحفاث ، بضم الحاء وتشديد الفاء ، وآخره ثاء : حية . سبق الكلام عليها فى (٤ : ١٤٨) . ل : « الحفات » س : « الخفاش » ط ، هـ : « الخفات » صوابها ما أثبت .

والعِربِدُ[1] ، والعضرَفوط[2] ، والوبْر[3] ، وأمّ حبَين[4] ، والجُعَل ، والقرَنْبَى[5]
والدَّسَّاس ، والخنفساء ، والحيّة ، والعقرب ، والشَّبَث[6] والرُّتَيلاء[7]
والطَّبُّـوع ، والحُرقُوص ، والدَّلَم[8] وقَمْلة النَّسْر[9] ، والمثـل[10]

(١) العربد ، بكسر العين ، وآخره باء ودال مشددة أو مخففة : حية أحمر أرقش بكدرة وسواد، لا يظلم إلا أن يؤذى ، لا صغير ولا كبير . ط ، ه : « المرقد » بالقاف . س : « العرفد » بهذا الإهمال ، صوابهما فى ل . وهو بالإنكليزية : Puff adder .

(٢) العضرفوط ، ثانيه ضاد معجمة ، وهو ضرب من العظاء أعظم من المعروفة فى مصر بالسحلية ، ويعرف فى مصر وسينا بقاضى الجبل . واسمه اللاتينى : Agma وبالإنكليزية : Judge of the desert أى قاضى الصحراء . ط ، ه : « العطرفوط » س « العضرفوط » ، صوابهما فى ل .

(٣) الوبر ، أوله واو مفتوحة وثانيه باء ساكنة موحدة : دويبة على قدر السنور . س فقط : « الربر » محرف .

(٤) أم حبين : بضم الحاء وفتح الباء . ط ، ه : « أم حتين » س : « أم حسن » تحريف ما أثبت من ل .

(٥) القرنبى : دويبة شبه الخنفساء ، أو أعظم منها شيئا ، طويلة الرجل . مقصورة . والأنثى بهاء : Long horned beetle .

(٦) الشبث : بالتحريك : العنكبوت أو دويبة ذات قوائم ست طوال ، صفراء الظهر وظهور القوائم ، سوداء الرأس ، زرقاء العين . ط : « الشهت » س ، ه : « الشيث » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٧) الرتيلاء ، مقصور وممدود : ضرب من العناكب . ط : « الترتيلا » صوابه فى ل . وفى س ، ه : « الرتيلا » .

(٨) الدلم ، بالتحريك : دابة يشبه الطبوع ، وليس بالحية .

(٩) انظر لقملة النسر ما سبق فى (٥ : ٣٩٢ س ١٣ و ٣٩٨ س ٢) وكذا الاستدراك فى (٥ : ٦٣٧ - ٦٣٩) .

(١٠) المثل ، كذا فى الأصل ما عدا س ، ففيها : « المثك » . وقد وردت بعد هذه الكلمة فيما عدا ل هذه العبارة : « والضمخ والقنفذ والنمل والفر والدساس تتشاكل من وجوه وتختلف من وجوه كالفأرة والجرذان والرمك والخلد واليربوع وابن عرس وابن مقرص » . وموضع هذه العبارة الطبيعى بعد البيت الذى فى آخره « مدارج الأنبار » كما أثبت من ل .

والنِّبْر ؛ وهى دويْبَّة إذا دبَّتْ على جلد البعير تورَّم[1] . ولذلك يقول الشاعر[2] ، وهو يصف إبله بالسِّمَن :

كأنَّها من بُدُنٍ واستيقارْ[3] دَبَّتْ عليهـا ذربات الأنبارْ[4]

وقال الآخر :

[حمر تحقّنت النَّجيلَ كأنما بجلودهن مدارِجُ الأنبـار[5]]

والضَّمْج[6] ، والقنفذ ، والنَّمْل ، والذَّرُّ ، والدّساس[7] . [ومنها ما[8]] تتشـاكل فى وجـوه ، وتختلف من وجـوه : كالفأر[9] والجرذان والزّبَاب[10] ، والخلد[11] واليربوع ، وابن عِرْس ، وابن مِقرض[12]

---

(١) النبر بالكسر . ط ، هـ : « وهى » بدل : « وهو » و : « دب » بدل : « دبت » . وانظر ما سبق فى (٣ : ٩ . ٣) .

(٢) هو شبيب بن البرصاء ، كما فى اللسان (٢ : ٣٨١ / ٧ : ٤٠ / ١٥ : ٢٨٨) .

(٣) البدن ، بالضم : البدانة ، وضم الدال للشعر . والاستيقار : مصدر استوقرت الإبل ، سمنت وحملت الشحوم ، ط : س : « استيشار » هـ : « استيثار » صوابهما فى ل واللسان (٧ : ٤٠ ، ١٥٣) . ويروى : « كأنها من سمن وإيقار » . ويروى : « واستيفار » بالفاء ، مأخوذ من الشيء الوافر . انظر الموضع الأول من اللسان . ورواه فى (١٥ : ٢٨٨) : « وإيفار » بالفاء وقد نبه على هذه الرواية فى أيضا فى (٢ : ٣٧١ س ٧) .

(٤) الذربات ، الحديدات اللسع . والذرب : الحاد من كل شيء . ل : « دب عليها عارمات الأنبار » . والعارمات : الخبيثات . انظر اللسان (عرم ، وقر) .

(٥) سبق البيت وشرحه فى (٣ : ٣٠٩) . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « تخففت » و « النخيل » تحريف ، صوابه ما أثبت .

(٦) الضمج ، بفتح الضاد ، وآخره جيم : سبق الكلام عليه فى (٢ : ٢٣٧ / ٤ : ٢٢٦) ط ، هـ : « الضمخ » س : « الصمخ » صوابهما ما أثبت من ل .

(٧) هذا تكرار لما سبق فى السطر الثانى من الصفحة السابقة .

(٨) هاتان الكلمتان ليستا فى الأصل . والكلام محتاج إلى مثلهما .

(٩) فيما عدا ل : « كالفأرة » ، والوجه الجمع .

(١٠) الزباب ، بفتح الزاى : ضرب من الفأر ، سبق الكلام عليه فى (١ : ٢٦٨ / ٣ : ٥١٠ / ٤ : ٤٠٩ / ٥ : ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٤٠٩) . فيما عدا ل : « الرمك » تحريف .

(١١) انظر (٥ : ٢٦٠) .

(١٢) ابن مقرض ، بكسر الميم : حيوان شبيه بابن عرس . وهو بلغة العلماء الأوربيين : Putorius furo . وفيما عدا ل : « ابن مقرص » آخره مهملة ، محرف .

ومنها العنكبوت [١] الذى يقال له مَنُونة [٢] ، وهى شرٌّ مِن [٣] الجرّارة والضَّمْج [٤] .

(ما فيه الوحشى والأهلى من الحيوان)

وسنقول فى الأجناس التى يكون فى الجنس منها الوحشىُّ والأهلىّ ، كالفِيَلة ، والخنازير ، والبقَر ، والحمير ، والسَّنانير .

والظِّباء قد تَدْجُن وتُولّد [٥] على صُعوبةٍ فيها . وليس فى أجناس الإبل جنس وحشىٌّ ، إلاّ فى قول الأعراب .

(ماهو أهلىٌّ صرف أو وحشى صرف من الحيوان)

ومّما يكون أهليًّا ولا يكون وحشيًّا وهو سبعٌ — الكلاب [٦] وليس يتوحَّش [٧] منها إلاّ الكلب [الكَلِب [٨]] . فَأمّا [٩] الضِّباع والذِّئاب ،

---

(١) منها : أى من الحشرات . والكلام من هذه الكلمة إلى : « الضمج » التالية ساقط من ل . ط : « العقر » س ، هـ : « العقرب » ، صوابهما ما أثبت .
وفى اللسان (١٧ : ٣٠٧ س ١) : « والمِنَنَة العنكبوت ، ويقال له مَنُونة » .
وفى القاموس : « والمننة كمنبة : العنكبوت كالمَنُونَة » .

(٢) فى الأصل : « متونة » بالتاء وهاء غير منقوطة فى الآخر ، صوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .

(٣) ط : « شرمق » تحريف ، صوابه فى س ، هـ .

(٤) فى الأصل : « السمخ » ، صوابه ما أثبت . وانظر التنبيه ٦ من الصفحة السابقة .

(٥) دجن يدجن دجونا : أقام بالبيت وألفه . س : « وتوالد » .

(٦) ط ، هـ « فهى كالكلاب » س : « فهى الكلاب » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٧) فيما عدا ل : « ولا يتوحش » .

(٨) هذه التكملة من ل ، س . والكلب ، بفتح فكسر : المصاب بداء الكلب .

(٩) ط ، هـ : « وأما » بالواو .

والأسد ، والنمور ، والببور ، والثعالب ، وبناتُ آوى ، فوحشيَّةٌ كلها وقد يقَلَّمُ الأسَد وتُنْزَع أنيابه[١] ، ويطول ثَواؤُه مع الناس حتى يَهرم مع ذلك[٢] ، ويُحسّ بعجزِهِ عن الصَّيد ، ثمَّ هو فى ذلك[٣] لا يُؤمَن عُرَامه[٤] ولا شروده ، إذا انفرد عن سـوَّاسـه[٥] ، وأبصَرَ غيضةً قُدّامَها صَحْراء[٦] .

(قصة الأعرابى والذئب)

وقد كان بعضُ الأعرابِ ربَّى جروَ ذِئب [صغيراً] ، حتَّى شبَّ ، وظنَّ أنَّه يكونُ أغْنَى غَناءً[٧] من الكلب ، وأقوى على الذّبِّ عن الماشية ؛ فلمَّا قوِىَ شيئاً وثَبَ على شاةٍ فذبحها — وكذلك يَصنعُ الذِّئب — ثمَّ أكل منها . فلمَّا أبصر الرّجلُ أمرَهُ قال :

أكَلْتَ شوَيهَتِى وَرَبِيت فينــا فمن أنباك أنَّ أباكَ ذيب[٨]

---

(١) يقلم : أى تقطع أظافره . فيما عدا ل : « يعلم » بالعين ، تحريف . وفيما عدا ل أيضا : « وينزع نابه » .

(٢) هاتان الكلمتان ساقطتان من س . وثواؤه : إقامته .

(٣) س : « ثم هو فى ذلك مشرق » .

(٤) العرام ، بالضم : الشدة والحدة . هـ ، س : « غرامه » تصحيف . وفيما عدا ل : « يؤمن » بدل : « يؤتمن » .

(٥) السواس ، جمع سائس ، وهو من يسوس الدابة ويروضها . فيما عدا س : « إن انفرد » .

(٦) ط : « صحر » هـ : « صخرا » صوابهما فى س ، هـ . وفيما عدا ل زيادة « صار فيها » .

(٧) الغناء ، بالفتح : النفع . ل ، س ، هـ : « أغنى عنه » ، وكذا فى عيون الأخبار (٢ : ٥) وانظر رواية هذه القصة فى الحيوان (٤ : ٤٨ / ٧ : ٥٦ ، ٨٠) وثمار القلوب ٣١٢ ومحاضرات الراغب (١ : ١٢٣) وغرر الخصائص ٥٥ ، وجمهرة الأمثال للعسكرى ١٣٨ وأمثال الميدانى (١ : ٤٨٠) والمحاسن والمساوى (١ : ٩٦) .

(٨) ربيت فينا : نشأت فى حجرنا . وهو بفتح الراء وكسر الباء . وضبطت سهوا فى =

وقد أنكر ناسٌ من أصحابنا هذا الحديث ، وقالوا[1] : لم يكنْ لِيألفَه ويُقيمَ معه بعد أن اشتدّ عظمُه! ولِمَ [لَمْ[2]] يذهبْ مع الذِّئاب والضِّباع[3] ، ولم تكن الباديةُ أحبَّ إليه من الحاضرة ، والقفارُ أحبَّ إليه من المواضع المأنوسة .

(كيف يصير الوحشىُّ من الحيوان أهليا)

وليس يَصِير[4] السبعُ من هذه الأجناس أو الوحشىُّ[5] من البهائم أهليًّا بالمقام فيهم ، وهو لا يقدرَ على الصَّحارى . وإنما يصير أهليًّا إذا ترك منازلَ الوحْش[6] وهى له مُعْرضة .

(ما يعترى الوحشىَّ إذا صار إلى الناس)

وقد تتسافد وتتوالد فى الدُّور وهى بعدُ وحشيَّة ، وليس ذلك فيها بعامّ . ومن الوحْش ما إذا صار إلى النّاس وفى دُورهم ترك السِّفاد ، ومنها مالا يَطعَم ولا يشربُ البتَّةَ بوجْهٍ من الوجوه ، ومنها ما يُكره على الطُّعْم

= (٤ : ٤٨) بضم الراء . وفى اللسان (١٩ . ١٩) : « وقد ربوت فى حجره رُبُوًّا وَرَبْواً ، الأخيرة عن اللحيانى ، ورَبِيتَ رِبَاء ورُبِيًّا كلاهما نشأت فيهم » . ل : « ربأت » صواب هذه « ربأت » بالباء الموحدة ، من قولهم ربأت الأرض رباء : زكت وارتفعت . وقرأ أبو جعفر : (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربأت) فى الآية ٥ من سورة الحج ، و ٣٩ من فصلت . وفى ل أيضا : « فما أدراك » .

(١) فيما عدا ل : « وقال » ، تحريف .

(٢) ليست فى الأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٣) ل : « الضياع » بالياء ، تصحيف .

(٤) ط فقط : « يصبر » تحريف .

(٥) ل : « والوحشى » .

(٦) فيما عدا ل : « الوحوش » . وفى س : « يكون » موضع : « يصير » .

ويدخل فى حلقه كالحيّة ، ومنها مالا يسفَد ولا يدْجُن[١] ، ولا يَطعم ولا يَشرب ، ولا يصيحُ حتى يموت . وهذا المعنى فى وحشىِّ الطَّير أكثر .

(السُّورانىُّ ورياضته للوحوش)

والذى يحكى عن السُّورَانى[٢] القَنَّاص الجبَلى[٣] ليس بناقض لِمَا قُلنا[٤] ؛ لأنّ الشَّىء الغريبَ ، والنادر الخارجىَّ ، لا يُقاس عليه . وقد زعموا أنّه بلغ من حِذْقه بتدريب الجوارح وتَضْرِيتها أنّه ضرَّى ذئباً حتّى اصطاد به[٥] الظِّباء وما دونها ، صَيداً ذريعاً ، وأنه ألَّفه حتى رجَع إليه من ثلاثينَ فرسخا ، وقد كان بعضُ العُمَّال سَرَقه منه . وقد ذكروا أنّ هذا الذِّئب [قد[٦]] صار إلى العَسكر ، وَأن هذا السُّورَانى ضرَّى أسداً حتَّى اصطادَ له الحميرَ فما دونها[٧] صيداً ذريعًا ، وأنه ضرَّى الزَّنابيرَ فاصطاد بها الذِّبان . وكلٌّ هذا عجَب ، وهو غريبٌ نادرٌ ، بديعٌ خارجىّ

(١) ل : « يرجن » بالراء ، وهى صحيحة ، يقال دجن ورجن ، وبابهما دخل .

(٢) السورانى : نسبة إلى سورا ، بضم السين والقصر ، وهو موضع بالعراق من أرض بابل . ل : « السودانى » بالدال المهملة . وفى معجم ياقوت : « سوذان » بالذال المعجمة ، قرية من قرى أصفهان .

(٣) الجبلى : نسبة إلى « الجبل » وهى البلاد التى يقال لها الجبال ، وهى ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والرى . وفى ياقوت (٣ : ٥٠) عند ذكر على بن جهضم الهمذانى الجبلى ، قال : ونسب كذلك لأن همذان من بلاد الجبل . وقد ذكر الجاحظ هذا السورانى القناص فى (٧ : ٢٥٢) وقال : « من أهل همذان السودانى الجبلى » . ولكن فى ل : « الجيلى » بياء مثناة بعد الجيم ، تحريف .

(٤) ل : « ليس يناقض ما قلنا » ﻫ : « ليس يناقض لما قلنا » ، وهذه الأخيرة محرفة .

(٥) ل : « له » س : « بها » ، والأخيرة محرفة .

(٦) هذه الكلمة من ل ، س ، ﻫ .

(٧) س : « الحمير وأوثقها » ، محرف .

وذكروا[1] أنّه من قيس عيلان ، وأنّ حليمة ظِئْر النبى صلى الله عليه وسلم قد وَلَدته .

(الحيوانات العجيبة)

وليس عندى فى الحمار الهندىّ شىء[2] . وقد ذكره صاحب المنطق .

فأمّا الدِّباب[3] ، وفأرة المسك ، [والفنك[4]] ، والقاقُم[5] ، والسِّنجاب ، والسَّمُّور ، وهذه الدوابّ ذواتَ الفِراء[6] والوبرِ الكثيف النّاعم ، والمرغوبِ فيه ، والمنتفع به ، فهى عجيبة .

وإنّما نذكر ما يعرفه أصحابنا وعلماؤُنا ، وأهلُ باديتنا . ألا تَرى أنّى لم أذكر [لك] الحريش[7] ، والدُّخَس[8] ، ولا هذه السِّباعَ المشتَركة الخلْق ،

---

(١) فيما عدا ل : « وذكر » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٢) الحمار الهندى ، هو الكركدن ، وهو ما يسمى وحيد القرن . واسمه العلمى الأوربى : Rhinoceros ذكره أرسطو فى كتاب النعوت فقال : « ولم نر من ذوات الحافر ماله قرنان ، لكن هناك حيوانات قليلة جمعت بين الحافر والقرن الواحد ، منها الحمار الهندى » . انظر معجم المعلوف ٢٠٣ — ٢٠٧ .

(٣) الدباب ، بكسر الدال المهملة ، جمع دب ، بضم الدال ، وهو من الحيوان ذى الفرو . انظر (٥ : ٤٨٤ س ١) ، وهذه الكلمة محرفة فى الأصل . فى ط ، هـ : « الذئاب » وفى ل ، س : « الذباب » ، صوابه ما أثبت .

(٤) الفنك ، سبق الحديث عنه فى (٥ : ٤٨٤) .

(٥) القاقم بضم القاف الأخيرة : سبق الحديث عنه فى (٥ : ٤٨٤) ط ، هـ : « القماقم » ل : « الفاقم » أوله فاء ، صوابه ما أثبت من س .

(٦) فيما عدا ل : « دواب الفراء » وله وجه .

(٧) الحريش ، وزان كريم : هو الكركدن ، انظر التنبيه الثانى . ط ، هـ : « الجريش » ، ل : « الحرس » س : « الحرس » بالإهمال التام ، صوابها ما أثبت .

(٨) الدخس ، مثال صرد ، دابة فى البحر تنجى الغريق ، تمكنه من ظهرها ليستعين على السباحة ، وتسمى الدلفين . هذا ما كتبه ابن منظور ، وهو زعم القدماء . وفى معجم استينجاس فى شرح « دخس » وقد أشار إلى أن لفظه فى الفارسية مأخوذ من العربية : a dolphin (said to carry people in danger of being drowned to shore) أى تحمل من أشفى على الغرق إلى

المتولِّدة فيما بين السِّباع المختلفة الأعضاء ، المتشابهة الأرحام ، التى[1] إذا صار بعضُها فى أيدى القرَّادين والمتكسِّبين[2] [و[3]] الطوّافين ، وضعوا لها أسماء ، فقالوا : مقلاس ، وكيلاس[4] وشلقطير[5] وخلقطير[6] وأشباه ذلك ، حين لَمْ تَكُنْ[7] من السِّباع الأصلية والمشهورة النسب[8] ، والمعروفة بالنّفع والضّرر .

وقد ذكرنا منْها ماكان مثل الضَّبع ، والسِّمع[9] ، والعِسْبار[10] ؛ إذ كانتْ معروفةً عنــد الأعراب ، مشهورة[11] فى الأخبار ، منوَّها بها فى الأشعار .

= الساحل . ط ، ه : « الرجس » س : « الرحس » مهملة ، صوابه ما أثبت من ل . وانظر شرح ٥ : ٥٤٥ .

(١) فيما عدا ل : « الذى » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ط : ه : « المكتسبين » .

(٣) هذه من س فقط .

(٤) كذا وردت مضبوطة فى ل . وفيما عدا ل : « كلاس » .

(٥) فيما عدا ل : « سلقطير » بالسين المهملة .

(٦) كذا فى ل . وفى س : « حلقطير » ط : « حلفطير » بالفاء . ه : « جلفطير » بالجيم والفاء .

(٧) س : « حتّى » بدل : « حين » . وفيما عدا ل : « يكن » ، وتقرأ فى هذه بتشديد النون .

(٨) الواو قبل : « المشهورة » ساقطة من ط . وفى س : « بالسب » بدل : « النسب » .

(٩) السمع ، بالكسر : ولد الذئب من الضبع . انظر (١ : ١٨١ - ١٨٢ / ٥ : ١٤٩) . ط ، ه : « السبع » بالباء ، صوابه ما أثبت من ل ، س .

(١٠) العسبار : ولد الضبع من الذئب . انظر (١ : ١٨١ - ١٨٢ / ٥ : ١٤٩) س : « العسبان » محرف .

(١١) ل : « معروفة » .

(الاعتماد على معارف الأعراب فى الوحش)

وإنَّما أعتمد فى مثل هذا على ما عندَ الأعراب ، وإن كانوا لم يَعْرِفوا شكلَ ما احتِيجَ إليــه منها[1] من جهة العناية والفِلاَيَة[2] ، ولا من جهة التذاكر والتكسُّب . ولـكن هذه الأجناس الـكثيرة ، ماكان منها[3] سبعاً أو بهيمةً أو مشتَرَكَ الخلْق ، فإنّما هى مبثوثةٌ فى بلاد الوحْش : من صحراءَ ، أو وادٍ ، أو غائط ، أو غيضة ، أو رملةٍ ، أو رأس جبل ؛ وهى فى منازلهم ومناشئهم[4] ؛ فقد نزلوا كما ترى بينها ، وأقاموا معها . وهم أيضاً من بين النّاس وحشٌ ، أَوْ أشباه الوحش[5] .

وربّما بلْ كثيراً ما يُبْتَلَون بالنَاب والمخلب ، وباللدغ[6] واللَّسع والعضّ والأكل ، فخرَجتْ بهم الحاجةَ إلى تعرُّف حالِ الجانى[7] والجارح والقاتل ، وحالِ المجنىّ عليه والمجروحِ والمقتول ، وكيف الطَّلبُ والهرب ، وكيف الداء والدواء[8] ؛ لطول الحاجة ، ولطول وُقوع البَصر ، مع مايتوارثون من المعرفة بالدَّاءِ والدواء .

---

(١) ل : « مااحتاج إليه منها » .

(٢) الفلاية ، بكسر الفاء : مصـدر فلا رأسه يفلوه ويفليه : بحثه عن القمل . أراد به البحث عن كنهها . ط ، س : « العلاية والغلاية » ، هـ : « العناية والبلاية » وصواب النص من ل .

(٣) ل : « مايكون فيها » .

(٤) المناشئ : جمع منشأ ، مكان النشوء . فيما عدا ل : « ماشيتهم » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « وأشباه الوحش » .

(٦) فيما عدا ل : « والدغ » ، بطرح الباء .

(٧) ل : « فخرجت لهم الحاجة تعرف حال الجانى » .

(٨) ل ، س : « وكيف الدواء والداء » .

(معرفة العرب للآثار والأنواء والنجوم)

ومن هذه الجهة عَرَفوا الآثارَ في الأرض والرَّمل ، وعرفوا الأنواءَ ونجومَ الاهتِدَاء ؛ لأنَّ كلَّ من كان بالصَّحاصح الأماليس[١] — حيث لا أمارة[٢] ولا هادىَ ، مع حاجته إلى بعد الشُّقّة[٣] — مضطرٌّ[٤] إلى التماس ما ينجيه ويُؤْديه[٥] .

ولحاجته إلى الغيث ، وفِراره من الجدْب ، وضنِّه بالحياة ، اضطرته الحاجة[٦] إلى تعرُّف شأنِ الغَيث .

ولأنّه في كلِّ حالٍ يرى السَّماء ، وما يجرى فيها من كوكب ، ويرى التَّعاقُب بينها ، والنّجومَ الثوابت فيها ، وما يسير منها مجتمعا وما يسير منها فارداً[٧] ، وما يكون منها راجعًا ومستقيما .

---

(١) الصحصح والصحصحة والصحصحان : الأرض المستوية الواسعة . والأماليس : جمع إمليس ، وهى الأرض الملساء لا شجر بها ولا كلأ ولا نبات . وهى أيضا جمع ملس ، بالتحريك : وفى اللسان : « والملس المكان المستوى والجمع أملاس وأماليس » . فيما عدا ل : « الأمالس » . وحذف الياء من نحو هذا مذهب الكوفيين .

(٢) الأمارة ، بالفتح : العلامة . س : « أثارة » . والأثارة ، بالفتح : العلامة أيضا .

(٣) الشقة ، بالضم والكسر : السفر البعيد ، أى مع حاجته إلى الإبعاد فى السفر . ط فقط : « المشقة » تحريف .

(٤) فى الأصل : « مضطرا » بالنصب . ووجهه الرفع ، فهو خبر أن .

(٥) آداه على كذا يؤديه إيداء : قواه عليه وأعانه . وتقرأ أيضا « يؤديه » من التأدية ، أدى الشىء تأدية : أوصله .

(٦) فيما عدا ل : « الحال » .

(٧) الفارد : المنفرد . فيما عدا ل : « وما يصير منها مجتمعا وما يصير مفترقا » تحريف . وبعد هذه العبارة فيما عدا ل : « وما يصير منها بارداً » لكن فى س : « وما يصير » وهى عبارة مقحمة .

(أقوال لبعض الأعراب في النجوم)

وسُئلت أعرابيَّة فقيل لها : أتَعرفين النجوم ؟ قالت[1] : سبحانَ الله ! أمَا أعرف أشباحًا وُقوفاً علىَّ كلَّ ليلة !

وقال اليقطريّ[2] : وصف أعرابيٌّ[3] لبعض أهل الحاضرة نجوم الأنواء ، ونجومَ الاهتداء ، ونجوم ساعاتِ اللّيل والسُّعودِ والنُّحوس ، فقال قائلٌ لشيخٍ عِباديٍّ[4] كان حاضراً : أمَا ترى هذا الأعرابيَّ يعرف من النُّجوم مالا نعرف ؟ قال : ويلَ أمِّك ، مَنْ لا يعرف أجذاع بيته[5] ؟

قال : وقلت لشيخٍ من الأعراب قد خرِفَ ، وكان من دُهاتهم : إنى لا أرَاكَ[6] عارفا بالنُّجوم ! قال : أما إنّها لو كانت أكثَرَ لكنتُ بشأنها أبصرَ ، ولو كانت أقلَّ لكنت لها أذْكَر .

وأكثرُ سببِ ذلك كلِّه ـ بعد فَرْط الحاجة ، وطول المدارسة[7] ـ دِقّةُ الأذهان[8] ، وجَودة الحِفظ . ولذلك قال مجنونٌ من الأعراب ـ لَمّا قال ١٠

(١) ل : « فقالت » .

(٢) ل : « البقطرى » بالباء الموحدة . وانظر (١ : ١٢٢ ، ٣٧٠ / ٤ : ٣٤) .

(٣) ط ، هـ : « وصفت أعرابية » تحريف ، صوابه فى س . وفى ل : « وصف الأعرابى » .

(٤) العبادى : نسبة إلى العباد ، بالكسر ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٥) الجذع ، بكسر الجيم بعدها ذال : ساق النخلة ، والجمع أجذاع وجذوع ، والمراد بالأجذاع ماجعل منها سقفا للبيت . ط فقط : « أجزاع » بالزاى ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « لا أراك » ، صوابه ماأثبت من ل .

(٧) فيما عدا ل : « المداومة » .

(٨) فيما عدا ل : « رقة الأذهان » بالراء . والوجه ماأثبت من ل .

له أبو الأَصْبَغِ بن رِبْعِىّ[١] : أما تعرِف النجوم ؟ قال : ومالى أعرفُ من لا يعرفنى[٢] ؟ !

فلو كان لهـذا الأعرابىِّ المجنونِ مثلُ عُقول أصحابه ، لعرَف مثلَ ما عرَفوا .

(ما يجب فى التعليم)

ولو كان عندى فى أبْدان السَّمُّور ، والفَنَك ، والقَاقُم[٣] ، ما عِندى فى أبدان الأرانب والثَّعالب ، دون فرائها ، لذكرتها بما قلَّ أو كثُر ؛ لـكنّه لا ينبَغى لمن قلَّ علمُه أن يدَعَ تعليم مَن هو أقلُّ منه علما[٤] .

(الدساس وعلة اختصاصه بالذِّكر)

ولو كانت الدَّسّاس[٥] من أصناف الحيّات لم نخصَّها من بينها بالذِّكر[٦] ، ولـكنْها وإن كانت على قالَب الحيَّات وخَرْطها ، وأفرغت

---

(١) فيما عـدا ل : « أبو الأصبع » بالمهملة فى آخره . وانظر ماسبق فى (٣ : ١٠٩ ، ٢٥٦) .

(٢) ط ، هـ : « ومالى لا أعرف » بزيادة : « لا » . وهو تحريف .

(٣) سبق الـكلام على هذه الأجناس فى (٥ : ٤٨٤) ط ، هـ : « القماقم » ل : « الفاقم » بالفاء فى أوله ، صوابهما ماأثبت من س . وانظر هذا الجزء ص ٢٧ .

(٤) ل : « من هو أقل علما منه » .

(٥) الدساس ، سبق الـكلام عليها فى (٤ : ٢٢٢) . وهو حية أحمر كالدم محدد الطرفين لايدرى أيهما رأسه ، غليظ ليس بالضخم ، وهو النـكاز . واسمه العلمى الأوربى : Eryx jaculus . س : « ولو كان الدساس » .

(٦) اى : إنما خصصناها بالذكر لأنها ليست من الحيات .

كإفراغها وعلى عَمُودِ صُوَرِها ، [فخصائصها] دون خصائصها[1] ، كما يناسبها في ذلك الخُفَّاشُ[2] والعِرْبِدُ[3] . وليسا من الحيّات ، كما أن هذا ليس من الحيّات ؛ لأنّ الدّسّاس ممسوحة الأذن[4] ، وهي مع ذلك مِمّا يلد ولا يبيض . والمعروفُ في ذلك أنّ الوِلادة هي في الأَشْرَف[5] ، والبَيْض في الممسوح .

وقد زعم ناسٌ أنّ الولادة لا تُخرج الدَّسّاسَ من اسم الحيّة ، كما أن الولادةَ لا تخرِج الخُفّاش من اسم الطير .

وكلّ ولدٍ يخرج من بيضه فهو فرْخ ؛ إلا ولدَ بيض الدَّجاج فإنّه فَرُّوج .

والأصناف التي ذكرناها مع ذكر الضَّبّ تبيض كلُّها ، ويسمَّى ولدُها بالاسم الأعمّ فَرْخا[6] .

وزعم لي ابنُ أبي العجُوز ، أنّ الدّسّاس تَلِد . وكذلك خبَّرني به محمد ابنُ أيوبَ بن جعفر[7] عن أبيه ، وخبَّرني به الفضــل بنُ إسحاق

---

(١) ليست بالأصل ، وبها يلتئم الكلام .

(٢) فيما عدا ل : « الخفات » بالخاء المعجمة والتاء في آخره ، صوابه بالحاء المهملة والثاء المثلثة . وانظر ماسبق في ص ٢٠ .

(٣) انظر ماسبق ص ٢١ .

(٤) أي ليست بظاهرة الأذن . ه : « ممسوخة » بالخاء ، تحريف .

(٥) الأشرف : الظاهر الأذنين . فيما عدا ل : « الأشراف » محرف .

(٦) ط ، ه : « أو يسمى ولدها » تحريف . وفيما عدا ل . « بالأعم » بدل « بالاسم الأعم » .

(٧) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، كان من أعلم الناس بقريش ، وبالدولة ، وبرجال الدعوة ، وكان في أول أمره على مذهب أبي شمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم ابن سيار النظام . انظر البيان (١ : ٩١ ، ١١٥ ، ٣٤٣) . وأما محمد ولده فلم أجد له خبرا .

ابن سليمان[1] . فإن كان خبرهما عن إسحاق فقد كان إسحاق من معادن العلم[2] .

وقد زعموا بهذا الإسناد أنّ الأرْوِيَّة تَضَعُ مع كلِّ ولدٍ وضَعَتْه أفعى في مشيمَةٍ واحدة .

وقال الآخرون : الأرويّة لا تعرف بهذا المعنى ، ولكنه ليس في الأرض نَمِرة إلّا وهي تضعُ ولدَها وفي عنقه أفعى[3] في مكان الطَّوق . وذكروا أنّها تنهش[4] وتعَضّ ، ولا تقتل .

ولم أكتب هذا لتُقِرَّ بِهِ[5] ، ولكنها رواية أحببت أن تَسمعها[6] .
ولا يعجبنى الإقرارُ بهذا الخبر ، وكذلك لا يعجبنى الإنكار له . ولكنْ ليكنْ قلبُك إلى إنكاره أميَلَ .

---

(١) سبق الفضل بن إسحاق خبر في (٤ : ١٥٧) . وأما أبوه فهو إسحاق بن سليمان ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو يعقوب الهاشمي ، كان من أولي الأقدار العالية ، ولي لهارون الرشيد المدينة والبصرة ومصر والسند ، وولي لمحمد الأمين حمص وأرمينية . ومات ببغداد . انظر تاريخ بغداد ٣٣٧٢ ولسان الميزان (١ : ٣٦٤) . ط ، س : « وخبرني به الفضل عن إسحاق بن سليمان » . وبدل كل هذه العبارة في هـ : « أبي الفضل عن إسحاق بن سليمان » .

(٢) معدن الشيء ، بكسر الدال : موضعه ومكانه الذي يثبت فيه ؛ عدن : أقام وثبت . والمعدن أيضاً : أصل الشيء . ومنه في الحديث : « فعن معادن العرب تسألوني ؟ قالوا : نعم » أي أصولها التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها . ط ، س : « في معادن العلم » ، والأوفق ما أثبت من ل ، هـ .

(٣) في (٧ : ١٢٨) : « وذلك أنهم يزعمون أن النمرة لاتضع ولدها أبداً إلا وهو متطوق بأفعى » . ط ، هـ : « وفي عنقها » ، صوابه ما أثبت من ل ، س إذ الضمير عائد إلى الولد .

(٤) ل : « تعيش » بدل : « تنهش » .

(٥) فيما عدا ل : « ولم أكتب هذه التقوية » لكن في س : « العقوبة » محرفان .

(٦) س : « ولكنها رؤية أجنبية » ، بدل هذه العبارة جميعها . وفي ط ، هـ : « ولكنها آية أحببت أن تسمعها » ، صوابها ما أثبت من ل .

(الشك واليقين)

وبعدَ هذا فاعرفْ مواضع الشّكّ، وحالاتها الموجبةَ له[١] ؛ لتعرف بها مواضع اليقين[٢] والحالات الموجبة له ، وتعلم الشّكّ فى المشكوك فيه تعلُّما . فلو لم يكن [فى] ذلك إلاّ تعرّفُ التوقُّف ثمّ التثبُّت ، لقد كان ذلك ممّـا يحتاج إليه .

ثمّ اعلم أنّ الشكّ فى طبقاتٍ عند جميعهم ، ولم يُجْمعوا على أنّ اليقينَ طبقاتٌ فى القوّة والضّعف .

(أقوال لبعض المتكلمين فى الشك)

١١ ولمّا قال ابن الجهم للمَكّيّ : أنا لا أكاد أشكُّ ! قال المكّيّ : وأنا لا أكادُ أوقن ! ففخر عليه المكىّ بالشّكّ فى مواضع الشّك ، كما فخر عليه ابنُ الجهم باليَقين فى موَاضع اليقين .

وقال أبو إسحاق : نازعتُ [من] الملْحِدين الشاكّ والجاحد[٣] فوجدتُ الشُّكّاك[٤] أبصرَ بجوهر الكلام مِن أصحاب الجحود .

وقال أبو إسحاق : الشاكُّ أقربُ إليك من الجاحِد ، ولم يكنْ يقينٌ

---

(١) له : أى الشك . فيما عدا ل : «لها» تحريف .

(٢) هذه الكلمة والتى بعدها ساقطتان من ل . وفى ل : «تتعرف» بدل : «لتعرف» .

(٣) فيما عدا ل : «الملحدين والشكاك» .

(٤) ل : «الشاك» بالإفراد . والمقابلة تقتضى الجمع ، كما فى سائر النسخ .

قط حتى كان قبله شكٌّ[1] ، ولمْ ينتقل أحدٌ من اعتقادٍ إلى اعتقاد غيره حتّى يكونَ بينهما حالُ شكٍّ .

وقال ابنُ الجهم[2] : ما أطمعَنى فى أوْبة المتحيِّر[3] ! لأنّ كلّ من اقتطعَته عن اليقين الحيرةُ فضالّته التبيُّن[4] ، ومَنْ وَجد ضالّته فرِح بها .

وقال عمرو بن عُبيد : تقرير لسانِ الجاحد أشدُّ من تعريفِ قلب الجاهل .

وقال أبو إسحاق : إذا أردتَ أن تعرِف مقدار الرّجُل العالِم ، وفى أىّ طبقةٍ هو ، وأردت أن تدخِله الكورَ[5] وتنفخ عليه ؛ ليظهرَ لكَ فيه الصِّحّةُ من الفساد ، أو مقدارُه من الصِّحَّة والفَساد ، فكنْ عالمًا فى صورةِ متعلِّمٍ ، ثم اسألْه سؤالَ مَن يَطمعُ فى بلوغِ حاجتِهِ منه .

(فصل ما بين العوام والخواص فى الشك)

والعوامُّ أقلُّ شكوكاً من الخواصّ ؛ لأنَّهم لايتوقَّفون فى التصديق

---

(١) ط ، هـ : « حتى صار فيه شك » ، وأثبت مافى ل ، س .

(٢) هو محمد بن الجهم البرمكى ، المترجم فى (٢ : ٢٢٦) ، ويروى عنه الجاحظ كثيرا فى هذا الكتاب . انظر (١ : ٥٣ ، ٥٤ / ٢ : ١٤٠ ، ٢٢٦ / ٣ : ١٧٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٤٩٥ / ٤ : ١١٦ ، ٣١٩ ، ٤٤٢) . فيما عدا ل : « أبو الجهم » ، تحريف .

(٣) أى رجوعه إلى اليقين . س : « رؤية المتحير » ، وليس بصواب .

(٤) التبين : التعرف والتحقق . فيما عدا ل : « فضالته اليقين » .

(٥) الكور ، بالضم ، وهو مجمرة الحداد المبنية من الطين ، التى توقد فيها النار . وفى ل : « وأن يدخله الكير » وهذا تحريف ظاهر ، وفيما عدا ل : « الكير » وهو تحريف أو سهو ؛ فإن الكير ، بالكسر : زق الحداد الذى ينفخ به . وإنما يدخل الشىء الذى يراد امتحانه أو صهره فى الكور .

[والتكذيب] ولا يرتابون بأنفسهم ، فليس عندهم إلاَّ الإقدامُ على التَّصديق المجرّد ، أو على التكذيب المجرد[1] ، وألغوا[2] الحال الثالثة من حال الشَّكّ التى تشتمل على طبقات الشك ، وذلك على قدر سُوء الظَّنّ وحُسن الظّن بأسباب ذلك ، وعلى مقادير الأغلب .

(حرمة المتكلمين)

وسمع[3] رجلٌ ، ممّن قد نظر بعضَ النظر ، تصويبَ العلماء لبعض الشكّ[4] ، فأجرَى[5] ذلك فى جميع الأمور ، حتّى زعم أنّ الأمورَ كلها يُعرف حقها وباطلُها بالأغلب .

وقد ماتَ ولم يخلّف عَقِباً[6] ، ولا واحداً يدينُ بدِينه . فلو ذكرتُ اسمَه مع هذه الحال لم أكنْ أسأت ، ولكنِّى على حالٍ أكرهُ التّنويه بذكر من [قد] تحرّم بحُرمة الكلام ، وشارَك المتكلِّمين فى اسم الصِّناعة[7] ، ولا سيَّما إنْ كان ممّن ينتحِل تقْدِيم الاستطاعة[8] .

---

(١) ل : « والتكذيب المجرد » .

(٢) الإلغاء : الإبطال والإسقاط . س : « وألفوا » بالفاء ، محرفة .

(٣) ل : « فسمع » أوله فاء .

(٤) فيما عدا ل : « لبعض الشكاك » .

(٥) ط ، هـ : « بإجراء » ، صوابه فى ل ، س .

(٦) العقب : بفتح فكسر ، والعقب بالفتح ، والعاقبة : ولد الرجل وولد ولده الباقون بعده ، ويقصد بهم الذكور فى الأعم الأغلب . ل : « ولم يدع عقبا » هـ : « ولم تتخلف عقبا » والأخيرة محرفة .

(٧) ط ، س : « فى أسماء الصناعة » هـ : « اسمى الصناعة » ، صوابهما من ل .

(٨) فى اللسان : « فلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا : إذا انتسب إليه » . س : « تقديم الصناعة » تحريف ، وأراد بتقديم الاستطاعة ، القول بأن الاستطاعة —

(الأوعال والثياتل والأيايل)

فأمّا القولُ فى الأوعال ، والثَّياتِل(1) ، والأيايل(2) وأشباه ذلك ، فلم يحضرْنا فيها ما [إن] نجعلُ لذكرها باباً مبوّبا . ولكننا سنذكرها فى مواضِع ذكْرها من تضاعيف هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

الضب

وأنا مبتدئٌ على اسم الله تعالى فى القول فى الضَّبّ .

على أنّى أذمُّ هذا الكتابَ فى الجملة ؛ لأنَّ الشواهد على كلِّ شىء [بعينه] وقعتْ متفرِّقة غير مجتمِعة . ولو قدَرتُ على جمعها لكانَ ذلك أبلغَ

= مقدمة على الفعل ، وهو أصل من أصول المعتزلة . انظر الفصل (٣ : ٢٦ — ٤٣) وشرح الحيوان (٣ : ٩) . ل : « ولا سيما إذ » . وفى همع الهوامع (١ : ٢٣٤ — ٢٣٥) أن « لاسيما » قد يليها ظرف ، أو فعل ، أو شرط .

(1) الثياتل : جمع ثيتل ، أوله ثاء مفتوحة يليها ياء آخر الحروف ثم تاء . وفى اللسان : « الثيتل من الوعول لايبرح الجبل ، ولقرنيه شعب » . وأما قرنا الوعل فطويلان لاشعب فيهما . واللغويون يختلفون فيه اختلافا ، كما تتضارب أقوالهم فى الوعول والأيايل . وهى كلها أجناس من بقر الوحش تنزل الجبال . وسيأتى فى ص ٣٠٠ من هذا الجزء : « والثيتل شبيه بالوعل . وهو مما يسكن فى رءوس الجبال » . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « التنايل » وفيما عدا ل : « التباتل » صوابهما ما أثبت .

(2) الأيايل ، بياءين بينهما ألف : جمع أيل ، بضم ففتح ، وبكسر ففتح ، وبفتح فكسر ، مع تشديد الياء فيهن جميعا ، وانظر التنبيه السابق واللسان (أول) فى (١٣ : ٣٧) . والياء الثانية مسهلة من الهمزة : فالقاعدة أن تبدل الهمزة من ثانى حرفى اللين اللذين يكتنفان مد مفاعل ، فتقول فى جمع أول ونيف وسيد : أوائل ، ونيائف ، وسيائد . انظر همع الهوامع (٢ : ٢٢٠) وسيبويه (٢ ٣٧٣ — ٣٧٤) . وقال الأخفش : « القياس ألا يهمز فى الياءين ، ولا فى الياء - الواو » . انظر شرح الرضى للشافية (٢ : ١٣١) .

في تزكية الشاهد ، وأنورَ للبُرهان ، وأمْلأ للنَّفس(١) ، وأمتعَ لها(٢) بحُسْن الرَّصْف(٣) . ١٢

وأحْمَدُه ، لأنّ جُملةَ الكتاب على حالٍ مشتملةٍ على جميع [تلك(٤)] الحجَج ، ومحيطة بجميع تلك البرهانات ، وإن وقع بعضُه في مكانٍ بعضٍ ، وتأخّر متقدِّم ، وتقدّم متأخر .

(جحر الضب وما قيل فيه من الشعر)

[و] قالوا : [و] من كَيْس الضبّ أنّه(٥) لايتخذ جُحره إلاّ في كُدْية - وهو الموضع الصُّلب - أو في ارتفاعٍ(٦) عن المسيل والبسيط(٧) ، ولذلك تُوجدُ براثنُه ناقصةً كَليلة ؛ لأنّه يحفِر في الصَّلابة ، ويعمِّق الحَفْر(٨) . ولذلك قال خالدُ بن الطَّيْفان(٩) .

ومَولًى كَمولى الزِّبرِقانِ دَمَلْتُه   كما دُمِلَتْ سَاقٌ تُهاضُ ، بها كَسْرُ(١٠)

---

(١) ط : « وأسلأ » س ، هـ : « وأسلا » ، صوابهما ما أثبت من ل.

(٢) فيما عدا ل : « وأمتعها » ، تحريف .

(٣) الرصف : ضم الشيء بعضه إلى بعض . ط ، هـ : « الوصف » بالواو .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) الكيس ، بالفتح : العقل . ط ، هـ : « أن لا » بدل : « أنه لا » .

(٦) فيما عدا ل : « الارتفاع » وفي س أيضا : « وفي » مكان : « أو في » .

(٧) البسيط من الأرض : المنبسط الفسيح .

(٨) ل : « الجحر » .

(٩) الطيفان ، بفتح الطاء وبعد الياء الساكنة فاء ، هي أم الشاعر . وقد سبقت ترجمته في (٥ : ٢٦) . ل : « الطيقان » بالقاف . وفيما عدا ل : « الصيفان » بالصاد قبل الياء ، صوابهما ما أثبت . وقد سبق إنشاد عجز البيت الأخير من المقطوعة في (٥ : ٢٦)

(١٠) الدمل ، بالفتح : الإصلاح ، ويقال : ادمل القوم أي اطوهم على مافيهم . فيما عدا ل : « حملته كما حملت » صوابه في ل والمؤتلف ١٤٩ . تهاض : تكسر بعد الجبور أو بعد ما كادت تنجبر . هـ : « تهاص » تحريف . ورواية اللسان (١٣ : ٢٦٧) =

٤٧ إذا ما أحالَتْ ، والجَبائِرُ فَوْقَها مَضَى الحَوْلُ لابُرْءٌ مُبِينٌ ولاجَبْرُ(١)
تَرَاه كأنّ اللهَ يَجْــدَعُ أنفَه وأُذْنَيْهِ إنْ مَولاهُ ثابَ له وَفْرُ(٢)
تَرَى الشَّرَّ قد أفْنَى دوابِرَ وَجْهِهِ كَضَبِّ الـكُدَى أفْنَى بَرائِنَه الحَفْرُ(٣)

وقال كُثَيِّر :

فإنْ شِئت قلت له صَــادِقاً وجَدْتُك بالقُفِّ ضَبًّا جَحُولاَ(٤)
مِنَ اللاءِ يحفِرْن تحتَ الـكُدَى ولا يَبْتَغِــينَ الدِّماثَ السُّهولاَ(٥)

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة :

وَجَدْنَا أبَا الجَبَّــارِ ضَبًّا مورَّشاً لَهُ في الصَّفَاة بُرْثُنٌ ومَعاوِلُ(٦)

= « دملته كما اندملت ساق يهاض بها الـكسر » .

(١) أحالت : مضى عليها حول . يقول : تظل الساق حولا كاملا مابرأ وماتنجبر . ل : « لابرق منير » ، وهو تحريف عجب . س : « لابرأ » محرف كذلك .

(٢) ثاب : عاد ورجع . والوفر ، بالفتح : هو من المال والمتاع الـكثير الواسع . والبيت فى رواية النحويين : « وعينيه » بدل : « وأذنيه » ، يستشهدون به على إضمار الفعل بعد حرف العطف ، ويقولون : التقدير : « ويفقأ عينيه » . انظر أمالى المرتضى (٤ : ١٦٩) ومجالس ثعلب ٤٦٤ . ويستشهد به أيضا علماء البلاغة فى هذه الرواية . أيضا . الصناعتين ١٧٤ . وهذه الرواية الأخيرة أيضا فى المؤتلف ١٤٩ . ﻫ : « يجذع » و « تاب » بالتاء ، تحريف . وبدلها فى أمالى المرتضى : « كان له » .

(٣) الدوابر : جمع دابر ودابرة ، وهو أصل الشىء . وفى قول الله : « أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » ، يراد به الاستئصال . فيما عدا ل : « دوائر » . ورواية المؤتلف توافق ماأثبت من ل . والـكدى : جمع كدية ، وقد سبق تفسيرها فى الصفحة السابقة . فيما عدا ل « القرى » صوابه فى ل والمؤتلف وثمار القلوب ٣٣٠ مع نسبة البيت فى الأخير إلى الحصين بن القعقاع .

(٤) القف بالضم : ماغلظ من الأرض وارتفع . والجحول ، بتقديم الجيم : وصف لم يرد فى المعاجم ، وفيهـا « الجحل » بالفتح ، وهو الضب المسن الـكبير ، أو الضخم فيما عدا ل « حجولا » بتقديم الحاء ، تصحيف . والبيت روى فى ثمار القلوب ٣٣٠ محرفا .

(٥) الدماث : جمع دمث ، وهو السهل من الأرض . ل فقط : « يتبعن » ، وأثبت مافى سائر النسخ وثمار القلوب .

(٦) المورش ، بصيغة المفعول : من التوريش ، وهو التحريش والإغراء ليخرج من =

له كَذْبَةٌ أعيَتْ على كلِّ قانصٍ ولو كان مِنهمْ حارشان وحابِلُ[1]

ظَلِلْتُ أراعِي الشَّمسَ لولا مَلالَتِي تَزَلَّعَ جِلدِي عِنْدَهُ وهو قائِلُ[2]

وأنشد :[3]

وَعَوْرَاء مِنْ قِيلِ امْرِئٍ قد رَدَدْتُها بِسَالِمَةِ العَيْنَيْنِ طالبةٍ عُذْرَا[4]

ولو أنَّنِي إذْ قَالَهَا قُلْتُ مِثْلَهَا وأكثرَ منها، أورثَتْ بَيْنَنَا غِمْرَا[5]

فأعْرَضْتُ عنها وانتظرتُ به غَداً لعلَّ غَداً يُبدِي لمُنْتَظِرٍ أمْرَا[6]

لأُخرج ضَبًّا كانَ تحتَ ضُلوعِهِ وأقْلِمَ أظفارًا أطالَ بها الحفرَا[7]

= جحره . ل : « مدرسا » وليس له وجه . والصفاة : الصخرة الملساء . هـ : « الصفاة » تحريف . وعنى بالمعاول الأظفار .

(١) الحارش : الذى يحرش الضب ، وحرشه أن يحك الجحر الذى هو فيه ، يتحرش به ، فإذا أحسه الضب حسبه ثعبانا فأخرج إليه ذنبه ، فيصاد حينئذ . والحابل : الذى يصطاد بالحبالة ، وهى بالكسر ، مايصاد بها ، من أى شىء كانت . ل : « حارسان » س : « وحائل » هـ : « وجايل » تحريفات .

(٢) تزلع : تشقق . وفى الحديث : « إن المحرم إذا تزلعت رجله فله أن يدهنها » . قائل : ساكن فى بيته عند القائلة ، أو نائم نومة نصف النهار . والقائلة : الظهيرة . ل : « قابل » بإهمال الحرف قبل اللام . يقول : ظللت أرقبه ، ولولا الملل لتشقق جلدى من لفح الشمس ، على حين قد اتخذ هو لنفسه مقيلا .

(٣) فيما عدا ل : « وأنشد أيضا لدريد بن الصمة » ، وأثبت مافى ل . والأبيات ليست لدريد بل هى لحاتم طيىء ، كما فى ذيل الأمالى ٦٢ — ٦٣ .

(٤) العوراء : الكلمة القبيحة التى تهوى فى غير عقل ولا رشد . والقيل : القول . سالمة العينين ، عنى الكلمة الحسنة ، جعلها فى مقابل العوراء . وهذه عبارة نادرة . ورواية ذيل الأمالى واللسان (٦ : ٢٩٤) : « وعوراء جاءت من أخ فرددتها » .

(٥) الغمر ، بالكسر والتحريك : الحقد . هـ : « غيرا » محرف . ورواية القالى : « ولم أعف عنها » .

(٦) عند القالى : « فأعرضت عنه » . وروى بيتا بين هذا البيت وتاليه ، وهو :

وقلت له عد للأخوة بيننا ولم أتخذ ما كان من جهله قرا

(٧) ل : « ليخرج » ، ورواية القالى : « لأنزع ضبا كامنا فى فؤاده » .

وقال أوسُ بنُ حَجَر ، فى أكل الصَّخرِ للأظفار[١] :

فأشرَطَ فيها نفسَهُ وهو مُعْصِمٌ والْقَى بأسبابٍ لَهُ وتَوَكّلا[٢]

١٣ وقد أكلَتْ أظفارَهُ الصَّخرُ، كُلَّمَا تَعَايَا عَليهِ طُولُ مَرْقَى تَوَصَّلا[٣]

فَقَد[٤] وصفُوا الضَّبَّ كما ترى، بأنه لايحفِرُ إلاّ فى كدية، ويُطيلُ الحفْرَ حتّى تفنَى براثنه ، ويتوخَّى به الارتفاعَ عن مجارى [السَّيل و] المياه ، وعن مَدَقِّ الحوافر ؛ لـكيلا يَنْهَارَ عليهِ بيتُه .

(الموضع الذى يختاره الضبُّ لجحره)

ولمّا عَلِم أنَّهُ نَسَّاءٌ سيِّئُ الهِداية ، لم يَحفِر وِجارَه إلاّ عندَ أكمة ، أو صخرةٍ ، أو شجرة ؛ ليكونَ متى تباعَدَ من جُحره لطلب الطُّعم ، أو لبعض الخوف [فالتفت و] رآه ــ أحسن الهداية إلى جُحره[٥] . ولأنّه إذا لم يُقِمْ عَلَمًا[٦] فلعلّه أن يلِجَ على ظَرِبَانٍ أو وَرَل[٧] ، فلا يكونَ

---

(١) س : « للأظفا » بإسقاط الراء ، تحريف . وقد سبق البيت فى (٥ : ٢٣) وانظر تنبيهات البكرى ص ٦٥ .

(٢) فيما عدا ل : « فأشرك » ، تحريف . وانظر الكلام على هذا البيت فى (٥ : ٢٣) واللسان (٩ : ٢٠٣) .

(٣) سبق البيت وشرحه فى (٥ : ٢٤) . س فقط : « عليها » . وفى الأصل : « مرقا » صواب كتابته بالياء . والمرقى : موضع الرقى ، أى الصعود .

(٤) فيما عدا ل : « وقد » .

(٥) فى الأصل : « فأحسن » ، وفيما عدا ل : « الاهتداء » موضع : « الهداية » .

(٦) أى إذا لم ينصب لنفسه علما يهتدى به .

(٧) يلج ، من الولوج ، وهو الدخول . يقول : ربما تشابهت عليه الأجحار وأخطأ فدخل فى جحر به ظربان أو ورل ، وهما مما يفترس الضب ، فكان فى ذلك هلاكه . ط ، هـ : « يلح » بالمهملة . ط فقط : « عليه » بدل : « على » صوابهما ما أثبت .

دون أكله له شيء . فقالت العرب : « خَبٌّ ضَبّ[1] » و : « أخبُّ من ضبّ » و : « أخْدَع من ضبّ » و : « كلُّ ضَبٍّ عِنْد مِرْداته[2] » .

وإذا خَدَع فى زوايا حفِيرته فقد توثَّق لنفسه عنْدَ نفسه .

(حذَر بعض الحيوان)

ولهذه العلّة اتّخذ اليربوع القاصعاء ، والنّافقاء ، والدّامّاء ، والرّاهطاء ، وهى أبوابٌ قد اتخذها لحفيرته ، فمتى أحسّ بشرٍّ خالف[3] تلك الجهة إلى الباب .

ولهذا وشِبهه من الحذَر كان التوبير[4] من الأرانب وأشباهها . والتوبير : أنْ تطأ على زَمَعاتها[5] فلا يعرف[6] الكلبُ والقائفُ من أصحاب القنص آثار قوائمها .

---

(١) فى اللسان (٢ : ٢٨) : « ورجل خب ضب : منكر مراوغ حرب » .

(٢) المرداة : الصخرة يرمى بها ، يقال رديت فلانا بحجر أرديه رديا إذا رميته . ورواية المثل فى اللسان (١٩ : ٣٣) : « عند جحر كل ضب مرداته » وقال : « يضرب مثلا للشيء المتيد ليس دونه شيء . وذلك أن الضب ليس يندل على جحره إذا خرج منه فعاد إليه إلا بحجر يجعله علامة لجحره ، فيهتدى بها إليه » . ورواية المثل فى جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ ص ١٦٦ : « كل ضب عنده مرداته » وقال : معناه لا تغتر بالسلامة ، فإن الآفات والأحداث معدة . . . وقيل إنه سيئ الهداية ولا يتخذ جحره إلا عند حجر يجعله علامة ، فإذا خرج أخذ طالبه الحجر فرماه به » . وكذا النص عند الميدانى المتوفى سنة ٥١٨ . انظر مجمع الأمثال (٢ : ٧١) وقالا أيضا : « يضرب لمن يتعرض للهلكة » .

(٣) فيما عدا ل : « بشيء » . وفى ﻫ ، س زيادة واو قبل « خالف » .

(٤) التوبير بالباء الموحدة . ل : « التوتير » بالتاء ، تصحيف . وانظر (٥ : ٢٧٨ ، ٤٤٧) .

(٥) الزمعات : جمع زمعة ، وهى الشعرات المدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبى والأرنب . ل : « التوتير » بدل : « التوبير » تصحيف . وانظر التنبيه السابق .

(٦) فى الأصل : « فيعرف » .

ولِمَا أشبه هــذا التَّدبيرَ صار الظبى[1] لا يدخل كناسَه إلاّ وهو مستدبر[2]، يستقبل بعينه ما يخافه على نفْسه وخِشْفه[3].

(شعر فى حزم الضب وخبثه وتدبيره)

وقد جمع يحيى بن مَنصورٍ الذُّهلىّ[4] أبوابا من حزْم الضب ، وخُبثه ، وتدبيره . إلاّ أنَّه لم يردْ تفضيلَ الضَّبِّ فى ذلك . ولـكنه بعد أنْ قدَّمه على حَمْـقَى الرِّجال[5] . قال : فـكيف لو فـكّرتم فى حَزْم اليربوع والضبّ[6] .

وأنشدنى فَضّال[7] :

وبعْضُ النّاسِ أنقَصُ رأيَ حَزْمٍ   منَ اليربُوع والضبِّ المَكُونِ[8]

---

(١) هـ : « الضبى » تحريف . وفيما عدا ل زيادة : « هذا » بعد « صار » .

(٢) ط ، س : « مستدير » من الاستدارة ، تحريف . وجاء فى رسالة التربيع ١٤٢ ساسى : « وما بال الظبى لايدخل كناسه إلا مستدبرا » .

(٣) الخشف ، مثلثة : ولد الظبى أول مايولد .

(٤) يحيى بن منصور الذهلى ، أحد من مدح معن بن زائدة ، وفى الأغانى (٩ : ٤٤) : « لما ولى معن بن زائدة اليمن كان يحيى بن منصور الذهلى قد تنسك وترك الشعر ، فلما بلغته أفعال معن وفد إليه ومدحه ، فقال مروان بن أبى حفصة :

لاتعدموا راحتى معن فإنهما   بالجود أفتنتا يحيى بن منصور
لما رأى راحتى معن تدفقتا   بنائل من عطاء غير منزور
ألقى المسوح التى قد كان يلبسها   وظل للشعر ذا رصف وتحبير » .

وله خبر طريف فى تعزية سليمان بن على . انظر البيان (٤ : ٩٧) . وأمالى الزجاجى ٧ . وقد سبق شعر له فى الحيوان (١ : ١٩ / ٣ : ٥٣٦) .

(٥) ط ، هـ : « حمقاء » س : « حمقا » صوابهما ماأثبت من ل .

(٦) فى الأصل : « والذئب » . محرف . والـكلام يقتضى ما أثبت . ولم يعرف الذئب بالحزم .

(٧) كذا جاء بهذا الضبط فى ل .

(٨) المـكون ، بفتح فضم : التى جمعت البيض فى بطنها . وبيضها يسمى المـكن . يقال ضبة مكون وضب مكون .

يَرَى مِرْدَاتَه مِن رَأْسِ مِيلٍ ... وَيأمَنُ سَيْـلَ بارقةٍ هَتُونِ[١]

ويَحْفِرُ فى الـكُدَى خَوْفَ انهيارٍ ... ويجعَلُ مَكْوَهُ رأسَ الوَجِينِ[٢]

ويَخْدَعُ إنْ أرَدْتَ له احتيالاً ... رَوَاغَ الفهْدِ من أسَدٍ كَمِينِ[٣]

ويُدخِلُ عَقْرَباً تحتَ الذُّنابَى ... ويُعمِلُ كيد ذى خدعٍ طَبِينِ[٤]

فهذا الضبُّ ليسَ بذى حريمٍ ... مَعَ اليَرْبوعِ والذِّئْبِ اللَّعينِ

وقد ذكر يحيي جميعَ ما ذكرنا ، إلاَّ احتياله بإعداد العقرب لـكفٍّ المحترش[٥] ، فإنه لم يذكر[٦] هذه الحيلةَ من عمله . وسنذكر ذلك فى موضعه . والشِّعر الذى يُثبتُ له ذلك كثير[٧] .

فهذا شأنُ الضّبّ فى الحفر ، وإحكام شأن مَنزِلِه .

---

(١) المرداة : سبق تفسيرها فى ص ٤٣ . البارقة ، عنى بها السحابة ذات البرق . والهتون : التى مطرها فوق الهطل . ﻫ : « هنون » تحريف .

(٢) المكو ، بالفتح ، وآخره واو : جحر الثعلب والأرنب ونحوهما . والوجين . قبل الجبل وسنده ، والأرض الغليظة الصلبة . فيما عدا ل : « مكره » بالراء ، وفى س : « الوحين » بالمهملة ، صوابهما ما أثبت .

(٣) الرواغ بالفتح : اسم من راغ يروغ بمعنى مال . قال الراغب فى المفردات : « الروغ الميل على سبيل الاحتيال » . والـكمين ، قال الأزهرى : « كمين بمعنى كامن ، مثل عليم وعالم » . س : « رواغ الفهم » تحريف .

(٤) الطبين : وصف من الطبانة ، وهى الخدع وشدة الفطنة . والذى فى المعاجم « طبن » على وزن فطن ، وطابن بوزن اسم الفاعل . ل . « خدع ذى كيد ظنين » والـكلمة الأخيرة محرفة ، إذ معناها المتهم ، وليس مرادا .

(٥) المحترش : الذى يحترش الضب ويصيده . فيما عدا ل : « العقارب » مكان « العقرب » .

(٦) ل : « فإنا لم نذكر » ، وفيما عدا ل : « وإنه لم يذكر » ، وجههما ما أثبت .

(٧) ط ، ﻫ : « الذى يكتب » ، صوابه فى ل ، س . وفى ل أيضا : « ذلك له » .

(الورل وعدم اتخاذه بيتاً)

١٤ ومن كلام العرب أنّ الورَلَ إنّما يمنعه من اتّخاذ البُيوت أنّ[١] اتخاذها لا يكونُ إلاّ بالحفْر ، والورَل يُبقِي [على[٢]] براثنه ، ويعلم أنّها سلاحُه الذى به يقوى[٣] على ماهو أشدُّ بدناً منه .

وله ذنبٌ يؤكل ويُستطاب ، كثيرُ الشَّحم .

(قول الأعراب في مطايا الجن من الحيوان)

والأعراب لايصيدون يَربوعاً ، ولا قُنفُذاً ، ولا ورَلاً من أول الليل ، وكذلك كل شيءٍ يكونُ عندهم من مَطايا الجنّ ، كالنّعام والظِّباء .

ولا تكون الأرنبُ والضَّبع من مراكب الجن[٤] ؛ لأنّ الأرنبَ تحيض ولا تغتسل[٥] من الحيض ، والضِّباع تركبُ أيورَ القَتلى والموتى إذا جيَّفَتْ أبدانهم[٦] وانتفخوا وأنعظوا[٧] ثم لاتغتسل عندهم من الجنابة ، ولا جَنابة إلا ما كان للإنسان فيه شِرْك . ولا تمتطى القرودَ[٨] ؛ لأنّ القرد زانٍ ، ولا يَغْتَسِل من جنابة .

فإنْ قتَلَ أعرابيٌّ[٩] قُنفذاً أو ورَلا ، من أول الليل ، أو بعض هذه

---

(١) فى الأصل : « لأن » .

(٢) هذه التكملة من ل ، س ، هـ .

(٣) فيما عدا ل : « التى بها يقوى » .

(٤) س : « من مطايا الجن » .

(٥) هـ : « ولا تغسل » ، فى هذا الموضع والذى يليه .

(٦) جيفت : أنتنت . س : « جفت » تحريف .

(٧) ط : « فأعظوا » . والكلمة التى قبلها ساقطة من ل .

(٨) فيما عدا ل : « القرد » بالإفراد .

(٩) فيما عدا ل : « الأعرابى » .

المراكب، لم يأمَنْ على فحل إبله. ومتى اعترَاه شىء حكم بأنه عقوبةٌ من قِبَلهم.

قالوا: ويسمعون الهاتف عند ذلك بالنّعى، وبضروب الوعيد.

(قول الأعراب فى قتل الجان من الحيات)

وكذلك يقولون فى الجانّ من الحيّات. وقتلُ الجان عندهم عظيم. ولذلك رأى رجلٌ منهم جانًّا فى قعر بئر، لايستطيع الخروجَ منها، فنزل على خَطر شديد[1] حتَّى أخرَجَها، ثم أرسلَهَا من يده فانسابت، وغمَّض عَيْنَيه لكيلا يَرى مدخَلها[2] كأنّه يريد الإخلاص فى التقرُّب إلى الجن.

قال المازنى[3]: فأقبل عليه رجلٌ فقال له: كيف يقدر على أذاك مَنْ لم ينقذه من الأذَى غيرك ؟!

(ما لا يتم له التدبير إذا دخل الأسراب والأنفاق)

وقال: ثلاثة أشياء لايتمّ لها[4] التّدبير إذا دخلت الأسراب، والأنفاق، والمكامِن[5] والتّوالج[6] حتَّى يغصّ بها الخَرْق[7]. فمن ذلك:

(١) أى مع الخطر الشديد. ط، هـ: «على خطر عظيم».

(٢) ل: «كيلا يراها ومدخلهما».

(٣) المازنى، هو بكر بن محمد بن بقية، أبو عثمان المازنى النحوى، من أهل البصرة، وهو أستاذ أبى العباس المبرد. روى عن أبى عبيدة، والأصمعى، وأبى زيد الأنصارى. وتوفى سنة ثمان أو تسع وأربعين ومائتين بالبصرة. تاريخ بغداد ٣٥٢٩ وبغية الوعاة ٢٠٢.

(٤) ط فقط: «بها» محرف.

(٥) المكامن: جمع مكمن، وهو موضع الاختفاء. فيما عدا ل: «المكان» تحريف.

(٦) التوالج: جمع تولج، بالفتح، وهو كناس الظبى أو الوحش الذى يلج فيه، التاء فيه مبدلة من الواو. والدوالج لغة فيه. داله عند سيبويه بدل من التاء. فهو على هذا بدل من بدل. فيما عدا ل «الموالج» بالميم.

(٧) يغص بها: يضيق. س: «يعض». هـ: «الفرق» بدل: «الخرق» محرفان.

أن الظَّرِبَان[1] إذا أراد أنْ يأكل حِسَلة الضب[2] أو ، الضبَّ نفسَه اقتحم جُحر الضّب مستَدْبراً ، ثم التَمَس أضْيَقَ موضعٍ فيه ، فإذا وجده قد غَصَّ[3] به ، وأيقَنَ أنّه قد حال بينه وبين النسيم ، فسا عليه[4] ، فليس يجاوز ثلاث فَسَوات[5] حتَّى يُغشى على الضب فيأكله [كيف شاء] .

والآخر الرجل إذا دخل وِجَارَ الضبع ومعه حَبْل ، فإنْ[6] لم يسُدَّ ببدنه وبثَوبه جَميعَ المخارِق والمنافِذ ثم وصل إلى الضبع [من الضياء[7]] بمقدار سَمّ الإبرة[8] ، وثبَتْ عليه ، فقطَّعته ، ولو كان أشدَّ من الأسد .

والثالث أنَّ الضب إذا أراد أن يأكل حُسُوله وقَفَ لها من جحرها[9] في أضيق موضعٍ من مَنفَذه إلى خارج ، فإذا أحكم ذلك بدأ فأكل منها ، فإذا امتلأ جوفه انحطَّ عن ذلك المكان شيئا قليلا ، فلا يُفلِتُ منه شيءٌ من ولده إلا بعد أنْ يشبع ويزولَ عن موضعه ، فيجد منفذاً .

وقال بعض الأعراب :

---

(١) الظربان بفتح فكسر : دابة شبه القرد ، طويل الخرطوم ، أسود السراة ، أبيض البطن ، كثير الفسو ، له خط فى وجهه ، وهو صغير القوائم ، مكربس الرأس ، وأذناه كأذنى السنور . وهو من آكلات اللحوم . واسمه بالإنكليزية : Zorilla or Zoril . ط ، ه : « الظرباء » وهى بفتح فكسر ممدودة لغة فى الظربان ، كما فى القاموس . لكن الجاحظ لم يستعملها . ويجمع على ظرابين وظرابى . واسم الجمع منه ظربى وظرباء ، بكسر الظاء وإسكان الراء فيهما .

(٢) الحسلة ، بكسر ففتح : جمع حسل ، بالكسر، وهو ولد الضب . فيما عدا ل : «حسل» .

(٣) غص : ضاق . ه : « غض » ، تصحيف .

(٤) س : « وما عليه » ، تحريف .

(٥) ه : « فسات » ، تحريف . ط : « فسيات » وتصح إن حملت على جمع المصغر . وأثبت ما فى ل ، س .

(٦) فيما عدا ل : « فإذا » .

(٧) هذه التكملة من ل ، س .

(٨) سم الإبرة : ثقبها . وهو بفتح السين وضمها . ل : « بقدر سم الإبرة » .

(٩) ل : « من جحره » .

يَنْشَبُ فى المسلكِ عِنْدَ سَلَّتِه[١] تَزاحُمَ الضبِّ عَصَى فى كُدْيَتِه[٢] ١٥

(شعر فى أكل الضبّ ولدَه)

وقال : الدَّليل على أنّ الضّبّ يأكُلُ ولدَه قول عَمَلَّس بن عقيل [ابن عُلَّفَة] لأبيه :

أَكَلْتَ بَنِيكَ أَكْلَ الضّبِّ حَتّى وَجَدتَ مَرَارَةَ الكَلأ الوَبيل

فلو أنّ الأُولَى كانوا شهوداً مَنَعْتَ فِنَاءَ بَيْتِكَ مِنْ بَجِيلِ[٣]

وأنشد لغيره[٤] :

أَكَلْتَ بَنِيكَ أَكْلَ الضَّبِّ حتَّى تَرَكْتَ بَنِيكَ لَيْسَ لَهُمْ عَدِيدُ[٥]

---

(١) نشب ، كفرح : علق . والسلة : الاستلال .

(٢) عصى يعصى : امتنع ولم يطع . فيما عدا ل : « عصا » تحريف .

(٣) وكذا ورد صدر البيت فى (١ : ١٩٧) . وفيه حذف الصلة ؛ للعلم بها . والتقدير : « الأولى غابوا » ، أو : « الأولى تعرفهم » . وجاء مثله فى قول عبيد ابن الأبرص (انظر مختارات ابن الشجرى ٩١ وهمع الهوامع ١ : ٨٩) :

نحن الأولى ، فاجمع جمو عك ثم وجههم إلينا

أى الأولى عرفت من قديم الدهر . ورواية أبى الفرج (١١ : ٨٩) : « فلو كان الأولى غابوا شهودا » . وبجيل : رجل من بنى صرمة . وكان من خبر الشعر أن عقيلا أطرد بنيه فتفرقوا فى البلاد ، وبقى وحده ، ثم إن بجيلا حطم بيوت بنى عقيل بماشيته — ولم يكن قبل ذلك أحد يقرب بيوت بنى عقيل إلا لقى شرا — فطردت أمة لعقيل ماشية بجيل ، فضربها بعصا كانت معه فشجها ، فخرج إليه عقيل وحده وقد هرم يومئذ وكبرت سنه ، فزجره ، فضربه بجيل بعصاه واحتقره ، فجعل يصيح مستغيثا بأولاده ، يحسبهم لهرمه أنهم معه ، فقال فيه عملس هذا الشعر . والشعر يروى أيضا لأرطاة بن سهية ، كما هو فى الأغانى . ل ، هـ : « من بخيل » ، تحريف .

(٤) بدل هذه العبارة فى (١ : ١٩٧) : « وقال أيضا » .

(٥) العديد : العدد . ويبدو أن هذه الرواية هى صواب ما سبق فى (١ : ١٩٧) . « عديل » باللام . وجاء برواية الدال عند الدميرى (فى رسم ضب) وكذا فى مباهج الفكر ص ١٣٧ مصورة دار الكتب .

وقال عمرو بن مسافر[1] : عتبت على أبي يوما في بعض الأمر ، فقلت[2] :

كيفَ ألومُ أبي طَيْشًا لِيَرْحَمَنِي ... وجَدُّهُ الضَّبُّ لم يَتْرك لَهُ وَلَدَا[3]

وقال خِداش بنُ زُهير :

فإن سمعتُمْ بجَيشٍ سالِكًا سَرِفًا ... أوبَطْنَ قَوٍّ فأخفُوا الجِرْسَ واكتَتِمُوا[4]

ثمَّ ارجعُوا فأكِبُّوا في بُيُوتِكُمُ ... كَمَا أَكَبَّ على ذِي بَطْنِه الهَرِمُ

جعله هَرِماً لطول عمره . وذى بَطنه : ولده .

وقال أبو بكر بن أبي قُحافة[5] [لعائشة ، رضي الله عنهما] : إنِّي كنتُ نَحَلْتُكِ سبعين وَسْقاً مِن مالي بالعالية[6] ، وإنَّكِ لَمْ تَحُوزيه[7] ، وإنما هو مالُ الوارِث ، وإنما هو أخواكِ وأختاكِ . قالت : ما أعرِفُ

---

(١) في لسان الميزان (٤ : ٣٣٠) : عمر بن مساور ، يروى عن أبي حمزة عن ابن عباس . وذكر أن الرواة يختلفون في اسمه ، فقيل عمر بن مسافر ، وعمرو بن مسافر ، وعمرو بن مساور ، وعمر بن مساور . والأخير هو الصواب .

(٢) س . « فقال » ، تحريف .

(٣) س : « ليرجني » بالجيم . ل : « وحدة الضب لم تترك له ولدا » .

(٤) سالكا بالنصب ، حال من النكرة قبله . وفي همع الهوامع : « واختار أبو حيان مجيء الحال من النكرة بلا مسوغ كثيرا قياسا ، ونقله عن سيبويه ، وإن كان دون الإتباع في القوة » . وسرف ، بفتح فكسر : موضع على ستة أميال من مكة . وقو : واد في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة . والجرس ، بالفتح والكسر : الصوت ، أو الخفي منه . س : « فأسمتم » ، وفيما عدا ل : « سرقا » وهما تحريفان . ط : « الحس » وهي صحيحة ، وبدلها في هـ ، س : « الحدس » ، وفي ل : « الجرس » بالحاء المكسورة ، صوابهما ما أثبت .

(٥) هو الخليفة الأول . وأبو قحافة كنية أبيه عثمان بن عامر ، أسلم أبو قحافة عام الفتح ، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا . قال قتادة : هو أول مخضرم في الإسلام . الإصابة ٥٤٣٤ . ومات أبو بكر قبله ، وتوفي سنة أربع عشرة . المعارف ٧٣ .

(٦) نحلتك : أعطيتك . والوسق ، بالفتح والكسر : مقدار حمل بعير . والعالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة ، من قراها وعمايرها ، إلى تهامة . وفي طبقات ابن سعد : « وإني كنت نحلتك من أرض بالعالية جداد عشرين وسقا » . ونحوه في كتاب العثمانية للجاحظ ص ٨٧ .

(٧) حازه يحوزه : قبضه وملكه واستبد به . ل : « تحوزيه » . وفي طبقات ابن سعد : « فلو كنت جددتيه تمرا عاما واحدا انحاز لك » .

لى أختاً غيرَ أسماء . قال : إنّه قد أُلقِى فى رُوعى أن ذا بطن [بنت] خارجةَ جارية[1] .

قال آخرون : لم[2] يعنِ بذى بطنه ولدَه ، ولكنّ الضّبَّ يَرْمى[3] ما أكل ، أى يقىء ثم يرجعُ فيأكله . فذلك هو ذو بَطْنه . فشبَّهُوه فى ذلك بالكلب والسِّنّور .

وقال عمرو بن مسافر[4] : ماعنى إلّا أولاده ، فَكأنَّ[5] خِداشاً قال : ارجِعوا عن الحرب التى لاتستطيعونها ، إلى أكْل الذُّرِّيَّة والعيال .

(١) أخوا عائشة هما عبد الرحمن ومحمد . أما عبد الرحمن فشهد بدرا مع المشركين ثم أسلم وحسن إسلامه ، ومات فجأة سنة ثلاث وخمسين . وأما محمد فكان من نساك قريش ، وكان فيمن أعان على قتل عثمان ، ثم ولاه على بن أبى طالب مصر ، فقاتله صاحب معاوية هناك ، وظفر به فقتله . ولأسماء أخ ثالث هو عبد الله بن أبى بكر ، وهذا هلك فى خلافة أبيه . ومما هو جدير بالذكر أن أبا بكر إنما خاطب عائشة بهذا الكلام حينما حضرته الوفاة . انظر روايتى ابن سعد فى الطبقات (٣ : ١٣٨) . وأما أختها الواحدة فهى أسماء ذات النطاقين ، تزوجها الزبير بمكة وولدت له عدة فطلقها ، فكانت مع عبد الله ابنها بمكة حتى قتل ، وبقيت مائة سنة حتى عميت وماتت بمكة . وأما الثانية التى يشير إليها ويتوقعها ، فهى « أم كلثوم » وأمها أخت زيد بن خارجة من الأنصار ، فهى حبيبة بنت خارجة بن زيد . انظر الإصابة ٢١٣١ ، ٢٨٨٨ والمعارف ٧٥ . لكن فى المعارف أن أمها بنت زيد بن خارجة . وفى الإصابة ٢٧١ من قسم النساء : « حبيبة بنت خارجة بن زيد ، أو بنت زيد بن خارجة الخزرجية » . وفى تاريخ الطبرى (٤ : ٥٠) : « وتزوج أيضا فى الإسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبى زهير ، من بنى الحارث بن الخزرج ، وكان نساء ، حين توفى أبو بكر ، فولدت له بعد وفاته جارية سميت أم كلثوم » . ففى نسبها خلاف ، الوجه فيه أنها بنت خارجة .

(٢) فيما عدا ل : « ولم » .

(٣) هـ : « يوتى » ل ، س : « يرى » ، وأرى صوابهما ما أثبت من ط . أى يلقيه ثم يعود إليه .

(٤) انظر ما سبق فى التنبيه الأول ص ٥٠ .

(٥) ط ، هـ : « فكان » س : « وكان » ل : « كأن » بدون واو . وقد صوبتها بما ترى .

(قول أبى سليمان الغنوىّ فى أكل الضبّة أولادها)

قال : وقال أبو سُليمانَ الغنوىّ : أبرأ إلى الله تعالى من أنْ [1] تكونَ الضَّبّة تأكل أولادَها ! ولكنّها تدفنُهنّ [2] وتطمُّ عليهنّ التُّراب [3] وتتعهدهنّ فى كلِّ يوم حتَّى يُخرَّجن [4] ، وذلك فى ثلاثة أسابيع . غير أنَّ الثَّعالب والظَّربان [5] والطِّبر ، تحفر عنهنّ فتأكلهنّ [6] . ولو أفلت منهنّ كلٌّ فِراخ الضِّباب لملأْنَ الأرضَ جميعا [7] .

ولو أنَّ إنساناً نَحَل أمَّ الدَّرداء [8] ، أو مُعاذةَ العدَويَّة ، أو رابعةَ القيسيَّة ، أنهنّ يأكلن أولادهنّ ، لَمَا كان عند أحدٍ من النّاس من إنكار ذلك ، ومن التكذيب عنهنّ ، ومن استعظام هذا القول ، أكثر مما قاله أبو سليمانَ فى التَّكذيب على الضِّباب أن تكونَ تأكل أولادَها .

١٦ قال أبو سليمان : ولكن الضبّ يأكلُ بَعْره ، وهو طيِّبٌ عنده . وأنشد [9] :

يَعود فى تَيْعِه حِدْثانَ مَوْلِدِهِ ... فإنْ أَسنّ تغدّى نَجْوَهُ كَلِفَا [10]

---

(١) ل : « أبرأ إلى الله عز وجل أن » .

(٢) ل : « تدقهن » من الدق . وهذه محرفة . فيما عدا ل : « تدفنهم » ، والوجه ما أثبت .

(٣) طم الشيء بالتراب طما : كبسه . فيما عدا ل : « تضم عليهم » .

(٤) التخريج : التعليم والتأديب والتدريب .

(٥) كذا بالإفراد . وانظر التنبيه الأول من ص ٤٨ .

(٦) ل : « يحفر عنهن فيأكلهن » .

(٧) ل : « جمعا » .

(٨) نحلها : أى نسب إليها . وقد سبقت ترجمتها هى ومعاذة ورابعة فى (٥ : ٥٨٩) .

(٩) ل : « وأنشدوا » .

(١٠) التيع ، بالفتح : القىء . وحدثان الشيء بالكسر : أوله . تغدى ، بالدال المهملة : أكل الغداء ، وهو طعام الغدوة . وتعدية هذا الفعل لم تنص عليه المعاجم ، —

قال : وقال أفّار بن لقيط [1] : التَّيْع : القىء [2] . ولكنّا رويناهُ هكذا [3] . إنما قال : « يعودُ فى رَجْعِهِ [4] » . وكذلك الضَّبُّ ، يأكُلُ رجْعَه .

وزعم أصحابُنا أنَّ أبا المنْجُوف السَّدوسىَّ [5] رَوى عن أبى الوَجيه العُكْلىّ قولَه :

وأفطَنَ مِنْ ضَبٍّ إذا خَافَ حَارِشاً أعدَّ لهُ عِنْدَ التلمُّس عَقْرَبا [6]

= وفى اللسان نص على تعدية نظيره : « تمشى » . ففيه (١٩ : ٢٩٢ س ١٠) : « وعشى الإبل ما تتعشاه » . وجاء أيضا فى قول الراجز (انظر اللسان ١٠ : ٣٨١ والمعرب ١١٣) :

إذا تعشوا بصلا وخلا وكنعدا وجوفيا قد صلا

والنجو : الغائط . وقد روى البيت فى اللسان (مادة ثعع) على هذا الوجه :

يعود فى ثعه حدثان مولده وإن أسن تعدى غيره كلفا

والثع : القىء . والشطر الثانى فيه محرف . فيما عدا ل : « تغذى نجوه » ، والقافية فى ل : « كلفا » وهذه محرفة .

(١) أفار ، كشداد ، واشتقاقه من الأفر ، وهو العدو . وفى اللسان : « ورجل أفار ومئفر ، إذا كان وثابا جيد العدو » . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ٦٦ مصر ٤٤ ليبسك ، وعده فى فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء . وقال : « يقال إنه جلس على زبالة عالية (؟) واجتمع إليه أصحابه يأخذون عنه ، فقال : ما هذه القنمة — يعنى خبث الريح — فقال بعضهم : إنك لعلى شيخ منها » . فيما عدا ل : « أبان بن لقيط » ، تحريف .

(٢) ﻫ : « التبع الفى » ، تصحيف . وانظر التنبيه ١٠ من الصفحة السابقة .

(٣) فيما عدا ل : « ما روينا هكذا » .

(٤) الرجع ، بالفتح : النجو والروث والعذرة ، كالرجيع . س : « رحبه » تحريف .

(٥) أبو المنجوف السدوسى ، روى عنه الجاحظ فى البخلاء ١٣٥ والبيان (٢ : ٢٢٩) وهو أحد الأخباريين . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست باسم : « المنجوف السدوسى » ، ولعل اتفاق هذه المصادر يصحح ما فى الفهرست .

(٦) التلمس : التطلب مرة بعد أخرى . فيما عدا ل : « التلبس » ومعنى التلبس الاختلاط والتعلق . وقد روى البيت فى الكامل ١٥٣ ليبسك والميدانى (١ : ٢٣٩) . ورواية صدره فى الأول : « وأخدع من ضب » ، وفى الثانى : « وأخدع من ضب إذا جاء حارش » . وعجزه فيهما : « أعد له عند الزنابة » .

جملة القول فى نصيب الضِّباب من الأعاجيب والغرائب

أوَّل ذلك طُولُ الذَّماء[1] ، وهو بقيَّة النَّفْس وشدَّةَ انعقاد الحياةِ والرُّوحِ بعدَ الذبحِ وهَشْمِ الرَّأس ، والطَّعنِ الجائف النافذ ، حتَّى يكون فى ذلك أعجبَ من الخِنْزير ، ومن الكلب ، ومن الخنفساء ، وهذه الأشياء التى قد تفرَّدت بطُول الذَّماء .

ثمَّ شارك الضَّبُّ الوزغةَ والحيَّة ؛ فإنَّ الحيةَ تَقطعُ من ثلث جسمها ، فتعيش إن سلمت من الذَّرّ[2] . فجمع الضَّبُّ الخَصلتين جميعاً . إلا ما رأيت فى دَخّال الأذن[3] من هذه الخصلة الواحدة ؛ فإنِّى كنتُ أقطعُه بنصفين ، فيمضى أحدُ نِصفه يَمْنةً والآخرُ يَسرة . إلا أنِّى لا أعرفُ مقدار بقائهما بعد أن فاتا بَصَرِى .

ومن أعاجيبه طولُ العمر[4] . وذلك مشهورٌ فى الأشعار والأخبار[5] ، ومضروبٌ به المثلُ . فشاركَ الحيَّات فى هذه الفضيلة ، وشارك الأفعى الرَّمْليَّة والصَّخرية فى أنَّها لاتموتُ حتْفَ أنفِها ، وليس إلا أن تُقْتَل أو تصطاد ، فتبقَى فى جُوَن الحوّائين[6] ، تذيلها الأيدى[7] ، وتُكرَه على

(١) س : « الزمار » ، تحريف .

(٢) الذر : ضرب من النمل . س : « وتميش » هـ : « إن سلمه » ، محرفة .

(٣) ل : « من الدخال » . وانظر الحيوان (٢ : ١٥٣) .

(٤) هـ : « المفس » موضع : « العمر » تحريف .

(٥) س : « فى الأخبار والأشعار » .

(٦) الجون ، بفتح فضم : جمع جونة بالضم ، وهى فى الأصل سليلة مستديرة مغشاة أدما تكون مع العطارين . وقال ابن برى : « الهمز فى جؤنة وجؤن هو الأصل والواو فيها منقلبة عن الهمزة فى لغة من خففها » . وانظر ما سبق فى (٥ : ٣٠٧) .

(٧) تذيلها ، من الإذالة ، وهى الإهانة والاستخفاف . ل : « تذللهما » ، س : « تذيلهما » ، صوابهما فى ط ، هـ .

الطُّعم فى غير أرضِها وهوائها ، حتَّى تموت ، أو تحتمِلها[١] السُّيولُ فى الشِّتَاء وزمان الزَّمْهرِير ، فما أسرعَ موتَها حينئذ ، لأنَّهَا صرِدَة .

(مثل فى الحيّة)

وتقول العرب : « أصرَدُ من حيَّة » كما تقول : « أعرَى من حية[٢] » .
وقال القشَيرىّ : والله لهى أصْرَدُ من عنزٍ جرْباء[٣] .

(حُتوف الحيّات)

وحُتوفها التى تَسرع إليها ثلاثة أشياء : أحدها مُرور أقاطيع الإبل والشَّاء ، وهى منبسطةٌ على وجه الأرض ، إما للتشرُّق نهاراً فى أوائل البرد ، وإما للتبرُّدِ ليلا فى ليَالى الصَّيف ، وإمّا لخروجها فى طلب الطُّعم[٤] .
والخَصلة الثانية ما يسلَّط[٥] عليها من القنافذ والأوعال والوَرَل ؛ فإنَّهَا

---

(١) الاحتمال : الحمل . ط ، هـ : « أو تحملهما » .
(٢) أعرى بالراء : من العرى . وهذه رواية ل ، س ؛ وهى إحدى روايتى المثل . والرواية الأخرى : « أعدى » بالدال ، كما جاء فى ط ، هـ . قال الميدانى : (١ : ٤٤٩) : « أعدى من الحية هذا من العداء : وهو الظلم . وهو كقولهم : أظلم من حية » . وقد أورد الميدانى أيضا فى (١ : ٤٤٩) : أعرى — بالراء — من إصبع ، ومن مغزل ، ومن حية ومن الأيم ، ومن الراحة ، ومن الحجر الأسود » . والجاحظ إنما يريد رواية الراء . وقد سبق فى (٤ : ٢٠٠ س ٦) : « بإعراء جلدها حتى يقال أعرى من حية » .
(٣) أصرد ، من الصرد ، وهو البرد . وذلك أنها لاتدفأ لقلة شعرها ، ورقة جلدها . وانظر أمثال الميدانى (١ : ٢٧٧) وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) وما سبق فى (٥ : ٤٦٠) . فيما عدا ل : « من حية » تحريف . ط : « حرباء » س : « صرفا » ، صوابهما فى ل ، هـ والمراجع السالفة .
(٤) ل : « الطلب الطعم » . وانظر ما سبق فى (٤ : ٢١٤) .
(٥) فيما عدا ل : « ما سلط » .

تطالبها مطالبة شديدة ، وتقوى عليها قوّةً ظاهرة[1] والخنازير تأكلها ؛
١٧ وقد ذكرنا ذلك فى باب القول فى الحيّات .

والخصلة الثالثة : تكسُّب الحوَّائين بصيدها . وهى تموت عِندَهم سريعاً .

(ما يشارك الضّبّ فيه الحيّة)

والضَّبُّ يشاركُها فى طول العمر ، ثمَّ الاكتفاء بالنسيم[2] والتَّعيشِ ببرد الهواء . وذلك عند الهرَم وفناء الرُّطوبات[3] ، ونَقْص[4] الحرارات . وهذه كلها عجب .

(عود إلى أعاجيب الضب)

ثم اتخاده[5] الجحرَ فى الصَّلابة ، وفى بعض الارتفاع ، خوفاً من الانهدام ، ومسيل المياه[6] . ثم لايكون ذلك إلا عند عَلَم يرجع إليه إنْ هو أضلَّ جُحرَه . ولو رأى بالقُرْب تراباً متراكِباً[7] بقدر تلك المِرداة[8] والصَّخرة ، لم يحفِلْ بذلك . فهذا كله كَيْسٌ وحزْم . وقال الشَّاعر :

(١) ل : « والورل يطالبها مطالبة شديدة ويقوى عليها قوة ظاهرة » .
(٢) فيما عدا ل : « بالاكتفاء » ، تحريف . وكلمة « ثم » ساقطة من س .
(٣) س : « وقت الرطوبات » ، محرف .
(٤) ل : « وبعض » ، وفيما عدا ل : « وتقصر » ، صوابهما ما أثبت .
(٥) ط ، هـ : « اتخاذ » بطرح الهاء .
(٦) فيما عدا ل : « وسيل » . وانظر ص ٣٩ س ٨ .
(٧) ط ، س : « متراكبا » بالباء ، وهما بمعنى .
(٨) المرداة ، سبق شرحها فى التنبيه ٢ ص ٤٣ . هـ ، ط : « المزادة » تحريف .

سَقَى اللهُ أرضاً يَعْلَمُ الضب أنّها عَذِيّة بَطْنِ القاعِ طَيِّبةُ البَقْلِ[1]
يرودُ بها بيتاً على رأسِ كُدْيةٍ وكلُّ امرئٍ في حِرْفةِ العَيْشِ ذو عَقْلِ[2]

وقال البُطين[3] :

وكلُّ شيءٍ مصيبٌ في تعيُّشِه الضبُّ كالنُّون ، والإنسانُ كالسَّبُعِ

ومِن أعاجيبه أنّ له أيرَين ، وللضبة حِرَين . وهذا شيءٌ لا يُعْرَف إلاّ لها . فهذا قولُ الأعراب . وأمّا قولُ كثير من العلماء[4] ، ومَن نقّب في البلاد ، وقرأ الكتب ، فإنّهم يزعُمون أنّ للسَّقَنْقور[5] أيرين ، وهو الذي يتداوَى به العاجزُ عن النكاح ، ليورثَه ذلك[6] القوة .

قالوا[7] : و [إن[8]] للحِرْذَون أيضا أيرين ، وإنّهم عاينوا ذلك

---

(١) العذية ، بفتح العين المهملة وكسر الذال المعجمة وتشديد الياء — ويقال بتخفيفها أيضا — : الطيبة . ط : « يعلم الله » محرف . فيما عدا ل : « غذية » بالغين المعجمة ، صوابه ما أثبت . وفي (٧ : ٥٦) : « بعيد من الآفات » .

(٢) يرود : يطلب ويختار الأفضل ، وأصله في الكلأ . فيما عدا ل : « يذود » ولا وجه له . والحرفة ، بالكسر : الصناعة وجهة الكسب .

(٣) في تاج العروس (٩ : ١٤٢) : البطين ، كزبير : شاعر بصري . وذكره ابن النديم ١٦٣ ليبسك و ٢٣٢ مصر في الشعراء المقلين ، قال : « البطين بن أمية الحمصي ، مقل » . وروى له المرزباني خبرا في الموشح ١٧٢ قال : « قيل للبطين : أكان ذو الرمة شاعرا متقدما ؟ فقال البطين : أجمع العلماء بالشعر على أن الشعر وضع على أربعة أركان : مدح رافع ، أو هجاء واضع ، أو تشبيه مصيب ، أو فخر سامق . وهذا كله مجموع في جرير والفرزدق والأخطل . فأما ذو الرمة فما أحسن قط أن يمدح ، ولا أحسن أن يهجو ، ولا أحسن أن يفخر ، يقع في هذا كله دونا . وإنما يحسن التشبيه ، فهو ربع شاعر » . وانظر الوساطة ١٦٤ .

(٤) ل : « الحكماء » .

(٥) السقنقور : نوع من العظاء كبير ضخم قصير الذنب . ولفظه يوناني معرب : scincus وبالإنكليزية : skink . وفي المعتمد : « حيوان شبيه بالورل يوجد في الرمال التي تلي نيل مصر . وأكثر ذلك يوجد في نواحي مصر بالصعيد ، وهو مما يسعى في البر ويدخل في ماء النيل . ولذلك قيل إنه الورل المائي » .

(٦) ط : فقط : « تلك » .

(٧) فيما عدا ل : « قال » تحريف .

(٨) زيادة يقتضيها السياق وذلك لورود اسمها منصوبا في جميع النسخ .

معاينةً . وآخِرُ من زعم لى ذلك موسى بن إبراهيم .

والحِرذون دويْبَّة تشبه الحِرباء ، تكون بناحية مِصْرَ وما والاها ، وهى دويْبَّة مَليحة موشّاة بألوانٍ ونقط .

وقال جالينوس : الضَّبُّ الذى له لسانانِ يصلُح لحمه لكذا وكذا . فهذه أيضاً أعجوبة أخرى فى الضَّبِّ : أن يكونَ بعضه ذا لسانين وذا أيرين[1] .

ومن أعاجيب الضَّبَّة أنّها تأكلُ أولادَها ، وتجاوز فى ذلك خُلُق الهِرَّة ، حتّى قالت الأعراب : « أعقُّ من ضَبّ » .

(احتيال الضب بالعقرب)

وزعمت العرب[2] أنّه يُعِدّ العقربَ فى جُحره ، فإذا سمع صوتَ الحرْش استثْفرها[3] . فألصقها بأصْل عَجْب الذَّنَب من تحتُ ، وضمَّ عليها ؛ فإذا أدخَل الحارشُ يده ليقبض على أصْل ذنبه لسعَتْه العقرب[4] .

وقال علماؤهم : بل يهيِّئ العقاربَ فى جحرِه[5] ؛ لتلسع المحترِشَ إذا أدخل يدَه .

وقال أبو المنجد بن رويشد[6] : رأيت الضبَّ أخْورَ[7] دابّة فى

---

(١) فيما عدا س : « وأن » بزيادة واو . وكلمة : « ذا أيرين وذا لسانين » ليست فى ل . وفى ط : « ذا لسانان » محرف . وفى هـ بالتقديم والتأخير .

(٢) س : « وتزعم العرب » .

(٣) الاستثفار ، أصله فى الكلب أن يدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه . س : « استشفرها » ل : « استنفرها » ، صوابهما ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفى س : « فإذا دخل الحارش ليقبض » الخ .

(٥) فيما عدا ل . « بل هى تهيىء العقارب فى جحرها » .

(٦) هـ : « أبو النجيد بن رويشد » ، س : « أبو النجدين رويشد » ، ل : « أبو اليحمد ابن رويشد » .

(٧) أخور : أضعف . ط : « أحرز » هـ : « أحوز » ل : « أخون » . وأثبت ما فى س .

الأرض على الحر ؛ تراه أبداً فى شهر ناجر[1] بباب جُحره ، متدخِّلا[2] يخاف أن يقبض قابضٌ بذنبه[3] ، فربَّما أتاه الجاهلُ ليستخرجه ، وقد أتى بعقرب فوضَعَها تحت ذنبه بينه وبين الأرض ، يحبسها بعَجْب الذنب ، فإذا قَبضَ الجاهلُ على أصلِ ذَنَبه لسعَتْه ، فَشَغِل بنفسه[4] .

١٨

فأما ذو المعرفة[5] فإنّ معه عُويْداً يحرِّكه هُناك ، فإذا زالت العقرب[6] قبضَ عليه .

وقال أبو الوجِيه[7] : كذبَ والله مَن زعم أنّ الضَّبّة تستثفر[8] عقربا ، ولـكنَّ العقاربَ مسالمـةٌ للضِّباب ؛ لأنها لاتعرض لبيضها وفراخها . والضّبُّ يأكل الجرادَ ولا يأكلُ العقارب . وأنشَدَ قول التّميميِّ الذى كان ينزل به الأزدىُّ : إنه ليس إلى الطعام يقصِد ، وليس به إلا أنه قد صار به أليفا وأنيساً[9] ، فقال :

أتأنسُ بِى ونَجْرُك غير نَجْرى كما بينَ العقارب والضِّبابِ[10]

---

(١) ناجر : رجب ، أو صفر . انظر اللسان (٧ : ٤٦ — ٤٧) والأزمنة للمرزوقى (١ : ٢٨٠) . وهو بكسر الجيم ، وبعضهم يقوله بفتحها ، كما فى اللسان .

(٢) ط ، هـ : « متداخلا » .

(٣) الـكلام بعد هذه إلى كلمة : « الذنب » التالية ، ساقط من س .

(٤) ط ، هـ : « فيشتغل » .

(٥) ط ، هـ : « أهل المعرفة » .

(٦) زالت : انصرفت وبرحت مكانها .

(٧) هو أبو الوجيه العكلى ، أحد فصحاء الأعراب ، كان معاصرا للجاحظ وأبى عبيدة . روى له الجاحظ أخبارا فى الحيوان (١ : ٣٠٠ / ٤ : ١٩٤) والبيان (١ : ١٦٩ ، ١٧٢ / ٣ : ١١٤) .

(٨) س : « تستشفر » ، ل « تستنفر » ، صوابهما فى ط ، هـ . وانظر التنبيه رقم ٣ ص٥٨ .

(٩) ط ، هـ : « قد صار إلفا وأنيسا » ل : « قد صار به إلفا له » ، وأثبتّ ما فى س .

(١٠) النجر ، بفتح النون : الطبع والأصل . هـ : « تجرك غير تجرى » ، تحريف .

وأنشد :

تَجَمَّعْنَ عِند الضّبّ حتى كأنه على كلِّ حالٍ أسودُ الجِلدِ خنْفَسُ

لأن العقارب تألف الخنافِس . وأنشدُوا للحَكَم بن عمرو البَهْرَانى[1] :

والوزَغُ الرُّقطُ على ذُلِّهـا تُطاعِمُ الحيّاتِ فى الجُحرِ

والخُنفَسُ الأسود مِن نَجْره مودّةُ للعقربِ فى السِّرِّ[2]

لأنك لا تَراهُما أبداً إلاّ ظاهرتين[3] ، يَطّاعمان أو يتسايران[4] ، ومتى رأيت مكنة[5] أو اطّلعْتَ على جُحر فرأيت إحداهما[6] رأيت الأخرى .

قال : وممّا يؤكّد القولَ الأوّل قولُه :

ومُسْتَشْفِرٍ دون السَّوِيّة عقرباً لقد جئتَ بُجْرِيًّا من الدَّهْرِ أعوجا[7]

---

(١) سيأتى حديث الجاحظ عنه فى ص ٨٠ .

(٢) هذا البيت أنشده فى اللسان (٧ : ٣٧٦) محرفا غير منسوب .

(٣) كلمة : « إلا » ليست فى ل .

(٤) ل : « تطعمان وتسايران » .

(٥) المكنة ، بالفتح ، وبفتح فكسر : واحدة المكن بالفتح وبفتح فكسر ، وهو بيض الضبة . ل : « رفعت مكية » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٦) ط : « أحدهما » تحريف ، صوابه فى ل ، هـ . وفى س : « إحديهما » تحريف يقع فيه بعض الكاتبين ، إذ يشبه لهم ذلك بأحد وجهى إعراب « كلا وكلتا » . وإحدى مقصور دائما .

(٧) ل : « ومستنفر » س : « ومستشفر » ، صوابها ما أثبت من ط ، هـ . وانظر ما مضى فى ص ٥٨ . والسوية ، كغنية : كساء محشو بثمام ونحوه كالبرذعة . وقد ضبطت فى ل بضم السين وفتح الواو خطأ . وفيما عدا ل : « الثوية » بالثاء ، تحريف . والبجرى ، بضم الباء وسكون الجيم : الشر والأمر العظيم والداهية ؛ وجمعه بجارى ، كقمرى وقمارى . فيما عدا ل : « مجريا » محرف . والدهو ، بالفتح : الدهاء . وفى اللسان : « التهذيب : الدهو والدهى : لغتان فى الدهاء » . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « الدها » ، وفيما عدا ل : « الدهر » بالراء ؛ وما أثبت أقرب تصحيح .

يقول[1] : حين لم ترضَ من الدّهاء[2] والنُّكر[3] إلاّ بما تخالف عندهُ النّاسَ وتجوزُهم[4] .

(إعجاب الضب والعقرب بالتمر)

وأنشدني ابن داحة[5] لحذيفة بن دأب[6] عمِّ عيسى بن يَزِيد[7] ، الذي يقال له ابن دأب[8] في حديث طويل من أحاديث العشّاق :

لئن خُدِعتْ حُبّى بِسبٍّ مُزَعْفَرٍ   فقدْ يُخْدَعُ الضبُّ المخادع بالتّمرِ[9]

(١) ط ، س : « ويقول » ، والواو مقحمة فيهما .
(٢) فيما عدا ل : « لم يرض من الدهر » ، محرف .
(٣) النكر ، بالضم : الدهاء . فيما عدا ل : « والمكر أعوجا » بالميم ، تحريف وإقحام .
(٤) ل : « إلا بما يخلف الناس ويجوزهم » ، وما أثبت من سائر النسخ مع زيادتي الضمير في : « عنده » .
(٥) ابن داحة ، سبقت ترجمته في (٢ : ٨٢) واسمه إبراهيم بن داحة ، كما في البيان (١ : ٨٤) . وانظر الحيوان (١ : ٦١ ، ٦٢ / ٢ : ١٥٣ / ٣ : ٤٠٢) .
(٦) حذيفة بن دأب ، كان عالما ناسبا ، ذكره الجاحظ في البيان (١ : ٣٢٤) عند سرده آل دأب . قال الجاحظ : « وفي آل دأب علم بالنسب والخبر » . وبدل كلمة : « لحذيفة » في ط : « ابن جزيمة » ، وفي س : « لجذيمة » ، تحريف . والكلمة ساقطة من هـ . وكلمة : « دأب » هي فيما عدا ل : « داد » بدالين ، محرفة . ولحذيفة هذا ولد اسمه محمد ، ذكره ابن حجر في لسان الميزان (٥ : ١٢٠) . والكلام من مبدإ : « عم » التالية إلى كلمة : « دأب » بعدها ساقطة من ل .
(٧) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، كان خطيبا ، شاعرا ناسبا . وكان يضع الحديث والشعر كأحاديث السمر ، كان يضع الحديث بالمدينة ، وابن شوكر يضع الحديث بالسند . وفيهما يقول خلف الأحمر :

أحاديث ألفها شوكر   وأخرى مؤلفة لابن دأب

وكان كثير الأدب ، عذب الألفاظ ، صاحب حظوة عند الهادي . وروى عنه شبابة بن سوار ، ومحمد بن سلام الجمحي . انظر تاريخ بغداد ٥٨٤٥ ولسان الميزان (٤ : ٤٠٨) . وفي الأصل : « عيسى بن زيد » ، تحريف .
(٨) في ط ، س : « دار » ، صوابه في هـ .
(٩) حبى ، بضم الحاء وتشديد الباء وآخره ألف مقصورة : علم من أعلامهن . وفي الأصل : « حبا » محرف . والسب ، بالكسر : العمامة . والمزعفر : الملون بالزعفران .

لأن الضب شديد العُجْب بالتّمر ، فضرب [الضب[١]] مثلاً فى الخُبْث والخديعة .

والذى يدلُّ على أن الضب والعقربَ يُعجبان بالتّمر عجباً شديداً ، ماجاء من الأشعار فى ذلك[٢] .

وأنشدنى ابن الأعرابى ، لابن دَغْماء العِجْلى[٣] :

سِوى أنكم دُرِّبْتُم فجريْتُم على دُرْبةٍ ، والضبُّ يُحْبَلُ بالتّمْر[٤]

فجعل صَيده بالتّمر كصيده بالحِبالة[٥] . وأنشدنى القُشَيرىُّ[٦] :

١٩ وماكنت ضبًّا يُخرج التّمر ضِغْنَه ولا أنا مِمّنْ يزدهيهِ وَعيدُ[٧]

وقال بِشر بن المعتمر ، فى قصيدته التى ذكر فيها آياتِ الله عز ذكره فى صُنوف خَلْقه ، مع ذكر الإباضيّة ، والرافضة[٨] والحشوية[٩] ،

---

(١) س ، هـ : « الضرب » ، محرفة . والكلمة ساقطة من ط .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفيما عدا ل : « ما جاء فى الأشعار من » .
(٣) ل : « ابن دعما العجلى » ، ما عدا ل : « ابن دعمى » ، صوابه ما أثبت من كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء فى نوادر المخطوطات (١ : ٩٣ - ٩٤) .
(٤) س : « فجزيتموا » تحريف . يقول : جريتم على عادتكم وسنتكم . ويحبل بالباء : أى يصاد بالحبالة . وفيما عدا ل : « يختل » ، ووجه الرواية ما أثبت من ل .
(٥) الحبالة بالكسر : المصيدة من أى شئ كانت .
(٦) س : « وأنشد القشيرى » .
(٧) فيما عدا ل : « وما كنت ممن » .
(٨) ط فقط : « الرفضة » .
(٩) الحشوية ، بفتح الحاء ، وسكون الشين أو فتحهما : طائفة اختلفت العلماء فى تعريفها . فابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ يذكر لنا فى تأويل مختلف الحديث ص ٩٦ أنها من الألقاب التى كان أهل الحديث يلقبون بها ، قال : « وقد لقبوهم بالحشوية والنابتة والمجبرة » . وقال أبو محمد بن الحسن بن موسى النوبختى فى كتاب فرق الشيعة ص ٧ : « والبترية أصحاب الحديث ، منهم سفيان بن سعيد الثورى ، وشريك ابن عبد الله ، وابن أبى ليلى ، ومحمد بن إدريس الشافعى ، ومالك بن أنس ، ونظراؤهم من أهل الحشو والجمهور العظيم ، وقد سموا الحشوية » . ويطلقون هذا اللفظ أيضا على « المشبهة » الذين يشبهون الله بخلقه . وكذا على المجسمة . انظر شفاء الغليل للخفاجى ، فى رسم (الحشوية) .

والنابتة [١] فقال فيها [٢] :

وهِقْلةٌ تَرتاعُ من ظِلِّها لهـا عِرارٌ ولَهَـا زَمْرُ
[تلتهمُ المَرْوَ على شهوةٍ وَحَبُّ شَيءٍ عِندَها الجمرُ]
وضَبّـةٌ تأكلُ أولادها وعُثْرُفانٌ بَطنُـه صِفْرُ
يؤثِر بالطُّعْـمِ وتأذينُه مُنَجِّمٌ ليسَ له فِـكرُ [٣]
وظَبيَةٌ تخضَمُ فى حَنْظلٍ وعقربٌ يُعجبها التمرُ [٤]

وقال أيضاً بشرٌ ، فى قصيدةٍ له أخرى [٥] :

أما ترَى الهِقْلَ وأمعاءَهُ يجمعُ بينَ الصَّخْرِ والجَمْرِ
وفأرة البِيشِ على بيشِها أحْرَص مِنْ ضبٍّ على تمْـرِ

وقال أبو دارة — وقد رأيتُه أنا ، وكان صاحبَ قَنْصٍ — :

وما التّمْرِ إلاّ آفةٌ وبليّـةٌ على جُلِّ هذا الخَلْقِ من ساكنِ البَحْرِ [٦]
وفى البَرِّ من ذِئبٍ وسِمْعٍ وعَقربٍ وثُرمُلةٍ تسْعَى وخُنفسة تَسْرى [٧]
وقد قيل فى الأمثالِ إن كنتَ وَاعيا عَذِيرَك ، إنَّ الضَّبَّ يُحْبَلُ بالتمرِ [٨]

---

(١) س : « النابية » ، تحريف . وانظر التنبيه السابق .
(٢) ستأتى هذه القصيدة كاملة فى ص ٢٨٤ — ٢٩١ . وهى ستون بيتا .
(٣) أى يؤثر دجاجته بالطعم على نفسه . وانظر ما سبق فى (١ : ٣١٣ / ٢ : ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١) . والبيت محرف فى الأصل ؛ ففى ط ، ل ، ه : « فلو ترى الضب » . وفى س : « تؤثر الضغم وتأذينه مسحم » ، صوابهما ما أثبت .
(٤) ط : « وظبية » ه : « وضبة » صوابهما فى ل ، س .
(٥) ستأتى هذه القصيدة كاملة فى ٢٩١ — ٢٩٧ . وهى سبعون بيتا .
(٦) ط ، ه : « من ساكنى البحر » ، تحريف .
(٧) الثرملة ، بضم الثاء والميم بينهما راء ساكنة : الأنثى من الثعالب . والكلمة محرفة فى الأصل . ففى ل ، ط : « تدملة » وفى س : « ندملة » وفى ه : « ثدملة » .
(٨) فيما عدا ل : « راعيا » بالراء ، تحريف . وفيما عدا ل أيضا : « يختل » وانظر ما سبق فى نهاية ص ٦٢ س ٦ — ٧ .

وسنفسّر معانى هذه الأبيات إذا كتبْنا القصيدتَين على وجوهها[١] ، بما يشتملان عليه من ذكر الغرائب والحكم ، والتّدبير ، والأعاجيب التى أودع[٢] الله تعالى أصنافَ هذا الخلْق ؛ ليعتبرَ مُعتبر ، ويفكر مفكر ، فيصيرَ بذلك[٣] عاقلاً عالماً ، وموحِّداً مخْلصاً .

(طول ذَماء الضبّ)

والدّليل على ما ذكرْنا من تفسير قولهم : الضّبّ أطْولُ شيء ذَماء ، قولهم : « إنَّه لَأحيا مِن ضَبّ » ؛ لأنّ حارشه ربّما ذبَحَه فاستقْصى فَرْىَ الأوداج ، ثم يدعُه ، فربما تحرك بعد ثلاثة أيام .

وقال أبو ذُؤيبٍ الهذلى :

ذَكَرَ الوُرُودَ بِهاَ وشاقَى أمْرَهُ شؤماً وأقْبَلَ حينه يتتبَّع[٤]

فأبَدَّهُنَّ حُتُـوفَهُنَّ فهاربٌ بذَمائِه أو ساقطٌ متَجَعْجِعُ[٥]

وكان النّاس يروون[٦] : « فهاربٌ بدمائه » يريدون من الدم : وكانوا

(١) هـ : « وجودها » محرف .

(٢) ل : « أودعها » .

(٣) ل : « لذلك » .

(٤) أى ذكر الحمار الورود بهذه العيون . وشاق أمره : فاعله من الشقاء . والحين : الهلاك ، بالرفع فاعل أقبل ، وبالنصب مفعول مقدم لـ « يتتبع » : ل : « وشاقا أمره » وفيما عدا ل : « وأجمع أمره شوقا » ، ط : « حيه يتتبع » ، هـ : « حبيبة يثبت » س : « حبيبة لسب » بهذا الإهمال ، صواب هذه التحريفات من ديوان أبى ذؤيب ص ٢ — ٤ والمفضليات (٤٢٣ ، ٤٢٥ طبع المعارف) .

(٥) أبدهن حتوفهن : الضمير للصائد ، أى أعطى كل واحدة من هذه الحمر الوحشية حتفها على حدة ، لم يقتل اثنين بسهم واحد ، ولم يقتل واحدا ويدع واحدا . ط فقط : « فأبرهن » بالراء ، تحريف . والذماء ، بالفتح : بقية النفس . والمتجعجع : الساقط المتضرب . وهذا البيت هو الخامس والثلاثون ، وبينه وبين سابقه اثنا عشر بيتا .

(٦) ط ، س : « يرون » ، صوابه فى هـ . وفى ل : « يقولون » .

يكسِرون الذال ، حتى قال الأصمعيّ : « بذَمائِه » معجمة الذال مفتوحة .

وقال كثيِّر :

ولقد شَهِدْتَ الخيلَ يَحْمِلُ شِكَّتِي   متلمِّظٌ خَذِم العِنانِ بَهِيمُ (١)

باقِى الذماءِ إذا مَلَكْتَ مُناقِلٌ   وإذا جَمَعْتَ به أجشُّ هَزِيمُ (٢)

(خبث الضب)

والضّبّ إذا خَدَع فى جُحره وُصِف عند ذلك بالخُبث والمكر . ولذلك قال الشاعر :

[إنَّا مُنِينا بِضَبٍّ من بَنِي جُمَحٍ   يرَى الخيانةَ مِثْلَ الماءِ بالعَسَلِ

وأنشَدَ أبو عِصام (٣)] :

إنّ لنـا شَيخَين لا يَنفَعانِنا   غنيَّين لا يَجْدِى علَيْنَا غِناهُما (٤)

---

(١) الشكة ، بالكسر : السلاح . والمتلمظ : الذى يخرج لسانه كتلمظ الآكل . ل : « متلمط » بالطاء المهملة ، تحريف . خذم العنان : أى سريع ، أضاف السرعة إلى العنان . فيما عدا ل : « العثار » تحريف . والبهيم : الخالص السواد : والبهيم من الخيل أيضا : الذى لا شية فيه . فيما عدا ل : « بهيم » ، محرف .

(٢) المناقل : السريع نقل القوائم . والأجش : الغليظ الصهيل ، وهو مما يحمد فى الخيل . والهزيم : الشديد الصوت ، والذى يتشقق بالجرى . ط ، ه : « مريم » صوابه فى ل ، س . وجاء فى مثل هذا النعت قول النجاشى :

ونجى ابن حرب سابح ذو علالة   أجش هزيم والرماح دوانى

(٣) هذه التكملة من ل ، س . لكن فى س : « إذا مشينا » بدل : « إنا منينا » ، وهو تحريف . وفى س أيضا : « أبو عاصم » . وصاحب الشعر هو أبو أسيدة الدبيرى ، كما فى تهذيب الألفاظ ص ١٢٥ واللسان (يسر) .

(٤) كذا فى ل وتهذيب الألفاظ . وفى سائر النسخ : « وإن لنا » ، وفى س فقط : « غنيان » بدل : « غنيين » . وبعد هذا البيت فى التهذيب :

هما سيدان يزعمان وإنما   يسوداننا أن يسرت غنماهما

كأنَّهما ضَبَّانِ ضَبَّا مغارةٍ كَبيرانِ غَيْدَاقانِ صُفْرٌ كُشَاهُما[1]
فإنْ يُحْبَلا لا يوجَدَا فى حِبالةٍ وإنْ يُرصَدَا يوماً يَخبْ راصِداهُما[2]

ولذلك شبَّهُوا الحِقدَ الكامنَ فى القلْب ، الذى يسرى ضررُه[3] ، وتدِبُّ عقاربُه بالضَّبِّ ، فسمَّوا ذلك الحِقد ضَبًّا . قال مَعنُ بنُ أوس :

ألا مَنْ لِمولًى لا يزالُ كأنَّهُ صَفاً فِيه صَدْعٌ لا يُدانيه شاعِبُ[4]
تدِبُّ ضِبابُ الغِشِّ تحتَ ضُلُوعِه لأهلِ النَّدَى مِن قومِه بالعقاربِ

وقال أبو دَهْبَل الجمحىّ[5] :

فاعلمْ بأنِّى لِمَنْ عاديتَ مضطغنٌ ضَبًّا وإنى عليك اليومَ مَحْسودُ[6]

وأنشد ابن الأعرابىّ :

يا رُبَّ مولًى حاسدٍ مُباغضِ[7] علىَّ ذِى ضغنٍ وضبٍّ فارضِ[8]

---

(١) الغيداق : الضب المسن العظيم . والكشى : جمع كشية ، بالضم ، وهى شحمة صفراء تمتد من أصل ذنبه حتى تبلغ إلى أقصى حلقه . ل : « صمر » تحريف . ورواية ابن السكيت : « صفرا » بالنصب .

(٢) فيما عدا ل : « فإن يختلا » ، تحريف صوابه فى ل وابن السكيت . وفيما عدا ل وابن السكيت : « لا يؤخذا » . قال التبريزى : يقول : هذان الرجلان لا يطمع أحد فى خيرهما ، كما لا يطمع فى اصطياد الضبين اللذين ذكرهما .

(٣) ل : « ضرورة » .

(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهى الصخرة الملساء . والشاعب : المصلح . س : « شاغب » تصحيف . وفى البيت الذى يليه إقواء . والبيتان لم يردا فى ديوانه .

(٥) أبو دهبل الجمحى ، من بنى جمح بن عمرو بن هصيص . وقد تقدمت ترجمته فى (٤ : ١٠) . وفيما عدا ل : « الجهنى » . وفى س أيضا : « أبو دعبل » تحريفان . والبيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان يقال له ابن الأزرق وقد روى القصيدة أبو الفرج فى الأغانى (٦ : ١٥٧ - ١٥٨) .

(٦) فيما عدا ل : « واعلم » ، وفى الأغانى : « اعلم » بطرح الواو . وفيما عدا ل : « عليه » بدل : « عليك » صوابه فى ل والأغانى .

(٧) فيما عدا ل : « جاهد » موضع : « حاسد » ، وأثبت ما فى ل واللسان (فرض ٦٩) .

(٨) الفارض ، بالفاء : المسن . ل ، س : « قارض » صوابه فى هـ ، ط واللسان ومجالس ثعلب ٣٦٤ .

له قُرُوءٌ كقُروءِ الحائضِ (١)

كأنّه ذهَبَ إلى أنّ حِقده يَخبو تارةً ثمّ يستعر ، ثم يخبو ثم يَستعِر .

وقال ابن ميّادة ، وضرب المثلَ بنفخ الضب وتوثُّبِه (٢) :

فإنّ لقيسٍ من بَغيضٍ أقاصياً إذا أسَدٌ كَشَّتْ لفخْرٍ ضِبابُها (٣)

وقال الآخر :

فلا يَقْطَع اللهُ اليمينَ التى كَسَتْ حِجاجَيْ مَنيعٍ بالقَنامن دمٍ سَجْلاَ (٤)

ولو ضبٌّ أعلى ذِى دميثٍ حَبَلْتَما إذًا ظلّ يمطو من حِبالكم حَبْلاَ (٥)

والضب يُوصَف بشدّة الكِبر ، ولاسيّما إذا أخْصَب وأمِنَ وصارَ (٦) ، كما قال عَبْدَة بن الطَّبيب ؛ فإنّه ضربَ الضبّ مثلاً (٧) حيثُ يقول ليحيي ابن هزّال (٨) :

---

(١) يقول : لعداوته أوقات تهيج فيها ، مثل وقت الحائض .

(٢) ط : « وثبته » ، تحريف .

(٣) كشت : صوتت . ط : « لعجز » س : « لمحر » هـ : « تعجز » صوابها فى ل . وفى هـ أيضا : « فإن نميس من بغيض أقاصيا » محرف .

(٤) الحجاجان ، بالكسر والفتح : العظمان اللذان ينبت عليهما الحاجب . والسجل ، بالفتح : الدلو العظيمة . وكست الحجاجين بالدم : أراد غشتهما به . قال رؤبة يصف الثور والكلاب :

قد كسا فيهن صبغا مروعا

قال ابن منظور : « يعنى كساهن دما طريا » . فيما عدا ل : « طبشت » تحريف . ط ، س : « بالغا » ل : « بالعصا » هـ : « بالفنا » صوابه ما أثبت . والقنا : الرماح .

(٥) حبله : اصطاده بالحبالة . يمطو : يمد . فيما عدا ل : « ولو كنت » و : « رميت » بالراء وفى ط ، هـ : «حبلتها» وفى س : « خبلتها » ، وأثبت ما فى ل . وفيما عدا ل : « يمطو » بدل : « يمطو » .

(٦) فى اللسان : « صار القوم يصيرون : حضروا الماء » . وقال الأعشى :

بمــا قد تربع روض القطا وروض التناضب حتى تصيرا

(٧) فيما عدا ل : « ضرب به المثل » .

(٨) فى البيان : « حيى بن هزال » .

لأعرِفنَّك يومَ الوِرْدِ ذَا لَغَطٍ ضَخْمَ الجُزارةِ بالسَّلْمَينِ وَكَّارُ[1]

٢١ تَـكفِى الوليدةَ والرُّعيانَ مؤتَزِراً فاحلُبْ فإنّك حلاَّبٌ وصرَّارُ[2]

ما كُنْتَ أولَ ضَبٍ صاب تَلْعَتَهُ غَيثٌ فأمْرَعَ واستَرْخَتْ به الدار[3]

وقال ابن مَيَّادة :

ترى الضَّبَّ إنْ لم يرهب الضَّبُّ غيْرَهُ

يَكِشُّ لَهُ مُسْتَكبِراً ويُطـاوِلُه[4]

وقال دَعْلَجٌ عبدُ المِنْجاب[5] :

إذا كان بيتُ الضب وسْطَ مَضَبّةٍ تَطَاول للشَّخص الذى هو حابله[6]

المضَبَّة : مكان ذو ضباب كثيرة[7] . ولا تكثر إلاَّ وبقربها حَيَّة[8] أو وَرَل ، أو ظَرِبان . ولا يكون ذلك إلاَّ فى موضع بعيد من النَّاس . فإذا أمِن وخلا لَهُ جوُّه ، وأخصب ، نفخَ وكشَّ نحو كل شىء يُريده[9] .

---

(١) سبق هذا البيت والبيتان بعده ومعهما رابع وخامس فى (٥ : ٢٦٣ - ٢٦٤) مع شرحها وتخريجها . وصدر البيت هناك : « ما مع أنك يوم الورد ذو لغط » .

(٢) فيما عدا ل : « يكفى الوليدة ذا الرعيان » ، تحريف . وفى س ، هـ أيضا : « فأخلب فإنك خلاب » ، صوابه فى ط ، ل .

(٣) التلعة بالفتح : ما ارتفع من الأرض وما انهبط ، وهو من الأضداد . صابها الغيث : جادها المطر . استرخت به الدار : جعلته فى رخاء وسعة . س ، هـ : « طاب » وفى هـ أيضا : « تلقته » تحريفان .

(٤) فيما عدا ل : « مستكثرا » ، محرف .

(٥) لم أعثر له على ترجمة . وفى ط ، هـ : « بن عبد المجاب » ، وفى س : « بن عبد المنجاب » .

(٦) حبله : أخذه بالحبالة أو نصبها له . فيما عدا ل : « جاهله » تحريف .

(٧) ط ، هـ : « ذا ضباب كثيرة » محرف .

(٨) كلمة : « إلا » ساقطة من ل .

(٩) ط فقط : « يزيده » بالزاى ، تصحيف .

(ما يوصف بالكِبْر من الحيوان)

ومّما يُوصَف بالكِبْر الثَّوْرُ فى حال تشرُّفه ، وفى حالِ مِشيته[١] الخُيَلاء فى الرِّياض ، عند غِبِّ دِيمة . ولذلك قال الكُميت :

كشَبوبٍ ذى كِبرياءَ من الوَحْـدَةِ لا يَبْتَغِى عليها ظَهِيرَا[٢]

وهذا كثيرٌ ، وسيقع فى موضعه من القَول فى البقر .

ومّما يُوصَف بالكِبْر الجَملُ الفَحْل ، إذا طافت به نوق الهَجمة[٣] ، ومرَّ نحو ماءٍ أو كلأ فتبِعنَه[٤] . وقال الرَّاجز :

فَإنْ تشرَّدْنَ حَوالَيْهِ وَقَفْ قالبَ حِملاقَيــهِ فى مثل الجُرُفْ[٥]

لو رُضَّ لحدُ عَيْنِهِ لَمَا طَرَفْ[٦] كِبراً وإعجاباً وعِــزًّا وَتَرَفْ

والنَّاقة يشتدُّ كِبْرُها إذا لَقِحت ، وتَزُمُّ بأنفها[٧] وتنفرد عن صَحاباتها[٨] : وأنشد الأصمعىّ :

---

(١) س : « مشيه » .

(٢) الشبوب ، بالفتح : الشاب من الثيران ، أو المسن .

(٣) الهجمة ، بالفتح : القطعة الضخمة من الإبل ، بين الثلاثين و المائة . ط ، ﻫ : « أطافت » وهما لغتان ، وفى اللسان : « طاف بالقوم وعليهم طوفا وطوفانا ومطافا وأطاف : استدار وجاء من نواحيه » .

(٤) ط ، : « وكلاء » تحريف . وفيما عدا ﻫ : « فتبعته » بالتاء .

(٥) الحملاق : بياض العين . فيما عدا ل : « حلا فيه » تحريف . والجرف ، بضمتين وبضمة : ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض .

(٦) الرض : الدق والكسر . ﻫ : « لورس » ط : « يورد » س : « اورد » صوابه فى ل .

(٧) تزم بأنفها : تشمخ به . س ، ﻫ : « ترم » ، مصحف .

(٨) صحابات : جمع صحابة ، والصحابة ، بالفتح : الأصحاب . وهو فى الأصل مصدر . فيما عدا ل : « صحابتها » . وفى ط أيضا : « وتزم على » ، و س : « وترم على » ، و ﻫ : « وترم من » .

وهو إذا أراد منْها عِـرْسَا دَهْماء مِرْباعَ اللِّقاح جَلْسَا[١]
عاينَها بعــدَ السِّنان أنسَا[٢] حتَّى تلقَّتْهُ مَخَاضا قُعْسَا[٣]
حتَّى احتشت فى كلِّ نفسٍ نَفْسا على الدَّوامِ ضَامِزَات خُرْسَا[٤]
خُوصاً مُسِرَّاتٍ لِقَاحًا مُلْسَا[٥]

وأمَّا قول الشَّمَّاخ :

جُمَالِيَّة لو يُجعَلُ السَّيفُ عُرْضَها على حَدِّهِ لاستكبرتْ أنْ تَضَوَّرَا[٦]

فليس من الأوَّل فى شىء .

(المذكورون من الناس بالكبر)

« والمذكورون من النَّاس بالكِبْر ، ثمَّ من قريشٍ : بنو مخزوم ، وبنو أميَّة . ومن العرب : بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زرارة بن عُدُس[٧] خاصَّة .

---

(١) الدهماء : السوداء . والمرباع : التى عادتها أن تنتج فى الربيع . والجلس ، بالفتح : الناقة الوثيقة الجسيمة .

(٢) السنان ، بالكسر : مصدر سان البعير الناقة يسانها مسانة وسنانا : إذا طردها حتى ينوخها ليسفدها . فيما عدا ل : « السيان » تحريف .

(٣) المخاض ، بالفتح : النوق الحوامل . والقعس ، بالضم : جمع قعساء ، وهى التى مال رأسها وعنقها نحو ظهرها . فيما عدا ل : « حتى تلاقىء » .

(٤) ط ، س : « الدوامى » هـ : « الدواق » ل : « الروابى » ، ولعل صوابها ما أثبت . والضامزات ، بالزاى : الساكتات لا تسمع لها رغاء . وفى الأصل : « ضامرات » بالراء ، تحريف .

(٥) الخوص : جمع خوصاء ، وهى الغائرة العينين . فيما عدا ل : « حوط » ، محرف . وفى ل : « مأسا » بدل « ملسا » .

(٦) الجمالية ، بالضم : الناقة : الوثيقة الخلق تشبه الجمل . عرضها ، بالضم : أى فى وسطها . تضور : تتضور ، حذف إحدى التاءين ، أى تصيح وتتلوى . ط فقط : « على حدة » تحريف . وفى ط ، هـ : « أن تصونها » ، وفى هـ : « أن يصورا » صوابهما فى ل والديوان ٢٨ .

(٧) عدس ، بضم العين والدال جميعا . انظر اللسان (عدس) والمزهر (٢ : ٢٨١ - ٢٨٢) .

فأمَّا الأكاسرة من الفرْس فكانوا لا يعُدُّون النَّاسَ إلاّ عبيداً ، ٢٢
وأنفُسَهم إلاّ أربابا .

ولسنا نُخْبِر إلاّ عن دَهماء النَّاس وجُمهورهم كيف كانوا[1] ، من ملوك وسُوقة .

(الكِبر فى الأجناس الذليلة)

والكِبر فى الأجناس الذَّليلة من النَّاس أرسَخُ وأعمُّ . ولكنَّ الذلّة والقلّة[2] مانعتانِ من ظهور كِبرهم ، فصار لايعرفُ ذلك إلّا أهْلُ المعرفة ، كعبيدنا من السِّنْدِ، وذِمَّتنا من اليهود .

والجملةُ أنَّ كلّ من قَدَر من السِّفْلة والوُضعاء والمحقَّرين أدنَى قدرةٍ ، ظهَر من كِبره على مَنْ تحت قدرته[3] ، على مراتب القدرة، مالا خَفَاء به . فإنْ كان ذمِّيًّا وحَسُنَ بما لَهُ[4] فى صدور النَّاس، تَزيَّد فى ذلك، واستظهرت طبيعته[5] بما يظنُّ أنَّ فيه رَقْع ذلك الخَرْق ، وحِياصَ ذلك الفتق[6] ، وسد تلك الثُّلمة .

(١) س ، ط : « وكيف » بزيادة واو . هـ : « فكيف » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل ، س : « القلة والذلة » .

(٣) ل : « ما تحت قدرته » ، وجملة : « على مراتب القدرة » ساقطة من س .

(٤) الذمى : الرجل المعاهد يؤدى الجزية ، من الكتابيين أو غيرهم . ل ، هـ : « فان كان دميما وحسن بماله » . الدميم : القبيح .

(٥) ط ، س : « واستظهرت به طبيعة » .

(٦) المعروف الحياصة ، بالكسر : مصدر حاص الثوب يحوصه حوصا وحياصة ، أى خاطه . وأما الحياص ، بطرح التاء فلم أجده . وفيما عدا ل : « حياض ذلك الفتق » محرف .

فتفقّدْ ما أقول لك ، فإنّك ستجده فاشياً .

وعلى هذا الحسابِ من هذه الجهة ، صار المملوك أسوأ ملكةً[1] من الحُرّ .

وشيءٌ قد قتلْته عِلماً ، وهو أنّى لم أرَ ذا كِبْرٍ قطُّ على مَنْ دونَه إلا وهو يذِلُّ لمن فوقَه بمقدارِ ذلك ووَزْنه .

(كبر قبائل من العرب)

فأمّا بنو مخزوم ، وبنو أميّة ، وبنو جعفر بن كلاب ، وبنو زُرارة ابن عُدُس ، فأبْطرَهُم ما وجَدوا لأنفسهم من الفضيلة . ولو كان فى قُوى عقولهم ودِيانتهم فضلٌ على قوى دواعى الحميّة فيهم ، لكانوا كبنى هاشمٍ فى تواضُعِهم ، وفى إنصافهم لمنْ دونهم .

وقد قال فى شَبيهٍ بهذا المعنى عَبْدةُ بن الطبيب ، حيث يقول :

إن الذين تُرَوْنَهُمْ خلّانَكُمْ ... يَشْفِى صُدَاعَ رءوسهم أن تُصْرَعوا[2]

فَضَلت عداوتُهم على أحلامِهم ... وأبتْ ضِبابُ صُدورهم لاتنْزِعُ

(من عجائب الضب)

فأمّا ما ذكروا أنّ للضبِّ أيرَين ، وللضبَّة حِرَين ، فهذا من العجب

(١) الملكة ، بالكسر وبالتحريك : الملك . وفى اللسان : « فى الحديث : لا يدخل الجنة سيئ الملكة » — محرك — أى الذى يسىء صحبة المماليك . ويقال فلان حسن الملكة إذا كان حسن الصنع إلى مماليكه » . فيما عدا ل : « ملكا » .

(٢) سبق إنشاد هذا البيت مع آخر فى (٤ : ١٦٧) . وانظر حماسة البحترى ٢٤٠ . فيما عدا ل « تصدعوا » ، تحريف .

[العجيب[1]] . ولم نجدهم يشكُون . وقد يختلفون ثمَّ يرجعون إلى هذا العَمود[2] . وقال الفَزَارىّ[3] :

جبى المالَ عُمَّالُ الخَراجِ وجِبْوَتى مُحذَّفة الأذْناب صُفْرُ الشَّواكِلِ[4]

رَعَين الدَّبا والبَقْلَ حتَّى كأنما كساهُنَّ سُلطَانٌ ثِيابَ المَراجِلِ[5]

سِبَحْل له نِزكانِ كانا فضيلةً على كُلِّ حَافٍ فى البلاد وناعلِ[6]

---

(١) هذه الزيادة من ل ، س .

(٢) فى اللسان : عمود الأمر : قوامه الذى لايستقيم إلا به . فيما عدا ل : « العموم » تحريف .

(٣) فى اللسان (ترك ٣٨٨) نسبة الأبيات إلى أبى الحجاج . ونقل عن ابن برى أنها لحمران ذى الغصة ، وكان قد أهدى ضبابا إلى خالد بن عبد الله القسرى . وقال ابن السيد فى الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خالد ولاه بعض البوادى فلما جاء المهرجان أهدى كل عامل ما جرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى حمران قفصا مملوءا ضبابا وكتب إليه »، وأنشد الأبيات . وفى الاقتضاب أيضا : « وذكر أبو عمرو الشيبانى فى كتاب الحروف أن ابن هبيرة استعمل رجلا من أهله على ناحية البادية ، فأهدى إليه فى المهرجان ضبين ، وكتب إليه بهذا الشعر » . وأقول : ابن هبيرة هذا هو عمر بن هبيرة الفزارى . ولى العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين ، وعزله هشام ١٠٥ . وانظر الحيوان (٤ : ١٥٤) والمخصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب الكاتب ١٥٤ وأمالى الزجاجى ١١٥ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) .

(٤) الجبوة ، بالكسر : ما يجبى . ل : « حبوتى » بالمهملة ، محرف . والشواكل : الخواصر ، جمع شاكلة .

(٥) الدبا ، بالفتح : الجراد ، بذا فسره فى البيت ابن السيد . وفى الاقتضاب واللسان بدل : « والبقل » : « والنقد » وهو ضرب من النبت . والمراجل : ضرب من برود اليمن . ل ، ه : « المراحل » بالحاء المهملة . وهى صحيحة أيضا ، جمع مرحل ، كمعظم وهو ضرب من برود اليمن ، سمى مرحلا لأن عليه تصاوير الرحال .

(٦) السبحل : العظيم المسن من الضباب . ه : « سيخل » س : « سجل » تحريف . وفى ط « سجل له نزكان فضله » محرف . ورواية البيت فى الاقتضاب واللسان بعد البيت التالى لا قبله . وأوله فى الاقتضاب : « سجلا » بالنصب .

ترى كلَّ ذَيَّال إذا الشمسُ عارَضَتْ
سَمَا بين عِرْسَيْه سُمُوَّ المخايل[1]

واسم أيره النِّزْك ، معجمة الزَّاى والنون من فوق بواحدة ، وساكنة الزاى . فهذا قول الفزارىّ . وأنشد الكِسائىّ :

٢٣ تفرَّقتمُ لا زِلْتمُ قِرْنَ واحد تفرُّقَ أيْرِ الضّبِّ والأصلُ واحد[2]

فهذا يؤكِّد ما رواه أبو خالد النميرى[3] ، عن أبى حيّة النُّميرى . قال أبو خالد[4] : سئل أبو حيّة عن ذلك ، فزعم أنَّ أير الضبّ كلسان الحيَّة : الأصل واحدٌ ، والفرعُ اثنان .

(زعم بعض المفسّرين فى عقاب الحية)

وبعضُ أهل التّفسير يزعمُ أنّ الله عزّ وجلّ عاقَبَ الحيَّة — حين أدخلَتْ إبليسَ فى جوفها حتَّى كلّم آدمَ على لسانها — بعشر خصال[5] ، منها شقُّ اللسان .

قالوا : فلذلك تَرَى الحيّةَ أبدًا إذا ضُربت[6] لتُقْتل كيف تُخرِجُ

---

(١) الذيال : الطويل الذيل . والمخايل : الذى يخايل غيره يفاخره ويباريه . انظر تاج العروس (٨ : ٣١٥ س ٢٧) . وفيما عدا ل وكذا فى اللسان : « المخائل » ولا وجه له ها هنا .

(٢) القرن ، بالكسر : كفؤك فى الشجاعة . أراد : لا زلتم فى جمكم وجمهرتكم قرنا لواحد ، دعا عليهم بالضعف .

(٣) سبق مع الخبر فى (٤ : ١٦٤) بلفظ : « أبو خلف النمرى » . وفيما عدا ل : « أبو خلة النميرى » .

(٤) فيما عدا ل : « أبو خلة » .

(٥) انظر ما سبق فى (٤ : ١٦٤ ، ١٩٩ — ٢٠٠) وسفر التكوين (٣ : ١٤ : ١٩) .

(٦) هذه الكلمة وما قبلها ساقطة من ﻫ . وفى ط ، س : « طلبت » . وسبق فى (٤ : ١٦٤) : « إذا ضربت للقتل » .

لسانَها ، تلوِيه كما يصنَعُ المسترحِمُ من النّاس بإصبعه إذا ترحَّم أو دعا ؛ لتَرِىَ الظالمَ عقوبة الله تعالى لها .

(قول بعض العلماء فى تناسل الضب)

قال أبو خالد[1] : قال أبو حيّة : الأصل واحد ، والفرع اثنان ، وللأنثى مَدْخَلان ؛ وأنشد حُبَّى المدنيَّة[2] :

وَدِدتُ بأنّه ضبٌّ وأنى   كضَبَّة كُدْيةٍ وَجَدَتْ خلاء[3]

قال : قالت هذا البيتَ لابنها ، حينَ عذَلَهَا ؛ لأنَّها تزوّجتْ ابنَ أمّ كلاب ، وهو [فتًى] حَدَثٌ ، وكانت هى قد زادت على النَّصَف[4] ، فتمنَّتْ أنْ يكون لها حِرَانِ ولزوجها أيران .

وقال ابن الأعرابىّ : للأنثى سَبيلانِ ، ولرحِمها قُرْنَتان[5] ، وهما زاويتا الرَّحِم . فإذا امتلأت الزَّاويتان أتأمتْ ، وإذا لم تمتلِئْ[6] أفردَتْ .

وقال غيرُه من العلماء : هذا لايكون لذوات البَيْض والفراخ ، وإنما

---

(١) أبو خالد ، باتفاق فى جميع النسخ . وانظر التنبيه ٣ من الصفحة السابقة .

(٢) ل : « المدينية » . قال ياقوت : « النسبة إلى مدينة الرسول مدنى مطلقا ، وإلى غيرها من المدن مدينى ، للفرق لالعلة أخرى . وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول أيضا مدينى » . وفى اللسان ، ونسبه يا قوت إلى الليث : « إذا نسبت إلى المدينة فالرجل والثوب مدنى ، والطير ونحوه مدينى لايقال غير ذلك ... وحمامة مدينية وجارية مدينية » . وقد سبق الحديث فى « حبى المدنية » فى (٢ : ٢٠٠) .

(٣) ل : « ضبية » صواب هذه : « ضبيبة » مصغر ضبة .

(٤) النصف ، بالتحريك : التى قد بلغت خمسا وأربعين ، أو خمسين ، كأنها بلغت نصف العمر . ل : « وقد زادت أم كلاب » ، س : « وقد ذادت هى على النصف » .

(٥) القرنتان ، بضم القاف .

(٦) س ، ه : « تمتل » ، فيكون قد سهله ثم عامله معاملة المعتل .

هذا من صفة أرحامِ اللواتى يَحْبلن بالأولاد ، ويضَعْنَ خلقاً كخلقهنّ ويُرْضعِنْ[1] . وكيف تُفرِد[2] الضبّة وهى لم تتمّ قط . وهى[3] تبيض سَبعين بيضةً فى كلِّ بيضةٍ حِسْل .

قال : ولهذه الحشرات أيورٌ معروفة ، إلّا أنّ بعضها أحقر[4] ، من بعض . فأما الخُصَى فشىءٌ ظاهرٌ لمن شَقّ عنها .

(تناسل الذباب)

وجَسَر أبو خالد ، فزعم أنه قد أبصر أيرَ ذُباب وهو يَكُوم ذبابَة[5] وزَعم أن اسم أيره المُتْك[6] . وأنشد لعبد الله بن همام السَّلولىّ[7] :

لما رأيْتُ القصْرَ غُلِّقَ بابه ... وتعلَّقَتْ هَمْدانُ بالأسبابِ[8]

أيقنْتُ أنّ إمارةَ ابنِ مُضاربٍ ... لم يَبْقَ منها قِيسُ أيرِ ذُبابِ[9]

وهذا شعرٌ لايدلُّ على ما قال .

وقال أصحابنا : إنّما المتك البظْر. ولذلك يقال للعِلْج : يابن المتْكاء[10] ، كما يقال له : يابن البَظراء .

---

(١) ل : « ويضعن » ، تحريف .
(٢) س: « وكيف لم تفرد » .
(٣) هـ : « وقد » .
(٤) أحقر : أصغر . وفى ل: « أخق » .
(٥) يكومها : يسفدها . س : « لا يكوم » و « لا » مقحمة .
(٦) المتك والمتك ، بضم الميم وفتحها .
(٧) سبق الشعر مجردا من النسبة فى (٣ : ٣١٧) . وانظر ثمار القلوب ٣٩٨ .
(٨) فيما عدا ل : « أغلق » . وهمدان ، بالدال المهملة : قبيلة من اليمن .
(٩) قيس ، بالكسر : أى مقدار .
(١٠) س ، هـ : «المتكى» ، تحريف .

٢٤ القولُ فيمن استطابَ[1] لحم الضب ومن عافه

رُوى أنَّه أُتِى [به] على خوان النبى صلى الله عليه وسلم فلم يأكله، وقال : « ليسَ مِن طعام قومى » .

وأكله خالد بن الوليد فلم يُنكر عليه .

ورووا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا أحِلُّه ولا أحرِّمه[2] » . وأنكر ذلك ابنُ عباس وقال : ما بَعثَه الله تعالى إلّا ليُحِلَّ ويحرِّم .

وحرَّمه قومٌ ، ورووَا[3] أنَّ أُمَّتين مُسِختا ، [أخذَت[4]] إحداهما فى البَرِّ ، فهى[5] الضِّبَاب ، وأخذت الأخرى فى طريق البحْر ، فهى الجِرِّىّ[6] .

وروَوْا عن بعض الفقهاء أنّه رأى رجلاً أكلَ لحم ضَبٍّ ، فقال : اعلمْ أنَّكَ قد أكلتَ شيخاً من مَشيخة بنى إسرائيل[7] .

وقال بعضُ من يعافه : الذى يدلُّ على أنّه مِسْخ شبَه كفِّه بكفِّ الإنسان .

---

(١) ط ، هـ : « استطاب له » ، محرف .

(٢) انظر تخريج هذا الحديث فى مفتاح كنوز السنة ص ٣٠٦ ، والكلام عليه فى تأويل مختلف الحديث ٣٤٠ — ٣٤٢ .

(٣) ط ، هـ : « ورأوا » تحريف .

(٤) التكلة من ل ، س .

(٥) ط ، هـ : « وهى » ، والتساوق يقتضى ماأثبت من ل ، س .

(٦) انظر (١ : ٢٣٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٩ / ٤ : ٦٨) .

(٧) المشيخة ، بفتح الميم وإسكان الشين ، وكذا بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ ، والشيخ جموع كثيرة . وهذا إشارة إلى مايروون أن أمة من بنى إسرائيل مسخت دواب فى الأرض . انظر الدميرى فى رسم (الضب) . ونقل ابن قتيبة من أحاديث الجاهلية قولهم إن الضب كان يهوديا عاقا فسخه الله ضبا . انظر تأويل مختلف الحديث ٣٦٢ .

وقال العُدَاز (١) الأبرص ، نديم أيّوب بنِ جعفر (٢) ، وكان أيّوبُ لا يغبّ أكلَ الضباب ، فى زمانها (٣) . ولها فى المِرْبَد سوقٌ تقوم فى ظلِّ دار جعفر (٤) . ولذلك قال أبو فِرعون (٥) ، فى كلمة له طويلة :

سُوقُ الضبَابِ خيرُ سوقٍ فى العَربْ

وكان أبو إسحاق إبراهيم النظام (٦) [والعُدار] ، إذا كان عند أيوب قاما عن خوانه (٧) إذا وضع [له] عليه ضبٌّ . وممَّا قال فيه العُدار (٨) قوله :

له كَفٌّ إنسانٍ وخَلْقُ عَظايةٍ وكالقِردوالخنزيرفىالمسْخِوالغَضَبْ (٩)

(١) كذا فى ل بهذا الضبط . وفى القاموس : « وسموا عدارا وعدرا » بضم العين وتخفيف الدال وتثقيلها . وفيما عدا ل : « العوام » .

(٢) هو أيوب بن جعفر بن سليمان العباسى ، ذكره الجاحظ فى جماعة من خطباء الهاشميين وقال : « هؤلاء كانوا أعلم بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة من المعروفين برواية الأخبار » . انظر البيان (١ : ٣٣٥) .

(٣) لايغب : من الغب ، وهو أن يرد يوما ويدع يوما . أراد أنه يواظب على أكلها . وفيما عدا ل : « لايعيب أكل الكلاب فى زمانه » ، تحريف .

(٤) الكلام من مبدإ : « وكان » إلى هنا ساقط من ه . وفيما عدا ل : « يقوم » . والسوق تذكر وتؤنث .

(٥) ذكره ابن النديم فى الفهرست ٢٣٣ مصر ١٦٤ ليبسك فى جماعة من الشعراء المقلين قال : «أبو فرعون الشاسى ، ثلاثون ورقة » . وانظر الشعراء لابن المعتز ٣٧٦ .

(٦) فيما عدا ل : « وكان هو وإبراهيم النظام » . وسقط اسم : « العدار » من سائر النسخ ، والعبارة تستقيم بذلك ، بجعل الضمير للعدار السابق ذكره .

(٧) الخوان بضم الخاء وكسرها : المائدة يوضع عليها الطعام ، والجمع أخونة فى القليل ، وفى الكثير خون ، بضم الخاء وإسكان الواو ، وهو فارسى معرب . انظر المعرب ١٢٩ واستينجاس ٤٨٠ . وقال الجواليقى : إنهما لغتان جيدتان ، وأضاف إليهما ثالثة وهى إخوان . وفى المعيار أن جمع الثالثة أخاوين ، كديوان ودواوين . وجعل ابن قتيبة لغة الضم من لغات العامة . انظر أدب الكاتب ٢٩٣ .

(٨) فيما عدا ل : « فيها » . وفى ط ، ه : « العرار » براءين ، وفى س : « العذار » بالذال المهملة ، صوابه ماأثبت من ل .

(٩) ل : « عظاءة » بالهمز ، وهما لغتان . ه : « عضاية » تحريف . ط ، س : « والعصب » ، ه : « والعضب » ، صوابهما فى ل . وهو إشارة إلى مافى قول الله : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت » ، من الآية ٦٠ من سورة المائدة .

(قول العوامّ في المسخ)

والعوامّ تقول [ذلك] . وناسٌ يزعمون أن الحيّة مِسخ ، والضبّ مِسْخ ، والكلبَ مِسْخ[1] ، والإربيان[2] مِسخ ، والفأر مسخ .

(قول أهل الكتاب فى المسخ)

ولم أر أهلَ الكتاب يُقِرّون بأنّ الله تعالى مسخ إنساناً قط[3] خنزيراً ولا قرداً . إلاّ أنهم [قد[4]] أجمعوا أنّ الله [تبارك و] تعالى قد مسَخَ امرأة لُوطٍ حَجَراً ، حين التفتَتْ[5] . وتزعم الأعراب[6] : أنّ الله [عزّ ذكره]

(١) انظر لمسخ الكلب ماسبق فى (١ : ٢٢٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٣٠٨) . والجملة ساقطة من ل .

(٢) الإربيان ، بكسر الهمزة والباء : ضرب من السمك ، يسمى فى الإسكندرية برغوث البحر ، ويعرف عند سائر المصريين بالجمبرى . وهو بالإنكليزية : Shrimp ط ، ﻫ : « الاربال » س : « الارتبان » صوابه فى ل . ونقل ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ٢٦٤ زعم أهل الجاهلية أن الإربيانة كانت خياطة تسرق الخيوط . فسخت .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س . وموضعها فى ط ، ﻫ قبل : « مسخ » . وكلمة : « بأن » هى فيما عدا ل : « أن » .

(٤) هذه الكلمة من س فقط .

(٥) وذلك فيما يروى المفسرون أنها التفتت حين سمعت هدة العذاب ، وقالت : واقوماه ! وفى الكتاب العزيز : « فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك » سورة هود ٨١ وتفسير أبى حيان (٥ : ٢٤٨) . وفى سفر التكوين (١٩ : ١٧) : « لا تنظر إلى ورائك ولاتقف فى كل الدائرة » . والخطاب للوط . وفى التكوين أيضا (١٩ : ٢٤ - ٢٦) : « فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا وناراً من عند الرب من السماء . وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض . ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح » . وانظر إنجيل لوقا (١٧ ٣١ - ٣٢) .

(٦) س : « وقالت الأعراب » ط ، ﻫ : « وتقول » ، وأثبت مافى ل .

قد مسخ كلَّ صاحب مَكْس وجابِي خراج وإتاوة ، إذا كان ظالما . وأنه مسخ ماكسين ، أحدهما ذئباً والآخر ضبعاً .

(شعر الحكم بن عمرو فى غرائب الخلق)

وأنشد محمَّد بن السَّكَن المعلِّم النحوىّ[1] ، للحكم بن عمرو البهرانى ، فى ذلك وفى غيره شعراً عجيباً، وقد ذكر فيه ضروباً كلُّهَا طَرِيف[2] غريب ، وكلها باطل ، والأعراب تؤمن بها أجْمع .

وكان الحكمُ هذا أتَى بَنِى العنبر بالبادية ، على أنَّ العنبر من بَهْراء[3] فنفوه من[4] البادية إلى الحاضرة ، وكان يتفقَّه ويُفتى فُتيا الأعراب[5] ، وكان مكفوفا [و] دهريًّا عُدْمُليًّا[6] ، وهو الذى يقول :

١ إنَّ ربِّى لِمَا يشاءُ قديرٌ ما لِشىءٍ أرادَهُ مِنْ مَفَرِّ

٢ مَسَخَ الماكِسَينِ ضَبْعاً وَذئباً فلهذا تناجَلاَ أُمَّ عَمْرو

---

(١) ذكره الجاحظ فى البيان (١ : ٢٥٢) .

(٢) فيما عدا ل : « ظريف » ، بالظاء المعجمة .

(٣) بهراء هم بنو عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ونسبهم فى اليمن . وأما العنبر فهم من بنى عمرو ابن تميم بن مر بن أد بن طابخة ، ونسبهم فى مضر .

(٤) ل : « عن » .

(٥) فتيا الأعراب : ضرب من الألغاز التى يراد بها إظهار المقدرة اللغوية . ويتجلى هذا الفن بوضوح فى المقامة ٣٢ من مقامات ابن الحريرى ، مثل قوله فيها : « قال أيصلى على رأس الكلب ؟ قال : نعم كسائر الهضب . قال : فهل يجوز السجود على الكراع ؟ قال نعم ، دون الذراع » . وكان الشافعى ممن يفتى هذه الفتيا . « سئل هل تسمع شهادة الخالق ؟ قال : لا ولا روايته » . والخالق هنا بمعنى الكاذب . وانظر المزهر (١ : ٣٦١ - ٣٦٧) .

(٦) العدملى ، بضم العين والميم : الهرم المسن . ط ، س : « مليا » ، محرف .

٣ بَعَثَ النَّمْلَ والجرادَ وقَفَّى بِنَجِيعِ الرُّعافِ فى حىٍّ بكْرِ

٤ خَرَقَتْ فارَةٌ بأَنفٍ ضئيلٍ عَرِماً مُحْكَمَ الأسَاسِ بصخرِ (١)

٥ فجَّرته وكانَ جيلان عنهُ عاجزاً لو يَرُومُه بعد دَهْرِ (٢)

٦ مَسَخَ الضَّبَّ فى الجدَالة قِدْماً وسُهَيْلَ السَّماءِ عمداً بصُغْرِ (٣)

٧ والذى كانَ يكتِنى بِرِغَالٍ جَعَلَ اللهُ قَبْرَهُ شَرَّ قَبْرِ (٤)

٨ وكذا كلُّ ذى سَفِينٍ وخَرْجٍ ومُكوسٍ وكلُّ صاحبِ عُشْرِ (٥)

٩ مَنكِبٌ كافرٌ وأشراطُ سَوْءٍ وعريفٌ جَزاؤُه حَرُّ جَمْرِ (٦)

١٠ وتزوَّجْتُ فى الشَّبيبةِ غُولًا بغزالٍ وصِدْقَتى زِقُّ خمرِ (٧)

١١ ثيِّبٌ إن هَوِيتُ ذلك مِنْها وَمَتى شِئْتُ لم أجِدْ غيرَ بِكرِ

١٢ بنتَ عمرٍو وخالُهَا مِسحَلُ الخيْـ ـرِ وخالِى هميمُ صاحبُ عَمرِو (٨)

١٣ ولهَا خُطَّةٌ بأَرضٍ وَبارٍ مَسَحُوها فكان لى نصفُ شَطرِ

١٤ أرضُ حُوشٍ وجامل عَكَنانٍ وعُروج من المؤبَّل دَثْرِ (٩)

---

(١) ط ، هـ : « وصخر » ، صوابه فى ل ، س وثمار القلوب ٣٢٨ .

(٢) جيلان ، هى فيما عدا ل : « غيلان » محرف . وسيأتى تفسير الجاحظ لهذه القصيدة .

(٣) الجدالة ، بفتح الجيم : الأرض . فيما عدا ل : « الحبالة » محرف . الصغر ، بالضم : الذل . ط : « بصقر » س : « بصفر » ، صوابهما فى ل ، هـ .

(٤) هو أبو رغال ، بكسر الراء . وسيأتى حديث الجاحظ فيه .

(٥) فيما عدا ل : « وكان صاحب » ، محرف .

(٦) المنكب ، كمجلس : العريف ، أو عون العريف ، أو رأس العرفاء . ل : « وأشراط سوق » ، تحريف .

(٧) الصدقة ، بفتح فضم ، وكغرفة وصدمة ، وبضمتين وبفتحتين ، وككتاب وسحاب : مهر المرأة . ط فقط : « كغزال » ، محرف .

(٨) ط : « مستحل الخير وخالى حميم » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٩) ل : « أرض خص » محرف . والجامل العكنان ، بفتح العين والكاف ، وفى غير هذا الشعر بسكون الكاف أيضا : الإبل الكثيرة العظيمة . س : « وحامل » =

١٥ سَادَةُ الجنّ ليس فيها من الجـ نِّ سوى تاجر وآخرَ مُكْرِ[1]

١٦ ونَفَوْا عن حريمها كلَّ عِفْرٍ يسرِقُ السَّمْعَ كل ليلة بدرِ

١٧ فى فُتُوٍّ مِنَ الشِّنِقناقِ غُرٍّ ونساءٍ من الزوابع زُهْرِ[2]

١٨ تأكل الفولُ ذا البساطة مِسْياً بَعْدَ روْثِ الحمار فى كلِّ فجرِ[3]

١٩ جَعَلَ اللهُ ذلك الرَّوثَ بيضا من أَنُوقٍ ومِنْ طَرُوقة نَسْرِ[4]

٢٠ ضُربت فَرْدةً فصارَتْ هباءً فى محاق القُمير آخِرَ شَهْرِ[5]

٢١ تركَتْ عبدلاً ثِمالَ اليتامَى وأخوه مزاحم كان بكرِى[6]

٢٢ وَضَعَتْ تِسعةً وكانت نَزورا مِن نساء فى أهلها غير نزرِ[7]

٢٣ غَلَبَتْنِى على النَّجَابَةِ عِرْسى بعدماطار فىالنَّجَابةِ ذِكْرِى[8]

= ط ، هـ : « وكامن » صوابهما فى ل . وفى ط ، س : « عكفان » صوابه فى ل ، هـ . والمؤبل : الكثير ، أو الذى جعل قطيعا قطيعا . فيما عدا ل : « المؤمل » تحريف .

(١) المكرى : الذى يكريك دابته . فيما عدا ل : « مكر » .

(٢) الفتو ، بضم أوله وثانيه : جمع فتى . والشنقناق ، بكسر الشين والنون وسكون القاف : رئيس للجن . والزوابع : جمع زوبعة ، وهو اسم شيطان أو رئيس الجن . هـ : « فنون » ل : « فنون من » ، صوابهما فى ط ، س . ط : « الشنقبات » ، هـ : « الشنقبان » س : « الشنقنان » صوابه فى ل . وفيما عدا ل : « من الروائع » محرف .

(٣) المسى ، بالضم والفتح : المساء . ل : « مشيا » . وفى ط ، هـ : « ذا السياطة » بالياء .

(٤) طروقة النسر ، بفتح الطاء : أنثاه . وأصلها فى الإبل . س : « بر » .

(٥) فردة : أى ضربة واحدة . فيما عدا ل : « قردة » تحريف . وفى ط فقط : « فصارت خصبا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٦) ل : « عندلا » بالنون ، و : « مراغم » بدل : « مزاحم » . وفى ط : « كاين بكر » وهذه محرفة . وفى س : « كابن بكر » ، وأثبت مافى ل ، هـ .

(٧) النزور ، بفتح النون وضم الزاى : القليلة الولد ، والجمع نزر بضمتين ، وسكن للشعر . ط : « نذورا » و « نذر » بالذال ، تحريف .

(٨) س : « بعد ماطال » ل : « بعد أن طال » .

٢٤ وأرَى فيهمُ شمائلَ إنْسٍ   غيْرَ أنَّ النِّجار صُورَةُ عِفرِ

٢٥ وبها كنتُ راكباً حشراتٍ   مُلْجِماً قُنفُذاً ومُسْرِجَ وبْرِ (١)   ٢٦

٢٦ كُنتُ لا أركَبُ الأرانب للحيـ   ـض ولا الضَّبْع أنَّها ذاتُ نكْرِ

٢٧ تَركَبُ المقْعَصَ المحيِّف ذا النَّعْـ   ـظِ وتدعُو الضِّباعِ من كلِّ جُحْرِ (٢)

٢٨ جائباً للبحار أُهْدِى لعِرْسى   فلفُلا مجتنًى وهضمَة عِطْرِ (٣)

٢٩ وأحلِّى هُرَيرَ من صَدفِ البَحْـ   ـرِ وأسْقِى العِيالَ مِنْ نيلِ مِصْرِ (٤)

٣٠ ويسنِّى المعقُودَ نَفْثِى وحَلِّى   ثمَّ يخْفَى على السَّواحرِ سِحرِى (٥)

٣١ وأجوب البلاد تَحْتِىَ ظَبْىٌ   ضَاحِكٌ سِنُّهُ كثيرُ التَّمرِّى (٦)

٣٢ مُولجٌ دُبْرَهُ خوايَة مَكْوٍ   وَهوباللَّيلِ فى العفاريت يَسْرِى (٧)

٣٣ يَحْسَبُ النَّاظِرُون أنِّى ابنُ مَاءٍ   ذاكرٌ عُشَّهُ بضَفَّةِ نهرِ

٣٤ ربَّ يوم أكلْتُ من كَبدِ اللَّيـ   ـثِ وأعقبتُ بَيْنَ ذِئْبٍ ونمرِ (٨)

٣٥ ليس ذاكُمْ كمن يبيتُ بَطِيناً   من شِوَاءٍ ومن قليَّةِ جُزْرِ

---

(١) ل : « أركب الحشرات » ، هـ : « وملجم بدر » ، وهذه محرفة .

(٢) المقعص : الذى ضرب فقتل مكانه . والنعظ : الانتشار . فيما عدا ل : « النفط » . تحريف .

(٣) فى الأصل : « جائيا » ، وفيما عدا ل : « مجتنا » ، صوابهما ماأثبت . والهضمة : واحدة الأهضام ، وهى الطيب أو البخور . ط ، س : « هضبة » هـ : « هصبة » صوابهما ماأثبت من ل .

(٤) هرير : ترخيم هريرة ، وهو علم من أعلامهن . س فقط : « الهرير » .

(٥) سنى العقد : سهله وفتحه . وفى قول القائل :

وأعـلم علما ليس بالظن أنه   إذا الله سنى عقد أمر تيسرا

ط ، س : « ويسىء المعقود » ، هـ : « ونسى المقود بعنى وحليى » ، صوابهما فى ل .

(٦) هـ : « سره » مكان : « سنه » تحريف .

(٧) الخواية ، بالفتح : أراد بها متسع داخل الكناس . وأصل الخواية متسع داخل الرحل . والمكو ، بالفتح وآخره واو : جحر الثعلب والأرنب ونحوهما ، أراد به الكناس . وفيما عدا ل : « جوانة مكر » ، تحريف .

(٨) أعقب بينهما : ركب أحدهما عقب صاحبه . ل : « أعقبت » تحريف .

٣٦ ثمّ لاحَظْتُ خلّتى فى غُدُوٍّ بَيْنَ عَيْنى وعَيْنِها السَّمُّ يجرى

٣٧ ثم أصبحتُ بعد خَفْضٍ ولَهْوٍ مُدْنَفاً مُفْرَداً محالِفَ عُسْرِ[1]

٣٨ أتراني مَقَتٌ مَن ذَبحَ الدِّيـ ـكَ وعادَيْتُ من أهابَ بصَقْرِ[2]

٣٩ وسَمِعْتُ النقيقَ فى ظُلَمِ اللَّيـ ـلِ فجاوبْتُه بسِرٍّ وجَهْرِ

٤٠ ثمَّ يُرمَى بى الجحيمُ جِهاراً فى خمير وفى دراهم قمرِ[3]

٤١ فلعَلَّ الإلٰه يَرْحَمُ ضَعْفِى ويَرى كَبْرَتى ويَقْبَلُ عُذْرى

(القول فى حل الضب واستطابته)

وسنقول فى الذين استحلوه واستطابوه وقدّموه .

قالوا : الشيء لا يحرم إلاّ من جهة كتابٍ ، أو إجماعٍ ، أو حجةِ عقل ، أو من جهة القياس على أصل فى كتاب [الله عزّ وجلّ] ، أو إجماع . ولم نجدْ فى تحريمه شيئا من هذه الخصال ، وإن كان إنَّما يُترك من قِبلِ التقزز ، فقد أكلَ الناسُ الدَّجاجَ ، والشبابيط ، ولحوم الجلاَّلة ، وأكلوا السراطين ، [والعقصير[4]] ، وفراخ الزّنابير ، والصحناء[5]

(١) ل : « بين » ط : « بمض » بدل : « بعد » ، صوابهما ماأثبت من ل ، س .

(٢) ط : « من ذبحى الديك » ، محرف .

(٣) كذا ورد عجزه غامضا . وفى ل : « وفى دونهم » .

(٤) كذا وردت الكلمة فى س . وبدلها فى ل : « العقيصين » وقد رجعت إلى حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملى فى تحقيق هذه الكلمة ، فقال : صوابها القنسير أو القنصير ، ولفظه اللاتينى : Cancer وهو ضرب من كبار السراطين ، وهو باليونانية : Karkinos » . قلت : ولعل هذا يصحح ما سبق فى (٤ : ٤٥) من قول الجاحظ : « رأى فيه مالايرى صاحب الكسمير فى كسميره » عند الكلام على أكل السراطين ونحوها . وانظر الاستدراكات .

(٥) سبق تفسيرها فى (٣ : ٢٩٥) وفى ل ، ط : « الصحناة » وهى لغة صحيحة أيضا .

والرَّبِيثا[1] فكان التقزُّز ممـا يغتذى[2] العذِرةَ رطْبةً ويابسة ، أولى وأحقَّ من كلِّ شىء يأكل الضروب التى قد ذكرناها وذكرها الرَّاجز حيث يقول[3] :

يَا رُبَّ ضَبٍّ بين أكنافِ اللِّوَى	رعى المُرارَ والكَبَاثَ والدَّبا[4]
حَتَّى إذا مانَاصِلُ البُهْمَى ارتمى[5]	وأجفِئَتْ فى الأرض أعْرَافُ السَّفَا[6]
ظَلَّ يبارِى هُبَّصاً وَسْطَ المَلاَ[7]	وهو بعَيْنَىْ قَانصٍ بالمرْتَبَا[8]
كانَ إذا أخْفَقَ مِن غيرِ الرعا[9]	رازَمَ بالأكباد منها والكُشَى[10]

٢٧

(١) الربيثا : ضبط فى مفاتيح العلوم ١٠٠ بضم الراء وفتح الباء مع المد . قال : « الربيثاء والصحناء والصير : السميكات تعمل من السمك الصغار والملح » . ولم ترد هذه الكلمة فى المعاجم ولا فى كتب المعربات . وهى من السريانية : « ربيثا » بفتح أوله وكسر ثانيه مع القصر ، وهو ضرب من صغار السمك . انظر استينجاس ٥٦٩ . فيما عدا ل : « الدشا » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « يتغذى » .

(٣) ل : « التى قد ذكرها الراجز فقال » .

(٤) المرار بالضم : شجر مر . هـ : « المراد » تحريف . والكباث ، بالفتح : النضيج من ثمر الأراك . والدبا ، بالفتح : الجراد قبل أن يطير .

(٥) نصلت البهمى : ظهر منها نصلها ، وهو ماتبرزه وتندر به من أكنّها . وقد مر تفسير البهمى فى (٤ : ٣٣٥) . ط : « ناضل » بالمعجمة ، تحريف .

(٦) أجفئت ، بالبناء للمجهول : أكفئت وأميلت . ل : « واحفات » هـ : « وأجعلت » ط ، س : « وأجفلت » والصواب ما أثبت . والسفا ، بالفتح : أطراف البهمى . وأعرافها : أعاليها .

(٧) يباريها : يعارضها ويسابقها . ل : «يبرى» ، فيما عدا ل : «يلوى» ، صوابهما ماأثبت . هبصا : جمع هابص وهو الحريص على الصيد القلق . ل : « هبطا » تحريف . والملا : المتسع من الأرض . يحدث أنه يعارض كلاب الصائد ويباريها .

(٨) بعينى قانص : أى بحيث يراه . والمرتبأ : المرقب والموضع الذى يشرف عليه .

(٩) كذا فيما عدا ل . وفى ل : « من خير الرعا » ، والكلام محرف .

(١٠) فى اللسان : « المرازمة الموالاة ، كما يرازم الرجل بين الجراد والتمر » . والأكباد : جمع كبد . ط فقط : « بالإكبار » تحريف . والكشى ، جمع كشية ، بضم الكاف فيهما ، وهى شحمة فى ظهر الضب . وقد رسمت فى الأصل بالألف .

فإنْ عفتموه لأكل الدَّبا فلا تأكلوا الجراد ، ولا تستطيبوا بَيضه .

وقد قال أبو حجين المنقرىّ [١] :

ألا لَيت شِعرِى هل أبيتنّ ليلة ... بأسفل وادٍ ليس فيه أذانُ [٢]

وهل آكُلَنْ ضَبًّا بأسفَل تَلْعَةٍ ... وعَرْفجُ أكماع المَديد خوانى [٣]

أقومُ إلى وقْتِ الصَّلاةِ ورِيحُهُ ... بكَفَّيَّ لم أغسِلْهُما بشُنَانِ [٤]

وهل أشرَبَنْ مِنْ ماءِ لِينةَ شرْبةً ... على عَطَش من سور أمّ أبان [٥]

وقال آخر :

لَعَمْرِى لَضَبٌّ بالعُنيزَة صَائف ... تضحَّى عَرَاداً فهو يَنْفخ كالقَرِمْ [٦]

---

(١) لم أعثر له على ترجمة . وفى ل : « أبو حجير » .

(٢) يعنى البادية ، حيث لا مسجد تقام فيه الصلوات . وفى البيت إقواء .

(٣) العرفج : ضرب من النبات سهلى . والأكماع : جمع كمع بالكسر ، وهى أماكن من الأرض ترتفع حروفها وتطمئن أوساطها . والمديد : موضع قرب مكة ، كما فى القاموس . والخوان : مر الكلام عليه فى ص ٧٨ . ط : « عريج » س ، ﻫ : «عريج» صوابهما فى ل . وفى ل « المزيد » تحريف ، صوابه بالمهملتين . فيما عدا ل : « خوان » والوجه الإضافة ، جعل من العرفج خوانا له .

(٤) الشنان ، بالضم : الماء البارد . وأراه أراد « الأشنان » فرخمه . والأشنان بضم الهمزة وكسرها : الحرض الذى تغسل به الأيدى بعد الطعام ، فارسى معرب وهو عشب قلوى يضاف إليه الرماد ثم تغسل به الأيدى والملابس . وفى معجم استينجاس : The herb alkali and the ashes which are made from it, with which they wash clothes and the hands after eating

(٥) لينة ، بالكسر : موضع فى بلاد نجد . وفيما عدا ل : « من سوم ران أبان » لكن فى س : « أيان » بالياء المثناة التحتية .

(٦) عنيزة ، بالتصغير : واد من أودية اليمامة . قال ياقوت : « أدخل بعض الأعراب عليها الألف واللام فقال ... » وأنشد هذين البيتين . صائف : دخل فى زمان الصيف . فيما عدا ل : « ضائف » بالمعجمة ، تحريف . تضحى : أكل فى وقت الضحى ، كما يقال تغدى وتعشى فى الغداء والعشاء . وقد عداه إلى العراد ، ولم ترد هذه التعدية فى المعاجم ، وانظر ما أسلفت من القول فى تعدية : « تعشى » فى حواشى ص ٥٢ — ٥٣ . والعراد ، كسحاب وآخره دال : ضرب من النبات تألفه الضباب . والقرم ، بفتح فكسر : الفحل المتروك المحلة . انظر اللسان (١٥ : —

أحبُّ إلينا أنْ يجاورَ أرْضَنَا ... من السَّمَكِ البُنِّىِّ والسَّلْجَم الوَخِمْ (١)

وقال آخرُ فى تفضيل أكل الضبّ (٢) :

أقولُ له يوماً وقد راح صُحْبَتى ... وبالله أَبغى صَيْدَهُ وأخاتِلُهْ (٣)

فلمَّا التقَتْ كَفِّى على فَضْلِ ذَيلِهِ ... وشالت شِمالى زايَلَ الضبَّ باطِلُهْ (٤)

فأصبح محنوذاً نَضِيجاً وأصبحَتْ ... تَمَشَّى على القِيزَان حُولًا حلائلُهْ (٥)

شديد اصفرار الكُشْيتَين كأنّما ... تطَلَّى بورْس بَطْنُه وشواكِلُهْ (٦)

فذلك أشْهَى عِنْدَنا من بيَاحِكُمْ ... لَحَى اللهُ شارِبِه وقُبِّح آكِلُهْ (٧)

= ٣٧٣ س ٨) مع الفائق للزمخشرى (٢ : ١٦٠) . ط : هـ : « يضحى » س : « يصحي » ، صوابهما فى ل وياقوت . وفيما عدا ل : «عرارا» براءين ، تحريف . وفيما عدا ل أيضا : « بالقرم » ، صوابه فى ل وياقوت .

(١) البنى ، بضم الباء : ضرب من السمك سبق القول فيه فى (٥ : ٣٦٩) . وانظر أيضاً (١ : ١٤٩ ، ١٥١ / ٣ : ١٨) . ورواية ياقوت : « الحريت » صوابه : « الجريث » . والسلجم : ضرب من البقول ، وهو اللفت : A turnip فارسى معرب ، وهو بالفارسية « شلغم » كما فى معجم استينجاس . الوخم : الثقيل الذى لايستمر أو لاتحمد مغبته . فيما عدا ل : « الرخم » ، تحريف .

(٢) الشعر فى عيون الأخبار (٣ : ٢١٢) ومحاضرات الراغب (١ : ٢٩٢) .

(٣) فى عيون الأخبار : « ترى أبتغى » .

(٤) شالت : ارتفعت . زايله : فارقه . ط : « زابل » هـ : « زانل » تحريف .

(٥) المحنوذ : المشوى . ط : « مجنوزا » تحريف : والقيزان ، بالكسر : جمع قوز ، بالفتح ، وهو الرمل العالى . ل: « الفيران » ، تحريف . والحول: بالضم : جمع حائل ، وهى التى لم تحمل . والحلائل : جمع حليلة ، وهى الزوجة .

(٦) للضب كشيتان : وهما شحمتان مبتدئتا الصلب من داخل من أصل ذنبه إلى عنقه ، وقيل على موضع الكليتين ، وهما شحمتان على خلقة لسان الكلب صفراوان عليهما مثل المقنعة السوداء . ط ، س : « الكشتين » هـ : « المكشيتن » صوابهما فى ل . تطلى من الطلاء . فيما عدا ل : « يظل » ، تحريف . والشواكل : جمع شاكلة ، وهى الخاصرة .

(٧) البياح ، بكسر الباء مخفف ، وكشداد : ضرب من السمك صغار أمثال شبر . وفى اللسان : « وقيل الكلمة غير عربية » . وجعله المعلوف فى مقابل مايسمى فى مصر : « البورى » وهو بالإنكليزية : Grey mullet أو Mugil وفيما عدا ل : « نتاجكم » . وفى أصل عيون الأخبار : « أياحكم » ، صوابه ما أثبت من ل .

وقال أبو الهِنْدِيّ(١) ، من ولد شبَثِ بن رِبْعِيّ(٢) :

أَكَلْتُ الضِّبابَ فما عِفْتُها وإنِّى لأهْوَى قديد الغَنَمْ(٣)

ورَكَّبتُ زُبدًا على تَمرةٍ فنِعْمَ الطَّعامُ ونِعْمَ الأُدُمْ(٤)

وسَمْنَ السِّلاءِ وكَمْءَ القَصيصِ وزينُ السَّديفِ كُبودُ النَّعَمْ(٥)

ولحم الخروف حَنيذاً وقَدْ أُتيت به فائراً فى الشَّبِم(٦)

(١) تقدمت ترجمته فى (٥ : ٥٦٨) .

(٢) شبث ، بالتحريك ، وهو بالشين المعجمة فالباء الموحدة فالثاء المثلثة . وربعى ، بكسر الراء وسكون الباء . ط ، هـ : « سيب » س : « شيت » ، والصواب فى ل . جعله ابن حجر فيمن له إدراك ورواية . وكان مؤذن سجاح التى ادعت النبوة ، ثم راجع الإسلام ، ثم كان من أعان على عثمان ، ثم صحب عليا ، ثم صار من الخوارج عليه ، ثم تاب ، ثم كان فيمن قاتل الحسين ، ثم كان ممن طلب بدم الحسين مع المختار ، ثم ولى شرطة الكوفة ، ثم حضر مقتل المختار . فهو مثل من أمثلة التقلب والتلون . ومات بالكوفة فى حدود السبعين أو الثمانين . انظر الإصابة ٣٩٥٠ وتهذيب التهذيب (٤ : ٣٠٢) .

(٣) فى عيون الأخبار : « لأشهى » . يقال شهيت الشىء ، بكسر الهاء ، أشهاه : أى اشتهيه . والقديد : ما قطع من اللحم وشرر ، وهو أيضا اللحم المملوح المجفف فى الشمس .

(٤) الأدم ، بضم أوله : الإدام ، وهو ما يؤكل به الخبز . وقد ضم الدال للشعر .

(٥) السلاء ، بالكسر : اسم لما يسلأ . سلأ الزبد يسلؤه سلأ : طبخه وعالجه ليخلص منه السمن . وفى الأصل : « السلا » تحريف . والكمء : واحدة الكمأة ، وهو نبات ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر . وشذ أبو خيرة وحده ، فجعل الكمء للجميع والكمأة للمفرد . انظر اللسان . والقصيص : جمع قصيصة ، وهى شجرة تنبت فى أصلها الكمأة . والسديف : شحم السنام . والكبود : جمع كبد . أى أن كبود النعم تزين السديف . ط : « وكماء » س ، هـ : « وكمأ » ، ل : « وكم » ، والوجه ما أثبت . وفى ل : « القميص » تحريف . وفى ل أيضاً : « ودين السديف » محرف . ط ، س : « كبرد النعم » ، صوابه فى ل ، هـ . ولم يرو ابن قتيبة فى عيون الأخبار هذا البيت .

(٦) حنيذا : مشويا . وفائرا : أراد به الحار ، وأصله من القدر تفور ، أى تغلى وتجيش . وفيما عدا ل : « جامدا » ، تحريف . ورواية ابن قتيبة والدميرى : « فاترا » بالتاء ، وهو الذى سكنت حرارته . والشبم ، بالتحريك : البرد ، ل : « الشيم » هـ : « السبم » ، محرفتان .

فأمَّا البَهطُّ وحِيتانُكُمْ فما زِلْتُ منها كَثِيرَ السَّقَمْ[١]

وقد نِلْتُ ذاكَ كما نِلْتُمُ فلم أرَ فيها كضَبٍّ هَرِمْ

٢٨ وما فى البُيُوضِ كبَيْضِ الدَّجاجِ وبَيْضُ الجراد شِفاءُ القَرِمْ[٢]

ومَكنُ الضِّبابِ طَعامُ العُرَيبِ ولا تَشْتَهِيهِ نُفُوسُ العَجَمْ[٣]

وإلى هذا المعنى ذهب جران العود[٤] ، حين أطعَمَ ضيفَه ضَبًّا ، فهجاه ابن عمٍّ له كان يُغمَزُ فى نسبِه ، فلما قال [فى] كلمةٍ له :

وتُطْعِمُ ضَيْفَكَ الجَوْعانَ ضَبًّا وتأكلُ دُونَهُ تَمْراً بزُبْدِ

وقال فى كلمة له أخْرَى :

وتُطْعِمُ ضَيفَكَ الجَوْعانَ ضبًّا كأنَّ الضَّبَّ عندهمُ غَرِيبُ

قال جران العود[٤] :

---

(١) البهط ، محركة مشددة الطاء ، الأرز يطبخ باللبن والسمن ، معرب : هنديته « بهتا » كذا فى القاموس ، وفى اللسان : « وهو معرب، وبالفارسية بتا » ، وأنشد البيت . والحق أن الكلمة هندية الأصل ، ودخلت فى اللغة الفارسية ثم انتقلت منها إلى العربية . وما فى اللسان تحريف ، إذ أن « بتا » وترسم فى الفارسية : « بته » يراد بها الأرز المجفف : « Dried rice » . انظر استينجاس ١٥٥ ، وهى مأخوذة من الهندية . والكلمة تقال بوجهين فى الفارسية : « بهت » و « بهط » وفسره استينجاس بأنه الأرز يطبخ باللبن والسمن : « Rice dressed with milk and butter » وأشار إلى أن كلا اللفظين مأخوذ من الهندية . ط ، س : « النبيط » ، ﻫ : « النبط » صوابهما فى ل وسائر المصادر .

(٢) البيوض : جمع بيض . وانظر ماسبق من الكلام على طيب بيض الجراد فى (٥ : ٥٦٥ — ٥٦٦) . وعند الدميرى : « وبيض الدجاج » . ووجه الرواية ما أثبت من الأصل ، وهى توافق رواية اللسان (٢ : ٧٥) .

(٣) المكن ، بالفتح : جمع مكنة بالفتح ، وهو بيض الجراد والضباب ونحوها . ويقال أيضا مكن ومكنة ، بفتح الميم وكسر الكاف فيهما . وقد أنشد البيت فى اللسان . والعريب ، بهيئة التصغير : العرب ، قال ابن منظور : « صغرهم تعظيما » . وأنشد الأبيات الأربعة الأخيرة فى هذه المادة (٢ : ٧٥) . وهذا البيت الأخير أنشده ابن سيده فى (١٦ : ٨٣ / ١٧ : ١٠) . ورواه ابن منظور فى (٢ : ٧٥) برواية : « لاتشتهيه » بإسقاط الواو ، ومثلها رواية المعرى فى الفصول والغايات ٤٧١ ، وتقرأ هذه الرواية بنقل باء « العريب » إلى أول عجز البيت .

(٤) ل : « سحر العود » .

فلولا أنَّ أصلَكَ فارسيٌّ لَمَا عبْتَ الضِّبابَ ومَنْ قَرَاها(١)

قريتُ الضيفَ من حُبِّي كُشَاها وأيُّ لَوِيّة إلاّ كُشَاها(٢)

واللَّوِيَّة : الطُّعيِّم الطيِّب ، واللَّطف(٣) يرفع للشَّيخِ والصَّبى . و [قد] قال الأخطل(٤) :

فقلتُ لهُمْ هاتوا لَوِيةَ مالكٍ وإنْ كان قد لاقى لَبوساً ومَطْعماَ(٥)

(بزماورد الزّنابير)

وقال مُويس بن عمران(٦) : كان بشر بن المعتَمر(٧) خاصًّا بالفضل

(١) أى قراها ضيوفه ، جعلها قرى لهم . فيما عدا ل : « لما عفت » وعاف الشيء يعافه : كرهه . والعائف ، الكاره للشيء المتقذر له . ومنه الحديث : « أنه أتى بضب مشوى فلم يأكله وقال : إنى لأعافه ، لأنه ليس من طعام قومى » .

(٢) فيما عدا ل : « قريت الشبب » . وفى ط ، ه : « من حر » وفى س : « من حى » وفى ط ، ه : « إلا كساها » ، والصواب ما أثبت . من حبى : أى من حبى له . والكشى ، بضم ففتح : جمع كشية بالضم .

(٣) اللوية ، بوزن غنية . والطعيم : مصغر الطعام . واللطف ، بالتحريك : التحفة والهدية . وفيما عدا ل : « الطعم الطيب اللطيف » . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٤) من قصيدة له فى ديوانه (١٤٣ — ١٥١) . والبيت يقوله فى ضيف نزل به . وقبله :

فنبهت سعدا بعد نوم لطارق أتانا ضئيلا صوته حين سلما

(٥) يقول : إنه بعد أن كسا هذا الطارق وأطعمه أراد أن يبالغ فى بره فطلب له لوية مالك . ومالك هو ابن الأخطل . انظر ابن سلام ١٥٨ مصر ١٠٧ ليدن . وبه كان يكنى . انظر الأغانى (٧ : ١٦١) . ورواية الديوان : « ذخيرة مالك » .

(٦) مويس بن عمران ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٥٨) كما سبق خبر له فى (٥ : ٤٦٨) . فيما عدا ل : « وحدثنى يونس بن عمران قال » .

(٧) بشر بن المعتمر صاحب البشرية ، انتهت إليه رآسة المعتزلة ببغداد ، وانفرد عن أصحابه المعتزلة فى بعض مسائل ، أوردتها فى كتابى : « معجم الفرق الإسلامية » . وكان بشر نخاسا فى الرقيق . توفى سنة ٢١٠ . انظر لسان الميزان (٢ : ٣٣) والملل (١ : ٨١) والمواقف ٦٢٢ ومفاتيح العلوم ١٩ والفرق ١٤١ واعتقادات الرازى ٤٢ . ل : « بكر بن المعتمر » .

ابن يحيى ، فقدِم عليه رجلٌ من مواليه ، وهو أحد بنى هلال بن عامر ، فمضى به [يوماً[١]] إلى الفضْل ؛ ليكرمه بذلك ، وحضرت المائدة ، فذكَروا الضب ومن يأكلُه ، فأفرط الفضْلُ فى ذمِّه ، وتابَعهُ القوم بذلك[٢] ونظر الهلالىُّ فلم يرَ على المائدةِ عربيًّا غيره[٣] ، وغاظه كلامُهم ، فلم يلبث الفضل أن أُتِىَ بصَحْفةٍ[٤] ملآنةٍ من فراخ الزَّنابير ، ليتّخذ لَه منها بزْماورد[٥] — والدَّبْر والنَّحل عند العرب أجناسٌ من الذّبان[٦] — فلم يشكّ الهلالىُّ أنَّ الذى رأى من ذِبّانِ البيوت والحشُوش[٧] . وكان الفضْلُ حين وَلِىَ خُراسان استظرف [بها[٨]] بزماورد الزَّنابير ، فلمَّا قدم العراق كان يتشهَّاها[٩] فتُطلبُ له من كلِّ مكان . فشمِت الهلالىُّ به وبأصحابه ، وخرجَ وهو يقول :

---

(١) هذه من ل ، س .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل ، هـ .
(٤) فيما عدا ل : « فلم يلبث إلا أن أتى الفضل بصحفة » .
(٥) البزماورد ، بفتح أوله وسكون ثانيه : كلمة فارسية ، وهى لحوم أو ضرب من الحلوى تصنع فى الأعياد والولائم خاصة ، أو ضرب من الشطائر . وفى معجم استينجاس :
Viands or sweetmeats carriad home from feast, a kind of sandwich.
والكلمة فى الفارسية مكونة من « بزم » بمعنى الوليمة أو المأدبة . و « آورد » بمعنى يحضر أو يقدم . ويقال له أيضا : « زماورد » بضم الزاى . قال صاحب القاموس : « طعام من البيض واللحم » . وانظر اللسان (ورد) وشفاء الغليل ٩٨ وكتاب الطبيخ البغدادى ٥٩ وأدى شير ٧٩ والتاج للجاحظ ١٧٣ . وقد سبق الكلام على البزماورد فى (٢ : ٢٤٩ / ٤ : ٤٤) .
(٦) ط فقط : « الزبان » ، تحريف .
(٧) الحشوش : جمع حش بالفتح وبالضم ، وهو موضع قضاء الحاجة . س : « رآه » بدل « رأى » . ط ، س « من ذباب » .
(٨) هذه من ل ، س . وفى ل قبلها : « استطرف » ، بالطاء المهملة .
(٩) ط فقط : « يشتهيا » ، محرف .

وعِلْج يعافُ الضبَّ لُؤْماً وبطْنةً ... وبعضُ إدامِ العِلْجِ هَامُ ذُبابِ [١]

ولو أنَّ مَلْكا فى الْمَلاَ نالكَ أمَّه ... لقالُوا لقَدْ أُوتيتَ فَصْلَ خِطابِ [٢]

(شعر أبى الطروق فى مَهْر امرأة)

ولما قال أبو الطروق الضّبى [٣] :

يقولُون أصْدِقْها جَرَاداً وضَبَّةً ... فقَدْ جَردَتْ بَيْتِى وبَيْتَ عِياليا [٤]

٢٩ وأبْقَتْ ضِباباً فى الصُّدور جَوائماً ... فيالكِ من دَعْوَى تُصِمُّ المُناديا [٥]

وعاديتُ أعمامى وهمْ شَرُّ جِيرةٍ ... يُدِبُّونَ شَطْرَ اللَّيْلِ نحوى الأفاعِيا [٦]

---

(١) العلج ، بالكسر : الرجل من كفار العجم . ويجعله العرب أيضا لذرية هؤلاء من مسلمى الفرس ، طعنا لهم . والعلج يقال كذلك للرجل الشديد الغليظ . وفى حديث على : « أنه بعث برجلين فى وجه فقال : إنكما علجان فعالجا عن دينكما » . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس .

(٢) الملأ : الجماعة ، أو أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدموهم . ط ، هـ : « فى الورى » وأثبت ما فى ل ، س وعيون الأخبار (٣ : ٢١٠) . وفى س أيضا : « ولو أن كلبا » . وفصل الخطاب : أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده . وفى سورة صٓ : (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) .

(٣) أبو الطروق، لم أجد له ترجمة إلا ما قال ابن خلكان إنه كان شاعرا من شعراء المعتزلة ، وأنه مدح واصل بن عطاء بإطالة الخطب ، واجتنابه الراء على كثرة ترددها فى الكلام — وكان واصل ألثغ شنيع اللثغة — فقال فيه :

علیم بإبدال الحروف وقامع ... لكل خطيب يغلب الحق باطله

انظر الوفيات فى ترجمة واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٨١ ، وكذا البيان (١ : ١٥ / ٣ : ٣٢٢) . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٥١٣ فى باب ذكر من غلبت كنيته على اسمه . وفيما عدا ل : « أبو طروق » .

(٤) أصدقها : ساق إليها الصداق ، وهو المهر .

(٥) ط : « وألقت » باللام . وفيما عدا ل : « جرانها » بدل : « جوائما » تحريف .

(٦) يدبون الأفاعى : يحملونها على الدبيب . وفى اللسان : « وأدببت الصبى : أى حملته على الدبيب » . وأراد بالأفاعى المداوات . وشطر الليل ، بالفتح : نصفه . فيما عدا =

وقَدْ كانَ فى قعبٍ وقوس وإنْ أشأْ من الأقْطِ ما بلَّغن فى الَمهْرِ حاجياً[١]

فقال أبوها :

فلو كان قَعباً رضّ قَعْبك جندلٌ وَلَوْ كان قوساً كانَ للنَّبْلِ أذْكَرا[٢]

فقال عمُّها : دعونى والعبد[٣] .

(شعر فى الضبّ)

وأنشد للدُّبيرى[٤] :

أعامِرَ عبدِ الله إنِّى وجدتُكمْ كعَرْفَجَةِ الضّبّ الذى يتذلّلُ

قال[٥] : هى ليّنة ، وعودُها ليّن ، فهو يعلوها إذا حضروا بالقيظ[٦] ، ويتشوّف عليها[٧] . ولستَ تَرَى الضّبّة إلاّ وهى ساميةٌ برأسها ، تنظر وترقب[٨] . وأنشد :

= ل : « وناديت » تحريف . ط ، ه ، « يديرون » س : « يدبرون » ، صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « عندى الأفاعيا » .

(١) القعب ، بالفتح : القدح الضخم الغليظ الجافى . والأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض . وانظر (٥ : ٤٨١) . والحاج : جمع حاجة ، أضافه إلى الضمير . ل : « فى قيس وكعب » ؛ ط : « فى عقب وقوس » ، صوابهما ما أثبت من س ، ه .

(٢) ل : « فلو كان كعبا رض كعبك » . وفى ط ، س : « بندل » مكان « جندل » ، وفى ه : « نهول » تحريف .

(٣) هذه العبارة ليست فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « للزبيرى » .

(٥) ط ، ه : « وقال » ، بإقحام الواو .

(٦) فيما عدا ل : « فهو يعلوها إذا حضروا بالقيظ » . وفى ط فقط : « إذا حضر » . والعبارة مقحمة ، وانظر البيت التالى .

(٧) هذه الكلمة ليست فى ل . ويتشوف : يتطلع . وفى س : « يشرف » : أى ينظر من شرف ، وهو المكان العالى .

(٨) ل : « تنعظر وتعرقب » ، ولعل الكلمة الأولى منهما : « تتنظر » . والتنظر : الانتظار والتوقع .

بلاد يكون الخَيْمَ أظلال أهْلِهَا إذا حَضَرُوا بالقَيْظِ والضَبُّ نونُسها (١)

وقال عمرو بن خويلد (٢) :

ركاب حُسَيْل أشْهُرَ الصَّيْف بُدَّنٌ وناقةُ عَمرٍو ما يُحَلُّ لهـا رَحْلُ (٣)

إذا ما ٱبتَنَيْنَا بيتَنا لَمعيشـةٍ يَعُودُ لمـا نبْنِى فيهدمُه حِسْلُ (٤)

ويزعم حِسْلٌ أنّه فَرْعُ قومِـه وما أنت فرعٌ يا حُسيلُ ولا أصْلُ

وَلِدْتَ بحادى النَّجمِ تسعى بسعيه كَمَا وَلَدَتْ بالنَّحْسِ دَيَّانها عُـكْلُ (٥)

---

(١) الخيم ، بالفتح : جمع خيمة ، وهى ثلاثة أعواد أو أربعة ، يلقى عليها الثمام ، ويستظل بها فى الحر . « أظلال » جمع ظل . وفى الأصل : « أطلال » صوابه فى شرح القصائد السبع لابن الأنبارى ٥٢٩ . وحضر القوم : أقاموا على الماء العد فى القيظ ، ولا يفارقونه حتى يقع ربيع بالأرض يملأ الغدران فينتجعونه .

(٢) لم أعثر له على تعيين أو ترجمة .

(٣) الركاب : الإبل التى يسار عليها ، واحدتها راحلة ، ولا واحد لها من لفظها . بدن : جمع بادن وبادنة ، والبدانة : السمن وكثرة اللحم . ط ، س : « ركيلات حسل » ، محرف .

(٤) ط : « لما بنى » س : « لما تبنى » ، والوجه ما أثبت من ل ، هـ .

(٥) النجم : الثريا . وحادى النجم هو الدبران ، وهو كوكب أحمر على إثر الثريا . بين يديه كواكب كثيرة مجتمعة ، من أدناها كوكبان صغيران يكادان يلتصقان ، يقول الأعراب هما كلباه ، والبواقى غنمه ، ويقولون قلاصه . قال المرزوقى فى الأزمنة والأمكنة (١ : ١٨٨) : « ويسمى دبرانا لدبوره الثريا . ويسمى تالى النجم ، وتابع النجم . وقد يطلق فيقال التابع . ويقال أيضا : حادى النجم » . وكان العرب يتشاءمون بالدبران ، قال أسد بن ناعصة :

غداة توخى الملك يلتمس الحيا فصادف نحسا كان كالدبران

انظر الأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٤٨) . وقال الأسود بن يعفر يهجو رجلا :

ولدت بحادى النجم يحدو قرينه وبالقلب قلب العقرب المتوقد

انظر الأزمنة وكذا اللسان (١٦ : ٤٦) . ط ، س : « بجول النجم » ، هـ : « بجار » ، ل : « بجارى » ، والصواب ما أثبت . وفيما عدا ل : « لسعيه » . وفى هـ : « يسمى » بالياء . والديان : الحاكم . فيما عدا ل : « رباتها » تحريف .

(استطراد لغوى)

وهم يسمُّون بحسل[١] وحسيل ، وضبّ وضبّة . فمنهم ضَبّة بن أدّ وضبة ابن محض[٢] ، وزيد بن ضبّ . ويقال : حفدة ضب[٣] . وفى قريش بنو حسل[٤] . ومن ذلك ضَبَّة الباب . ويسمَّى حلْب الناقة بخمس[٥] أصابع ضبًّا ، يقال ضبَّها يضبُّها ضبًّا : إذا حلبها كذلك . وضبّ الجرح وبَضّ : إذا سال دماً ، مثل ماتقول : جذب وجبذ[٦] . و : « إنّه لَخَبٌّ ضَبّ[٧] » و : « إنه لأخْدع من ضبّ » . والضبُّ : الحقد إذا تمكَّن وسَرَت عقاربُه ، وأخـَفى مكانه[٨] . والضّبُّ : ورمٌ فى خُفِّ البعير[٩] . وقال الرّاجز .

* ليس بذى عرك ولا ذى ضَبٍّ[١٠] *

---

(١) فيما عدا ل : « وهم الحسل » .

(٢) ل : « ابن محضر » .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « حضره » وفى هـ : « حفرة » . ولعلها : « جفوة » والضب معروف بالجفاء والعقوق . أو : « جفرة » ، والجفرة بالضم : ما يجمع الصدر والجنبين .

(٤) س : « وفى حسيل قريش بنى أحسل » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « بخمسة » ، وهما صحيحتان ، فإن الإصبع مما يذكر ويؤنث .

(٦) كلمة : « ما تقول » ليست فى ل . وفيما عدا ل : « جبذ وجذب » .

(٧) فى اللسان : « رجل خب ضب منكر مراوغ حرب » . وفيه أيضا : « ويقال للرجل إذا كان خبا منوعا : إنه لخب ضب » .

(٨) فيما عدا ل : « وأخذ مكانه » .

(٩) وقيل هو أن ينحرف المرفق حتى يقع فى الجنب فيخرقه .

(١٠) العرك : أن يحز مرفق البعير جنبه حتى يخلص إلى اللحم ويقطع الجلد بحز الكركرة . وذلك عيب فى الإبل ، وإنما تمدح بأن يكون مرفقاها بائنين ، قال :

قليل العرك يهجر مرفقاها

ل : « بذى عول » ، صوابه فى سائر النسخ واللسان (٢ : ٣٠ س ١١ / ١٢ = ٣٥٣ س ١) .

ويقال ضَبٌّ خَدِعٌ ، أى مراوغ[١] . ولذلك سموا الخزانة المِخْدع[٢] .

وقال راشد بن شهاب[٣] :

٣٠ أرقتُ فلم تخدَعْ بعينَيَّ نعسةٌ ووالله ما دَهْرِى بعشق ولا سَقَمْ[٤]

وقال ذو الرُّمَّة[٥] :

مناسِمُها خُــثم صِلابٌ كأنّها رءوس الضِّباب استخرجَتْهَا الظهائرُ[٦]

(شعر فيه ذكر الضبّ)

ويدلُّ على كثْرةِ تصريفهم[٧] لهـــذا [الاسـم] ما أنشدَنَاهُ أبو الرُّدَينىّ[٨] :

لا يعقر[٩] التقبيل إلا زُبِّى ولا يُداوِى مِنْ صَمِيم الحبِّ

(١) ل : « مرواغ » ، على صيغة المبالغة .

(٢) الخزانة ، بالكسر : اسم الموضع الذى يخزن فيه الشىء .

(٣) كذا ورد هنا بالشين المعجمة فى جميع النسخ . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٥ : ٤٧٨) وباقى التحقيق فى المفضليات (٣٠٨ طبع المعارف) . وهذا الكلام وما بعده من البيت جاء فى ط ، هـ مؤخراً عن بيت ذى الرمة التالى . والوجه ما أثبت من ل ، س .

(٤) تخدع : تدخل ، كما فسره الأنبارى . ورواية المفضليات : « خدعة » . ويقال ما دهرى بكذا ، وما دهرى كذا ، أى ما همى وغايتى وإرادتى . فيما عدا ل : « لعينى » تحريف . ط : « بعسر » ، س : « يعشو » ، هـ : « بعشر » صوابها : « بعشق » كما أثبت من ل والمفضليات .

(٥) البيت من قصيدة فى ديوان ذى الرمة ص ٢٥١ . وهو فى صفة إبل .

(٦) المناسم : جمع منسم ، كمجلس ، وهو خف البعير . خثم : جمع أخثم ، وهو العريض ل : « جثم » ، وفيما عدا ل : « صم » ، صوابهما ما أثبت من الديوان . والضباب : جمع ضب . والظهائر : جمع ظهيرة ، وهى شدة الحر نصف النهار .

(٧) فيما عدا ل : « تصفهم » ، تحريف .

(٨) سبقت ترجمته فى (٥ : ١٥٨) . ط ، هـ : « ما أنشدنا » ، س : « ما أنشد » .

(٩) ل ، س : « لا يغفر » ، هـ : « لا يعفر » .

والضَّبُّ فى صَوَّانِهِ مُجَبِ (١)

وأنشدنا أبو الرُّدينى العُكْلى ، لطارق ، وكنيته أبو السَّمال (٢) :

يا أمَّ سَمَّالٍ ألَمَّا تدْرِى (٣) أنِّى على مَيَاسرِى وعُسْرِى

يَكفيكِ رِفْدِى رجلاً ذَا وَفْرِ ضَخْم المثاليثِ صغير الأَيْرِ (٤)

إذا تغَدّى قالَ تَمْرِى تمْرى كأنَّه بين الذَّرى والكِسْرِ (٥)

ضَبٌّ تَضَحَّى بمكانٍ قَفْرِ (٦)

وقال أعرابىّ :

قد اصطَدتُ يايقظان ضَبًّا ولم يَكُنْ لِيُصْطَادَ ضبٌّ مِثْلُه بالحبائِلِ (٧)

يَظَلُّ رِعاءُ الشَّاءِ يَرْتَمِضُونه حَنِيذاً ويُجْنَى بَعضُه للحَلائلِ (٨)

---

(١) الصوان ، كشداد : حجارة صلبة . والضب يحفر كديته فى الصلابة . مجب : من التجبية ، وهى الانكباب على الوجه . ط : « مخب » س ، هـ : « محب » صوابهما ما أثبت من ل .

(٢) فيما عدا ل : « أبو سماك » .

(٣) فيما عدا ل : « أبو سماك أو لما قدرى » ، تحريف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ . والمثاليث ، هى فيما عدا ل : « المثاليب » .

(٥) الذرى ، بالفتح : ما كنك من الريح الباردة ، من حائط أو شجر . وكسر البيت : جانبه ، يقال بفتح الكاف وكسرها .

(٦) تضحى : أكل فى وقت الضحى ، كما يقال تغدى فى الغداة ، وتعشى فى العشاء . وانظر ما سبق ص ٥٢ — ٥٣ . فيما عدا ل : « يضحى » وله وجه ، ففى اللسان (١٩ : ٢١٠) : « وضحى الرجل : تغدى بالضحى ، عن ابن الأعرابى » . وأنشد :

ضحيت حتى أظهرت بملحوب وحكت الساق ببطن العرقوب

يقول : ضحيت لكثرة أكلها ، أى تغديت تلك الساعة ، انتظاراً لها .

(٧) ل : « ضبا مثله » ، وفيما عدا ل : « ضب قبله » ، وقد جمعت منهما الصواب .

(٨) يرتمضونه : أراد يرمضونه ، يقال : رمض الشاة يرمضها : شقها وعليها جلدها وطرحها على الرضفة وجعل فوقها الملة لتنضج . رمض الشاة ، وأرمضها ، ورمضها بالتشديد . وأما الارتماض بهذا المعنى فلم يرد فى المعاجم . والحنيذ : المشوى . يجنى : يجمع . والحلائل : الزوجات ، جمع حليلة . ل : « تظل » و : « بعضهم » فتقرأ « يجنى » مع هذه بالبناء للفاعل .

عظِيمُ الكشى مثلُ الصَّبِيِّ إذا عَدا ... يفوتُ الضِّبابَ حِسلُه فى السَّحابِلِ[١]

وقال العُمانى :

إنِّى لأَرْجُو مِن عَطَايا رَبِّى ... ومِنْ وَلِىِّ العَهد بعد الغِبِّ

رُومِيَّةً أولجُ فيها ضَبِّى ... لها حِرٌ مُستهدِفٌ كالقعبِ[٢]

مُستَحْصِفٌ نِغْم قرابُ الزُّبِّ[٣]

وقال الآخر :

إذا اصْطَلَحوا على أمْرٍ تَوَلَّوْا ... وفى أجوافهم منه ضِبابُ[٤]

وقال الزِّبرقانُ بنُ بدر :

ومن الموالى ضَبٌّ جَنْدَلةٍ ... زَمِرُ المروءة ناقص الشِّبرِ[٥]

فالأول جعل أيره ضَبًّا ، والثانى جعل الحِقد ضبًّا .

وقال الخليل بن أحمد[٦] ، فى ظهر البَصرة مما يلى قَصْر أنَس[٧] :

---

(١) س : « إذا غدا » . وحسله : ولده . والسحابل : جمع سحبل ، وهو العريض البطن . أى إن هذا الضب يسبق الضباب فى العدو ، وولده يعد فى ضخام الضباب وعظامها . وفى الأصل : « حسلها » ، وبعده فى ل : « والسحائل » ، وفيما عدا ل : « فى السحائل » ، والوجه ما أثبت .

(٢) المستهدف ، بكسر الدال : العريض المرتفع . والقعب : القدح الضخم الغليظ الجافى . ط ، هـ : « كالعقب » ، تحريف .

(٣) المستحصف ، بكسر الصاد : الضيق . والقراب ، بالكسر : غمد السيف والسكين ونحوهما . ط فقط : « قران » تحريف .

(٤) ل : « منا ضباب » . والضباب هنا : جمع ضب بمعنى الحقد .

(٥) زمر المروءة : قليلها . والشبر ، بالفتح : العطاء ، والقد . ط ، هـ : « زمر المروءة » . وفى شرح القصائد السبع ٤٥٠ : « لحز المروة ظاهر الغمر » .

(٦) الشعر يروى لابن أبى عيينة فى معجم المرزبانى ٢٦٧ وديوان المعانى (٢ : ١٣٨) ويتيمة الدهر (١ : ٩٦) . قال الثعالبى : « ويروى للخليل » . وجاء منسوبا إلى الخليل فى عيون الأخبار (١ : ٢١٧) وثمار القلوب ٤١٨ والأزمنة (٢ : ٣٠٣) . وقد صرح المرزوقى بأن ابن أبى عيينة قد أخذ معنى أبياته — وسيرويها الجاحظ بعد — من قول الخليل ابن أحمد . وروى فى معجم ما استعجم ٦٥٩ للعباس بن الحسن .

(٧) هو قصر ينسب إلى أنس بن مالك خادم رسول الله ، كما فى معجم البلدان (٧ : ٩٩) =

زُرْ وَادِيَ الْقَصْرِ نِعْمَ القَصْرُ والوادِى

لابُدَّ مِنْ زَوْرَةٍ عَنْ غير مِيعادِ[1] ٣١

تَرَى به السُّفْنَ كالظُّلْمانِ واقفةً والضَّبَّ والنُّونَ والمَلاَّحَ والحادِى[2]

وقال فى مثل ذلك ابنُ أبى عُيَينة[3] :

ياجَنَّةً فاتَتِ الجِنانَ فَمَا يَبْلُغُهـا قِيمـةٌ ولا ثَمَنُ[4]

أَلِفْتَهـا فاتَّخَـذْتُهـا وَطَناً إنَّ فؤادى لأهْلِهـا وطَنُ[5]

زُوِّج حِيتَـانُها الضِّبابَ بهـا فهذه كَنَّـةٌ وذا خَـتَنُ[6]

فانظُرْ وفَـكِّرْ فيما تُطيف به إنَّ الأريبَ المفكِّرُ الفَطِنُ[7]

= وفى عيون الأخبار: «وقال الخليل فى ظهر البصرة مما يلى قصر أوس من البصرة». وقصر أوس بالبصرة أيضاً، وهو أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة وكان سيد قومه، وكان ولى خراسان فى الأيام الأموية. انظر معجم البلدان. وانظر نسبة الشعر فى الطبرى (١٠ : ١١٩).

(١) هذه الرواية عينها فى عيون الأخبار والأزمنة. لكن فى ديوان المعانى: «وحبذا أهله من حاضر بادى»، وفى اليتيمة والثمار ومعجم المرزبانى: «فى منزل حاضر إن شئت أو بادى». وصحفت فى الثمار: «أو غادى».

(٢) الظلمان، بالكسر والضم: جمع ظليم، وهو الذكر من النعام. وفى ديوان المعانى: «ترق قراقيره والعيس واقفة». وفى اليتيمة والثمار: «ترق به السفن والظلمان حاضرة»، وفى معجم المرزبانى: «ترفا به السفن والغلمان واقفة». وفى عيون الأخبار: «ترفا به السفن والظلمان واقفة». وفى الأزمنة: «يرفا بها السفن والظلمان واقفة»، وفى معجم ما استعجم: «تلقى قراقيره بالعقر واقفة».

(٣) تقدمت ترجمته فى (٥ : ٣١٥). وانفرد الثعالبى فى الثمار بنسبة الأبيات إلى الخليل، ولم يروها المرزبانى ولا الثعالبى فى اليتيمة، ورويت فى الأزمنة وعيون الأخبار وديوان المعانى والشعر والشعراء ٨٥٣ والأغانى (١٨ : ٢١).

(٤) س: «فاقت»، وهى أيضا رواية الثمار، والأزمنة، والأغانى.

(٥) فى ديوان المعانى والثمار والعيون: «لحبها وطن».

(٦) الكنة، بفتح الكاف وتشديد النون: امرأة الابن أو الأخ، والجمع كنائن. والختن، بالتحريك: أبو امرأة الرجل، وأخو امرأته، وكل من كان من قبل امرأته، والجمع الأختان.

(٧) تطيف به: تلم به وتقاربه. ط، هـ: «فيما يطيف به». وفى الأغانى والثمار «نطقت به». وفى الأزمنة: «وفكر فيما يطوف به».

من سُفُنٍ كالنّعامِ مقبلةٍ ومن نَعَامٍ كأنّها سُفُنُ

وقال عقبة بن مُكَدَّم(١) فى صفة الفَرَس :

وَلَها مَنْخِرٌ إذا رفعَتْه فى المُجاراةِ مثلُ وَجْرِ الضِّبابِ(٢)

وأنشد(٣) :

وأنْتَ لو ذُقْتَ الكُشَى(٤) بالأكْبادْ

لَمَا تَرَكْتَ الضّبَّ يَسْعَى بالوَادْ

وقال أبو حَيّة النُّميرى(٥) :

وَقَرَّبُوا كُلَّ قِنعاس قُراسيَةٍ أبَدَّ ليس به ضَبٌّ ولا سرَرُ(٦)

---

(١) هو عقبة بن مكدم بن عامر بن مالك بن عبد الله بن جعدة ، ويعرف بابن عكبرة الجعدى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٦٢ . ومكدم ، بتشديد الدال المفتوحة . وفيما عدا ل : « مكرم » تحريف . والبيت التالى من قصيدة له فى كتاب الخيل لأبى عبيدة ص ١٥٤ — ١٥٦ .

(٢) المجاراة : مصدر جاراه ، أى جرى معه . والوجر ، بالفتح : جحر الضبع والأسد والذئب والثعلب ونحو ذلك ، ومثله الوجار ، بالكسر والفتح . وفى حديث الحسن : « لو كنت فى وجار الضب » ، ذكره للمبالغة ، لأن الضب إذا حفر أمعن .

(٣) انظر عيون الأخبار (٣ : ٢١١) واللسان (٢٠ : ٨٩) . وفى محاضرات الراغب (٢ : ٢٠٣) أن الرجز قاله رجل يعارض به قول القائل (انظر ما سبق ص ٨٩ س ٤) :

ومكن الضباب طعام العريب ولا تشتهيه نفوس العجم

(٤) الكشى : جمع كشية ، وهى شحمة صفراء تمتد من أصل ذنب الضب حتى تبلغ إلى أقصى حلقه . وفى الأصل : « الكشا » ، تحريف .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل . وقد سبقت ترجمة أبى حية فى (٤ : ٣٣٧) .

(٦) القنعاس ، بالكسر : الجمل الضخم العظيم . ط ، ه : « نبقاس » س : « نبعاس » بالإهمال ، صوابه فى ل . والقراسية ، بضم القاف وتخفيف الياء : الضخم الشديد من الإبل ، الذكر والأنثى سواه . والأبد : البعيد ما بين اليدين ، أو الذى فى يديه فتل ، وهو الاندماج . والضب : ورم يكون فى خف البعير أو صدره . والسرر ، بالتحريك : قرح فى مؤخر كركرة البعير يكاد ينقب إلى جوفه ، وقيل ورم يكون فى جوف البعير . فيما عدا ل : « ليس بها ضب ولا شرر » ، محرف .

وقال كثيِّر[١] :

ومحترش ضَبَّ العَدَاوة منهُـم بِحُلْوالرُّقى حرش الضِّباب الخْوادِعِ[٢]

وقال كثيِّر أيضاً[٣] :

وما زالتْ رُقاكَ تَسُلُّ ضِغْنى وتُخْرِجُ مِنْ مضابئها ضِبابى[٤]

(شعر فى الهجاء فيه ذكر الضب)

فأما الذين ذمُّوا الضب وأكْلَه ، وضربوا المثل به وبأعضائه وأخلاقه وأعماله ، فكما قال التّيمى[٥] :

لَكِسْرَى كان أعْقَلَ مِنْ تميم لَيَالِيَ فَرَّ مِنْ أرضِ الضِّبابِ

فأنزَلَ أهْلَهُ ببلادِ رِيفٍ وأشجارٍ وأنهارٍ عِذابِ

وصار بَنُو بَنِيه بها مُلوكاً وصِرْنَا نحنُ أمثالَ الكِلابِ

---

(١) البيت ورد بهذه النسبة فى اللسان (٨ : ١٦٨ / ١٨ : ٢٦٤) والمقصور والممدود ٣٣ ، وبدون نسبة فى اللسان (٩ : ٤١٧) والمخصص (٣ : ٨٠ / ٨ : ٩٧) والفصول والغايات ٢٥٥ .

(٢) فيما عدا ل : « بيننا » بدل : « منهم » تحريف ، صوابه فى جميع المصادر السالفة . والرق : جمع رقية ، وهى العوذة التى يرق بها صاحب الآفة ، كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات ، أريد بها هنا الكلام الطيب . وفى سائر المصادر : « الخلا » وهو الكلام الحسن ، ورسمت فى الفصول وفى اللسان (٨ : ١٦٨) فقط بالياء ، ونص ابن ولاد فى المقصور والممدود على كتابتها بالألف . والخوادع : من خدع الضب : رجع فى جحره فذهب ولم يخرج .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل . وقد سبق البيت فى (٤ : ٢٥٠ ، ٣٠٣) . وانظر الموشح ١٤٣ والصناعتين ٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ .

(٤) المضبأ : المخبأ . وفيما عدا ل: « مكامنها » ، وما أثبت من ل يطابق رواية ابن سلام .

(٥) فيما عدا ل : « فكان كما قال التيمى » . وانظر (١ : ٢٥٦) .

فلا رَحِمَ الإلٰهُ صَدَى تميم   فقد أزْرَى بنا فى كلِّ باب [١]

٣٢ وقال أبو نواس [٢] :

إذا ما تميمىٌّ أتاكَ مُفاخراً   فقلْ عَدِّ عَنْ ذَا كيفَ أكْلُكَ للضَّبِّ

تُفاخِرُ أبناء المُلُوكِ سَفاهــةً   وبَوْلُكَ يَجْرِى فَوق ساقِكَ والكعْبِ

وقال الآخر :

فحبَّذَاهُمْ ورَوَّى الله أرضَهُمُ   مِنْ كلِّ مُنْهمِرِ الأحشاء ذى بَرَد

ولا سقَى الله أياماً غَنِيتُ بها   ببَطْنِ فلْجٍ على اليَنسُوع فالعُقَدِ [٣]

مواطنٌ مِنْ تميم غير مُعجِبة   أهْلِ الجفاءِ وعَيْشِ البُؤْسِ والصَّرَدِ [٤]

هَمُّ الكرامِ كريمُ الأَمْرِ تَفْعلُهُ   وهَمُّ سَعْدٍ بما تُلْقى إلى المَعِدِ [٥]

أصحاب ضَبٍّ ويربوع وحَنْظلةٍ   وعيشةٍ سَكَنُوا منها على ضَمَد [٦]

إنْ يأكلوا الضّبَّ باتوا مُخْصِبِينَ به   وزَادُها الجوعُ إن باتَتْ ولم تَصِدِ [٧]

---

(١) صدى الميت : ما يبقى منه فى قبره ، وهو جثته . انظر اللسان .

(٢) من قصيدة له فى ديوانه ١٥٨ — ١٦٠ يهجو بها تميما وأسدا ، ويفتخر بقحطان .

(٣) غنى بالمكان : أقام به . وفى ط ، س وكذا معجم البلدان (٨ : ٥٢٧) : « عنيت » بالمهملة . وفلج : واد بين البصرة وحمى ضرية . والينسوع ، بفتح الياء وسكون النون بعدها سين مهملة : موضع فى طريق البصرة . ط : « البيوع » ﻫ : « اليسوع » س : « النيسوع » ، صوابها ما أثبت من ل ومعجم البلدان . والعقد بضم ففتح ، وقيل بفتح فكسر : موضع بين البصرة وضرية.

(٤) فيما عدا ل : « غير معجمة » تحريف . والصرد ، بالتحريك : البرد. وفى ل ، س : « الصلد » .

(٥) المعد ، جمع معدة ، بفتح فكسر فيهما . ويقال أيضا معدة بكسر الميم وسكون العين ، وجمعها معد بكسر ففتح . ط فقط : « بما يلقى » . وهذا البيت فى ل مؤخر عن تاليه .

(٦) حنظلة ، يشير إلى أنهم يأكلون الحنظل . وانظر (٥ : ٤٤٣) . الضمد ، بالتحريك : شدة الغيظ .

(٧) أخصب القوم : نالوا الخصب وصاروا إليه . ط ، ﻫ : « يأتوا مخضبين » ، والوجه ما أثبت من ل .

لو أنَّ سعداً لها ريفٌ لقد دُفِعَتْ عنه كما دَفِعت عن صالح البلدِ[١]
من ذا يقارع سَعْداً عَنْ مفازتها ومَنْ يُنافِسُها فى عَيْشِها النَّكِدِ[٢]

وقال فى مثل ذلك عَمرُو بنُ الأهْتَم[٣] :

وتَرَكْنَا عُمَيرَهُمْ رَهْنَ ضَبْعٍ مُسْلَحِبًّا ورَهْنَ طُلْسِ الذِّئابِ[٤]
نَزَلُوا منزلَ الضِّيافة مِنا فقَرَى القَومَ غِلمةُ الأعرابِ[٥]
ورَدَدْنَاهُمُ إلى حَرَّتَيْهِمْ حَيْث لا يأكُلون غيْرَ الضّبابِ[٦]

وقالت المرِّيّة[٧] :

جاءُوا بحارشةِ الضِّبابِ كأنَّما جاءوا ببنْتِ الحارث بن عُبادِ[٨]

وقائلة هذا الشعر امرأةٌ من بنى مُرَّة بن عباد .

---

(١) فيما عدا ل : « صلح البلد » .

(٢) ل : « عن عيشها » .

(٣) هو عمرو بن سنان بن سمى بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . كان سيدا من سادات قومه خطيبا بليغا شاعراً ، وفد إلى رسول الله فى وفد بنى تميم . والأهتم لقب أبيه سنان . انظر الإصابة ٥٧٦٥ ومعجم المرزبانى ٢١٢ .

(٤) مسلحبا : منبطحا ، أو ممتدا . وفعله اسلحب كاسبطر . والطلس من الذئاب : ما لونها الطلسة ، وهى غبرة إلى سواد ، ذئب أطلس والأنثى طلساء . يقول : تركنا عميرا تأكله الضباع والذئاب ، وهو ممتد على الأرض صريع. فيما عدا ط : « مسلحيا » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « منها » تحريف . والغلمة ، بالكسر : جمع غلام ، وهو الذى طر شاربه ، وقيل هو من حين يولد إلى أن يشيب . وفى اللسان : « والعرب يقولون للكهل غلام نجيب » . ط فقط : « علة » محرف . وهذا البيت يشبه قول عمرو بن كلثوم يخاطب أعداءه :

نزلتم منزل الأضياف منا فأعجلنا القرى أن تشتمونا

(٦) حرتيهم : مثنى حرة ، والحرة بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرات كأنها أحرقت بالنار . ط : « حرتهم » س : « حربهم » هـ : « حربيهم » صوابها فى ل .

(٧) انظر ما سبق فى (٤ : ٣٦٢) .

(٨) سبق شرح البيت فى (٤ : ٣٦٢) .

وقال الحارث الكندى[١] :

لعمرك ما إلى حَسَن أنخْنا ولا جِئنا حُسيناً يابن أنس[٢]

ولكنْ ضَبّ جَنْدلةٍ أتينا مُضِبًّا فى مضابئها يُفَسِّى[٣]

فلمَّا أنْ أتيناهُ وقلْنا بحاجتنا تَلَوَّنَ لَوْنَ وَرْسٍ[٤]

وآضَ بكفِّه يحتكُّ ضِرْساً يُرِينا أنَّه وَجِعٌ بضِرْسِ

فقلتُ لصاحبى أبِهِ كُزازٌ وقلت أُسِرُّه أتراه يُمْسى[٥]

٣٣ وقُمْنَا هاربِيْن معاً جميعاً نُحاذر أنْ نُزَنّ بقَتْلِ نَفْسِ[٦]

وقالت عائشة ابنة عثمان[٧] ، فى أبان بن سعيد بن العاص[٨] ، حين

---

(١) كذا ورد الاسم فى عيون الأخبار (٣ : ١٥٤) . وسبق فى (١ : ١٥٤) برسم « الحارث بن الكندى » . وقد ورد الاسم هنا محرفا فى النسخ ؛ ففى ط : « الخريم » ل : « الحزين » س : « الحرين » هـ : « الحرير » .

(٢) هذا البيت وتاليه لم يروهما ابن قتيبة . وأوله فى ط ، هـ : « لعمرى » .

(٣) الجندلة : واحدة الجنادل ، وهى الحجارة . وأضب على الشىء : لزمه فلم يفارقه . والمضابئ : جمع مضبأ ، وهو المخبأ . وقد أضافها إلى ضمير « الجندلة » . فيما عدا ل : « مضابئه » تحريف . يفسى ، هى فى ل : « تفسى » ، وفيما عدا ل : « بعس » والوجه ما أثبت .

(٤) الورس : نبت ليس ببرى ، يزرع فيقيم فى الأرض عشر سنين ، ونباته مثل نبات السمسم ، فإذا جف عند إدراكه تفتقت خرائطه فينفض فينتفض منه الورس أصفر اللون ، وموطنه اليمن . انظر اللسان ، وداود ، والمعتمد .

(٥) الكزاز ، بالضم : داء يأخذ من شدة البرد ، وتعترى منه رعدة . أسره : المعروف أسررت إليه الحديث وبالحديث .

(٦) نزن ، بالبناء للمجهول : نتهم .

(٧) فيما عدا ل : « بنت » بدل : « ابنة » . وعائشة هذه هى بنت عثمان بن عفان ، وأمها رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس . انظر تاريخ الطبرى (٥ : ١٤٨) .

(٨) هو أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج عام الحديبية فى آخر سنة ست ، يريد زيارة البيت ، فأرسل عثمان بن عفان إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، فلقيه أبان بن سعيد حين دخل مكة أو قاربها ليجيره من قريش — وكان أبان لايزال على دين قومه — فأجاره حتى بلغ قريشا الرسالة ، ثم أسلم أبان فى غزوة خيبر سنة سبع ، وتوفى فى خلافة =

خطبها ، وكان نزل أَيْلَةَ[1] وترك المدينة :

نَزَلْتَ بِبَيتِ الضَّبِّ لا أنت ضائرٌ عَدُوًّا ولا مستنفعاً أنت نافعُ[2]

وقال جرير[3] :

وجَدْنا بيتَ ضَبَّةَ فى تميمٍ كبَيْتِ الضَّبِّ ليس له سَوارى[4]

وقال آخر — وهذا الشعر [يقع] أيضا فى [الضِّباع كما يقع فى] الضِّباب — :

يا ضَبُعَ الأكهافِ ذاتِ الشّعبِ[5] والوثْب للعَنْزِ وغير الوثبِ[6]

عِيثى ولا تخشَيْنَ إلاّ سَبِّى[7] فلستُ بالطّبٍّ ولا ابن الطَّبِّ[8]

إنْ لم أدع بيْتَك بيتَ الضّبِّ[9] يضيق عن ذى القَرَد المكبِّ[10]

وقال الفرزدق[11] :

= عثمان سنة ٢٧ . انظر السيرة ٧٤٥ والاصابة (١ : ١٠) . ط هـ : « سعد » بدل : « سعيد » تحريف . وفيما عدا ل : « العاصى » . وانظر ما أسلفت من تحقيق هذه الكلمة فى (٥ : ٢٩٥) .

(١) أيلة ، بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم ، مما يلى بلاد الشام .

(٢) المستنفع : طالب النفع ، عن ابن الأعرابى . وأنشد (انظر اللسان ١٠ : ٢٣٧) :

ومستنفع لم يجزه ببلائه نفعنا ، ومولى قد أجبنا لينصرا

فيما عدا ل : « ولا مستنفع » ، صوابه بالنصب على المفعولية كما فى البيان (٣ : ٣٠١) .

(٣) البيت من قصيدة فى ديوانه (١٩٠ - ١٩٢) .

(٤) السوارى : جمع سارية ، وهى الأسطوانة ، أى العمود . ورواية الديوان : « بيت ضبة فى معد » ، وهو الصواب ، إذ أن ضبة هم بنو أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد . وأما تميم فليس أصلا لضبة ، بل هو تميم بن مر بن أد بن طابخة ، فهو ابن أخى ضبة .

(٥) الأكهاف ، لعلها « الأكناف » ، وهى أكناف جبل سلمى .

(٦) ط فقط : « للعتر » .

(٧) عاثت الضبع : أفسدت . وفيما عدا ل : « غنى » ، تصحيف .

(٨) الطب والطبيب ، الحاذق الماهر بعلمه ، وهو بفتح الطاء .

(٩) أى مثل بيت الضب فى ضيقه . ط فقط : « بينك » بالنون ، مصحف .

(١٠) القرد ، بالتحريك : ما تمعط من الوبر والصوف . فيما عدا ل : « العرك المنكب » تحريف .

(١١) البيتان هما الأول والرابع من أبيات خمسة فى ديوانه (ص ٨٨١) .

لحى الله ماءَ حنبلٍ خيرُ أهله ... قفا ضَبَّةٍ عند الصَّفَاة مَكُونِ [١]

فلو عَـلِمَ الحجَّاجُ عِلمَك لم تَبِـعْ ... يمينُك ماءً مُسلماً بيَمينِ [٢]

وأنشد :

زعَمْتَ بأنَّ الضبَّ أعمى ولم يفت ... بأعمى ولكن فاتَ وهْو بصيرُ [٣]

بل الضبُّ أعمَى يوم يخنِسُ بأسته ... إليك بصحراء البياضِ غريرُ [٤]

وقالت امرأةٌ فى ولدها وتهجو أباه :

وُهِبتُه من ذى تُفالٍ خَبٍّ [٥] ... يقْلِبُ عَيْناً مثلَ عينِ الضَّبِّ

---

(١) فيما عدا ل : « ما حسل » . وفى ط ، هـ : « غير أهله » محرفان . ورواية الديوان : « ماء حنبل قيم له » . والقيم : سيد القوم وسائس أمرهم . والمكون : بفتح الميم : التى جمعت مكنها فى بطنها ، والمكن ، بالفتح : بيضها . والمكونة أيضا : التى على بيضها . ل : « عند الصفا » محرف . ورواية الديوان : « تحت الصفاة » .

(٢) بيمين ، اليمين : القدرة والقوة . وفى التنزيل العزيز : (لأخذنا منه باليمين) . يخوفه الحجاج ، يقول له : لو بلغ الحجاج أنك تبيع الناس الماء لأخذ على يدك فما استطعت أن تبيعه الناس بالقدرة والقوة . ورواية الديوان : « بثمين » . وقبل هذا البيت :

إذا ماوردت الماء فادلف لحنبل ... بقعب سويق أو بقعب طحين

أويت لأبناء الطريق من امرىء ... شروب الأداوى الركى دفون

(٣) بأعمى : هو حال من ضمير « لم يفت » ، والباء فى هذا الحال زائدة ، وقد ذكر ابن هشام فى المغنى أن من المواضع التى تزاد فيها الباء الحال المنفى عاملها ، كقوله :

فما رجعت بخائبة ركاب ... حكيم بن المسيب منتهاها

وفى ل : « زعمت بأن الظبى أعمى ولم يمت بأعمى ولكن مات » .

(٤) خنس باسته : تأخر . والضب إذا دخل جحره جعل ذنبه إلى ما يلى باب الجحر . انظر ما سبق فى ص٥٨ — ٥٩ . ل : « يحبس » محرف . والبياض : موضع قرب يبرين ، وأرض بنجد لبنى عامر بن صعصعة . فيما عدا ل : « بصحناء البياض » وفى هـ ، س : « عزير » بدل : « غرير » .

(٥) التفال ، بضم الفاء : البصاق . وفى ل : « يقال » ، وفيما عدا ل : « ثقال » ، صوابهما ما أثبت . والخب ، بالفتح وقد يكسر : الخبيث الخداع المنكر .

ليس بمعشوق ولا مُحَبٍّ[١]

وقال رجلٌ من فزارة :

وجدنا كمُ رَأْباً بنى أُمِّ قِرفةٍ كأسنانِ حِسْلٍ لا وَفاءٌ ولا غَدْرُ[٢]

وأنشد :

ثلاثون رأبا أو تزيد ثلاثةً يقاتلنا بالقَرْنِ ألفٌ مقنَّعُ[٣]

[٤] والمعنى الأولُ يشبه قوله[٥] :

سَواسٍ كأسنان الحمار فلا تَرَى لِذِى شَيْبةٍ منهمْ على ناشئٍ فَضلا[٦]

---

(١) الأكثر فى كلامهم : « محبوب » . قال الأزهرى : وقد جاء المحب شاذا فى الشعر ، قال عنترة :

ولقد نزلت فلا تظنى غيره منى بمنزلة المحب المكرم

ط فقط : « ليس لمعشوق » ، محرف .

(٢) الرأب : أصله السبعون من الإبل ، أراد جماعة . والحسل ، بالكسر : ولد الضب . وسن الحسل لا تسقط حتى يموت . عنى أنهم متساوون كما تتساوى أسنان الحسل لايسقط منها شىء . وهجاهم بالعجز ، حيث لا يستطيعون أن يفوا بما وعدوا ، أو يغدروا إذا أرادوا ، كقول الفرزدق يهجو جريرا :

قبح الإله بنى كليب إنهم لا يغدرون ولا يفون لجار

انظر ديوانه ص ٤٥٠ . ل : « زابا » س ، هـ : « رأيا » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٣) الرأب ، هنا بمعنى السيد الضخم ، وفى تاج العروس : « ومن المجاز الرأب بمعنى السيد الضخم ، يقال فيهم ثلاثون رأبا يرأبون أمرهم » . ل : « زابا » س ، هـ : « رأيا » صوابهما فى ط . والقرن : الجبل الصغير ، واسم موضع . والمقنع ، المتغطى بالسلاح ، أو الذى على رأسه بيضة ، وهى الخوذة ، لأن الرأس موضع القناع .

(٤) هنا فيما عدا ل : « والرأب السواء » وظنى بها أنها من إقحام الناسخين . ولم أجد للرأب سوى المعنيين اللذين ذكرتهما .

(٥) هو كثير ، كما فى تهذيب الألفاظ ص ١٩٨ ، واللسان (سوى) ، وأمثال الميدانى (١ : ٣٠١) .

(٦) يقال هم سواسية وسواس وسواسوة ، الأخيرة نادرة ، كلها أسماء جمع ، أى متساوون . وأسنان الحمار مستوية . ويقال هذا فى الهجاء . ويقولون أيضا : « سواسية كأسنان المشط » .

وأنشد ابنُ الأعرابى[١] :

٣٤ قَبِّحتِ من سالِفَةِ ومن صُدُغْ[٢] كأنَّها كُشْيةُ ضَبٍّ فى صُقَغْ[٣]

أراد صُقْع بالعين فقلب[٤] . وقال الآخر :

أعقّ من ضبٍّ وأفْسَى من ظَرِبْ[٥]

وأنشَد :

فجاءت تَهاب الذَّمَّ ليست بضَبّة ولاسَلفع ٍيَلْقَى مِراساً زَمِيلُها[٦]

---

(١) الرجز لجواس بن هريم ، كما فى الموشح ١٩ ، وبدون نسبة فى العمدة (١ : ١١٠) وأدب الكاتب ٣٧٢ ، واللسان (١٠ : ٧٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣) .

(٢) السالفة : صفحة العنق . والصدغ : ما انحدر من الرأس إلى مركب اللحيين . قال ابن سيده فى ضم دال صدغ : « لا أدرى للشعر فعل ذلك ، أم هو فى موضوع الكلام ؟ أراد : قبحت يا سالفة من سالفة : وقبحت يا صدغ من صدغ ، فحذف لعلم المخاطب بما فى قوة كلامه » . فيما عدا ل : «صدع» ، تصحيف .

(٣) فيما عدا ل : « كأنما » ، تحريف . والكشية ، بالضم : شحمة فى ظهر الضب . ط : « كشة » هـ : « كسبة » صوابهما فى ل ، س . والصقغ ، بالغين المعجمة : لغة فى الصقع بالمهملة ، وهو الناحية من الأرض . والتعقيب التالى يؤيد هذه الرواية . وقد وردت فى اللسان (١٠ : ٣٢٣) وأشير إليها فى (١٠ : ٧٠) . وفى الأصل : « صقع » بالعين المهملة ، وفى ل أيضا : « قد » موضع : « فى » ، وأثبت ما يقتضيه التعقيب . ومن رواه بالعين المهملة جعل فى هذا الرجز إكفاء . والإكفاء : اختلاف الحروف فى الروى . انظر الموشح والعمدة ، وكذا اللسان (١ : ١٣٧ — ١٣٨) حيث أورد مثلا عجيبا فى الإكفاء ، وأدب الكاتب ٣٧٠ — ٣٧٢ وسماه « إبدال القوافى » ، وقد ذكر ابن قتيبة أن الخليل كان يسمى هذا الضرب بالإجازة . انظر الشعراء ص ٤٤ . وروى صاحب اللسان (٥ : ٢٢٧) أن الخليل كان يسميه « الإجارة » بالراء المهملة .

(٤) أى قلب العين المهملة غينا . وفيما عدا ل : « أراد صمق » ، تحريف .

(٥) أراد من ظربان ، فرخم لغير النداء . والظربان : دابة منتنة . وانظر ما سبق ص ٤٨ .

(٦) فيما عدا ل : « تهاب الدم » بإهمال الدال ، مصحف . والسلفع : السليطة اللسان الجريئة . ل « سلفا » ، وفيما عدا ل : « صلفع » ، صوابها ما أثبت . والمراس ، بالكسر : شدة المعالجة . والزميل : الصاحب .

يقول : لا تخدع [كما يخدع(١)] الضبُّ في جُحْره .

وأنشد ابنُ الأعرابي لحيّان بن عبيد الربعي(٢) جد أبي محضة(٣) :

يا سهلُ لو رأيْتَهُ يَوْمَ الْجُفَرْ(٤) إذْ هو يَسْعَى يَسْتَجيرُ للسُّوَرْ(٥)

يَرمي عن الصَّفْو ويَرضَى بالكَدَرْ لا زْدَدْتَ منه قذرا على قَذَرْ(٦)

يضحكُ عَنْ ثغر ذميم المُكْتَشَرْ(٧) ولِثَةٍ كأنَّها سَيرُ حَوَرْ(٨)

وعارِضٍ كعارض الضَّبِّ الذَّكَرْ

وأنشد السِّدرى(٩) :

هو القَرَنْبَى ومَشْىُ الضَّبِّ تعرفهُ وخُصَيْتَا صَرَصَرانيٍّ من الإبلِ(١٠)

---

(١) هذه الكلمة والتي قبلها ساقطتان من ط .

(٢) فيما عدا ل : « لجبار بن عبيد الله الدئل » ، لكن في س : « الديلي » .

(٣) أبو محضة الأعرابي ، روى أبو الفرج في الأغاني (٧ : ١٠٧ ، ١١١) أنه أنشد قصيدة ليزيد بن الطثرية ، فلما بلغ إلى قوله :

بنفسي من لو مر برد بنانه على كبدي كانت شفاء أنامله

ومن هابني في كل أمر وهبته فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

طرب وقال : هذا والله من مفنج الكلام !

(٤) الجفر : جمع جفرة ، وهي الحفرة الواسعة المستديرة . والجفر أيضا : خروق الدعائم التي تحفر لها في الأرض . ل ، س : « الحفر » بالحاء المهملة .

(٥) السور : جمع سورة ، وهي العرق من أعراق الحائط . وفي اللسان (٦ : ٥٣) « قال أبو منصور : والبصريون جمعوا الصورة والسورة وما أشبههما صورا وصورا وسورا وسورا ، ولم يميزوا بين ما سبق جمعه وحدانه وبين ما سبق وحدانه جمعه » .

(٦) فيما عدا ل : « قدرا على قدر » ، مصحف .

(٧) المكتشر : مصدر ميمي ، أو اسم مكان من اكتشر ، ولم يرد هذا المشتق ولا فعله في المعاجم ، وفيها الكشر وهو بدو الأسنان عند التبسم ، وفعله كشر . والمكاشرة ، يقال كاشره : ضحك في وجهه وباسطه .

(٨) اللثة ، بالكسر : مغرز الأسنان . والحور ، بالتحريك : الجلد المصبوغ بحمرة ، والعرب إنما يحبون السمرة في اللثات وفي الشفاه» ، قال طرفة :

سقته إياة الشمس إلا لثاته أسف ، ولم تكدم عليه بإثمد

(٩) هـ : « السدوى » . وهو محمد بن هاشم ، كما سبق في (٣ : ١١١) .

(١٠) القرنبى ، قال الجاحظ في (١ ، ٢٣٨) : « دويبة فوق الخنفساء ودون الجعل » =

والخالُ ذو قُحَم فى الجرْى صادقةٍ وعاتِقٌ يتعقّى مأبِضَ الرِّجُلِ (١)

واعلم ، حفظك الله تعالى ، [أنّه (٢)] قد أكتفِى بالشّاهد (٣) ، وتبقى فى الشعر (٤) فَضلةٌ ، ممّا يصلح للمذاكرة ، ولبعض ما بك إلى معرفته حاجة ، فأصِلُه به ، ولا أقطعهُ عنه .

وأنشد لابن لجأ :

وغَنَوى يَرتَمى بأسْهُمِ (٥) يلصق بالصّخْر لصوقَ الأرْقَمِ (٦)

لو سَئِمَ الضبُّ بها لم يَسْأم (٧)

= وانظر (٣ : ٥٢٥) . وهو بالإنجليزية : Long horned beetle وفى معجم وبستر أنها مأخوذة من : Kerambox اليونانية . والصرصرانى : واحد الصرصرانيات ، وهى إبل بين البخاتى والعراب . ل : « نعرفه » ، بالنون .

(١) أى وهو الخال . والخال : المنخوب الضعيف . والقحم : جمع قحمة ، بالضم ، وهى الانقحام فى السير . ط فقط : « فخم »، تحريف . عنى أنه فرار يجبن عند اللقاء . والعاتق : البكر التى لم تبن عن أهلها . ل : « عائق » محرف . يتعقى ، أراد يتكره . وفى اللسان : « وعقا يعقو ويعقى ، إذا كره شيئا . والعاقى : الكاره للشىء » . وفيما عدا ل : « يتعفى » بالفاء . والمأبض ، بكسر الباء : كل ما يثبت عليه فخذك . والرجل ، بالجيم : جمع أرجل ، وهو من الخيل الذى فى إحدى رجليه بياض . وفى ل : « الرحل » بالحاء المهملة : جمع أرحل ، وهو من الخيل الذى ابيض ظهره . وضم ثانى الكلمة لضرورة الشعر . يقول : هو كالبكر التى تكره ركوب الخيل .

(٢) كذا فى ل . وفى س : « أنى » .

(٣) فيما عدا ل : « اكتفيت بالشاهد » .

(٤) ل : « بالشعر » .

(٥) الغنوى : الرجل المنسوب إلى قبيلة غنى . ط : « عنوى » تصحيف . ويقال خرج يرتمى إذا خرج يرمى القنص . هـ ، س : « أسهم »، تحريف .

(٦) الأرقم : ضرب من الحيات فيه سواد وبياض . فيما عدا ل : « تلزق » بالتاء تحريف ، وتصح إذا قرئت : « يلزق » . وإنما يلصق بالأرض ليخفى شخصه عن الصيد .

(٧) أى أنه أصبر من الضب على اللصوق بالأرض . ط ، هـ : « سأم » ل : « سيم » صوابهما فى س .

وقال أعرابيٌّ من بنى تميم :

تسخرُ مِنِّى أَنْ رَأَتْنِى أحتَرِشْ[1] ولو حَرَشْتِ لَكَشَفْتِ عن حِرِشْ[2]

يريد عن حِرِك .

قال : وقال أبو سَعْنَة[3] :

قَلَهْزَمانِ جعــدةٌ لِحَاهما[4] عاداهمــا الله وقد عَادَاهُما

ضَبًّا كُدًّى قد غُمِّرَتْ كشَاهما[5]

---

(١) الاحتراش : صيد الضباب . وروى فى اللسان (٨ : ١٦٩ ، ٢٣٣) والخزانة (٤ : ٥٩٤ بولاق) : « تضحك منى » . وفى الفصول والغايات ص ٤٦٤ : « تهزأ منى » وفى ل : « إذ رأتنى » . وإنما ضحكت منه استخفافا به لما رأته يصيد الضب ، لأنه صيد العجزة والضعفاء .

(٢) أراد : « عن حرك » . والحر : هن المرأة ، يقول : لو كنت تصيدين الضب لاستدخلته إعجابا به وإعظاما للذته . وقلب الكاف شينا على الكشكشة ، وهى لغة لقوم من تميم ومن أسد ، يجعلون كاف المؤنث شينا فى الوقف ، ومنهم من يجعل الشين بعد الكاف ، يقولون إنكش وعليكش ، أو يجعل السين بعد الكاف : يقولون إنكس ، وعليكس ، فى إنك ، وعليك . وفى حديث معاوية : « تياسروا عن كشكشة تميم » . انظر اللسان (٨ : ٢٣٣ — ٢٣٤) والخزانة (٤ : ٥٩٤ بولاق) وسيبويه (٢ : ٢٩٥ — ٢٩٦) .

(٣) فى اللسان : « وابن سعنة بفتح السين من شعرائهم » . وفى تاج العروس (٩ : ٢٣٥) : « وابن سعنة شاعر جاهلى ، واسمه معبد بن ضبة » صوابه « واسمه معبد من بنى ضبة » انظر المؤتلف ١٤٣ . فيما عدا ل : « أبو شعبة » تحريف .

(٤) القلهزم : القصير الغليظ . ل : « قلهرمان » بالراء المهملة . ط : « فلهزمان » بالفاء ، صوابهما ما أثبت . والجعد ، هنا : ذو الشعر القصير القطط .

(٥) الكدى ، بضم ففتح : جمع كدية ، وهى الأرض الغليظة المرتفعة ، وقد رسمت فى ط ، هـ بالألف ، وجاءت فى ل : « كد » وفى س : « كذا » محرفتان . غمرت ، من التغمير ، وهو الطلاء بالغمرة ، بالضم ، وهى الزعفران ، وقيل الورس . أراد شدة اصفرار كشاهما . وقد سبق مثل هذا المعنى فى قوله القائل :

شديد اصفرار الكشيتين كأنما تطلى بورس بطنه وشواكله

انظر ص ٨٧ . وفيما عدا ل : « قد عظمت » .

وأنشد الأصمعى[١] :

إنِّى وجدتُك يا جُرثومُ من نَفَرٍ جرثومةِ اللُّؤم لاجُرْثُومةِ الكَرَم[٢]

٣٥ إنَّا وجَدْنا بنى جَلَّان كلَّهُمُ كسَاعِدِ الضَّبِّ لا طُولٌ ولا عِظَمُ[٣]

وقال ابنُ ميّادة :

إنَّ لِقَيسٍ مِنْ بَغِيضٍ لَنَاصراً إذا أسَدٌ كَشَّتْ لفخر ضِبابُها[٤]

وفى هذه القصيدة يقول :

ولو أنَّ قَيساً قيسَ عَيْلان أقسَمَتْ على الشَّمْسِ لم يَطْلُعْ عليك حجابها[٥]

وهذا من شكل [قول] بشّار[٦] :

إذا ما غضِبْنا غَضْبةً مُضَرِيّةً

هتَكْنَا حِجابَ الشَّمسِ أو مَطَرَتْ دمَا[٧]

---

(١) كذا فى ل . وفى هـ ، س : « قال وقال أبوشعبة وأنشدنا الأصمعى » ، وفى ط : « وقال أبوشعبة وأنشدنا الأصمعى » .

(٢) جرثومة كل شىء : أصله ومجتمعه .

(٣) فى القاموس : « جل وجلان : حيان » . وضبطت الجيم فيهما ضبط قلم بالفتح . وفى تاج العروس : « وهو جلان بن المتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد » . وانظر نهاية الأرب (٢ : ٣٢٨ — ٣٢٩) . وفى أحد هذين البيتين إقواء . وفى الخزانة ٢ : ٢٦٤ : « لا طول ولا قصر » .

(٤) ط : « وإنى . . . تناصر » ، صوابه فى سائر النسخ . كشت : صوتت . ل : « بفخر » .

(٥) حجاب الشمس : ضوءها . هـ ، س : « قيس غيلان » بالغين المعجمة ، تصحيف ، ومثله فى العمدة (٢ : ١١٥) . ط . هـ : « لم تطلع » . وفى ل : « عليها » صوابهما ما أثبت من العمدة .

(٦) مثل هذه النسبة فى الموشح ٢٤٨ والأغانى (٣ : ٣١) والأزمنة (٢ : ٣٥) والعمدة (٢ : ١١٥) . وفى اللسان (٢ : ٢٩٠) نسبة البيت إلى « الغنوى » . وفى المؤتلف ٩٣ أن البيت لابن خمير ، بالخاء المعجمة ، وهو القحيف بن خمير ، من بنى عمرو بن عقيل . قال الآمدى : « أخذ هذا البيت بشار فأدخله فى قصيدته » .

(٧) فى « حجاب الشمس » هنا أقوال ، أصحها ما ورد فى اللسان نقلا عن الأزهرى : أنه « الضوء » . ونقل المرزوقى فى الأزمنة عن ثعلب ، قال : « معناه =

وأنشد لأبى الطَّمَحان(١) :

مَهْلاً نميرُ فإنَّكُمْ أمسيتُمُ مِنَّا بثَغْرِ ثَنِيَّةٍ لم تسْتَرِ(٢)

سُوداً كأنَّكُمُ ذُبابُ خطيطةٍ مُطِرَ البلادُ وحِرْمُها لم يُمْطَرِ(٣)

يَحبُون بينَ أجًا وبُرْقةِ عالجٍ حبْوَ الضِّبابِ إلى أصول السَّخْبَرِ(٤)

وتَرَكْتُمُ قصب الشُّرَيْفِ طواميًا تهوى ثَنِيَّتُهُ كعَيْنِ الأعور(٥)

= حتى لم يكن حرب فلم يكن للشمس حجاب ، وحجابها الغبار » . وعن المبرد أنه قال : « اشتدت الحرب أولا ثم سعينا بينهم فأصلحنا ما فسد فسقط الغبار . فكأنهم هتكوا حجاب الشمس » . هـ، ط : « أو قطرت » وهى رواية المرزوق والمؤتلف . وفى العمدة : « أو أمطرت » وأثبت ما فى ل ، س والموشح واللسان . وعجيب من أمر بشار الفارسى الأصل العقيلى الولاء أن يفخر هذا الفخر ، ونظير هذا قوله يفخر بولاء بنى عقيل :

إننى من بنى عقيل بن كعب موضع السيف من طلى الأعناق

(١) أبو الطمحان القينى ، سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٧٣) . ل : « لأبى طمحان » .

(٢) نمير : هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة . فيما عدا ل : « عمير » ، صوابه ما أثبت من ل . ويؤيد هذا التصحيح أن « الشريف » التالى ذكره ، هو أرض بنى نمير . وفى معجم البلدان : « وأرض بنى نمير الشريف ، كلها بالشريف إلا بطنا واحدا باليمامة » . وفى معجم ما استعجم ص ٨٠٨ : « الشريف على لفظ تصغير الذى قبله : ماء لبنى نمير » . والثغر ، بالفتح : موضع المخافة . والثنية : كل عقبة مسلوكة .

(٣) الخطيطة : الأرض التى لم تمطر بين أرضين ممطورتين . والحرم بالكسر : الحرام ، أراد به حريمها ، ولم يرد هذا اللفظ بهذا المعنى فى المعاجم . فيما عدا ل : « ضباب حطيطة » ، تحريف .

(٤) أجا : جبل لطيئ . والسخبر : شجر يشبه الثمام ، له جرثومة وعيدان كالكراث فى الكثرة ، كأن ثمره مكاسح القصب ، أو أدق منها ، وإذا طال تدلت رءوسه وانحنت .

(٥) الشريف ، مر تفسيره فى البيت الأول . والقصب ، هنا : مجارى ماء البئر من العيون . طواميا : قد طما ماؤها وارتفع . قال ياقوت فى الشريف : « وهو أمرأ نجد موضعا » . ل : « ماء الشريف ظواميا » ، تحريف .

(مفاخرة العُثّ للضبّ)

وقال العُثّ ، واسمه زيد بن معروف، للضب غلام رُتْبيل بن غَلاّق[١] :

وقد رأيت من سمّى عَنزاً[٢] وثورا ، وكلْباً ، ويربوعا ، فلم نر منهم أحَداً أشبَهَ العنز[٣] ولا الثّور ، ولا الكلْب ، ولا اليربوع ، وأنتَ قد تقيَّلتَ الضّبَّ[٤] حتى لم تغادِرْ منه شيئاً . فاحتمَلَ ذلك عنه ، فلمّا قال :

من كان يدعى بِاسمٍ لايناسِبُهُ   فأنتَ والِاسْمُ شَنٌّ فَوقَه طَبَقُ[٥]

فقال[٦] ضبٌّ لعثّ :

إن كنْتُ ضَبًّا فإنّ الضبّ مُحْتبَلٌ   والضبُّ ذو ثَمَن فى السُّوق مَعْلُومِ[٧]

وليس للعُثِّ حَبَّالٌ يُرَاوِغُه   ولسْتَ شَيئاً سِوَى قرضٍ وتقليمِ[٨]

[وما أكثر ما يجىء الأعرابىُّ بقربةٍ من ماء ، حتى يفرغها فى جحره[٩] ،

---

(١) ط : « زنبيل علام »، س ، ﻫ : « زنبيل بن علان »، وأثبت ما فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « من يسمى عيرا » ، والوجه ما اعتمدت .

(٣) ط فقط : « شبه »، وفيما عدا ل : « العير » .

(٤) فى اللسان : « أبو زيد : تقيل فلان أباه وتقيضه ، تقيلا وتقيضا ، إذا نزع إليه فى الشبه » . ط : « تفليت » ﻫ : « تقليت »، صوابهما ما أثبت من ل ، س .

(٥) هو إشارة إلى المثل : « وافق شن طبقة » يضرب مثلا فى الموافقة . وشن : حى من عبد القيس . وطبقة : حى من إياد . وكانت شن لايقام لها ، فواقعتها طبقة فانتصفت منها ، فقيل : وافق شن طابقة ، أى وافقه فاعتنقه . وقيل كان لهم وعاء فتشنن عليهم فجعلوا له طبقا فوافقه . انظر المثل فى اللسان والميدانى . ط : « ومن دعوه » س : « من كان دعواه » ﻫ : « من دعواه »، وهذه الأخيرة محرفة . وفيما عدا ل : « شر » بالراء ، محرف .

(٦) فيما عدا ل : « فقال »، تحريف .

(٧) احتبله : صاده بالحبالة ، وهى المصيدة .

(٨) الحبال : الذى يصطاد بالحبالة . فيما عدا ل : « صياد »، وفى ل : « وتقويم » وهذه محرفة .

(٩) فى الأصل : « فى جحر » .

ليخرج فيصطاده : ولذلك قال الكميت فى صفة المطر الشديد الذى يستخرج الضِّباب من جِحَرَتها ، وإن كانتْ لا تتّخذها إلا فى الارتفاع — فقال :

وعلته بتركها تحفِش الأُكْـــمَ ويكفى المضبِّبَ التفجيرُ[1]

والمضبِّب هو الذى يَصيد الضِّباب] .

القول فى سن الضب وعُمره

أنشد الأصمعىُّ وغيره[2] :

تعلّقتْ واتّصلت بعَـكْلِ[3] خِطْبى وهَزَّتْ رأسها تسْتبْلى[4]

---

(١) تحفش الأكم : تملؤها .

(٢) هذه الكلمة ليست فى ل . والرجز لرؤبة بن العجاج . انظر الحيوان (٤ : ٨) والبيان (١ : ٤٩) والكامل ٣٤٨ والمخصص (١٢ : ٢٨٧) والميدانى (١ : ٤٥٤ / ٢ : ٨٥) واللسان (فطحل) وتهذيب الألفاظ ص ١٩ . وهو بدون نسبة فى أمالى القالى (١ : ٢٣٤) والأزمنة (١ : ٢٢٩) وثمار القلوب ٢٣٢ ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) والمخصص (١٠ : ١٧١) . وحكى ابن السكيت وكذا ابن سيده فى (١٢ : ٢٨٧) أن رؤبة ورد ماء لعكل ، وعليه فتية تسق صرمة لأبيها ، فأعجب بها فخطبها ، فقالت : أرى سنا فهل من مال ؟ قال : نعم قطعة من إبل . قالت : فهل من ورق ؟ قال : لا . قالت : ياالعكل أكبرا وإمعارا ؟! فقال رؤبة هذا الرجز . فتية : تصغير فتاة . الصرمة : القطعة من الإبل . الإمعار : ذهاب المال .

(٣) رواية ابن السكيت وابن سيده : « تألقت » : أى تلونت وتغيرت . اتصلت ، قال التبريزى : الاتصال أن يعتزى الرجل إلى قبيلته . وقبل هذا البيت فى تهذيب الألفاظ والمخصص واللسان : « لما ازدرت نقدى وقلت إبلى » .

(٤) خطبى ، هو فاعل تعلقت أو اتصلت ، والخطب ، بالكسر : المرأة المخطوبة ، والرجل الذى يخطبها خطاب أيضا . ط ، س : « حصى » هـ : « حطى » صوابه فى ل . تستبلى : تنظر ما عندى ، كأنها تهزأ به ، يقال : بلوت ما فى نفس فلان : أى استطلعته وعرفته. ط فقط : « تشتبلى » محرف .

تسألُنى من السِّنينَ[١] كَمْ لى فَقُلْتُ لو عُمِّرتُ عُمْـرَ الحِسْلِ

٣٦ أو عُمرَ نوحٍ زَمَنَ الفِطَحْلِ[٢] والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كطِينِ الوَحْلِ

صِرْتُ رَهِينَ هَرَمٍ أو قَتْلِ

وهذا الشِّعر يدلُّ على طول عُمر الحِسْل ؛ لأنه لم يكن لِيقول :

أو عُمرَ نوحٍ زَمنَ الفِطَحْلِ والصَّخرُ مبتلٌّ كطين الوَحْلِ

إلاَّ وعمر الحِسل عنده [من] أطول الأعمار .

وروى ابن الأعرابى عن بَعض الأعراب أنّ سِنَّ الضبّ واحدةٌ أبدا ، وعلى حال أبدا . [قال[٣]] فكأنه قال : لا أفعله[٤] ما دامَ سِنها كذلك ، لا ينقص ولا يزيد .

وقال زيد بن كَثْوة[٥] : سنّ الحِسْل ثلاثة أعوام . وزعم أن قوله ثَمّةَ[٦] : « لا أفعله سِنَّ الحسلِ » غلَط . ولكنَّ الضبَّ طويلُ العمر إذا لم يَعرِضْ له أمر .

وسِنُّ الحِسل مِثلُ سنّ القَلوص ، ثلاث سنين ، حتى يلقح[٧] ؛

(١) رواية ابن السكيت وابن سيده والقالى وابن منظور : « عن السنين » .

(٢) زمن الفطحل : زمن نوح . وقيل : سئل رؤبة عن قوله : « زمن الفطحل » فقال : أيام كانت الحجارة فيه رطابا .

(٣) هذه من ل ، س .

(٤) ط ، هـ : « لا أفعلها » . وفى الكلام نقص .

(٥) فى اللسان (٢٠ : ٧٩) : « الجوهرى : وكثوة ، بالفتح : اسم أم شاعر ، وهو زيد بن كثوة ، وهو القائل :

ألا إن قومى لا تلط قدورهم ولكنما يوقدون بالعذرات » .

ط : « كثيرة » هـ : « كثير » س : « كثر » ، صوابها فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « مثلا » ، ورسمت الكلمة فى ل بالتاء المبسوطة : « ثمت » .

(٧) ل : « تلقح » . والقلوص ، بالفتح : الفتية من الإبل .

ولو كانت سنُّ الحِسل على حال[١] واحدة [أبداً] لم تعرف الأعرابُ الفِتيَّ من المُذَكِّى[٢] .

وقد يكون الضّبُّ أعظَمَ سن الضّبّ وليس بأكبَرَ منه سِنًّا .

قال : ولقد نظرتُ يوماً إلى شيخٍ لنا يفُرُّ ضَبّا جَحْلاً سِبَحْلاً[٣] قد اصطاده ، فقلت له : لم تفعلُ ذلك ؟ فقال : أرجو أن يكون هرما .

(بيض الضب)

قال : وزعم عمرو بن مسافر أنّ الضّبّة تبيض ستّين بيضة ، فإذا كان ذلك سدَّت عليهن باب الجُحر ، ثم تدعهن أربعين يوما[٤] فيتفقّص[٥] البيض ، ويظهر ما فيه ، فتحفر[٦] عنهنَّ عند ذلك ، فإذا كشفَتْ عنهن أحْضَرْن وأحضرَتْ فى أثرهن تأكلهن[٧] ، فيحفر المنفلتُ منها لنفسه جُحراً ويَرْعَى من البقْل .

---

(١) فيما عدا ل : « حالة » .

(٢) المذكى ، بكسر الكاف المشددة : المسن من كل شىء . ط ، س : « لعرف الأعراب الفتى من الذكى » . وفى ه : « لعرف الأعراب الغبى من الذكى » صوابهما ما أثبت من ل .

(٣) يفره : يكشف عن أسنانه ليعرف عمره ، وهو بضم الفاء . والجحل ، بتقديم الجيم : الضخم . والسبحل : العظيم المسن . فيما عدا ل: « بقر ضبا حجلا سجلا» ، تحريف .

(٤) ل : « سد » ، و« يدعهن » ، و : « صباحا » بدل : « يوما » .

(٥) تفقست البيضة عن الفرخ : ظهرمنها . ل : « فيقفص » . فقص البيضة . كسرها .

(٦) ل : « فيحفر » .

(٧) ل : « فإذا كشف عنهن أحضرن وأحضر فى آثارهن يأكلهن » .

قال : وبيض الضبّ شبيهٌ ببيض الحمام[١] . قال : وفرخه حين يخرج يخرُج كيِّسا [كاسياً] ، خبيثاً ، مُطيقاً للكَسْب ، وكذلك ولد العقرب ، وفراخ البطّ[٢] ، وفراريج الدَّجاج ، وولد العناكب[٣] .

(سنّ الضبّ)

وقال زيد بن كَثْوة[٤] ، مَرَّةً بعد ذلك : إنّ الضب يَنبت سِنُّه معه وتَكبر[٥] مع كِبر بدنه ، فلا يزال أبداً كذلك إلى أن ينتهى بدنُه مُنتهاه . قال : فلا يُدعى حِسلاً إلاّ ثلاثَ ليالٍ فقط .

وهذا القول يخالف القول الأوَّل[٦] . وأنشَدَ :

مَهَرْتُها بعد المِطَالِ ضَبَّيْنْ ... مِنَ الضِّباب سَحْبَلَيْنِ سَبْطَين[٧]

نِعْمَ لعمرُ الله مَهْرُ العِرْسَيْنْ

أنشدنى ابن فَضَّال[٨] : «أمْهَرتها[٩]» ، وزعم أنّه كذلك سمِعها من أعرابىّ .

---

(١) ل : « وتبيض شبيها ببيض الحمام » .

(٢) ل ، « وكذلك فراخ البط » بإسقاط : « ولد العقرب » .

(٣) ل : « وولد العنكبوت » ، س : « وكذا العناكب » .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ١١٦ . وفى ط : « كثيرة » س ، هـ : « كثرة » وهو على الصواب الذى أثبت فى ل .

(٥) ل : « تكبر » بإهمال الحرف الأول . وفيما عدا ل : « يكبر » ، والوجه ما أثبت ، إذ أن « السن » مؤنثة والضمير فى هذا الفعل عائد إليها .

(٦) انظر ما سبق ص ١١٦ س ١٠ .

(٧) السحبل : العظيم المسن من الضباب . ط : « سخبلين » هـ : « سخيلين » صوابهما فى ل ، س . والسبط : الممتد الأعضاء التام الخلق . ل : « شطبين » والشطب والسبط بمعنى .

(٨) ذكر ابن النديم فى الفهرست ٣١٢ ابن فضال ، وقال إنه « أبو على الحسن بن على ابن فضال التيمى ، من ربيعة بن بكر ، مولى تيم الله بن ثعلبة ، وكان من خاصة أصحاب أبى الحسن الرضا » . وأبو الحسن الرضا ، هو على بن موسى الكاظم المتوفى سنة ٢٠٣ . ل : « ابن فضالة » .

(٩) ل : « أمرتها » .

وقد يكون[١] أن يكون الحسل لا يُثْنِي ولا يُرْبِع[٢] ، فتكون أسنانُه أبداً على أمر واحد ، ويكون قول [رؤبة بن[٣]] العجّاج[٤] فى طول عمره حَقًّا . ٣٧

ويدلُّ على أنّ أسنانَه على ما ذكروا[٥] قولُ الفزاريّ :

وجدناكُمُ رأباً بنى أمّ قِرفةٍ كأسنانِ حِسْلٍ لا وَفَاءٌ ولا غدْرُ[٦]

يقول[٧] : لا زيادة ولا نقصان .

(قصة فى عمر الضب)

وقال زيد بن كَثْوَة[٨] المزنى : قال[٩] العنبريّ ، وهو أبو يحيى : مكثْتُ فى عنفوان شَبيبتى ، ورَيعانٍ من ذلك ، أُريغُ ضَبًّا[١٠] ، وكان ببعض بلادنا فى وِشاز من الأرض[١١] ، وكان عظيما منها مُنْكراً ، ما رأيتُ

---

(١) فيما عدا ل : « يمكن » .

(٢) أثنى : صار ثنيا ، والثنى هو من الظلف والحافر ما كان فى الثالثة ، ومن الخف ما كان فى السادسة . وأربع : صار رباعا ؛ والرباع ، كسحاب ، هو من الظلف والحافر ما كان فى الخامسة ، ومن الخف ما كان فى السابعة . فيما عدا ل : « لا يبنى ولا يرفع » ، لكن فى س فقط : « لا يثنى » .

(٣) تكملة يقتضيها السياق .

(٤) فيما عدا ل : « الحجاج » . وانظر ما سبق من ١١٥ من نسبة الرجز اللامى .

(٥) س : « ذكر » وفى س ، هـ إقحام كلمة : « من » بعد هذه الكلمة .

(٦) سبق الكلام على هذا البيت فى ص ١٠٧ . س ، هـ : « رأيا » و « غدرا » فى آخر البيت ، تحريف . وفى ل : « زابا » ، بدل : « وابا » ، تحريف أيضا . وفيما عدا ل : « أم فرقة » ، والصواب ما أثبت .

(٧) ط ، هـ : « يقولون » وإنما يريد الشاعر .

(٨) ط : « كثيرة » س ، هـ : « كثرة » ، صوابه ما أثبت من ل . وانظر التنبيه رقم ٥ ص ١١٦ .

(٩) بدل هذه الكلمة والتى قبلها فى ل : « بن المرقال » .

(١٠) أراغ الصيد ونحوه : طلبه .

(١١) وشاز ، بكسر الواو : جميع وشز ، بالفتح وبالتحريك ، وهو النشز المرتفع من الأرض . وهذا الجمع قياسى وإن لم تنص عليه المعاجم . والذى فيها : « الأوشاز »

مِثله ، فمكثْتُ دهراً أُرِيغه ما أقدر عليه(١) . ثم إنّى هبطت إلى البصرة ، فأقمت بها ثلاثينَ سنةً . ثمَّ إنّى والله كرَرْتُ راجعاً إلى بلادى ، فررتُ فى طريقى بموضع الضّبّ ، معتمدا لذلك(٢) ، فقلت : والله لأعلمنَّ اليوم عِلمَه ، وما دَهْرِى إلاَّ أن أجعل من جلده عُكَّة(٣) ؛ للّذى كان عليه من إفراط العِظَم(٤) ، فوجَّهتُ الرَّواحل(٥) نحوه ، فإذا [أنا] به [والله] مُحْرَنْبِئاً على تَلعة(٦) ، فلمّا سمِع حِسّ الرّواحل(٧) ، ورأى سوادا(٨) مقبلاً نحوه ، مَرَّ مسرعاً نحو جُحره ، وفاتنى والله الذى لا إله إلا هو .

(مكن الضَّبة)

وقال ابن الأعرابىّ : أخبرنى ابن فارس(٩) بن ضِبْعان الكلبىّ ، أنَّ الضّبةَ يكون بيضُها فى بطنها ، وهو مَكْنُها ، ويكون بيضُها متَّسِقا ، فإذا أرادَتْ أن تبيضَه حفَرَتْ فى الأرض أُدْحِيًّا مثلَ أُدْحِىِّ النعامة ، ثم

---

(١) فيما عدا ل : « فما أقدر عليه » .

(٢) يقال عمده وعمد إليه وله وتعمده واعتمده : قصده ، انظر اللسان . وعبارة : « معتمدا لذلك » ليست فى ل .

(٣) ما دهرى بكذا وما دهرى كذا ، أى ما همى وغايتى . والعكة ، بالضم : زقيق صغير يتخذ للسمن ، وهو أصغر من القربة .

(٤) ل : « الكبر » .

(٥) س ، هـ : « العواحل » بالدال ، تحريف ، وإنما هى الرواحل ، وهى الإبل يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة ، وتمام الخلق ، وحسن المنظر .

(٦) فى اللسان : « احرنبى الرجل : تهيأ للغضب والشر . وفى الصحاح : واحرنبى ، ازبأر والباء للإلحاق بافعنلل ، وكذلك الديك والكلب والهر ، وقد يهمز » ، فيما عدا ل : « محترشا » تحريف . والتلعة ، بالفتح : مجرى الماء من أعلى الوادى إلى بطون الأرض .

(٧) ل : « سوادى » . والسواد : الشخص .

(٨) ل : « ابن جار » .

ترمى بمكنها[١] فى ذلك الأُدْحِىّ [ثمانين مَكنة] ، وتدفنه بالتُّراب ، وتدعُه أربعين يوماً ، ثم تجىءُ بعد الأربعين[٢] فتبحثُ عن مَكْنها ، فإذا حِسَلَةٌ[٣] يتعادين [منها] ، فتأكلُ ماقدَرت عليه . ولو قدَرَتْ على جميعهن[٤] لأكلتهنّ . قال : ومَكنُها جلدٌ ليّن، فإذا يبست فهى جلد[٥] ، فإذا شويْتَها أو طبخْتَها وجَدْتَ لها مُحًّا كمحّ بيض الدّجاج[٦] .

(عداوة الضَّبة للحية)

قال : والضّبّة تقاتل الحيّة وتضربُها بذَنبها ، وهو أخشن من السَّفَن[٧] وهو سلاحها ،وقد أُعطيت فيه من القُوَّة مثلَ ما أعطيت العُقَاب فى أصابعها[٨] ، فربما قطعتها بضربة ، أو قتلتها ، أو قَدّتها[٩] . وذلك إذا كان الضّبّ ذَيّالا مذنِّبا[١٠] .وإذا كان مرائسا قتلته الحية[١١] .

---

(١) المكن ، بالفتح ، وبفتح فكسر : بيض الضبة . ط ، س : « بيضها » ﻫ : « ببيضها » وأثبت ما فى ل .

(٢) هذه الجملة ليست فى ل .

(٣) الحسلة ، بكسر ففتح : جمع حسل ، بالكسر ، وهو ولد الضب . ل : « حسله »، وفيما عدا ل : « حملته » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ل : « أجمعهن » تحريف ؛ إذ أن لفظ « أجمع » لا يستعمل فى غير التوكيد .

(٥) ل : « جلدة » .

(٦) المح ، بضم الميم وتشديد الحاء المهملة : صفرة البيض . ل ، س : « مخا كمخ » تصحيف .

(٧) السفن ، بالتحريك : قطعة خشناء من جلد سمكة تحك به السياط والقدحان والسهام والصحاف ، وقد يجعل من جلد الضب أو من الحديد . فيما عدا ل : « وهو أخشن من السفر »، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : «العقارب فى إبرتها » .

(٩) القد : القطع . ل : «فربما قطعها بضربة أو قتلها أو قدها » .

(١٠) الذيال : الطويل الذيل . والمذنب ، بتشديد النون المكسورة : الذى أخرج ذنبه من أدنى الجحر ورأسه فى داخله ، وذلك فى الحر .

(١١) المرائس : الذى يخرج من جحره برأسه . ومثله المرئس ، بتشديد الهمزة =

والتّذنيب: أنّ الضبّ إذا أرادت الحيّةُ الدُّخولَ عليه في جُحره أخرَج الضبُّ ذنبه إلى فم جُحره ، ثم يضرب به كالمخراق[١] يميناً وشمالا ، فإذا أصاب الحيَّة قطعها ، والحيَّةُ عند ذلك تهرُب منه .

والمراءسة : أن يُخرِجَ الرَّأس ويدَعَ الذَّنَب[٢] ويكون غُمراً[٣] فتعضّه الحيَّة فتقتله .

(استطراد لغوى)

قال : [وتقول[٤]] : أمكنت [الضبّة[٥] و] الجرادة فهى تمكن[٦] إمكانا : إذا جمعت البَيضَ فى جوفها . واسم البَيض المَكن[٧] . والضّبة مَكُون ، فإذا باضت الضّبة والجرادةُ قيل قد سرأت . والمكن والسَّرء : البيض[٨] ، كان فى بطنها أو[٩] بعد أن تبيضه . وضَبّة

= المكسورة . س : « موابسا » تحريف . وفى ل : « قتله الحية » . والحية يذكر ويؤنث .

(١) المخراق : بالكسر : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف ليفزع به . س : « كالمحراق » بالمهملة ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « تخرج » و « تدع » . وفى س : « المرابسة » بدل : « المرائسة » تحريف .

(٣) الغمر ، بالضم : الجاهل الغر لاتجربة له . ط ، هـ : « غمزا » والغمز ، بالتحريك وآخره زاى معجمة : الضعيف العقل . والغميز والغميزة : ضعف فى العمل ، وفهة فى العقل .

(٤) فى س : « ويقال » ، وإثبات التكملة من ل على هذا النحو أوفق .

(٥) التكملة من ل ، س .

(٦) ل فقط : « ممكن » .

(٧) المكن ، بالفتح ، وبفتح فكسر .

(٨) السرء والسرأة ، بالكسر والفتح فيهما : بيض الجراد ، والضب ، والسمك وما أشبهه . ط : « والسراء » ، وفيما عدا ل : «والبيض» ، كلاهما محرف .

(٩) فيما عدا ل : « أم » .

سرُوء[١] . وكذلك الجرادة تسرأ سرءًا ، حينَ تُلقى بيضها . وهى حينئذ سِلْقة[٢] . ٣٨

وتقول : رزَّت الجرادةُ ذنبها فى الأرض فهى ترزُّ رزًّا[٣] ، وضربت بذنبها الأرض ضرباً ، وذلك إذا أرادت أن تلقىَ بيضها[٤] .

(المضافات من الحيوان)

ويقولون : ذئب الخَمَر[٥] ، وشيطان الحماطة[٦] ، وأرنب الخُلّة[٧] ، وتيس الرَّبْل[٨] وضبّ السَّحا . والسَّحا : بقلة تحسُن حاله عنها[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : « سرو » بالتسهيل .

(٢) السلقة ، بكسر السين وسكون اللام وآخرها قاف : الجرادة إذا ألقت بيضها . انظر اللسان (١٢ : ٢٨) والمخصص (٨ : ١٧٣) . ط : « ثقة » ، س ، هـ : « شقة » ل : « سلفة » ، والصواب ما أثبت .

(٣) س ، هـ : « زرت » و : « تزر زرا » محرف .

(٤) س : « ببيضها » .

(٥) الخمر ، بالتحريك : ما واراك من شجر وغيره . ط ، هـ : « ذئبة » بدل : « ذئب » . ط : « السخبر » محرف . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٢٠ / ٤ : ١٣٣) . والسخبر إنما تألفه الحيات . ومنه حديث ابن الزبير ، قال لمعاوية : « لا تطرق إطراق الأفعوان فى أصول السخبر » .

(٦) الحماطة ، بالفتح : واحدة الحماط ، وهو شجر التين الجبلى . والشيطان هنا : الحية .

(٧) الخلة ، بالضم : ما فيه حلاوة من المرعى ، وأما ما فيه ملوحة فهو الحمض ، بالفتح .

(٨) الربل ، بالفتح ، ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . ط ، س : « الريل » س : « الوبل » صوابهما فى ل .

(٩) السحا ، بالفتح : واحدة السحاء ، وهى شجرة شاكة وثمرتها بيضاء ، وهذا النبت يأكله الضب . س : « السجا » بالجيم فى الموضعين ، تحريف . ط ، س : « يحسن » هـ : « يحس » ، وهذه محرفة .

ويقال: هو قنفذ بُرْقة[١] ، إذا أراد أن يصفَه بالخُبث .

(ذكر الشعراء للضب فى وصف الصيف)

وما أكثرَ مايذكرون الضبّ إذا ذكَرُوا الصيف[٢] مثل قول الشاعر :

سار أبو مسلمٍ عَنها بصِرْمَتِــهِ والضبُّ فى الجُحْر والعُصفورُ مُجتمعُ[٣]

وكما قال أبو زبيد[٤] :

أىُّ ســاعٍ سَعَى ليقْطَع شرْبِى حينَ لاحت للصَّـابح الجوزاءُ[٥]

واستكنَّ العُصفور كَرْهاً مع الضّـ ـبِّ وأوْفَى فى عُـودِهِ الحِرباءُ[٦]

وأنشد الأصمعىّ[٧] :

تجاوَزْتُ والعصفور فى الجُحر لاجئٌ

مع الضَّبِّ والشِّقْذَانُ تَسمُو صدورُها[٨]

قال: والشِّقذان: الحَرَابِىّ . قوله : « تسمو » : أى تَرتَفِـعُ[٩] [فى رءوس العيدان] . [الواحد من] الشّقذان ، بكسر الشين وإسكان القاف ، شَقَذ بتحريك القاف[١٠] .

---

(١) البرقة ، بالضم : غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلفة . وتجمع البرقة على براق ، بالكسر . ويقال قنفذ برقة ، كما يقال ضب كدية .

(٢) ل ، س : « الضيف » بالمعجمة ، تحريف .

(٣) الصرمة ، بالكسر : القطعة من الإبل .

(٤) تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٧٤) . س ، هـ : « أبو زيد » تحريف .

(٥) ط : « أى ساع ساع » صوابه فى سائر النسخ ، وقد شرح البيت فى (٥ : ٢٣١) .

(٦) انظر شرح البيت وتخريجه فى (٥ : ٢٣٢) .

(٧) البيت لذى الرمة ، كما فى ديوانه ٣٠٨ واللسان (٥ : ٣٠) .

(٨) سبق البيت وشرحه فى (٥ : ٢٣٢) . ط فقط : « يسمو » .

(٩) ط ، هـ : « يسمو أى يرتفع » .

(١٠) فيما عدا ل : « والشقذان جمع شقذ بكسر الشين وإسكان القاف ، والجمع شقذان بالتحريك » .

(أسطورة الضب والضفدع)

وتقول الأعراب : خاصم الضبُّ الضفدعَ فى الظَّمأ[١] أيُّهما أصبر ، وكان للضفدع ذنَب ، وكان الضبُّ ممسوحاً[٢] ، فلمّا غلبها الضبُّ أخذ ذنبَها ، فخرجا[٣] فى الكلأ ، فصَبرت الضفدع يوماً ويوماً[٤] ، فنادت : ياضبّ ، ورداً ورداً ! فقال الضبُّ :

أصبحَ قَلْبى صَرِدَا[٥] لا يشْتَهى أن يَرِدَا
إلاّ عَــرَادا عَــرِدَا[٦] وصِــلِّياناً بَرِدَا[٧]

فلما كان [فى[٨]] اليوم الثالث نادت : يا ضَبُّ ، وِردا وِردا ! [قال] :

---

(١) فيما عدا ل : « فى الماء » .

(٢) فى اللسان : « والمسح : نقص وقصر فى ذنب العقاب » . وفيه أيضا : « وامرأة مسحاء الثدى ، إذا لم يكن لثديها حجم » . ويقال : مسحه بالسيف مسحا : ضربه أو قطعه . فيما عدا ل : « ممسوح الذنب » .

(٣) ط ، هـ : « فخرج » .

(٤) ط ، هـ : « يومان » ل : « يوما » س : « يوما يوما » ، ولعل وجهه ما أثبت .

(٥) فى اللسان : « الأزهرى : إذا انتهى القلب عن شىء صرد عنه ، كما قال :
أصبح قلبى صردا » .

(٦) العراد ، كسحابة وآخره دال : حشيش طيب الريح . وعراد عرد على المبالغة ، أو أراد أن يقول عراد عارد ، فحذف للضرورة . والعارد : الذى خرج واشتد . هـ : « إلا عررا غردا » ط : « إلا عرارا غردا » ، وجههما ما أثبت من ل واللسان (٤ : ٢٨٠) والدميرى (٢ : ١١٠) . وانظر الحيوان (٤ : ١٧٢ — ١٧٣) . وأشطار الرجز فى اللسان (برد ، صرد ، عرد ، عنكث) .

(٧) الصليان ، بكسر أوله وتشديد اللام المكسورة وتخفيف الياء : شجر من الطريفة ينبت صعدا ، وأضخمه أعجازه وأصوله ؛ والواحدة صليانة . والبرد ، أراد البارد فحذف للضرورة . انظر اللسان (٤ : ٢٨٠) . فيما عدا ل : « لبدا » ، والرواية ما أثبت من ل وسائر المصادر .

(٨) هذه الكلمة من ل ، س .

فلمّا لم يُجبها بادَرَتْ إلى الماء ، وأتْبعها[1] الضبُّ ، فأخذ ذنبَها . فقاله في تَصْداقِ ذلك ابن هَرْمة[2] :

أَلم تأرَقْ لضوءِ البَرْ — قِ في أَسْحَمَ لمَّاحِ

كأعنـــاقِ نساءِ الهِنْ — دِ قد شِيبَتْ بأَوْضَاحِ[3]

تُؤَامِ الوَدْقِ كالزّاحِ — فِ يُزْجَى خَلْفَ أَطْلاحِ[4]

كأنَّ العـــازفَ الجنِّ — يَّ أو أصواتَ أَنْوَاحِ[5]

٣٩ على أرجائهـــا الغُـــرُّ تَهَـــدِّيها بمِصْبـــاحِ[6]

---

(١) س : « وتبعها » .

(٢) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة الفهري ، كان من الشعراء المعاصرين لجرير . وكان الأصمعي يقول : « ختم الشعراء بابن هرمة ، وحكم الخضري ، وابن ميادة ، وطفيل الكناني ، ودكين العذري » . وفي الأغاني (٤ : ١١٣) : « ولد ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة ، قصيدته التي يقول فيها :

إن الغواني قد أعرضن مقلية — لما رمى هدف الخمسين ميلادي

ثم عمر بعدها مدة طويلة » .

(٣) الأوضاح : جمع وضح ، بالتحريك ، وهو البرص والشية في الجسد . ل : « قد شبت » ، تحريف .

(٤) الودق : المطر . تؤام : جمع توأم ، وهو المزدوج . والزاحف : البعير أعيا فجر فرسنه . يزجى : يساق ويدفع . والأطلاح ، جمع طلح ، بالكسر ، وهو البعير الذي لحقه الكلال والإعياء . جعل هذه السحب في تباطئها وثقل سيرها مثل هذه الإبل الحسرى . فيما عدا ل : « يؤم البرق كالراجف » ، وفي ل : « تزجى » بالتاء . والصواب ما أثبت .

(٥) عزف الجن : جرس أصواتها . هـ ، س : « العارف » بالراء المهملة ، تحريف . والأنواح : جمع نوح ، بالفتح ، والنوح : النساء يجتمعن في مناحة . يقول : كأن صوت الجن أو الأنواح صوت هذا الرعد .

(٦) الغر : البيض . والتهدي : الاهتداء ، يقال تهدى إلى الشيء واهتدى . أي أن هذه السحب الغبر تهتدي في سيرها بمصباح البرق . وقد تكون « المصباح » هنا مأخوذة من مصباح الإبل ، وهي التي تصبح في مبركها لا ترعى حتى يرتفع النهار ، وهو مما يستحب من الإبل ، وذلك لقوتها وسمنها . والعرب يشبهون السحاب بالإبل .

فقال الضبُّ للضفدِ ع ِ فى بَيداءَ قِرواحِ(١)

تأمّل كيف تنْجُو اليو مَ من كرب وتطْراحِ(٢)

فإنى سَابحٌ ناجٍ وما أنتَ بسَبَّاحِ

فلمّا دق أنف المُزْ نِ أبْدَى خيرَ إرْواحِ(٣)

وسَحَّ الماء من مُستحْ لَب بالمــاء سَحَّاحِ(٤)

رَأى الضبُّ من الضفدِ ع عَوماً غيرَ مِنْجاحِ

وحَطّ العُصْمَ يُهوِيها ثَجُوجٌ غير نَشّاحِ(٥)

ثقَالُ المشْىِ كالسَّكرا نِ يمشى خلفه الصَّاحى

ثم قال فى شأن الضفدع والضب ، الكميتُ بن ثعلبة :

---

(١) القرواح ، بالكسر ، الفضاء من الأرض .

(٢) التطراح : تفعال من الطرح ، بالتحريك ، وهو البعد . ولم تذكره المعاجم .

(٣) أنف المزن : أوله . والمزن : جمع مزنة ، وهى السحابة البيضاء . فيما عدا ل : « رق » بالراء .

(٤) المستحلب ، بفتح اللام : المستدر . وفى حديث طهفة : « نستحلب الصبير » أى نستدر السحاب . ل : « مستحلف » تحريف ، قد يكون صواب هذه : « مستخلف » . والمستخلف : المستسقى . والعرب يزعمون أن السحاب يشرب من ماء البحر . قال :

شربن بماء البحر ثم ترفعت إلى لجج خضر لهن نئيج

(٥) العصم : جمع أعصم ، وهو الذى بإحدى يديه بياض . أراد الوعول ، والوعول عصم . فيما عدا ل : « المظم » ، تحريف . يهويها : يسقطها . وفى قول الله عز وجل : « والمؤتفكة أهوى » أى أسقطها ، يعنى مدائن قوم لوط . والثجوج : الغزير الماء ، وفى اللسان : « وعين ثجوج : غزيرة الماء » . ﻫ : « فجوج » وفى سائر النسخ : « نجوح » ، صوابهما ما أثبت . والنشاح : عنى به القليل الماء ، وفى اللسان : « سقاء نشاح : وشاح نضاح » . ط ، س : « نساح » ولا وجه له .

على أخْذِها يَوْمَ غِبٍّ الوُرُود وعنـــد الحكومة أذْنَابَهَا[١]

وقال عُبيد بن أيوب :

ظَلِلت وناقتى نِضْوَىْ فَلاةٍ كفَرْخ الضبِّ لا يبغى وُرودَا[٢]

[وقال] أبو زياد[٣] : قال الضبّ لصاحبه :

أَهَدَموا بَيْتَكَ لا أبالَـكا وزعَمُـوا أنك لا أخا لَـكا

وأنا أمشى الحَيَـكَى حَوالَـكا[٤]

(قول العرب : أروى من الضب)

وتقول العرب : « أرْوَى من ضبّ[٥] » ؛ لأن الضب عندهم لا يحتاجُ

---

(١) الغب ، بالكسر : أن يرد يوما بعد يوم . والحكومة : الحكم . فيما عدا ل : « ويوم الحكومة » وأثبت ما فى ل والميدانى (١ : ٢٨٩) .

(٢) فى اللسان : « الفرخ ولد الطائر ، هذا الأصل ، وقد استعمل فى كل صغير من الحيوان والنبات والشجر وغيرها » .

(٣) هو أبو زيد الكلابى الأعرابى ، يزيد بن عبد الله بن الحر بن همام بن دهن بن ربيعة بن عمرو بن نفاثة بن عبد الله بن كلاب بن عامر بن صعصعة . كذا نسبه على بن حمزة البصرى فى التنبيهات على أغاليط الرواة (مخطوطة دار الكتب) . وقال ابن النديم ص ٦٧ : قدم بغداد أيام المهدى حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن محمد ، فأقام بها أربعين سنة . وبها مات ، وكان شاعرا من بنى كلاب بن عامر .

(٤) الحيكى ، بفتح الحاء والياء المثناة : مصدر ، كجمزى ، يقال فى مشيته حيكى ، كجمزى ، إذا كان فيها تبختر ، كما نقله الصاغانى عن المبرد . انظر تاج العروس . وهذه الرواية قد انفرد بها الجاحظ ، وهى فى الأصل : « الحبكا » بالموحدة والألف ، تحريف . والرواية فى سائر المصادر : « الدألى » ، وهو بالتحريك : مشية فيها ضعف وعجلة . انظر اللسان (حول) و (دأل) والكامل ٣٤٧ وسيبويه (١ : ١٧٦) والمقصور والممدود ص ٤٠ وأمالى الزجاجى ٨٣ . وقد أنشد السيوطى فى همع الهوامع (١ : ١٤٥) البيتين الأولين . وحوالكا : أى حولك ، يقال هو حوله وحوليه وحواليه وحواله ، بمعنى . وقد جاء فى ط : « لا أبا للكا » و « أخا للكا » و « حوا للكا » تحريف . وروى سيبويه : « وحسبوا أنك » .

(٥) فيما عدا ل : « من الضب » .

إلى شُرب الماء ، وإذا هرِم اكتفَى بَبْرد النَّسيم ، وعند ذلك تفنى رطوبته فلا يبقى فيه شيءٌ من الدَّم ، ولا مما يُشبه الدَّم[١] . وكذلك الحيَّة[٢] . فإذا صارت كذلك لم تقْتُلْ بلعاب ، ولا بمُجَاج ، ولا بمُخالطةِ ريق ؛ وليس إلاّ مخالطة عظم السِّنِّ لدماء الحيوان[٣] . وأنشدُوا[٤] :

لُمَيْمَةٌ من حَنَش أعْمَى أصمّْ[٥] قد عَاشَ حتَّى هو لا يمْشِى بدَمْ
فكلَّما أقْصَدَ منه الجوعُ شَمّْ[٦]

وأمَّا صاحبُ المنطق فإنه قال : باضطرار إنه لا يعيش حيوانٌ إلاّ وفيه دمٌ أو شيء يشاكل الدم[٧] .

(إخراج الضب من جحره)

والضبُّ تذْلقه[٨] من جُحره أمور ، منها السَّيل . وربَّما صبُّوا

---

(١) فيما عدا ل : « فلا يبقى فيه من الدم ولا مما يشبه الدم شيء » .
(٢) ط ، هـ : « وكذا الحية » .
(٣) ط ، هـ : « الحيوانات » وفى ل : « إلا بمخالطة » .
(٤) فيما عدا ل : «وأنشد». وانظر (٤ : ١١٩ ، ٢٨٣).
(٥) لميمة : مصغر اللمة ، بفتح اللام وتشديد الميم ، الشدة ، ومنه قول عقيل بن أبى طالب :
أعيذه من حادثات اللمه
انظر اللسان (١٠ : ٢٤) . واللمة أيضا : الشيء المجتمع . ط : « لمهيمة » هـ : « لمهجة » ، صوابهما فى ل ، س .
(٦) أقصده : أصابه إصابة محققة . شم : أى شم الهواء ينال منه ليغتذى به . فيما عدا ل : « فكل ما » تحريف . وفى الأصل : « أفضل » بدل : « أقصد » صوابه مما سبق فى (٤ : ١١٩) . ل : « سم » بالمهملة ، وبها يفوت الاستشهاد .
(٧) ط ، هـ : « يشاكله الدم » . وقد سبق فى (٣ : ٣٦٩) قول الجاحظ : « وقد قال صاحب المنطق : أقول بقول عام : لابد لجميع الحيوان من دم أو من شيء يشاكل الدم » .
(٨) أذلق الضب واستذلقه وذلقه ، بالتشديد : صب على جحره الماء حتى يخرج =

٤٠ فى جحره قربةً من ماء فأذْلقوه به(٢) . وأنشد أبو عُبيدة :

يُذلقُ الضبُّ ويَخفيه كما يُذلقُ السَّيلُ يَرابِيعَ النُّفَقْ(٢)

يَخفيه مفتوحة الياء . وتذلقه(٣) [وقْع(٤)] حوافِرِ الخيل . ولذلك قال امرؤ القيس [بن حُجْر] :

خَفَاهُنَّ مِنْ أنْفاقهنَّ كأنَّما خَفَاهُنَّ وَدْقٌ من سَحابٍ مُرَكَّبِ

تقول : خَفَيْته أَخفِيه خَفْيا : إذا أظهرته . وأخْفيته إخفاءً : إذا سترته .

وقال ابن أحمر(٥) :

فإن تَدْفِنُوا الدّاءَ لا نَخْفِهِ وإنْ تبعثُوا الحربَ لا نقعُدِ

ولا بدَّ من أن يكونَ وقعُ الحوافرِ هدَم عليها، أو يكونَ أفزَعَها فخرجَتْ . وأهلُ الحجاز يسمُّون النبّاش المُختَفِى(٦) ؛ لأنّه يستخرج الكفَن من القَبْر ويُظهره .

= س ، هـ : « تلزقه » تحريف . وفى ط : « تزلقه » بالزاى ، يقال زلقه ، بتخفيف اللام وأزلقه : إذا نحاه عن مكانه . وفى الكتاب العزيز : (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) قرئ بضم الياء وفتحها . لكن الوجه فيما يقال للضب أن يقال بالذال . انظر اللسان (١١ : ٤٠٠) .

(١) فيما عدا ل : « فأزلقوه » بالزاى . وانظر التنبيه السابق .

(٢) النفق : جمع نفقة ، بضم ففتح ، وهو كالنافقاء إحدى جحرة اليربوع . فيما عدا ل :

يزلق الضب ويخفيه كما تزلق السيل يرابيع النفر

وهو محرف .

(٣) فيما عدا ل : « وتزلقه » بالزاى ، وانظر التنبيه رقم ٨ من الصفحة السابقة .

(٤) هذه التكملة من ل ، س ، هـ .

(٥) كذا . وقد سبقت نسبته فى (٥ : ٣٠٦) إلى امرئ القيس بن عابس الكندى .

(٦) فى اللسان : « والمختفى النباش ؛ لاستخراجه أكفان الموتى . مدنية » . ط : « المخفى » ، تحريف .

وحكَوا عن بَعض الأعراب أنّه قال : « إنَّ بنى عامر[١] قد جعلونى على حِنديرةِ أعينها ، تريد أن تختنىَ[٢] دمى » ، أى تظهره وتستخرجه . كأنّها إذا سفحَتْه وأراقته فقد أظهرتْه .

(قول أبى عبيدة فى تفضيل أبيات لامرئ القيس)

وأنشد أبو عبيدة[٣] :

دِيمةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ طَبَقُ الأَرض تَحَرَّى وتَدُرّْ[٤]

تُخرِج الضبَّ إذا ما أشجَذَتْ وتُواريه إذا ما تَعْتَكِرْ[٥]

وتَرَى الضّبَّ ذَفيفا ماهراً ثانياً بُرثُنَه ما يَنعفِرْ[٦]

---

(١) س : « إن بعض بنى عامر » . وانظر ما أسلفت فى حواشى (٥ : ٣٠٧) .

(٢) ط ، س : « على حيدرة » ، وفى هـ : « على حيدى وأعينها يريد أن يختنى » ، وفى ط : « تريد أن تختنى » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الشعر لامرئ القيس من قصيدة فى ديوانه ١٤٣ — ١٤٤ .

(٤) الديمة ، بالكسر : المطر الدائم يوما وليلة . والهطلاء : المتتابعة المطر . والوطف : استرخاء فى جوانبها لكثرة الماء . طبق الأرض ، بالتحريك : أى غشاء لها يعمها . تحرى : تتوخى وتعمد . تدر : تصب . ل ، هـ : « تحرا » س : « نحرا » وفى س ، هـ : « وقدر » محرفات .

(٥) أشجذت : سكن مطرها وضعف . ل : « أسحدت » . وفيما عدا ل : « أسحرت » ، صوابهما ما أثبت من الديوان واللسان (٤ : ٤٧٠ / ٥ : ٢٧ / ٦ : ٩٤) . تعتكر : تشتد . وروى صدره فى الديوان واللسان فى الموضعين الاخيرين : « تخرج الود » بالفتح ، أى الوتد . وقافيته فيهما : « إذا ما تشتكر » أى تحتفل بالماء .

(٦) الذفيف ، بالذال المعجمة : السريع الخفيف . ل « خيفا » وهى رواية الديوان والأمالى (٢ : ٢٩١) فيما عدا ل : « دفيفا » بالدال المهملة ، تصحيف . والماهر : الحاذق بالسباحة . قال الوزير أبو بكر : « تزعم العرب أن الضب من أمهر الحيوان بالسباحة . ألا ترى كيف وصفه ببسطه كفه وضمها إليه كما يفعل السابح إذا بسط كفه ثم قبضها إليه . واستغنى عن ذكر البسط لدلالة ثانيا عليه ، لأن الثنى القبض والضم . ولقوته لاتصيب له إصبع من الأرض فينعفر

وكان أبو عبيدة يقدِّم هذه القصيدة فى الغيث[١] ، على قصيدة عَبيد ابن الأبرص ، أوْ أوس بن حجر[٢] ، التى يقول فيها أحدهما[٣] :

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُه ... يَكادُ يَدْفعه مَنْ قَامَ بالرَّاحِ[٤]

فمن بنَجْوَتِهِ كَمَنْ بعقْوَتِهِ ... والُمسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِى بقِرْواحِ[٥]

وأنا أتعجَّبُ مِنْ هذا الحكم .

(قولهم : هذا أجلُّ من الحَرش)

ومما يضيفون إلى هــذه الضِّباب من الكلام ، ما رواه الأصمعىُّ فى تفسير المثل ، وهو قولهم : « هٰذَا أجَلُّ من الحَرْش » — أنَّ الضَّبَّ[٦] قال لابنه : إذا سمِعْتَ صَوْتَ الحَرْشِ فلا تَخْرُجَنَّ ! قال : والحَرْش :

—

= فيها . وقال أبو حنيفة « لا ينعفر : لا يبلغ الأرض لعظم السيول وكثرة المطر » فيما عدا ل : « ما ينعقر » بالقاف ، تحريف .

(١) ط ، هـ « الضب » ، صوابه فى ل ، س .

(٢) فيما عدا ل : « وأوس بن حجر » .

(٣) فيما عدا ل : « قال أحدهما فيها » وبإسقاط كلمة « التى » . والبيتان من قصيدة فى ديوان أوس . وروى البيت الأول فى اللسان (٢ : ٢٧٨) منسوبا لعبيد ابن الأبرص ، وفيه : « قال ابن برى : البيت يروى لعبيد بن الأبرص ، ويروى لأوس بن حجر » . وروى البيت الثانى فى اللسان (٣ : ٣٩٦) منسوبا إلى عبيد . والبيتان أيضا من قصيدة لعبيد بن الأبرص رواها ابن الشجرى فى مختاراته ١٠٠ — ١٠١ . ويحدث كثيرا فى الشعر الجاهلى : أن يصنع شاعران قصيدتين من بحر واحد وروى واحد ، فيختلط أمرهما على الرواة : يدخلون أبياتا فى هذه من تلك ، فتختلط نسبة الأبيات .

(٤) ل : « كان » ! والمسف : الذى قد أسف على الأرض ، أى دنا منها . والهيدب : سحاب يقرب من الأرض كأنه متدل . والراح : جمع راحة . أراد يكاد يمسكه من قام براحته . س ، هـ : « يرفعه » بالراء ، وأثبت ما فى ل واللسان والديوان .

(٥) النجوة : سند الوادى لا يعلوه السيل . والعقوة : الساحة . يقول : إن السيول قد طم حتى علا النجوة فاستوت بالعقوة . والقرواح ، بالكسر : الأرض البارزة للشمس ، أو التى ليس يسترها من السماء شىء .

(٦) فيما عدا ل : « لأن الضب » .

تحريكُ اليدِ[١] عند جُحر الضبِّ ؛ ليخرج ويَرَى أنّه حيَّة . قال : فسمع الحِسْل صَوْتَ الحفْر ، فقال للضَّبِّ : يا أبت[٢] ! هذا الحرش ؟ قال : يا بُنَيّ ، هٰذَا أجَلٌّ من الحُرْش ! فأرسَلَها مثلا .

(الضب والضفدع والسمكة)

وقال الكميت :

يُؤَلِّفُ بَيْنَ ضِفدِعَةٍ وضَبٍّ ... ويَعْجَبُ أنْ نَبَرَّ بنى أبِينا

وقال فى الضَّبِّ والنُّون :

ولَوْ أنَّهُمْ جاءُوا بشَيءٍ مُقَارِبٍ ... لِشَيءٍ وبالشَّكْلِ المقَارِبِ للشَّكْلِ ٤١

ولَكِنَّهُمْ جاءُوا بحِيتان لُجَّةٍ ... قَوامِسَ والمكْنِيِّ فينا أبا حِسْلِ[٣]

وقال الكميت :

وما خِلْتُ الضِّبابَ مُعَطَّفاتٍ ... على الحِيتَانِ مِنْ شَبَهِ الحُسُولِ

وقال آخر[٤] :

حتّى يؤلَّف بين الضَّبِّ والنُّون

(١) س فقط : « باليد » .

(٢) ل ، س : « يا أبة » صوابه : « يا أبه » بهاء السكت ، وهذا أيضا صواب ماورد فى اللسان (٨ : ١٦٨ س ٤) .

(٣) قس فى الماء : انغمس .

(٤) المفهوم أن المثل التالى نثر لا شعر . انظر الميدانى (١ : ١٩٥) . وفى ثمار القلوب ٣٣١ : « والعرب تقول فى الشىء الممتنع : لايكون ذلك حتى يرد الضب . وفى تبعيد ما بين الجنسين : حتى يؤلف بين الضب والنون؛ لأن الضب لايريد الماء ولا يرده ، والنون لا يصبر عنه ولا يعيش إلا فيه » . وأنشد الحصرى فى زهر الآداب (١ : ٢٤١) لأبى إسحاق الصابى :

الضب والنون قد يرجى التقاؤهما ... وليس يرجى التقاء اللب والذهب

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أضبّت أرض بنى فلان : إذا كَثُرتْ[1] ضِبابُها ، وهذه أرضٌ مَضَبَّة ، وأرضُ بنى فلان مَضبَّة ، مثل فَئِرة[2] من الفأر ، وجَرِذة من الجِرذان ، ومَحْوَاة [ومَحْياة] من الحيّات[3] ، وجَرِدة من الجراد ، وسرِفة من السُّرفة ، ومأسَدَة من الأسُود ، ومَثْعلة من الثّعالب ؛ لأن الثَّعلب يسمَّى ثعالة ، والذِّئب ذُؤالة .

ويقال أرضٌ مَذَبَّة من الذُّباب ، مَذْأَبَة[4] من الذِّئاب .

ويقال فى الضّبِّ : وقَعْنا فى مَضابَّ منكَرَة ، وهى قطعٌ من الأرض تكثر ضِبابُها[5] .

قال : ويقال أرْضٌ مَرْبَعة ، كما يقال مَضَبَّة . إذا كانت ذاتَ يرابيع وضِباب . واسمُ بيضها المَكْنُ ، والواحدة مَكِنة .

ويقال لفرْخه إذا خرج حِسْل ، والجميعُ حَسَلة ، وأحسال ، وحُسول .

---

(١) ل : « كثر » .

(٢) فئرة ، بفتح فكسر . وفيما عدا ط : « فائرة » ، تحريف . وانظر (٤ : ١٦٥) .

(٣) محواة ، بتقدير أن أصل حية : « حوية » ، ومحياة بتقدير أن أصلها : « حيوة » انظر اللسان (٢٠ : ٢٤١) .

(٤) فى الأصل : « ذئبة » ، والمعروف فى المعاجم : « مذأبة » . وأورد صاحب اللسان أيضا « مذيبة » قال : « قال أبو على فى التذكرة : وناس من قيس يقولون مذيبة ، فلا يهمزون . وتعليل ذلك أنه خفف الذئب تخفيفا بدليا صحيحا ، فجاءت الهمزة ياء ، فلازم ذلك عنده فى تصريف الكلمة » .

(٥) هـ ، س : « يكثر » .

وهو حِسْل ، ثم مُطَبِّخ[١] ، ثم غيداق، ثُمَّ جَحْل[٢] . والسَّحْبَلُ[٣] : ما عظم منها . وهو فى ذلك كلِّه ضبٌّ .

وبعضُهم يقول : [يكون[٤]] غَيداقا ، ثم يكونُ مطبِّخا[٥] ، ثمَّ يكون جَحْلا[٦] ، وهو العظيم . ثمَّ هو خُضَرِمٌ[٧] ، ثمَّ يكون ضَبًّا . وهذا خطأ ، وهو[٨] ضَبٌّ قبل ذلك . وقال الرّاجز :

ينفى الغَيادِيقَ عن الطَّريقِ[٩] قَلَّصَ عنه بيضُهُ فى نيق[١٠]

(ما يوصف بسوء الهداية من الحيوان)

ويقال : « أضَلُّ من ضَبٍّ » .

والضلال [و] سوءُ الهِداية يكونُ فى الضبِّ ، والورَل ، والدِّيك .

---

(١) المطبخ ، بكسر الباء الموحدة المشددة . ﻫ : « المطيخ » تحريف .
(٢) الجحل ، بتقديم الجيم . وفى الأصل : « الحجل » بتقديم الحاء ، محرف .
(٣) فيما عدا ل : « والحسل السحل » ، وهو إقحام وتحريف .
(٤) التكملة من ل ، س .
(٥) ط ، ﻫ : « ثم يقول » ، صوابه من ل ، س . وفى ﻫ : « مطيحا » تحريف . وبعد هذه الكلمة فى ط ، ﻫ : « ثم يكون ضبا » ، وهى عبارة مقحمة .
(٦) الجحل ، بتقديم الجيم . وفى الأصل : « حجلا » محرف .
(٧) الخضرم ، بضم الخاء وفتح الضاد المعجمتين وكسر الراء . وفى ل : « خضره » و س « حصرم » و ط ، ﻫ : « حضرم » ، صوابه ما أثبت من اللسان (١٥ : ٧٦) والمخصص (٨ : ٩٦) .
(٨) فيما عدا ل : « وهو » .
(٩) الغياديق : جمع غيداق ، وهو من ولد الضباب فوق المطبخ .
(١٠) قلص : ارتفع . والنيق ، بالكسر : أعلى موضع فى الجبل . ط ، ﻫ : « يلص » س : « يكص » وفى ل : « قلص عنك » .

(الضب وشدة الحر)

وإذا غيّر الحرُّ لون جلْدِ الضبِّ فذلك أشدُّ ما يكون من الحر وقال الشَّاعر :

وهَاجرةٍ تُنْجِى عنِ الضَّبِّ جِلْدَه قَطَعْتُ حَشَاهَا بالغُرَيرِيَّة الصُّهبِ[١]

(أمثال فى الضب)

وفى المثل : « [خلِّ] دَرَج الضبِّ[٢] » ، وفى المثل : « تعْلِمنى بضبٍّ أنا حَرَشْتُه[٣] ! » ، و : « هذا أجَلُّ من الحَرْش » ، و : « أضلُّ من ضَبٍّ » و : « أخَبُّ من ضَبٍّ » ، و : « أروَى من ضَبٍّ[٤] » ، و : « أعَقُّ من

(١) تنجى عنه الجلد : تسلخه . وفى المخصص (٩ : ٧٠) : « ساخ الحر جلده فانسلخ وتسلخ » . وفى ل : « تنهى عن » ، وفى سائر النسخ : « تنهى على » ، والصواب ما أثبت . والغريرية ، بهيئة المنسوب إلى المصغر : إبل منسوبة إلى الغرير ، وهو فحل معروف . قال ابن منظور : « هو ترخيم تصغير أغر ، كقولك فى أحمد حميد » . وكلمة : « الصهب » ساقطة من س . والصهب : جمع أصهب وصهباء ، وهو الذى يخالط بياضه حمرة .

(٢) درج الضب : طريقه . ورواية الميدانى (١ : ٢٢٢) : « خله درج الضب » الهاء فيه للسكت إلا أنه أجراه مجرى الوصل ، أى خل درج الضب فلا تبحث عنه فإنك لا تجده . وقال أيضا : يجوز أن يراد به التأبيد ، أى خله ما درج الضب . فالهاء فى هذا ضمير المفعول . ويجوز انتصابه على الظرف أيضا : أى خله فى طريق الضب . وروى الميدانى أيضا رواية الجاحظ ، ومعناه خل طريق الضب . ورواه ابن منظور : « خلى » بياء المخاطبة وفسره بقوله : « تحولى وامضى واذهبى » قال الميدانى : « يضرب لمن شوهد منه أمارات الصرم » .

(٣) ط ، هـ : « يعلمنى » ، صوابه ما أثبت من اللسان (٨ ، ١٦٨) ومحاضرات الراغب (١ : ٢١) . وهذا المثل يقال فى مخاطبة العالم بالشىء من يريد تعليمه .

(٤) فيما عدا ل : « أردى » بالدال . وإنما هو من الرى . انظر ص١٢٨ .

ضَبّ »، و : « أحْيَا من ضَبّ »، و : « أطوَلُ ذَماءً من ضَبّ »، و : « كلُّ ضَبٍّ عِندَ مِرْداته[١] » . ويقال : « أقصرُ من إبهام الضّبّ » كما يقال : أقصر من إبهام القطاة » . وقال ابن الطَّثْرِيّةِ[٢] :

ويومٍ كإبهام القَطاة[٣]

٤٢

ومن أمثالهم : « لا آتِيكَ سِنَّ الحِسْل » . وقال العجاج :

---

(١) سبق الكلام على هذا المثل فى ص ٣٣ . وفى س : « عنده مرداته » .

(٢) هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن سامة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . والطثرية أمه ، وهى من الطثر ، بالفتح : حى من اليمن . قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة » . وضبطها صاحب القاموس بالتحريك . والوجه الإسكان ، كما جاءت مضبوطة به فى طبعة ليدن من الشعراء لابن قتيبة . وكان يزيد جميلا وسيما شريفا متلافا ، يغشاه الدين ، فإذا أخذ به قضاه عنه أخ يقال له ثور . وكان يقول : « من أفحم عند النساء فلينشد من شعرى » . وهو صاحب « وحشية الجرمية » التى سماها الجاحظ فى (١ : ١٥٥) وكذا المبرد فى الكامل ٣٣٣ : « حوشية » . قال أبو الفرج : وقتل يزيد بن الطثرية فى خلافة بنى العباس . وقال ابن قتيبة فى الشعراء ص ٩٩ : « قتلته بنو حنيفة يوم الفلج » . ويوم الفلج هذا غير يوم الفلج الذى كان بينهم فى الجاهلية وذكره أبو الفرج فى الأغانى (٤ : ١٣٤ - ١٣٥ / ١٤ : ١٥٨) وابن الأثير فى الكامل (١ : ٣٩٨) ، بل هو يوم آخر ذكره أبو الفرج فى (٧ : ١١٦) وكان بين بنى حنيفة وبنى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فى أيام إمارة أبى لطيفة بن مسلم العقيلى على العقيق . وأرخ الزبيدى فى تاج العروس وفاة ابن الطثرية فى سنة ١٢٦ . وذكر ياقوت فى معجم الأدباء (٧ : ٢٩٩) مرجليوث أنه قتل فى الوقعة التى قتل فيها الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ٣٢٧ . والصواب أن مقتل الوليد كان سنة ١٢٦ كما ذكره الزبيدى ، وأن الوقعة التى قتل فيها ابن الطثرية هى يوم الفلج ، وهى غير الوقعة التى قتل فيها الوليد . انظر لتحقيق ذلك وفيات الأعيان .

(٣) فيما عدا ل زيادة كلمة : « قطعته » وهو إقحام . ورواية البيت فى الأغانى (٧ : ١٠٧) بالنصب ، على الوجه التالى :

ويوما كإبهام القطاة مزينا لعينى ضحاه غالبا لى باطله

ولجرير فى ديوانه ٤٧٨ وثمار القلوب ٣٨٢ بيت مثله ، وهو :

ويوم كإبهام القطاة مزين إلى صباه غالب لى باطله

ثُمَّتَ لا آتيه سِنَّ الحِسْلِ [١]

كأنّه قال ، حتّى يكون مَالا يكون ؛ لأنَّ الحسل لا يستبدل [٢] بأسنانه أسنانا .

(أسنان الذئب)

وزعم [بَعضُهم [٣]] أنّ أَسنان الذِّئب ممطّولة فى فكّيه [٤] . وأنشد :

أنيابه مَمطولةٌ فى فَكّيْنْ

وليس [فى] هذا الشعر دَليلٌ [٥] على ما قال ؛ لأنَّ الشاعر يُشْبع [٦] الصفةَ إذا مَدَح أو هَجا ، وقد يجوز أن يكونَ ما قال حَقًّا .

(ما قيل فى عبد الصمد بن على)

فأما عبد الصَّمَد بن على [٧] فإنه لم يُثغر [٨] ، ودخلَ القبرَ بأسنان الصِّبا .

---

(١) ثمت ، هى ثم ، زيدت فيها التاء فاختصت بعطف الجمل . ط ، س : « ثمة » وفى ل : « لا أرسله » ، كلاهما محرف .

(٢) س : « يتبدل » .

(٣) هذه التكملة مما سبق فى (٤ : ٥٣ س ١) .

(٤) المطل ، أصله السك والطبع. وانظر (٢ : ٢١٤) .

(٥) فيما عدا ل : « وليس هذا الشعر دليلا » .

(٦) فيما عدا ل : « يشنع » بالنون .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ٥٢). فيما عدا ل . « فأما ما قال » و : « ما » مقحمة .

(٨) يقال ثغر ، بالبناء للمفعول ، وأثغر بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . ل : « يتغر » وهى لغة فيه ، يقال اثغر بتشديد الثاء ، واتغر ، بابدالها تاء : أى سقطت أسنانه. وللغويين خلاف طويل فى هذين الفعلين الأخيرين : وقد روى خبر الجاحظ هذا صاحب اللسان (٥ : ١٧٢) برواية ل .

(استطراد لغوى)

وقد يقال للضَّبِّ والحيّة والورَل ، وما أشبَهَ ذلك : فح يفح فحيحا . والفحيح : صَوت الحية من جَوْفها ، والكشيش والقشيش : صَوت جِلْدها إذا حكّت بَعضَها ببعض[١] .

وليس كما قال ، ليس يُسمع صوت احتكاك الجلد بالجلد إلاّ للأفعى فقط .

وقال رؤبة[٢] :

فِحِّى فلا أفْرَقُ أن تَفِحِّى[٣] وأن تُرَحِّى كرَحَى المرحِّى[٤]

[وقال ابنُ ميّادة :

ترى الضبَّ إن لم يرهب الضبَّ غيره

يكِشُّ له مستكبِراً ويطاولُه[٥]]

(حديث أبى عمرة الأنصارى)

ويُكتَب فى باب حبِّ الضّب للتّمر حديثَ أبى عمرة الأنصارى[٦]

---

(١) فيما عدا ل : « بعضه ببعض » . وانظر حواشى الحيوان (٤ : ٢٣٣) .

(٢) ط ، هـ : « وقد قال رؤبة » .

(٣) ل : « حى فلا » ، صواب هذه الرواية : « يا حى لا » ترخيم حية . انظر حواشى (٤ : ٢٣٢) .

(٤) هـ : « وأن ترجى كذب المرجى » هـ : « وأن يرجى قرب المرجى » ، صوابهما من ط ، ل وما سبق فى (٤ : ٢٣٢) .

(٥) سبق البيت فى ص ٦٨ وكذا فى (٤ : ٢٣٣) . وهذه التكملة من ل ، س هـ . ولكن فى ل : « أو يطاوله » .

(٦) هو أبو عمرة عبد الرحمن بن محصن النجارى . فيما عدا ل : « ابن عمرو » .

رووه[1] من كلٍّ وجه . أنّ عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، قالَ لرجل من أهل الطائف : الحُبْلة أفْضَل أم النخلة[2] ؟ قال : بل الحُبلة ، أتزبّبها وأشَمِّسها[3] ، وأستظل فى ظلّها، وأصلحُ بُرْمَتى منها[4] . قال عمر : تأبى ذاك عليكَ الأَنْصار[5] .

[و] دخل أبو عمرة عبد الرحمن بن مِحْصَن النجّارى[6] فقال له عمر : الحبلة أفضـــل أم النَّخلة ؟ قال : الزبيب إنْ آكُلْه أضْرَس ، وإن أتْرُكْه أغرَثْ ! ليس كالصّقر[7] فى رُءُوس الرَّقل[8] ، الراسخات فى

---

(١) فيما عدا ل : « رووه » .

(٢) الحبلة ، بالضم ويحرك : شجر العنب .

(٣) التزبب : أراد به اتخاذ الزبيب منها . وهذا المعنى لم يرد فى المعاجم . فيما عدا ل : « أتربها » صوابه فى ل والتنبيه للبكرى ص ٩٥ . والتشميس : التجفيف فى الشمس . ط : « أتسنها » ولم أجد لها وجها . وفى التنبيه : « وأتربيها » يريد بها أصنع منها الرب ، وهو دبس كل ثمرة وسلافة خثارتها بعد الاعتصار والطبخ . والتربب بهذا المعنى لم يرد فى المعاجم ، وفيها ارتب العنب إذا طبخ حتى يكون ربا يؤتدم به .

(٤) البرمة ، بالضم : قدر من حجارة . قال البكرى : « يعنى الخل » أراد يضع من خلها فى القدر ما يصلح طعامها . فيما عدا ل : « وأطبخ برمتى منها » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « يأبى ذلك » ، ط : « على الأنصارى » ، س ، ﻫ : « على الأنصار » ، وأثبت الصواب من ل . وفى التنبيه : « لو حضرك رجل من أهل يثرب رد عليك قولك » .

(٦) النجارى : نسبة إلى بنى النجار ، وهم من بنى عمرو بن الخزرج . والأوس والخزرج هم الأنصار . فيما عدا ل : « الأنصارى » .

(٧) الصقر : ما تحلب من العنب والزبيب والتمر من غير أن يعصر . فيما عدا ل : « قال ليس كالبسر » تحريف .

(٨) الرقل بفتح الراء ، وفى اللسان : « الأصمعى : إذا فاتت النخلة يد المتناول فهى جبارة ، فإذا ارتفعت عن ذلك فهى الرقلة . وجمعها رقل ورقال » . وفى الأصل : « الدقل » بالدال ، تحريف ، فإن تمر الدقل أردأ التمر .

الوحل[١] ، المطعمات فى المَحْل[٢] ، خُرْفَة الصائم[٣] وتُحْفة الكبير[٤] ، وصُمْتة الصغير[٥] وخُرسة مريم[٦] ، ويُحْتَرَشُ به الضِّباب من الصَّلعاء[٧] . يعنى الصحراء .

(دية الضب واليربوع)

قال : ويقال فى الضّب حُلاَّم[٨] ، وفى اليَربوع جفْرة[٩] . والجفْرة :

---

(١) ط فقط : « الراسخات » ، والواو فيه مقحمة .

(٢) المحل ، بالفتح : الجدب والشدة .

(٣) فى اللسان : « والخرفة بالضم : ما يجتنى من الفواكه . وفى حديث أبى عمرة : النخلة خرفة الصائم ، أى ثمرته التى يأكلها . ونسبها إلى الصائم لأنه يستحب الإفطار عليه » . ل : « حرفة » ، وفيما عدا ل : « حرمة » ، صوابهما ما أثبت . وفى أمالى القالى (٢ : ٥٨) : « تحفة الصائم » .

(٤) التحفة : بالضم : ما أتحفت به الرجل من البر واللطف . فيما عدا ل : « نجعة » وما أثبت من ل يوافق رواية اللسان (١٠ : ٣٦٠) والبكرى فى التنبيه .

(٥) الصمتة ، بالضم : ما يصمت به الصبى من تمر أو شىء طريف ، أى إذا بكى أصمت وأسكت بها .

(٦) الخرسة ، بالضم : ماتطعمه المرأة عند ولادها ، أراد قول الله عز وجل : (وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) . وفى الأمالى : « ونزل مريم ابنة عمران » . وفى التنبيه : « وتخرسة مريم بنت عمران » . وفى اللسان : « وقال خالد بن صفوان فى صفة التمر : تحفة الكبير ، وصمتة الصغير ، وتخرسة مريم ، كأنه سماه بالمصدر » . وفى هذا النص نسبة الخبر إلى خالد بن صفوان ، وليس بشىء .

(٧) الاحتراش : صيد الضب . ل : « وتحترش بها » . وفى التنبيه : « ويحترش به الضب من الصلفاء » . رواه بالفاء . الأصمعى : الأصلف والصلفاء ، ما اشتد من الأرض وصلب . قال البكرى : « والضباب لا تتخذ جحرتها إلا فى الغلظ » وفى اللسان : « وفى حديث عمر — كذا ، والصواب أبى عمرة — فى صفة التمر : وتحترش به الضباب من الأرض الصلعاء : يريد الصحراء التى لا تنبت شيئا ، مثل الرأس الأصلع » .

(٨) انظر (٥ : ٤٩٩ س ٥) .

(٩) انظر (٥ : ٤٩٧ س ٩) واللسان (٥ : ٢١٣ س ٩ — ١٠) .

التى قد انتفخ جَنْبَاها وشَدَنَت(١) . والحُلاَّم فوق الجدى وقد صَلُح أن يُذْبَح للنُسُك(٢) . والحُلاَّن ، بالنون : الجدى الصغير الذى لايصلح للنُّسك.

وقال ابنُ أحمر :

تُهدِى إليه ذِراعَ الجدْىِ تَكْرِمَةً   إمَّا ذَبيحاً وإمَّا كانَ حُلاَّنَا(٣)

والحُلاَّن والحُلوان(٤) جميعاً : رشوة الكاهن . وقد نُهى عن زَبْدِ

٤٣ المشركين(٥) ، وحُلوان الكاهن . وقال مُهلهِل :

كُلُّ قَتيل فى كُلَيبٍ حُلاَّمْ   حَتَّى ينالَ القَتْلُ آلَ هَمّامْ(٦)

(أقوال لبعض الأعراب)

وقال الأصمعى : قال أعرابىٌّ يَهزَأ بصاحبه : اشترِ لى شاةً قَفْعاء(٧) ،

---

(١) ط ، س : « جنباتها » هـ : « حنياتها » ، وأثبت ما فى ل . شدنت : يقال شدن الصبى والخشف وجميع ولد الظلف والخف والحافر ، يشدن شدونا : قوى وصلح جسمه وترعرع وملك أمه فشى معها . وفى الأصل : « شربت » بالراء والباء ، صوابه ما أثبت .

(٢) النسك ، بضمتين ، والنسيكة : الذبيحة . وقيل النسك الدم ، والنسيكة الذبيحة . تقول من فعل كذا وكذا فعليه نسك أى دم يهريقه بمكة ، واسم تلك الذبيحة النسيكة .

(٣) سبق الكلام على البيت فى (٥ : ٤٩٩) . س : « يهدى » ، محرف .

(٤) لم تذكر المعاجم لرشوة الكاهن إلا الحلوان . وذكرت من المعانى المقاربة مارواه صاحب اللسان عن اللحيانى : « أعط الحالف حلان يمينه ، أى ما يحلل يمينه » .

(٥) الزبد ، بفتح الزاى والباء الموحدة الساكنة : الرفد والعطاء . وفى الحديث : أن رجلا من المشركين أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم هدية ، فردها وقال : « إنا لا نقبل زبد المشركين » . ط ، س : « زيد » هـ ، « زبر » ، صوابهما فى ل .

(٦) سبق الكلام على البيت فى (٥ : ٥٠٠) .

(٧) القفعاء ، بتقديم القاف : القصيرة الذنب . ط ، هـ : « فلما » س : « فلماء » ل : « فقعاء » بتقديم الفاء ، والصواب ما أثبت .

كأنَّها تضْحَك : مندلقةً خاصرتاها(١) ، كأنها فى مَحْمِل ، لها ضَرْعٌ أرقَط ، كأنّه ضب"(٢) . قال : فكيف العَفْلُ(٣) ؟ قال : أو لهذه عَفْل(٤) ؟ !

قال : وسأل مَدَنىٌّ أعرابيًّا قال : أتأكلون الضَّبَّ ؟ قال : نعم . قال : فاليربوع ؟ قال : نعم(٥) . قال : فالورَل(٦) ؟ قال : نعم . قال : أفتأكلون أمّ حُبَين(٧) ؟ قال : لا . قال : فليَهْنِ أمَّ حُبَينٍ العافية ! (٨) .

(شعر فى الضب)

[و] قال فِراس بن عبد الله الكلابى(٩) :

لَمَّا خَشِيت الُجوعَ والإرمَالاَ(١٠) ولم أجِد بشَوْلِهَا بلاَلاَ(١١)

(١) الاندلاق : البروز والخروج .
(٢) ط ، س : « كأنها ضبة » هـ : « كأنها ضب » ، صوابهما ما أثبت من ل .
(٣) العفل ، بالفتح : مجس الشاة بين رجليها لينظر سمنها من هزالها . ل : « العطل » وفيما عدا ل : « وكيف العضل » ، تحريف .
(٤) ل : « عطل » وما عدا ل : « عضل » . وانظر التنبيه السابق .
(٥) سقط من س : « قال فاليربوع قال نعم » .
(٦) فيما عدا ل : « فالقنفذ » . وقد سبق الخبر برواية أخرى فى (٣ : ٥٢٦) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٠٩) .
(٧) أم حبين : دويبة تشبه الضب . ط ، هـ : « أم حنين » محرف . وفى ل : « قال فأم حبين » . وانظر ما سبق فى (٣ : ٥٢٦) .
(٨) ط ، هـ : « أم حنين » ، صوابه فى ل ، س . وفى ل : « فلتهن » .
(٩) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفى ط ، س : « الكلبى » وفى س : « فارس » بدل « فراس » وفى ل : « عبد » موضع : « عبد الله » .
(١٠) الإرمال : نفاد الزاد .
(١١) الشول : الإبل التى شالت ألبانها ، أى ارتفعت ، جمع شائلة على غير قياس . والبلال ، بالكسر : كل ما يبل به الحلق من الماء واللبن ، ومنه حديث طهفة : « ما تبض ببلال » ، أراد به اللبن . ل : « إبلالا » وفيما عدا ل : « إبالا » .

أبْصَرْتُ ضَبًّا دَحِناً مُخْتالا(١) أوفَدَ فَوْقَ جُحْرِهِ وذالا(٢)
فدَبَّ لى يَخْتِلُنى اختيالاَ حَتّى رأيتُ دُونِىَ القَذَالا(٣)
ومَيْلَةً ما مِلْتُ حِينَ مالا فذَهِبَتْ كَفَّاىَ فاستطالا(٤)
مِنِّى فلا نَزْعَ ولا إرسالا فحاجزا وبَرَّأا الأوصالا(٥)
مِنِّى ولم أرفَعْ بذاكَ بالا لمّا رأَتْ عَينى كُشَى خِدَالا(٦)
منه وثَنَّيْتُ له الأَكبالا(٧) ورُحت منهُ دَحِناً دَأْآلا(٨)

---

(١) الدحن ، بكسر الحاء المهملة : السمين المندلق البطن . ل : « دجنا » تحريف . ط ، س : « دخنا » بالخاء المعجمة ، وهو الخبيث الخلق . وأثبت ما فى ﻫ . المختال : المتكبر . والضب يوصف بالكبر . ل ، س : « محتالا » بالحاء المهملة .

(٢) أوفد ، بالفاء : ارتفع وأشرف . وفى الأصل : « أوقد » بالقاف ، محرف . ذال : تبختر أو شال بذنبه . فيما عدا ل : « زالا » تحريف .

(٣) القذال ، بالفتح : جماع مؤخر الرأس . ل : « حتى رأيت والا » !

(٤) ذهب ، بكسر الهاء : أصله أن يهجم فى المعدن على ذهب كثير فيزول عقله ويبرق بصره من كثرة عظمه فى عينه ، أراد به الدهشة . وهذه رواية ل . وفيما عدا ل : « فدهشت » .

(٥) حاجزا ، الضمير للكفين . والمحاجزة : المسالمة : وفى المثل : « إن أردت المحاجزة فقبل المناجزة » . ط : « فجاحد » ، ﻫ : « فجاحدا » ، ل : « فجاحرا » ، س : « فحاجزا » محرفات . الأوصال : المفاصل .

(٦) الكشى : جمع كشية ، وهى شحمة فى ظهر الضب . ل : « كشا » ، وفيما عدا ل : « كسا » ، والصواب ما أثبت . الخدال : جمع خدلة ، وهى العظيمة . فيما عدا ل : « جدالا » بالجيم ، تحريف .

(٧) الأكبال : جمع كبل ، وهو القيد . ط ، ﻫ : « متى ترسيت لها الإقبالا » . س : « حتى ترسيت له الأكبالا » ل : « منه وسببت له الأكالا » ولعل الصواب فيما أثبت .

(٨) الدحن ، بكسر الحاء المهملة : العظيم البطن . ل : « دجنا » ، وفيما عدا ل : « دخنا » والوجه ما أثبت . والدآل : وصف من الدألان ، وهو مشى فيه مقاربة للخطو ، كأن صاحبه مثقل من حمل . يصف نفسه بعد أن شبع من أكل الضب . ط : « ذآلا » ﻫ : « ذالا » ، صوابهما فى ل ، س .

أسماء لعب الأعراب

البُقَّيْرَى[١] ، وعُظَيمُ وَضّاح ، والَخطْرة[٢] ، والدَّارة ، والشّحمة [و] الحلق ، ولُعبة الضّبّ .

فالبُقَّيْرَى[٣] : أن يجمع يديه على التراب فى الأرض إلى أسفله[٤] ، ثم يقول لصاحبه : اشْتَهِ[٥] فى نفسك . فيصيبُ ويخطىء .

وعُظَيمُ وَضّاح[٦] : أن يأخذ[٧] بالليل عظماً أبيضَ ، ثم يرمى به واحدٌ من الفَريقين ، فإنْ وجدَهُ واحدٌ[٨] من الفريقَين ركِب أصحابه الفريقَ الآخر من الموضع الذى يجدونه فيه إلى الموضع الذى رموا به [منه] .

والخطرة[٩] : أن يعملوا مِخْـرَاقاً ، ثم يرمى [به] واحدٌ منهم من خلفه

---

(١) البقيرى ، أوله باء مضمومة ثم قاف مشددة ، مقصور . فيما عدا ل : « النقيرا » محرف .

(٢) الخطرة ، بفتح الخاء وبعد الطاء راء . ط ، ه : « الخطوة » بالواو ، محرف .

(٣) فيما عدا ل : « فالنقيرا » محرف .

(٤) ل : « إلى سهله » . وفى اللسان : يأتون إلى موضع قد خبئ لهم فيه شىء ، فيضربون بأيديهم بلا حفر يطلبونه » .

(٥) س ، ه : « اشتهى » ، تحريف .

(٦) فى الحديث : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يلعب وهو صغير بعظم وضاح » . وهى لعبة لصبيان الأعراب ، يعمدون إلى عظم أبيض فيرمونه فى ظلمة الليل ثم يتفرقون فى طلبه ، فمن وجده منهم فله القمر . ونقل صاحب اللسان أن الصبيان يصغرونه فيقولون « عظيم وضاح » . وأنشد :

عظيم وضاح ضحن الليله   لا تضحن بعدها من ليله

(٧) فيما عدا ل : « تأخذ » .

(٨) س : « أحد » .

(٩) فى القاموس : « ولعب الخطرة : أن يحرك المخراق تحريكا » . فيما عدا ل : « الخطوة » ، تحريف .

إلى الفريق الآخر ، فإن عجزوا عن أخْذه رموا به إليهم ، فإن أخذوه ركبوهم[(١)] .

والدّارة ، هى التى يقال لها الخَرَاج[(٢)] .

والشّحمة : أن يمضىَ واحدٌ من أحد الفريقَين بغلامٍ فيتنحَّون ناحية[(٣)] ثم يقبلون، ويستقبلهم الآخرون ؛ فإن منَعوا الغلامَ حتّى يصيروا[(٤)] إلى الموضع الآخر فقد غلبوهم عليه ، ويُدفَع الغلام إليهم[(٥)] ، وإن هم لم يمنعوه ركبوهم . وهذا كله يكون[(٦)] فى ليالى الصَّيف ، عن غِبِّ ربيعٍ مُخصِب .   ٤٤

ولُعبة الضّبّ : أن يصوِّروا الضّبَّ فى الأرض ، ثم يحوِّل واحدٌ من الفريقين وجهَه ، ثم يضعَ بعضهم يده على شىءٍ من الضّبِّ ، فيقول الذى يحوِّل وجهه : أنف الضّبِّ ، أو عين الضّبِّ ، أو ذَنب الضّبِّ ، أو كذا وكذا[(٧)] من الضّبِّ ، على الوِلاء[(٨)] ، حتّى يفرغ ؛ فإن أخطأ ما وضَع عليه يدَهُ رُكِب ورُكِب أصحابه ، وإن أصابَ حَوَّل وجهه الذى كان وضع يده على الضّبِّ ، ثم يصيرُ هو السائل .

---

(١) الكلام من مبدإ : « رموا به » ساقط من ل .

(٢) فى اللسان : « خراج — أى كقطام — والخراج وخريج والتخريج ، كله لعبة لفتيان العرب » . قال الفراء : « خراج : اسم لعبة لهم معروفة ، وهو أن يمسك أحدهم شيئا بيده ويقول لسائرهم : أخرجوا ما فى يدى » .

(٣) ل : « فيختبون » هـ : « فينجون بأخيه » ، محرفة .

(٤) ل : « حتى يصير » .

(٥) ل : « إليه » ، محرفة .

(٦) هذه الكلمة ليست فى س .

(٧) ل ، س : « أو كذا أو كذا » .

(٨) الولاء ، بالكسر : مصدر والى بين الأمرين ولاء وموالاة : تابع .

ويقول[١] الأطبَّاء : إنَّ خُرء الضَّب صالح للبياض الذى يصير فى العين .

والأعرابُ رُبَّما تداوَوْا به من وجَع الظهر .

وناسٌ يزعمون أنّ أكل لحمان[٢] الحيوان المذكور بطولِ العمر ، يزيد فى العمر[٣] . فصدَّق بذلك ابن الخارَكى[٤] وقال : هذا كما يزعمون[٥] أنّ أكل الكُلية جيِّد للكُلية ، وكذلك الكبدُ ، والطِّحال ، والرِّئة ، واللّحم ينبت اللّحم ، والشّحم ينبت الشّحم . فَغَبَرَ سنةً[٦] وليس يأكلُ إلاّ قَديد لحوم الحمر الوحشية ، وإلا الورشان والضِّباب[٧] ، وكلَّ شيء قدَر عليه مما يقضى له بطول العُمر ، فانتقض بدنه[٨] ، وكاد يموت ، فعاد بعدُ إلى غذائه الأوّل[٩] .

تفسير قصيدة البهرانى

نقول[١٠] فى تفسير قصيدة البَهْرَانى[١١] ، فإذا فرغنا منها ذكرنا ما فى الحشرات من المنافع والأعاجيب والروايات ، ثم ذكرنا قصيدتى[١٢] أبى سهل

---

(١) ل ، س : « وتقول » ، وهما وجهان .
(٢) اللحمان ، بالضم : جمع لحم . فيما عدا ل : « لحم » .
(٣) ل : « ومما يزيد فى طول العمر » .
(٤) الخاركى : نسبة إلى « خارك » بفتح الراء ، وهى جزيرة فى وسط البحر الفارسى . فيما عدا ل : « الحاركى » بالحاء المهملة ، تحريف .
(٥) فيما عدا ل « تزعمون » بالتاء .
(٦) غبر : مكث . وفيما عدا ل : فغير بذلك سننه « ، أى أبدل طريقته .
(٧) فيما عدا ل : « إلا قديد حمر الوحش والورشان والضباب » .
(٨) ط ، هـ : « فانتقض بذلك » .
(٩) ل : « عادته الأولى » . وبعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « بسم الله الرحمن الرحيم » وزادت س : « وبه الإعانة » .
(١٠) ط ، هـ : « القول » ، والصواب ما أثبت من ل ، س .
(١١) انظر ص ٨٠ — ٨٤ من هذا الجزء . وقد أشرنا إلى أبيات القصيدة بأرقامها التى سلفت .
(١٢) فيما عدا ل : « قصيدة » ، تحريف .

بشر بن المعتمر فى ذلك ، وفسرناهما وما فيهما[١] من أعاجيب ما أودع الله تعالى هذا الخلْق وركّبهُ فيهم، إن شاء الله تعالى . وبالله تبارك وتعالى أستعين .

أما قوله :

٢ « مَسَخَ الماكِسَينِ ضَبْعاً وذئبا فلهذا تناجَلاَ أمَّ عَمْرِو »

فإن ملوكَ العرب كانتْ تأخُذُ من التُّجَّار فى البرِّ والبحر ، وفى أسواقهم المَـكْس ، وهو[٢] ضريبةٌ كانت تؤخذ منهم ، وكانوا يظلمونهم[٣] فى ذلك . ولذلك قال التَّغلبى[٤] ، وهو يشكو ذاك[٥] فى الجاهلية ويتوعّد ، وهو قوله :

ألا تَسْتَحِى مِنَّا مُلوكٌ وتَتّقِى مَحَارِمَنَا لا يَبْوُؤُ الدَّمُ بالدَّمِ[٦]

وفى كُلِّ أسْواقِ العراقِ إتاوَةٌ

وفى كلِّ ما باعَ آمرؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ

والإتاوة والأُرْبان[٧] والخَرْج كله شىءٌ واحد . وقال الآخر[٨] :

---

(١) فيما عدا ل : « وفسرنا ما فيها » ، محرف .

(٢) فيما عدا ل : « وهى » . وهذا وجه جائز فى العربية .

(٣) ط فقط : « يضمنونهم » ، وله وجه ؛ فإن التضمين بمعنى التغريم .

(٤) هو جابر بن حنى التغلبى ، انظر المفضليات ٢١١ طبع المعارف .

(٥) فيما عدا ل : « ذلك » .

(٦) لايبوؤ : من قولهم باء فلان بفلان إذا كان كفئا له أن يقتل به . فيما عدا ل : « يبرأ » صوابه فى ل والمفضليات .

(٧) أورد صاحب اللسان فى (١٦ : ١٥٥ — ١٨ : ٣٣) كلمة : « الأريان » بفتح الهمزة وبالياء المثناة التحتية ، وقال : « قال ابن الأثير : هو الخراج والإتاوة ، وهو اسم واحد كالشيطان . قال الخطابى : الأشبه بكلام العرب أن يكون بضم الهمزة والباء المعجمة بواحدة : وهو الزيادة عن الحق . يقال فيه أربان وعربان » . قلت : ماتوهمه الخطابى نطق به الجاحظ هاهنا .

(٨) هو يزيد بن الخذاق الشنى العبدى . انظر المفضليات ٢٩٨ .

ألاَ ابنَ المعَلّى خلتنا أمْ حسِبْتَنَا صراريَّ نعطي الماكسينَ مُكُوسَا[١] ٤٥

وقال الأصمعيُّ، في ذكر المكسِ والسُّفنِ التي كانت تُعْشَر، في قصيدته التي ذكر فيها مَن أهلك الله عز ذكره، من الملوك، وقصَم من الجبابرة، وأباد من الأمم الخالية — فقال:

أعْلَقَتْ تُبَّعاً حِبالُ المنونِ وانتحت بعده على ذى جُدُونِ[٢]

وأصابتْ مِنْ بعدهم آل هِرْما سَ وعادتْ من بعدُ للسَّاطِرُونِ[٣]

مَلِكَ الحضر والفُراتَ إلى دِجْ لة شرقاً فالطورَ من عَبْدِينِ[٤]

كل حِمْل يمرُّ فوق بعير فله مكسُهُ ومكسُ السَّفِينِ

والأعراب يزعمون[٥] أن الله تعالى عزّ وجلّ لم يَدَع ماكِساً [ظالما] إلا أنزلَ به بليّةً، وأنَّه مسخ منهم ضَبُعاً وذئباً. فلهذه القرابة

---

(١) أراد: ألا يا ابن المعلى. وفى الأصل: «أكابن»، تصحيحه من المفضليات: والصرارى: الملاحون، يقال للواحد والجمع. انظر اللسان (٦: ١٢٤ - ١٢٥) والخزانة (١: ٨٠ — ٨١). ط، هـ: «صوارى» س: «سوارى»، ل: «صرادى»، صوابه فى المفضليات. وفيما عدا ل: «تعطى».

(٢) فى اللسان: «قال اللحيانى: الإعلاق وقوع الصيد فى الحبل، يقال نصب له فأعلقه». وذو جدون، أراد به «ذو جدن»، وهو من أذواء اليمن. انظر اللسان (غذا). ل: «حذون» هـ: «جرون»، وليس لها وجه.

(٣) الهرماس، بالكسر: نهر نصيبين، مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ، مسدودة بالحجارة والرصاص، بنتها الروم لئلا تغرق هذه المدينة. ط، هـ: «هو ماس» محرف. والساطرون، بكسر الطاء: ملك من ملوك العجم، غزاه سابور ذو الأكتاف، فأخذه وقتله. ل: «للساطون» محرف.

(٤) الحضر، بالفتح: مدينة بإزاء تكريت فى البرية، بينها وبين الموصل والفرات كان يمر بها نهر الثرثار، ومادته من الهرماس نهر نصيبين. هـ: س: «الحصر»، محرف. وفى الأصل: «فا دجلة»، صوابه من معجم البلدان (٦: ٦٩). وطور عبدين: بليدة من أعمال نصيبين فى بطن الجبل المشرف عليها. فيما عدا ل: «فالطود من عابرين»، محرف.

(٥) فيما عدا ل: «تزعم».

تَسَافدا وتناجَلا ، وإن اختلفا فى سوى ذلك . فمن ولدهما السِّمع والعِسبار [١] .
وإنما اختلفا [٢] لأنّ الأمَّ ربما كانت ضبعا والأبُ ذئباً ، وربما كانت الأمُّ ذئبةً
والأبُ ذِيخاً . والذِّيخ : ذَكَر الضِّباع .

(ذكر من أهلك الله من الأمم)

وأمّا قوله :

٣ « بَعَثَ الذَّرَّ والجرَاد وقفَّى بنَجيع الرُّعافِ فى حَىِّ بَكْرِ »

فإنّ الأعراب [٣] تزعم أن الله تعالى قد أهلك بالذرّ أممًا . وقد قال أميّةُ
ابن أبى الصَّلت :

أرسَلَ الذَّرَّ والجَراد عليهمْ وسِنيناً فأهلَكَتْهم ومُورَا [٤]
ذَكَرَ الذَّرِّ إنَّه يفعَلُ الشَّـ رّ وإنّ الجرادَ كان ثُبورَا

وأما قوله : « وقفّى بنَجيع الرّعاف فى حىِّ بكر » فإنّه يريد بَكر
ابن عبد مناة ، لأنّ كنانةَ بِنزولها مَكَّة كانوا لا يزالون يصيبُهم من الرُّعاف
ما يصيرُ شبيها بالمُوتان [٥] ، وبجارف الطاعون . وكان آخِر مَن مات بالرُّعاف
من سادة قُريش هِشام بن المغيرة .

---

(١) فيما عدا ل : « ومن ولدها » . والسمع والعسبار سبق الكلام عليهما فى (١ : ١٨١) .
(٢) فيما عدا ل : « اختلفتا » .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفى س ، ط : « العرب » .
(٤) سبق شرح هذا البيت وتاليه فى (٤ : ١٤) .
(٥) الموتان ، بالضم والفتح : الموت .

وكان الرُّعاف مِنْ منايا جرهُمٍ أيام جرهم ، [ولذلك قال شاعرٌ فى الجاهلية ، من إياد[١] :

ونحنُ إيادٌ عبادُ الإله ورهط مُناجِيهِ فى سُــلَّمِ
ونحنُ ولاةُ حجاب العتيق زمانَ الرُّعاف على جُرهمِ[٢]

وهذا المناجى الذى كانَ يناجى الله ، عز وجل ، فى الجاهلية على سُلَّم — حديث[٣]] .

(سيل العرم)

فأما قوله[٤] :

« خَرقتْ فأرةٌ بأنفٍ ضئيلٍ عَرِماً مُحكَمَ الأساسِ بصَخْرِ » ٤

[فقد[٥]] قال الله عز وجل : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾

والعَرِم : المسنّاة التى كانوا أحكموا عملها لتكون حجازاً بين ضِياعهم[٦] وبين

---

(١) هو بشير بن الحجير الإيادى ، كما فى أمثال الميدانى (٢ : ٨٠) . والبيتان رواهما الجاحظ فى البيان (٢ : ١١٠) بدون نسبة .

(٢) ولاة الحجاب ، أى يلون الحجابة ، وهى سدانة البيت وتولى حفظه . والعتيق ، عنى به البيت العتيق ، وهو الكعبة . ورواية الميدانى : « زمان النخاع » ، قال : « يقال إن الله سلط على جرهم داء يقال له النخاع ، فهلك منهم ثمانون كهلا فى ليلة واحدة سوى الشبان » .

(٣) هذا المناجى هو وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد ، كان ولى أمر البيت بعد جرهم ، فبنى صرحا بأسفل مكة ، وجعل فى الصرح سلما ، فكان يرقاه ويزعم أنه يناجى الله ، وينطق بكثير من الخبر . انظر الميدانى والبيان .

(٤) فيما عدا ن : « فأما قوله » .

(٥) ليست فى الأصل .

(٦) فيما عدا ل : « ليكون » . والضياع : جمع ضيعة . وفيما عدا ل : « ضيعهم » وهى صحيحة أيضا ، وفى اللسان : « الضيعة : الأرض المغلة . والجمع ضيع ، مثل بدرة وبدر : وضياع » . وقد نقل ياقوت فى معجم البلدان (٨ : ٣٥٨) عبارة الجاحظ هذه بدون تنبيه ، فانظره .

السَّيل ، ففَجرته فارة ، فكان ذلك أعجبَ وأظهر فى الأعجوبة[١] كما أفار الله تعالى عز وجل ماءَ الطوفان من جَوف تَنُّور[٢] ؛ ليكون ذلك أثبتَ فى العِبرة ، وأعجَبَ فى الآية .

٤٦ ولذلك قال خالدُ بنُ صفوان لليمانىّ[٣] الذى فخر عليه عند المهدىِّ[٤] وهو ساكت ، فقال المهدى : ومالَكَ لا تقول ؟ ! قال : وما أقول لقوم ليس فيهم إلا دابغُ جلد ، وناسجُ بُرْدٍ ، وسائسُ قرد ، وراكب عَرْد[٥] ؛ غرَّقتهم فارة ، وملَكَتْهم امرأة ، ودلَّ عليهم هدهد .

وأما قوله :

٥ « فجَّرته وكان جَيلان عنه عاجزاً لو يَرُومُه بَعْدَ دهْرِ

فإنَّ جيلان فَعَلة الملوك ، وكانوا من أهل الجَبَل[٦] . وأنشد الأصمعى :

أرسَلَ جَيلان يَنحَتون له ساتيدَما بالحديدِ فانصدعَا[٧]

(١) ل : « ليكون ذلك أظهر فى الأعجوبة » . ومثلها فى ياقوت .

(٢) الكلام بعد كلمة : « فارة » إلى هنا ساقط من س .

(٣) اليمانى ، المنسوب إلى اليمن . س : « المانى » محرف . وهذا اليمانى هو إبراهيم ابن مخرمة ، كما فى معجم البلدان (٨ : ٥٢٤) .

(٤) رواية ياقوت فى الموضعين وكذا الجاحظ فى البيان (١ : ٣٣٩) أنه « أبو العباس السفاح » .

(٥) العرد ، بالفتح : الحمار . ذكر هذا المعنى صاحب القاموس ، ولم يذكره ابن منظور . ھ : « عود » ، صوابه فى سائر النسخ والبيان ومعجم البلدان .

(٦) فى القاموس أن جيلان بالكسر : « إقليم بالعجم ، معرب كيلان ، وقوم رتبهم كسرى بالبحرين » . وذكر صاحب اللسان أن جيلان وجيلان — بكسر الجيم وفتحها — « قوم رتبهم كسرى بالبحرين شبه الأكرة الحرص النخل أو لمهنة ما » . وفرق ياقوت بين الضبطين ، فجعل جيلان بالكسر : اسما لبلاد كثيرة من وراء طبرستان ، وبالفتح : اسما لقوم من أبناء فارس انتقلوا من نواحى إصطخر فنزلوا بطرف من البحرين ، فغرسوا وزرعوا وحفروا وأقاموا هناك ، فنزل عليهم قوم من بنى عجل فدخلوا فيهم .

(٧) ساتيدما ، بفتح الدال : جبل بين ميافارقين وسعرت . ل ، وكذا فى اللسان (١٣ : ١٤٣) نقلا عن الجاحظ « ساتيذما » بالذال المعجمة . ھ : « ساتيرما » محرف . وفى ل : « فانصدعوا » .

وأنشد :

وتَبْنِي له جَيلانُ مِنْ نَحتِها الصَّفا قُصوراً تُعَالى بالصَّفيح وتُكْلَسُ[١]

وأنشد لامرئ القيس :

أُتِيحَ له جَيلانُ عنــد جِذَاذِهِ ورُدِّدَ فيه الطَّرْفُ حَتّى تحيَّرَا[٢]

يقول : فجَّرته فارةٌ ، ولو أنّ جيلان أرادت ذلك لامتنعَ عليها ؛ لأنَّ الفارةَ إنما خرقته[٣] لمــا سخّر الله عز ذكره لهــا من ذلك العَرِمِ[٤] .

وأنشدوا[٥] :

مِنْ سَبَأَ الحاضرِينَ مأرِب إذْ يَبْنُون مِنْ دُونِ سَيلِهِ العَرِما[٦]

---

(١) ل : « دبت » موضع : « وتبنى » تحريف . وكلمة : « نحتها » محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « تحت » وفيما عدا ل : « تحتها » ، واعتبر هذه الكلمة بكلمة : « ينحتون » فى البيت السابق . والصفيح : جمع صفيحة ، وهى كل عريض من حجارة أو لوح أو نحوهما . وعالاه بالصفيح : علاه ، يقال علا به وأعلاه وعلاه وعالى به . ل : « بحرا يعالا » ، وفيما عدا ل : « قصورا تغالى » ، والوجه فيهما ما أثبت . تكلس : تطلى بالكلس ، وهو بالكسر : ماطلى به حائط أو باطن قصر ، شبه الجص . ل : « ويكبس » محرف .

(٢) الجذاذ ، بالكسر والفتح : صرام النخل ، وهو قطع تمره . ل ، س : « جداده » بدالين مهملتين ، وهو بالكسر والفتح بمعنى الأول . ورواية الديوان ٩٢ : « أطافت به جيلان عند قطاعه » . والقطاع ، بالكسر والفتح ، بمعنى الجداد أيضا .

(٣) فيما عدا ل : « خربتها » ، محرف .

(٤) العرم ، ككتف ، قد فسرها الجاحظ فى ص ١٥١ . وأراد به سيل العرم . فيما عدا ل : « العزم » .

(٥) البيت للنابغة الجعدى كما فى اللسان (١٥ : ٢٩٠) والكامل ٦١١ والشعراء ٢٥٣ وابن سلام ٤٤ . وقد روى ابن سلام خلافا فى نسبة هــذا البيت إلى أمية ابن أبى الصلت .

(٦) سبأ ، ضبطت فى ل بفتح الهمزة ، وهى الرواية الصحيحة فى البيت . وبه استشهد أبو عمرو فى قراءته : (لقد كان لسبأ فى مساكنهم جنتان) . وانظر ماسبق فى (٥ : ٥٤٨) . وقرئ « لسبإ » بالإجراء . فن صرفه أراد به الحى ، ومن منعه الصرف أراد به القبيلة أو البقعة .

ومأرب : اسم لقصر ذلك الملك ، ثم صار اسما لذلك البلد[١] . ويدلُّ على ذلك قول أبى الطَّمحان القينى[٢] :

ألا ترى مَأرِباً ما كان أحصَنَهُ … وما حَوالَيْهِ مِنْ سُورٍ وبُنْيانِ[٣]

ظَلَّ العِبَادِىُّ يُسقَى فوق قُلّتِهِ … ولم يَهَبْ رَيْبَ دَهرٍ حقٍّ خَوَّانِ[٤]

حتّى تناولَه من بعد مَا هَجَعوا … يَرْقَى إليه على أسْبابِ كَتّانِ[٥]

وقال الأعشى :

فَفِى ذَاكَ للمُؤْتَسِى أُسْوَةٌ … ومَأرِبُ قَفَّى عليه العَرِمْ[٦]

رخامٌ بَنَتْه له حِمْيَرٌ … إذا جاء مَاؤُهمُ لم يَرِمْ[٧]

فأروَى الحُرُوثَ وأعنابَها … على ساعةٍ ماؤُهمُ إذ قُسِمْ[٨]

فطار الفُيولُ وفَيَّالُها … بيَهْماءَ فيها سَرابٌ يَطِمّ[٩]

---

(١) ل : « ثم صار اسما البلدة » .
(٢) ل : « أبى طمحان » مع إسقاط الكلمة التى بعده وترجمته فى (٤ : ٤٧٣) . وقد روى البيت الأول صاحب الإكليل ص ٥٥ . وروى ياقوت فى (٨ : ٣٥٩) هذه الأبيات بدون نسبة .
(٣) هـ : « ما كان أخصبه » .
(٤) هو نظير الحديث : « أمينا حق أمين » ، وفيما عدا ل : « عق خوان » . ورواية ياقوت : « جد خوان » .
(٥) الأسباب : المراقى ، والحبال : جمع سبب .
(٦) سبق الكلام على هذا البيت فى (٥ : ٥٤٨) .
(٧) هـذا البيت ساقط من هـ . وفى ط ، س : « رخاه » ، صوابه فى ل . وانظر (٥ : ٥٤٨) .
(٨) الحروث : الزروع . فيما عدا ل : « فأودى الحدوث وأعنانها » محرف . ط : « على ساقة » س ، هـ : « على ساقه » وأثبت مافى ل والديوان . والساعة : القليل من الوقت . ورواية الديوان : « على سعة » ، وفيما عدا ل : « ذو قسم » .
(٩) ل : « وكان الفيول » ورواية الديوان : « فطار القيول وقيلاتها » . واليهماء : المفازة لا ماء بها . يطم : يعلو ويغمر ، أو يسرع ويذهب على وجه الأرض . فيما عدا ل : « بتيماء فيها شراب لطم » ، صوابه من ل والديوان .

فكانُوا بذلكمُ حِقْبةً فمال بِهِمْ جارفٌ مُنْهدِمْ[١]
فطارُوا سِراعاً وما يَقدِرُو نَ مِنْهُ لشِرْب صَبِىٍّ فُطِمْ

(مسخ الضبّ وسهيل)

٤٧

وأما قوله :

٦ « مَسخَ الضَّبّ فى الجَدَالةِ قِدْماً وسُهَيلَ السَّماء عَمْداً بصُغْرِ[٢] »

فإنهم يزعمون أنّ الضّبّ وسُهَيلاً كانا ما كِسَين عَشّارين ، فمسخ الله [عز وجل] أحدهما فى الأرض ، والآخَرَ فى السماء . والجدالة : الأرض ، ولذلك يقال : ضربه فجدَّله أى أَلْزَقه بالأرض ، أى بالجَدالة[٣] . وكذلك قول عنترة[٤] :

وحَليل غانِيةٍ ترَكْتُ مجدّلاً تَمْكو فريصَتُه كشِدْقِ الأَعْلَمِ[٥]

وأنشد أبو زيدٍ سعيدُ بن أوسٍ الأنصارى :

قد أركب الحالة بعد الحالهْ[٦] وأتْرُك العاجز بالجدالهْ[٧]

---

(١) الحقبة : مدة من الدهر . فيما عدا ل : « فكانوا فداء لكم خفية » ، تحريف . ورواية الديوان : « فعاشوا بذلك فى غبطة » ، وفى الديوان أيضا : « فجاربهم » .

(٢) الصغر ، بالضم : الذل والضيم ، كالصغار ، بالفتح . ط ، س : « بصفر » ه : « يصغر » صوابهما فى ل .

(٣) ل : « أى ألزقه بالجدالة » .

(٤) ل : « وكذلك قوله » . والبيت من معلقة عنترة المعروفة .

(٥) الحليل : الزوج ، والمرأة حليلة ، قيل لها ذلك لأن كل واحد منهما يحل على صاحبه . فيما عدا ل : « وخليل » بالمعجمة ، تحريف .

(٦) رواية القالى (٢ : ٢٥٤ ، ٢٦٩) وكذلك ابن سيده (١٠ : ٦٨) وابن منظور (١٣ : ٤١ ، ١٠٩) ، قد أركب الآلة بعد الآله » : والآلة والحالة بمعنى . فيما عدا ل : « الحالة بعد الحاله » محرف .

(٧) بعد هذا البيت فى الأمالى : « منعفراً ليست له محاله » ، وفى المخصص : « ملتبطا » .

(أبو رغال)

وأما قوله :

٧ « والذى كان يَكْتَنِي بِرِغال جَعَل الله قَبْرَهُ شرَّ قَبْرِ
٨ و كذا كلُّ ذى سَفِين وخَرْجٍ ومُكُوسٍ وكلُّ صاحب عُشْر »

فإنما ذكر أبا رِغال[١] ، وهو الذى يرجم الناس قبره إذا أتوا مكة . وكان وجّهه [صالحٌ[٢] النبي صلى الله عليه وسلم] ، فيما يزعمون ، على صدقات الأموال ، فخالف أمره ، وأساءَ السِّيرة ، فوثَب عليه ثقيف ، وهو قَسِيٌّ ابن مُنَبِّه[٣] ، فقتله قتْلاً شنيعاً . وإنما ذلك لسوء سيرته فى أهل الحرم . فقال غيلان بن سلمة[٤] ، وذكر قَسوة أبيه على أبى رغال :

نحنُ قَسِيٌّ وقَسَا أبونا[٥]

وقال أُميّة بنُ أبى الصَّلت :

نفَوْا عن أرضِهمْ عدْنانَ طرًّا وكانوا للقبائل قاهِرِينا
وهم قتلوا الرئيس أبا رغال بنخلة إذ يسوق بها الظعينا[٦]

---

(١) أبو رغال ، بكسر الراء بعدها غين معجمة : كنية له ، واسمه زيد بن مخلف ، كما فى اللسان (١٣ : ٣١٠) .

(٢) وردت كلمة : « صالح » فى هـ ، س بعد كلمة : « يزعمون » .

(٣) هو قسى بن منبه بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . انظر المعارف ٤١ .

(٤) هو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسى ، وهو ثقيف . وغيلان شاعر مقل ، أسلم بعد فتح الطائف . وهو الذى وفد إلى كسرى فسأله : أى ولدك أحب إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم . انظر الأغانى (١٢ : ٤٣ - ٤٧) والإصابة ٦٩١٨ .

(٥) البيت فى المعارف ٤١ واللسان (٢٠ : ٤٢) .

(٦) هـ : « الضبينا » س : « الضبئينا » ل : « إذ تسق لها الوضينا » ، وأثبت ما فى ط . والظعين : جمع ظعينة ، وهو الجمل يظعن عليه .

وقال عمرو بن دَرَّاكٍ العبدى[1] ، وذكر فُجور أبي رغال وخُبْثَهُ ، فقال :

وإنى إن قطعت حِبال قيسٍ   وحَالَفْتُ الَمزُونَ على تَميمِ[2]

لأعْظَمُ فَجْرةً مِنَ أبِي رِغالٍ   وأجْوَرُ فى الحكومةِ من سَدُومِ[3]

وقال مسكينٌ [الدارمىّ] :

وأرجُمُ قَبْرَهُ فى كلّ عامٍ   كرَجْمِ النّاس قَبْرَ أبى رغالِ

٤٨ وقال عُمرُ بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، لغَيلانَ بن سلمَة ، حين أعتق عبده ، وجعلَ ماله فى رِتاج الكعْبة : لئن لم ترْجِعْ فى مالك ثمَّ مُتَّ لأرجُمَنّ قبرك ، كما رُجم قبرُ أبى رِغال ، وكلاماً غيرَ هذا كلّمه به[4] .

---

(١) ذكره المرزبانى فى المعجم ص ٢١٧ . وقال : إنه يقال له أيضا : « عمرو بن دراك » بكسر الدال وتخفيف الراء . قال : « ومن قوله يهجو اليمن ويتعصب لنزار . . . » وأنشد البيتين اللذين رواهما الجاحظ . وأنشد له أبياتا يهجو بها سليمان بن حبيب ابن المهلب . ط ، س : « درك » تحريف ، صوابه فى ل ، هـ .

(٢) المزون ، بفتح الميم : اسم من أسماء عمان ، وأهلها من الأزد ، وهم رهط المهلب ابن أبى صفرة . انظر اللسان (مزن) ومعجم البلدان (المزون) . فيما عدا ل : « جبال » تحريف صوابه فى ل ومعجم المرزبانى واللسان (١٥ : ١٧٧) . هـ واللسان : « وخالفت » تحريف أيضا . يقول : لست بقاطع حبال قيس قومى ، ولست أحالف هؤلاء الأزد على تميم ، فإنى إن فعلت ذلك كنت مثلا فى الفجور والجور . والشاعر عبدى ، من عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . ويعنى بقيس قيس عيلان بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان . وتميم هم بنو مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر . وأما الأزد فهم فى اليمن ، بنو الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

(٣) فى أمثال الميدانى (١ : ١٧٤) : « أجور من قاضى سدوم » . وجعل الثعالبى فى ثمار القلوب ٦٥ « سدوم » و « قاضى سدوم » رجلين اثنين . قال : « سدوم كان ملكا فى الزمن الأول جائرا ، وله قاض أجور منه » . ونحوه فى اللسان (١٤ : ١٧٧) : « نقل أهل الأخبار قالوا : كان سدوم ملكا فسميت المدينة باسمه ، وكان من أجور الملوك » . وسدوم : مدينة من مدائن قوم لوط ، ورد ذكرها فى التوراة . وانظر معجم البلدان (سدوم) وأمالى الزجاجى ١٤٨ بتحقيقنا .

(٤) انظر رواية هذا الحديث فى الإصابة (٥ : ١٩٤) ، فإن بين الروايتين تخالفا .

(المنكب والعريف)

وأما قوله :

٩ « مَنْكِبٌ كافرٌ وأشْراطُ سَوْءٍ وعَريفٌ جَزاؤُه حَرُّ جَمْرِ »

فإنما[1] ذهبَ إلى أحكام الإسلام . كأنه قد كان[2] لقى من المَنْكِب والعَريف جهْدا . وهم ثلاثة : مَنْكِب[3] ، ونقيب ، وعَريف . وقال جُبَيْهاءُ الأشجَعىُّ[4] :

رَعاع عاونَتْ بَكْرًا علَيْه كما جُعِل العَريفُ على النَّقِيبِ[5]

(الغول والسعلاة)

وأما قوله :

١٠ « وتزوّجْتُ فى الشَّبيبةِ غُولاً بغزال وصَدْقَتِي زقُّ خَمْرِ[6] »

فالغُول اسمٌ لكلِّ شيءٍ من الجن يعرضُ للسُّفّار ، ويتلوّنَ فى ضُروب الصُّور والثياب ، ذكراً كان أو أنثى . إلاّ أنّ أكثر كلامهم[7] على أنّه أنثى .

---

(١) فيما عدا ل : « فإنه » .

(٢) فيما عدا ل : « كأنه كان قد » .

(٣) المنكب ، كمجلس : عون العريف .

(٤) سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٦) . يقال جبيهاء وجبهاء ، بالتصغير والتكبير . انظر المفضليات ١٦٧ . وكلمة : « جبيهاء » ساقطة من س .

(٥) الرعاع ، بالفتح : أخلاط الناس وسقاطهم . فيما عدا ل : « رباع » .

(٦) ط : فقط : « كغزال » ، محرف .

(٧) ط ، هـ : « إلا أن الأكثر » .

وقد قال أبو المِطْراب[(١)] عبيدُ بن أيُّوبَ العنبريّ :

وحالَفْتُ الوُحوشَ وحالَفَتْنى بقرب عُهودهنَّ وبالبعادِ[(٢)]
وأمْسَى الذِّئبُ يرصُدُنى مِخَشًّا لخفَّةِ ضربتى ولضعف آدى[(٣)]
وغَولاً قفرةٍ ذكرٌ وأنثى كأنّ عَلَيْهماَ قِطَعَ البِجادِ[(٤)]

فجعل فى الغِيلان الذَّكرَ والأُنثى . وقد قال الشَّاعر[(٥)] فى تلوُّنها :

فما تدوم على حال تكون بها كما تَلَوَّنُ فى أثوابها الغُولُ[(٦)]

فالغُول ما كان كذلك ، والسِّعلاة اسم الواحدة[(٧)] من نساء الجن [إذا لم[(٨)]] تتغوَّل لتفتِنَ السُّفّار[(٩)] .

قالوا : وإنما هذا منها على العَبث ، أو لعلّها أن تفزِّع إنسانا [جميلا]

---

(١) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٨) . ط ، هـ : « أبو المضراب » بالضاد المعجمة ، س : « أبو المطراب » تحريف .

(٢) ل : « بحيث عهودهن » ، هـ ، س : « اقرب عهودهن » .

(٣) يرصده : يرقبه . والمخش ، بكسر الميم وفتح الخاء المعجمة : الماضى الجرىء على هول الليل . ط : « محشا » ل : « محسا » صوابه فى س ، هـ . والآد : القوة ، ومثلها الأيد . ومادته من (أى د) . ل : « بخفة » و : « بضعف » .

(٤) ل : « وغولى قفرة ذكرا » ، ونصبه على أنه مفعول معه . والبجاد : بالكسر : كساء مخطط من أكسية الأعراب .

(٥) هو كعب بن زهير الصحابى ، والبيت من قصيدته المشهورة التى مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنشدها بحضرته وحضرة المهاجرين والأنصار . وهذا البيت هو الثامن من القصيدة ، ومطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

(٦) فى الأصل : « وما تزال » ، وبذلك يتضارب البيت . والوجه ما أثبت من نص القصيدة بشرح ابن هشام ص ٣٢ .

(٧) ل : « والسعلاة الواحدة » ، وفيما عدا ل : « والسعلاة اسم لواحدة » ، وقد جمعت بين الروايتين .

(٨) تكملة من ل ، س .

(٩) لم أجد هذا التقييد فى السعلاة لغير الجاحظ . والتغول : التلون والتخييل . وفى اللسان « كانت العرب تزعم أن الغول فى الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولا ، أى تتلون تلونا فى صور شتى » .

فتغيِّرَ عقله ، فتداخِلَه عند ذلك[١] ؛ لأنَّهم لم يُسلَّطوا على الصَّحيح العقل .
ولو كان ذلك [إليهم] لبدءوا بعليّ بن أبي طالب ، وحمزَة بن عبد المطلب
وبأبي بكر وعُمر فى زَمانهم[٢] وبغيلان[٣] والحسن فى دهرهما[٤] وبواصل
وعمرو فى أيامهما[٥] .

وقد فرَق بين الغُول والسِّعلاة عُبيدُ بن أيُّوبَ ، حيث يقول :

وساحرةٍ مِنِّى ولو أنّ عَينَها رأتْ ما أُلاقيهِ من الهوْلِ جُنّتِ
أزلُّ وسِعلاةٌ وغولٌ بقَفْرةٍ إذا اللّيل وارَى الجنَّ فيه أرنّتِ[٦]

٤٩ وهم إذا رأوا المرأة[٧] حديدة الطّرف والذِّهن ، سريعة الحركة ، ممشوقة
مَمحَّصة[٨] قالوا : سعلاة . وقال الأعشى :

---

(١) فيما عدا ل : « فيتغير عقله من أجله عند ذاك » .
(٢) فيما عدا ل : « وأبى بكر وعمر فى زمانهما » .
(٣) هو غيلان الدمشقى أبو مروان ، الذى سبقت ترجمته فى (٢ : ٧٥) . قال ابن قتيبة فى المعارف ٢١٢ : « لم يتكلم أحد قبله فى القدر ودعا إليه إلا معبد الجهنى » . وذكر ابن حجر فى لسان الميزان (٤ : ٤٢٤) أن اسمه « غيلان بن مسلم » .
(٤) ل : « فى زمانهما رضوان الله عليهم » .
(٥) هذه العبارة ساقطة من ل . وواصل ، هو واصل بن عطاء البصرى المتكلم ، كان من أجلاء المعتزلة ، ولد سنة ثمانين بالمدينة . قال المسعودى : هو قديم المعتزلة وشيخها ، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين . ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة . انظر لسان الميزان (٦ : ٢١٤ — ٢١٥) . وأما عمرو ، فهو عمرو ابن عبيد المعتزلى ، المترجم فى (١ : ٣٣٧) .
(٦) الأزل : الأرسح ، أى الصغير العجز ، وهو من صفات الذئب الخفيف . وأرنت الجن : صوتت .
(٧) فيما عدا ل : « الفتاة » .
(٨) الممحصة : الشديدة الخلق البريئة من الترهل . ومثلها المحصة ، بميم مفتوحة بعدها حاء ساكنة فصاد مهملة . فيما عدا ل : « محصة » .

ورجالٍ قتْلَى بجنْبَىْ أريكٍ ونساءٍ كأنهنَّ السَّعالِى[١]

(تزاوج الجن والإنس)

ويقولون : تزوَّج عمرو بن يربوعٍ السّعلاة . وقال الرَّاجز[٢] :

يا قاتَلَ اللهُ بنى السِّعلاةِ

[عمرَو بنَ يَربوعٍ شِرارَ النَّاتِ[٣]]

وفى تلوُّن الغَول[٤] يقول عَبَّاسُ بنُ مرداسٍ السُّلَمىُّ[٥] :

أصابت العامَ رِعلاً غولُ قومهم

وَسْطَ البُيوتِ ولوْنَ الغُولِ ألوانُ[٦]

وهم يتأوَّلون قوله عز ذكره : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾

(١) أريك : اسم وادٍ . ل ، س « بجنب أريك » وفى ﻫ : « قبلى مجتبى » وهذه محرفة . ورواية الزوزنى فى المعلقات ١٩٤ وابن منظور فى اللسان (١ : ٢٩٥) : « وشيوخ حربى بشطى أريك » .

(٢) هو علباء بن أرقم ، كما فى نوادر أبى زيد ١٠٤ واللسان (٢ : ٤٠٧) . وقد روى الرجز أيضا بدون نسبة فى أمالى القالى (٢ : ٦٨) والمخصص (٣ : ١٣/٢٦ : ٢٨٣) والخصائص ٤٥١ والفصول والغايات ٢١٠ ونوادر أبى زيد ١٤٧ ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٨١) .

(٣) فى المخصص (٣ : ٢٦) : « عمرو بن منصور » ، وورد على الصواب فى (١٣ : ٢٨٣) . وقوله : « النات » أراد « الناس » فأبدل التاء من السين وهو من قبيح الضرورة . وقد ارتكب مثل هذه الضرورة فى قوله فى البيت الثالث وقد روته معظم المراجع : « ليسوا أعفاء ولا أكيات » ، أراد : « أكياس » .

(٤) فيما عدا ل : « السعلاة » .

(٥) هو العباس بن مرداس بن أبى عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن الحارث ابن بهثة بن سليم ، أسلم قبل فتح مكة بيسير . وأمه الخنساء الصحابية الشاعرة . انظر ترجمته فى الخزانة (١ : ١٤٥ سلفية) والاستيعاب (٣ : ١٠١) والإصابة ٤٥٠٢ والأغانى (١٣ : ٦٢) .

(٦) رعل : بالكسر : قبيلة من سليم . انظر اللسان والقاموس والمعارف ٣٨ . فيما عدا ل : « أصابت القوم غول جل قومهم » ، تحريف . وانظر السيرة ٨٤٣ .

وقوله عز وجل : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ . [قالوا] : فلو كان الجانّ لم يُصِب منهنّ قطّ ، ولم يَأتِهنّ[1] ، ولا كان ذلك ممّا يجوز بين الجن وبين النساء الآدميّات — لم يقل ذلك .

وتأوَّلوا قوله [عزّ وجل] : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ﴾ فجعل منهنّ النِّساء ، إذ [قد] جعلَ منهم الرِّجال ؛ وقوله [تبارك وتعالى] : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ [أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي][2] ﴾ .

وزعم ابنُ الأعرابيّ قال : دعا أعرابيٌّ ربهُ فقال : اللهم إنى أعوذُ بك منْ عفاريت الجن ! اللهمَّ لاتشرِكهمْ فى ولدى ، ولا جسدى ، ولا دمى ، ولا مالى ، ولا تُدخلهم فى بيتى ، ولا تجعَلهُمْ لى شركاء فى [شيءٍ من] أمر الدنيا والآخرة .

وقالوا : ودعا زهير بن هُنَيدة[3] فقال : اللهمَّ لا تُسلطهم على نطفتى ولا جَسَدى[4] .

قال أبو عبيدة : فقيل له : [لم تدعو بهذا الدُّعاء ؟ قال : وكيف لا أدعو به وأنا أسمعُ أيُّوب النبى والله تعالى[5] يخبر عنه ويقول : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ[6] ﴾ حتى

---

(١) كلمة : « الجان » ليست فى ل . وفيما عدا ل : « لم يصب فيهن قط ولم تأتهن » .

(٢) وردت الآية محرفة فيما عدا ل بإسقاط فاء : (أفتتخذونه) . وهذه الآية هى الخمسون من سورة الكهف .

(٣) فيما عدا ل : « هنيه » .

(٤) ط ، هـ : « على نطفى ولا على جسدى » .

(٥) ل : « أيوب النبى صلى الله عليه وسلم » و « الله عز ذكره » . وهذه الصلوات والتمجيدات هى فى أكثر ماتكون من صنع الناسخين .

(٦) س : « أن مسنى الشيطان » تحريف لم يقرأ به . وهى الآية ٤١ من سورة ص . وقرئ : (بنصب) بضم النون والصاد ، وفتحهما ، وضم النون وسكون الصاد . وكلها بمعنى واحد ، وهو التعب والمشقة .

قيل له : ﴿ اركُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ . وكيف لا أستعيذ بالله منه وأنا أسمع الله يقول(١) : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ(٢) ﴾ ، وأسمعه(٣) يقول : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَكُمْ ﴾ ، فلما [رأى الملائكة نكص على عقبيه ، كما قال الله عز ذكره : ﴿ فَلَمَّا] تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرَى مَالاَ تَرَوْنَ ﴾ ، وقد جاءهم فى صورة الشيخ النجدى(٤) .
وكيف لا أستعيذ بالله منه ، وأنا أسمع الله [عز ذكره] يقول : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ . وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ . إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ(٥) ﴾ . وكيف لا أستعيذ بالله منه وأنا أسمع الله تعالى يقول : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ ٥٠
ثم قال : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالجَوَابِ(٦)

---

(١) بعد كلمة « شراب » فى ل ، س : « وأسمعه يقول » فقط .
(٢) بعد هذه الكلمة فى ل ، س : « وكيف لا أستعيذ بالله منه » .
(٣) ل : « وأنا أسمع الله عز ذكره يقول » .
(٤) يشير إلى ما يروى أصحاب السير من أن إبليس حضر دار الندوة فى هيئة شيخ جليل عليه بت ، وادعى أنه شيخ من شيوخ أهل نجد ، وكان رئيسهم ومدبر مؤامرتهم على قتل الرسول قبيل الهجرة ، فكان كلما أعلنوا رأيا اعترضه وأبان لهم فساده وضعفه ، إلى أن أبدى أبو جهل بن هشام رأيه الذى تفرقوا عنه وهم مجمعون له ، وهو أن يختاروا من كل قبيلة فتى جليدا ، ثم يضربه الفتيان بسيوفهم ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل — فحينئذ قال الشيخ النجدى : « هذا الرأى الذى لا أرى غيره » . انظر السيرة ٣٢٣ — ٣٢٦ جوتنجن ، وسيرة ابن سيد الناس (١ : ١٧٧ — ١٨٠) والبداية والنهاية (٣ : ١٧٤ — ١٧٧) .
(٥) هذه الآية لم ترد فى ل . وهما الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة الحجر .
(٦) ل ، س : (كالجوابى) بإثبات الياء ، وهى قراءة ورش وأبى عمرو فى الوصل ، وقرأ ابن كثير ويعقوب بإثباتها فى الحالين . والجوابى : جمع جابية ، وهى الحوض الضخم .

وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ . وكيف لا أدعو بذلك[١] وأنا أسمع الله تعالى يقول : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ . وكيف لا أقول ذلك وأنا أسمع الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ . وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ . وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ ﴾ .

(تزيُّد الأعراب وأصحاب التأويل فى أخبار الجنّ)

والأعراب يتزيّدون فى هذا الباب . وأشباهُ الأعراب يغلطون فيه .

وبعضُ أصحاب التأويل يجوّز فى هذا الباب[٢] مالا يجوز [فيه] .

وقد قلنا [فى ذلك فى] كتاب النُّبُوّات بما هو كافٍ إن شاء الله تعالى .

(مذاهب الأعراب وشعرائهم فى الجن)

وسيقع هذا الباب[٣] [و] الجواب فيه تامًّا إذا صرنا إلى القول فى الملائكة ، وفى فرق ما بين الجن والإنس . وأما هذا الموضع[٤] فإنما مَغْزانا[٥] فيه الإخبارُ عن مذاهب الأعراب ، وشعراءِ العرب . ولولا العلم بالكلام ، وبما يجوز مّما لا يجوز[٦] ، لكان فى دون إطباقهم على هذه الأحاديث ما يغلط فيه العاقل .

---

(١) فيما عدا ل : « وكيف لا أستعيذ بالله منه » .

(٢) فيما عدا ل : « يجوز فيه » .

(٣) ط ، هـ : « وسيقع فى هذا الباب » .

(٤) ل : « فأما فى هذا الوضع » .

(٥) المغزى : المقصد والمراد . هـ : « مفزانا » ، محرف .

(٦) ل : « فلولا العلم بالكلام وما يجوز مما لا يجوز » .

قال عُبيدُ بن أيُّوبَ ، و [قد] كان جوّالاً فى مجهول الأرض ، لمّا اشتد خوفه وطال تردُّده ، وأبعد فى الهرب :

لقد خِفْتُ حتَّى لو تمُرُّ حَمامَةٌ لقُلْتُ عَدُوٌّ أو طلِيعَة مَعْشَرِ
فإن قيل أمْنٌ قلتُ هذِى خديعةٌ وإن قيل خوفٌ قلتُ حَقًّا فشَمِّرِ
وخِفت خليلى ذا الصَّفاء ورَابَنى وقيل فلان أو فلانة فاحــذَرِ
فلله دَرُّ الغُول أىُّ رفيقــةٍ لصاحِبِ قفْر خائِفٍ متقتِّرِ (١)
أرنَّتْ بلحْن بعد لحن وأوقدَتْ حَــوالىَّ نيراناً تلوح وتزهرُ (٢)
وأصبحت كالوحْشىِّ يَتبَعُ ما خلا ويترك مَأبُوسَ البلادِ المدَعْثَرِ (٣)

و [قال] فى هذا الباب فى كلمة له ، وهذا أولها :

أذِقنىَ طَعْمَ الأمن أو سَلْ حقيقةً علىَّ فإن قامتْ ففصِّــل بنانيَا (٤)
خلعتَ فؤادى فاستُطيرَ فأصبَحَتْ ترامى بى البيدُ القِفارُ تَرَاميا (٥)
كأنى وآجالَ الظِّباء بقَفرَةٍ لنا نسبٌ نرعاه أصبَح دانيَا (٦)

(١) المتقتّر : المتنحى عن الناس . ط ، هـ : « متقفر » س : « متنقر » صوابهما فى ل . وسبق فى (٤ : ٤٨٢) : « متقفر » . وهى رواية ديوان المعانى (١ : ١١٣) .

(٢) ل : « بلحن خلف لحن » ، س ، هـ : « نيران » . وسبق فى (٤ : ٤٨٢ / ٥ : ١٢٣) : « تبوخ وتزهر » .

(٣) هذا البيت ساقط من ل . وفى الأصل : « ويطلب مأنوس » ، وفى حماسة البحترى ٤١٢ : « ويترك موطوء » . وقد اهتديت برواية البحترى فى تصحيحه . والمأبوس ، بالباء لابالنون كما فى الأصل : المذلل الممهد . والمدعثر : الموطوء . وفى الأصل : «المبعثر» صوابه من البحترى .

(٤) فيما عدا ل عدا : « أوصل حقيقة محل » ، صوابه فى ل والشعراء ٧٥٩ . وفى س : «ففضل» و هـ : « بنائيا » محرفتان .

(٥) فيما عدا ل وكذا فى الشعراء : « ترامى به » .

(٦) الآجال : جمع إجل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش والظباء . ط : « لنا كهف » س ، هـ : « كسب » صوابهما من ل والشعراء . و : « دانيا » هى فى ط ، س : « رابيا » هـ : « رائيا » صوابهما فى ل والشعراء .

رأين ضئيلَ الشَّخْصِ يَظْهَرُ مَرَّةً وَيَخْفَى مراراً ضامِرَ الجِسم عاريا[١]

٥١ فأجْفَلنَ نفرًا ثم قُلنَ ابنُ بلدةٍ قليلُ الأذى أمسى لكُنَّ مُصافيًا[٢]

ألا يا ظِباءَ الوَحْشِ لا تُشْهِرُنَّنِى وأخفِينِنى إذ كنْتُ فيكن خافِيًا[٣]

أكلت عُروق الشرْيِ مَعْكُنَّ والنَّوَى

بحَلْقِىَ نَوْرَ القَفْرِ حتَّى وَرانيا[٤]

[وقد لقيتْ منى السِّباعُ بليَّةً وقد لاقت الغيلانُ مِنِّى الدَّواهيا[٥]

ومنهن قد لاقيت ذاك فلم أكُنْ جباناً إذا هَوْلُ الجبان اعترانيا[٦]

أذقت المنايا بَعْضَهُنَّ بأسهمى وقدَّدْن لحمى وامتَشَقْنَ ردائيا[٧]

أبِيتُ ضجيعَ الأسْوَدِ الجَون فى الهُوَى

كثيراً وأثناءُ الحِشاش وسادِيَا[٨]

---

(١) ل : « ضرير الشخص » ، تحريف . ولم يرو البيت فى الشعراء .

(٢) نفرا ، قال ابن سيده : هو اسم جمع لنافر ، كصاحب وصحب ، وزائر وزور ونحوه . انظر اللسان .

(٣) س : « لا تظهرنى » . وفى الشعراء : « لا تحذرنى » وفيما عدا ل : « إن كنت » صواب هذه فى ل والشعراء .

(٤) الشرى ، بالفتح : شجر الحنظل . والنور ، بالفتح : الزهر . وراه : من الورى بفتحتين ، وهو شرق يقع فى قصبة الرئتين فيقتله . أبو زيد : رجل مورى ، وهو داء يأخذ الرجل فيسعل : يأخذه فى قصب رئته . وفى ﻫ « ورائيا » وفى ط : « روائيا » ، صوابه فى ل ، س والشعراء . ل : « نون القفر » ﻫ : « بحلمى ثور القفر » ، محرفتان .

(٥) هذه التكملة من ل والشعراء .

(٦) ط ، ﻫ : « قد لا لقيت » صوابه فى ل ، س . وفى الشعراء : « قد لقيت » . والأبيات التالية بعده لم ترو فى الشعراء .

(٧) التقديد : التقطيع والشق . والامتشاق : الاقتطاف والاختلاس والاقتطاع . ل « بأسهم » س : « وقد دق لحمى » .

(٨) الأسود : العظيم من الحيات . والهوى ، بضم ففتح : جمع هوة كقوة ، وهى الوهدة الغامضة من الأرض . والحشاش ، ككتاب : ما يوضع فيه الحشيش . فيما عدا ل : « وأبناء الحشيش » محرف .

إذا هِجْن بى فى جُحْرِهنَّ اكتنفننى ... فليت سُليمانَ بنَ وَبْرٍ يرانيا(١)

فما زِلتَ مُذكنْتُ ابن عشرين حِجة ... أخا الحرب مُجْنيًّا علىَّ وجانيا(٢)

ومما ذكر فيه الغِيلانَ قولُه :

تقول وقد ألممتُ بالإنس لَمَّةً ... مُخَضَّبةُ الأطرافِ خُرسُ الخلاخِلِ(٣)

أهذا خليلُ الغول والذِّئب والذى ... يَهِيمُ بِرَبَّاتِ الحِجال الكَواهِلِ(٤)

رَأَتْ خَلقَ الأدراس أشْعَثَ شاحباً ... على الجدْب بَسَّاماً كريمَ الشَّمائل(٥)

تعوَّدَ من آبائه فَتكاتِهم ... وإطعامَهُمْ فى كلِّ غبْراء شامِلِ(٦)

إذا صادَ صيْدا لَفَّهَ بضرامِهِ ... وشيكا ولم يَنْظر لنَصْب المَراجل(٧)

ونهْساً كنَهْس الصقر ثم مِراسهُ ... بكفَّيه رأسَ الشِّيخة المتَمايل(٨)

---

(١) اكتنفنه : أحطن به . ط : « اكتشفنى » ل : « اكتفيننى » صوابه فى س ، هـ . و « وبر » هى فى ل فقط : « زبر » .

(٢) ل : « ابن عشر وأربع » . والكلام بعد هذا البيت إلى نهاية المقطوعة التالية ساقط من س .

(٣) خرس الخلاخل ، أراد خرس خلاخلها . وخرس الخلخال كناية عن امتلاء الساق . وفى اللسان (٢ : ٣٦٠) : « وجارية صموت الخلخالين : إذا كانت غليظة الساقين لا يسمع لخلخالها صوت لغموضه فى رجليها » .

(٤) الحجال : جمع حجلة ، وهى بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار . والكواهل : جمع كاهلة ، ولم يسمع هذا المفرد ولا الجمع . وإنما سمع « الكاهل » بمعنى الكهل فى حديث . وقد جاء فى جمع الكهل كهل كركع . قال الأزهرى فى كلمة كهل : « وأراها على توهم كاهل » . فيبدو من نص الأزهرى ونص هذا البيت أنهم قالوا كاهل وكاهلة فى معنى كهل وكهلة ، وهو الذى انتهى شبابه بعد الثلاثين .

(٥) الأدراس : جمع درس ، بالكسر والفتح ، وهو الثوب الخلق البالى .

(٦) هـ : « تعوذ به من آبائه فبكاهم » ، تحريف . والغبراء : السنة الجدبة .

(٧) لم ينظر : لم ينتظر . والضرام والضرامة : ما اشتعل من الحطب . وقيل الضرام جمع ضرامة . ط : « بطرامة » هـ : « ألفه بصرامة » ، محرفتان صوابهما فى ل . و : « لم بنظر » هى فى ط ، هـ : « لم ينكر » ، محرفة .

(٨) المراس ، أراد به المسح والدلك . والمعروف مرس يده بالمنديل وتمرس به . وفى ط فقط : « طراسه » محرفة . والشيخة ، بكسر الشين وبالخاء المعجمة : =

فلم يسحب المِنديلَ بين جماعةٍ ولا فارداً مذ صاحَ بَيْنَ القوابل[(١)]

ومما قال[(٢)] فى هذا المعنى :

علام تُرَى ليلى تعذِّب بالُمنى أخا قفَراتٍ كان بالذئب يأنس[(٣)]

وصار خليلَ الغُول بَعْد عداوةٍ صَفيًّا وربّتهُ القفارُ البسابسُ[(٤)]

وقال فى هذا المعنى :

فلولا رجالٌ يا مَنيعُ رأيتَهم لهم خُلُقٌ عند الجوار حَمِيدُ

لَنالكمُ مِنِى نكالٌ وغارةٌ لها ذنبٌ لم تدركوه بعيدُ[(٥)]

أقلَّ بنو الإنسان حتَّى أغرتمُ على من يثير الجنّ وهى هجودُ[(٦)]

(أخبار وطرف تتعلق بالجن)

وقال ابن الأعرابى[(٧)] : وَعدت أعرابيَّةُ أعرابيًّا أن يأتيها ، فكمن

= نبغة ، سميت بذلك لبياضها ، كما قالوا فى الحمض الحرم . يقول : إذا انتهى من طعامه مش يديه فى هذا النبت ، ليزيل ما علق بهما .

(١) فاردا : أى منفردا . يقول : إنه قد تأبد منذ ولد فلم يسلك سبيل الإنس ولم يلزم عاداتهم .

(٢) أى عبيد بن أيوب العنبرى . انظر حماسة البحترى ٤١١ . س : « قيل » . ويروى البيتان أيضا لعبيد بن ربيعة التيمى . انظر حماسة البحترى فى الموضع المتقدم .

(٣) فى حماسة البحترى : « أخا قفرة قد كاد بالغول » .

(٤) فى حماسة البحترى . « وأضحى صديق الذئب » . ل : « صفاء وربته » . وفى حماسة البحترى : « وبغض وربته القفار الأماليس » .

(٥) فيما عدا س : « أنا لكم » ، محرف . وفى ل : « عن تذكروه بعيد » محرف أيضا .

(٦) فيما عدا ل : « بنو الإحسان » . وفى ل : « على من يراعيكم » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٧) هـ : « وقال » فقط .

في عُشَرَةٍ[١] كانت بقربهم[٢] ، فنظر الزّوجُ فرأى شَبَحًا في العُشَرَة ، فقال ٥٢ﻫ
[لامرأته]: يا هَنَتاهُ[٣] إنّ إنساناً لَيُطالعنا من العُشَرة ! قالت : مَهْ يا شيخ ،
ذاكَ جانُّ العُشَرة ! إليك عنّي وعن ولَدِي ! ! قال الشيخ : وعنّي يرحَمُك
الله ! [٤] قالت[٥] : وعن أبيهم إن هو غطَّى رأسه ورقد[٦] . [قال] : ونام
الشّيخ ، وجاء الأعرابي[٧] فسَفَع برجليها[٨] ثمّ أعطاها حتى رضيت .

وروى عن محمّد بن الحسن ، عن مُجالِد[٩] أو [عن] غيره وقال : كنّا
عند الشّعبي[١٠] جُلوساً ، فمرَّ حمّـالٌ على ظهره دَنّ خَلٍّ ، فلما رأى الشّعبيَّ وضع
الدّنّ وقال للشعبي : ما كان اسمُ امرأة إبليس ؟ قال : ذاك نـكاحٌ ما شهدناه !

---

(١) ل : « فتكن » وأنا في ريب منها ، وفي س : « فتمكن » بإهمال الحرف الثاني ،
محرفة . والعشرة ، بضم ففتح : واحدة العشر ، وهو من كبار الشجر له صمغ حلو
وفيه حراق مثل القطن يقتدح به ، وهو عريض الورق ، وله سكر يخرج من شعبه
ومواضع زهره .

(٢) أي بقرب أهلها وعشيرتها . ط ، س : « بقربها » ﻫ : « بقربهن » .

(٣) يا هنتاه : كناية عن المنادى المؤنث الذي لا تريد التصريح باسمه ، تقوله بالتحريك مع
إسكان الهاء في آخرها أو كسرها أو ضمها . انظر اللسان (٢٠ : ٢٤٢ — ٢٤٦)
وهمع الهوامع (١ : ١٧٨) . وفيما عدا ل : « ياهناه » محرفة ، إنما تقال للمنادى
المذكر تـكنى عنه .

(٤) ل : « رحمك الله » .

(٥) س : « فقالت » .

(٦) ط فقط : « فما هو إلا أن غطى رأسه فرقد » ، صوابه في سائر النسخ . وفيما عدا
ل : « فرقد » .

(٧) ل : « وجاء الآخر » .

(٨) سفع بناصيته ورجله يسفع سفعا : جذب وأخذ وقبض . وفي الـكتاب : (لنسفعا
بالناصية) . فيما عدا ل : « ورفع رجليها » .

(٩) هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني ، أبو عمرو الـكوفي ، يروى عن الشعبي وعن
مسروق . انظر البيان (٣ : ٨١ ، ١٢٩ ، ٢٨٩) . ومات سنة ١٤٤ . انظر تهذيب
التهذيب (١٠ : ٤٩ — ٤٠) والمعارف ٢٣٤ .

(١٠) سبقت ترجمته في (٥ : ١٣٧) .

وأبو الحسن عن أبي إسحاق المالِكي قال : قال الحجَاج ليحيى بن سعيد بن العاص[١] : أخبرني عبدُ الله بن هلال صديق إبليس ، أنّك تشبه إبليس ! قال : وما ينكر أنْ يكون سيد الإنس يُشبه سيد الجنِّ !

وروى الهيثم عن داود بن أبي هند[٢] ، قال : سئل الشّعبي عن لحم الفيل ، فتلا قولَه عز ذكره : ﴿ قُلْ لاَ أَجِدُ فِيماَ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا علَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ [إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ] ﴾ إلى آخر الآية . وسُئل عن لحم الشّيطان فقال : نحن نرضى منه بالكَفَاف[٣] . فقال له قَائل : ما تقولُ في الذِّبّان ؟ قال : إن اشتهيتَه فكُلْهُ .

وأنشدوا قول أعرابي لامرأته[٤] :

ألا تمُوتين إنا نبتغي بدلا ... إن اللواتي يموِّتن الميامين[٥]

[أم أنت لازلتِ في الدنيا معَمَّرَةً ... كما يُعَمَّر إبليسُ الشَّياطِين[٦]]

وقال أبو الحسن وغيرُه : كان سعيدُ بن خالد بن عبد الله بن أسيد تصيبهُ مُوتة[٧] نصف سنة ، ونصفَ سنةٍ يصح ، فيحبو ويُعطي ، ويكسُو

---

(١) ط ، هـ : « بن العاصي » بإثبات الياء . وهما مذهبان . انظر ما أسلفت من تحقيق في حواشي (٥ : ٢٩٥) .

(٢) هو داود بن دينار . وأبو هند كنية أبيه دينار . كان داود مولى لبني قشير ، وكان من أهل سرخس ، ومات في طريق مكة سنة تسع وثلاثين ومائة . انظر المعارف ٢١١ . وروى الجاحظ في البيان (١ : ٢٩١) حديثا له مع الفضل بن عيسى الرقاشي .

(٣) الكفاف ، بالفتح : هو ما كان بقدر الحاجة ، لا فضل فيه ولا نقص .

(٤) ل : « قول الأعرابي لا مرأته » .

(٥) موت ، بالتشديد ، مثل مات . والميامين : جمع ميمون ، مقابل المشئوم .

(٦) في الأصل ، وهو هنا ل : « أم أنت لا زال » تحريف . وفي هذا البيت إقواء

(٧) الموتة ، بالضم : الغشي وجنس من الجنون والصرع يعترى الإنسان ، فإذا أفاق عاد إليه عقله .

ويَحمِل . فأراد أهلَه أنْ يعالُجِوه . فتكلّمت امرأةٌ على لسانه [فقالت] .
أنا رُقيَّة بنت ملْحان[١] سيِّد الجنِّ ، واللهِ أنْ[٢] لو علِمتُ مكانَ رجل أشرَف منه لعَلِقْتُه ! والله لئن عالجتموه لأقتُلنّه ! فتركوا علاجه .

وتقول العرب : شيطانالحمَاطة ، وغولالقَفْرَة ، وجانُّالعُشَرة[٣]. وأنشد :

فانصَلَتتْ لى مِثْلَ سِعلاةِ العُشَرْ ... تروح بالوَيْل وتَغْدُو بالغِيَرْ[٤]

وأنشد :

يأيُّها الضاغب بِالغُمْلولْ[٥] ... إنّك غُولٌ ولدَتْكَ غولْ

الغُملول : الخمر من الأرض اختبأ[٦] فيه [هذا] الرجل ، وضغب ضغبة الأرنب[٧] ؛ ليفزعه ويوهمه أنّه عامر لذلك الخمر[٨] .

---

(١) ل : « ابنة ملحان » .

(٢) كلمة « أن » ليست فى ل ، وهى ثابتة فى سائر النسخ . و « أن » هذه زائدة زيدت بين لو وفعل القسم المتروك ، كقوله :

أما والله أن لو كنت حرا ... وما بالحر أنت ولا العتيق

انظر المغنى (١ : ٣٢) .

(٣) سبق الكلام على العشر فى ص ١٦٩ .

(٤) فيما عدا ل : « تروح بالليل » وفى ل : « وتغدو بالعبر » . والويل : الهلاك . والغير : غير الدهر ، وهو تغير حاله من صلاح إلى فساد .

(٥) فيما عدا ل : « يأيهذا الصاحب » ، صوابه فى ل واللسان (١٤ : ١٩) . وفى جميع النسخ : « الغملول » بإسقاط الباء . والصواب إثباتها كما فى اللسان .

(٦) فيما عدا ل : « يختبىء » .

(٧) ضغيب الأرنب : صوتها . فيما عدا ل : « ويضغب » ، وفى س : « ويضغب ضغيب » .

(٨) الخمر ، بالتحريك : ما سترك من شجر أو بناء أو غيره . ل : « لتفزعه وتوهمه أنه عامر ذلك الخمر » .

٥٣

باب

من ادعى من الأَعراب والشعراء أنهم يرون الغيلان ويسمعون عزيف الجان(١)

وما يشبهون بالجن والشياطين ، وبأعضائهم وبأخلاقهم(٢) وأعمالهم .

وأنشد :

كأنّه لمّا تدانى مَقْرَبُه(٣) وانقطعت أوْذمُه وكُرَبُهْ(٤)

وجاءت الخيلُ جميعاً تَذنِبُهْ(٥) شيطان جنٍّ فى هواه يرقبهْ

أذنب فانقضَّ عليه كوكبُهْ

وأنشد :

إنّ العُقَيليَّ لا تَلقى له شَبَهَا ولو صَبرْتَ لتلقاه على العِيسِ

بَيْنَا تَرَاهُ عليه الخزُّ متَّكِئاً إذ مَرَّ يهدج فى خَيش الكرابيس(٦)

---

(١) العزيف : صوت الجن . ل : « أصوات عزيف الجان » ، س : « أصوات الجان » .

(٢) ل : « بأعضائهم وأخلاقهم » .

(٣) المقرب ، بفتح الميم : السير أو سير الليل .

(٤) الأوذام : جمع وذم بالتحريك ، وهو السير من الجلد يقد طولا . والكرب ، بالتحريك : الحبل يشد على عراق الدلو ثم يثنى ثم يثلث . عنى به حبل الفرس . وإنما تنقطع الأوذام والكرب فى شدة العدو .

(٥) تذنبه بكسر النون وضمها : تتبعه ، كأنها تتلو ذنبه ، وقد استشهد صاحب اللسان بهذا البيت فى (١ : ٣٧٥) مع نسبته إلى الكلابى .

(٥) الهدج والهدجان : مشى رويد فى ضعف . والخيش ، بالفتح : ثياب رقاق النسج غلاظ الخيوط تتخذ من مشاقة الكتان ومن أردئه ، وربما اتخذت من العصب ، وهو ضرب من برود اليمن يعصب ثم يصبغ ثم يحاك فيأتى موشيا . والكرابيس : جمع كرباس ، بالكسر ، وهو ، كما تقول المعاجم العربية ثوب من القطن الأبيض . لكن فى معجم استينجاس أنه ثوب من القطن الأبيض ، أو نسج رقيق من الكتان . والنص فيه ص ١٠٢١ : (A white cotton garment, fine linen, muslin)

وقد تكنَّفَهُ غُرَّامُــه زَمَناً أشباهَ جنٍّ عُكوفٍ حَوْلَ إبليسِ [1]

إذَا المفاليسُ يوماً حاربُوا مَلِكا تَرَى العُقَيلِيّ منهمْ فى كَرادِيسِ [2]

وهو الذى يقول [3] :

أصبحتَ مَالكَ غيرُ جِلْدِكَ تَلْبَسُ قَطرَ السَّماء وأنْتَ عارٍ مُفْلِسُ [4]

وقال الخَطَفى [5] :

يَرْفَعْن بالليل إذا ما أسْدَفَا أعْنَاقَ جِنَّانٍ وهَاماً رُجَّفَا

وَعَنَقاً بعد الرسيم خَيْطَفَا

= ولفظه الفارسى « كرباس » بفتح الكاف . ط : « إذا مر » محرف . « وخيش » هى فيما عدا ل : « حش » بحاء مهملة وشين معجمة ، صوابهما فى ل .

(١) الغرام : جمع غريم وهو صاحب الدين . قال ابن الأثير : هو جمع غريب ، وروى فيه حديث جابر : « فاشتد عليه بعض غرامه فى التقاضى » . ط فقط : « عرامه » بالمهملة ، تصحيف .

(٢) الكراديس : جمع كردوس ، بالضم ، وهى الكتيبة من الخيل .

(٣) كذا . ولم يسبق تعيين اسم شاعر .

(٤) فيما عدا ل : « أضحت ثيابك » ، محرف .

(٥) الخطفى ، بفتحات ، هو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع . وهو جد جرير بن عطية بن الخطفى . وإنما سمى حذيفة بالخطفى للأبيات التى أنشدها الجاحظ . انظر البيان (١ : ٢٦٦) والأغانى (٧ : ٣٥) والخزانة (١ : ٧٩ سلفية) والنقائض ص ١ . ولكن فى اللسان (١٠ : ٤٢٤) أن اسم الخطفى « عوف » ، ونسب القول بأن اسمه « حذيفة » إلى أبى عبيدة . فيما عدا ل : « أبو الخطفى » تحريف .

(٦) هـذا البيت ساقط من س . والعنق بالتحريك : ضرب من السير المنبسط . والرسيم : ضرب من السير سريع ، يؤثر فى الأرض من شدة الوطء . والخيطف : سرعة انجذاب السير كأنه يختطف فى مشيه عنقه ، أى يجتذبه . ل « بعد الكلال » وهى رواية الأغانى وإحدى روايتى اللسان . وروى فى البيان والخزانة والنقائض : « باقى الرسم » . هـ : « وزعفانا فى الرسيم » ، محرفة . والقافية فى الخزانة : « خطفى » قال : « ويروى خيطفا » . وفى اللسان والأغانى : « خيطفا » ، وفيهما : « ويروى خطفى » .

وأنشد ابنُ الأعرابى :

غناءً كليبياً تَرَى الجنُّ تبتغى صَدَاهُ إذا ما آب للجنِّ آيبُ (١)

وقال الحارث بن حلزة :

ربُّنا وابننا وأفضل منْ يَمْـ ـشِى ومَنْ دونَهُ ما لَدَيْه الثَّناءُ (٢)

إرَمِيٌّ بِمِثْلِهِ جَالَتِ الجِـ ـنُّ فآبَتْ لِخَصْمها الأَجْلاءُ (٣)

وقال الأعشى :

فإنى وما كلفتمونى وربِّـكم ليعلم من أَمْسى أعَقَّ وأحْوَبا (٤)

٥٤ لَـكالثَّور والجِنِّىُّ يضربُ ظهْرَهُ وَما ذنْبُه أنْ عافَتِ الماءَ مَشْرَبا

---

(١) فيما عدا ل : « غناء كليبى يرى الجن يبتغى » .

(٢) الرب هنا بمعنى الملك ، وفى اللسان : « وقد قالوه فى الجاهلية للملك » . قال الحارث ابن حلزة :

وهو الرب والشهيد على يو م الحيارين والبلاء بلاءُ » .

ل : « ربنا قاهر » ه : « رسا وأسا » وأثبت مافى س . وجاء فى ط : « ملك مقسط » ولا إخالها إلا من تصرف الناشر ليوافق بذلك رواية المعلقات . يقول : عنده من الخير والمعروف أكثر مما نصف ونثنى . ط ، ه : « ومن دونه مالديه » محرفة .

(٣) إرمى : نسبة إلى إرم عاد ، أى ملكه قديم كان على عهد إرم . وقيل : كأن هذا الممدوح من إرم عاد فى الحلم ، لأنه يروى أنه كان من أحلم الناس . وقيل ذهب إلى أن جسمه وشدته يشبهان أجسام عاد وشدتهم . وجالت : فاعلت من المجالاة وهى المكاشفة . والأجلاء : جمع جلا ، وهو الأمر المنكشف . يقول : بمثل عمرو بن هند كاشفت الجن الناس فرجمت وقد فلج خصمهم . أى أن من كاشف بفخر هذا الملك انكشف أمره وتبين ، لأن فخره لايخفى على أحد . س : « أوحى » بدل « أرمى » محرف . وفى ه : « لخصبها » بدل : « لخصمها » محرفة أيضا .

(٤) كذا ورد البيت فى ل والديوان ص ٩٠ . وفيما عدا ل :

فإنى وما كلفتمونى اتباعه ليعلم ربى من أعق وأحوبا

لكن فى ه : « فإنى فما تلقبتمونى » محرف . وسبق فى (١ : ١٩ ، ٣٠١) « لأعلم من أمسى » . وهو يخاطب بهذا الشعر بنى سعد بن قيس ، ذكرهم فى بيت سابق من هذه القصيدة وهو :

فأبلغ بنى سعد بن قيس بأننى عتبت فلما لم أجد لى معتبا

وقال الزَّفَيان العُوافيُّ[1] واسمه عَطاء بن أَسِيد[2] أحد بني عُوَافة[3] ابن سعد :

بَيْن اللَّها منه إذا ما مدّا[4] مثلُ عَزِيف الجن هَدّتْ هَدّا[5]

وقال ذو الرُّمّة :

قد أعسِفُ النَّازحَ المجهُولَ مَعْسِفُه في ظل أغْضَفَ يَدْعو هَامَهُ البُومُ[6]

للجِنِّ بالّليل في حافاتها زَجَلٌ كما تَنَاوَحَ يوم الريح عَيشومُ[7]

---

(١) الزفيان ، سبقت ترجمته في (٢ : ١٥) . والعوافي ، بضم العين : إلى نسبة بني عوافة ، وهم بطن من بني سعد بن زيد مناة ، قال صاحب القاموس : « منهم الزفيان أبو المرقال عطية بن أسيد الراجز » ، والصواب : « عطاء بن أسيد » كما نص الجاحظ ، وكما نص صاحب القاموس في مادة (رقل) . وقد ذكر ابن قتيبة في المعارف ٣٥ أنهم بنو الحارث بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ط ، ﻫ : « الرقياني » س : « الرقباني » ، صوابه بالزاي والفاء والياء المثناة التحتية محركات . وأسيد ، بفتح فكسر ، كما ضبط في القاموس في الموضعين .

(٢) انظر التنبيه السابق .

(٣) فيما عدا ل : « عواف » تحريف . وانظر التنبيه الأول .

(٤) اللها ، بالفتح والقصر : جمع لهاة ، وهي اللحمة المشرفة على الحلق .

(٥) الهد والهدد : الصوت الغليظ . والهديد : الدوي ، وصوت شديد تسمعه من سقوط ركن أو حائط أو ناحية جبل .

(٦) العسف : ركوب المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية ، ولا توخي صوب ولا طريق مسلوك ، يقال عسفها يعسفها عسفا ، وتعسفها ، واعتسفها . والمعسف ، بكسر السين : اسم المكان منه . والأغضف : الليل ، ويقال أغضف الليل : أي أظلم واسود . وفيما عدا ل : « في ظل أخضر » وهي رواية في اللسان (٥ : ٣٣٢ / ١١ : ١٥٠ / ١٣ : ٤٤٢ / ١٦ : ١١٠) وأثبت ما في ل وديوان ذي الرمة ٥٧٤ ، وهي إحدى روايتي اللسان (١١ : ١٥٠) وفي اللسان : (١٣ : ٤٤٢) : « وهو استعارة ، لأن الظل في الحقيقة إنما هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع ، فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل » . والهام : جمع هامة ، وهو ذكر البوم ، وهو ما يسمى الصدى .

(٧) التناوح : التقابل . والعيشوم : شجر له صوت مع الريح . فيما عدا ل : « في أرجائها » وفيما عدا ل : أيضا « بين الريح » ، وأثبت ما في ل والديوان واللسان (١٥ : ٢٩٦) . وفي الديوان : « كما تجاوب » وفيما عدا ل : « عيسوم » بالمهملة ، محرفة .

داويّةٍ ودُجَى ليل كأنَّهما يَمٌّ تراطَنُ فى حافاته الرُّومُ (١)

وقال :

وكَمْ عَرَّستْ بعد السُّرى من مُعَرَّس به من كَلام الجن أصواتُ سامِرِ (٢)

وقال :

كمْ جُبْتُ دُونَكَ من يَهْماء مُظْلِمةٍ تِيهٍ إذا ما مُغَنِّى جِنَّةٍ سَمَرَا (٣)

وقال :

ورَمل عزيف الجنِّ فى عَقِدَاته هَريرٌ كتَضْراب المغنِّين بالطَّبْلِ (٤)

وقال :

---

(١) الداوية : الفلاة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة . ورواية ط ، س والديوان : « دوية » وهما لغتان . واليم : البحر . والرطانة ، ماليس بعربى من اللغات .

(٢) التعريس : النزول فى آخر الليل للاستراحة . ورواية الديوان ٢٩٢ : « بعد الدجى » . وفى الأصل : « من معرس بها » والوجه تذكير الضمير كما فى الديوان . ط ، س : « من صداء الجن » هـ : « ومن الأصداء » ، صوابهما ماأثبت من ل والديوان .

(٣) جبت : قطعت . والضمير فى « دونك » عائد إلى عمر بن هبيرة ، يقول فيه فى بيت سابق :

أقول للركب إذ مالت عمائمهم شارفتم نفحات الجود من عمرا

انظر ديوان ذى الرمة ص ١٩٠ . واليهماء ، أوله ياء مثناة مفتوحة : الفلاة لا يهتدى فيها للطريق . فيما عدا ل : « بهماء » بالموحدة ، تحريف . ورواية الديوان : « تيهاء » . والجنة : الجن . ط ، س : « جنه » ، صوابه فى ل ، هـ . ورواية الديوان : « جنها » . سمر : من السمر ، وهو حديث الليل .

(٤) العقدات : جمع عقدة ، بفتح فكسر ، وهى المتراكم من الرمل . والهرير : أصله صوت الكلب . وفى اللسان (٧ : ١٢٢) : « وقد يطلق الهرير على صوت غير الكلب ، ومنه الحديث : « إنى سمعت هريرا كهرير الرحى أى صوت دورانها » ورواية الديوان ص ٤٨٨ : « هدوءا » أى بعد ساعة من الليل . وفى شرح الديوان : « ويروى هزيز » . والهزيز أيضا : الصوت . وفى اللسان (٧ : ٢٩١) : « وفى الحديث : « إنى سمعت هزيزا كهزيز الرحى ، أى صوت دورانها » . وبعد البيت :

قطعت على مضبورة أخرياتها بعيدة ما بين الحشاشة والرحل

ط ، هـ : « لعزف » ، وفى س : « كعرف » ، وهذه محرفة .

وتِيهٍ خَبَطْنا غَوْلَهَا وارتمَى بنا ... أبو البعد من أرجائها المتطاوحُ[١]

فلاةٌ لِصَوت الجنِّ فى مُنْكَراتِها ... هريرٌ ، وللأبوام فيها نوائحُ[٢]

وطولُ اغتماسى فى الدُّجى كلما دعت ... من الليل أصداءُ المِتَانِ الصوائحُ[٣]

وقال ذو الرّمة :

بلادًا يبيتُ البومُ يدعُو بناتِه ... بها ومن الأصداءِ والجنِّ سامرُ[٤]

وقال أيضاً[٥] :

وللوحشِ والجِنّانِ كُلَّ عشيةٍ ... بها خِلْفةٌ من عازف وبُغام[٦]

وقال الراعى :

ودَاوِيّةٍ غبراءَ أكثرُ أهْلِها ... عَزِيفٌ وبُومٌ آخِرَ اللّيل صائحُ[٧]

---

(١) التيه : المفازة يتاه فيها . والخبط : السير على غير هدى . والغول : بالفتح : بعد الأرض . فيما عدا ل : « من أرجانه » صوابه فى ل والديوان ١٠١ .

(٢) المنكرات : المجهولات من الأرض . والهرير : الصوت . والأبوام : جمع بوم ، كما فى اللسان . وفى الديوان : « هزيز » بزاءين معجمتين ، وهما بمعنى .

(٣) يسبق هذا البيت فى الديوان ١٠٢ – ١٠٣ بيتان يرتبط هو بهما . وهما :

نهزن العنيق الرسل حتى أملها ... عراض المثانى والوجيف المراوح

وترجاف ألحيها إذا ما تنصبت ... على رافع الآل التلال الزراوح

والأصداء : جمع صدى ، وهو ذكر البوم . والمتان ، بالكسر : جمع متن ، وهو ما ارتفع من الأرض واستوى . فيما عدا ل : « وطول اغتمامى فى الدجى كلما رعت » ، صوابه فى ل والديوان . وفيما عدا ل أيضا : « المثانى » تحريف .

(٤) فى الأصل : « بلاد » وإنما هى بالنصب ، كما فى الديوان ٢٥٢ . وقبله :

إلى ابن أبى موسى بلال طوت بنا ... قلاص أبوهن الجديل وداعر

(٥) ل : « وقال ذو الرمة » .

(٦) الخلفة ، بالكسر : كل شىء يجىء بعد شىء . من عازف : أى من صوت عازف . والعزيف : صوت الجن فيما تزعم العرب . والبغام : أصله صوت الإبل . وفى اللسان : « ما كان من الخف خاصة فإنه يقال لصوته إذا بدا البغام ، لأنه يقطعه ولا يمده . وبغم الثيتل والأيل يبغم : صوت . وربما استعمل البغام فى البقرة » . ط ، س : « بعام » هـ : « نعام » ، صوابه فى ل والديوان ص ٦٠٠ .

(٧) ل : « ودوية » ، وهما لغتان .

أقرَّ بها جأشِي تأوُّل آيةٍ وماضِي الُحسَام غِمدُه متصايحُ[١]

(لطيم الشيطان) ٥٥

ويقال لمن به لَقوة أو شَتَر[٢] ، إذا سُبَّ : [يا] لطيم الشيطان .

وكذلك قال عُبيدالله بن زياد ، لعمرو بن سعيد ، حين أهوى بسيفه[٣] ليَطعُنَ فى خاصرة عبد الله بن معاوية ، وكان مستضعفاً ، وكان مع الضّحّاك فأسِرَ ، فلمّا أهوى له السيفَ[٤] وقد استردفه عبيدُ الله ، واستغاث بعبيد الله : قال عبيد الله لعمرو[٥] : يدكَ يا لطيمَ الشيطان !

(قولهم : ظل النعامة ، وظل الشيطان)

ويقال للرَّجُل المفْرط الطّول : ياظلَّ النّعامة ! وللمتكبِّر الضخم : ياظلَّ الشَّيطان ! كما قال الحجّاج لمحمد بن سَعْد بن أبي وقاص : بينا أنت ، يا ظلَّ الشّيطان ، أشدُّ النّاس كِبْرًا إذْ صِرتَ مؤذِّنا[٦] لفلان !

---

(١) الجأش : رواع القلب . والتأول : التحرى والطلب . والآية : العلامة . يقول : أذهب ما بي من فزع أنى اهتديت إلى علامة بها أعرف الطريق . فيما عدا ل : « أقربها جأشا بأول آية » ، محرف . وحسام السيف : طرفه الذى يضرب منه . والمتصايح : المتشقق . وفى اللسان : « وتصايح غمد السيف : إذا تشقق » . يقول : هو سيف قديم مأثور ، أو أبلى غمده لكثرة استعماله فى الضراب والقتال . فيما عدا ل : « متطايح » بالطاء ، صوابه بالصاد المهملة .

(٢) اللقوة ، بالفتح : داء يكون فى الوجه يعوج منه الشدق . والشتر ، بالتحريك : انقلاب جفن العين من أعلى وأسفل وتشنجه .

(٣) س : « أهوى إليه بسيفه » ، وكلمة « إليه » مقحمة .

(٤) فيما عدا ل : « وكان مع الضحاك فلما أسر أهوى إليه بالسيف » .

(٥) فيما عدا ل : « قال » ، وكلمة : « لعمرو » ليست فى ل .

(٦) ط فقط : « مؤدبا » ، صوابه من سائر النسخ والطبرى (٨ : ٣٤) وثمار القلوب ٥٩ . ويعنى بفلان عمر بن أبي الصلت ، كما فى الطبرى .

وقالَ جريرٌ فى هجائه شَبَّةَ بنَ عِقال[1] ، وكان مُفْرِطَ الطّول :

فَضَح المنابرَ يَوْمَ يَسْلَحُ قائماً ظِلُّ النّعامةِ شَبَّةُ بنُ عِقالِ[2]

(قولهم : ظل الرمح)

فأما قولهم : « مُنِينا بيوم كظلِّ الرمح » فإنّهم[3] ليس يريدون به الطوله فقط ، ولـكنّهم يريدون أنَّه مع الطول ضيق[4] غيرُ واسع .

وقال ابن الطَّثْرِية[5] :

ويَوْمٍ كظِلِّ الرُّمح قَصَّرَ طُوله دَمُ الزِّقِّ عنّا واصطِفاقُ المَزاهِرِ[6]

قال : وليس يُوجد لظلِّ الشّخص نهاية مع طلوع الشّمس .

(التّشبيه بالجن)

قال : وكان عمر بن عبد العزيز أوّلَ مَنْ نَهَى النّاسَ عن حمل

(١) هو شبة بن عقال المجاشعى ، من مجاشع رهط الفرزدق ، وهو زوج جعثن أخت الفرزدق ، كما فى النقائض ص ٨٥٥ . روى ابن سلام ١٥٩ مصر ١٠٧ ليدن ، أنه بعث بدراهم وحملان وكسوة وخمر إلى الأخطل ، وذلك ليفضل الفرزدق على جرير ويسبه . وكان شبة شاعرا وكان خطيبا . روى الجاحظ فى البيان (١ : ١٢٧) أنه قال عقب خطبته عند سليمان بن على بن عبد الله بن عباس :

ألا ليت أم الجهم والله سامع ترى حيث كانت بالعراق مقامى
عشية بذ الناس جهرى ومنطقى وبذ كلام الناطقين كلامى

(٢) انظر ثمار القلوب ٣٥١ . ورواية الديوان ٤٧١ والنقائض :

فضح الـكتيبة يوم يضرب قائما سلح النعامة شبة بن عقال

ويروى : « فضح السرية » .

(٣) ط ، هـ : « فإنه » . وانظر ثمار القلوب ٥٠٢ .

(٤) فيما عدا ل : « يريدون مع الطول أنه ضيق » .

(٥) سبقت ترجمته فى ص ١٣٧ . وكذلك النسبة فى ثمار القلوب ، ونسب فى الحماسة ١٢٦٩ بشرح المرزوقى إلى شبرمة بن الطفيل ، وفى كتاب العصا (نوادر المخطوطات ١ : ٢٠٥) إلى ابن الدمينة .

(٦) دم الزق ، عنى به الخمر ، فى حمرتها . والمزاهر : جمع مزهر ، كمنبر ، وهو العود الذى يضرب به .

الصِّبيانِ على ظُهور الخيل يوم الَحلبة[١] ، وقال : « تحمِلُون الصِّبيان على الجِنَّان ؟ » .

وأنشد[٢] فى تشبيه الإنس بالجن لأبى الجُوَيْرِيَة العَبْدى[٣] :

إنسٌ إذَا أمنوا جِنٌّ إذا فزعوا مُرَزَّءُون بهاليلٌ إذا حَشَدُوا[٤]

وأنشدوا :

وَقُلتُ والله لنَرحَلَنّا قَلاَئِصاً تَحسَبهنّ جِنّا[٥]

وقال ابن ذِى الزوائد[٦] :

وَحَوْلِيَ الشَّوْلُ رُزَّحاً شُسُباً بَـكِية الدَّرِّ حِينَ تَمْتَصَرُ[٧]

---

(١) الحلبة : الدفعة من الخيل فى الرهان .

(٢) س : « وأنشدوا » .

(٣) هو عيسى بن أوس بن عصية ، أحد بنى عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك ابن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن (عبد القيس بن) دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . ونسبته إلى عبد القيس . أنشد له الآمدى ٧٩ والمرزبانى ٢٥٨ شعرا فى رثاء الجنيد ابن عبد الرحمن المرى والى خراسان المتوفى سنة ١١٥ أو ١١٦ . انظر ابن الأثير (٥ : ٧١ - ٧٢) . وكان الجنيد من الأجواد الممدحين . وأبو الجويرية هذا غير أبى الجويرية العبدى المترجم فى المؤتلف ص ٨٠ .

(٤) فزعوا : أغاثوا غيرهم . مرزءون : يرزؤهم الناس يصيبون من مالهم . والبهاليل : جمع بهلول ، بالضم ، وهو العزيز الجامع لكل خير . حشدوا : خفوا فى التعاون ، أودعوا فأجابوا مسرعين . يقال حشدوا وتحاشدوا أيضا .

(٥) القلائص : جمع قلوص ، وهى الفتية من الإبل . رحلها : شد عليها الرحال . س : « لترحلنا » و « تحبسهن » تحريف . وهذا الرجز والكلمة التى قبله ساقطان من ه .

(٦) ابن ذى الزوائد ، ويقال أيضا ابن أبى الزوائد ، شاعر مقل من مخضرمى الدولتين ، اسمه سليمان بن يحيى ، كان قد وفد إلى بغداد فى أيام المهدى . انظر الأغانى (١٢ : ١٦٣) . فيما عدا ل : « ابن الزوائد » .

(٧) الشول : الإبل ارتفعت ألبانها . رزحا : جمع رازح ، وهو الذى سقط من الإعياء . والشسب : جمع شاسب ، وهو النحيف اليابس من الضمر ، جمع على غير قياس . بكية : تسهيل بكيئة بالهمز ، وهى التى قل لبنها . تمتصر : يحتلب ما بقى =

ولاذَ بِيَ الكَلْبُ لا نُباحَ له   يهِرُّ مُحْرَنجماً وينجَحِرُ[1]

مُجُورُ خَفْضٍ لمنْ ألمَّ بهِمْ   جِنٌّ بأرماحِهِمْ إذا خطَرُوا[2]

وأنشدُوا :

إنّى امروٌّ تابَعَنِي شيطانِيَه[3]   آخيتهُ عُمْرِى وقد آخانِيَه

يَشْرَبُ فى قَعْبِى وقد سقانِيَه   فالحمدُ للّه الذى أعطانِيَه

قرْماً وخُرْقاً فى خُدودٍ واضِيه[4]   تربَّعَتْ فى عقد فالمـاويه[5]   ٥٦

بقلا نَضيداً فى تِلاعٍ حَاليه[6]   حَتّى إذا ما الشّمْسُ مَرّتْ ماضيَه

قام إليها فِتيـةٌ ثمانيـه   فثوَّروا كلَّ مَرِىٍّ ساجيَه[7]

= فى ضرعها من لبن . ط : « رجا » ، س ، هـ : « درجا » ، صوابهما فى ل . ط ، هـ : « شيئا » صوابها فى ل ، س . وفى ط ، هـ : « بطية » ، صوابها فى ل ، س . وفى ط ، هـ : « تهتصر » ل : « تمتطر » صوابهما فى س .

(١) الهرير : نباح الكلب . احرنجم : انقبض وتجمع . انجحر : دخل جحره . هـ : « ولا ذى » ل : « ولان ذا » صوابهما فى ط ، س . وفيما عدا ل : « وينحجر » صوابه بتقديم الجيم .

(٢) الخفض : لين العيش وسعته .

(٣) هذا ما فى س ، هـ . وفى ل : « تابعى » ، تحريف . وفى ط : « تابعنى » ، وهى صحيحة ، فى اللسان (تبع) : والتابعة : الرائى من الجن .

(٤) القرم ، تقرأ بالفتح ، وهو الفحل الذى يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة وتقرأ بالضم جمعا لأقرم ، والأقرم كالقرم . والخرق ، بالضم : جمع أخرق وخرقاء ، وهى التى يقع منسمها بالأرض قبل خفها انجابتها . فيما عدا ل « بدنا وجوفا » . والواضية ، من الوضاءة ، وهى الحسن والبهجة . فيما عدا ل : « فى جدور راضية » ، تحريف .

(٥) عقد ، قال نصر : بضم العين وفتح القاف والدال : موضع بين البصرة وضرية . قال ياقوت : وأظنه بفتح العين وكسر القاف . والماوية ، لعلها تخفيف الماوية بتشديد الياء ، ماء على طريق البصرة من النباج . ط ، س : « فالمارية » ل : « كالبارية » ، وأثبت ما فى هـ .

(٦) البقل من النبات : ما ليس بشجر . ل : « بعلا » . هـ : « نفلا » ، صوابه فى ط ، س . والتلاعة ، بالفتح : ما انهبط من الأرض ، أو ما ارتفع . حالية : حليت بالنبت . فيما عدا ل : « خالية » تحريف .

(٧) ثوروها : بعثها بعد بروكها . والمرى : الناقة التى تدر على من يمسح ضروعها . والساجية : الساكنة . فيما عدا ل : « فبرزوا » تحريف . س « كل دباء » =

أخلافها لِذِى الأكف مالِيَه(١)

(جَبل الجن)

وقال ابنُ الأعرابى : قال لى أعرابى مَرّة [مِن غَنِىٍّ(٢)] وقد نزلت [به] ، قال : وهو أخفُّ ما نزلتُ به وأطيَبُه ، فقلت(٣) : ما أطيب ماءكم هذا ، وأعْذَى منزلكم(٤) ! قال : نعم وهو بعيدٌ من الخير كله ، بعيد من العراق واليمامة والحجاز ، كثير الحيات ، كثير الجنّان ! فقلت : أترَونَ الجن؟ قال : نعم ! مكانُهم فى هذا الجبل ــ وأشارَ بيدِه إلى جبل يقال له سُوَاج(٥) . قال : ثمَّ حدَّثنى بأشياء .

(شعر فيه ذكر الجن)

وقال عبيد بن أوس الطائى(٦) فى أخت عَدى بن أوس :

= ط ، هـ : « كل ربايا » ، صوابهما فى ل . وفى ل : « ساحية » بالمهملة ، تحريف .

(١) الأخلاف : جمع خلف ، بالكسر ، وهو الضرع . ل : « خلوفها » وهو جمع خلف أيضا . لذى الأكف : أى لهذه الأكف . وفى هـ : « لد » وفى ل : « لدى » .

(٢) أى من قبيلة غنى . س ، « من عى » . وأثبت هذه التكملة على الصواب من ل .

(٣) ط : « فقالت » هـ : « فقال » ، صوابه فى ل ، س .

(٤) العذاة ، والعذى بالكسر : الأرض الطيبة التربة البعيدة من المياه والسباخ . ط ، هـ : « أعدى » بالدال المهملة ، تحريف .

(٥) سواج ، بضم أوله ، وآخره جيم : جبل من جبال غنى . فيما عدا ل : « سواح » محرف .

(٦) الشعر يروى لعمر بن أبى ربيعة كما فى اللسان (٣ : ٦١) والأغانى (١ : ٧٥) وشواهد المغنى ١١٠ . ويروى أيضا لجميل بن معمر ، كما صوبه ابن برى فى اللسان وكما فى ابن خلكان (١ : ١١٦) . وقال السيوطى فى شرح شواهد المغنى : « وقد رأيتها فى ديوانه » . ويروى أيضا لعروة بن أذينة كما فى حواشى الكامل ١٦٥ ليبسك .

هَلْ جَاءَ أوساً ليلتى ونعيمُها ... ومقامُ أوْسٍ فى الخِباء المُشْرَجِ [١]

ما زِلتُ أطوى الجنّ أسمع حِسَّهُمْ ... حَتّى دَفَعْتُ إلى ربيبة هودج [٢]

فوضعت كَفِّى عند مَقْطَع خَصْرِها ... فَتَنَفّسَتْ بُهْرا ولمّا تنهج [٣]

فتناولتْ رَأْسِى لِتَعرِفَ مَسّهُ ... بمخَضّبِ الأطرافِ غَيرِ مُشَنّج [٤]

قالتْ بعَيْشِ أخِى وحُرمة وَالِدِى ... لَأُنَبِّهَنَّ الحىّ إنْ لم تخرج [٥]

فخرجتُ خِيفةَ قومها فتبسَّمَتْ ... فعلِمْتُ أنْ يمينَها لم تلجَجِ [٦]

فلثِمْتُ فاهَا قابضاً بقُرونِها ... شُرْبَ النَّزِيفِ ببَرْدِ ماءِ الحشْرَجِ [٧]

وأنشدنى آخر [٨] :

---

(١) المشرج : الذى أدخل بعض عراه فى بعض .

(٢) ل : « أطوى البحر » ، محرف . وفى الوفيات : « أبغى الحى أتبع فلهم » ، وفى الكامل : « أبغى الحى أتبع ظالهم » . فيما عدا ل : « إلى رواق المروج » تحريف .

(٣) البهر ، بالضم : انقطاع النفس من الإعياء ، ويقال : نهج ينهج نهجا وأنهج إنهاجا : إذا تواتر نفسه من شدة الحركة . ل : « تنفج » محرفة .

(٤) المشنج : المتقبض .

(٥) ل والوفيات والأغانى : « ونعمة والدى » ، وفى اللسان : « وعيش أبى وحرمة إخوتى » . وفى الكامل : « وعيش أبى وأكبر إخوتى » .

(٦) فى الكامل والوفيات واللسان : « خيفة قولها » ، وفى الأغانى وشواهد المغنى : « خوف يمينها ، وفى ل ، س : « خيفة أهلها » . تلجج ، من اللجج ؛ وهو التمادى والإصرار . وجاءت هذه الرواية أيضا فى الوفيات ، لكن فى سائر المراجع : « لم تحرج » . والحرج : الإثم .

(٧) الرواية فى سائر المصادر : « آخذا بقرونها » . والقرون : الضفائر من الشعر ، الواحدة قرن . والنزيف : الذى عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه ، أو المحموم الذى منع الماء . والحشرج : الماء الجارى على الحجارة ، والحشرج أيضا : كوز صغير لطيف .

(٨) الشعر لموسى بن جابر الحنفى . انظر الحماسة (١ : ١٤٠) واللسان (١٦ : ٢٤٦) .

ذَهَبْتُمْ فعُذْتم بالأمير وقُلتُمُ ترَكْنا أحاديثاً ولحماً مُوضَّعَا[١]

فما زادنى إلّا سَناءً ورِفعةً ولا زادكُمْ فى القَوم إلّا تخشُّعا

فما نفرَتْ جِنِّى ولا فُلَّ مِبرَدِى

وما أصبحت طيرى من الخَوْفِ وُقَّعَا[٢]

وقال حسّانُ بنُ ثابت ، فى معنى قولِه : « واللهِ لأضربنَّه حتَّى أنزعَ من رأسِه شيطانه » ، فقال[٣] :

ودَاوِيةٍ سَبْسَبٍ سَمْلَقٍ مِنَ البِيدِ تَعْزِفُ جِنّانُها[٤]

قَطَعْتُ بِعَيْرَانةٍ كالفَنِيـ ـقِ يَمْرَحُ فى الآلِ شَيْطانُها[٥]

[فجمع فى هذا البيت تثبيت عزيف الجن ، وأنَّ المراح والنشاط والخُيَلاء والغرب[٦] هو شيطانُها] .

---

(١) ط ، س : « وعدتم » هـ : « فعدتم » ، والصواب من ل . عاذ به : التجأ إليه . وفى الحماسة : « فلذتم » . والموضع : المنضد بعضه على بعض . يقول : لجأتم إلى الأمير وقلتم تركنا قوما يقولون ولا يفعلون ، فهم كاللحم المنضد يطمع فيه الناس .

(٢) س : « ولا أصبحت » . قال ابن منظور : أراد بالجن القلب ، وبالمبرد اللسان .

(٣) هنا فى ط ، هـ زيادة : « فقال » :

(٤) الداوية : الفلاة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة . والسبسب : القفر البعيدة . والسملق : المستوية الجرداء . وعزيف الجن : أصواتها . ط ، س : « تعرف » صوابه من ل ، هـ .

(٥) العيرانة من الإبل : الناجية فى نشاط ، شبهت بالعير فى سرعتها ونشاطها . والفنيق : الفحل المكرم من الإبل . والآل : السراب . وقال يونس : « تقول العرب الآل منذ غدوة إلى ارتفاع الضحى الأعلى ، ثم هو سراب سائر اليوم » . والبيتان لم يرويا فى ديوان حسان .

(٦) الغرب ، بالفتح : الحدة والنشاط والتمادى .

وأبينُ منْهُ[١] قولُ منظور بن رواحة[٢] :

أتانِي وأهْـلى بالدِّماخ فغمرةٍ مَسبُّ عويفِ اللؤم حَىَّ بنى بدر[٣] ٥٧

فلمَّـا أتانى ما يَقـول ترقّصت شَياطينُ رَأسِي وانْتَشَينَ من الخَمْرِ[٤]

(من المثل والتشبيه بالجن)

ومن المَثَل والتّشبيه قولُ أبي النَّجم :

وقام جِنّىُّ السَّنام الأمْيَلِ[٥] وامْتَهَد الغاربُ فِعْلَ الدُّمَّلِ[٦]

وقال ابن أحمر :

بهَجْلٍ من قَساً ذفِرِ الخُزامَى تداعَى الجِرْبياءُ به الحَنِينا[٧]

---

(١) ل : « من ذلك » .

(٢) سبق البيتان فى (١ : ٣٠٠ – ٣٠١) .

(٣) الدماخ بكسر أوله وآخره خاء معجمة : جبال بنجد . ل : « بالدماج » ، وفيما عدا ل : « بالرماح » ، صوابهما ما أثبت . وغمرة : جبل . ط : « وغمرة » س ، ﻫ : « بغمرة » صواب روايته وفى ل . فى ط ، ﻫ : « عريف اللؤم حىّ » ، ل : « عزيف اللؤم جن » ، صوابهما من س . نسب عويفا إلى اللؤم . وحى معمول مسب ، وهو مصدر ميمى .

(٤) فيما عدا ل : « ما تقول تقلصت » ، تحريف .

(٥) أنشد البيت فى اللسان (١٦ : ٢٥٣) برواية : « وطال » . وقال : « أراد تموك السنام وطوله » . والأميل : المائل . وجاء شبيه هذا البيت فى اللسان (١٣ : ٥٠٧) وهو : « واعتدلت ذات السنام الأميـل » . وجاء فى شرحه : « اعتدال ذات السنام الأميل : استقامة سنامها من السمن بعـد ما كان مائلا » .

(٦) الغارب : أعلى مقدم السنام . وامتهاد السنام : انبساطه وارتفاعه . والدمل واحد الدماميل ، وهى تلك القروح . ونصب « فعل » على التشبيه : أى مثل فعل الدمل . وقد أنشد هذا البيت فى اللسان (مهد ، دمل) .

(٧) سبق الـكلام فى البيت وتخريجه فى (٣ : ١٠٨) . ل : « بجو » ، فيما عدا ل : « من فسا » بالفاء ، محرف . ط : « زفر » محرف . ط : « تهادى الجربياء » وهى رواية أخرى .

تَكَسَّرَ فوقه القَلَعُ السَّوارِى   وجُنَّ الخازِبازِ به جُنُونا[١]

وقال الأعشى :

وإذا الغيثُ صَوْبُه وَضَع القِدْ   حَ وجُنَّ التِّلاعُ والآفاقُ[٢]

لم يزدهم سَفاهَةً شُرْبُ الْخَمْ   رِ ولا اللَّهوُ بينهُمْ والسِّباقُ[٣]

وقال النابغة :

وخَيِّس الجنَّ إنّى قد أَذِنْتُ لَهُمْ   يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاح والعَمَدِ[٤]

(ما يزعمون أنه من عمل الجن)

وأهلُ تدمُر يزعمون أنّ ذلك البناءَ قبل زمن سليمان ، عليه السلام ، بأكثَرَ ممّا بيننا اليومَ وبينَ سليمان بن داودَ عليهما السلام . وقالوا : ولكنّكم إذا رأيتُمْ بنياناً عجيباً ، وجهلتم موضع الحِيلة فيه ، أضفتُموه إلى الجنّ ، ولم تُعانوه بالفكر .

وقال العَرْجيُّ :

سدّتْ مَسامِعها لقرع مراجِل   مِنْ نَسْج جنٍّ مثله لا يُنْسَجُ[٥]

---

(١) البيت ساقط من ل . وقد سبق شرحه وتخريجه فى (٣ : ١٠٩) . ﻫ : « قلع السوارى » .

(٢) سبق البيت فى (٣ : ١٠٩) . صوب الغيث : مطره . القدح ، هو بالكسر : واحد أقداح الميسر ؛ وكانوا ينحرون ويضربون بالقداح فإذا أخصبوا تركوا ذلك ؛ وذلك أن الميسر إنما يكون فى الجدب . وجنت التلاع : حسن نباتها . ورواية الديوان ص ١٤٣ : « فإذا جادت الدجى وضعوا القدح » الدجى : جمع دجية ، وهى الأمطار .

(٣) فى (٣ : ١٠٩) : « نشوة الخمر » ، وفى الديوان : « شربة الكأس » . وهو لم يرد زيادة السفاهة ، وإنما على أنها لا تكون منهم .

(٤) التخييس : التذليل والحبس . والصفاح ، بالضم وتشديد الفاء : جمع صفاحة وهى كل عريض من حجارة أو لوح .

(٥) المراجل : جمع مرجل ، وهو القدر من النحاس . وأراد بالنسج الصنع . ط فقط : « مراحل » بالمهملة ، محرف .

وقال الأصمعيُّ : السيوف المأثورة هى التى يقال إنها من عمل الجن والشياطينِ (١) لسليمان بن داود عليهما السلام . فأمَّا القوارير والحمامات، فذلك مالا شك فيه (٢) . وقال البَعيث :

بَنَى زِيادٌ لذِكْرِ اللهِ مَصْنَعَةً مِن الْحِجارة لم تُعمَلْ من الطِّينِ (٣)

كأنَّهـا ، غير أنّ الإنسَ ترفَعُها مِمّا بنَتْ لسليمانَ الشياطينُ

وقال المقنَّع الـكِنْدىُّ :

وفى الظّعائنِ والأحْداجِ أمْلَحُ مَنْ حَلَّ العِرَاقِ وَحَلَّ الشامَ واليَمَنا (٤)

جِنِّيَّةٌ مِنْ نِساءِ الإنسِ أحسَنُ مِنْ شَمْسِ النّهارِ وبَدْرِ اللّيلِ لو قُرِنَا (٥)

مَـكتومة الذكرِ عِندِى ماحَيِيتَ لها وَقَدْ لَعَمْرِى مَلِلتَ الصَّرمَ والحَزَنَا

وقال أبو النَّجم :

أدرك عقلا والرهان عمـله (٦) كأنّ تُرْبَ القاع حِينَ تَسْحَلُه (٧)

صِيقُ شَياطِينَ زَفَتْهُ شمْأَلُه (٨)

---

(١) كذا فى س . وقد سقطت : « الجن » من ل ، وسقطت : « الشياطين » من ط ، هـ .

(٢) س : « فذلك بلا شك » فقط .

(٣) المصنعة : ما تصنعه الناس من الآبار والأبنية والقصور . ورواية ثمار القلوب ٤ : « لعمر الله » . وفى البيت التالى إقواء .

(٤) الظعينة : الهودج تكون فيه المرأة . والأحداج : جمع حدج بالكسر ، وهو مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة . ل : « أصلح » ، وفى الشعراء ٧١٦ : « أحسن » .

(٥) كذا الرواية فى ل والشعراء . وفيما عدا ل : « أملح من » ، و : « قد قرنا » .

(٦) هـ : « والدهان » .

(٧) الترب ، بالضم : التراب . والقاع : الأرض السهلة الواسعة المطمئنة . يسحله : يقشره وينحته . ل : « يسجاه » ، وفيما عدا ل : « تسحله » صوابهما ما أثبت .

(٨) الصيق ، بكسر الصاد المهملة : الغبار . ط ، س : « ضفن » هـ : « ضن » ل : « ضيق » ، والصواب ما أثبت . زفته : طردته واستخفته . =

وقال الأعشى فى المعنى الأوّل[١] ، من بناء الشياطين لسليمان بن داود عليهما السلام :

أرى عَادِيًا لَمْ يمنع المَوْتَ رَبُّه ووَرْدٌ بتيماء اليهـودىِّ أبلقُ[٢]

بَناهُ سُليمانُ بنُ داودَ حِقْبةً له جَنْدَلٌ صُمٌّ وطَىٌّ موثَّقُ[٣]

(مواضع الجن)

وكما يقولون: قُنفذ بُرْقة ، وضَبُّ سَحًا ، وأرنب الخلَّة ، وذئب خَمَر[٤] فيفرقون بينها وبينَ ما ليست كذلك[٥] إمّا فى السِّمَن ، وإمّا فى الخُبث ، وإمّا فى القوة — فـكذلك[٦] أيضاً يفرقون بين مواضع الجن . فإذا نَسبُوا[٧] الشّـكل منها إلى موضعٍ معروف ، فقد خَصُّوه[٨] من الخَبث والقُوة والعَرامة بما ليس لجملتهم وجمهورهم . قال لبيد[٩] :

= والشمأل : ريح الشمال . ل : « شمله » ، والشمل بالتحريك : لغة فى الشمال ، ويقال لها أيضا الشمول والشيمل والشومل والشمل ، بالفتح .

(١) فيما عدا ل : « فى هذا المعنى الأول » .

(٢) عاديا ، هو جد السموءل بن غريض بن عاديا اليهودى ، وإليه ينسبون بناء حصن تيماء ، وإن كان الأعشى هنا قد نسب بناءه إلى سليمان بن داود ، وقد نبه على ذلك ياقوت فى معجم البلدان (١ : ٨٨ / ٢ : ٤٤٢) . « وبه » كذا وردت فى الأصل ، أى لم يستطع رب هذا الحصن أن يمنع عن نفسه الموت . ورواية الديوان ص ١٤٥ وكذا معجم البلدان : « ماله » . والورد ، بفتح الواو : الأحمر الذى تضرب حمرته إلى صفرة حسنة ، عنى به الحصن ، قال ياقوت « وإنما قيل له الأبلق لأنه كان فى بنائه بياض وحمرة » . وقد نسب تيماء إلى اليهودى .

(٣) فى الديوان : « داؤد » بالهمز .

(٤) انظر ما سبق فى هذا الجزء ص ١٢٣ وماسيأتى فى ٤ : ١٣٣ .

(٥) فيما عدا ل : « ما ينسب لذلك » . وفى ثمار القلوب ١٨٧ : « ما ليس كذلك » .

(٦) س : « وكذلك » ط ، هـ : « كذلك » بإسقاط الفاء . وأثبت ما فى ل .

(٧) ل : « نسق » .

(٨) ل : « حضره » .

(٩) ط ، هـ : « وقال لبيد » ، بزيادة واو .

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحـولِ كأنَّها　　جنُّ البَدِيِّ رواسِيًا أقدامُها (١)

وقال النّـابغة :

سهكِينَ مِنْ صَدَإِ الحديدِ كَأَنَّهُـمْ　　تحتَ السَّنَوَّرِ جِنَّةُ البَقّـارِ (٢)

وقال زهير :

عَلَيْهِنَّ فِتْيانٌ كَجِنَّةِ عَبقرٍ　　جديرُونَ يوماً أن يُنيفوا فَيَسْتعلوا (٣)

وقال حاتم :

عليهنّ فِتْيانٌ كَجِنّة عَبقر　　يَهزُّون بالأيدِى الوَشِيجَ المقوّمَا (٤)

ولذلك قيل لـكلِّ شىء فائق ، أو شديدٍ : عبقرى .

---

(١) غلب : غلاظ الأعناق ، جمع أغلب . تشذر : أى يوعد بعضهم بعضا . والذحول . جمع ذحل ، وهو الحقد والثأر . والبدى : البادية ، أو موضع بعينه ، وقال ابن الأنبارى : واد لبنى عامر . والبيت من معلقة لبيد . وقبله :

وكثيرة غرباؤها مجهولة　　ترجى نوافلها ويخشى ذامها

(٢) السهك : ريح صدإ الحديد . والسنور ، بفتح السين والنون وتشديد الواو : جملة السلاح ، وخص به بعضهم الدروع . والبقار ، بفتح الباء : واد ، أو رملة ، أو جبل ، قال ياقوت : وينشد :

. . . كأنهم　　تحت السنور قنة البقار

وقد روى البيت فى اللسان (٦ : ٤٧) بدون نسبة و (١٢ : ٣٣٠) والكامل ٢١٢ ، ٣١٦ وقال : « وكانت العرب تألف الطيب ، وتطرح ذلك فى حالتين : فى الحرب والصيد » .

(٣) كذا ورد صدر البيت فى الأصل . وصواب روايته كما فى الديوان ١٨ وثمار القلوب ١٨٨ واللسان (٦ : ٢٠٩) ومعجم البلدان (٦ : ١١٣) . «بخيل عليها جنة عبقرية » . وعبقر : أرض ينسبون إليها الجن . الإنافة : الارتفاع والإشراف والزيادة . والرواية فى سائر المصادر : « أن ينالوا » . ل : « أن يفيئوا ويشبعوا » ، هـ : « أن يتقون فيستغلوا » س : « أن ينيفوا ويشغلوا » ، والوجه ما أثبت من ط . وقبل البيت :

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم　　طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل

(٤) البيت ساقط من س . وفى ط : « عبقرا » ، محرف . والوشيج : الرماح . والبيت لم يرو فى ميمية حاتم من ديوانه ص ١٠٧ — ١٠٩ .

وفي الحديث، في صفة عمر رضي الله عنه: «فلم أر عبقريًّا يفرِي فَرِيّه [١]».

• قال أعرابي: ظلمني والله ظلماً عبقريًّا.

(مراتب الجن والملائكة)

ثمَّ ينزلون الجن في مراتب. فإذا ذكروا الْجِنِّيَّ سالماً قالوا: جني. فإذا أرادوا أنّه ممّن سكن مع النّاس قالوا: عامر، والجميع عُمّار. وإنْ كان ممن يعرض للصبيان فهُمْ أرواح [٢]. فإن خبُث أحدُهم وتعرَّم فهو شيطان، [فإذا زاد على ذلك فهو مارد. قال الله عز ذكره: ﴿وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾]. فإن زاد على ذلك في القوّة فهو عفريت، والجميع عفاريت [٣]. قال الله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾.

وهم في الجملة جنٌّ وخَوافي [٤]. قال الشاعر [٥]:

* ولا يُحَسُّ سوَى الخافِي بها أثرُ [٦] *

٥٩

---

(١) في اللسان: «يقال فلان يفرى الفرى — بتشديد الياء — إذا كان يأتي بالعجب في عملة. وروى فريه، بسكون الراء والتخفيف. وحكى عن الخليل أنه أنكر التثقيل وغلط قائله». وفيه أيضا: «وقال النبي صلى الله عليه وسلم، في عمر رضي الله عنه ورآه في منامه ينزع عن قليب بغرب: فلم أر عبقريا يفرى فريه. قال أبو عبيد: هوكقولك يعمل عمله». ل: «فلو أن عبقريا»، صوابه في سائر النسخ واللسان (٦: ٢٠٩ / ٢٠: ١٢) وثمار القلوب ١٨٨.

(٢) ل: «فهو أرواح».

(٣) فيما عدا ل: «والجمع عفاريت».

(٤) كذا جاء بإثبات الياء في جميع النسخ، وهو لغة قوم. والخوافي: جمع خاف.

(٥) هو أعشى باهلة، كما في جمهرة أشعار العرب ص ١٣٦ واللسان (١٨: ٢٥٨) وصدره:

يمشي ببيداء لايمشي بها أحد

(٦) ل: «لا يحس سوى الخوافي بها أثرا»، محرف. ل: «سوى الحافي» بالمهملة، تحريف. ورواية الجمهرة: «ولا يحس خلا الخافي».

فإنْ طَهَرَ الجنى ونَظُف ونَقِىَ [1] وصار خيراً كلُّه فهو مَلَك ، فى قولهِ مَنْ تأول قوله [عز ذِكره] : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ على أنّ الجنّ فى هذا الموضع الملائكة .

وقال آخرون : كان منهم على الإضافة إلى الدّار والدّيانة ، لاعلى أنّه كان من جنْسهم . وإنّما ذلك على قولهم سليمان بن يزيد العدوى [2] ، وسليمان بن طَرْخان التّيمى [3] ، وأبو على الحرمازِى [4] ، وعَمْرو بن فَائد الأسوارى [5] ؛ أضافوهم إلى المحالّ ، وتَرَكوا أنسابَهم فى الحقيقة .

وقال آخرون : كلُّ مُسْتَجِنٍّ فهو جِنِّىٌّ ، وجانّ ، وجنين [6] . وكذلك الولدُ قيل له جَنينٌ لـكونِه فى البطْن واستجنانه [7] . وقالوا [8] للمّيت الذى فى القبر جَنين . وقال عَمْرُو بنُ كُلثوم :

---

(١) نَقِى ينقى نقاوة : نظف . ط ، هـ : « فإذا ظهر » س : « فإن ظهر » محرفان . ط : « واتّقى » ، صوابهما فى ل ، س . وقد سقطت هذه الـكلمة من هـ .

(٢) ذكره الجاحظ فى البيان (١ : ٣٦) مثالا لأصحاب اللثغة ، وعده فى الشعراء . وقد روى له القالى شعرا فى (٣ : ٢٨) .

(٣) سليمان بن طرخان : ويقال ابن طهمان . وكان طرخان عبدا مكاتبا لبنى مرة . ونسب سليمان إلى بنى تيم لأن منزله ومسجده فيهم ، وكان من رجال الشيعة ؛ وكانت امرأته بنت الفضل بن عيسى الرقاشى القاص . وولدت له المعتمر بن سليمان. توفى سليمان بالبصرة سنة ١٤٣ . انظر المعارف ٢٠٩ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ . فيما عدا ل : « صوحان » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « العبدرى » .

(٥) عمرو بن فائد الأسوارى ، قال العقيلى : كان يذهب إلى القدر والاعتزال ، وكان منقطعا إلى محمد بن سليمان أمير البصرة ، وأخذ عن عمرو بن عبيد ، وله معه مناظرات ومات بعد المائتين بيسير . انظر لسان الميزان (٤ : ٣٧٢ - ٣٧٣) . ونسبته إلى نهر الأساورة بالبصرة . فيما عدا ل : « قائد » بالقاف : محرف . وفى ل : « الأساورى » ، والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٦) ل : « وجن » .

(٧) ل : « واستخفائه » .

(٨) ط ، س : « وقال » ، محرف .

وَلاَ شَمْطاءُ لم تَدَعِ المنـايا لَهَا منْ تِسْعَة إلاّ جنينا[1]

يُخبر أنّها قد دفنتْهُم كلَّهم .

قالوا : وكذلك الملائكة ، من الحَفَظة ، والحمَلة ، والكَرُوبيِّين[2] .

فلا بدّ من طبقات . وربُّما فُرِّقَ بينهم بالأعمال ، واشتُقَّ لهم الاسمُ من السَّبَب[3] كما قالوا لواحِدٍ من الأنبياء : خليل الله ، وقالوا لآخر : كليم الله ، وقالوا لآخر : روح الله .

(مراتب الشجعان)

والعرب تُنزل الشُّجَعاء[4] فى المراتب . والاسمُ[5] العامُّ شجاع ، [ثمّ بَطَلَ[6]] ، ثم بُهْمة ، [ثم] أليَس . هذا قول أبى عبيدة .

فأمَّا قولهم : شَيطان الحمَاطة ، فإنّهم يعنون الحيّة . وأنشد الأصمعى[7] :

تَلاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كأنَّهُ تَعمُّجُ شيطان بِذِى خِرْوَع قَفْرِ[8]

---

(١) ل : « لم يترك شقاها » .

(٢) الكروبيون بفتح الكاف : سادة الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وهم المقربون ، وأنشد شمر لأمية بن أبى الصلت :

* كروبية منهم ركوع وسجد *

والكلمة عبرية الأصل ، ولفظ مفردها فى العبرية « كيروب » بكسر الكاف ، وجمعه فيها « كيروبيم » . وانظر عجائب المخلوقات ٥٧ وسفر الخروج (٢٥ : ١٨ / ٢٦ : ٣١ / ٣٦ : ٨ ، ٣٥) والمزامير (١٨ : ١٠) وحزقيال (١١ : ٢٢) .

(٣) فيما عدا ل : « الأسماء من السبب » .

(٤) الشجعاء : جمع قياسى لشجيع ، وفيما عدا ل : « الشجعان » ، وهو من شواذ الجمع .

(٥) فيما عدا ل : « والاسم » .

(٦) التكملة من ل ، س .

(٧) البيت لطرفة بن العبد كما فى الحيوان (٤ : ١٣٣) . وقد سبق بدون نسبة فى (١ : ١٥٣) . وأنشده فى اللسان (٣ : ١٥٣ / ١٧ : ١٠٥) والمخصص (٨ : ١٠٩) .

(٨) عنى أن هذه الناقة تلاعب زمامها . والحضرمى : المنسوب إلى حضرموت . والتعمج : التلوى . بذى خروع : أى مكان ينبت فيه الخروع .

وقد يُسَمُّون[١] الكِبر والطغيانَ ، والخُنْزُوانة ، والغَضبَ الشّديدَ شيطاناً ، على التّشبيه . قال عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه : « والله لأنزِعَنّ نُعَرَتَه ، ولأضربَنَّه حتى أنزع شيطانه من نخرته[٢] » .

(مراتب الجن)

والأعراب تجعل الخوافِىَ والمستجِنّات ، من قبل أن ترتِّب المراتب ، جنسين[٣] ، يقولون جِنّ وحِنّ[٤] ، بالجيم والحاء . وأنشدوا[٥] :

أبيتُ أهْوِى فى شَياطِينَ تُرِنّ[٦] مختلِفٍ نَجواهمُ جِنٌّ وحِنّ[٧]

ويجعلون الجنّ فوق الحنّ[٨] . وقال أعشى سُلَيم :

فما أنا منْ جِــنٍّ إذا كنتُ خافياً

ولستُ من النَّسْناسِ فى عنصُرِ البَشَرْ

---

(١) ط ، هـ : « يسمعون » ، تحريف .

(٢) النعرة ، بضم ففتح : الذباب الأزرق ، وهو يتولع بالبعير ويدخل فى أنفه فيركب رأسه ، ثم استعيرت للنخوة والأنفة والكبر . وروى فى اللسان : « لا أقلع عنه حتى أطير نعرته » ، وروى فيه وفى الحيوان (١ ، ١٥٣) « حتى أنزع النعرة التى فى أنفه » . والنخرة ، بالضم وكهمزة : مقدم الأنف . فيما عدا ل : « من نحرته » بالحاء المهملة ، محرف .

(٣) ط ، هـ : « جنين » .

(٤) فيما عدا ل : « تقول » . وفى هـ : « جن وجان » ط ، س : « جن رجان » والوجه ما أثبت من ل .

(٥) الرجز لمهاصر بن المحل ، كما فى اللسان (١٦ : ٢٨٩) .

(٦) الإرنان : التصويت .

(٧) فى اللسان : « قال أبو إسحاق : النجوى فى الكلام : ما ينفرد به الجماعة والاثنان سراً كان أو ظاهراً » . ل : « نجراهم » بالراء ، صوابه بالواو كما فى اللسان . وفيما عدا ل : « نجارها » ، والنجار ، بالكسر : الأصل . وفى اللسان : « جن وحن » بتقديم ما أوله جيم .

(٨) فيما عدا ل : « الحن فوق الجن » بتقديم ما أوله حاء ، وهو تحريف .

ذهب إلى قول من قال : البشر ناسٌ ونسناس ، والخوافى جنّ وجنّ[١] - يقول : أنا من أكرم الجنسين[٢] حيثما كنت[٣] .

(شيطان ضعفة النُّسّاك والعُبّاد)

٦٠ وضَعَفة النسّاك وأغبياءُ العُبّاد ، يزعمون أنّ لهم خاصّةً شيطاناً قد وُكِّل بهم ، ويقال له « المُذهِب[٤] » يُسْرِج لهم النِّيران ، ويُضيء لهم الظُّلْمة ليفتنهم وليريَهم العجب[٥] إذا ظنُّوا أنّ ذلك من قِبَل الله تعالى .

(شيطان حفظة القرآن)

وفى الحديث أنّ الشَّيطانَ الذى قد تفرَّد بحفظَة القرآن يُنْسِيهم القرآن ، يسمى خَنْزَب[٦] ، وهو صاحب عثمان بن أبى العاص[٧] .

---

(١) ل : « جن وحن » ، بتقديم ما أوله جيم .

(٢) فيما عدا ل « ويقول » بإقحام الواو . وفى ط : « الحيين » وفى س ، هـ : « الجنين » . وأثبت ما فى ل .

(٣) فيما عدا ل : « كانت » تحريف .

(٤) قال صاحب القاموس : « وكسرهاته الصواب ، ووهم الجوهرى » يعنى ضبطه ضبط قلم بفتح الهاء . وذكر الزبيدى أن الذى جزم به القرطبى وجماعة من المحدثين أنه بفتحها . وفى اللسان : « قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا » .

(٥) ل : « ويورثهم العجب » .

(٦) خنزب ، بفتح الخاء المعجمة بعدها نون ساكنة وزاى مفتوحة . وفيما عدا ل : « حنوب » ، محرف .

(٧) هو عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد بن دهمان بن عبد الله بن همام الثقفى . أبو عبد الله ، نزيل البصرة . أسلم فى وفد ثقيف ، واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على الطائف ، وأقره أبو بكر ثم عمر ، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين . ثم سكن البصرة وأقطعه عثمان اثنى عشر ألف جريب . ومات فى خلافة معاوية . انظر السيرة ٩١٥ والإصابة ٥٤٣٣ والمعارف ١١٦ - ١١٧ .

(الخابل والخبل)

قال : وأما الخابل والخَبَل ، فإنما ذلك اسمٌ للجنّ الذين يخبلون [النَّاسَ بأعيانهم ، دونَ غيرهم . وقال الشَّاعر[١] :

* تناوح جِنّان بهنّ وخُبَّلَ *

كأنّه أخْرج الذين يخبلون] ويتعرَّضون ، ممّن[٢] ليس عنده إلاّ العَزيف والنَّوح . وفصل أيضاً لبيدٌ بينهم فقال :

أعاذِلُ لو كان النِّداد لقُوتِلوا ولـكنْ أتانا كلُّ جنٍّ وخابلِ[٣]

و [قد] زعم ناسٌ أنَّ الخَبَل والخابل ناس[٤] . قالوا : فإذا[٥] كان ذلك كذلك ، فكيف يقول أوسُ بن حجر :

* تناوح جِنّان بهن وخبّلُ[٦] *

(استطراد لغوى)

قالوا : وإذا تعرّضت الجنّيّة وتلوَّنَتْ وعبِثت[٧] فهى شيطانة ، ثم غُول . والغُول فى كلام العرب الدَّاهية . ويقال : لقد غالَتْهُ غول . وقال الشاعر :

---

(١) هو أوس بن حجر ، كما سيأتى . وانظر ديوانه ص ١٨ .

(٢) س : « لمن » ، تحريف .

(٣) النداد ، هى كما فى المعاجم : المخالفة ، ناددت فلانا : إذا خالفته . وأراها هنا بمعنى التماثل فى العدد والكثرة ، من الند بمعنى المثيل والنظير . وفيما عدا ل : « البذاذ » . وفى القاموس فقط : « باذذته : بادرته » .

(٤) ل : « الناس » . والخبل ، هنا بالتحريك : اسم جمع للخابل .

(٥) ل : « فإن » .

(٦) فيما عدا ل . « وخابل » ، والخبل فى الشعر جمع لخابل . وصدر البيت ، كما فى الديوان :

* تبدل حالا بعد حال عهدته *

(٧) س : « وغشت » .

تقول : بيتى فى عِزٍّ وفى سعَــةٍ فقدْ صَدَقْتَ ولــكنْ أنتَ مدخولُ (١)
لا بأسَ بالبَيْتِ إلاَّ ما صنعت به تَبْنِي وتَهْـدِمُه هدًّا له غولُ (٢)

وقال الرَّاجز :

والحربُ غولٌ أو كشِبه الغُولِ تُزَفُّ بالرَّاياتِ والطُّبــول (٣)
تَقْلِبُ للأوتارِ والذُّحُــولِ حِمْلاقَ عَيْنٍ ليْسَ بالمكْحُولِ (٤)

(زواج الأعراب للجن)

ومن قول الأعراب أنهم يظهرون لهم ، ويكلِّمونهم ، ويناكحونهم.
ولذلك قال شمر بن الحارث الضَّبّى (٥) :

ونارٍ قد حَضَأْتُ بُعَيْدَ هَدْءٍ بدار لا أُريدُ بِهــا مُقــامَا (٦)
سِــوَى تَحْليلِ راحلةٍ وعَينٍ أُكالِئُها مَخافَةَ أنْ تنَامَا (٧)

---

(١) المدخول : من فى عقله أو حسبه دخل ، وهو الفساد .
(٢) فيما عدا ل :

لا بأس بالبيت إلا ما فعلت به تبنى وتهدمه هدما لك الغول

(٣) هـ : « ترف بالرايات »، محرف .
(٤) الأوتار : جمع وتر ، بالكسر ، وهو الثأر . وفى اللسان : « الجوهرى : الوتر بالكسر الفرد ، والوتر بالفتح الذحل ، هذه لغة أهل العالية . فأما لغة أهل الحجاز فبالضد منهم ؛ وأما تميم فبالكسر فيهما » . والذحول : جمع ذحل ، بالفتح ، وهو الثأر . وحملاق العين ، باطن أجفانها . ط ، هـ : « تغلب » محرف . ط ، س : « والدحول » هـ : « والدخول » صوابهما فى ل .
(٥) انظر ما سبق من تحقيق فى هذا الاسم فى (٤ : ٤٨١ — ٤٨٢) . ل : « سمير » .
(٦) سبق شرح البيت فى (٤ : ٤٨٢) . ط ، هـ : « حطأت » محرف ، وفيما عدا ل : « بعيدن » .
(٧) سبق شرحه فى (٤ : ٤٨٢) . ط ، هـ : « سوى تجليل » بالجيم ، تحريف .

أتَوْا نَارِى فقلتُ مَنونَ قالوا   سراةُ الجنِّ قلتُ عِمُوا ظَلَامَا(١)

فقُلْتُ إلى الطَّعامِ فقَالَ مِنْهُمْ   زَعِيمٌ: نحسد الإنْسَ الطَّعامَا(٢)

وذكر أبو زيدٍ عنهم أنّ رجلا منهم(٣) تزوج السِّعلاة، وأنها كانت عنده زَمانا، وولدت مِنْه(٤)، حتَّى رأت ذاتَ ليلةٍ بَرْقاً على بلاد السَّعالى، فطارَتْ إليهنّ، فقال(٥):

رَأَى بَرْقاً فأوْضَعَ فوقَ بَكْرٍ   فلا بِكِ ما أسَالَ وما أغامَا(٦)

فمن هذا النِّتاج المشْتَرَك، وهذا الخلْقِ المركَّب عندهم: بنو السِّعلاة، من بنى عمرو بن يربوع، وبِلقيسُ ملكة سَبأ. وتأوّلوا قولَ الشاعر: ٦١

(١) سبقت رواية هذا البيت وتاليه فى (١ : ١٨٦)، وسلفت روايتهما وشرحهما فى (٤ : ٤٨٢). فيما عدا ل: «منون أنتم فقالوا الجن».

(٢) ل: «فقمت» و: «تحسد».

(٣) ل: «أن فلانا» فقط. وفى س: «أن رجلا» فقط. وانظر ما سيأتى فى الشرح.

(٤) ل: «منهم».

(٥) القائل هو عمرو بن يربوع بن حنظلة، الذى تزوج السعلاة. وفى نوادر أبى زيد ١٤٧: «قال المفضل: بلغنى أن عمرا هذا تزوج السعلاة، فقال له أهلها: إنك تجدها خير امرأة ما لم تر برقا، فستر بيتك ما خفت ذلك. فمكثت عنده حتى ولدت له بنين، فأبصرت ذات يوم برقا فقالت:

الزم بنيك عمرو إنى آبق   برق على أرض السعالى آلق»

وقد نقل هذه القصة المعرى فى الفصول والغايات ص ٢١٠ وزاد قوله: «وانصرفت فكان آخر العهد بها. ففى ذلك يقول عمرو بن يربوع وهو يتأسف على فراقه حبيب . . .» وأنشد البيت.

(٦) رأى، جعل الضمير للضيف فى بيت قبله، وهو:

ألا لله ضيفك يا أماما

وإنما يعنى بالضيف السعلاة. وهذا الشطر مما لم يعرف عجزه وضاع. انظر النوادر. أوضع: سار الإيضاع، وهو ضرب من السير. والبكر، بالفتح: الفتى من الإبل. بك: جعله ابن جنى فى الخصائص ٤١٩ من رد واو القسم إلى أصلها، وهو الباء، إذا كان المقسم به ضميرا. وقال ابن سيده فى المخصص =

لا هُمَّ إنَّ جُرْهُماً عِبادُكا النَّاسُ طِرْفٌ وهُمُ تِلادُكا[١]

فزعَموا أن أبا جُرهمٍ من الملائكة الذين كانوا إذا عصَوا فى السَّماء أُنزِلوا إلى الأرض ، كما قيل فى هاروت وماروت . فجعلوا سُهيلاً عشّاراً مُسِخ نجما ، وجعلوا الزُّهرة امرأةً بَغِيًّا مُسِخت نجما ، وكان اسمها « أناهيد »[٢] .

وتقول[٣] الهند فى الكوكب الذى يسمَّى « عُطارِدَ » شبيهاً بهذا .

(المخدومون)

ويقول الناس : « فلانٌ مخـدوم » يذهبون إلى أنّه إذا عَزَم على الشياطينِ والأرواح والعُمَّار أجابوه وأطاعوه . منهم عبد الله بن هلال الحِميرىّ[٤] ، الذى كان يقال له صديق إبليس . ومنهم كرباش الهندىّ[٥] ، وصالح المديبرى[٦] .

= (١٤ : ٥٢) : « وكذلك الواو إذا دخلت على اسم مضمر ، ردت إلى أصلها وهو الباء ، فقيل به لأفعلن . أنشد أبو زيد :

رأى برقا فأوضع فوق بكر فلا بك ما أسال ولا أغاما »

لا أسال : أى لا أسال الماء . وأغام هو : حدث فيه الغيم . أى أنه برق فحسب ، ولم يسقط مطرا ولم يتكاثف سحابه . فيما عدا ل : « فلأيا ما أسال » تحريف . ط ، س : « وما أعاما » ﻫ : « وما أعانا » صوابهما ما أثبت من ل .

(١) الطرف ، بالكسر : أصله المستحدث من المال ، عنى أنهم مستحدثون . والتلاد : أصله ما ورثته عن الآباء قديما . وقد سبق الرجز فى (١ : ١٨٧) . وانظر المحاسن والمساوى (١ : ٧٨) . وهو لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى ، كما سبق فى الحواشى .

(٢) أناهيد : كلمة فارسية ، ويقال أيضا « ناهيد » بطرح الألف ، كما فى الموضعين من معجم استينجاس . ل : « أناهيذ » بالذال المعجمة .

(٣) ل : « وقد تقول » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١٩٠) .

(٥) ط ، ﻫ : « كدياس » س : « كرباس » وأثبت ما فى ل . وفى رسائل الجاحظ ١٣٠ : « كردباس » .

(٦) المديبرى : نسبة إلى مديبر ، تصغير مدبر ضد المقبل ، وهو موضع قرب الرقة . =

(شروط إجابة العامر للعزيمة)

وقد كان عبيد [مُجّ[١]] يقول : إن العامِر[٢] حريصٌ على إجابة العزيمة ، ولكنّ البدنَ إذا لم يصلُحْ أن يكون [له] هيكلاً لم يستطعْ دخولَه . والحيلةُ فى ذلك أن يتبخَّر باللبان الذّكر ، ويراعىَ سَيْرَ المشترى ، ويغتسلَ بالماء القراح[٣] ، ويدع الجِماع وأكل الزُّهُومات[٤] ، ويتوحَّش فى الفيافى ، ويُكثرَ دخول الخرابات[٥] ، حتى يرق ويلطف[٦] [ويصفوَ] ويصير فيه مشابِهُ من الجنّ ، فإن عزَم عند ذلك[٧] فلم يُجَب فلا يعودَنّ لمثلها[٨] فإنّه مِمّن لا يصلح أن يكون بدنُه هيكلاً لها[٩] ، ومتى عاد خَبِطَ[١٠] فربّما جُنّ ، وربّما مات .

= وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ص ٣١٠ ليبسك ٤٣٢ مصر ، مع عبد الله ابن هلال ، وعقبة الأزرعى ، وأبى خالد الخراسانى ، فى جماعة المعزمين ، وقال : « هؤلاء يعملون بالطريقة المحمودة » . ط ، هـ : « صالح الموسوى » ، س : « المرسوى » صوابه ما أثبت من ل والفهرست ورسائل الجاحظ ١٣٠ ساسى .

(١) كذا وردت هذه التكملة بهذا الضبط فى ل . ولم أعثر له على ترجمة . وجاء فى رسائل الجاحظ : « وأبن عبيد مج من البطيخى » . وضبطت مج فيها بضم الميم أيضا .

(٢) فيما عدا ل : « العامرى » ، تحريف .

(٣) الماء القراح ، بالفتح : الذى لم يخالطه شىء .

(٤) أراد بالزهومة ما فيه زهومة ، وهو ريح اللحم السمين المنتن .

(٥) كذا وردت فى جميع النسخ . والمعروف : « خربات » جمع خربة بكسر ففتح » . وانظر ما سبق فى حواشى (٣ : ٣٢٥) .

(٦) ل : « حتى يلطف ويرق » ، س : « حتى يدق ويلطف » .

(٧) ل : « بعد ذلك » .

(٨) ل : « فلا يعد » ، هـ : « فلا يعود » ، وهذه محرفة .

(٩) فيما عدا ل : « فإنه ليس ممن يكون بدنه هيكلا لها » .

(١٠) خبط : أى خبطه الشيطان : مسه بأذى وأفسده . ط ، هـ : « خبطه » ، محرف .

قال : فلو كنتُ ممَّن يصلُح أن يكون لهم هيكلاً[1] لكنت فوق عبد الله بن هلال .

(رؤية الجن)

قال الأعراب[2] : وربما نزلنا بجمعٍ كثير ، ورأينا خياماً وقباباً ، وناساً ، ثم فقدناهم من ساعتنا .

والعوامّ ترى أنّ ابن مسعود ، رضى الله عنه ، رأى رجالاً من الزُّطِّ[3] فقال : « هؤلاء أشبه من رأيت بالجنّ ليلة الجنّ[4] » .

قال : وقد رُوى عنه خلافُ ذلك .

وتأوَّلوا قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً[5] ﴾ . ولم يُهلك الناس كالتأويل[6] .

ومما يدلُّ على ما قلنا قولُ أبى النّجم ، حيث يقول :

* بحيثُ تَستَنُّ مع الجنّ الغُول[7] *

فأخرج الغول من الجنّ ، لِلَّذِى بانَتْ[8] به [من] الجنّ .

---

(١) ل : « ممن يكون لهم هيكلا » .

(٢) ل ، س : « الأعرابى » .

(٣) انظر للزط ما سبق فى (٥ : ٤٠٧) . ط ، هـ : « رأى رجلا » .

(٤) ط ، ل : « هو لأشبه » تحريف . ط ، هـ : « من رأيت من الجن ليلة الجن » صوابه فى ل ، س .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ليستا فى ل ، هـ .

(٦) فيما عدا ل : « شيئا كالتأويل » ، بإقحام : « شيئا » .

(٧) استنّ فى عدوه : مضى على وجهه . هـ : « تشتق » س : « تشتّن » محرفتان . وفى ل : « يستّن » .

(٨) ط ، هـ : « فأخرج الجن من الغول الذى باتت به » ، محرف .

وهكذا[١] عادتهم : أن يُخرجوا الشيء من الجملة بعد أنْ دخلَ ذلك الشيء فى الجملة ، فيُظهَرَ لأمر خاصّ .

وفى بعض الرِّواية أنهم كانوا يسمعون فى الجاهلية من أجواف الأوثان هَمهمةً ، وأن خالد بن الوليد حين هَدَم العُزّى رمَته بالشَّرَر حتى احترقَ عامَّةُ فخذه ، حتى عادهُ[٢] النبى صلى الله عليه وسلم .

وهذه فتنةٌ لم يكن الله تعالى ليمتحنَ بها الأعرابَ [وأشباهَ الأعراب] من العوامّ . وما أشك أنه [قد] كانتْ للسَّدَنة حِيَلٌ وألطاف[٣] ٦٢ لمكان التكسُّب .

ولو سمِعتَ أو رأيت بعض ما قد أعدّ الهِنْدُ من هذه المخاريق[٤] فى بيوت عباداتهم ، لعلمت أنّ الله تعالى قد مَنَّ على جملة[٥] الناس بالمتكلِّمين ، الذين قد نشؤوا[٦] فيهم .

(افتتان بعض النصارى بمصابيح كنيسة قمامة)

وقد تعْرِف ما فى عجايز النصارى[٧] وأغمارهم[٨] ، من الافتتان بمصابيح

---

(١) فيما عدا ل : « وهذا » .

(٢) عاده ، من عيادة المريض . فيما عدا ل : « عوذه » . وانظر خبر هدم العزى ، فى السيرة ٨٣٩ — ٨٤٠ والطبرى (٣ : ١٢٣) فى حوادث السنة الثامنة .

(٣) ألطاف : جمع لطف ، بالضم ، وهو : الرفق فى العمل . ل : « حيلا وكينا » ، محرف .

(٤) انظر التنبيه العاشر من (٥ : ٣٥٢) ، والسادس من (٤ : ٣٧٨) .

(٥) فيما عدا ل : « جهلة » .

(٦) فيما عدا ل : « نشوا » ، تحريف .

(٧) ل : « نعرف » ﻫ : « يعرف » . وفيما عدا ل : « ما فيه عجاز النصارى » ، تحريف . والعجايز ، بالتسهيل : جمع عجوز .

(٨) الأغمار : جمع غمر ، مثلث ، وهو الذى لم يجرب الأمور . ﻫ : « وأعمادهم » ، محرف .

كنيسة قمامة[١] . فأما علماؤُهم وعقلاؤُهم فليسوا بمتحاشِين من الكذب الصِّرف[٢] ، والجراءةِ على البُهتان البَحْت . وقد تعوَّدُوا المكابرة حتى دربوا بها الدَّرَب الذى لا يفطن له[٣] إلا ذوالفِراسة الثَّابتة ، والمعرفة الثّاقبة .

(إيمان الأعراب بالهواتف)

والأعرابُ وأشباهُ الأعراب لا يتحاشَوْن من الإيمان بالهاتف ، بل يتعجَّبون ممن ردَّ ذلك[٤] . فمن ذلك حديث الأعشى بن نبّاش بن زرارة الأسدى[٥] ، أنه سمع هاتفاً يقول :

لقد هَلَكَ الفيَّاضُ غيثُ بنى فِهْرِ وذُوالباعِ والمجْدِ الرَّفِيعِ وذوالفخر[٦]

قال : فقلتُ مجيباً له :

ألا أيُّها الناعى أخا الجود والنَّدَى مَنِ المَرْءُ تَنْعاهُ لَنا من بنى فِهْرِ

فقال :

نَعيْتَ ابن جدْعَان بن عمروٍ أخا النَّدَى
وذا الحسَب القُدْمُوس والحسب القهرِ[٧]

---

(١) انظر ما أسلفت من تحقيق كنيسة القمامة فى (٤ : ٤٨٣) ، وانظر أيضا ما كتبت فى مجلة الثقافة فى العدد ١١٠ ص ٣٣ — ٣٤ .

(٢) ل : « فليس يتحاشون . الخ » والكلام من : « بمصابيح » إلى : « والجراءة » ساقط من س .

(٣) فيما عدا ل : «حتى دربوا به الدرب ولايفطن له» .

(٤) ل : « ممن رده » .

(٥) ويقال أيضا التميمى ، من بنى أسد بن عمرو بن تميم ، ترجم له فى المؤتلف ٢٠ بلفظ : « أعشى بن النباش بن زرارة » وذكره ابن هشام فى السيرة ٦٣٦ ، ٦٤٥ بلفظ : « الأعشى بن زرارة بن النباش » بتقديم زرارة . ﻫ : « الأعشى بن زرادة الأسدى » ، ط ، س : « الأعشى بن ماش بن زرارة الأسدى » ، صوابه فى ل والاشتقاق ٨٨ حيث أورد القصة بتفصيل .

(٦) ط ، ﻫ : « وذو القدر » ، وأثبت ما فى ل ، س وآكام المرجان ١٤٠ .

(٧) القدموس : القديم . فيما عدا ل : « والمنصب القصر » : وأثبت ما فى ل . —

وهذا الباب كثير .

قالوا : ولنقل الجنّ الأخبارَ علمَ الناس بوفاةِ[1] الملوك ، والأمور المهمة ، كما تسامَعُوا بموت المنصور [بالبصرة[2]] فى اليوم الذى تُوفِّىَ فيه بقرب مكة . وهذا الباب أيضاً كثير .

(من له رَئِىٌّ من الجن)

وكانوا يقولون : إذا ألف الجنّى إنسانا وتعطّف عليه[3] ، وخبّره ببعض الأخبار ، وجد حِسّه[4] ورأى خياله ، فإذا[5] كان عندهم كذلك قالوا : مع فلان رَئِىٌّ من الجن[6] . وممن يقولون ذلك فيه عمرو بن لُحَىّ بنَ قَمَعَة[7] والمأمُور الحارثى[8] ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، فى ناسٍ معروفين من ذوى الأقدار ، من بين فارس رئيس ، وسيِّد مُطاع .

= وفى آكام المرجان : « والمنصب القهر » . وقد أثبت صاحب آكام المرجان بقية الحديث ، وأتى الجاحظ به مختصرا .

(١) فيما عدا ل : « وفاة » .

(٢) التكملة من ل ، س .

(٣) ل : « تعطف عليه » بإسقاط الواو .

(٤) ل : « ووجد حسه » بزيادة واو .

(٥) فيما عدا ل : « وإذا » .

(٦) الرئى ، بفتح الراء وكسرها وآخره ياء مشددة . وكسر الراء لغة تميم ، كما يقولون سعيد وبعير بكسر أولها .

(٧) لحى ، بالحاء المهملة وبهيئة التصغير ، كما فى تاج العروس . ل : « لجى » بالجيم ط : « الحاء » ، هـ ، س : « لحا » ، صوابها ما أثبت . وقمعة ، بالتحريك . وهو عمرو بن لحى بن قمعة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . انظر السيرة ٥٠ — ٥١ جوتنجن . وفيه ورد حديث : « رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار » .

(٨) اختلف فى اسمه ، فقيل هو الحارث بن معاوية . قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٦٩ : وكان من فرسان مذحج وكانت فى أمره تتقدم وتتأخر » ، وقيل هو معاوية بن الحارث .=

فأما الكهّان : فمثل حارثة جهينة[1] ، وكاهنة باهلة ، وعُزّى سلمة[2] ، ومثل شِقّ[3] ، وسَطيح[4] ، وأشباههم .

وأما العرّاف ، وهو دون الكاهن ، فمثل الأبلق الأسدى[5] ، والأجلح الزهرى ، وعروة بن زيد الأسدى[6] ، وعرّاف اليمامة رَبَاح بن كَحْلَة[7] ،

= انظر الأمالى (٣ : ١٤٩) وقيل : هو المأمور بن تبراء . انظر معجم المرزبانى ٤٧٢ . أو هو المأمور بن زيد . انظر القالى (٣ : ١٤٩) . ونسبته إلى بنى الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ، كما فى النقائض ٦٠٠ . وأورد له الأصبهانى خبرا فى يوم الكلاب الثانى فى (١٥ : ٧٠) وانظر النقائض ١٤٩ .

(١) كذا فى هـ ، س . لكن فى ل : « جارية جهينة » وفى ط : « حارثة ابن جهينة » . وفى البيان والتبيين (١ : ٢٨٩) : « حازى جهينة » والحازى : الكاهن . وفى مروج الذهب (١ : ٣٣٧) : « حارثة بنت جهينة » ، وفى ثمار القلوب ٨١ : « أخبارية جهينة » .

(٢) عزى سلمة : كاهن ذكر له الميدانى فى الأمثال قصة فى قولهم : « إلا ده فلا ده » . ط : « عنز سلمة » س ، هـ : « عزا سلمه » صوابه فى ل والميدانى ورسائل الجاحظ ١٣٠ . وجاء فى البيان (١ : ٢٨٩) : « قالوا : أكهن العرب وأسجعهم سلمة بن أبى حية ، وهو الذى يقال له عزى سلمة » .

(٣) هو شق بن أنمار بن نزار ، زعموا أنه كان شق إنسان ، له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة . انظر بلوغ الأرب (٣ : ٢٧٨ — ٢٨١) وعجائب المخلوقات ٣١٠ .

(٤) هو سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب . انظر السيرة ٤٧ جو تنجن .

(٥) ذكره ابن خلدون فى المقدمة ٩٤ قال : « وعراف نجد الأبلق الأسدى » . وفيه يقول عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه   وعراف نجد إن هما شفيانى

وانظر مروج الذهب (١ : ٣٣٧) ورسائل الجاحظ ١٣٠ . فيما عدا هـ : « الأسيدى » تحريف .

(٦) ذكره المسعودى فى مروج الذهب (١ : ٣٣٧) .

(٧) هـ ، ل وثمار القلوب ٨١ : « رياح » بالمثناة التحتية . وفى ل وثمار القلوب : « كحيلة » بالتصغير ، وأثبت ما فى سائر النسخ ومروج الذهب . وجاء فى الرسائل : « كهيلة » ، وفى مقدمة ابن خلدون ، « عجلة » .

وهو صاحب [بنت[١]] المستنير البلتعى ، وقد قال الشاعر[٢] :

فقلت لعراف اليمامة داوِنى ... فإنَّك إنْ أبْرَأتنى لَطبِيبُ[٣]

وقال جُبَيهاء الأشْجَعىّ :

أقامَ هَوَى صفيَّةَ فى فؤادى ... وقد سيَّرتُ كلَّ هوى حَبيبِ[٤] ٦٣

لكِ الخيراتُ كَيْفَ مُنِحتِ وُدِّى ... وما أنا مِنْ هَوَاكِ بذى نَصِيبِ

أقول وعُروةُ الأسدىُّ يَرقِى ... أتاكَ برُقْيةِ المَلِق الكذوبِ[٥]

لَعَمْرُكَ ما التَّثاؤبُ يا ابنَ زيدٍ ... بشافٍ منْ رُقاك ولا مُجيبِ[٦]

لَسَيْرُ النّاعجاتِ أظنُّ أشْفَى ... لما بى منْ طَبيب بنى الذَّهوبِ[٧]

وليس البابُ الذى يدّعيه هؤلاء من جِنس العِيافة والزَّجر ، والخطوط ، والنَّظر فى أسرار الكفّ ، وفى مواضع قَرض الفار ، وفى الخيلان فى الجسد، وفى النظر فى الأكتاف ، والقضاء بالنجوم ، والعلاج بالفكر[٨] .

وقد كان مُسيلِمة يدّعى أن معه رَئِيًّا فى أوّل زمانه ، ولذلك قال الشّاعر، حين وَصَفَ مخاريقَه وخُدَعه :

---

(١) س : « بيت » . وفى مروج الذهب : « وكهند صاحب المستنير » ، جعله شخصا آخر . و « هند » من الأعلام المشتركة . وفى اللسان : « وهند من أسماء الرجال والنساء » .

(٢) هو عروة بن حزام العذرى ، من قصيدة فى ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية .

(٣) ل فقط : « فقلت » .

(٤) ل : « سترت » ، وما أثبت من سائر النسخ أشبه .

(٥) ل : « ترقى أخاك » محرف .

(٦) ابن زيد ، هو عروة بن زيد الأسدى الكاهن .

(٧) الناعجات : جمع ناعجة ، وهى البيضاء من الإبل ، أو الخفيفة الحسنة اللون ، أو السريعة ، نعجت فى سيرها : أسرعت . والذهوب ، بالفتح : اسم امرأة ، كما فى اللسان والقاموس . ل : « أبى الذهوب » .

(٨) انظر ما سبق فى (٥ : ٣٠٣) .

بِبَيْضةِ قارورٍ ورَاية شَادِنٍ وخَلةِ جِنّىٍّ وتوصيل طائر[1]

ألا تراه ذكر خُلَّة الجنى .

(ظهور الشِّقّ للمسافرين)

ويقولون : ومن الجنّ جنسٌ صورةُ الواحدِ منهم على نصف صورة الإنسان ، واسمُه شِقّ[2] ، وإنّه كثيراً ما يعرض للرَّجُل المسافر إذا كان وحْدَه ، فربّما أهلَكه فزَعا ، وربّما أهلَكه ضرْباً وقتْلا .

قالوا : فمن ذلك حديثُ عَلقمةَ بن صفْوانَ بن أميَّة بن محرَّث الكنانى[3] ، جدّ مروان بن الحكم ، خرج فى الجاهلية[4] وهو يريد مالاً له بمكة[5] ، وهو على حمار ، وعليه إزارٌ ورداء ، ومعه مِقْرعة ، فى ليلةٍ إضْحِيانة[6] ، حتى انتهى إلى موضعٍ يقال له حائط حزْمان[7] ، فإذا هو بشقّ له يدٌ ورجل ، وعينٌ ، ومعه سَيف ، وهو يقول :

عَلْقَمَ إنى مقتولْ وإنَّ لحمى مَأكولْ

---

(١) سبق نظير هذا البيت فى (٤ : ٣٦٩ ، ٣٧٤) . وقد كشف الجاحظ عن أمر « البيضة » فى ص ٣٧٠ . والشادن : الظبى قد قوى جسمه وترعرع . وقد فسر الجاحظ هذه الإشارة فى ٣٧٣ . وتوصيل ريش الطائر فى ٣٧١ - ٣٧٣ .

(٢) انظر عجائب المخلوقات ٣١٠ وحياة الحيوان للدميرى .

(٣) محرث ، كمحمد ، كما فى القاموس . وفى اللسان (٢ : ٤٤١) : « قال ابن الأعرابى هو أسم جد صفوان بن أمية بن محرث . وصفوان هذا أحد حكام كنانة » . ط : « حرب » ھ : « محرب » ، والصواب ما أثبت من ل ، س .

(٤) كلمة : « خرج » ساقطة من س . وفى ط ، ھ : « فى الجاهلية خرج »

(٥) ل : « يريد ماله بمكة » بدل : « وهو يريد مالا له بمكة » .

(٦) يقال ليلة ضحياء وضحيا ، وضحيان وضحيانة ، وإضحيان وإضحيانة بالكسر : مضيئة لاغيم فيها .

(٧) فيما عدا ل : « جرمان » ، ولم أجد واحدا منهما . وفى آكام المرجان ٤٢ : « خرج حاطب بن أبى بلتعة ، من حائط يقال له قران ، يريد النبى صلى الله عليه وسلم » ، وساق الخبر بوجه آخر .

أَضْرِبُهُمْ بالهـذْلولْ(١) ضربَ غلامٍ شُمْلولْ(٢)

* رحبِ الذّراع بُهلولْ(٣) *

فقال علقمة :

يا شِقَّها مالى ولك(٤) اغمِدَ عَنِّى مُنصلَكَ(٥)

* تَقْتُلَ مَنْ لا يقتلك *

فقال شِقٌّ(٦) :

عَبَيت لك عَبَيتُ لك(٧) كيما أُتِيحَ مَقْتَلَك(٨)

* فاصبر لما قَدْ حُمَّ لَكْ *

٦٤

[قال] : فضرب كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه، فخرَّا ميِّتين، فمِمَّن قتلت الجنُّ علقمةُ بن صفوان هذا، وحَرْب بن أميَّة(٩)، قالوا : وقالت الجنّ :

وقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قفر وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

(١) الهذلول، عنى به سيفه. وفى اللسان : « الهذلول : اسم سيف كان لبعض بنى مخزوم ».

(٢) أراد بالشملول الخفيف السريع. والمعروف فى كلامهم : « شمليل » الناقة الخفيفة السريعة.

(٣) البهلول، بالضم : العزيز الجامع لكل خير، والحيى الكريم.

(٤) أى ياشق هذه الأرض. ورسمت فيما عدا ل : « ياشق ها » مفصولة. ل : « شق مالى ولك ».

(٥) اغمد، أراد اغمدن، بالنون الخفيفة، فحذفها للشعر، كما قال طرفة :

اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس

انظر شرح شواهد المغنى ٣١٥. والمنصل، بضم الميم والصاد : السيف.

(٦) ط، هـ : « قال شق ».

(٧) عبيت : تسهيل عبأت، فى لغة من يقول فى قرأت قريت. وعبأ له : استعد وهيأ. ط، هـ : « غنيت »، س « عنيت »، صوابهما فى ل.

(٨) فيما عدا س : « أبيح ». والمقتل : مصدر ميمى من القتل. ل : « معتلك » س : « مقبلك » هـ : « تقتلك » صوابها فى ط.

(٩) هو حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، والد أبى سفيان بن حرب. انظر المعارف ٣٣، وقصة مقتله فى معاهد التنصيص (١ : ١٢ - ١٣).

قالوا : ومن الدَّليل [على ذلك ، وعلى] أنَّ هذين البيتين من أشعار الجن أن أحدًا لا يستطيع أن ينشِدَهما ثلاث مراتٍ متصلة ، لا يَتَتَعْتع فيها[1] ، وهو يستطيع أن يُنشِد أثْقَل شعر فى الأرض وأشقَّه عشر مرّات ولا يَتَتَعْتَعُ .

(ذكر من قتلته الجنّ أو استهوته)

قال : وقتلت مِرْداسَ بنَ أبى عامر ، أبا عبَّاس بن مرداسٍ[2] ، وقتلت الغَريضَ خنْقاً بعد أن غنَّى بالغناء الذى كانوا نَهَوْه عنه[3] ، وقتلت الجِنُّ سعدَ بنَ عبادة بن دُلَيم[4] ، وسمعوا الهاتف يقول :

(١) التعتعة فى الكلام : أن يعيا بكلامه ويتردد من حصر أوعى ، وقد تعتع فى كلامه ، وتعتعه العى فهو متعتع ، ويقال أيضا تتعتع بتاءين فى أوله ، ومنه الحديث : « الذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه » . ط ، ﻫ : « يتعتع » فى هذا الموضع وتاليه ، وهما صحيحتان كما رأيت . وفى البيان (١ : ٦٥) : « فلا يتتعتع ولا يتلجلج » . والجاحظ فى البيان يصرح بنفى نسبة هذين البيتين إلى الجن .

(٢) قصته فى معاهد التنصيص فى الموضع المتقدم .

(٣) الغريض : لقب له ، واسمه عبد الملك ، وكان من الموالى ، وكان خياطا فأخذ الغناء عن ابن سريج ، وكانت بعض موليات ابن سريج تعلمه النياحة فبرز فيها ، ويروون أن الجن نهته أن يغنى فى لحنه :

وما أنس مل أشياء لا أنس شادنا بمكة مكحولا أسيلا مدامعه

لأنه فتن طائفة منهم فانتقلوا عن مكة من أجل حسنه . وروى أبو الفرج خبر من شهده وهو يتغنى فى هذا اللحن بقوله :

تشرب لون الرازقى بياضه أو الزعفران خالط المسك رادعه

وحدث عن ابن الكلبى عن أبى مسكين قال : « إنما نهته الجن أن يتغنى بهذا الصوت ، فلما أغضبه مواليه تغناه ، فقتلته الجن فى ذلك » . انظر الأغانى (٢ : ١٢٤ - ١٤٣) . وانظر كتاب البغال للجاحظ ص ٣٧٣ بتحقيقنا .

(٤) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ابن ساعدة بن كعب بن الخزرج . وكان سيد الخزرج وممن له بلاء حسن فى الإسلام وكان يكتب فى الجاهلية ، ويحسن العوم والرمى . وتوفى بحوران لسنتين ونصف من خلافة عمر . المعارف ١١٢ والسيرة ٢٩٨ والاشتقاق ٢٦٩ . و « دليم » بهيئة التصغير ، وفى الاشتقاق : « ودليم تصغير أدلم ، والأدلم : الأسود » . وفى الأصل : « ديلم » ، صوابه فى المعارف والسيرة .

قد قَتَلْنا سيِّدَ الخزرَ ج سَعْدَ بن عُبادَه(١)
وَرَمَيْنـاه بِسَهمين فَلَمْ نُخْطِ فُؤَادَهْ(٢)

واستهووْا سِنانَ بن أبى حارثة(٣) ليستفحلوه ، فمات فيهم . واستهووا طالب بن أبى طالب ، فلم يوجد له أثرٌ إلى يومنا هذا .

واستهووا عَمْروبنَ عَدِىٍّ اللَّخمىَّ الملك ، الذى يقال فيه(٤) : « شَبَّ عَمْرٌو عن الطَّوق(٥) » ، ثمَّ ردُّوه على [خاله(٦)] جذيمة الأبرش ، بعد سنين [وسنين(٧)] .

---

(١) فيما عدا ل : « نحن قتلنا » ، وهى رواية نص عليها ابن رشيق فى العمدة (١ : ٩٣) وذكر أن فى البيت الخزم ، بالزاى المعجمة ، زيد فى أوله ثلاثة أحرف ، هى « نحن » . ومثل هذه الرواية فى العقد (٣ : ٦٤) . وعلى رواية « قد » يكون قد زيد فى أوله حرفان ، وهى أيضا رواية المعارف وآكام المرجان ١٣٧ . والشعر من بحر الهزج .

(٢) كذا ورد البيت مزيدا فى أوله الواو ، وذلك فيما عدا س . وهو ما يسميه العروضيون « الخزم » بالزاى . وجاء مجردا من الخزم فى العمدة ، والعقد ، وكذلك فى س فقط ، أى برواية : « رميناه » . وفى س ، ه : « فلم تخط » ، محرف . ونخط ، هى نخطىء ، سهلت ثم عوملت معاملة المعتل .

(٣) هو والد هرم بن سنان ممدوح زهير . وتجد زعم استهوائه فى الحيوان (٣ : ٤٩٠) والأغانى (٩ : ١٤٤) . وقد سقطت كلمة : « أبى » من ل .

(٤) ل : « له » . وكلمة : « الملك » ساقطة من س .

(٥) قد أورد المثل بهذا اللفظ فى العمدة (٢ : ١٧٩) . وساقه الميدانى فى الأمثال (٢ : ٧٥) ، وكذا صاحب القاموس فى مادة (طوق) بلفظ : « كبر عمرو عن الطوق » .

(٦) هذه التكملة من س . وأم عمرو هذا هى رقاش أخت جذيمة الأبرش بن مالك ابن فهم بن عمرو بن دوس بن الأزد . انظر العمدة (٢ : ١٧٨) .

(٧) التكملة من ل ، ه .

واستهوَوْا عمارة بن [الوليد بن[1]] المغيرة ، ونفخوا فى إحليله فصار مع الوحش[2] .

ويروون عن عبد الله بن فائد[3] بإسنادٍ له يرفعه ، أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خرافة رَجُل من عُذْرةَ استهوَتْه الشّياطين » ، وأنّه تحدَّث يوما بحديثٍ فقالت امرأةٌ من نسائه : هذا من حديث خُرافة ! قال : « لا ، وخُرافةُ حقٌّ[4] » .

(طعام الجن وشرابهم)

ورووا عن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنّه سأل المفقود[5] الذى استهوته الجن : ما كان طعامهم ؟ قال : الفول[6] . قال : فما كان شرابهم ؟ قال : الجدَف[7] .

---

(١) هذه التكملة من ل ، س . وعمارة بن الوليد هذا هو الذى مشت به قريش إلى أبى طالب وقالوا له : « يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك » يعنون رسول الله . انظر السيرة ١٦٩ جوتنجن . وقد وهم فيه بعض المفسرين فرووا عند قوله تعالى : (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أنه أسلم . وقال ابن حجر فى الإصابة ٦٨١١ : « الصواب أنه مات كافرا ؛ لأن قريشا بعثوه إلى النجاشى فجرت له معه قصة ، فأصيب بعقله وهام مع الوحش » .

(٢) ل : « فطار مع الوحش » .

(٣) سبق الحديث بهذا الإسناد فى (١ : ٣٠١) . ل : « بن قتادة » . وهذا الحديث رواه الترمذى وأبو يعلى وأحمد ، عن عائشة . انظر كشف الخفا للعجلونى (١ : ٣٧٧) .

(٤) ل : « ألا وخرافة حق » .

(٥) ط ، س : « سئل المفقود » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل « الروث » تحريف . وسبق فى الجزء الأول : « الفول والرمة » وفى نهاية ابن الأثير : « الفول وما لم يذكر اسم الله عليه » .

(٧) الجدف ، بالتحريك : ما لايغطى من الشراب ، وفسره ابن الأثير فى هذا الحديث بأنه نبات يكون باليمن لايحتاج آكله معه إلى شرب ماء . وقال أبو عمرو : =

ورووا أن طعامَهم الرِّمة وما لم يذكر اسمُ الله عليه .

ورووا عن النبى صلى الله عليه وسلم - والحديث صحيح - أنه قال : «خَمِّرُو آنيتكم[١] ، وأوكُوا أسقيتكم[٢] وأجيفُوا الأبواب[٣] ، وأطفئوا المصابيح ، واكْفِتُوا صِبيانكم[٤] ؛ فإن للشّياطين انتشاراً وخَطْفة[٥] » .

(رءوس الشياطين)

وقد قال الناس فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، فزعم ناس أنّ رءوس الشياطين[٦] ثمر شجرةٍ تكون ببلاد اليمن ، لهَا منظر كريه[٧] .

والمتكلّمون لايعرفون هذا التّفسير ، وقالوا : ما عنى إلاَّ رءُوس

= « الجدف لم أسمعه إلا فى هذا الحديث ، وما جاء إلا وله أصل ، ولكن ذهب من كان يعرفه ويتكلم به ، كما قد ذهب من كلامهم شىء كثير » . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، هـ : « البول » وفى س : « الحرف » وفى ل : « الحدف » صوابه بالجيم .

(١) التخمير : التغطية . ل : « جمروا » بالجيم محرف وقد سبق الحديث فى (٥ : ١٢١) . وانظر (٤ : ٢٩١) .

(٢) أوكاه بالوكاء : شده به . والوكاء : كل سير أو خيط يشد به فم السقاء أو الوعاء . ط ، س : « أوكئوا » تحريف . والفعل من المعتل لا المهموز .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . فيما عدا ل : « وأغلقوا الأبواب » .

(٤) فى اللسان (٢ : ٣٨٥) : « اكفتوا » بالتاء . قال أبو عبيد : يعنى ضموهم إليكم واحبسوهم فى البيوت ، يريد عند انتشار الظلام . س : « اكتفوا » محرفة . وفى ط ، هـ : « وكفوا صبيانكم » .

(٥) س : « وحطفة » ، هـ : « وحفظة » ، صوابهما فى ل ، س واللسان .

(٦) هذه العبارة ليست فى هـ .

(٧) هذا ما فى ط ، س لكن فى س : « من شجرة » . وجاء فى ل : « شجر يكون ببلاد اليمن له منظر كريه » . وفى هـ : « من شجر تكون ببلاد اليمن له منظر كريه » . وفى تفسير أبى حيان (٧ : ٣٦٣) : « هو شجر =

٦٥ الشياطين المعروفين[١] بهذا الاسم ، من فَسَقة الجن ومَرَدتهم . فقال أهل الطَّعن والخِلاف : كيف يجوز أنْ يضرب المثل بشيء لم نَرَه فنتوهَّمَه ، ولا وُصِفت[٢] لنا صورته فى كتابٍ ناطق ، أو خبر صادق . ومخرج الكلام يدلُّ على التخويف بتلك الصُّورة ، والتفزيع منها[٣] . وعلى أنّه لوكان شيءٌ أبلغَ فى الزَّجر من ذلك لذ كَرَه . فكيف يكون الشَّأن[٤] كذلك ، والناس لا يفزعون إلاَّ من شيء هائل شنيعٍ ، قد عاينوه ، أو صوَّرَه لهم واصفٌ صدوقُ اللسان ، بليغٌ فى الوصف . ونحن لم نعاينْها ، ولا صوَّرها لنا صادق . وعلى أنَّ أكثر الناس من هذه الأمم التى لم تعايشْ أهل الكتابين[٥] وحَمَلة القرآن من المسلمين، ولم تسمع الاختلاف لا يتوهَّمون ذلك ، ولا يقفون عليه[٦] ، ولا يفزعون منه . فكيف يكون ذلك وعيداً عاما ؟ !

قلنا : وإن كنَّا نحن[٧] لم نر شيطاناً [قطّ] ولا صوّر رءوسَها لنا

= خشن مر منكر الصورة سمت ثمره العرب بذلك . . . . وقيل هو شجرة يقال لها الصوم » . وفى اللسان : « الصوم شجر على شكل شخص الإنسان ، كريه المنظر جدا ، يقال لثمره رءوس الشياطين » . وفيه أيضا : « رءوس الشياطين نبت معروف قبيح يسمى رءوس الشياطين » . فقد رأيت أن الاسم يطلق على النبات حينا وعلى الثمرة آخر .

(١) فيما عدا ل : « شياطين معروفين » ، بالتنكير .

(٢) فيما عدا ل : « وصف » .

(٣) ل ، س : « والتفريع » بالراء المهملة ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « إنسان » محرف .

(٥) عايشه : عاش معه وعاشره . والمراد بأهل الكتابين اليهود والنصارى . وكلمة : « التى » من ل فقط . وفى هـ ، س : « لم تعاين أهل الكنائس » ، وفى ط : « لم يعاين أهل الكنائس » ، تحريف .

(٦) فى ط زيادة واو قبل : « لايتوهمون » ونقصها قبل : « لايقفون » ، والصواب من سائر النسخ .

(٧) هذه الكلمة من ل . وفى س : « قلنا : نحن وإن كنا » .

صادقٌ بيده ، فى إجماعهم على ضرْب المثل بقُبح الشيطان ، حتّى صاروا يَضَعُون[١] ذلك فى مكانين : أحدهما أن يقولوا : « لهو أقبح من الشيطان » ، والوجه الآخر أن يسمَّى الجميلُ شيطانا[٢] ، على جهة التطيُّر له[٣] : كما تُسمَّى الفرسُ الكريمةُ شَوهاء ، والمرأة الجميلة صَمّاء ، وقرناء[٤] ، وخَنْساء ، وجَرباء[٥] وأشباه ذلك ، على جهة التطيُّر له[٣] . فى إجماع المسلمين والعرب وكلٍّ من لقِيناهُ على ضرْب المثل بقُبْح الشيطان، دليلٌ على أنه فى الحقيقة أقبحُ من كل قبيح .

والكتابُ إنَّما نزل على هؤلاء الذين [قد] ثبّت فى طبائعهم بغاية التثبيت[٦] .

وكما يقولون : « لهو أقبحُ من السحر[٧] » ، فكذلك يقولون[٨] ، كما قال عمر بن عبد العزيز لبعضٍ من أحسَنَ الكلام فى طلب حاجته — : « هذا والله السِّحر الحلال » .

وكذلك أيضاً ربَّما قالوا : « ما فلانٌ إلا شَيطان » على معنى الشَّهامة والنَّفاذ وأشباه ذلك[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : « يصفون » .
(٢) ل : « بشيطان » .
(٣) فيما عدا ل : « به » .
(٤) بدلها فى ل : « بخراء » .
(٥) ط ، هـ : « حرباء » ، وفى ل : « جوبى » .
(٦) فيما عدا ل : « التثبت » وفى ثمار القلوب ٥٧ : « ثبت فى طبائعهم غاية الثبات » .
(٧) فيما عدا ل : « لهو أفصح من السحر الحلال » محرف .
(٨) فيما عدا ل : « وكذلك يقولون » .
(٩) فيما عدا ل « وما أشبه ذلك » . وزاد فى ثمار القلوب : « ولذلك قالوا لأبى حنيفة شيطان خرج من البحر » .

(صفة الغول والشيطان)

والعامّة تزعم أنَّ الغول تتَصوَّر فى أحسن صورة[1] إلاّ أنه لابدّ أن تكون رِجْلُها رجلَ حمار .

وخبَّروا عن الخليل بن أحمد ، أنّ أعرابيًّا أنشده :

وحافر العَير فى ساقٍ خَدَلَّجةٍ

وجَفنِ عين خلاف الإنس فى الطولِ[2]

وذكروا أنّ العامَّة تزعم أنّ شَقَّ عين الشيطان بالطول . وما أظنُّهم أخذوا هذين المعنيين إلاّ عن الأعراب .

(ردّ على أهل الطعن فى الكتاب)

وأما إخبارهم عن هذه الأمم ، [و] عن جهلها[3] بهذا الإجماع [والاتِّفاق[4]] والإطباق ، فما القول فى ذلك إلاّ كالقول فى الزَّبانِيَة وخزنةِ جهنَّم ، وصُورِ الملائكة الذين يتصوَّرون فى أقبح الصُّور إذا حضروا لقبْض أرواحِ الكفار ، وكذلك فى صور مُنكر ونكير[5] ، تَكون[6] للمؤمن على مِثال ، وللكافر[7] على مثال . ٦٦

(١) ط فقط : « يتصور » ، تحريف . والغول مؤنثة ، انظر المخصص (١٧ : ٥) . فيما عدا ل : « أحسن الصورة » محرف .

(٢) الخدلجة : الضخمة الممتلئة . ل : « ولحد عين » .

(٣) فيما عدا ل : « جهلنا » محرف .

(٤) هذه التكملة من س .

(٥) فيما عدا ل : « وكذلك فى صور منكر ونكير » .

(٦) فيما عدا ل : « يكون » .

(٧) ط ، هـ : « وللكفار » .

ونحن نعلم(١) أنّ الكفار يزعمون أنهم لا يتوهّمون الكلام والمحاجّة من إنسان ألقى فى جاحِمِ أتُّون(٢) فكيف بأن يُلقَى فى نار جهنّم ؟ ! فالحجّة على جميع هؤلاء(٣) ، فى جميع هذه الأبواب ، من جهةٍ واحدة . وهذا الجوابُ قريبٌ . والحمد لله .

وشَقُّ فم العنكبوت بالطول . وله ثمانى أرجل(٤) .

(سكنى الجن أرض وَبارِ)

وتزعم الأعرابُ أن الله عزّ ذكره حينَ أهلك الأُمة التى كانت تسمَّى وَبارِ ، كما أهلك طسْمًا ، وجَدِيساً ، [وأَمِيما(٥) ، وجاسما(٦) ،] وعملاقا ، وثموداً وعاداً(٧) — أنَّ الجنّ سكنت فى منازلها(٨) وحمتْها من كلِّ مَنْ أرادَها ؛ وأنَّها أخصبُ بلاد الله ، وأكثرُها شجراً ، وأطيبُها ثمراً ، وأكثرها حَبًّا وعنبا(٩) ، وأكثرها نخلا ومَوزاً . فإنْ دنا اليومَ إنسانٌ من تلك البلاد(١٠) ، متعمِّدًا ، أو غالطاً ، حثَوا فى وجهه التراب ، فإنْ أبى الرُّجوعَ خبلوه ، وربَّما قتلوه .

---

(١) فيما عدا ل : « نزعم » .

(٢) فيما عدا ل : « تنور » . والجاحم : المكان الشديد الحر .

(٣) ل : « هؤلاء » .

(٤) العنكبوت يؤنث ويذكر . انظر حواشى (٦ : ٢٦٥) . وفيما عدا ل : « ولها ثمانية أرجل » محرف .

(٥) أميم ، هو ابن لاود بن إرم بن سام بن نوح . المعارف ١٣ ونهاية الأرب (٢ : ٢٩٢) .

(٦) جاءت هذه الكلمة دون سابقتها فى س برسم : « جاهما » ، محرفة .

(٧) ل : « وعادا وثمودا » .

(٨) ط ، ه : « منازلهم » .

(٩) ل : « سيحا وعنبا » .

(١٠) ل : « فإن دنا اليوم من تلك البلدة إنسان » .

والموضع نفسه باطل . فإذا[1] قيل لهم : دُلُّونا على جهته ، ووقِّفونا[2] على حدِّهِ وخَلاكُم ذمٌّ — زعموا أنّ من أراد أُلقِىَ على قلبه الصَّرْفة ، حتَّى كأنهم أصحابُ موسى فى التِّيه . وقال الشاعر[3] :

وداعٍ دعا واللَّيلُ مرخٍ سُدولَه   رَجاءَ القِرَى يا مُسْلِمَ بنَ حِمارِ
دعا جُعَلاً لا يَهتدِى لِمَقيله   من اللؤم حتَّى يَهْتَدِى لوَبَارِ[4]

فهذا الشاعرُ الأعرابىُّ جعل أرضَ وَبَارٍ مثلا فى الضلال . والأعراب يتحدّثون عنها كما يتحدّثون عمّا يجدونه بالدَّوِّ والصَّمّان ، والدهناء ، ورمل يبرين . وما أكثر ما يذكرون أرضَ وَبارٍ فى الشِّعر ؛ على معنى هذا الشاعر .

قالوا : فليس اليومَ فى تلك البلاد إلاَّ الجنُّ ، والإبلُ الحُوشيَّة .

(الحوشية من الإبل)

والحوشُ من الإبل عندهم هى[5] التى ضَرَبَتْ فيها فحولُ إبل الجن . فالحوشِيَّة من نَسْل إبل الجن[6] . والعِيديَّة[7] ، والمَهْرية[8] ، والعَسْجديّة[9] ، والعُمانية ، قد ضربت فيها الحُوش . وقال رُؤبة :

---

(١) فيما عدا ل : « فإن » .
(٢) ط ، س : « وأوقفونا » ، صوابه فى ل ، هـ .
(٣) سبق البيتان فى (٥ : ٥٩٧) كما سبق شرحهما .
(٤) سبق برواية : « ابن وبار » .
(٥) هذه الكلمة ليست فى س . وبدلها فى ل : « الإبل » .
(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .
(٧) العيدية : بكسر العين وبعدها ياء مثناة تحتية : نسبة إلى العيد ، وهم حى من أحياء العرب ، أو فحل منجب ، أو منسوبة إلى عاد بن عاد ، أو عادى بن عاد على الشذوذ . وفى الأصل : « العبدية » بالموحدة ، تحريف .
(٨) المهرية : نسبة إلى مهرة بن حيدان ، أبو قبيلة . وهو بفتح الميم .
(٩) العسجدية : نسبة إلى فحل كريم يقال له عسجد .

جَرَّت رَحَانا من بلاد الحوشِ[1]

وقال ابن هريم[2] :

كأنّى على حوشيَّةٍ أو نَعامةٍ لها نَسبٌ فى الطَّيرِ وهو ظليمُ[3]

وإنما سمَّوا صاحبةَ يزيد بن الطَّثرية « حُوشِيّة » على هذا المعنى .

(التحصُّن من الجنّ)

وقال بعضُ أصحاب التفسير[4] فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فزَادُوهُمْ رَهَقاً ﴾ : إنَّ جماعة من العرب كانوا إذا صارُوا فى تِيهٍ من الأرض ، وتوسَّطوا بلادَ الحُوش ، خافوا عَبث الجنَّانِ والسَّعالِى والغيلان والشياطين ، فيقوم أحـدهم فيرفع صوته[5] : إنّا عائذون بسيِّد هذا الوادى ! فلا يؤذيهم أحدٌ ، وتصير لهم بذلك خَفارة[6] . ٦٧

(أثر عشق الجن فى الصرع)

وهم يزعمون أن المجنون إذا صرعَتْه الجنّيّة ، وأنّ المجنونةَ إذا صرعها الجنّىّ — أَنَّ ذلك إنما هو على طريق العشْق والهوى ، وشهوة النِّـكاح ،

---

(١) سبق البيت فى (١ : ١٥٥) . ط ، س : « حوت رجالا » ، هـ : « حوتا رجالا » ، صوابه فى ل وديوان رؤبة ٧٨ . يقول : ساقت تلك السنة الجدبة إبلنا الكثيرة من بلاد الحوش .

(٢) ط فقط : « ابن هرمة » . وقد روى البيت بدون نسبة فى معجم البلدان (٨ : ٣٩٣) .

(٣) فى معجم البلدن : « لها نسب فى الطير أو هى طائر » .

(٤) ط ، هـ : « بعض أهل أصحاب التفسير » بإقحام : « أهل » .

(٥) ل : « فيقول » .

(٦) الخفارة : الذمة . هـ : « حفارة » محرف .

وأنّ الشيطان يَعشق المرأة منّا ، وأنّ نَظْرته[1] إليها من طريق العُجْب بها أشدُّ عليها من حُمّى أيام ، وأنّ عَين الجانّ أشدُّ من عين الإنسان .

قال : وسمع عمرو بن عُبيد ، [رضى الله عنه] ، ناساً من المتكلّمين يُنْكِرون صَرْع [الإنسان للإنسان ، واستهواء الجنّ للإنس ، فقال وما ينكرون من ذلك وقد سمعوا قول الله عزّ ذكره فى أكَلَة الرِّبا ، وما يصيبهم يوم القيامة ، حيث قال : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ] الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . ولو[2] كان الشّيطانُ لم يَخْبِطْ أحداً لَمَا ذكر الله تعالى به أكَلَة الرّبا .

فقيل له : ولعلّ ذلك كان مرّةً فذهب . قال : ولعله قد كثر فازداد أضعافا[3] . قال : وما يُنكرون[4] من الاستهواء بعد قوله تعالى : ﴿ كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ [فِى الأرض حَيْرَانَ ﴾ .

(زعم العرب أن الطاعون من الشيطان)

قال] : والعرب تزعم أن الطاعونَ طعنٌ من الشّيطان ، ويسمُّون[5] الطّاعون رماح الجنّ . قال الأسديُّ للحارث الملك الغسّانى[6] :

---

(١) فيما عدا ل : « نظره » .

(٢) ط : « فقال لو » بإقحام : « فقال » . وإثبات الواو من ل ، س .

(٣) ل : « فلعله كثر وازداد أضعافا » .

(٤) فيما عدا ل : « وما تنكرون » بالخطاب .

(٥) ط ، هـ : « ويسمى » .

(٦) ط ، س : « للحارث الغسانى ملك غسان » . والأشبه بقصة الشعر ما روى أبو الفرج فى الأغانى (١٠ : ٦١) عن الطوسى ، قال : « أغار ملك من ملوك غسان يقال له عدى . وهو ابن أخت الحارث بن أبى شمر الغسانى ، على بنى أسد ، —

لَعَمْرِكَ ما خَشِيتَ على أُبَىٍّ   رِماحَ بنى مُقَيِّدة الحمارِ [١]

ولكنى خَشِيتُ على أُبَىٍّ   رِماحَ الجنِّ أو إياكَ حارِ [٢]

يقول : لم أكن أخاف على أُبىّ مع منَعته وصرامته ، أن يقتله الأنذال [٣] ، ومن يرتبط العير دونَ الفرَس ، ولكنى إنما كنت أخافك عليه ، فتكونُ أنت الذى تطعَنه أو يطعَنه طاعونُ الشّام .

وقال العُمانىّ [٤] يذكر دولةَ بنى العبّاس [٥] :

قد دَفَع اللهُ رِمَاح الجن [٦]   وأذهبَ العَذابَ والتَّجنِّى [٧]

وقال زيد بن جُندب الإيادىّ :

ولولا رِماحُ الجنِّ ما كان هزمهم   رِماحُ الأعادى من فصيحٍ وأعجمِ [٨]

= فلقيته بنو سعد بن ثعلبة بن دودان بالفرات ، ورئيسهم ربيعة بن حذار ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتلت بنو سعد عديا ، اشترك فى قتله عمرو وعمير ابنا حذار ، أخو ربيعة ، وأمهما امرأة من كنانة يقال لها تماضر ، إحدى بنى فراس بن غنم ، وهى التى يقال لها مقيدة الحمار ، فقالت فاختة بنت عدى . . . . » . وأنشد البيتين برواية « عدى » بدل : « أبى » . ونحو هذه القصة والرواية فى ثمار القلوب ٥٣ .

(١) اختلف فى « مقيدة الحمار » ففسرها بعضهم بما فسرها به الجاحظ . وقال آخرون : مقيدة الحمار هى الحرة من الأرض ، لأنها تعقل الحمار ، فكأنها قيد له ، وبنو مقيدة الحمار : العقارب ، لأنها تألف الحرار . انظر اللسان (٣ : ٢٧٩ / ٤ : ٣٧٥) . والأشبه بالحق ما فسرته القصة التى أسلفتها ، أن مقيدة الحمار لقب لتماضر والدة عمرو وعمير ابنى حذار . وقد جاء البيت وتاليه برواية : « أبى » فى الموضع الأول من اللسان ومجالس ثعلب ٦٤٢ وكذا آكام المرجان ١١٦ ، وبرواية « عدى » فى الموضع الثانى منه وكذا فى ثمار القلوب .

(٢) قال أبو الفرج : « تمنى الحارث بن أبى شمر خاله » .

(٣) فيما عدا ل : « تقتله الأنذال » .

(٤) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٦٦) .

(٥) وفى ثمار القلوب ٥٣ : « وفى ذلك يقول العمانى للرشيد » .

(٦) ل : « قد رفع » بالراء . وفى ثمار القلوب : « قد أذهب » .

(٧) فى ثمار القلوب : « وأذهب التعليق والتجنى » قال : « يريد ما كان بنو مروان يفعلونه من مطالبة الناس بالأموال وتعذيب عمال الخراج بالتعليق والتجريد » .

(٨) فيما عدا ل : « هزمهم » .

ذهب إلى قول أبى دؤاد :

سُلِّط الموتُ والمَنونُ عليهم   فلهم فى صَدَى المقابرِ هامُ[١]

يعنى الطاعون الذى [كان[٢]] أصاب إياداً .

وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنَّه ذكر الطَّاعون فقال : « هو وَخْزٌ من عَدُوِّكم » : وأنَّ عَمْرو بن العاص[٣] قام فى النَّاس فى طاعون عَمَوَاس[٤] فقال « إنّ هذا الطاعون قد ظهر ، وإنما هو وخْزٌ من الشَّيطان ، ففِرُّوا منه فى هذه الشِّعاب » .

٦٨ وبلغ مُعاذ بنَ جبَلٍ ، فأنكر [ذلك القول] عليه[٥] .

(تصور الجنّ والغيلان والملائكة والناس)

وتزعم العامَّة أنّ الله تعالى قد مَلَّك الجن والشياطين والعُمَّار والغِيلانَ أنْ يتحوَّلوا فى أىِّ صورة شاءوا ، إلّا الغُول ، فإنَّها تتحوَّل فى جميع صُورة المرأة ولِباسها ، إلّا رجليها ، فلا بُدَّ من أن تكونا رجلَىْ حمار[٦] .

---

(١) الصدى ، هو ما يزعم العرب أنه طائر يخرج من رأس الميت إذا بلى . والهام : جمع هامة ، وهو الصدى ، أو الأنثى منه . وروى البيت منسوبا فى اللسان (١٩ : ١٨٦) وبدون نسبة فيه (١٦ : ١٠٩) .

(٢) هذه التكملة من ل ، س .

(٣) ط ، ه : « العاصى » بإثبات الياء ، وهما وجهان . انظر التحقيق فى (٥ : ٢٩٥) .

(٤) قال ياقوت : « رواه الزمخشرى بكسر أوله وسكون الثانى ، ورواه غيره بفتح أوله وثانيه ، وآخره سين مهملة ، وهى كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس » . وقد ابتدأ بها الطاعون فى أيام عمر بن الخطاب ثم فشا فى أرض الشام ، فمات فيه خلق لا يحصى من الصحابة وغيرهم . وذلك فى سنة ١٨ للهجرة . وفى هذه السنة كان عام الرمادة بالمدينة أيضا .

(٥) فيما عدا ل : « وبلغ ذلك ابن جبل فأنكر عليه » .

(٦) ط ، ه : « فلا بد أن يكونا رجلى حمار » .

وإنما قاسُوا تصَوُّر الجن على تصوُّر جبريل عليه السلام فى صورة دَحْية بن خليفة الكلبي[١] ، وعلى تصوُّر الملائكة الذين أتوا مَريم ، وإبراهيم ، ولوطاً ، وداود [عليهم السلام] فى صورة الآدميِّين[٢] ؛ وعلى ما جاء فى الأثر من تصوُّر إبليسَ فى صورة سُراقة بن مالك [بن جعْشُم[٣]] ، وعلى تصوّره فى صورة الشيخ النجدى[٤] . وقاسوه على تصوُّره مَلَكَ الموت إذا حضر لقبض[٥] أرواح بنى آدم ؛ فإنه عند ذلك يتصوّر على قدر الأعمال الصالحة والطالحة .

قالوا : وقد جاء فى الخبر أنّ من الملائكة مَن هو فى صورة الرِّجال ، ومنهم من هو فى صورة الثِّيران ، ومنهم من هو فى صورة النسور[٦] . ويدلُّ

---

(١) دحية ، بكسر الدال وفتحها ، كما فى القاموس . وهو صحابى مشهور شهد أحدا والخندق واليرموك ، وكان رجلا جميلا . وفى حديث ابن عباس : « كان دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه » . وعاش إلى خلافة معاوية . انظر المعارف ١٤٤ والإصابة ٢٣٨٦ . وقد جاء جبريل على صورته فى غزوة بنى قريظة . انظر السيرة ٦٨٥ . وأهدى إليه رسول الله جاريتين هما بنتا عم صفية . السيرة ٧٥٨ ، وأرسله بكتاب إلى قيصر الروم . السيرة ٩٧١ .

(٢) فيما عدا ل : « المؤمنين » .

(٣) هذه التكملة من ل ، س . لكن فى س : « جشقم » محرفة . وسراقة هذا هو الذى حاول إدراك النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته إلى المدينة . وقد أسلم عام الفتح . ولما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه ، دعا سراقة فألبسه إياها ، وقال له : ارفع يديك وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة الأعرابى ! مات سراقة فى خلافة عثمان سنة أربع وعشرين . الإصابة ٣١٠٩ .

(٤) انظر الكلام على الشيخ النجدى فى حواشى ص ١٦٣ . ل ، س : « وفى تصوره فى صورة الشيخ النجدى » ، محرف .

(٥) ل : « ليقبض » .

(٦) س : « أن من الملائكة من هو فى صورة النسور » فقط . وقد سقطت : « من هو » الثانية والثالثة من ل .

على ذلك تصديقُ النبى صلى الله عليه وسلم لأميّة بن أبى الصّلت ، حين أُنشِد[1] :

رَجُلٌ وثَوْرٌ تحت رِجْلِ يمينه والنَّسْر للأُخرى ولَيْثٌ مُرْصَدَ[2]

قالوا : فإذْ[3] [قد] استقام أن تختلف صُورهم وأخلاط أبدانهم ، وتتفق عقولهم وبيانهم[4] واستطاعتهم ، جاز أيضا أن يكون إبليس[5] والشَّيطان والغول أن يتبدلوا فى الصُّوَر من غير أنْ يتبدلوا فى العقل[6] والبيان والاستطاعة .

قالوا : وقد حوَّل الله تعالى جعفر بن أبى طالب طائرا، حتى سماه المسلمون الطّيّار ، ولم يخرجْه ذلك من أن نراه غدا[7] فى الجنة ، وله مثلُ عقل أخيه على [رضى الله عنهما] ، ومثل عقل عمه حمزة رضى الله تعالى عنه[8] ، مع المساواة بالبيان والخلق .

---

(١) س : « أنشده » تحريف . ل : « أنشدوه » . وفى الإصابة ٥٤٩ عن ابن عباس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أنشد هذا البيت فقال : « صدق . هكذا صفة حملة العرش » . وفى العقد (٣ : ٣٨٤) عن ابن عباس قال : « أنشدت النبى صلى الله عليه وسلم أبياتا لأمية بن أبى الصلت يذكر فيها حملة العرش ، وهى :

رجل وثور تحت رجل يمينه و النسر للأخرى وليث ملبد
والشمس تطلع كل آخر ليلة فجرا وتصبح لونها يتوقد
تأبى فما تطلع لهم فى وقتها إلا معذبة وإلا تجلد

فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم ، كالمصدق له » .

(٢) فى الإصابة : « زحل » تحريف ، اجتلبه ذكر الثور .

(٣) فيما عدا ل : « فإذا » .

(٤) فيما عدا س : « ونياتهم » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « إبليس لعنة الله عليه » .

(٦) ل : « فى العقول » .

(٧) يصح أن تقرأ على الظرفية ، أو على أنها فعل . ل : « من أن تراه » بالتاء .

(٨) فيما عدا ل : « عنهم » .

(أحاديث فى إثبات الشيطان)

قالوا : وقد جاء فى الأثر النهى عن الصّلاة فى أعطان الإبل ؛ لأنّها خلقت من أعنان الشياطين [١] .

وجاء أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم نَهَى عن الصَّلاة عند طلوع الشَّمس حتى يتتامَّ طلوعُها [٢] ؛ فإنّها تطلع بين قرنَى شيطان .

وجاء أنَّ الشياطين تُغَلّ فى رمضان [٣] .

فكيف تنكر ذلك مع قوله تعالى [فى القرآن [٤]] . ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاص . وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الأَصْفَادِ ﴾ .

[و] لشهرة ذلك فى العرب ، فى بقايا ما ثبَتُوا عليه من دين إبراهيم [عليه السّلام] ، قال النابغة الذبيانى :

إلّا سُليمانَ إذْ قال الإلهُ لَهُ قُمْ فى البَرِيَّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَد

وخَيِّس الجنَّ إنِّى قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاح والعَمَدِ [٥]

فَمَنْ عَصَاكَ فعاقِبْهُ مُعاقَبةً تنهى الظَّلومَ ولا تقْعُدْ على ضَمَدِ [٦]

٦٩

وجاد فى قتل الأسود البَهيم من الكلاب [٧] ، وفى ذى النُّكْتتين [٨] ،

---

(١) سبق الحديث وشرحه فى (١ : ١٥٢) . ل : « أعيان » ، وفيما عدا ل : « أعناق » ، والصواب ما أثبت .

(٢) ط ، س : « يتم » ، ه : « تتام » فتقرأ مصدر التتام .

(٣) فيما عدا ل : « أن الشيطان يغل فى رمضان » . (٤) التكملة من ل ، س .

(٥) سبق الشعر فى ص ١٨٦ من هذا الجزء .

(٦) الضمد : الغيظ والغضب . والبيت ساقط من ل . وفى ه ، س : « صمد » بالمهملة ، محرف .

(٧) ل : « فى قتل الكلب الأسود البهيم » .

(٨) ف (٢ : ٢٩٣) : « اقتلوا من الحيات ذا الطفيتين والكلب الأسود البهيم ذا الغرتين » . والغرتان : نكتتان بيضاوان فوق عينيه .

وفى الحية ذات الطُّفْيتين[١] ، وفى الجانّ[٢] .

وجاء : « لاتشرَبوا من ثُلمة الإناء ، فإنَّه كِفْل الشَّيطان[٣] » .

وفى العاقد شعره فى الصلاة : إنَّه كِفْل الشيطان[٤] . وأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « تراصُّوا بينكم فى الصلاة ، لاتتخللكم الشَّياطين كأنَّها بنات حَذَف[٥] » . وأنَّه نهى عن ذبائح الجن .

ورووا : « أن امرأة أتتْ إلى النبى[٦] صلى الله عليه وسلم فقالت : إنّ ابنى هذا ، به جُنونٌ يصيبه عند الغداء والعَشَاء . قال : فمَسَحَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم صدْرَه ، فثَعَّ ثعة[٧] فخرج من جوفه جروٌ [أسودَ] يسعى » .

قالوا : وقد قضى ابن عُلاثة القاضى[٨] بينَ الجنّ ، فى دم كان بينهم ، بحكمٍ أقنَعهم .

---

(١) الطفيتان : خطان أسودان فى ظهر الحية .

(٢) فى اللسان (١٦ : ٢٥٠) : وفى الحديث أنه نهى عن قتل الجنان » . قال : هى الحيات التى تسكون فى البيوت ، واحدها جان ، وهو الدقيق الخفيف . فيما عدا ل : « فإنها جان » محرف .

(٣) فى اللسان : « وفى حديث إبراهيم : لا تشرب من ثلمة الإناء ولا عروته فإنها كفل الشيطان . أى مركبه ، لما يكون من الأوساخ . كره إبراهيم ذلك » . والكفل ، بكسر الكاف .

(٤) فى اللسان : « وفى حديث أبى رافع قال : ذاك كفل الشيطان . يعنى مقعده » . والكفل من مراكب الرجال : وهى شىء مستدير يتخذ من خرق أو غير ذلك ويوضع على سنام البعير . فيما عدا ل : « إنها » .

(٥) الحذف : بالتحريك وأوله حاء مهملة : غنم سود صغار تسكون بالحجاز أوباليمن . وفى رواية : « كأولاد الحذف » . وروى صدر الحديث أيضا : « سووا الصفوف » كما فى اللسان . فيما عدا ل : « الخذف » محرفة .

(٦) ل : « أتت النبى » .

(٧) ثع : قاء . ل : « فثغ به ثغة » محرف . والحديث فى اللسان .

(٨) يعنى علقمة بن علاثة بن الأحوص ، وكان من حكام الجاهلية ، وكانت —

(عود إلى تفسير قصيدة البهرانى)

ثم رجع بنا القولُ إلى تفسير قصيدة البَهْرانى[1] :

[أما قوله :

١٠ « وتزوّجْتُ فى الشبيبة غولًا   بغزال وصَدْقتى زِقُّ خمرِ[2] »]

فزعم أنه جعل صَداقها غزالا وزِقَّ خمر ؛ فالخمر لطيب الرائحة ، والغزالُ لتجعله مَرْكباً ؛ فإنّ الظِّباء من مَراكب الجنّ .

وأما قوله :

١١ « ثَيِّبٌ إن هَوِيتُ ذلك منْها   ومتى شئتُ لم أجِدْ غيرَ بِكرِ »

كأنه قال : هى تتصوَّر فى أىِّ صورةٍ شاءتْ .

(شياطين الشعراء)

وأما قوله :

١٢ « بنت عَمْرٍو وخالها مِسحَل الخيـ   ـر وخالى هُمَيمُ صاحبَ عَمْرٍو[3] »

فإنهم يزعمون أنّ مع كلِّ فحل من الشعراء شيطانا يقول ذلك الفحلُ على لسانه الشعر[4] ، فزعم البهرانى أنّ هذه الجنّية بنت عمرو صاحب

= منافرته لعامر بن الطفيل أشهر منافرة فى الجاهلية . وقد أسلم علقمة ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام . انظر الإصابة ٥٦٦٩ والخزانة (٣ : ٤٩٢ بولاق) والأغانى (١٥ : ٥٠ — ٥٦) .

(١) س : « ثم رجعنا إلى شرح قصيدة البهرانى » .

(٢) هذه التكملة من س فقط .

(٣) ط ، هـ : « مسعر الخير » ، صوابه فى ل ، س .

(٤) هذه التكملة ساقطة من ل .

المخبَّل[1] ، وأن خالَها مِسْحل شيطان الأعشى . وذكر أن خاله هُمَيم ، وهو همّام . وهمّام [هو[2]] الفرزدق . وكان غالبُ بن صعصعة إذا دعا الفرزدقَ قال : ياهميم .

وأما قوله : « صاحب عمرو » فكذلك أيضاً يقال إن اسمَ شيطان الفرزدق عمرو . وقد ذكر الأعشى مِسْحلا[3] حين هَجاه جُهُنَّام[4] فقال :

دَعَوْتُ خليلى مِسْحَلاً ودعَوْا له جُهُنّامَ جَدْعًا للهجين المذَمَّمِ[5]

وذكره الأعشى فقال :

حبانى أخى الجنِّىُّ نفسى فداؤُه بأفْيَحَ جَيَّاشِ العَشِيّات مِرْجمِ[6]

وقال أعشى سُليم[7] :

---

(١) المخبل لقب له ، واسمه ربيع بن مالك بن ربيعة بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر مشهور عمر فى الجاهلية والإسلام عمرا طويلا : ومات فى خلافة عمر ، أو عثمان . انظر المؤتلف ١٧٧ والخزانة (٢ : ٥٣٦ بولاق . وهو صاحب المفضلية ٢١ من طبع المعارف . فيما عدا ل : « شيطان المخبل » .

(٢) هذه الكلمة من ل ، س .

(٣) ط ، هـ : « مسحل » .

(٤) جهنام ، بضم الجيم والهاء ، كما فى نص القاموس؛ وضبط بكسرهما فى الاشتقاق ٢١٣ . وهو اسم عمرو بن قطن ، من بنى سعد بن قيس بن ثعلبة . أو اسم تابعته . انظر اللسان والمؤتلف ٢٠٣ . وفى الموشح ٥٠ أنه عمرو بن عبد الله بن المنذر ، وأنه ابن عم الأعشى .

(٥) جدعا له : قطعا له . فيما عدا ل : « بجهنام يدعى »، صوابه فى الديوان ٩٥ والمؤتلف واللسان . هـ : « الهجين المدم » تحريف .

(٦) الأفيح : الواسع ، أراد سعة خطوه . والمرجم : الذى يرجم الأرض بشدة وقع حوافره . انظر المفضلية (٩٩ : ١٩) طبع المعارف . وبعد البيت كما فى الديوان :

فقال ألا فانزل على المجد سابقا لك الخير قد إذ سبقت وأنعم

وفى الأصل : « بأقيح » و : « مرحم » محرفتان . وفى الديوان : « جياش من الصدر خضرم » .

(٧) أعشى سليم لم أجد له ترجمة إلا ما روى أبو الفرج فى الأغانى (٣ : ٥٩) من خبر دخوله على بشار بن برد . واسمه سليمان ، وكنيته أبو عمرو كما يفهم من شعر له قاله فى دحمان المغنى ، وهو :

كانوا فحولا فصاروا عند حلبتهم لما انبرى لهم دحمان خصيانا
فأبلغوه عن الأعشى مقالته أعشى سليم أبى عمرو سليمانا =

وما كان جِنِّيُّ الفَرَزْدَقِ قدوةً   وما كان فيهم مِثْلُ فَحْلِ المخبَّلِ[(1)]

ومَا فى الخوافِى مثلَ عَمْرو وشيخِهِ   ولا بعدَ عَمرٍو شاعرٌ مثلُ مِسْحَلِ

وقال الفرزدق ، فى مديح أسَدِ بنِ عبد الله[(2)] :   ٧٠

ليُبلغنّ أبا الأشبال مِدْحتَنَا   مَنْ كان بالغُورِ أو مَرْوَىْ خُرَاسانا[(3)]

كأنَّها الذَّهَب العِقْيانُ حَبَّرها   لسانُ أشْعَرِ خَلْقِ الله شَيطانَا[(4)]

وقال :

فَلو كنْتَ عِنْدِى يوم قوٍّ عَذَرْتَنِى   بيوم دهَتْنِى جِنُّهُ وأخابلُه[(5)]

فمن أجْل هذا البيت ، ومن أجْل قول الآخَر :

إذا مارَاعَ جارتَه فَلاَقَى   خَبَالَ الله مِنْ إنس وَجِنٍّ[(6)]

زعموا أنّ الخابل النّاس .

= قولوا يقول أبو عمرو لصحبته   ياليت دحمان قبل الموت غنانا

وأورد له الجاحظ خبرا فى الرسائل ٧٥ ساسى . وذكر الجاحظ فى الحيوان (٢ : ٨٥) أنه رأى رجلا من أبناء هذا الأعشى

(١) فيما عدا ل : « أسوة » . وانظر الديوان ٢٨٣ . وفى ثمار القلوب ٥٦ : « قدوة » كما أثبت من ل .

(٢) هو أسد بن عبد الله القسرى ، أخو خالد بن عبد الله . كان خالد على العراق ، وما يليه من الأهواز وفارس والجبال ، وأخوه أسد على خراسان ، وكان بدء ولايتهما فى سنة ١٠٦ وعزلا سنة ١٢٠ . انظر الطبرى .

(٣) المروان ، هما مرو الشاهجان ومرو الروذ ، فمرو الشاهجان : هى قصبة خراسان ، ومرو الروذ : مدينة قريبة منها . والغور : بالضم : جبال وولاية بين هراة وغزنة وإليها ينسب بعض الملوك . وهراة من أمهات مدن خراسان . فيما عدا ل : « لتبلغن » محرفة . ورواية الديوان ٨٧٥ : « لتبلغن لأبى الأشبال » . فيما عدا ل : « طودى خراسانا » ، صوابه فى ل والديوان .

(٤) العقيان : الخالص . ورواية الديوان : « أشعر أهل الأرض » .

(٥) فيما عدا ل : « يوم قرء » . ط ، س : « خبائله » ، هـ : « وأخايله » ، وهذه محرفة .

(٦) ط ، س : « زاع جارية » ، هـ : « زاغ جارية » ، صوابهما فى ل .

ولما قال بشّار الأعمى[١] :

دعانى شِنِقْناقٌ إلى خَلْفِ بَكرَةٍ فقلتُ : اترُكَنّى فالتفرُّدُ أحمدُ[٢]

يقول : أحمدُ فى الشعر أن لايكون لى عليه معين[٣] ـ فقال أعشَى سُلَيم يردُّ عليه :

إذا أَلِفَ الجنِّىُّ قِرْدًا مُشَنَّفًا فقل لخنازيرِ الجزيرةِ أَبْشِرِى[٤]

فجزِع بشّارٌ من ذلك[٥] جزعاً شديداً ، لأنَّه كان يعلم مع تغزُّله أنَّ وجهَه وجهُ قردٍ . وكان أوّل ما عُرِف من جزعه من ذكر القِرد ، الذى رأوا منه حِين أنشدوه بيت حمّاد[٦] :

ويا أقبحَ مِن قِرْدٍ إذا ما عَمِىَ القِرْدُ

وأما قوله :

١٣ « ولها خِطَّةٌ بأرض وَبار مسَحُوها فكانَ لى نِصْفُ شَطرِ »

فإنما ادّعى الرُّبع من ميراثها[٧] ، لأنه قال :

---

(١) فيما عدا ل : « بشار بن برد » .

(٢) شنقناق ، بكسر الشين والنون وسكون القاف : رئيس من رؤساء الجن . والبكرة بالفتح : الفتية من الإبل ، كأنه دعاه ليردفه خلفه . ط : «شقنان»، س ، ه : « شقناق » ، صوابهما فى ل . وفى ه ، س : « جلد بكرة » محرفة . وفى ل : « حلف بكره » والكلمة الأولى محرفة ، وتصح الثانية ، فإنها مذكر البكرة من الإبل أضيف إلى الضمير . ل وكذا ثمار القلوب ٥٥ : « اتركانى » ، جعل الضمير لشنقناق والبكر .

(٣) فيما عدا ل : « أحمد لى فى الشعر من أن يكون لى عليه من معين » .

(٤) كان بشار يلقب « المرعث » لأنه كان فى أذنه وهو صغير رعاث ، والرعثة : القرط . والشنف ، بالفتح : القرط ، أو القرط يلبس فى أعلى الأذن . ط ، ه : « فقولوا لخنزير » ، س : « فقولن لخنزير » ، وأثبت ما فى ل وثمار القلوب ٥٥ . فيما عدا ل : « أبشر » .

(٥) ط ، ه : « عند ذلك » .

(٦) فيما عدا ل : « حتى أنشد قول حماد عجرد » ، وكلمة : « حتى » محرفة .

(٧) إنما استحق ربع ميراث زوجته ، لأنها ولدت له .

تركتْ عَبْدلا ثِمالُ اليتامى وأخوه مُزاحم كان بكرى[1]
وَضَعَتْ تِسْعةً وكانتْ نَزُوراً من نِساءٍ فى أهْلِها غير نُزُرِ[2]

وفى أنَّ مع كلِّ شاعر شيطاناً يقول معه ، قول أبى النجم[3] :

إنى وكلّ شاعر من البشرْ شَيطانه أنْثَى وشَيطانى ذَكَرْ

وقال آخر :

إنى وإن كنتُ صغيرَ السِّنّ وكان فى العَين نُبُوٌّ عنِّى
فإنّ شيطانى كبير الجنِّ[4]

(كلاب الجن)

71

وأما قول عمرو بن كُلثوم :

وقد هَرَّتْ كلابُ الجِنِّ منا وشَذَّبْنَا قتادةَ مَن يلينا

فإنهم يزعمون أنَّ كلاب الجنِّ هم الشعراء .

(أرض الجن)

وأما قوله :

١٤ «أرض حُوشٍ وجاملٍ عَكَنانٍ وعُروجٍ من المؤبّلِ دَثْر[5] »

---

(١) ل : « عندلا » و : « مراغم » .

(٢) النزور ، بالزاى : القليلة الولد ، والجمع نزر ، بضمتين ، وسكن للشعر . ط ، س : « نذورا » هـ ، س : « غير نذر » محرفتان . وفى الأصل : « فى أهلنا »، صوابه مما سبق ص ٨٢ .

(٣) ل : « يقول أبو النجم » . وانظر ثمار القلوب ٥٦ والشعراء ٥٨٥ وديوان المعانى (١ : ١١٣) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٨٠) .

(٤) بعده فى الخصائص (١ : ٢٢٥) وثمار القلوب ٥٦ :

يذهب بى فى الشعر كل فن حتى يزيل عنى التظنى

(٥) ط : « لأرض »، س : « وحاملى » ، محرفتان .

فأرضُ الحوش هى أرضُ وَبارِ . وقد فسَّرنا تأويل الحوش . والعَكنان: الكثير الذى لايكون فوقه عدد . وقوله : « عروج » جمع عَرْج . والعَرْج : ألفٌ من الإبل نقص شَيئاً أَوْ زاد شيئاً[١] . و « المؤبَّل » من الإبل ، يقال إبل مؤبَّلة ، ودراهم مُدَرهمة ، وبدَر مبدَّرة[٢] ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾ . وأما قوله : « دثْر » فإنهم يقولون : مال دَثْر ، [ومالٌ دَبْر[٣]] ومال حَوْم[٤] : إذا كان كثيراً[٥] .

(استراق السمع)

وأما قوله :

١٦ « ونَفَوْا عَنْ حريمها كلَّ عِفْر   يسرقُ السَّمعَ كلَّ ليلةِ بَدْرِ »

فالعفْر هو العفريت . وجعله لايسرق السمع إلا جهارا فى أضوإ ما يكون البدر ، من شدَّة معاندته ، و [فرط] قوته .

(الشنقناق والشيصبان)

وأما قوله :

١٧ « فى فُتُوٍّ من الشَّنقناق غرٍّ   ونساء من الزَّوابعِ زُهْرِ »[٦]

---

(١) ط : « وزاد شيئا » ، محرف .

(٢) البدرة ، بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم . ولم تذكر المعاجم « المبدرة » .

(٣) الدبر ، بالفتح والكسر : المال الكثير الذى لا يحصى كثرة ، واحده وجمعه سواه ، يقال : مال دبر ، ومالان دبر ، وأموال دبر. قال ابن سيده : هذا الأعرف . قال : وقد كسر على دبور .

(٤) الحوم ، بفتح الحاء : القطيع الضخم من الإبل ، أكثره إلى الألف ، قال رؤبة :

ونعما حوما بها مؤبلا

فيما عدا ل: « جرم » ، محرف .

(٥) الكلام من بعد : « المقنطرة » إلى هنا ساقط من س

(٦) سبق الكلام على البيت فى ص ٨٢ . ل : « فى فنون » محرف . فيما عدا ل : « الشمقمان » ، صوابه فى ل .

الزوابع : بنو زوْبعة الجنِّىّ ، وهم أصحاب الرَّهج والقَتام [والتَّثوير . وَ] قال راجزهم :

إنّ الشياطين أتَوْنى أربعهْ   فى غَبَش الليل وفيهم زَوبعه[١]

فأما شِنِقناق[٢] وشَيْصَبان ، فقد ذكرهما أبو النجم :

* لابن شِنِقْناق وشَيْصَبَانِ[٣] *

فهذان رئيسان ومن آباء القبائل . وقد قال شاعرهم[٤] :

إذا ما ترَعْرَعَ فينا الغلامُ   فليس يقال له من هُوَهْ[٥]

إذا لم يَسُدْ قبل شدِّ الإزار   فذلك فينا الذى لا هُوَهْ

ولى صاحبٌ من بنى الشَّيصبا   ن فطوراً أقولُ وطوراً هُوَهْ

وهذا البيت [أيضاً[٦]] يصلح أن يلحق[٧] فى الدَّليل على أنهم يقولون : إن مع كلِّ شاعر شيطانا . ومن ذلك قولُ بشَّار الأعمى :

دَعانى شِنِقْناقٌ إلى خَلْف بَكْرَة   فقلت : اترُكَنِّى فالتَّفرُّدُ أحمَدُ[٨]

(شياطين الشام والهند)

قال : وأصحاب الرُّقى والأُخَذ[٨] والعزائم ، والسِّحر ، والشَّعْبذة ،   ٧٢

---

(١) زوبعة : هو الجنى الذى صنع لسليمان صرحا ممردا من قوارير . انظر التيجان ١٦١ .

(٢) فيما عدا ل : « شنقنان » محرف .

(٣) فيما عدا ل : « لأنى شنقنان وشيصبان » ، محرف .

(٤) هو حسان بن ثابت ، كما فى اللسان (شصب) وثمار القلوب ٥٥ . وقصة الشعر فى اللسان وفى ديوانه ص ٤٢٢ .

(٥) فى اللسان والديوان : « فما إن يقال له » .

(٦) هذه الكلمة من س . وفى ل ، « وهذا البيت يلحق » .

(٧) ط فقط : « شنقنان » ، محرف . وفى ل : « اتركانى » . وقد سبق الكلام على البيت فى ص ٢٢٨ .

(٨) الأخذ : جمع أخذة بالضم : وهو ما يؤخذ به الرجال عن النساء ، يحبسونهم عنهن .

يزعمون أنّ العدد والقوّة[١] فى الجنّ والشياطين لنازلة[٢] الشـام والهند ، وأنّ عظيم شياطين الهند يقال له : تنكوير[٣] ، وعظيم شياطين الشام يقال له : دركاذاب[٤] .

وقد ذكرهما أبو إسحاق فى هجائه محمد بن يَسِير[٥] ، حين ادّعى هذه الصناعة فقال :

قدْ لَعَمْرى جمعت مِلْ آصَفِيّا تِ ومن سِفْر آدم والجراب ِ[٦]

وتفرّدْتَ بالطوالق والهيـ كل والرُّهنَبَاتِ من كلِّ باب

(١) ل : « والقدر ».

(٢) ط فقط : « لنزالة » محرف .

(٣) ط : « سكويرك »، س، هـ : « سكويك »، ل : « مكوير »، وأثبت ما سبق فى (١ : ٣٠٨) . وانظر آخر الشعر التالى .

(٤) ط : « دركاراب » س ، هـ : « دركارب »، وأثبت ما فى ل ، وهو ما سبق فى (١ : ٣٠٨) .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٩) . وفى الأصل : « محمد بن بشير » تحريف . ومما يعين تقييد اسمه ماروى أبو الفرج فى (١٢ : ١٣٢) ، من أن الخليفة المعتصم تفاءل باسمه وقال : « أمر محمود وسير سريع » .

(٦) فيما عدا ل : « من أصمياب * ثم من شعر آدم والخراب » . مل آصفيات : أى من الآصفيات . والآصفيات : نسبة إلى آصف كاتب سليمان عليه السلام . قال ابن منظور . « وهو الذى دعا الله بالاسم الأعظم ، فرأى سليمان العرش مستقرا عنده » . وآصف بوزن هاجر ، أى بفتح الصاد ، كما هو نص القاموس . وهو ابن خالة سليمان . انظر ابن النديم ٤٣٠ .

(٧) الهيكل ، لم يعرفه صاحبا اللسان والقاموس . ووجدت فى شفاء الغليل : « وأما التعاويذ التى يسمونها الهيكل والهياكل فليست فى كلام العرب . قاله الصاغانى فى العباب » . وجاء فى معجم استينجاس ١٥٢١ أن الهيكل تعويذة أو تميمة مكتوبة بحروف سحرية ، تعلق حول الجسم ، لتكون وقاية لحاملها من السحر والمكروه : (an amulet or talisman inscribed with magic figures' hung round the body as a defence against fascination or misfortue والرهبنات كذا وردت فى ل بضم الراء بعدها هاء ونون مفتوحة وباء . وفيما عدا ل : « والدهمات » ، ولم أقف على تحقيقه .

وعلِمتَ الأسمــاء كَيْمَا تُلاقى زُحَلاً والمِرِّيخَ فوق السَّحابِ[١]
واستْثرْتَ الأرْوَاح بالبَحْر يأتيــــنَ لصرع الصَّحيح بَعْدَ المُصَابِ[٢]
جامعاً من لطــائف الدَّنْهَشِيَّا تِ كبوسا نَمّقتَها فى كِتابِ[٣]
ثم أحكمت متقن الـكرويّا ت وفعل الناريس والنجابِ[٤]
ثمَّ لم تعْيك الشعابيذ والخِـد مــةُ والاحتفاء بالطلابِ[٥]
بالخواتيم والمنـاديل والسَّــعْ ىِ بتنكوير ودركاذابِ[٦]

(قتل الغول بضربة واحدة)

وأما قوله :

٢٠ « ضَربَتْ فَردةً فصارت هَباءً فى مَحاقِ القُميرِ آخرَ شَهْرِ »[٧]

فإنَّ الأعرابَ والعامّةَ تزعُم أنَّ الغول إذا ضربت ضَربةً ماتت ، إلاّ أن يُعيد عليها[٨] الضّارب قبل أن تقْضِىَ ضربة أخرى ، فإنّه إن فعل ذلك لم تمُتْ . وقال شاعرهم :

---

(١) ل : « وتعلمت الاسماء » بوصل همزة « الأسماء » .
(٢) ل : « بأتى لصرع » ، وفيما عدا ل : « يأتين لصرح » ، وقد جمعت بينهما .
(٣) ل : « غامضا » محرف . والدنهشيات : نسبة إلى دنهش ، وهو أحد آباء الجن . انظر ابن النديم ٣٤١ . ط ، س : « الدهمسيات » ، ﻫ : « الدلهسيات » ، صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « كنوسا نعتها » .
(٤) ل : « ثم أتقنت محكم » . و : « وفعل النارابى المجاب » ، والـكلمتان الأخيرتان فى البيت غامضتان .
(٥) لم تعيك : لم تعجزك . ط ، س : « تفتك » ، ﻫ : « تفنك » ، صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « السعاية » موضع : « الشعابيذ » وفى ل : « والاختفا عن الطلاب » وهذه محرفة .
(٦) المناديل : جمع منديل . وفى ل : « المنادل » جمع مندل ، وهو عود الطيب . وفيما عدا ل : « بسكوبرك ودركاراب » .
(٧) المحاق : مثلثة : آخر الشهر .
(٨) فيما عدا ل : « عليه » ، محرف .

فتَنيتُ وَالمِقْــدارُ يحرُسُ أهْلَهُ فَلَيْتَ يمينِى قبل ذلك شَلّتِ

وأنشدوا لأبى البلاد الطُّهَوى[1]

لهَــانَ عَلَى جهيــنةَ ما أُلاقى من الرَّوعاتِ يوْمَ رَحَى بِطان[2]

لَقِيتُ الغول تَسْرِى فى ظلامٍ بسهبٍ كالعبـاية صَحْصَحَانِ[3]

فقلتُ لها كلانا نِقض أرْض أخُو سَفَرٍ فصُدّى عن مَـكانى[4]

فَصدَّتْ وانتحَيْتُ لهــا بعَضْبٍ حُسامٍ غَيْرِ مُوْتَشَبٍ يمَـانِى[5]

فقَدَّ سَرَاتَها والبرك منهـــا فخرّتْ لليــدَين وللجرانِ[6]

فقالت زِدْ فقلتُ رُوَيْدَ إنّى على أمثالهـــا ثَبْتُ الجَنَانِ[7]

٧٣ شدَدْتُ عِقالَهَا وحطَطتُ عنها لأنظُرَ غُــدوةً ماذا دَهانى

إذا عينان فى وَجْــهٍ قبيحٍ كوَجه الهِرِّ مشقوق اللسانِ[8]

ورِجْلا مُخْدَجٍ ولسان كَلبٍ وجِلدٌ من فِرَاءٍ أو شِــنانِ[9]

---

(١) أبو البلاد : كنية أخرى لأبى الغول الطهوى . وقد سبق الكلام عليه فى (٣ : ١٠٦). قال فى المؤتلف : « يكنى أبا البلاد ، وقيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتلها » . والشعر التالى يروى نحوه لتأبط شرا ، فكأن هذا ترجمة شعرية له . انظر الأغانى (١٨ : ٢١٠ ، ٢١٢) ومعجم البلدان (٨ : ٢٣١) .

(٢) رحى بطان : موضع فى بلاد هذيل . ل : « على جهيمة » .

(٣) السهب : ما بعد من الأرض واستوى فى طمأنينة . العباية : تسهيل العباءة ، أو العباءة لغة فى العباية . انظر اللسان (عبى) ، شبه السهب بالعباءة فى استوائه . فيما عدا ل : « بسهم كالعباية » محرف . والصحصحان : ما استوى من الأرض .

(٤) النقض ، بالكسر : المهزول قد نقضه السفر . فيما عدا ل : « نضو »، وهو بوزن الأول ومعناه .

(٥) المؤتشب ، بفتح الشين : المخلوط ، عنى أنه خالص الحديد ، أو خالص النسب .

(٦) السراة ، بالفتح : الظهر . والبرك ، بالفتح : الصدر . فيما عدا ل : « البرد » محرف . والجران ، بالكسر : باطن العنق.

(٧) الثبت ، بالفتح : الثابت . والجنان ، بالفتح : القلب .

(٨) ل : « مسترق اللسان » .

(٩) المخدج ، بفتح الدال : الناقص الخلق . والفراء : جمع فرو. فيما عدا ل : « قراب » . =

وأبو البلاد هذا الطهوى [1] كان من شياطين الأعراب ، وهو كما ترى يكذِب وهو يَعلَم ، ويُطيل الكذب ويُحَبِّره [2] . وقد قال كما ترى :

فقالت زِدْ فقلتُ رُوَيْد إنِّى ... على أمثالها ثَبْتُ الجَنَانِ

لأنّهم هكذا يقولون ، يزعمون [3] أنّ الغول تستزيد بعد الضَّرْبة الأولى ، لأنّها تموت من ضربةٍ ، وتعيشُ من ألْف ضرْبة .

(مناكحة الجنّ ومحالفتهم)

وأمّا قوله :

٢٣ « غلبتْنى على النَّجابة عرسى ... بعد أنْ طَالَ فى النجابة ذكرى [4]

٢٤ وأرى فِيهِمُ شمائِلَ إنسٍ ... غيرَ أنّ النِّجارَ صُورةُ عِفرِ » [5]

فإنّه يقول : لما تركّب الولدُ منّى ومنها [6] كان شبهُها فيه أكثر .

وقال عبيد بن أيُّوب [7] :

أَخو قَفَراتٍ حَالَفَ الجنَّ وانتفى ... مِنَ الإنْس حَتَّى قدتَقَضَّتْ وسائلُهْ [8]

= والشنان : جمع شن ، وهو القربة الخلق . ورواية البيت فى المؤتلف ١٦٣ والخزانة (٣ : ١٠٨ بولاق) :

بعينى بوهة وشواة كلب ... وجلد فى قرا أو فى شنان

(١) ط ، س : « وأبو البلاد الطهوى هذا » .

(٢) التحبير : التحسين . فيما عدا ل : « ويجيزه » ، محرف .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) ل : « فكرى » ، محرف .

(٥) النجار ، بالكسر والضم : الأصل .

(٦) ط ، هـ : « منها ومنى » .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٨٢) . ط ، هـ : « بجير بن أيوب » ، محرف .

(٨) ل : « أخا قفرات » . ورواية المبرد ١٩٣ ليبسك : « أخو فلوات صاحب الجن » . هـ : « وانتهى من الإنس » ، وفيما عدا ل : « رسائله » ، محرفتان .

له نَسَبُ الإنسيّ يُعرفُ نَجْلُه ... وللجنِّ منه خَلْقه وشمائلُه[1]

وقال[2] :

وصارَ خليلَ الغُول بَعْدَ عَداوةٍ ... صَفِيًّا وربَّتْه القِفَارُ البسابسُ

فَليس بِجِنِّيٍّ فيُعْرَفَ نَجْله ... ولا أَنَسِيٍّ تحتويه المجالِسُ[3]

يظلُّ ولا يبدو لشيءٍ نهارَه ... ولٰكِنّه يَنْباعُ واللَّيْلُ دامِسُ[4]

قال : وقال القَعقاع بنُ مَعْبَد بن زُرارة ، فى ابنه عَوف بن القعقاع : والله لَمَا أرى من شمائل الجنّ فى عوف[5] أكثرُ ممّا أرَى فيه من شمائل الإنس !

وقال مَسلمة بنُ محارب : حدَّثنى رجلٌ من أصحابنا قال : خرجنا فى سَفرٍ ومعنا رجُلٌ ، فانتهينا إلى وادٍ ، فدعَوْنا بالغَدَاء ، فمدّ رجلٌ يدَه إلى الطعام ، فلم يقدر عليه — وهو قبْلَ ذلك يأكلُ مَعَنا فى كلِّ منزل — فاشتدّ اغتمامُنا لذلك ، فخرجنا نسأل عن حاله[6] ، فتلقَّانَا أعرابىٌّ[7] فقال : مالكم ؟ فأخبرناه خبرَ الرَّجُل ، فقال : ما اسم صاحبكم ؟ قلنا : أسد

---

(١) النجل : مصدر نجله نجلا ولده . ورواية المبرد : « نجره » ، والنجر : الأصل . وفى الكامل أيضا : « شكله وشمائله » . وقد روى المبرد أبياتا من هذا الشعر ، وهما أيضا فى ديوان المعانى (١ : ١١٣) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٨١).

(٢) فيما عدا ل : « وقال الآخر » . والصواب نسبة الشعر إلى عبيد بن أيوب كما سبق فى ص ١٦٨ .

(٣) فيما عدا ل : « وهو إنس » محرف . والأنسى ، بالتحريك . وفى اللسان (٧ : ٣٠٨) : « والإنس البشر ، الواحد إنسى وأنسى أيضا بالتحريك » . وما أثبت من ل هو أيضا رواية البحترى فى الحماسة ص ٤١١ .

(٤) فيما عدا ل : « ولا يبدى » ، تحريف . ينباع : ينطلق ، انباع الرجل : وثب بعد سكون . ط : « ينتاع » ، س ، هـ : « يبتاع » ، صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « والله لما أرى فى عوف من شمائل الجن » .

(٦) ل : « نسأل عن حاله » هـ : « نسأله عنه وعن خاله » وهذه محرفة .

(٧) ط ، هـ : « فتلقانى أعرابى » ، محرف .

قال : هذا وادٍ قد أخِذَتْ سباعه[١] فارحلوا ، فلو قد جاوزتم الوادىَ استمرَى[٢] [الرَّحْل] وأكَل .

(مراكب الجن)

وأمَّا قوله :

٢٥ « وبها كنتُ راكباً حشراتٍ ملجمًا قُنفُذًا ومُسْرجَ وَبْرِ[٣] ٧٤

٣١ وأجوبُ البلادَ تحتِىَ ظَبىٌ ضاحكٌ سنُّـه كثيرُ التمرِّى[٤]

٣٢ مُولجٌ دُبْرَهُ خَوَايَةَ مَكْوٍ وهو باللّيل فى العفاريتِ يَسرِى »[٥]

فقد أخبرْنا فى صدر هذا الكتاب بقول الأعراب فى مطايا الجن من الحشرات والوحش[٦] .

وأنشد ابنُ الأعرابىّ لبعض الأعراب :

كلَّ المطايا قد ركبنَا فلم نجِـد ألَذَّ وأشهى مِنْ مذاكِى الثّعالبِ[٧]

وَمِنْ عنظوان صعبـةٍ شمّـريّة تَخُبُّ برجْليها أمامَ الرّكائبِ[٨]

---

(١) هـ : « وادى إذا أجدبت سباعه » ، ط ، س : « واد قد أجدبت سباعه » ، صوابهما فى ل . أى أخذتهم الشياطين .

(٢) استمرى : مسهل استمرأ ، واستمرأ الطعام : ألفاه هنيئا مريئا . ل فقط : « استمر » ، محرفة .

(٣) ل : « أركب الحشرات ملجم » .

(٤) ط : « تحت ظبى » ، محرف .

(٥) ط ، س : « خزانة مكر » هـ : « خزانة مكو » ل : « خواية مكن » والصواب ما أثبت . هـ : « فى المقارات » س : « بالمفارت » . وقد سبق البيت فى ص ٨٣ .

(٦) انظر ص ٤٦ — ٤٧ .

(٧) فيما عدا ل : « قد ركبت فلم أجد » . وفى اللسان (سرب) :

ركبت المطايا كلهن فلم أجد ألذ وأشهى من جناد الثعالب

والمذاكى : جمع المذكى بتشديد الكاف المكسورة ، وهو المسن . ط ، س : « من مطايا الثعالب » ل : « من مذاب » صوابه فى هـ .

(٨) عنظوان ، وكذا وردت ، وهى فيما أرى : « عضرفوط » كما وردت فى الشعر =

ومنْ جُرَذٍ سُرْح اليدين مفرَّج يعوم برَحْلى بين أيدِى المراكب[١]

ومنْ فارةٍ تزداد عِتْقاً وحِدّةً تبرِّح بالخوص العِتاقِ النَّجائِبِ[٢]

ومنْ كلِّ فتْلاء الذِّراعَيْنِ حُرَّة مُدَرَّبة من عافيات الأرانبِ[٣]

ومنْ وَرَل يغتالُ فَضْلَ زِمامِهِ أضرَّ به طول السُّرَى فى السَّباسِبِ[٤]

قال ابنُ الأعرابى[٥] : فقلت له : أترى الجن كانت تركبُها ، فقال : أحلِفُ بالله لقد كنتُ أجِدُ بالظِّباء التَّوقيعَ فى ظهورها[٦] ؟ والسِّمة فى الآذان . وأنشد :

= التالى . والعضرفوط : ضرب من العظاء ، وهى من مراكب الجن ، كما سيأتى وكما فى القاموس . وبعدها فى س : « صبعة » وفى ط ، هـ « صيفة » ، صوابهما فى ل . والشمرية ، بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة ، وبكسرها وتشديد الميم المكسورة : التى تمضى لوجهها وتركب رأسها لا ترتدع .

(١) السرح ، بضمتين : المنسرح السهل . انظر المفضليات (٥٨ س ٥ طبع المعارف) . وسكن الراء للشعر . فيما عدا ل : « معرج » بدل : « مفرج » يعوم : يسرع فى سيره . وفى اللسان : « قال ابن سيده : وعامت الإبل فى سيرها على المثل . . . وعامت النجوم عوما : جرت . وأصل ذلك فى الماء » . ط ، س : « يقوم » ، هـ : « يعرم » ، صوابهما فى ل . والرحل : واحد رحال الإبل ، وهو ما يركب عليه . ل : « برجلى » محرف . بين أيدى المراكب : أى أمامها . فيما عدا ل : « المواكب » ، والمواكب : الجماعة من الناس ركبانا ومشاة .

(٢) العتق : السبق ، وفى اللسان : « عتقت الفرس تعتق — بكسر التاء — وعتقت بضم التاء — : سبقت الخيل فنجت . وفرس عاتق : سابق » . ل : « عنقا » بالنون محرفة . والحدة : النشاط والسرعة والمضاء . ط ، س : « جدة » ، محرفة . تبرح بها : تجهدها . والخوص : جمع أخوص وخوصاء ، وهى الإبل قد غارت عيونها .

(٣) الفتلاء : التى بان ذراعها عن جنبها . العافيات : الطويلات الشعر . وفى حديث عمر : « إن عاملنا ليس بالشعث ولا العافى » .

(٤) فيما عدا ل : « يعتام » ، وفى ط ، هـ : « زمانه » ، محرفتان .

(٥) فى ط ، هـ زيادة واو قبل : « قال » .

(٦) التوقيع : سحج فى ظهر الدابة . ل : « مع ظهورها » ، محرف .

كلّ المطايا قد ركبنا فلم نجِـدْ ألذَّ وأشهَى من رُكوب الجنادِبِ[1]

ومنْ عَضْرفوطٍ حَطَّ بى فأقمْتهُ يبادِرُ وِرداً من عَظَاءٍ قواربِ[2]

وشَرُّ مطايا الجنِّ أَرْنَبُ خُلّةٍ وذِئبُ الغضا أوقٌ على كلِّ صاحبِ[3]

ولم أر فيها مِثْلَ قُنفُذِ بُرْقةٍ يَقُودَ قطاراً منْ عظام العناكبِ[4]

وقد فسَّرنا قولهم فى الأرانب، لم لا تركب، وفى أرنب الخلّة، وقنفذ البُرْقة[5].

وحدثنى أبو نُواس قال: بكرتُ إلى المِربَد، ومعى ألواحى[6] أطلبُ أعرابيًّا فصيحاً، فإذا فى ظلِّ دار جعفر[7] أعرابىٌّ لم أسمع بشيطان أقبحَ منه وجهاً، ولا بإنسان أحسنَ منه عقلا[8]. وذلك فى يومٍ لم أر كبرده برداً، فقلت له: هلاَّ قعدت فى الشمس! فقال: الخلْوة أحبُّ إلىّ! فقلت له

(١) فيما عدا ل: «كل المطايا قد ركبت فلم أجد»، وأثبت ما فى ل ومحاضرات الراغب (٢: ٢٨١).

(٢) العضرفوط: ضرب من العظاء. وانظر ما سبق. وفى اللسان (سرب): «فزجرته يبادر سربا». والعظاء، بالفتح: جمع عظاية وعظاءة، وهى دويبة على خلقة سام أبرص. والورد: بالكسر: ما ورد من جماعة الطير والإبل. وفى اللسان: «وإنما سمى النصيب من قراءة القرآن وردا من هذا». والقوارب: جمع قارب، وهو طالب الماء ليلا. فيما عدا ل: «حط من فاقيه» و: «من قطار قوارب»، لكن فى هـ: «قوادب» وكلها محرفة.

(٣) الخلة، بالضم: ما فيه حلاوة من المرعى، وما فيه ملوحة فهو الحمض، بالفتح. وانظر (٤: ١٣٣) وص ١٢٣ من هذا الجزء. والأوق، بالفتح: الثقل والشؤم. ط، س: «أربى على»، هـ: «أو فى على»، صوابهما فى ل.

(٤) البرقة، بالضم: غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلفة. فيما عدا ل: «من عظيم».

(٥) فى الأصل: «برقة».

(٦) الألواح: جمع لوح، بالفتح، وهو صفيحة من صفائح الخشب، والكتف يكتب عليها. ط، هـ: «الوالى» ل، س «الواحى» بدون همزة. والصواب ما أثبت.

(٧) هو جعفر بن سليمان العباسى. انظر ص ٧٨.

(٨) ل، «أقبح وجها منه ولا بإنسان أحسن عقلا منه».

مازحا : أرأيت القنفذَ إذا امتطاه الجِنىُّ وعلا به فى الهواء ، هل القنفذ[1] يحمل الجنىَّ أم الجنى يحمل القنفذ؟ قال[2] : هذا من أكاذيب الأعراب[3] ، وقد قلت فى ذلك شعراً . قلت [فأنشِدْنيه[4]] . فأنشَدَنى بعد أن كان قال لى: قلت هذا الشعر وقد رأيت ليلة قنفذاً ويربوعا بتلمسان[5] [بعض] الرِّزق :

٧٥ فما يُعجبُ الجنَّانَ منك عَدِمتَهم   وفى الأُسْد أفراسٌ لهم ونجائبُ[6]

أتُسرِجُ يربوعا وتُلجِم قُنفذًا   لقَدْ أعوزَتهُمْ ماعلمْتَ المراكِبُ[7]

فإن كانت الجنّانُ جُنّت فبالحَرى   ولا ذَنْبَ للأَقدار والله غالبُ[8]

وما الناس إلا خادعٌ ومخدَّعٌ   وصاحبُ إسْهَابٍ وآخر كاذب

قال : فقلت له : قد كان ينبغى أن يكون بين البيت الثالث والرابع بيتٌ آخر[9] . قال : كانت والله أربعين بيتاً ، ولكنَّ الحطمة[10] [والله] حَطمتها[11] . قال: فقلت: فَهلْ قلت فى هذا الباب[12] [غير هذا] ؟ قال :

---

(١) دخول « هل » على الاسم ، مختلف فى جوازه وقبحه وامتناعه ؛ ومذهب الكسائى جوازه ، انظر همع الهوامع (٢ : ٧٧) والمغنى . ل ، س : « القنفذ » بدون : « هل » .

(٢) س : « فقال لى » .

(٣) ط ، هـ : « تكاذيب الأعراب » .

(٤) هذه التكملة من ل . وبدلها فى س : « فأنشدنى » .

(٥) ل : « أو يربوعا بتلمسان » . وكلمة : « ليلة » ساقطة من س .

(٦) يخاطب القنفذ أو اليربوع .

(٧) الضمير فى : « تسرج » للجنان . يعجب لها أن تركب هذين مع قدرتها على ما هو خير منهما .

(٨) فبالحرى : أى فهى جديرة أن تفعل هذا . ل : « ولا ذنب للأقوام » .

(٩) ط ، هـ : « بيتا آخر » محرف .

(١٠) الحطمة ، بالفتح والضم : السنة والجدب .

(١١) ط ، س : « احتطمتنيها » ، هـ : « احتطنتنيها » ، صوابهما فى ل .

(١٢) ط ، هـ : « فهل » ، وفيما عدا ل : « فى غير هذا الباب » محرف .

نعم ، شيءٌ قلتُهُ لزوجتي[١] ، وهو والله عندها أصدقُ شيءٍ قلتُه لها[٢] :

أراه سَميعاً للسِّرار كقنفذٍ ... لقد ضاع سِرُّ الله يا أمَّ مَعْبدِ[٣]

[قال] : فلم أصبر أن ضحِكْتُ . فغضب وذهب .

(شعر فيه ذكر الغول)

ويكتب مع شعر أبي البِلاد الطُّهوى[٤] :

فمن لامَني فيها فَوَاجَهَ مِثلَها ... على غِرَّةٍ ألقتْ عِطافاً ومِئزَرَا[٥]

لها ساعِدَا غُولٍ ، ورِجلا نعامةٍ ... ورأسٌ كِمِسْحَاةِ اليَهُودِيِّ أَزْعَرَا[٦]

وبَطْنٌ كأثناء المزادةِ رَفّعتْ ... جوانبُه أعكانَه وتَـكَسَّرَا[٧]

---

(١) ط ، هـ : « شيء قلت لزوجتي » . وحذف العائد على الموصوف ، أقل من حذف العائد على الموصول ، ودونهما حذف العائد على المبتدإ . ومما ورد من حذف العائد على الموصوف قول جرير :

أبحت حمى تهامة بعد نجد ... وما شيء حميت بمستباح

انظر سيبويه (١ : ٤٥) والمغنى (باب حذف الفعل وحده أو مع مضمر) .

(٢) ل : « أصدق منى فقلت لها » محرف .

(٣) السرار بالكسر : المسارة بالحديث . ل : « أتراه يستمع » محرف . وكلمة : « كقنفذ » محرفة في الأصل ، فهي في ط ، هـ : « لقنفذ » ، وفي ل ، س : « بقنفذ » .

(٤) سبقت ترجمته في ص ٢٣٤ .

(٥) يدعو على من لامه في بغض هذه المرأة أن يلقى مثلها على غرة وقد خلعت عطافها ومئزرها . والعطاف ، بالكسر : الرداء وكل ثوب تعطفت به ، أي ترديت . فيما عدا ل : « فما لأمى فيها بواجد مثلها » ، محرف .

(٦) المسحاة : المجرفة من الحديد .

(٧) هذا البيت ساقط من ل . وأثناء المزادة : مطاويها وما تعوج منها . ط ، هـ : « كأنثار » ، صوابه في س . والأعكان ، جمع عكنة ، وهي طي في البطن . ط : « أغماسه » ، هـ : « أغوابسة » ، س : « أغباسه » ، ولم أجد لأحدها وجها .

وثديان كالُخرْجين نيطت عُرَاهُما

إلى جُؤجُؤٍ جانى الشراسيف أَزْوَرَا[١]

قال[٢] : كان أبو شيطان ، واسمه إسحاق بن رَزِين ، أحد بنى السِّمط سِمْط جعدة بن كعب[٣] ، فأتاهم أميرٌ فجعل يَنْكُب عليهم جَوراً[٤] ، وجعل آخرُ من أهل بلده ينقب عليهم[٥] : أى يكون عليهم نقيباً ، فجعل يقول :

ياذا الذى نَكَبَنَا ونَقَبَا[٥] زَوَّجَهُ الرَّحمنُ غُولا عقْرَبا

جَمَّع فيها ماله ولبْلَبا لبالب التّيس إذا تَهَبْهَبَا[٦]

حَتَّى إذا ما استطربَتْ واستَطرَبَا عَاينَ أشنا خَلقِ رَبِّى زَرْنَبَا[٧]

* ذات نواتين وسَلْعٍ أُسْقِبَا[٨] *

---

(١) الجؤجؤ : الصدر . والجانى ، من الجنأ ، رجل أجنأ بمعنى أقعس ، وهو الذى خرج صدره ودخل ظهره . هـ ، س : « ناتى » وهى صحيحة . ط : « نائى » محرفة . والشراسيف : أطراف أضلاع الصدر . وفيما عدا ل : « الترائب » . والأزور من الزور ، بالتحريك ، وهو ميل فى وسط الصدر

(٢) ط ، هـ : « وقال » .

(٣) هم جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . فيما عدا ل : « الشميط شميط جعدة بن كعب » .

(٤) نكب عليهم نكابة ونكوبا : صار منكبا . والمنكب ، كمجلس : العريف أو عون العريف . ل : « يكتب » محرفة .

(٥) نقب عليهم نقابة : صار نقيبا . والنقيب : كالعريف على القوم ، المقدم عليهم ، الذى يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم ، أى يفتش .

(٦) لبالب الغنم : جلبتها وصوتها . ولبلب التيس عند السفاد : نب . وفى اللسان : « هبهبته : دعوته لينزو فتهبهب » . وفيما عدا ل : « لبلبة » . وكلمة : « تهبهب » محرفة فى الأصل . فهى فى ل : « تهببا » وفيما عدا ل : « تهيبا » والوجه ما أثبت .

(٧) أشنأ : أى أقبح منظرا . وقد سهل الهمزة . وبدلها فى ل ، ط : « منها » وفى هـ : « منهما » ، والصواب ما أثبت من س . والزرنب ، بالفتح : فرج المرأة ، أو فرجها إذا عظم ، أو لحم ظاهره . انظر اللسان والمخصص (٢ : ٨٨) . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « ذنبا » ، وفيما عدا ل : « ربا » .

(٨) السلع ، بالفتح : الشق يكون فى الجلد ، عنى به الهن . أسقبا : أى قرب كل منهما من صاحبه . أسقبه : قربه .

يعنى فرجها ونوَاتها . يقول . لم تُختَن .

(جنون الجن وصرعهم)

وأما قوله :

* فإنْ كانت الجِنَّان جُنّتْ فبالحَرَى[1] *

فإنهم قد يقولون فى مثل هذا[2] . وقد قال دَعلجُ بن الحكم :

وكيف يُفِيق الدهرَ كعبُ بن ناشبٍ
وشيطانُه عِنــدَ الأهِلَّة يُصْرَعُ[3]

(شعر فيه ذكر الجنون)

وأنشدنى عبد الرحمن بن منصور الأُسَيْدى[4] قبل أن يُجَنَّ :

جُنونكَ مجنونٌ ولستَ بواجِـدٍ طَبِيباً يُداوِى منْ جُنونِ جُنونِ[5] ٧٦

وأنشدنى يومئذ[6] :

أتَونى بمجْنون يَسِيلُ لُعابُهُ وما صاحِبِى إلا الصَّحيحُ المسَلَّمُ

وفيما يشبه الأولَ يقولُ ابن ميَّادة[7] :

---

(١) انظر ما سبق ص ٢٤٠ .

(٢) ل : « قد يقولون مثل هذا » .

(٣) فى الشعراء ٦٧٧ والخزانة (٣ : ٤٤٦ بولاق) : « سعد بن ناشب » . وانظر للصرع عند الأهلة (٥ : ٤٧٩) .

(٤) فيما عدا ل : « الأسدى » .

(٥) سبق إنشاد البيت فى (٣ : ١٩٠) .

(٦) ل (٣ : ١٠٩) : « مما أنشدنيه أبو الأصبع بن ربعى » .

(٧) س : « ويشبه الأول قول ابن ميادة » . وفى ط ، ه : « وما يشبه الأول » وفى ط ، س : « قول » بدل : « يقول » .

فلما أتانى ما تقُولُ محاربٌ تَغَنَّتْ شياطينى وجَنَّ جُنونُها[1]
وحاكَتْ لهـا مِمّا أقول قصائداً ترامَتْ بها صُهْبُ المَهارَى وجُونُها[2]

وقال فى التَّمثيل[3] :

إن شَرخَ الشّبابِ والشَّعَرَ الأَسْ وَدَ ما لم يُعاصَ كان جُنونا[4]

وقال الآخر[5] :

قالت عَهِدْتُكَ مجنوناً فقلتُ لها إنّ الشّبابَ جُنُونٌ بُرْؤُه الكِبَرُ

وما أحسنَ ما قال الشّاعر حيث يقول[6] :

فدقّت وجلّت واسبكرّت وأكملت
فلو جُنَّ إنسانٌ من الُحسْنِ جُنّتِ[7]

---

(١) ط فقط : « شياطين » . والبيتان من قصيدة له يهجو بها الحكم الخضرى . انظر الأغانى (٢ : ١٠١) وثمار القلوب ص ٥٦ .

(٢) حاكت من الحوك ، أو من المحاكاة . وفى الأصل : « وحكت » ل : « لهم مما أقول قصيدة * تعالا » ، وجه هذه : « تعالى » . والصهب : جمع أصهب وصهباء ، وهو من الإبل ما كان باطن شعره أسود وظاهره أحمر . والجون ، بالضم : جمع جون بالفتح ، وهو الذى يخالط سواده حمرة .

(٣) يوهم أن القائل ابن ميادة . والبيت من أبيات سبعة فى ديوان حسان ٤١٣ — ٤١٤ . وقد سبق فى (٣ : ١٠٨) نسبتها إلى حسان ، أو ابنه عبد الرحمن ابن حسان .

(٤) يعاص ، من المعاصاة ، وهى العصيان . هـ : « يعاس » ط ، س : « يماض » صوابهما فى ل . وقد سبق الكلام على البيت فى (٣ : ١٠٦) .

(٥) هو المتبى ، وقد اختار ابن الشجرى هـذا البيت مع بيت سابق له ، فى موضعين من حماسته ، هما ص ١٨٤ ، ٢٤٥ . والبيت الأول :

لمـا رأتنى هند قاصرا بصرى عنها وفى الطرف عن أمثالها زور

والبيت بدون نسبة فى البيان (٣ : ١٨٣) . وانظر الاستدراكات .

(٦) كلمة : « حيث يقول » ليست فى ل . والبيت للشنفرى ، كما سبق فى (٣ : ١٠٨) . وانظر المفضليات ١٠٩ .

(٧) فيما عدا ل : « دقت » بالخرم . و : « اسبطرت » بالطاء ، وهما بمعنى . وفى ط ، س : « وأكلمت » محرفة . وهذا البيت والسطر الذى قبله ساقط من س .

وما أحسن ماقال الآخر (١) :

[حمراء تامِكَةَ السَّنام كأنَّها ... جَملٌ بهودج أهلِه مظعونُ (٢)]

جادَتْ بها عند الغداةِ يمينُه ... كِلتا يَدَىْ عَمْرو الغَداةَ يمينُ (٣)

ما إنْ يجُودُ بمثلها فى مثلها ... إلاّ كريمُ الخِيمِ أو مجنونُ (٤)

وقال الُجمَيح (٥) :

لو أنَّنى لم أنَلْ مِنكم مُعاقَبةً ... إلاّ السِّنَان لذاقَ الموتَ مظْعونُ (٦)

أَوْ لاختطبتُ فإنى قد هَممتُ به ... بالسَّيْفِ إنّ خطِيبَ السَّيف مجنونُ (٧)

---

(١) ط ، هـ : « وما أحسن ما قال الشاعر حيث يقول » ، وفى س : « وما أحسن قول الآخر » ، وأثبت ما فى ل .

(٢) سبق شرحه فى (٣ : ١٠٧) . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « بهودج أهلها » صوابه بما سبق .

(٣) ل : « بها عمر الغداة » و : « يدى عمر » محرفان . وسبق فى (٣ : ٢٠٧) « بها يوم الوداع » .

(٤) ل : « بمثله فى مثله » محرفة . وفى ط ، هـ : « بمثلها فى مثله » ، وأثبت ما فى س . وفى الصناعتين ٣٥٧ : « ما كان يعطى مثلها فى مثله » .

(٥) الجميح ، بالتصغير : لقب له . واسمه منقذ بن الطماح بن قيس بن طريف ابن عمرو بن قعين بن طريف بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، أحد فرسان الجاهلية يوم جبلة ، وفيه قتل . وأبوه الطماح صاحب امرئ القيس . انظر معجم المرزبانى ٤٠٣ واللآلى ٨٩٥ والمفضليات الخمس ٢٨ . فيما عدا ل : « وقال الجمحى » . على أن البيتين رويا فى (٣ : ١٠٧) منسوبين إلى ابن الطثرية .

(٦) فى ط زيادة واو فى أول البيت . ط : « بذات الموت » هـ : « يذاق » س : « بذان » صوابه فى ل . وفى الأصل : « مطعون » بالطاء المهملة . محرف .

(٧) فى اللسان : « الجوهرى : خطبت على المنبر خطبة ، بالضم . وخطبت المرأة خطبة بالكسر . واختطب فيهما » ، أى يقال خطب واختطب فى المعنيين . ل : « لا ستمت » ط : « لا خطبت » س : « لا حتطفت » هـ : « لاختطفت » تحريفات ، صوابها ما أثبت .

وأنشد[1] :

هُمُ أَحْمَوا حِمى الوَقَبى بضربٍ ... يؤلفُ بَيْنَ أشتاتِ المنُونِ[2]

فنَكَّبَ عنهم دَرءَ الأعادى ... ودَاوَوْا بالجُنون من الجُنونِ[3]

وأنشدنى جعفر بن سعيد[4] :

إنَّ الجنونَ سِهامٌ بين أربعةٍ ... الرِّيحِ والبَحْرِ والإنسانِ والجَمَلِ[5]

وأنشدنى أيضاً :

٧٧ احْذَر مغايِظ أقوام ذَوى حَسَب ... إنّ المغيظ جَهولُ السَّيف مجنون[6]

وأنشدنى أبو تمام الطائىّ[7] :

منْ كلِّ أصلَعَ قد مالَتْ عِمامتُه ... كأنّه من حِذار الضّيم مجنون

وقال القطامىّ :

يَتْبَعْنَ سَامِيةَ العَينَين تَحْسَبُها ... مجنُونةً أو تُرَى مالا تُرَى الإبلُ[8]

---

(١) القائل هو أبو الغول الطهوى كما سبق فى الحيوان (٣ : ١٠٦) وكما فى أمالى القالى (١ : ٢٦٠) والحماسة (١ : ٧) ومعجم البلدان (رسم الوقبى) . ويروى الشعر لأبى الغول النهشلى كما فى الشعراء ٣٩٥ .

(٢) أحميت المكان : جعلته حمى . ل : « هم منعوا » ، وهى الرواية فى سائر المصادر . وفيما عدا ل : « حمى الرقبى » محرف .

(٣) نكب : نحى ، وضمير الفعل عائد إلى الضرب فى البيت السابق . والدرء : أصله الدفع ، ثم استعمل فى الخلاف ، لأن المختلفين يدافعان . انظر شرح التبريزى للحماسة .

(٤) انظر له (٣ : ٤٦٩) . فيما عدا ل : « وأنشد جعفر بن سعيد » .

(٥) السهام : جمع سهم ، وهو هنا النصيب والحظ .

(٦) فيما عدا ل : « مغائظ » بالهمزة ، وهو خطأ ، إذ لا يقلب من ذلك إلى الهمز إلا ما كانت ياؤه زائدة ، كصحيفة وصحائف .

(٧) البيت للأشهب بن رميلة كما سبق فى (٣ : ١٠٥ - ١٠٦) .

(٨) سامية : عالية . يقول : كأنها ترى شيئا لا تراه الإبل فتفزع منه من نشاطها . والبيت فى ديوان القطامى ص ٤ .

وقال فى المعنى الأوّل الزَّفَيانُ العُوافىّ(١) :

أنا العُوَافِىُّ فمَنْ عادانى   أذقتُه بوادِرَ الهوان(٢)

* حتّى تَرَاهُ مُطرِقَ الشَّيطانِ(٣) *

وقال مرْوانُ بن محمد(٤) :

وإذا تجنَّنَ شاعرٌ أو مُفْحَمٌ   أَسعطْتُه بمرارة الشيطانِ(٥)

وقال ابن مُقْبِل :

وعِنْدِى الدُّهَيم لو أَحُلَّ عِقالهاَ   فتُصْعِدُ لمتَعْدَم من الجنِّ حادِيا(٦)

وقد صغَّر(٧) « الدُّهَيم » ليس على التحقير ، ولكن هذا مثل قولهم : « دبَّت إليهم دُوَيهيَة الدهر » .

(أحاديث الفلاة)

[و] قال أبو إسحاق : وأما قول ذى الرُّمَّة :

---

(١) الزفيان ، سبقت ترجمته فى (٢ : ١٥) وهذا الجزء ص ١٧٥ . ط : « الرقيان » هـ : « الوقبان » س : « الرقبانى » والصواب فى ل .

(٢) ط ، هـ : « أذيقه » .

(٣) هـ : « مطوق الشيطان » محرف . وبعده فى ثمار القلوب ٥٦ :

علمنى الشعر معلمان

قال الثعالبى : « يعنى معلما من الإنس ومعلما من الجن » .

(٤) هو الشاعر المعروف بأبى الشمقمق ، المترجم فى (١ : ٢٢٥) .

(٥) المفحم : الذى لا يقول الشعر . فيما عدا ل : « مقحم » بالقاف ، تحريف .

(٦) فى اللسان : « أصعد فى العدو : اشتد » وفى العمدة (٢ : ١٣٦) : « فتصبح » محرفة . قال ابن رشيق : « شبه القصيدة التى لو شاء هجاهم بها بالدهيم ، وهى الداهية . وأصل ذلك أن الدهيم ناقة عمرو بن زبان الذهلى التى حملت رءوس بنيه معلقة فى عنقها فجاءت بها الحى ، فضرب بها المثل للداهية » . وانظر الميدانى فى : (أثقل من حمل الدهيم) و : (أشأم من خوتعة) وثمار القلوب ٢٨٣ . والقافية فيما عدا ل : « خازنا » تحريف . والبيت من أبيات على الياء آخر الحروف ، رواها ابن رشيق فى العمدة .

(٧) ل : « قال » . وكلمة : « هذا » التالية ساقطة من ل .

إذا حَشُهُنَّ الرَّكبُ فى مُدْلِهِمَّة أحاديثها مثلُ اصطِخاب الضَّرائرِ[1]

قال أبو إسحاق : يكون[2] فى النّهار ساعات ترى الشّخص الصَّغيرَ فى تلك المهامِهِ عظيماً ، ويُوجَد الصَّوت الخافضُ رَفيعاً ، ويُسمع الصَّوتَ الذى ليس بالرَّفيع[3] مع[4] انبساط الشّمس غدوة من المكان البعيد ؛ ويُوجَد لأوساط الفَيافى والقِفار والرِّمال والحِرار ، فى أنصاف النّهار ، مثلُ الدّوىّ ؛ من طبع ذلك الوقت وذلك المكان ، عند ما يعرض له . ولذلك قال ذو الرُّمَّة :

إذا قال حادينا لتَشْبِيهِ نَبأةٍ صَهٍ لم يكُنْ إلا دوىٌّ المسامع[5]

قالوا : وبالدَّوىّ سمِّيت دَوِّيّه وداوية ، وبه سمِّى الدوّ دَوًّا[6] .

(تعليل ما يتخيله الأعراب من عزيف الجنان وتغوُّل الغيلان)

وكان أبو إسحاق يقول فى الذى تذكر الأعرابُ من عزيف الجنان ،

---

(١) المدلهمة : المفازة لا أعلام بها . أحاديثها : أى أحاديث ما بها من جن . وجواب « إذا » فى بيت بعده ، وهو كما فى الديوان ص ٢٩٦ :

تياسرن عن حذو الفراقد فى السرى ويسامن شيئا عن يمين المغاور

(٢) ل : « تكون » .

(٣) فيما عدا ل : « وتسمع الصوت الذى ليس بالرفيع رفيعا » .

(٤) فيما عدا ل : « من » .

(٥) النبأة ، بالفتح : الصوت الخفى . والتشبيه : الاشتباه والالتباس . وفى اللسان : « وأمور مشتبهة ومشبهة : مشكلة يشبه بعضها بعضا » . وفى حديث حذيفة فى الفتنة : « تشبه مقبلة وتبين مدبرة » . وصه : اسم فعل بمعنى اسكت . ط ، ه : « صدى » س : « صد » ، صوابهما ما أثبت من ل واللسان (١٧ : ٤٠٦) .

(٦) الداوية ، تقال بتشديد الياء وتخفيفها . وانظر نقد ابن برى لكلام الجاحظ فى اللسان (١٨ : ٣٠٤) . ويرد قول ابن برى أن الجاحظ لم يرد الاشتقاق =

وتغوُّل الغيلان[١] : أصلُ هذا الأمر وابتداؤُه ، أنّ القوم لمّا نزلوا بلاد الوَحْش[٢] ، عملتْ فيهم الوَحْشة[٣] . ومن انفردَ وطال مُقامُه فى البلاد والخلاء[٤] ، والبعد من الإنس — استوحَش[٥] . ولا سيَّما مع قلة الأشغال[٦] والمذاكرين .

٧٨

والوَحدة لا تقطع أيامهم إلا بالُمنى أو بالتفكير[٧] . والفكرُ ربما كان من أسباب الوَسوَسة . وقد ابتلى بذلك غيرُ حاسب[٨] ، كأبى يَس[٩] ، ومُثَنًّى ولد القُنافر[١٠] .

وخبَّرنى الأعمش أنه فكَّر فى مسألة ، فأنكر أهله عقله ، حتى حَمَوه وداووه .

= الصرف البحت ، وإنما أراد ما يسمونه الاشتقاق اللغوى ، الذى يرجع مفردات المادة إلى مورد واحد من المعانى .

(١) زيد فى ل بعد هذه الكلمة لفظ : « قال » ، وفى س : « فإن » .

(٢) فيما عدا ل : « ببلاد الوحش » .

(٣) الوحشة ، بالفتح : الفرق والخوف من الخلوة والهم . ل : « الوحشية » محرفة .

(٤) البلد من الأرض : ما كان مأوى الحيوان وإن لم يكن فيه بناء ، وفى الحديث : « إنى أعوذ بك من ساكن البلد » . ل : « فى بلاد الخلاء » محرف .

(٥) استوحش : لحقته الوحشة والخوف والهم .

(٦) ط ، هـ « الاشتغال » .

(٧) ل · « أيامها » ، وفى س : « إلا بالمنى والتفكير » .

(٨) ل : « حاسد » محرفة .

(٩) أبو يس الحاسب ذكره فى البيان (٢ : ٢٢٥) فى جماعة المجانين والموسوسين وقال فى (٢ : ٢٢٨) : « وأما أبو يس الحاسب فإن عقله ذهب بسبب تفكره فى مسألة ، فلما جن كان يهذى أنه سيصير ملكا . . . وكان أبو نواس والرقاشى يقولان على لسانه أشعارا على مذاهب أشعار ابن عقب الليثى ، ويرويانها أبا يس إذا حفظها لم يشك أنه هو الذى قالها » . وأنشد الجاحظ شعرا لأبى نواس مما صنعه لأبى يس . ط ، هـ : « كأبى ياسر » وفى س : « كأبى ياسير » محرفتان . وكلمة « يس » رسمت فى ل كاملة هكذا « ياسين » .

(١٠) القنافر : بالضم : معناه القصير . ط ، س : « الفنافر » بفاء فى أوله . ل : =

وقد عرض ذلك لكثير من الهند .

وإذا استوحشَ الإنسانُ تمثّل[1] له الشّيء الصغيرُ في صورة الكبير ، وارتاب ، وتفرَّق ذهنُه ، وانتقضت أخلاطُه ، فرأى مالا يُرى ، وسمع مالا يُسمع[2] ، وتوهم على الشيء اليسير[3] الحقير ، أنه عظيمٌ جليل .

ثمَّ جعلوا ما تصوَّر لهم من ذلك شعرا تناشدوه[4] ، وأحاديث توارثوها فازدادوا بذلك إيماناً ، ونشأ عليه الناشئ ، ورُبِّي به الطِّفل ، فصار أحدهم حين[5] يتوسَّط الفيافِيَ ، وتشتملُ عليه الغيطان في اللَّيالي الحنادس — فعند أوَّل وحْشةٍ وفزْعة[6] ، وعند صياح بوم ومجاوَبة صدًى[7] ، وقد[8] رأى كلَّ باطل ، وتوهَّم كلَّ زُور ، وربما كان في أصل الخلْق والطبيعة[9] كذّاباً نفّاجاً[10] ، وصاحبَ تشنيعٍ وتهويل ، فيقولُ في ذلك من الشِّعر على حسب هذه الصِّفة ، فعند ذلك يقول : رأيتُ الغيلان ! وكلّمت السِّعلاة !

= « القنافذ » ه : « القنافد » . وفي ل : « وشى » بدل : « ومشى » و « وأبى » بدل : « ولد » .

(١) فيما عدا ل : « مثل » .

(٢) فيما عدا ل : « فيرى مالا يرى ويسمع مالا يسمع » .

(٣) كذا وردت : « على » في جميع النسخ . والمستعمل : « في » . فيما عدا ط : « ويتوهم على الشيء الصغير » مع سقوط كلمة : « الشيء » من س فقط .

(٤) ل : « فتناشدوه » ، س : « فأنشدوه » .

(٥) كلمة : « حين » ليست في س .

(٦) فيما عدا ل : « أو فزعة » .

(٧) الصدى ، يكون الذكر من البوم ، ويكون رجع الصوت . وكلا المعنيين محتمل . ل : « صداه » ، وفيما عدا ل : « صداً » محرف .

(٨) ل : « قد » بدون واو .

(٩) ط : « في الجنس وأصل الطبيعة » ، ه : « في أصل الطبيعة » فقط . س : « في أصل الجنس والطبيعة » ، وأثبت ما في ل .

(١٠) النفاج : الذي يفخر بما ليس عنده . ط ، س : « نفاجا كذابا » محرفة . وقد سقطت كلمة : « نفاجا » من ه . وأثبت الصواب من ل .

ثمَّ يتجاوز ذلك إلى أن يقول قتلتها ، ثمَّ يتجاوزُ ذلك إلى أن يقول : رافَقتها ! ثمَّ يتجاوز ذلك إلى أن يقول : تزوَّجتها ! !

قال عُبيد بن أيُّوب :

فلله دَرُّ الغُولِ أىُّ رَفيقةٍ   لصاحبِ قفْرٍ خائفٍ متقتِّرِ [1]

وقال :

أهذا خَليلُ الغولِ والذئبِ والذى   يهيمُ بربَّاتِ الحِجالِ الهَرَا كِلِ [2]

وقال [3] :

أَخُو قَفَرَاتٍ حَالَفَ الجنّ وانتَفَى   مِنَ الإنْسِ حَتَّى قدتقضّت وسائلُه [4]

له نَسَبُ الإنْسىِّ يُعْرَفُ نجله   وللجنِّ منهُ خَلْقُه وشمائله [5]

وممَّا زادهم فى هذا الباب ، وأغراهم به ، ومدَّ لهم فيه ، أنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وبهذه الأخبار إلا أعرابيًّا مثلهم ، وإلا عَامِّيًّا [6] لم يأخُذْ نفسه قط بتمييز ما يستوجب [7] التّكذيب والتّصديق ، أو الشّكّ ، ولم يسلُك سبيلَ التوقف والتثبُّت فى هذه الأجناس قطّ . وإمَّا أن يَلقوْا رَاوِيَةَ شعر ،

---

(١) سبق شرحه فى ص ١٦٥ . فيما عدا ل : « متنفر » ، تحريف .

(٢) الهراكل : جمع هركلة بالفتح ، وكعلبطة وسبحلة ، وهى الحسنة الجسم ، أو العظيمة الوركين . وقد سبق البيت برواية : « الكواهل » فى ص ١٦٧ . ط ، هـ : « أهذا رفيق » . وما أثبت من ل ، س يطابق ما سلف فى ص ١٦٧ .

(٣) فيما عدا ل : « وقال آخر » وهو خطأ ، إذ أن البيتين لعبيد نفسه ، كما سبق فى ٢٣٥ .

(٤) ل : « أخا قفرات » .

(٥) انظر ما كتبت فى هذا البيت وسابقه ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٦) فيما عدا ل : « غبيا » ، وما أثبت من ل أقرب إلى لغة الجاحظ . وانظر الحاشية الأولى من تقديم مكتبة الجاحظ ص ٨ .

(٧) فيما عدا ل : « لتمييز ما يوجب » . وإنما يقال أخذ نفسه بالشىء .

أو صاحب خبَر ، فالرَّاوِية[1] كلّما كان الأعرابىُّ أكذبَ فى شعره كان أطْرَف عِنْده[2] ، وصارت روايتُه أغلبَ ، ومضاحيكُ حديثه أكثر[3]

٧٩ فلذلك صار بعضهم يدّعى رؤية الغُول ، أو قتلها ، أو مرافقتها ، أو تزويجها ؛ وآخرُ يزعم أنّه رافقَ فى مفازةٍ نمراً ، فكان يطاعمُه ويؤاكله[4] فمن هؤلاء خاصّة القَتّال الكِلابى[5] ؛ فإنّه الذى يقول :

أيرسِلُ مَرْوانُ الأميرُ رسالة   لِآتِيَهُ إنى إذاً لَمَضَلَّلُ[6]

وما بى عِصْيَانٌ ولا بُعْدُ منزل   ولكنّنى من خَوْف مَرْوانَ أوجلُ[7]

---

(١) فيما عدا ل : « فالرواية عندهم » ، لكن فى هـ : « فالرواية » وهذه محرفة . وكلمة : « عندهم » مقحمة .

(٢) أطرف : من الطرافة . فيما عدا ل : « أطرف عندهم » بالمعجمة .

(٣) انظر لتحقيق كلمة : « مضاحيك » ما سبق فى التنبيه ٦ ص ١٥ .

(٤) ل ، س : « ويواكله » وإبدال الهمزة واوا فيه لغة عامية ، أو ضعيفة . انظر أدب الكاتب ٢٧٠ وبحر العوام ١٠٢ . وفى اللسان (١٣ : ٢٠) : « ولا تقل واكلته بالواو » . وفيه أيضا : « وآكل الرجل وواكله أكل معه ، الأخيرة على البدل » .

(٥) القتال : لقب غلب عليه لتمرده وفتكه ، واسمه عبد الله بن مجيب بن المضرحى ابن عامر الهصان بن كعب بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان من خبره أن ابن هبار القرشى خرج فى تجارة فاعترضه جماعة فيهم القتال الكلابى فقتلوه وأخذوا ماله ، وشاع خبره ، فاتهم جماعة من بنى كلاب وغيرهم من فتاك العرب ، فأخذوا وحبسوا ، أخذهم عامل مروان بن الحكم فوجههم إليه وهو بالمدينة ، فحبسهم ليبحث عن الأمر ، ولكنه تمكن هو ومن كان معه فى السجن من الهرب . انظر المؤتلف ١٦٧ والأغانى (٢ : ١٥٨ — ١٦٦) . وقد نسب الشعر للعباس بن مرداس فى حماسة البحترى ١٤ ، ولقران بن يسار فى المحبر ٢١٦ — ٢١٧ .

(٦) مروان ، هو الخليفة الأموى ، مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس والد عبد الملك بن مروان . ولى الخلافة سنة ٦٤ وتوفى سنة ٦٥ وله إحدى وستون سنة . انظر التنبيه والإشراف ٢٦٦ . وفى الشعراء ٦٨٧ : « أيرسل مرداس الأمير » إنما هو « مروان » كما فى الحاشية السابقة .

(٧) فيما عدا ل : « بعد منهل » . وفى معجم البلدان : « بعد مزحل » و : « من سجن مروان » . وهذا البيت هو والأبيات ٧ — ٩ لم يروها ابن قتيبة . وروى أبو الفرج الأبيات ٤ ، ٩ ، ٥ ، ٨ ، ٦ ، ٧ فقط على هذا الترتيب . وروى ياقوت بعض الأبيات فى (١ : ١٥٧ / ٦ : ٢١٩ ، ٢٣٢) .

وفى باحة العَنْقاء أو فى عَمايةٍ أو الأُدَمى من رَهْبةِ الموتِ موْئلُ (١)

ولى صاحبٌ فى الغارِ هَدَّكَ صاحباً هُو الجَوْن إلّا أنه لا يعلّلُ (٢)

إذا ما التقَينا كان جُلّ حديثِنا صُماتٌ وطرْفٌ كالمَعَابلِ أطْحَلُ (٣)

تَضَمَّنَتِ الأرْوَى لنا بطعامِنا كِلانا له منها نَصيبٌ ومأكلُ (٤)

فأغلِبُه فى صَنْعــة الزّادِ إنّنى أُميطُ الأذى عنه ولا يتأمّلُ (٥)

---

(١) الباحة : الساحة . فيما عدا ل : « ساحة » . ورواية الشعراء هى رواية ل . والعنقاء وعماية والأدمى : مواضع . والأدمى بضم أوله وفتح ثانيه مقصور . ل : « الأدما » وفيما عدا ل : الأودما » ، محرف صوابه فى الشعراء ومعجم البلدان .

(٢) تقول : مررت برجل هدك من رجل ، وبامرأة هدتك من امرأة ، كما تقول : كفاك وكفتك . ل : « يعدل صاحبه » . ورواية الأغانى : « يعدل صاحبا أبا الجون » ، وقال : « أبو الجون صديق له كان يأنس به فشبهه به . وفى رواية عمر بن شبة : أخى الجون ؛ فإن القتال كان له أخ اسمه الجون فشبهه به » . وصاحبه الذى عناه ، هو النمر كما ذكر الجاحظ وأبو الفرج وياقوت ، لا الذئب كما روى صاحب اللسان (٤ : ٤٤) . وفى اللسان (جون) : « وأبو الجون : كنية النمر » . وأنشد البيت .

(٣) الصمات ، بالضم : الصمت . وفى الأغانى : « كان أنس حديثنا صمات » ، وفى البلدان : « كان أنس حديثنا سكوت » . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « صهاب » وفى ط ، هـ : « صماتا » . وفى س : « صمانا » وأثبت ما فى الشعراء . والمعابل : جمع معبلة ، وهى النصل الطويل العريض . والأطحل : ما لونه الطحلة ؛ وهو لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل . وفيما عدا ل : « أكحل » والكحل ، بالتحريك : سواد فى أجفان العين خلقة . وكلمة : « جل » تقرأ بالنصب على أنها خبر مقدم لكان ، وبالرفع على لغة من يرفع الاسمين بعد كان ، قال :

إذا مت كان الناس صنفان شامت وآخر مثن بالذى أنا صانع

(٤) الأروى : اسم جمع للأروية ، وهى أنثى الوعول . قال أبو الفرج : « كان النمر يصطاد الأروى فيجىء بما يصطاده فيلقيه بين يدى القتال ، فيأخذ منه ما يقوته ويلقى الباقى للنمر فيأكله » . تضمنت : تكفلت . فيما عدا ل : « تضمنت » ، صوابه فى ل والشعراء والأغانى . وفى الأغانى : « كلانا له منها سديف مخردل » . المخردل : المقطع .

(٥) أميط : أزيل : وفى الأغانى : « وما إن يهلل » ، قال أبو الفرج : « أى ما يسمى الله عند صيده » . وصدره فى الأغانى : « فأغلبه فى صنعة الود » محرف .

وكانتْ لنا قَلتٌ بأرضٍ مَضَلَّةٍ شريعتُنا لأيِّنا جاء أوَّلُ[1]

كلانا عدُوٌّ لو يرى فى عَدُوِّه مَحَزًّا وكلٌّ فى العداوةِ مُجْمِلُ[2]

وأنشد الأصمعىّ[3] :

ظلِلْنَا معاً جارَيْن نحترسُ الثَّأَى يُسَائِرُنى من نطفةٍ وأسائِرُهْ[4]

ذكر سبعاً ورجُلا ، قد ترافقا[5] ، فصار كلٌّ واحدٍ منهما يدَعُ فَضْلاً من سُؤره ليشرَبَ صاحبه . والثَّأَى : الفساد . وخبّر أنّ كلَّ واحد منهما يحترسُ من صاحبه[6] .

وقد يستقيمُ أن يكونَ شعر النابغة فى الحية ، وفى القتيلِ صاحب القَبْر ، وفى أخيه المصالح للحيةِ أن يكون إنما جعل ذلك مثلا . وقد أثبتناه فى باب الحيات[7] ، فلذلك[8] كرهنا إعادتَه فى هذا الموضع .

فأمّا جميعُ ما ذكرناه عنهم فإنما يخبرون عنه من جهة المعاينَة والتّحقيق ، وإنما المثل فى هذا مثل قوله :

---

(١) القلت : النقرة فى الجبل تمسك الماء . ط ، هـ : « طب » س : « قلب » صوابهما فى ل . وأرض مضلة بفتحتين وبفتح فكسر : يضل فيها ولا يهتدى فيها الطريق . قال أبو الفرج : « كان القتال إذا ورد الماء قام عليه النمر حتى يشرب ثم يتنحى عنه ويرد النمر ، فيقوم عليه القتال حتى يشرب » . ط ، هـ : « لأى من » س : « لا ينأ » ، صوابهما فى ل والأغانى والبلدان .

(٢) المجمل : المتئد المعتدل لا يفرط . فيما عدا ل : « محمل » محرف .

(٣) نسب القالى البيت فى (١ : ٢٣٦) إلى الغنوى .

(٤) يسائرنى ، من السؤر ، وهى بقية الشراب . والنطفة : الماء الصافى ، أو قليل ماء يبقى فى دلو أو قربة . أى يرد قبلى فيشرب فيبقى لى ، وأرد قبله فأبقى له . ل : « يسايرنا من نطفة ونسايره » ، وفيما عدا ل : « يشاربنى من فضلة وأشاربه » . صوابهما ما أثبت من الأمالى .

(٥) ط ، هـ : « توافقا » .

(٦) قد عدى « احترس » فى البيت بغير الحرف ، والمعروف تعديته به .

(٧) انظر الجزء الرابع ص ٢٠٣ — ٢٠٥ .

(٨) س : « ولذلك » .

قد كان شيطانك منْ خُطّابها وكان شيطانِىَ مِنْ طُلاَّبِها

* حيناً فلمَّا اعترَكا ألْوَى بها *

(الاشتباه فى الأصوات)

والإنسان يجوع فيسمع فى أذنه مثل الدوىّ[1] . وقال الشاعر :

دوىّ الفَيَافى رَابَه فكأنّه أَمِيمٌ وسارِى اللَّيلِ للضُّرِّ مُعْوِرُ[2]

مُعْوِر : أى مُصْحِر[3] .

وربما قال الغلام لمولاه : [أ] دعوتنى ؟ فيقول [له] : لا . وإنما اعترى مسامعه ذلك لعرضٍ ، لا أنّه سمِع صوتا[4] . ٨٠

ومن هذا الباب قول تأبَّط شرًّا ، أو قول قائل فيه[5] فى كلمة له :

---

(١) فيما عدا ل : « كالدوى » .

(٢) الأميم : الذى أصيب فى أم رأسه . معور ، هو من أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب . أراد أنه معرض للضرر . ل ، هـ : « القوافى » س : « الفوافى » صوابهما فى ط . وفيما عدا ط : « راسه » بدل : « رابه » تحريف . وفيما عدا ل : « للضوء يعود » محرف .

(٣) مصحر : منكشف ، من قولهم أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء ، أو برز إلى فضاء لا يواريه فيه شىء . و « معور » ساقطة من ل . وهى فى الأصل : « يعود » محرفة . وفيما عدا ل : « أى يضجر » ، تحريف .

(٤) إلى هنا ينتهى المجلد الخامس من نسخة كوبريلى المشار إليها بالرمز « ل » . وكتب فى آخره « آخر الجزء الخامس ، يتلوه إن شاء الله : ومن هذا الباب قول تأبط شرا أو قول قائل فيه كلمة له . والحمد لله وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وسلم » . ومن هنا إلى نهاية هذا الجزء تقتصر المقابلة على الشنقيطية ونسخة دار الكتب الأزهرية .

(٥) فيما عدا ل : « أو قول القائل » فقط . والذى تنسب إليه هذه الأبيات أيضا هو السليك بن السلكة أحد غرابيب العرب . انظر التيجان ٢٤٢ . وجاءت الأبيات منسوبة إلى تأبط شرا فى الحماسة (١ : ٢٢ - ٢٣) وأمالى القالى (٢ : ١٣٨) وزهر الآداب (٢ : ١٨) والصناعتين ٢٨٩ .

يَظَلُّ بمَوْماةٍ ويُمسِى بقَفْرَةٍ جَحِيشاً ويَعرَوْرِى ظهورَ المهالِكِ[١]

ويَسْبِقُ وفْدَ الرِّيحِ من حَيث ينْتحِى
بمنخَرِقٍ من شَدِّهِ المتدارِكِ[٢]

إذا خاطَ عينَيه كَرى النَّوم لم يزَلْ له كالىءٌ من قَلبِ شَيْحانَ فاتكِ[٣]

ويجعلُ عينَيه رَبيئةَ قلبهِ إلى سَلَّةٍ من حَدِّ أخْضَرَ باتكِ[٤]

إذا هزَّه فى عَظم قِرْنٍ تَهلَّتْ نواجذُ أفواهِ المنايا الضَّواحكِ[٥]

يَرى الإنس وحْشيَّ الفَلاة ويهتدى
بحيث اهتدتْ أمُّ النجومِ الشَّوابكِ[٦]

(نزول العرب بلاد الوحش والحشرات والسباع)

ويدلُّ على ما قال أبو إسحاق ، من نزولهم فى بلاد الوحْش[٧]

---

(١) الجحيش : المنفرد المتنحى عن الناس . يعرورى : يركب : من قولهم اعرورى فرسه : ركبه عريا .

(٢) وفد الريح : أولها . ينتحى : يعتمد . المنخرق : السريع . الشد : العدو . المتدارك : المتلاحق .

(٣) فى الحماسة والصناعتين : « وحاص » . وحاص وخاط بمعنى . والكالىء : الحافظ . والشيحان : الجاد فى كل أمر . وفى الأصل : « شبحان » بالموحدة ، تحريف .

(٤) الربيئة : الرقيب . والسلة : المرة من سل السيف . أخضر ، كذا جاءت روايته فى الأصل والتيجان ، والعرب تجعل الحديد أخضر . انظر الحيوان (٣ : ٢٤٦) واللسان (٥ : ٣٢٨) . وفى الحماسة : « من حد أخلق صائك » ، وفى الأمالى والصناعتين : « من صارم الغرب باتك » ، وفى الزهر : « من صارم العزم فاتك » .

(٥) القرن ، بالكسر : كفؤك ونظيرك . تهللت : تلألأت وأشرقت . ط ، س : « تذللت » ، ه : « تدللت » ، صوابهما فى سائر المصادر .

(٦) فى الحماسة والأمالى وزهر الآداب وثمار القلوب ٢٠٤ والصناعتين ٣١٠ : « يرى الوحشة الأنس الأنيس » . وأم النجوم : المجرة لأنها مجتمع النجوم ، وقيل الشمس . والمعنى أنه لا يضل فى قصده كما لا تضل المجرة . والكلام بعد هذا البيت إلى نهاية البيت الأخير من المقطوعة التالية ، موقعه فى س بعد كلمة : « لا يقيم نسبه » فى ص ٢٥٩ .

وبينَ الحشَراتِ والسِّباع، ما رواه لنا أبو مُسْهِرٍ(١)، عن أعرابيٍّ من بنى تميم، نزل ناحيةَ الشَّام، فكان لا يَعْدِمُهُ فى كلِّ ليلة(٢) أن يعضه أو يعضَّ ولدَه(٣) أو يعضَ حاشيته سبعٌ من السباع، أو دابّةٌ من دوابِّ الأرض، فقال:

تعاوَرَنى دَينٌ وذُلٌّ وغُربةٌ ... ومَزّقَ جلدى نابُ سَبْعٍ ومِخْلبُ

وفى الأرض أحناشٌ وسَبْعٌ وحاربٌ ... ونحن أُسارَى وَسْطَهَا نتقلبُ(٤)

رُتَيْلاَ وطَبُّوعٌ وشِبْثان ظُلْمةٍ ... وأرقَطُ حُرْقُوصٌ وضَمْجٌ وعَقْربُ(٥)

ونمل كأشخاصِ الخنافس قُطَّبٌ ... وأرْسالُ جِعلانٍ وهَزْلى تَسَرَّبُ(٦)

وعُثٌّ وحُفّاثٌ وضَبٌّ وعِرِبدٌ ... وذَرٌّ ودَحّاس وفَارٌ وعَقْربُ

وهِرٌّ وظِرْبانٌ وسِمْعٌ ودَوْبَلٌ ... وثُرْمُلَةٌ تجرِى وسِيدٌ وثَعلبُ(٧)

---

(١) سبقت ترجمته فى (٥ : ١٦٦).

(٢) لا يعدمه : لا يعدوه. وكلمة : «فى» ليست فى س.

(٣) ط، هـ : «أو بعض ولده».

(٤) الحارب : المشلح، وهو الذى يقطع الطريق ويعرى الناس ثيابهم.

(٥) الشبثان بالكسر : جمع شبث بالتحريك. انظر ص ٢١. وفى الأصل : «شبتان» بالتاء المثناة، محرف. والضمج، سبق الكلام عليه فى ص ٢٢. وفى الأصل : «صمخ» محرف.

(٦) الأرسال : الجماعات، يقال : جاءت الخيل أرسالا، أى قطيعا قطيعا. والجعلان، بالكسر : جمع جعل. والهزلى : الحيات. وفى اللسان : «الأزهرى : العرب تقول للحيات الهزلى، على فعلى، جاء فى أشعارهم، لا يعرف لها واحد. قال :

وأرسال شبثان وهزلى تسرب

وفى الأصل : «هزل»، صوابه ما أثبت. وفى هـ : «يسرب» محرف.

(٧) الدوبل، بفتح الدال المهملة : الذئب الخبيث، وذكر الخنازير. وبه لقب الأخطل دوبلا، وفيه يقول جرير :

بكى دوبل لا يرقئ الله دمعه ... ألا إنما يبكى من الذل دوبل

وفى الأصل : «ذوبل» بالمعجمة، تحريف. والثرملة، بضم الثاء المثلثة والميم : من أسماء الثعالب. وفى الأصل : «ترملة» محرفة. والسيد، بالكسر : الذئب.

ونمر وفَهْدٌ ثُم ضبعٌ وجَيْأَلٌ وليثٌ يجُوس الأَلف لا يتهيّبُ[١]

ولم أَرَ آرى حيثَ أسمعُ ذِكرَه ولا الدُّبَّ إنّ الدُّبَّ لا يتنسَّبُ

فأما الرُّتيلا والطَّبُّوع ، والشَّبَث[٢] ، والحُرقوص[٣] ، والضّمجُ[٤] ، والعنكبوت ، والخُنفساء ، والجُعَل ، والعُثّ ، والحُفَّاث[٥] ، والدّحّاس[٦] والظّرِبان ، والذِّئب ، والثَّعلب ، والنمر ، والفَهْد ، والضّبع ، والأسد — فسنقول[٧] في ذلك إذا صرنا إلى ذكر هذه الأبواب ، وقبل ذلك عند ذِكر الحشرات[٨] . فأما الضّبُّ والورَلُ ، والعقرب ، والجُعَل ، والخنفساء ، والسِّمْع — فقد ذكرنا ذلك[٩] في أوّل الكتاب . وأما قوله : « وهَزْلى تسرب[١٠] » فالهزْلَى[١١] هي الحيات ، كما قال جَرير :

---

(١) جيأل ، معرفة بغير ألف ولام ، وقال كراع : هي الجيأل ؛ فأدخل الألف واللام : اسم للضبع . وفي الأصل : « حنبل » ولا وجه له . يجوس ، قال الأصمعي : تركت فلانا يجوس بني فلان ويحوسهم ، أي يدوسهم ويطلب فيهم . هـ : « بحوس » ، محرفة .

(٢) في الأصل : « والشبت » ، بتاء مثناة في آخره ، تحريف .

(٣) الحرقوص ، بالضم : دويبة سوداء مثل البرغوث أو فوقه .

(٤) انظر الضمج ما سبق في ص ٢٢ . وفي س : « والصمخ » ، وفي ط ، هـ : « وذر الصمخ » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) الحفاث ، بضم الحاء المهملة وتشديد الفاء ، حية سبق الكلام عليها في (٤ : ١٨٤ / ٦ : ٢٠) . ط : « الجفاث » س : « الخفات » هـ : « الخفاش » صوابها ما أثبت .

(٦) الدحاس ، ويسميها ابن سيده « الدحاسة » : دودة تحت التراب صفراء صافية ، لها رأس مشعب ، دقيقة ، تشدها الصبيان في الفخاخ لصيد العصافير .

(٧) ط : « وسنقول » محرفة . س : « فنقول » وأثبت ما في هـ .

(٨) ط ، هـ : « عند ذي الحشرات » ولعل الصواب ما أثبت . وفي س : « عند الحشرات » .

(٩) ط ، هـ : « فقد ذكرناها » .

(١٠) ط ، س : « وهزل تشرب » هـ : « وهزل تشرب » ، صوابهما ما أثبت .

(١١) جاءت على هذا الصواب في ط فقط . وفي س ، هـ : « فالهزل » .

٨١ * مَزَاحف هَزْلَى بينها متباعدُ[1] *

وكما قال الآخر[2] :

كأنَّ مَزَاحِفَ الهَزْلَى عليها خدودُ رصائعٍ جُدِلَتْ تُوَّامَا[3]

وأما قوله :

* ولم أر آوَى حيثُ أسمع ذِكرَه *

فإنّ ابنَ آوى لا ينزِلُ القفار ، وإنّما يكونُ حيث يكونُ الريف .

وينبغي أن يكون حيث قال هذا الشّعر توهَّم أنّه ببياض نجد .

وأمَّا قوله :

* ولا الدبَّ إنَّ الدبَّ لا يتنسَّبُ *

فإنّ الدبَّ عندهم عجميٌّ ، والعجميُّ لا يقيم نسبَه .

(مُلح ونوادر)

ورَوَوْا في المُلَح أنَّ فتًى قال لجارية له ، أو لصديقة له : ليس في الأرض أحسنُ منّي : ولا أملحُ منّي . فصار عندها كذلك[4] ، فبينا هو عِندها على

---

(١) صدره كما سبق في (٤ : ١٧٦) :

ومن ذات أصفاء سهوب كأنها

والبيت لم يرد في ديوان جرير . والذي في الجزء الرابع : « قال جرير أو غيره » وقد ورد البيت بدون نسبة في اللسان (١٩ ، ٢٠٦) وأوله : « ومن ذات أصواء » . والأصواء : الأحجار تجعل علامة في الطريق .

(٢) هو ثمامة الكلبي ، كما سبق في (٤ : ١٧٥) .

(٣) ﻫ : « الهذل » و « حدود » محرفتان . و « رصائع » هي في ط ، س : « رواضع » وفي ﻫ : « رضايع » صوابه ما أثبت . وفي الأصل أيضا : « خذلت » ، وإنما هي من الجدل ، كما سبق في (٤ : ١٧٥) .

(٤) هذه الجملة ساقطة من س . وهي في ط ، ﻫ : « فصارت عنده كذلك » والوجه ما أثبت .

هذه الصّفة إذْ قرع عليها البابَ إنسانٌ يريدُه ، فاطّلَعت عليه من خَرق الباب ، فرأت فتًى أحسنَ النّاس وأملحَهم ، وأنبلَهم وأتمّـهم ، فلمّا عاد صاحبُها إلى المنزل قالت له : أوَ ما أخبرتنى أنّكَ أملحُ الخلْقِ وأحسنُهم ؟ قال : بلى ! وكذلك أنا ! فقالت : فقد أرادك اليومَ فلانٌ ، ورأيتُه من خَرق الباب ، فرأيتُه أحسنَ منك وأملَح ! قال : لعَمْرى إنّه لَحَسنٌ مَليح ، ولكنّ له جنّيّة تصرعُه فى كلِّ شهرٍ مرّتين ! وهو يريدُ بذلك أن يسقطه من عينها — قالت : أوَ ما تصرعه فى الشّهر إلاّ مرّتين ؟ ! أمَا والله لو أنّى جنّيّة لصرعْتُه فى اليوم ألفَين !

وهذا يدلُّ على أنّ صرْع الشّيطان للإنسان ليس هو عند العوامِّ إلاّ على جهة ما يعرفون من الجماع .

ومن هذا الضَّرب من الحديث ما حدَّثنا به المازنىُّ ، قال : ابتاع فتًى صَلِفٌ بَذّاخ[1] جاريةً حسناءَ بديعةً ظريفة ، فلمّا وقع عليها قال لها مراراً : ويلكِ ، ما أوسَعَ حِرَك ! فلمّا أكثَرَ عليها قالت : أنت الفداءُ لمن كان يملؤُه !

فقد سمع هذا كما ترى من المكروه[2] مثلَ ما سمِع الأوّل .

وزعموا أنّ رجلاً نظرَ إلى امرأةٍ حسْناء ظريفةٍ ، فألّح عليها ، فقالت : ما تنظر ؟ قُرَّةَ عينِك ، وشىءُ غيرك !

---

(١) الصلف ، بفتح فكسر ، من الصلف ، وهو الغلو فى الظرف ، والزيادة على المقدار مع تكبر ، ومنه قولهم : « آفة الظرف الصلف » . وفى س : « صلت » ، تحريف . والبذاخ ، بفتح الباء وتشديد الذال المعجمة : المتطاول المتكبر الفخور . ط ، ه : «مداخ» س : « بداخ » صوابهما ما أثبت .

(٢) س : « فقد سمع هذا من المكاره » .

وزعم أبو الحسن المدائنى[1] أن رجلاً تبع جاريةً لقوم ، فراوغَتْه فلم ينقطع عنها ، فحثّتْ فى المشى فلم ينقطع عنها ، فلمّا جازَتْ بمجلس قومٍ قالت : يا هؤلاء ، لى طريقٌ ولهذا طريق ، ومولاىَ[2] ينيكنى ؛ فسَلُوا هذا ما يريدُ منى ؟

وزَعَم أيضاً[3] أن سياراً البرقىّ قال : مرّت بنا جاريةٌ ، فرأينا فيها الـكِبْرَ والتجبُّر ، فقال بعضنا : ينبغى أن يكون مولى هذه الجارية ينيكها ! قالت : كما يكون ! ٨٢

فلم أسمع بكلمة عامّية أشنع ولا أدلّ على ما أرادت ، ولا أقصَر — من كلمتها هذه .

وقد قال جحشويهِ[4] فى شعر شبيهاً بهذا القول ، حيث يقول[5] :

تواعدُنى لتنـكِحنى ثلاثاً ولـكن يا مَشُوم بأىِّ أيْرِ

فلو خَطِبَتْ فى صفة أيرٍ[6] خُطبةٌ أطوَلُ من خطبة قيس بن خارجة بن سنان فى شأن الحمالة[7] — لما بلغ مبلغَ [قول[8]] جحشويه : « ولـكن يا مَشُوم بأىِّ أير » ، وقول الخادم : « كما يكون » .

---

(١) فى الأصل : « أبو الحسين » تحريف .
(٢) ط فقط : « ومولى » .
(٣) ليست فى س وبدلها فى ط ، هـ : « لنا » .
(٤) ط فقط : « قالت » وفى ط ، هـ : « جحشوية » محرفتان .
(٥) كلمة : « حيث » ساقطة من هـ . وفى ط ، هـ : « تقول » محرفة .
(٦) س : « فلو خطب » . وفى الأصل أيضا : « فى صفة أيره » . وهذه محرفة .
(٧) الحمالة ، بالفتح : الدية والغرامة يحملها قوم عن قوم . ويعنى بها الجاحظ حمالة داحس والغبراء ، قال فى البيان (١ : ١١٦) : « فخطب يوما إلى الليل فما أعاد كلمة ولا معنى » . وقد نوه الجاحظ مرة أخرى بخطابة قيس بن خارجة ، وذكر أن له خطبة تسمى العذراء . انظر البيان (١ : ٣٤٨) .
(٨) تـكملة يفتقر إليها الـكلام .

وزعموا أن فتًى جلس إلى أعرابيّة ، وعلمت أنّه إنما جلس لينظر إلى محاسن ابنتها ، فضربت بيدها على جنبها[1] ، ثم قالت :

عَلَنْداة يئِطُّ الأيرُ فيها أطِيطَ الغَرْزِ فى الرَّحْل الجديدِ[2]

ثم أقبلت على الفتى فقالت :

ومالكَ منها غيرَ أنَّكَ ناكحٌ بعينَيكَ عَينيها فهل ذاكَ نافعُ[3]

ودخل قاسم[4] منزل الخوارزمى النخّاس[5] ، فرأى عنده جارية كأنها جانّ ، وكأنها خُوط بانٍ[6] ، وكأنّها جَدْل عِنان[7] ، وكأنها الياسمين ؛ نَعْمةً وبياضاً ؛ فقال لها : أشتريك ياجارية ؟ فقالت : « افتحْ كِيسَك تسرَّ نفسَك » ! ودخلت الجارية منزل النخّاس ، فاشتراها وهى لا تعلم ، ومضى إلى المنزل ، ودفعها الخوارزمىُّ إلى غُلامه ، فلم تشعر الجارية إلا وهى معه فى جَوف بيت ، فلما نظرتْ إليه وعرفتْ ما وقعَتْ فيه قالت له : ويلَكَ ! إنك والله لن تَصِل إلىَّ إلا بعد أن أموت ! فإن كنت تجسُرُ على نَيك من قد أدرجوه فى الأكفان فدونَك ! واللهِ إن زلت مُنذ رأيتك ، ودخلتُ إلى الجوارى ، أصف [لهنّ] قبحك وبليَّةَ امرأتِك بك ! فأقبل عليها يكلِّمها بكلام المتكلمين ، فلم تقبل منه ، فقال[8] : فلم

---

(١) س : « إلى جنبها » .

(٢) علنداة : عظيمة طويلة . يئط : يصوت . و« الغرز » بالفتح ، هو للناقة مثل الحزام للفرس . هـ : « الفرز » محرف . ط : « فى الرخل » س : « فى الرجل » هـ : « فى المرحل » صوابهما ما أثبت .

(٣) انظر روايته فى العقد (٦ . ٤١٤) .

(٤) لعله يعنى به قاسما التمار .

(٥) هـ : « النحاس » محرف .

(٦) الخوط ، بالضم : الغصن الناعم .

(٧) يعنى ما جدل من العنان ، سماه بالمصدر . س : « حذل عنان » هـ : « جذل عناق » صوابهما فى ط . وانظر مفاخرة الجوارى والغلمان من رسائل الجاحظ .

(٨) العبارة بعد كلمة : « المتكلمين » إلى هنا ساقطة من هـ .

قلتِ لِي : « افتَحْ كيسَك تسرٌ نفسَك » ؟ وقد فتحت كيسى[1] فدَعِينى أَسُرُّ نفْسى ! وهو يكلِّمها وعينُ الجاريةِ إلى الباب ، ونفْسُها فى توهُّم الطَّريق إلى منزل النخّاس[2] . فلم يشعر قاسمٌ حتَّى وثبَتْ وثبةً إلى الباب كأنّها غزال[3] ، ولم يشعر الخوارزمىّ[4] إلاّ والجارية بين يدَيه مَغشيٌّ عليها[5] . فكرَّ قاسمٌ إليه راجعاً وقال : ادفعْها إلىَّ أشفِ نفسى منها . فطلبوا إليه ، فصفَح عنها ، واشتراها فى ذلك المجلسِ غلامٌ أملحُ منها ، فقامت إليه فقبَّلت فاه ، وقاسمٌ ينظُر ، والقومُ يتعجَّبون ممّا تهيأ له[6] وتهيَّأ لها !

وأما عيسى بن مروان[7] كاتب أبى مروان عبد الملك بن أبى حمزة فإنّه كان شديدَ التغزُّل والتّصندل[8] ، حتى شرب لذلك النبيذَ وتَظرَّف[9] بتقطيع ثيابه[10] وتغنَّى أصواتاً ، وحفظ أحاديثَ منأحاديث العُشّاق [و[11]] من الأحاديث التى تشتهيها النساء وتفهمُ معانِيهاَ . وكان أقبحَ خَلْق الله تعالى أنفاً ، حتَّى كان أقبحَ من الأخنَس ، ومن الأفطس ، والأَجدع ، فإمّا أن يكون صادَقَ ظريفةً ، وإما أنْ يكونَ تزوَّجها ، فلما خَلاَ[12] معها

٨٣

(١) ط ، هـ : « ففتحت كيسى » .
(٢) هـ : « النحاس » ، محرف .
(٣) ط ، هـ : « كالغزال » .
(٤) س : « النحاس » .
(٥) هـ : « مغشية عليها » محرف .
(٦) فى الأصل : « مما تهيأ عليه لها » .
(٧) س : « على بن مروان » .
(٨) فى القاموس : « تصندل : تغزل مع النساء » . وفى الأصل : « بالتصندل » محرف .
(٩) تظرف : تكلف الظرف . وفى الأصل : « ظرف » .
(١٠) انظر الاستدراكات .
(١١) هذه من س .
(١٢) ط ، هـ : « فلما جاء » .

فى بيتٍ وأرادها على ما يريد الرَّجُل من المرأة ، امتنعت[1] ، فوهب لها ، ومنَّاها ، وأظهر تعشقها ، وأرَاغَها بكلِّ حيلة[2] . فلما لم تُجب قال لها : خبِّرينى ، ما الذى يمنعُك ؟ قالت : قبح أنفِك وهو يَستقبِلُ عينى [وقتَ الحاجة[3]] ، فلو كان أنفُك فى قفاكَ لكان أهونَ علىَّ ! قال لها : جُعِلْت فِداك ! الذى بأنفى ليسَ هو خِلقةً وإنّما هو ضربةٌ ضُرِبتُها فى سبيل الله تعالى . فقالت وَاستغربَتْ ضحِكًا : أنا ما أبالى ، فى سبيل الله كانَتْ أو فى سبيل الشَّيطان[4] . إنَّما بِىَ قبحُه[5] . فخذْ ثوابَك على هذه الضَّربة من الله[6] . أمَّا أنَا فلا[7] .

(باب الجِدِّ من أمْر الجِنّ)

ليس هذا ، حفِظك الله تعالى ، من الباب الذى كُنَّا فيه ، ولكنّه كان مُستراحاً وجِماما . وسنقول فى باب مِن ذكر الجنّ ، لتنتفع فى دِينك أشد الانتفاع . وهو جِدٌّ كلُّه .

والكلام الأوّل وما يتلوه من ذكر الحشرات ، ليس فيه جِدٌّ إلاّ وفيه خَلْطٌ من هزْل ، وليس فيه كلامٌ صحيح إلاّ وإلى جنبه خرافة ، لأن هذا الباب هكذا يقع .

وقد طَعن قومٌ فى استراق الشَّياطينِ السمعَ بوجوهٍ من الطَّعن ؛ فإذْ

---

(١) ط ، هـ : « فامتنعت » .
(٢) أراغها ، أرادها وطلبها . وفى الأصل : « أراعها » بالمهملة ، تحريف.
(٣) هذه التكملة من س .
(٤) س : « أم فى سبيل الشيطان » .
(٥) هـ : « فى قبحة » ط : « هو قبحة » صوابهما فى س .
(٦) ط ، هـ : « من الله تعالى » .
(٧) بدل هذه العبارة فى هـ : «إنما يحمل بك الموت ».

قد جرى لها من الذّكر فى باب الهزْل ما قد جرى ، فالواجبُ علينا أن نقوله فى باب الجدّ ، وفيما يرد على أهل الدِّين بجملة[١] ، وإن كان هذا الكتابُ لم يُقصَد به[٢] إلى هذا الباب حيثُ ابتدئ . وإن نحنُ استقصيناه كنّا قد خرجْنا من حدِّ القول فى الحيوان . ولكنّا نقول بجملةٍ كافية . والله تعالى المعين على ذلك .

(ردٌّ على المحتجّين لإنكار استراق السمع بالقرآن)

قال قوم : قد علمنا أن الشياطينَ ألطَفُ لطافةً ، وأقلُّ آفةً ، وأحدُّ أذهاناً ، وأقلُّ فُضولاً ، وأخفُّ أبداناً ، وأكثرُ معرفةً ، وأدَقُّ فِطنةً منّا . والدّليلُ على ذلك إجماعُهم على أنّه ليس فى الأرض بِدعةٌ بديعةٌ ، دقيقةٌ ولا جليلة ، ولا فى الأرض مَعصِيةٌ من طريق الهوى والشّهوة ، خفيّةً كانت أو ظاهرة ، إلاّ والشّيطانُ هو الدّاعِى لها ، والمزيِّنُ لها ، والذى يفتحُ بابَ كلِّ بلاء ، ويَنصِب كلَّ حِبالةٍ وخدعة[٣] . ولم تَكن لتَعرِف[٤] أصناف جميع الشروز[٥] والمعاصى حتى تَعرف[٦] جميعَ أصناف الخير والطّاعات .

٨٤

ونحن قد نجدُ الرَّجلَ إذا كان معه عقْل ، ثمّ علِم أنّه إذا نقب حائطاً قُطِعتْ يدُه ، أو أسمع إنساناً كلاماً قطِع لسانه ، أو يكونُ متى رام

---

(١) فى الأصل : « بجملة » .

(٢) س : « تقصر » .

(٣) ط : « حبالة خدعة » .

(٤) ط ، هـ : « ولم يكن ليعرف » .

(٥) هـ : « الشرز » محرفة . ط : « الشر » وأثبت ما فى س .

(٦) ط ، س : « يعرف » .

ذلك حِبلَ دونَه ودونَ ما رام مِنهُ[١] — أنّه لا يتكلّف ذلك ولا يرُومه ، ولا يحاولُ أمرًا قد أيقَنَ أنهُ لا يبلغهُ .

وأنتم تزعمون أنّ الشّياطين الذين هم على هذه الصِّفة كلّما صعِد منهم شيطانٌ ليسترِقَ السّمعَ قُذِف بشِهابِ نار ، وليس له خواطئ ، فإمّا أن يكون يصيبه ، وإمّا أنْ يكون نذيراً صادقاً أو وعيداً إنْ يقدمْ عليه رُمى به . وهذه الرُّجوم[٢] لا تكون إلا لهذه الأمور . ومتى كانت فقد ظهر للشّيطان إحراق المستَمِع والمسترِق ، والموانع دون الوصول[٣] ثمَّ لا نرى الأوَّلَ ينهى الثّانىَ ، ولا الثّانىَ ينهى الثّالث ، ولا الثّالثَ ينهى الرّابع فى هذا الدّهر الطويل . فإن كان المحرَق المصابُ هو الذى يعود ، فهذا عَجَب[٤] . وإن كان الذى يعود غيرَه فكيف خفى عليه شأنهم ، وهو ظاهر مكشوف ؟ !

وعلى أنّهم لم يكونوا أعلمَ منّا حتّى ميّزوا جميع المعاصى من جميع الطاعات . ولولا ذلك لدعوا إلى الطّاعة بحساب المعصية[٥] ، وزيّنوا لها الصّلاح وهم يريدون الفساد[٦] . فإذا كانوا ليسوا كذلك[٧] فأدنى حالاتهم أن يكونوا قد عرفوا أخبار القرآن وصدقوها[٨] ، وأنّ الله تعالى محقِّق ما أوعَدَ

---

(١) رام : طلب وأراد . ﻫ : « مادام عنه » س : « ما وام عنه » ، صوابهما فى ط .

(٢) س : « الوجوه » .

(٣) ط ، ﻫ : « أو الموانع » . وفى س ، ﻫ : « دون الأصول » وهذه محرفة .

(٤) س : « أعجب » .

(٥) ط ، ﻫ : « المعاصى » .

(٦) ط فقط : « العناد » . وفى س : « يرون » بدل : « يريدون » .

(٧) فى الأصل : « ليس كذلك » .

(٨) ط ، ﻫ : « وصدقوا » .

كما يُنجز ما وعد . وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ[١] ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ . وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ[٢] ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ . وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ[٣] ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ[٤] ﴾ مع قولِ الجنّ : ﴿ أَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا[٥] ﴾ ، وقولهم[٦] : ﴿ أَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا[٧] ﴾ . فكيف يسترق السَّمع الذين شاهدوا الحالَتين جميعاً ، وأظهروا اليقين بصحّة الخبر بأنَّ للمستمع بعد ذلك القذْفَ بالشُّهب ، والإحراقَ بالنار ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ[٨] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ . لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

٨٥

---

(١) الآية ٥ من سورة الملك .

(٢) الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة الحجر .

(٣) الآيتان ٦ ، ٨ من سورة الصافات .

(٤) الآيات ٢٢١ — ٢٢٣ من سورة الشعراء .

(٥) الآية ١٠ من سورة الجن . ولفظ الآية : (وأنا لا ندرى أشر . . .) الخ ، ولكنهم يصنعون مثل هذا فى الاقتباس من القرآن . انظر الحاشية رقم ٣ صفحة ٥٧ من رابع الحيوان .

(٦) المراد حكاية قولهم . وفى س ، ه : « وقوله » .

(٧) الآيتان ٨ ، ٩ من سورة الجن . ولفظ الأولى : (وأنا لمسنا السماء . . .) الخ وانظر الحاشية الخامسة .

(٨) الآية ٢١٢ من سورة الشعراء .

دُحُورًا وَلَهمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ[1] ﴾ فى آيٍ غيرِ هذا كثير . فكيف يعُودُون إلى استراق السَّمع ، مع تيقنهم بأنّه قد حُصِّن بالشهب[2] . ولو لم يكونوا مُوقِنِين من جهةِ حقائق الكِتاب ، ولا من جهةِ أنّهم بَعْدَ قعودِهم مقاعدَ السَّمْع[3] لمسُوا السَّماء فوَجَدوا الأمرَ قد تغيَّر — لكانَ فى طول التَّجْرِبة والعِيان الظّاهِر ، [و[4]] فى إخبار بعضِهم لبعض ، ما يكونُ حائلاً دُونَ الطّمَع ؛ وقاطعاً دون التماس الصُّعود .

وبعد فأيُّ [عاقل يُسرُّ بأنْ يسمع خبراً وتُقطعَ يدهُ فضْلاً عن أن تحرِقه النّار ؟ ! وبعد فأيُّ[5]] خبر فى ذلك اليوم ؟ ! وهل يصِلُون إلى النّاس حتَّى يجعلوا ذلك الخبرَ سبباً إلى صرْف الدّعوَى ؟ قيل لهم : فإنّا نقول بالصَّرْفة فى عامَّة هذه الأصول ، وفى هذه الأبواب ، كنحو ما أُلقِى على قلوب بنى إسرائيل وهُم يجُولون فى التِّيهِ ، وهم فى العدد و [فى[6]] كثْرة الأدِلاَّء والتجّار وأصحاب الأسفار ، والحمّارين[7] والمُكارينَ ، من الكَثْرَة على ما قد سمعتُم به وعرَفْتُموه ؛ وهم مع هذا يمشُون حتَّى يُصبِحوا ، مع شِدّة الاجتهاد فى الدَّهر الطّويل ، ومع قُرْب ما بينَ طرَفى التِّيه . وقد كان طريقاً مسلوكا . وإنّما سمّوه التِّيه حين تاهوا فيه ؛ لأنَّ الله تعالى حينَ أرادَ أن يمتحِنَهم ويبتلِيهم[8] صرَف أوهامَهم

---

(١) الآيات ٧ — ٩ من الصافات . س : « وحفظناها » محرف .

(٢) هـ ، س : « مع يقينهم بأنه قد خص بالشهب » .

(٣) ط ، س : « للسمع » .

(٤) ليست فى الأصل .

(٥) الكلام من مبدإ : « عاقل » إلى هنا ساقط من س .

(٦) هذه من س .

(٧) سبق فى (٤ : ٨٧) : « الجمالين » . وفى س : « الحمالين » بالحاء المهملة ، محرفة

(٨) س : « أن يبتليهم ويمتحنهم » .

ومثل ذلك صنيعُه فى أوهام الأُمة التى كان سُليمان مَلِكَها ونبيَّها ، مع تسخير الريح[١] والأعاجيبِ التى أُعطِيَها . وليس بينهم وبين مِلكهم ومملكتهم وبين مُلك سَبأ ومملكةِ بِلقِيس مَلِكتهم بحار لا تُركب ، وجبالٌ لا تُرام . ولم يتسامَعْ أهل المملكتَين ولا كان فى ذِكرهم مكانَ هذه المِلكة .

وقد قلنا فى باب القول فى الهدهُد ما قلنا[٢] ، حين ذكرنا الصَّرْفة ، وذكرنا حالَ يعقوبَ ويوسف وحالَ سليمانَ وهو معتمِدٌ على عصاه ، وهو مَيِّتٌ والجنُّ مُطِيفةٌ به وهم لا يشعُرون بموته ، وذكرنا من صَرْف أوهامِ العرَب عن مُحاولةِ معارضةِ القرآن ، ولم يأتوا به مضطرِباً ولا مُلَفَّقا[٣] ولا مُستكرَها ؛ إذا كان فى ذلك لأهْل الشَّغب متعلّق ، مع غير ذلك ، ممّا يُخالَف فيه طريقُ الدُّهريّة ؛ لأنّ الدّهرىّ لا يُقر إلاّ بالمحسوسات والعادات ، على خلاف هذا المذهب .

ولعمرى ما يستطيعُ الدّهرىّ[٤] أن يقولَ بهذا القول ويحتجَّ[٥] بهذه الحجَّة ، ما دام لا يقول بالتّوحيد ، وما دام لا يعرف إلا الفَلَك وعَمَلَه ، وما دام يرى أن إرسال الرسُل يستحيل ، وأن الأَمر والنَّهى ، والثوابَ

---

(١) ط ، ه : « الرياح » .

(٢) انظر الجزء الرابع ص ٧٧ — ٩٣ . ويوهم قوله أنه أجرى حديثا لذلك فى باب الهدهد من الجزء الثالث ص ٥١٠ — ٥١٩ » . والحق أنه ذكره عرضا فى الموضع الذى أشرت إليه .

(٣) فى الأصل : « ولا متفقا » .

(٤) ط ، ه : « لايستطيع الدهرى » .

(٥) ط ، ه : « ويجتمع » محرف .

والعقاب على غير ما نقول[1] ، وأنّ الله تعالى لا يجوزَ أن يأمر من جهة الاختبار إلا من جهة الحزْم[2] . ٨٦

وكذلك نقول ونزعم[3] أن أوهامَ هذه العفاريت تُصرف عن الذكر لتقع المِحْنة ، وكذلك نقول[4] فى النبى صلى الله عليه وسلم أنْ لو كانَ فى جميع تلك الهزاهز[5] مَنْ يذكر قوله تعالى : ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ لسَقَطَ عنه من المِحنة أغلظها . وإذا سقطَت المحنة لم تكن الطاعة والمعصية . وكذلك عظيم الطاعة مقرونٌ بعظيم الثّواب[6] .

وما يصنع الدهرى وغير الدّهرى بهذه المسألة وبهذا التسطير[7] ؟ .

ونحن نقول : لو كان إبليس[8] يذكر فى كلِّ حال قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وعلم فى كلِّ حالٍ أنه لا يُسْلِمُ [لوَجَبَ[9]] أن المحنة كانت تسقط عنه[9] ، لأن من علِم يقيناً أنّه لا يمضى غدا إلى السوق ولا يقبض دراهمَه من فلان ، لم يطمَعْ فيه . ومن لم يطمَعْ فى الشيء انقطعت عنه أسباب الدواعى إليه . ومن كان كذلك فمُحالٌ أن يأتىَ السُّوق .

---

(١) س : « تقول » بالتاء .

(٢) ط ، س : « الحزر » .

(٣) س ، هـ : « تقول وتزعم » محرف .

(٤) س ، هـ : « تقول » محرف .

(٥) الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس . وفى الأصل : « الهزأهزية » محرفة .

(٦) س : « وعظيم الطاعة مقرون بعظم الثواب » .

(٧) التسطير : زخرفة الأقاويل وتنميقها ، وأن يأتى بأساطير وأحاديث تشبه الباطل .

(٨) س : « إن إبليس لو كان » .

(٩) بمثل هذه الكلمة تلتئم العبارة . وانظر ما مر قريبا س ٦ من هذه الصفحة وكذا (٤ : ٨٨ س ١ - ٤) .

فنقول فى إبليس : إنه يَنْسى ؛ ليكون مُختَبراً [ممتَحناً[١]] . فليعلموا أن قولنا فى مسترِقِ السَّمع كقولنا فى إبليس ، وفى جميع هذه الأمور التى أوْجَبَ علينا الدِّينُ أن نقولَ فيها بهذا القول .

وليس له أن يدفَع هذا القولَ على أصل ديننا . فإن أحبَّ أن يسأل عن الدين[٢] الذى أوجب هذا القول علينا فليفعَلْ . والله تعالى المعين والموفِّق .

وأما قولهم : « مَنْ يُخاطر بذَهابِ نَفْسِهِ لخبر يستفيده » ، فقد علِمْنا أن أصحابَ الرِّياساتِ وإن كان متبيِّنا كيف كان اعتراضهم[٣] على أنّ أيسر ما يحتملون فى جَنْب تلك الرِّياسات القتل .

ولعلّ بعض الشَّياطين أن يكون معه من النَّفْخ[٤] وحُب الرِّياسة ما يهوِّن عليه أن يبلغ دُوَين المواضع[٥] التى إن دنا منها أصابه الرَّجْم ، والرَّجمُ إنما ضمن أنه مانع من الوصول ؛ ويعلم أنه إذا كان شهاباً أنه يُحرقه ولم يضمن أنه يتلف عنه . فما أكثر مَن تخترقه الرِّماح فى الحرب ثم يعاودُ ذلك المكان ورزقه ثمانون دِينارًا ولا يأخذ إلا نصفه ، وَلا يأخذه إلا قمحاً . فلولا أن مع قَدَم هذا الجنديّ ضروباً مما يهزُّه وينجِّده[٦] ويدعو إليه ويُغْريه ــ ما كان يعود إلى موضعٍ قد قُطعت فيه إحدى يديه ، أو فقئت إحدى عينَيه .

---

(١) هذه من س .

(٢) ه : « على الدين » .

(٣) كذا وردت هذه العبارة .

(٤) النفخ ، بالفتح : الكبر ، قال صاحب اللسان : « لأن المتكبر يتعاظم ويجمع نفسه ونفسه فيحتاج أن ينفخ » . ه : « القمح » محرفة .

(٥) س : « ما يهون معه أن يبلغ دون المواضع » .

(٦) ينجده ، أى يجعله ذا نجدة . والنجدة : الشجاعة .

ولِمَ وقع عليه إذاً اسمُ شيطان ، ومارِدٍ ، وعفريتٍ ، وأشباه ذلك ؟!
ولِمَ صار الإنسان يُسمَّى بهذه الأسماء ، ويوصَف بهذه الصِّفات إذا كان فيه الجزء الواحد من كلٍّ ما هُمْ عليه ؟ !

وقالوا فى باب آخر من الطّعن غير هذا ، قالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَدًا ﴾ فقالوا : قد دلَّ هذا الكلام على أن الأخبار هناك كانت مُضَيَّعةً[1] حتى حُصِّنت بعد . فقد وصفتُم الله تعالى بالتَّضييع والاستدراك ! ٨٧

قلنا : ليس فى هذا الكلام دليلٌ على أنهم سمَعوا سِرًّا قط[2] أوْ هجموا على خبر إن أشاعوه فسد به شيءٌ من الدِّين[3] . وللملائكةِ فى السَّماء تسبيحٌ وتهليلٌ وتكبيرٌ وتلاوة ، فكان لا يبلغُ الموضعَ الذى يُسمَع ذلك منه إلا عفاريتُهم .

وقد يستقيم أن يكون العفريتُ يكذب ويقولُ : سمعت ما لم يَسْمع[4] .
ومتى لم يكن على قوله برهانٌ يدلُّ على صِدقه فإنما هو فى كذبه من جنس كلِّ متنبيءٍ وكاهن . فإن صدَّقه مصدِّقٌ بلا حُجَّة فليس ذلك بحجّةٍ على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

(المحتجون بالشعر لرجم الشياطين قبل الإسلام)

وذهب بعضهم فى الطّعن إلى غير هذه الُحجّة ، قالوا : زعمتم[5] أن

---

(١) س : « كانت هناك مضيعة » .
(٢) ط ، ه : « دليل أنهم سمعوا سرا قط » س : « دليل على أنهم سمعوا شرا قط » صوابهما ما أثبت .
(٣) ط : « فسد به من شيء الدين » ، والصواب فى س ، ه .
(٤) أى أن يدعى سماع ما لم يسمعه . وفى الأصل : « ما لم أسمع » .
(٥) ط ، ه : « وزعمتم » .

الله تعالى جعل هذه الرَّجومَ للخوافى حُجّة للنبى صلى الله عليه وسلم ، فكيف يكون ذلك رَجْماً ، وقد كان قبل الإسلام ظاهراً مرْئيًّا ، وذلك موجودٌ فى الأشعار . وقد قال [بشر[1]] بن أبى خازم فى ذلك[2] :

فجاءأها من أقرب الرِّىِّ غُدوة ... وَلَمَّا يسكِّنْهُ من الأرْضِ مَرْتعُ[3]

بأ كْلِبةٍ زُرْقٍ ضَوارٍ كأنّها ... خطاطِيفُ من طول الشّريعة تلمعُ[4]

فجال على نَفْرٍ كما انقضَّ كوكبٌ ... وقدحَالَدُونَالنَّقْعِ والنَّقْعُ يَسْطَعُ[5]

فوصف شَوْط الثّور هارباً من الكِلاب بانقضاض الكوكبِ فى سُرعته وحُسْنه ، وبريق جلده . ولذلك قال الطِّرمّاح :

يَبْدُو وتُضْمِرُه البلادَ كأنّهُ ... سيفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ[6]

وأنشد أيضاً قولَ بِشْر بن أبى خازِم :

وتشُجُّ بالعــير الفَلاة كأنّهَا ... فَتْخَاءُ كاسِرةٌ هَوَتْ من مَرْقَبِ[7]

والعَـــير يُرْهِقُها الخَبَارَ وجَحْشُها

ينقضُّ خلْفَهُما انْقِضَاضَ الكَوْكب[8]

---

(١) هذه من س . وقد تقدمت ترجمة بشر فى (٤ : ٤٠٥) .

(٢) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٣) جأجأها وجأجأ بها : دعاها إلى الشرب ، قال لها : جئْ جئْ . يسكنه ، فى اللسان « يقال مرعى مسكن إذا كان كثيرا لايحوج إلى الظعن ، كذلك مرعى مربع ومنزل » . وضبطت هذه الكلمات الثلاث ، بضم أولها وكسر ثالثها مع التخفيف . فلعل مأخذها واحد .

(٤) لم أجد هذا الجمع فى جموع الكلاب التى نصت عليها المعاجم . وزرق ، أراد بها زرق العيون . والخطاطيف : جمع خطاف ، بالضم ، وهو كل حديدة حجناء .

(٥) النفر والنفار : الشرود . والنقع ، بالفتح : الغبار الساطع . سطع : انتشر وتفرق .

(٦) انظر الكلام على هذا البيت فى (٣ : ٤٦٥) . س : « شرق يسيل » ، محرف .

(٧) ط ، ه : « وتشيخ » س : و« تشبح » ، صوابهما من ديوان بشر ص ٣٦ .

(٨) الخبار ، كسحاب : أرض لينة رخوة تسوخ فيها القوائم . وفى الأصل : « يرهقها الحمار » صوابه من الديوان .

قالوا : وقال الضَّبّى :

يَنَالُهــا مهتك أشْجارها بذى غُرُوب فيه تحريبُ[١]

كأنَّهُ حِينَ نَحَا كوكبٌ أو قَبَسٌ بالـكَفِّ مشبوبُ[٢]

وقال أوس بن حَجَر :

فانقَضَّ كالدُّرِّىِّ يَتْبَعُهُ نَقْع يثُورُ تخالُه طُنُبَا[٣]

٨٨ يَخْفَى وأحياناً يلوحُ كما رَفَعَ المشــيرُ بكفِّهِ لهبَا

ورووا قوله :

فانقضَّ كالدّرّى من مُتَحدِّر لَمْعَ العقيقةِ جُنْحَ لَيلٍ مُظْلِمِ[٤]

وقال عَوْف بن الخرِع[٥] :

---

(١) مهتك ، كذا وردت فى الأصل . والأشجار : جمع شجر ، بالفتح ، وهو مفرج الفم ، أوما انفتح من مطبق الفم . وغروب الأسنان : مناقع ريقها ، وقيل أطرافها وحدتها وماؤها . والتحريب : التحديد ، يقال سنان محرب مذرب إذا كان محددا مؤللا . هـ : « نباالها » و : « بذى عزوب » .

(٢) نحا : قصد . ط ، هـ : « لحا » ، صوابها ما أثبت من س ، وليس بين البيتين ارتباط . وهكذا يصنع الجاحظ حينا : أن يختار من القصيدة ما لا يرتبط بعضه ببعض .

(٣) الدرى : الكوكب الثاقب المضىء . يقال بضم الدال وكسرها . وفى الكتاب : (كأنها كوكب درى) . والبيت فى صفة ثور وحشى . ورواه صاحب اللسان (١ : ٦٧) : « كالدرىء » بكسر الدال وآخره همزة ، وهو الكوكب المنقض يدرأ على الشيطان . والنقع ، بالفتح : الغبار . وروى فى اللسان : « يثوب » بالباء ، يقال ثاب الماء : إذا اجتمع فى الحوض . وفى اللسان أيضا : « وقوله تخاله طنبا يريد تخاله فسطاطا مضروبا » .

(٤) العقيقة : البرق إذا رأيته وسط السحاب كأنه سيف مسلول .

(٥) الخرع ، ككتف ، جده لا أبوه . وقد جرى الجاحظ على هذه التسمية أيضا فى (٣ : ٣٤٦) حيث ترجمة عوف بن عطية بن الخرع . ط ، س : « الجذع » هـ : « الجزع » محرفتان .

يردُّ علينا العَيْرَ من دون أَنْفه أو الثَّوْرَ كالدُّرّى يتْبَعُهُ الدَّم[١]

وقال الأفوه الأودى[٢] :

كشِهاب القَذْفِ يَرميكُمْ به فارسٌ فى كفِّه للحَرْبِ نارُ

وقال أُميَّةُ بن أَبى الصَّلْت :

وترى شَياطِيناً تَرُوغُ مُضافَةً ورَوَاغُها شتَّى إذا ما تُطْرَدُ[٣]

يُلْقَى عليها فى السَّماءِ مَذلَّة وكواكبٌ ترمَى بها فتعرِّدُ[٤]

قلنا لهؤلاء القوم : إن قَدَرتم على شعرٍ جاهلىٍّ لم يُدرِكْ مَبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم ولا مَولِدَه فهو بعضُ ما يتعلَّق به مثلُكم ؛ وإن كان الجوابُ فى ذلك سيأتيكم إن شاء الله تعالى . فأما أشعار المخضْرِمين والإسلاميّين فليس لكم فى ذلك حُجَّة . والجاهلىُّ ما لم يكن أدركَ المولد ، فإنَّ ذلك ممَّا ليس ينبغى لكم أن تتعلَّقوا به . وبِشرُ بنُ أبى خازم فقد أدرك الفِجَار[٥] ،

(١) يصف فرسا ، يقول : إنه يصيد حمار الوحش وقد جدع أنفه ، والثور وقد خضبه بالدم . س : « من دون ألفه » محرف .

(٢) سبقت ترجمته فى (٤ : ١٦٨) . س : « الأزدى » محرف . والبيت من قصيدة أثبتها الشنقيطى فى نهاية نسخة من الديوان ، منقولة عن الحماسة البصرية . وقبل البيت :

إن يجل مهرى فيكم جولة فعليه الكر فيكم والفرار

(٣) تروغ : تحيد وتميل ، والاسم الرواغ بالفتح . والمضاف : الخائف الملجأ . شتى ، فى اللسان : « يقال وقعوا فى أمر شت وشتى » . وفى الأصل : « تروع مصاعبا » صوابه فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٨) . وفى الديوان ص٢٤ : « تروغ مضاعة » من الإضاعة . وفى الأصل أيضا : « ورواعها » بالعين المهملة ، صوابها فى المحاضرات والديوان .

(٤) فى الديوان والمحاضرات : « تلقى » . وتعرد ، من التعريد ، وهو الإحجام والفرار . وفى الأصل : « فتقدد » . والتقديد : التقطيع . والوجه ما أثبت من الديوان والمحاضرات .

(٥) زيادة الفاء فى مثل هذا مذهب الأخفش . قال ابن هشام فى المغنى : « وأجاز الأخفش زيادتها فى الخبر مطلقا ، وحكى : أخوك فوجد » . والفجار ، بكسر الفاء : أيام وقائع كانت بين العرب ، تفاجروا فيها بعكاظ فاستحلوا الحرمات ، وكانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان فى الجاهلية . انظر اللسان والأغانى –

والنبى صلى الله عليه وسلم شهِد الفِجار ، وقال : شهدتُ الفجار ، فكنْتُ أنبل على عمومتى وأنا غلام[١] » .

والأعلام ضروب ، فمنها ما يكون كالبشارات فى الكتب[٢] ؛ لكون الصِّفة إذا وافقت الصِّفة التى لا يقع مثلُها اتفاقاً وعَرَضاً لزمتْ فيه الحجة . وضروبٌ أُخَرُ كالإرهاص للأمر ، والتأسيس له ، وكالتعبيد والترشيح[٣] ؛ فإنَّه قلَّ نبيٌّ إلّا وقد حدثت عند مولده ، أو قُبيلَ مولِده ، أو بعد مولده أشياءُ لم يكنْ يحدُث مثلُها . وعِند ذلك يقول الناس : إنّ هذا لِأَمرٍ ، وإنّ هذا ليُراد به أمرٌ وقع ، أو سيكون لهذا نبأ . كما تراهم يقولون عند الذوائب[٤] التى تحدث لبعض الكواكب فى بعض الزمان[٥] . فمن الترشيح والتأسيس والتَّفخيم شأنُ عبد المطلب عند القُرعة[٦] ، وحينَ خروج

= (٩ : ١٢ / ١٩ : ٧٣ - ٨١) والعقد (٣ : ٢٦٨) والكامل ٣٨٥ والعمدة (٢ : ١٦٩) وأمثال الميدانى (٢ ، ٣٥١) والخزانة (٢ : ٥٠٤ بولاق) .

(١) يقال نبلته أنبله بضم العين ، وأنبلته ونبلته ، بالتشديد : إذا ناولته النبل ليرمى .

(٢) البشارة والبشارة بالكسر والضم : ما بشرت به ، وهما أيضا : ما يعطاه المبشر بالأمر. س : « بالبشارات » .

(٣) التعبيد : التمهيد والتذليل . ط : « وكالتعبير » س : « وكالتبعيد » صوابهما فى هـ . والترشيح : التهيئة للشىء ، ومنه فلان يرشح للوزارة ، أى يربى ويؤهل لها . هـ : « والتوشيح » محرف .

(٤) هى ما تعرف بالمذنبات . ويسميها القزوينى فى عجائب المخلوقات ٩٠ : « ذوات الأذناب » . وفيها يقول أبو تمام (ديوانه ص ٧) :

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة إذا بدا الكوكب الغربى ذوالذنب

(٥) س : « فى بعض الأزمان » .

(٦) وذلك حين أشارت عليه الكاهنة أن يضرب بالقداح بين ولده عبد الله وبين عشر من الإبل ، فمازال يزيد فى الإبل عشرا وعشرا حتى استمرت القرعة على الإبل فافتدى بها ولده متحللا من نذره أن ينحر أحد بنيه العشرة . انظر السيرة ٩٧ - ١٠٠ .

الماء من تحت رُكْبة جملة[١] ، وما كان من شأن الفيل والطيرِ الأبابيل[٢] وغير ذلك ، ممـا إذا تقدم للرّجل زاد فى نبله وفى فَخامة أمره . والمتوقَّع أبدا معظّم .

فإن كانت هذه الشهب فى هذه الأيام أبداً مرئيّة فإنما كانت من التأسيس والإرهاص ، إلا أن يُنْشِدُونا مثل شعر الشعراء الذين لم يدركوا المولد ولا بعد ذلك [٣] ؛ فإنّ عددهم كثير ، وشعرهم معروف . ٨٩

وقد قيل الشِّعر قبل الإسلام فى مقدار من الدهر أطولَ ممّا بيننا[٤] اليومَ وبين أوَّل الإسلام ، وأولئـكم عندكم أشعَرُ ممّن كان بعدهم .

وكان أحدهم لا يدع عظماً منبوذاً بالياً ، ولا حجراً مطروحا ، ولا خُنفساء ولا جُعَلاً ، ولا دودة ، ولا حية ، إلا قال[٥] فيها ، فكيف لم يتهيّأ من واحدٍ منهم أن يذكر الكواكب المنقضّةَ مع حُسْنها وسُرعتها والأعجوبة فيها[٦] . وكيف أمسَكُوا بأجمعهم عن ذكرها إلى الزَّمان الذى يَحْتَجُّ[٧] فيه خصومُكم .

وقد علمْنا أنّ النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكِر له يوم ذى قار قال : « هذا أوَّلُ يومٍ انتصفَتْ فيه العربُ [من العجم[٨]] ، وبى نُصروا » .

---

(١) الذى ذكره ابن هشام فى السيرة ٩٣ أن عبد المطلب تقدم إلى راحلته « فركبها ، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب » . وانظر القصة بتمامها فى باب (ذكر حفر زمزم) .

(٢) ط ، هـ : « والطير والأبابيل » والواو مقحمة .

(٣) س : « كما بعد ذلك » محرف .

(٤) فى الأصل : « ما بيننا » ، والوجه ما أثبت .

(٥) س ، هـ : « إلا قالوا » .

(٦) فى الأصل : « منها » .

(٧) ط ، هـ : « يجتمع » ، وأثبت ما فى س .

(٨) التكملة من س .

ولم يكن قال لهم قَبْل ذلك إنّ وقْعةً ستكون ، من صِفَتها كذا ، ومن شأنها كذا ، وتُنصرون على العجَم ، وبى تنصرون .

فإن كان بشرُ بنُ أبى خازمٍ وهؤلاء الذين ذكرتُم قد عايَنوا انقضاضَ الكواكب[1] فليس بمستنكرٍ أنْ تكون كانت إرهاصاً لمن لم يُخبِر عنها ويحتجُّ بها لنفسه . فكيف وبشر بن أبى خازم[2] [حىّ[3]] فى أيّام الفِجار ، التى شهدها النبىُّ صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وأنّ كنانةَ وقُريشاً بهِ نُصِرُوا .

وسنقول فى هذه الأشعار التى أنشدتموها ، ونَخبِر عن مقاديرها وطبقاتها . فأما قوله[4] :

فانقضَّ كالدُّرِّىِّ من متحدِّرٍ لمْعَ العقيقةِ جُنْحَ ليل مُظلِم[5]

فخبّرنى أبو إسحاق أن هذا البيت فى أبياتٍ أخر كان أسامة صاحب رَوْح ابن أبى هَمّام ، هو الذى كان ولَّدها[6] . فإن اتَّهمت خبرَ أبى إسحاق فسَمِّ الشَّاعرَ ، وهات القصيدة ؛ فإنَّه لا يُقبَل فى مثل هذا إلّا بيتٌ صحيح[7] صحيح الجوهرِ ، من قصيدةٍ صَحيحة ، لشاعر معروف . وإلّا فإن كلَّ من يقول الشِّعر يستطِيعُ أن يقول خمسين بيتاً كل بيت منها أجودُ من هذا البيت .

(١) ط ، ﻫ : « الكوكب » بالإفراد .
(٢) س ، ﻫ : « حازم » بالحاء المهملة ، تحريف .
(٣) التكملة من س .
(٤) س ، ﻫ : « وأما قوله » .
(٥) انظر البيت فى ص ٢٧٤ .
(٦) ط : « لأسامة » بدل : « كان أسامة » و : « وهو الذى » بدل : « هو الذى » .
(٧) فى الأصل : « إلا بيتا صحيحا » .

وأسامة هذا هو الذى قال له رَوْحٌ :

اِسقِنِي يا أُسامَهْ مِنْ رَحيق مُدامَهْ

اِسْقِنيها فإنِّى كافرٌ بالقيامَهْ[1]

وهذا الشعر هو الذى قتَله . وأمَّا ما أنشدتم من قول أوس بن حجر :

فانقضَّ كالدُّرِّىّ يتبعه نَقْعٌ يثُور تخالُه طنُبَا[2]

٩٠ وهذا الشِّعر ليس يَرويه لأوسٍ إلّا من لايَفْصِل بين شعر أوس بن حجر ، وشُرَيح بن أوس[3] . وقد طعنَت الرُّواة فى هذا الشِّعر الذى أضفْتُموه إلى بِشر بن أبى خازم[4] ، من قوله :

والعـير يرهقها الحمار وجَحْشها

ينقَضُّ خلفهما انقضاضَ الـكوكب

فزعموا أنه ليس من عادَتهم أن يصِفوا عَدْو الحمار بانقضاض الـكوكب[5] ، ولا بَدَن الحمار ببَدَن الـكوكب . وقالوا : فى شعر بشر مصنوعٌ كثير ، ممّا قد احتملتْه كثيرٌ من الرُّواة على أنَّه من صحيح شعره . فمن ذلك قصيدتُه التى يقول فيها :

---

(١) البيتان من مجزو الخفيف ، عروضه وضربه مجزوان مقصوران مخبونان . وهـذا الوزن مما استدرك به بعضهم لهـذا البحر . أو تـكون عروض الأول إنما جاءت مقصورة مخبونة لمـا فيها من التصريع ، والتصريع يجيز أن تـكون العروض موافقة للضرب . س : « فإننى » فيكون هـذا البيت الثانى عروضه مجزوة صحيحة وضربها مجزو مخبون مقصور .

(٢) سبق شرح البيت فى ص ٢٧٣ . ط ، س : « تخله » ، صوابه فى ه .

(٣) شريح بن أوس ، أورد له الجاحظ فى (١ : ٢٦٨ ، ٣١٩) بيتا يهجو به أبا المهوش الأسدى الشاعر المخضرم .

(٤) س ، ه : « حازم » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٥) الـكلام بعد البيت إلى هنا ساقط من س .

فرجِّى الخيرَ وانتظِرِى إيابى إذا ما القارِظُ العَنَزِىُّ آبا[1]

وأما ما ذكرتم من شعر هذا الضَّبِّى، فإنَّ الضَّبِّى مخضرم.

وزعمتم أنّكم وجدتُم ذِكْر الشُّهب فى كتب القُدماء من الفلاسفة، وأنّه فى الآثار العُلْوِيّة لأرسطاطاليس، حين ذكر القول فى الشُّهب، مع القول فى الكواكب ذوات الذوائب[2]، ومع القول فى القَوس، والطَّوق الذى يكون حول القَمَر بالليل. فإن كنتم بمثل هذا تَستعِينونَ، وإليه تفزعون، فإنّا نوجدكم من كذب التَّراجمة وزياداتهم[3] ومن فساد الكِتاب، من جهة تأويلِ الكلام، ومن جهة جهْل المتَرجِم بنقل لغةٍ إلى لغة، ومن جهة فَسادِ النَّسخ، ومن أنه قد تقادَمَ فاعترضَتْ دونه الدُّهورُ والأحقاب، فصار لا يؤمن عليه[4] ضروبُ التّبديل والفساد. وهذا الكلام معروفٌ صحيح.

وأما ما رويتم من شعر الأفوه الأوديّ[5] فلعمرى إنّه لجاهلىّ، وما وجدْنا أحداً من الرُّواة يشكُّ فى أن القصيدة مصنوعةٌ. وبعد فمِنْ أين علم الأفْوَاهُ أنّ الشهب التى يراها إنما هى قذْفٌ ورجْم، وهو جاهلىٌّ،

---

(١) يشير إلى القصيدة التى مطلعها:

أسائلة عميرة عن أبيها خلال الجيش تعترف الركابا

رواها ابن الشجرى فى مختارات شعراء العرب ص ٨١.

(٢) انظر ما سبق فى ص ٢٧٦ فى الحاشية الرابعة.

(٣) فى اللسان (٤ : ٤٥٨) : «وأوجده إياه: جعله يجده. عن اللحيانى». وقد سبق فى (١ : ٢٤٣) قول حماد عجرد: «فليس يوجدنيه غير إضمارى». وكلمة: «زياداتهم» ساقطة من هـ. وفى ط: «زيادتهم» بالإفراد.

(٤) كلمة: «عليه» تكملة من س فقط. وفى ط، هـ: «لا يأمن» محرفة. وانظر ما سبق فى (١ : ٧٥ - ٧٧).

(٥) س: «الأزدى»، محرف.

ولم يدَّعِ هذا أحدٌ قَطُّ إلّا المسلمون ؟ فهذا دليلٌ آخر على أن القصيــدة مصنوعة .

(رجع إلى تفسير قصيدة البهرانى)

ثم رجعَ بنا القولُ إلى تفسير قصيدة البهرانىّ :

وأما قوله :

٢٨ « جائِباً للبحار أُهدى لِعِرْسِى فُلفلاً مجتنًى وهَضْمة عِطْر[١]

٢٩ وأُحَلِّى هُرَيْرَ مِنْ صدَف البَحْـ ـر وأسْقِى العِيالَ من نِيل مِصرِ »

فإن[٢] الناس يقولون : إن السَّاحر لا يكون ماهراً حتى يأتى بالفُلْفُل الرَّطْب من سرنديب . وهُريرة : اسم امرأته الجِنّيّة .

وذكر الظَّبى الذى جعله مَرْكَبه إلى بلاد الهند ، فقال :

٣١ « وأجوبُ البلادَ تحتِيَ ظبىٌ ضاحكٌ سِنُّــه كثيرُ التَّمرِّى

٣٢ مُولِج دُبْرَهُ خَوَايَةَ مَكْوٍ وهو باللّيل فى العفاريت يَسْرِى »[٣] ٩١

يقول : هذا الظَّبى الذى من جُبْنِهِ[٤] وحَذره ، من بين جميع الوَحْش ، لا يدخل حَرَاه إلا مستدبِراً[٥] ؛ لتكون عيناه تلقاء ما يخاف أن يغشاه[٦] :

(١) ط ، ﻫ : « جائيا » و : « مجتنا » صوابهما فى س . وفى ﻫ : « هصمة » بالمهملة ، محرفة . انظر ما سبق ص ٨٣ س ٥ .

(٢) فى الأصل : « لأن » .

(٣) ط ، س : « خرانة بكر » ﻫ : حوانة بكر » صوابهما مما سبق فى ٨٣ . ط ، ﻫ : « بالعفاريت » وأثبت ما فى س موافقا ما سبق .

(٤) ط فقط : « خبثه » . والأشبه ما كتبت من س ، ﻫ .

(٥) الحرا ، بالفتح والقصر : مأوى الظبى وكناسه . وفى الأصل : « إلا مستديرا » من الاستدارة . صوابه بالباء كما يقتضيه نص الشعر .

(٦) س : « ليكون عيناه تلق ما يخاف أن يغشاه » .

هو الذى يَسرى مع العفاريت باللَّيل ضاحِكًا بى هازئا إذا كان تحتى[1] .

وأما قوله :

٣٣ « يحسَبُ النَّاظِرُونَ أنى ابنُ ماءٍ ذاكرٌ عُشَّهُ بضَفَّةِ نَهْرِ »

فإن الجنىّ[2] إذا طار به فى جوِّ السماء ظنَّ كلُّ مَن رآه أنَّه طائر ماء[3] .

(قولهم : أروى من ضبّ)

وأما قولهم فى المثل : « أروى من ضَبّ » فإنى لا أعرفه ؛ لأن كل شىء بالدوّ[4] والدَّهْناء والصَّمَّان ، وأوساط[5] هذه المهامه والصحاصح [فإن[6]] جميع ما يسكنُها من الحشَرات والسِّباع لا يرِدُ الماء ولا يريدُه ، لأنه[7] ليس فى أوساط هذه الفيافى فى الصَّيف كله فى القَيظ جميعاً مَنْقَع ماء[8] ، ولا َدير ، ولا شريعة ، ولا وَشلَ[9] . فإذا استقام أن يمرَّ بظبائها وأرانبها وثَعالبها وغير ذلك منها الصَّيفةَ كلَّها ، والقيظ كله ، ولم تذق فيها قطرةَ

(١) ط فقط : « إذا كان تحتى » .

(٢) فى الأصل : « لأن » تحريف . وفى س : « الظبى » بدل : « الجنى » ، ولا وجه له .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) فى الأصل : « الدو » ، والباء أو نحوها ضرورية فى الكلام .

(٥) س ، ه : « والأوساط » ، محرف .

(٦) هذه التكملة من س ، ه .

(٧) س ، ه : « لأن » .

(٨) المنقع ، بالفتح : الموضع يستنقع فيه الماء ، أى يجتمع ويثبت . وكلمة : « ماء » ساقطة من س .

(٩) الوشل ، بالتحريك : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة . وفى الأصل : « وعل » محرف .

ماء ، فهى له فى الشتاء أتْرَك ، لأنَّ من اقتاتَ اليَبَس[١] إذا لم يشرب الماء [فهو[٢]] إذا اقتات الرَّطب أترَك .

وليس العجبُ فى هذا ، ولـكنّ العجَب فى إبلٍ لا ترِد الماء .

وزعم الأصمعىُّ أنَّ لبنى عقيل ماعِزاً لم يرد الماء قطّ[٣] . فينبغى على ذاكَ[٤] أنْ يكون واديهم لا يزالُ يكونُ فيه من البقْل والورَق ما يُعيشُها بتلك الرُّطوبة التى فيها .

ولو كانت ثعالبُ الدّهْناء وظباؤُها وأرانبُها ووحْشُها تحتاج إلى الماء لَطَلبَتْه أشدّ الطلَب ؛ فإن الحيوانَ كلَّه يهتدى إلى ما يُعيشه ، وذلك فى طبْعه ، وإنما سُلِب هذه المعارفَ الذين أُعطُوا العقلَ والاستطاعة فوُكِلوا إليهما .

فأمَّا من سُلِبَ الآلةَ التى بها تـكون الرَّويّة[٥] والأداةَ التى يكون بها التصرُّف ، وتخرج أفعاله من حد الإيجاب إلى حد الإمكان ، وعَوِّض[٦] التمـكينَ ، فإن سبيلَه غيرُ سبيل من مُنِـح ذلك[٧] . فقسَم الله تعالى لتلك الـكفايةَ ، وقسمَ لهؤلاء الابتلاءَ والاختبار .

(قصيدتا بشر بن المعتمر)

أوّل ما نبــدأ قبل ذكر الحشرات[٨] وأصناف الحيوان والوحش

---

(١) اليبس ، بفتح وبفتحتين : اليابس .
(٢) التكملة من س .
(٣) سبق هذا القول فى (٥ : ٤٨٥) .
(٤) فى الأصل : « على حال » .
(٥) الروية فى الأمر : أن تنظر ولا تعجل . ط ، هـ : « الرؤية » تحريف .
(٦) س : « وعود » محرف .
(٧) فى الأصل : « من منع ذلك » ، والصواب ما أثبت .
(٨) س : « بذكر الحشرات » .

بشِعْر بشرِ بن المعتمر ، فإن له فى هذا الباب قصيدتين ، قد جمع فيهما كثيراً من هذه الغرائب والفرائد[1] ، ونبَّه بهذا على وجوهٍ كثيرةٍ من الحكمة العجيبة ، والموعظةِ البليغة . وقد كان يمكننا أن نذكر من شأن هذه السِّباع والحشرات بقَدْر ماتتسع له الرواية ، من غير أن نكتبهما ، فى هذا الكتاب ، ولكنهما يجمعان أموراً كثيرة . أمّا أوّل ذلك فإن ٩٢ حفظ الشّعر أهونُ على النَّفس ، وإذا حُفِظ كان أعلَقَ وأثبت ، وكان شاهداً . وإن احتيج إلى ضرْب المثَل كان مثلا . وإذا قسمنا ما عندنا فى هذه الأصناف ، على بيوت هذين الشِّعرين ، وقَعَ ذكرها مصنّفا[2] فيصير حينئذ آنَقَ فى الأسماع ، وأشدَّ فى الحفْظ .

(القصيدة الأولى)

قال بشرُ بن المعتمر :

١ الناس دأباً فى طلاب الغنى وكُلهُمْ مِنْ شَأنه الختَرُ[3]

٢ كأذؤبٍ تنهشُها أذؤُبٌ لهـا عُوَاءٌ ولها زَفْرُ[4]

٣ تراهُمُ فَوضَى وأيدِى سَبَاَ كُلٌّ لَهُ فى نَفْثِه سِحرْ[5]

٤ تبارك الله وسُبْحانَه بيْنَ يديهِ النَّفْعُ والضَّرُّ

---

(١) ط ، هـ : « الفوائد » بالواو .

(٢) هـ ، س : « مصفا » .

(٣) الختر : الغدر . وفى اللسان (٣ : ٢٦٩) : « فى طلاب الثرا » .

(٤) فى اللسان : « تنهسها » بالسين المهملة .

(٥) النفث : شبيه بالنفخ . والنوافث : السواحر حين ينفثن فى العقد بلا ريق . فى س ، هـ وكذا اللسان : « فى نفسه » والوجه ما أثبت من ط .

٥ مَنْ خَلْقُه فى رزقهِ كلُّهُمْ الذِّيخُ والثَّيتلُ والغُفرُ[(١)]

٦ وساكنُ الجوِّ إذا ماعَلاَ فيه ، ومَنْ مَسْكَنُهُ القَفرُ[(٢)]

٧ والصَّدَعِ الأعصَمُ فى شاهِقٍ وَجَأبَةٌ مَسْــكَنها الوَعْرُ

٨ والحيَّةُ الصَّماءُ فى جُحْرِها والتَّتْفلُ الرائغُ والذَّرُّ[(٣)]

٩ وإلقةٌ تَرْغثُ رُبَّاحها والسَّهْلُ والنَّوفَلُ والنضرُ[(٤)]

١٠ وهِقْلةٌ تَرْتَاعُ من ظِلِّها لها عِــرارٌ ولها زَمْرُ[(٥)]

١١ تلتهم المرْوَ على شَهْـوةٍ أحبُّ شيءٍ عِنْدَها الجمرُ[(٦)]

١٢ وضَبة تأكلُ أولادَها وعُترُفانٌ بَطْنُهُ صِفرُ[(٧)]

١٣ يُؤْثِر بالطَّعْم ، وتأذينهُ ، مُنَجِّمٌ ليس له فكرُ

---

(١) الذيخ ، بالكسر : الذكر من الضباع ، والأنثى ذيخة . س : « الديح » محرف . والثيتل ، بفتح الثاء المثلثة فى أوله . ط ، س : « التهتل » هـ : « التبتيل » صوابهما ما أثبت . والغفر ، بالضم وبالفتح فى لغة قليلة : ولد الأورية ، والجمع أغفار ، وغفرة ، بكسر ففتح ، وغفور . وقيل الغفر اسم للواحدة منها والجمع . ط : « العفر » بالعين المهملة ، وهو اسم للظباء التى يعلو بياضها حمرة . وصواب الرواية ما أثبت من س واللسان كما يقتضيه الشرح فى ٣٠٠ .

(٢) هـ : « إذا ما غلا فيه » . غلا : ارتفع مثل علا .

(٣) التتفل ، كتنضب وقنفذ ودرهم وجعفر وزبرج وجندب وسكر : الثعلب . هـ : « والتيتل الرابع » محرفة .

(٤) الإلقة ، بالكسر : القردة . والرباح ، كرمان : القرد ، وهو هنا ولدها . وترغثه أى ترضعه ، وفعله أرغث ، وقد رغثها هو وارتغثها . والسهل : الغراب . والنوفل : البحر . والنضر : الذهب . هـ : « والقنفذ يرعب » هـ ، س : « رياحها » هـ : « والبصر » صوابها ما أثبت .

(٥) الهقلة ، بالكسر : الفتية من النعام والنعامة مضرب المثل فى الخوف والفزع . وفى الأصل : «من ظلمنا» صوابه ما أثبت . وعرارها ، بكسر العين : صياحها ؛ وكذلك الزمر . وأصل العرار للظليم . وانظر ما سبق فى (٤ : ٣٨٥) .

(٦) المرو : حجر أبيض براق . وقد سبق الكلام على ابتلاعها الحصى فى (٤ : ٣١٠ — ٣١٣) . ط : « النار » س : « المرأ » صوابها فى هـ . وانظر لابتلاعها الجمر (٤ : ٣٢٠) .

(٧) العترفان ، بضم العين والراء : الديك .

١٤ وكيف لا أعجبُ من عالمٍ   حُشوتُهُ التأبِيس والدَّغْرُ (١)

١٥ وحكمةٌ يبصرها عاقلٌ   ليس له مِنْ دُونها سِـترُ

١٦ جرادةُ تَخْرِقُ مَتْنَ الصَّفَا   وأبْغَثُ يَصْطادُهُ صَقرُ (٢)

١٧ سِلاحه رمحٌ فما عُذْرُه   وقد عراه دُونَه الذُّعرُ (٣)

١٨ والدُّبُّ والقِرد إذا عُلِّمَا   والفِيلُ والـكَلْبَةُ واليَعْرُ (٤)

١٩ يحجم عن فَرْطِ أعاجيبها   وعَنْ مَدَى غاياتِها السِّحْرُ (٥)

٢٠ وظبية تَخْضِمُ فى حَنْظلٍ   وعقْربٌ يُعْجِبُها التَّمْرُ

٢١ وخُنْفُسٌ يَسعى بجعلانِهِ   يَقُوتها الأرْواثُ والبَعْرُ (٦)

٩٣ ٢٢ يقتُلها الوردُ وتحيا إذا   ضُمَّ إليها الرَّوث والجعْرُ

٢٣ وفارة البِيش إمامٌ لها   والُخلدُ فيه عجبٌ هِتْرُ (٧)

---

(١) التأبيس : الإغاظة ، والترويع ، والتعيير ، والتخويف . والدغر : توثب المختلس ودفعه نفسه على المتاع ليختلسه . ط : « خشوته » بالهاء الصريحة ، س ، ه : « خشونة » ووجههما ما أثبت . ط ، س : « النابس » ه : « الوابس » وفى الأصل أيضا : « والذعر » ، ولعل الصواب فيما أثبت .

(٢) س : « ثنى الصفا » ، و : « يصطاده الصقر » .

(٣) ط ، ه : « سلاحه سلح » صوابه من س ومما سيأتى فى ٣١٥ حيث يعين النص والتفسير ما أثبت . س ، ه : « وقد عداه » بالدال ، ولها وجه .

(٤) اليعر ، فسرها الجاحظ — فيما سيأتى — بصغار الغنم . وفى اللسان : « اليعر واليعرة : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد » . وفيه أيضا : « اليعر : الجدى » . ط : « والبغر » س : « والنقر » ه : « والنغر » صوابها بالياء المفتوحة والعين الساكنة المهملة .

(٥) س : « عن فرط » .

(٦) الجعلان ، بالـكسر : جمع جعل ، بضم ففتح . ط ، ه : « تسعى بجعلانة » . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤٩) . وانظر اللسان لضبط « خنفس » عند أهل البصرة .

(٧) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر . وانظر (٢ : ١١٢ / ٣ : ٣٣٦ / ٤ / ١٠٦ ، ٢٩٦ / ٥ : ٢٦٠) . ه : « والجلد » بالجيم ، صوابه بالخاء المعجمة والهتر بالـكسر : العجب . ويقال هتر هاتر ، على المبالغة .

٢٤ وقنفُذ يسرى إلى حَيَّةٍ وحَيَّةٌ يُخْلَى لَهُ الجُحْرُ(١)

٢٥ وعَضْرَفُوطٌ ماله قِبْلَةٌ وهُدهُدٌ يُكفِره بكرُ

٢٦ وفَرّة العقرب مِن لَسْعِها تُخبِرُ أَنْ لَيْسَ لها عُذْرُ(٢)

٢٧ والبَبْر فيه عَجَبٌ عاجِبٌ إذا تلاقى اللّيثُ والبَبْرُ(٣)

٢٨ وطائرٌ أشْرَفُ ذو جُرْدَة وطائرٌ لَيْسَ له وَكْرُ(٤)

٢٩ وثُرْمُلٌ تأوى إلى دَوْبَل وعَسْكَرٌ يَتْبَعُه النَّسرُ(٥)

٣٠ يُسالِمُ الضَّبْعَ بذى مِرَّة أَبْرَمهما فى الرَّحِم العُمْرُ(٦)

٣١ وتِمْسَحٌ خَلَّهُ طائرٌ وسابحٌ ليسَ له سحْرُ(٧)

(١) ط ، هـ : « لها الجحر » . والحية مما يذكر ويؤنث . وفى اللسان (١٨ : ٢٤١) : « والعرب تذكر الحية وتؤنثها ، فإذا قالوا الحيوت عنوا الحية الذكر » . وانظر لإخلاء الجحر له ما سبق فى (٤ : ١٦٩) .

(٢) سيأتى فى ٣٢٠ : « فإن العقرب متى لسعت فرت من خوف القتل ، وهذا يدل على أنها جانية » . وقد استضأت بهذه العبارة فى تصحيح ما جاء فى الأصل ؛ إذ فى الأصل : « وقوة العقرب » . هـ : « غدر » محرف .

(٣) س : « والبئر » محرف .

(٤) الجردة ، بالضم : التجرد ، أى متجرد من الزغب والريش كما سيأتى فى التفسير . س : « حودة » هـ : « جودة » صوابهما فى ط . والبيت محرف فى اللسان (شرف) .

(٥) الثرمل : بضم الثاء والميم : « دابة » ، عن ثعلب ، ولم يحلها » كما فى اللسان . وفى القاموس أنها : « دابة » ولم يزد . وأما الدابة التى وصفتها المعاجم فهى الثرملة ، والثرملة : الأنثى من الثعالب ، كما سيأتى فى تفسير الجاحظ وكما فى اللسان ، أو هى اسم من أسماء الثعالب ، كما فى القاموس واللسان أيضا . ويبدو لى أن تلك الدابة المطلقة هى هذه الدابة المقيدة . س « ترمل » هـ : « تزمل » صوابهما فى ط . والدوبل هنا : الذئب العرم ، وانظر (٢ : ١٨٢ س ٧ - ٨) . س : « ذوبل » هـ : « دونك » صوابهما ما أثبت .

(٦) ط ، س أثرمها . هـ : « أتزمها » ، محرفتان . وفى الأصل : « الغمر » ، صوابه بالمهملة .

(٧) التمسح ، بكسر التاء : لغة فى التمساح . والسحر ، بالفتح : الرئة .

٣٢ والعُثّ والُحفَّاثُ ذو فحفحٍ   وخرنقٌ يَسْفِدُهُ وَبْرُ(١)

٣٣ وغائص فى الرمل ذو حدَّة   ليس له نابٌ ولا ظُفُرُ

٣٤ حِرباؤُها فى قيظِها شامِسٌ   حَتَّى يوافى وَقْتَهُ العَصْرُ(٢)

٣٥ يَميل بالشِّقِّ إليها كما   يَمِيلُ فى رَوْضَتِهِ الزَّهْرُ(٣)

٣٦ والظَّرِبانُ الوَرْدُ قد شَفَّه   حُبُّ الكُشَى، والوَحَرُ الُحمْرُ(٤)

٣٧ يلوذُ منه الضَّبُّ مُذْلولِياً   ولو نَجَا أهلَكَهُ الذُّعرُ(٥)

٣٨ وليس يُنْجيه إذا ما فسا   شىءٌ ولو أحْرَزَهُ قَصْرُ(٦)

---

(١) العث ، بضم العين المهملة . ط : « والفث » س ، ﻫ : « والفث والجفاف » محرفتان . والحفاث ، بالحاء المهملة وتشديد الفاء وآخره مثلثة . والخرنق ، بكسر الخاء المعجمة والنون . ط ، ﻫ : « وخربق » س : « وحربق » محرفتان . وانظر ما سيأتى من التفسير فى ص ٣٤٥ . والفحفح : يريد به الفحفحة ، وهى فحيح الأفعى . ولم أجد الفحفح ، ولا هى مما يقتضيه قياس المصادر ، ولكنها محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، ﻫ : « مخنج » وفى س : « فخفخ » محرفتان ، يقال فحت الأفعى وفحفحت .

(٢) الحرباء مذكر ، والأنثى حرباءة . والقيظ ، حمارة الصيف . ط ، س : « قطعها » ﻫ : « قطها » صوابهما ما أثبت . شامس : المعروف « متشمس » يقال تشمس أى تعرض للشمس وانتصب لها . ويبدو أن بشرا صاحب القصيدة ليس ثقة فى لغته .

(٣) الشق ، بالكسر : الجانب . س ، ﻫ : « تميل » وإنما الحرباء مذكر .

(٤) الورد ، بالفتح : ما لونه الوردة ، وهى حمرة تضرب إلى صفرة حسنة . شفه الحب لذع قلبه ، وقيل أنحله ، وقيل أذهب عقله . والكشى : جمع كشية ، وهى شحمة الضب . س : « قد شقه حب الوجا » محرف . والوحر ، بفتح الواو والحاء المهملة : جمع وحرة ، وهى ضرب من العظاء . ط ، س : « الوجر » بالجيم محرف .

(٥) اذلولى : ذل وانقاد ، عن ابن الأعرابى . واذلولى أيضا : أسرع . ومنه حديث فاطمة بنت قيس : « ما هو إلا أن سمعت قائلا يقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذلوليت حتى رأيت وجهه » ، أى أسرعت . ويقال اذلولى الرجل : أسرع مخافة أن يفوقه شىء .

(٦) ريح الظربان مضرب المثل فى حدة نتنه . انظر (١ : ٢٤٨ / ٢ : ١٥٥ / ٣ : ٥٠٠) . ل ، ﻫ : « فشا » محرفة .

٣٩ وهَيشة تأكلها سُرْفةٌ وسِمْعُ ذئبٍ همُّه الحُضْرُ[١]

٤٠ لاتَرِدُ الماءَ أفاعِي النَّقَا لكنَّما يعجبُها الخَمْرُ[٢]

٤١ وفى ذَرَى الحَرْمَلِ ظِلٌّ لها إذا غَلا واحْتَدَمَ الهَجْرُ[٣]

٤٢ فبعضها طُعْمٌ لبعض كما أعطَى سِهامَ المَيْسِرِ القَمْرُ[٤]

٤٣ وتِمْسَحُ النِّيلِ عُقَابُ الهَوَا واللَّيثُ رأسٌ وله الأسْرُ[٥]

٤٤ ثلاثةٌ ليس لها غالبٌ إلاَّ بما ينتقِضُ الدَّهْرُ[٦]

٤٥ إنِّى وإن كنتُ ضعيفَ القُوى

فاللهُ يَقْضِى ولهُ الأمرُ

٤٦ لست إباضِيًّا غَبِيًّا ولا كرافِضِىٍّ غَرَّهُ الجَفْرُ[٧] ٩٤

---

(١) الهيشة ، بالفتح : أم حبين . وفى الأصل : « هرسة » . وقد أنشد البيت فى اللسان (٨ : ٢٦٠) على الصواب الذى أثبت . والسرفة ، بالضم : دويبة فى تفسيرها عشرة أقوال . انظر اللسان . س : « عرسة » محرف . والسمع ، بالكسر : ولد الذئب من الضبع : ولذا أضافه إليه . والحضر بالضم : اسم من أحضر إحضارا ، وهو الارتفاع فى العدو . وفى الأصل : « الحصر » بمهملتين ، تحريف .

(٢) انظر لولوع الحيات بالخمر ما سيأتى فى ٣٩٩ . ط ، هـ : « يخنقها الحمر » س : « يحنقها الحمر » ، محرفتان .

(٣) الذرى ، بفتح الذال والراء ، كنف الشىء وظله وكل ما استترت به . والحرمل : نبت . والهجر ، بالفتح : الهاجرة ، وهى نصف النهار عند اشتداد الحر . ط ، هـ : « علا » بالعين المهملة . هـ ، س : « واحتذم » بالذال المعجمة ، وهذه محرفة .

(٤) القمر ، بالفتح : الغلبة والفوز فى القمار . هـ : « السر القمر » ، س : « النمر العمر » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٥) الهوا ، مقصور : الهواء . وفى الأصل : « الهوى » .

(٦) هـ : « ليس لهم » . وفى الأصل : « الأمر » بدل : « الدهر » صوابه ما سيأتى فى ص ٤٠٤ .

(٧) الجفر : جلد جفر يقول الرافضة إن الإمام كتب لهم فيه كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة . انظر تأويل مختلف الحديث ص ٨٥ . وأصل الجفر ولد الشاء إذا عظم واستكرش .

٤٧ كما يغرُّ الآلُ فى سَبْسَبٍ   سَفْرًا فأودَى عنده السَّفْرُ[1]

٤٨ كلاهما وسَّع فى جَهْلِ ما   فعالُه عندهما كُفْرٌ

٤٩ لسنا من الحشْوِ الجفاةِ الأُلى   عابُوا الذى عَابُوا ولم يَدْرُوا

٥٠ أنْ غِبْتَ لم يُسْلِمْكَ من تُهْمَةٍ   وإنْ رَنَا فلحظُهُ شزْرُ[2]

٥١ يُعرِضُ إن سالَمته مُدْبِرًا   كأنما ياسَبُه الدَّبْرُ[3]

٥٢ أَبْلَهَ خِبٌّ ضَغِنٌ قلبُه   له احْتيالٌ وله مَكْرُ[4]

٥٣ وانتحلُوا جماعةً باسمِها   وفارقوها فهُمُ اليَعْرُ[5]

٥٤ وأهوجَ أعوجَ ذُو لُوثةٍ   ليس له رَأىٌ ولا قَدْرُ[6]

٥٥ قد غرَّه فى نفسه مثلُه   وغرَّهم أيضاً كما غرُّوا

٥٦ لاتنجع الحكمةُ فيهم كما   يَنْبُو عن الجَرْوَلة القَطْرُ[7]

٥٧ قلوبُهم شَتَّى فما مِنهم   ثلاثةٌ يجمعُهم أمرُ

---

(١) الآل : السراب ، أو ما يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض ، يرفع الشخوص ويزهاها . والسفر ، بالفتح : جماعة المسافرين . أودى : هلك . ط ، س : « يفر » صوابه بالغين ، من الغرور كما فى هـ .

(٢) التهمة : الظنة وما يتهم به الرجل . وهى فعلة من الوهم ، تقال بضم التاء مع سكون الهاء وفتحها . وفى الأصل : « بهمة » بالباء ، تحريف . رنا : نظر فى سكون وإدامة . هـ : « دنا » من الدنو .

(٣) لسبه : لسعه ، وفعله كمنع وضرب . والدبر ، بالفتح : النحل والزنابير . فى الأصل : « يلبسه » بتقديم الباء ، محرف .

(٤) ط ، هـ : « له اختيال » ، والأوفق ما أثبت من س .

(٥) اليعر ، بفتح الياء المثناة التحتية : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد . وفى المثل : « هو أذل من اليعر » . وفى الأصل : « النمر » بالنون ، ولا وجه له » .

(٦) اللوثة ، بالضم : الاسترخاء والحمق . س : « لدنة » ، محرف .

(٧) الجرولة ، بفتح الجيم : واحدة الجرول ، وهى الحجارة ، أو الحجارة أملاء الأكف . وفى الأصل : « الخزولة » بخاء معجمة وزاى ، محرفة .

٥٨ إلّا الأذى أو بَهْتَ أهْلِ التقى … وأنّهم أعينُهمْ خُزْرُ[1]

٥٩ أولئك الدّاءُ العُضالُ الذى … أعيا لديه الصّابُ والمقْرُ[2]

٦٠ حيلة من ليستْ له حيلةٌ … حُسْنُ عَزاءِ النّفس والصّبرُ[3]

(القصيدة الثانية)

قال : [و[4]] أنشدنى أيضا :

١ ما ترى العالَمَ ذا حُشْوةٍ … يقصُرُ عنها عَدَدُ القَطْرِ

٢ أوابد الوحْشِ وأحْناشُها … وكلُّ سَبْعٍ وافِرِ الظُّفْرِ[5]

٣ وبعضُه ذو هَمَجٍ هامجٍ … فيه اعتبارٌ لذَوى الفِكرِ

٤ والوزَغُ الرُّقْطُ على ذُلِّها … تُطاعِمُ الحيّاتِ فى الجُحْرِ

٥ والخِنْفِسُ الأَسْودُ فى طَبْعه … مَودَّة العقرب فى السِّرِّ

٦ والحشراتُ الغُبْرُ منْبَثّةٌ … بين الوَرَى والبَلدِ القفْرِ

٧ وكلها شَرٌّ وفى شَرِّها … خيرٌ كثير عند من يَدرِى[6]

٨ لو فكّرَ العاقل فى نفسه … مُدّةَ هذا الخلق فى العُمْرِ

٩ لم يرَ إلّا عجباً شامِلا … أو حُجَّةً تُنقَشُ فى الصَّخْرِ ٩٥

١٠ فكم ترَى فى الخلق من آيةٍ … خَفِيّةِ الجُسْمان فى قعْرِ[7]

---

(١) الخزر : جمع أخزر وخزراء ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه . وعدو أخزر العين : ينظر عن معارضة .

(٢) الصاب والمقر : نبتان مران .

(٣) ط : « من ليس له حيلة » . وما فى سائر النسخ يطابق البيان (٤ : ٢٢) .

(٤) هذا الحرف من س .

(٥) الأحناش : جمع حنش . وانظر ص ٤٠٦ سابى . ط : « أجناسها » س ، ة : « أحنامها » محرفتان .

(٦) ﻫ : « فى كلها شر » .

(٧) س : « الجثمان » بالثاء المثلثة ، وهما سيان . يقال : جسم وجسمان وجثمان .

١١ أبرزها الفكر على فكرةٍ يحارُ فيها وضَحُ الفَجْرِ
١٢ لله درُّ العقْلِ من رائدٍ وصاحبٍ فى العُسْرِ واليُسْر
١٣ وحاكمٍ يَقضى على غائب قضيَّةَ الشَّاهدِ للأمْر
١٤ وإنَّ شيئاً بعضُ أفعاله أنْ يفصِلَ الخيرَ من الشَّرِّ
١٥ بذى قوًى ، قد خصَّه ربُّه بخالص التَّقديس والطُّهْرِ (١)
١٦ بل أنت كالعين وإنسانها ومخرج الخيْشُوم والنَّحْرِ
١٧ فشرُّهم أكثرهم حيلةً كالذِّئب والثَّعلب والذَّرِّ
١٨ واللَّيث قد بلَّده علمُه بما حَوَى من شِدَّة الأسر (٢)
١٩ فتارة يَحْطِمُهُ خابطاً وتارة يَثنيه بالهَصْر (٣)
٢٠ والضعفُ قد عرَّف أربابَه مواضع الفرِّ من الكرِّ (٤)
٢١ تعرف بالإحساس أقدارَها فى الأسر والإلحاح والصَّبْر (٥)
٢٢ والبخْت مقرون فلا تجهلنْ بصاحِبِ الحاجة والفَقْرِ
٢٣ وذُو الكِفايات إلى سَكْرةٍ أهون منها سَكْرةُ الخَمْرِ (٦)
٢٤ والضَّبُعُ الغَثْراء مَعْ ذِيخها شَرٌّ من اللَّبوة والنَّمْرِ (٧)

(١) أى يفصل بين الخير والشر بفكر ذى قوى . وجملة : « خصه ربه » هى خبر إن .
(٢) بلده : جعله يبلد ، يقال بلد بالمكان بلودا : أقام ولزمه . هـ : « جلده » تحريف . وانظر ص ٤٠٧ .
(٣) ط : « تحطمه خابطا » هـ : « تخطمه خائطا » وأثبت ما فى س .
(٤) أربابه : أصحابه . فى س : « أرهابه » محرفة . وفيها أيضا : « مواضع الكر من الفر » على التقديم والتأخير .
(٥) الأحساس : جمع حس . والأسر : القوة ، وفى الأصل : « فى الاسم والجارح » محرف .
(٦) ط : « وذا الكفايات » هـ : « وذى الكفايات » ، صوابهما فى س .
(٧) الغثراء ، بفتح الغين المعجمة : التى لونها الغثرة ، وهى لونان من سواد وصفرة . —

٢٥ لو خُلِّىَ اللَّيثُ ببطن الورى والنَّمِرُ أو قد جِىء بالبَبْرْ

٢٦ كان لهاأرْجَى ولوقَضقَضت ما بين قَرنَيهِ إلى الصَّدْر[1]

٢٧ وَالذئب إن أفلت من شره فبعد أَن أبلغ فى العُذْر

٢٨ وكلٌّ جنس فله قالَبٌ وعُنْصرٌ أعراقُهُ تَسرِى

٢٩ وتصنع السُّرفة فيهم على مِثلِ صَنيع الأرض والبَذْرِ[2]

٣٠ والأضعف الأصغَرُ أحْرَى بأن
يحتال للأكبر بالفكرِ[3]

٣١ متى يرى عدوّه قاهِرا أحوجَهُ ذاك إلى المَكْرِ

٣٢ كما ترى الذئب إذا لم يُطِقْ صاحَ فجاءت رَسَلًا تجرِى[4]

٣٣ وكلٌّ شىءٍ فعلى قدْره يُحجم أو يُقْدِمُ أو يجرِى

٣٤ والكَيْس فى المكسَب شَمْلٌ لَهُمْ
والعندليبُ الفَرْخُ كالنَّسْرِ[5]

= ويقال للضبع أيضا « غثار » كقطام . وفى الأصل : « العثراء » بالعين المهملة ، محرفة . والذيخ ، بالكسر : الذكر من الضباع .

(١) القضقضة : أن يحطم عظام الفريسة وأعضاءها . وفى الأصل : « فضفضت » بفاءين ، محرفة . والقرن : واحد قرون الرأس ، وهى نواحيها . يقول : إن الضبع تحرص على ضبعها حتى بعد أن تقضقضه هذه السباع .

(٢) السرفة ، سبق الكلام عليها فى ص ١٠ . ط : « الترفة » س ، هـ : « النزفة » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) هـ : « والأضعف الأصغر الأحوى » ، س : « بأن يختال للأكثر » ، وصوابهما فى ط .

(٤) الرسل ، بفتحتين : القطيع من كل شىء . يقال : جاءت الخيل أرسالا : أى قطيعا بعد قطيع . هـ : « وسلا » س : « رسل » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٥) العندليب ، سبق الكلام عليه فى (٥ : ١٤٩) . وهو مثل فى صغر الجثة والضعف . هـ : « شمل لكم » .

٣٥ والخُلْد كالذِّئب على خُبْثِه والفيلُ والأعْلم كالوَبْرِ (١)

٣٦ والعبدُ كالحرِّ وإن ساءَه والأبغَثَ الأغثر كالصَّقر (٢)

٣٧ لكنَّهم في الدِّين أيدِي سَبَا تفاوَتُوا في الرَّأى والقَدْرِ (٣)

٣٨ قد غَمرَ التَّقليدُ أحلامَهُمْ فناصَبُوا القَيَّاسَ ذا السَّبْرِ (٥)

٣٩ فافهَمْ كلامى واصطَبِرْ ساعةً فإنَّما النُّجْح مع الصَّبْرِ

٤٠ وانظر إلى الدُّنْيا بعين امرئ يكره أن يجرى ولا يَدْرِى

٤١ أما ترى الهقْلَ وأمعاءَه يجْمَعُ بين الصَّخْرِ والجَمْرِ (٦)

٤٢ وفارة البيش على بِيشِها طيِّبةٌ فائقة العِطرِ

٤٣ وطائر يسبح فى جاحمٍ كماهِر يسبَحُ فى غَمْرِ

٤٤ ولَطعَة الذِّئب على حَسْوِهِ وصنعة السُّرْفة والدَّبْرِ (٧)

٤٥ ومَسْمَع القرْدَان فى مَنْهَل أعجبُ ممَّا قِيلَ فى الحِجْرْ (٨)

---

(١) الأعلم : البعير ؛ سمى بذلك لأنه مشقوق الشفة العليا ، والعلم : الشق فى الشفة العليا . وأنظر الوبر ص ٢١ من هذا الجزء . وسيأتى فى ٤١٠ : « على كسبه » بدل : « خبثه » .

(٢) الأبغث : من طير الماء ، لونه كلون الرماد ، طويل العنق . والأغثر : مالونه الغثرة ، وهى قريبة من الغبرة . ط ، س : « الأعثر » بالمهملة ، تحريف .

(٣) ه : « والغدر » ، محرف .

(٤) القياس : من يستعمل القياس . والسبر : مصدر سبر الجرح سبرا : نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره ، والمسبار : ماسبر به . وفى الأصل : « ذا الشر » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٥) ه : « يحرى » بالحاء ، بدل : « يجرى » .

(٦) س : « تجمع » وضمير هذه للأمعاء .

(٧) س : « ولطفة » س : « على حمره » محرفتان .

(٨) انظر لسمع القراد ما سبق فى (٥ : ٤٣١) . وأما الحجر فهى بالكسر : الأنثى من الخيل وانظر لتفسير البيت ما سيأتى فى ص ٤٣٨ . والعرب يقولون : « أسمع من فرس » . ه : « الجحر » بتقديم الجيم ، محرفة

٤٦ وظبية تَدْخِلُ فى تَوْلجٍ مُؤْخِرَها من شِدَّة الذُّعرِ (١)
٤٧ تأخذ بالحَزْم على قانصٍ يُريغُها من قِبَلِ الدُّبْرِ (٢)
٤٨ وَالمُقْرَمُ المعْــلم ما إنْ له مَرارةٌ تُسْمَعُ فى الذِّكْرْ (٣)
٤٩ وخُصْيةٌ تنصُلُ من جَوفِه عِنْدَ حُدوثِ الموتِ والنَّحرِ (٤)
٥٠ ولا يَرَى مِن بَعْدِها جازرٌ شِقْشِقةً مائلة الهَدْرِ (٥)
٥١ وليس للطِّرْفِ طِحالٌ وقد أشاعه العالمُ بالأمرِ
٥٢ وفى فؤاد الثور عَظمٌ وقد يعرفه الجازِرِ ذو الخُبْرْ (٦)
٥٣ وأكثرُ الحيتانِ أعجوبةً ما كان منها عاشَ فى البحرْ
٥٤ إذْ لا لسانٌ سُقِى مِلحَهُ ولا دِماغُ السَّمك النَّهرى (٧)
٥٥ يدخُل فى العذب إلى جَمِّـه كفِعلِ ذى النُّقلةِ فى البرِّ (٨)

---

(١) التولج ، بفتح التاء فى أوله : كناس الظبى أو الوحش . ويقال فيه أيضا : « دولج » وفى الأصل : « مولج » محرف . وانظر ما سبق فى ص ٤٧ . وقد مضى الكلام على دخول الظبى كناسه مستدبرا فى ص ٢٨١ .

(٢) أراغ الصائد القنص : طلبه . وفى الأصل : « يريعها » بالعين المهملة ، تحريف .

(٣) المقرم ، بزنة اسم المفعول : البعير المكرم الذى لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للفحلة والضراب . وفى الأصل : « المقدم » محرفة . والمعلم : الذى جعلت له علامة وسمة . وهذه الكلمة موضعها بياض فى س . وبدلها فى ط ، ه « أخر » وصوابها مما سيأتى فى شرح الجاحظ .

(٤) تنصل : تزول وتختفى ، كما ينصل الخضاب . س ، ه : « تنطل » محرفة ، وفيهما أيضا : « من خافه » . وانظر شرح الجاحظ ص ٤٣٩ ساسى .

(٥) س : « جارز » س ، ه : « مائلة الهزر » محرفتان .

(٦) س : « الحاذر » : محرفة . ط : « ذا الخبر » . وقد سقط صدر هذا البيت وعجز سابقه من س ، وركب صدر سابقه على عجزه .

(٧) ط ، س : « إذ لا لبان » صوابها فى ه . ط ، ه : « السمك الدهرى » صوابه فى س .

(٨) العذب ، أراد به ماء الأنهار العذبة . وجم الماء : معظمه . وأراد بذى النقلة قواطع الطير التى تقطع إلى الناس فى أزمان معينة من السنة ، كالسمانى والخطاطيف =

٥٦ تدير أوقاتاً بأعيانها على مثال الفلك المجرِى

٥٧ وكلُّ جِنسٍ فلهُ مُدّةٌ تَعاقُبَ الأنْوَاء فى الشَّهْر

٥٨ وأكبُدٌ تَظْهَرُ فى ليلها ثم تَوارَى آخرَ الدَّهْرِ (١)

٥٩ ولا يُسيغ الطُّعْمَ مالم يكُنْ مِزاجه ماءً على قَدْرِ (٢)

٦٠ ليس له شىء لإزلاقِه سِوَى جرابٍ واسع الشَّجْرِ (٣)

٦١ والتتفل الرائغ إمَّا نَضَا فشَطر انبوب على شَطرِ (٤)

٦٢ متى رأى اللَّيثُ أخا حافر تجدْه ذا فَشٍّ وذا جَزْرِ (٥)

٦٣ وإن رأى النِّمْرَ طعاماً له أطعَمَه ذلك فى النِّمْرِ (٦)

= يشير إلى أن فى السمك ما ينتقل من الماء الملح إلى الماء العذب فى أزمان معينة ، كما أن فى حيوان البر ما ينتقل من البرارى ويقطع إلى الناس فى أوقات معلومة ، والبيت مشوه فى الأصل ، فى س ، ه : « يدخل فى الغرب إلى جسمه » ط : « يدخل فى العزب إلى جسمه » وفى جميع النسخ : « كفعل ذى العلة » محرف . وانظر لقواطع السمك والطير ما سبق فى (٣ : ٢٥٩ / ٤ : ١٠٢ / ٥ : ٢٠٣ ، ٥٣٨) .

(١) انظر شرح البيت فى ص ٤٢٢ ساسى . وقد جاء محرفا فى الأصل هكذا :

والبدر مذ يظهر فى ليلها ثم يوارى آخر الدهر

(٢) فى الأصل : « مزاجه الدهر » ، وانظر ما سيأتى فى الشرح .

(٣) الشجر ، بفتح الشين وسكون الجيم : مفرج الفم . ط ، س : « الشحر » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٤) التتفل : الثعلب . وانظر ما سبق فى ٢٨٥ . وقد فسر الجاحظ هذا البيت عرضا فى أثناء تفسيره البيت الثانى من القصيدة الأولى لبشر . انظر ص ٣٠٥ . وفى اللسان : « أبو عبيدة : نضا الفرس ينضو نضوا إذا أدلى فأخرج جردانه » .

(٥) أخا الحافر : أى ماله حافر من الحيوان . والفش : الأكل ، قال جرير :

فبتم تفشون الخزير كأنكم مطلقة يوما ويوما تراجع

(٦) النمر ، هو فى ط ، س : « الخثرى » ه : « الختر » وذلك فى الموضع الأول من البيت . وجاءت فى الموضع الثانى « الحبر » فى كل من ط ، س وحرفت فى ه فجاءت : « الختر » . و « أطعمه » هى فى الأصل : « أطممه » محرفة .

٦٤ وإن رأى مخلَبَهُ وافياً ونابَه يَجْرَح فى الصَّخْرِ[1]

٦٥ مُهرتَ الشِّدقِ إلى غَلْصَمٍ فالنِّمْر مأكولٌ إلى الحشْرِ[2]

٦٦ وما يُعادِى النِّمرُ فى ضَيْغَمٍ زئيرُه أصبر من نمْرِ[3]

٦٧ لولا الذى فى أصْلِ تركيبه من شِدَّةِ الأضلاع والظَّهْرِ

٦٨ يبلغُ بالجَسْر على طبعه ما يَسْحَر المختالَ ذا الكبر[4]

٦٩ سُبحانَ رَبِّ الخَلقِ والأَمْرِ ومُنْشِر الميْتِ من القبرِ

٧٠ فاصبرْ على التفكير فيما تَرَى ما أقرَبَ الأجْرَ من الوِزْرِ

(تفسير القصيدة الأولى)

نقول بعون الله تعالى وقُوته فى تفسير قصيدتَى[5] أبى سهل بشر ابن المعتمر ، ونبدأ بالأولى المرفوعة ، التى ذكر فى آخرها الإباضية ، والرافضة ، والنابتة[6] فإذا قلنا فى ذلك بما حضرَنا قلنا فى قصيدته الثانية إن شاء الله تعالى .

(ما قيل فى الذئب)

أمّا قوله :

٢ « كأذْؤُبٍ تنهشُها أذْؤبٌ لَها عُواءٌ ولها زَفرُ »

---

(١) هـ : « ونابه يخرج » ، تحريف .

(٢) المعروف « الغلصمة » ، وهى اللحم الذى بين الرأس والعنق . وانظر حواشى ص ٤٤٨ . وفى الأصل : « فالمير » .

(٣) أصبر من نمر ، كذا وردت فى الأصل .

(٤) الجسر : الرجل الماضى الشجاع . ط فقط : « بالجار » .

(٥) فى الأصل : « قصيدة » .

(٦) س : « والثانية » محرف .

فإنّها قد تهارَشُ على الفَريسة ، ولا تبلغ القَتْل ، فإذا أدْمَى بعضُها بعضاً وثَبَتْ عليه فمزّقته وأكلته . وقال الرّاجز[١] :

فلا تكونى يا ابْنَةَ الأَشَمِّ[٢] وَرقاءَ دَمَّى ذئبَها المدمِّى[٣]

وقال الفرزدق[٤] :

وكنْتَ كذئْب السَّوْءِ لمّـا رأى دَمًا
بصاحبه يوماً أحالَ على الدَّم[٥]

نعم حَتّى رُبّما أقبَلا على الإنسان إقبالاً واحداً ، وهما سواءٌ على عداوتِه والجَزْم على أكله ، فإذا أُدْمِيَ[٦] أحدُهما وثَب على صاحبه المدْمَى فمزّقه وأكلَه ، وترك الإنسان وإن كان أحدهما قد أدماه .

٩٨

---

(١) هو رؤبة بن العجاج ، من أرجوزة يمدح فيها الحارث بن سليم ، كما فى ديوانه ١٤٢ وثمار القلوب ٣١١ والفصول والغايات ٣٣٢ والميدانى (١ : ٤٥٢) واللسان (١٢ : ٢٥٧ / ١٨ : ٢٩٤) . وانفرد البكرى فى التنبيه بنسبته إلى العجاج ، وقال فى تفسيره : « يقول لامرأته : إذا رأيت الناس قد ظلمونى فلا تكونى على معهم ، كما تفعل هذه الذئبة بذكرها » .

(٢) فى الثمار والتنبيه : « ولا تكونى » ، ووجه الرواية بالفاء كما فى الديوان وسائر المصادر .

(٣) الورقاء : ما لونها الورقة ، وهى لون بين السواد والغبرة ، كلون الرماد ، عنى بها الذئبة . وفى الأصل : « زرقاء » محرفة . وفى ثمار القلوب : « حمقاء » دماه تدمية : ضربه حتى خرج منه الدم . وفى الأصل : « دمى دمها » تحريف :

(٤) انظر ابن سلام ١٢٧ والحيوان (٥ : ٣١٩) وثمار القلوب ٣١١ وعيون الأخبار (٢ : ٨٢) والفصول والغايات ٣٣٢ والعقد (٤ : ٢٦١) وتنبيه البكرى ٣٦ وجمهرة العسكرى ١٤٨ والميدانى (١ : ٤٥٢) والأغانى (٤ : ٤٨ / ٥ : ١٥٧) ومحاضرات الراغب (١ : ١٧٤ / ٢ : ٣٠٨) واللسان (١٣ : ٣٠٤ / ١٨ : ٢٩٥) . والبيت فى ديوان الفرزدق ٧٤٩ . وانظر قصة انتحال الفرزدق هذا البيت فى الأغانى (٥ : ١٥٧) .

(٥) رواية اللسان : (١٣ : ٢٠٤) : « فكان كذئب السوء » . وقبل البيت :

فلو كنت صلب العود أو ذا حفيظة لوريت عن مولاك فى ليل مظلم
لجرت بهاد أو لقلت لمداج من القوم لمـا يقض نعسته نم

(٦) س : « فإن أدمى » .

ولا أعلمُ فى الأرض خَلقاً ألأمَ من هذا الخلق، ولا شرًّا منه[١] . ويحدث عند رؤيته الدَّم له فى صاحبه الطمَع ، ويحدث له فى ذلك الطمع فضلُ قوة ، ويحدث للمدمَّى جبنٌ وخوف ، ويحدث عنهما ضعف واستخذاء[٢] ، فإذا تهيأ ذلك منهما لم يكن دونَ أكله شىء . والله أعلم حيثُ لم يُعطِ الذئبَ قُوةَ الأسد، ولم يعط الأسد جُبنَ الذئب الهارب بما يرى فى أثر الدّم من الضعف . مثل[٣] ما يعترى الهر والهرة بعد الفراغ من السِّفاد ، فإن الهر قبل أن يفرُغ من سِفاد الهرة أقوى منها كثيراً ، فإذا سَفِدها ولّى عنها هارباً واتبعته طالبةً له[٤] ، فإنها فى تلك الحال إن لحقَتْه كانت أقوى منه كثيراً . فلذلك يقطع الأرض فى الهرَب ، وربّما رمى بنفسه من حالق . وهذا شىءٌ لا يعدَمانِه فى تلك الحال .

ولم أرهم يقِفُون على حدٍّ العلة فى ذلك . وهذا بابٌ سيقَعُ فى موضعه من القول فى الذئب تامًّا ، بما فيه من الرِّواية وغير ذلك .

(الذيخ والثيتل والغفر)

وأمَّا قوله :

٥ مَنْ خَلقه فى رزقِهِ كلُّهُمْ الذِّيخُ والثّيْتل والغُفر[٥]

---

(١) كلمة : « ولا شرا منه » ليست فى س .

(٢) الاستخذاء : الخضوع . ط ، هـ : « واسترخاء » .

(٣) أى وهذا مثل .

(٤) هـ : « فإذا سفدها وولى عنها هاربا اتبعته طالبة له » .

(٥) سبق الكلام على هذا البيت فى حواشى ص ٢٨٥ . فى الأصل : « والتيتل » بالتاء المثناة فى أوله ، تحريف . ط ، س : « والعفر » بالعين المهملة .

الذِّيخ : ذكر الضَّبع . والثَّيتل شَبيهٌ بالوَعل[١] ، وهو ممَّا يسكن فى رؤوس الجبال ، ولا يكون فى القُرى . وكذلك الأوعال . وليس لها حُضر ولا عملٌ محمود على البسيط[٢] ، وكذلك ليس للظباء حُضْر[٣] ولا عملٌ محمود فى رؤوس الجبال

وقال الشاعر[٤] :

وخَيلٍ تَكَردسُ بالدارِعِينَ ... كمشى الوُعولِ على الظاهرة[٥]

وقال أيضاً[٦] :

والظَّبيُ فى رأس اليَفَاع تَخالُه ... عِنْدَ الهضَاب مُقَيَّدًا مشْكولا[٧]

والغفْر[٨] : ولد الأُروية : واحدِ الأَرْوَى[٩] ، والأَرْوَى : جماعةٌ من إناث الأوعال.

---

(١) فى الأصل : « والتيتل » محرفة . هـ : « شبيهة » تحريف .

(٢) الحضر ، بالضم : الارتفاع فى العدو . ط « حفر » محرفة . والبسيط من الأرض : المنبسط الفسيح . انظر (٣ : ٥٣٢ س ٢ / ٦ : ٣٩ س ٨) وفى الأصل : « التبسط » محرف .

(٣) ط فقط : « حفر » ، تحريف . وانظر التنبيه السابق .

(٤) هو مهلهل ، كما فى اللسان (ظهر ، كدس) ، أو عبيد بن الأبرص كما فى تهذيب الألفاظ ٢٧٩ واللسان (كدس) .

(٥) سبق الكلام على البيت فى (٤ : ٣٥٣) وفى الأصل : « الظاهر » ، صوابه ماسبق . وقبل البيت كما فى تهذيب الألفاظ :

ألا أيها الملك المرسل الـ ... قوافى وذو الأمر والنائره
هل لك فينا وما عندنا ... وهل لك فى الأدم الوافره

(٦) س : « وقال الشاعر » .

(٧) اليفاع ، كسحاب : المشرف من الأرض . هـ : « البقاع » محرف . والمشكول : الذى قيد بالشكال ، وهى حبل تشد به قوائم الدابة . وانظر شبيه هذا البيت فى (٥ : ٦٦) .

(٨) فى الأصل : « العفر » بالمهملة ، تحريف .

(٩) التحقيق أن الأروى ، بفتح أوله مع فتح الواو والقصر : اسم جمع الأروية . وأما جمعها فهو الأراوى على وزن أفاعيل . انظر اللسان (١٩ : ٦٩) .

(الصَّدَع والجأب)

وأما قوله :

٧ « والصَّدَعُ الأعصمُ فى شاهق   وجَأبةٌ مسكنُها الوعْـــرُ »

فالصَّدَع : الشّاب من الأوعال . والأعصم : الذى فى عصمته بياضٌ[1] وفى المِعْصم منه سوادٌ ولونٌ يخالفُ لونَ جسده، والأُنْثَى عَصماء . والجأب : الحمار الغليظ الشَّديد . والجأبة : الأتَان الغليظة . والجأب أيضاً ، مهموز : المَغرة[2] . وقال عنترة :

فنجا أمامَ رِماحِهنّ كأنَّهُ   فَوْتَ الأسِنة حافر الجأبِ[3]

شبَّهه بما عليه من لُطوخ الدِّماء برجُل يحفر فى معدن المَغْرة . والمَغرة أيضاً ٩٩ المَكْر[4] . ولذلك قال أبو زُبيد[5] فى صفة الأسد المخمر بالدماء :

يعاجيهم للشَّرِّ ثانِىَ عِطْفِهِ   عنايته كأنّما باتَ يُمْكَرُ[6]

---

(١) أراد موضع العصمة . انظر اللسان (١٥ : ٣٠٠ س ١٣) . والعصمة بالضم : بياض فى ذراعيه .

(٢) المغرة ، بالفتح والتحريك : طين أحمر يصبغ به . ﻫ : « المعزة » محرف .

(٣) فوت الأسنة ، أى فائتا الأسنة ، مصدر وقع حالا .

(٤) المكر ، بالفتح ، وهو عين المغرة التى يصبغ بها ، ثوب ممكور : مصبوغ بالمكر .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٢/٣٥٢ : ٢٧٤) . وزبيد ، بهيئة التصغير . قال ابن دريد فى الاشتقاق ٣٣١ : « ومنهم أبو زبيد الشاعر ، وهو حرملة بن المنذر . وزبيد تصغير زبد ، والزبد العطاء » .

(٦) يعاجيهم ، من المعاجاة ، وهى المعالجة والمعاناة . ط ، ﻫ « يناجيهم » صوابه فى ﻫ . ثانى عطفه : أى لاويا عنقه ، وهذا يوصف به المتكبر . انظر اللسان (١١ : ١٥٦) . عنايته ، كذا وردت فى ط ، ﻫ . وفى س : « عنت » . يمكر ، بالبناء للمفعول : يصبغ بالمكر ، وهو المغرة كما سبق .

(الحية والثعلب والذر)

وأما قوله :

٨ « والحيـة الصماء فى جُحرها والتّتفل الرائغ والذَّرّ[١] »

فالتتفل[٢] هو الثّعلب ، وهو موصوفٌ بالرَّوَغان والُخبث ، ويُضربه به المثلُ فى النّذالة والدناءة ، كما يضرب به المثلُ فى الُخبْث والرَّوَغان .

وقال طَرَفة[٣] :

وصاحبٍ قد كنتَ صاحبْتُه لا تَرَكَ اللّهُ لهُ واضِحَه[٤]

كلُّهمُ أروَغُ مِن ثَعلبٍ ما أشبَهَ اللَّيلةَ بالبارحَهْ[٥]

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة[٦] :

---

(١) س : « والتنفل الرائع فى الذر » تحريف .

(٢) س : « فالتنفل » ، محرف .

(٣) البيتان من أربعة فى ديوانه ٤٣ يهجو بها عمرو بن هند ، ويلوم أصحابه فى خذلانهم . وهما بتلك النسبة فى أمثال الميدانى (١ : ٢٩٠) وبدون نسبة فى جمهرة العسكرى ١٦ واللسان (٣ : ٤٧٤) والتاج (وضح) ، وقد روى الميدانى ثانيهما أيضاً فى (٢ : ٢٠٤) بدون نسبة .

(٤) الواضحة : الأسنان التى تبدو عند الضحك ، صفة غالبة . ورواية الديوان والعسكرى والميدانى واللسان : « كل خليل » وفى اللسان أيضا : « كنت صافيته » .

(٥) أروغ : أفعل من الروغان ، وهو الميل . وعجز البيت مثل يضرب فى تساوى الناس فى الشر والخديعة . يعنى أنهم من اللؤم فى نصاب واحد . وأول البيت عند العسكرى : « فكلهم » .

(٦) هو دريد بن الصمة — واسم الصمة معاوية — بن الحارث بن معاوية بن بكر بن علقة — ويقال علقمة — بن جداعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . وأمه ريحانة بنت معد يكرب ، أخت عمرو بن معديكرب . ودريد شاعر فحل ، وكان سيد جشم وفارسهم وقائدهم ، وكان مظفرا ميمون النقيبة ، وغزا نحو مائة غزوة ما أخفق فى واحدة منها . وأدرك الإسلام فلم يسلم ، وخرج يوم حنين مظاهرا =

ومُرَّة قد أدركتُهم فتركتُهمْ يروغُونَ بالغَرَّاء رَوْغ الثَّعالب [١]

وقال أيضاً :

ولستُ بثعلبٍ ، إنْ كان كونٌ يدُسُّ برأسهِ فى كُلِّ جُحْرِ [٢]

ولمَّا قال أبو مِحْجَنٍ الثَّقَفى لأصحاب النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، من حائط الطائف ما قال ، قال له عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : « إنما أنتَ ثعلبٌ فى جُحْر ، فابرُزْ من الحِصْن إن كنتَ رجُلا » !

ومما قيل فى ذِلة الثعلب ، قال بعضُ السَّلَف [٣] ، حين وجد الثُّعلبانَ بال على رأس صنمه :

= المشركين فقتل يومئذ على شركه . انظر المؤتلف ١١٤ والأغانى (٩ : ٢ — ١٩) والخزانة (٤ : ٤٤٤ — ٤٤٧ بولاق) والموشح ٤١ والسيرة ٨٤٠ — ٨٤١ ، ٨٥٢ — ٨٥٣ .

(١) البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ص ١١١ — ١١٣ . وروايته فيها .
ومرة قد أخرجتهم فتركتهم يروغون بالصلعاء روغ الثعالب
الضمير للخيل . لكن وردت الرواية هنا وفى معجم البلدان (٥ : ٣٨١) وحماسة ابن الشجرى ص ١٤ : « قد أدركتهم » بضمير المتكلم . ط ، هـ : « قد أركتهم » صوابه فى س والمعجم . وفى المعجم وحماسة ابن الشجرى : « فرأيتهم » بدل : « فتركتهم » . والغراء ، بفتح الغين المعجمة : موضع فى دار بنى أسد بنجد ، وهى فى الأصل « بالعراء » بالعين المهملة تحريف . ورواية الأصمعيات والمعجم وابن الشجرى « بالصلعاء » وهو موضع بنجد ،

(٢) الكون : الحدث .

(٣) هو غاوى بن ظالم السلمى ، أو أبو ذر الغفارى ، أو عباس بن مرداس السلمى ، انظر الاقتضاب ٣٢١ واللسان (١ : ٢٣٠) . أما صاحب القاموس فنسبه إلى غاوى بن عبد العزى الذى أسلم ، وسماه النبى صلى الله وسلم : « راشد ابن عبد ربه » . وفى الإصابة ٥٢١٣ نسبته إلى غاوى بن ظالم الذى سماه الرسول : راشد بن عبد الله » . وكان من قصة البيت على ما روى صاحب القاموس أنه « كان غاوى بن عبد العزى ، سادنا الصنم بنى سليم ، فبينا هو عنده إذ أقبل ثعلبان يشتدان حتى تسنماه فبالا عليه ، فقال البيت ثم قال : يا معشر سليم ، لا والله لا يضر ولا ينفع ، ولا يعطى ولا يمنع . فكسره ولحق بالنبى » . وقد ساق هذه القصة أيضا صاحب الاقتضاب . ونحوها فى الإصابة .

إلٰه يبول الثُّعْلُبانُ برأسِه ... لقد ذَلَّ مَنْ بالَتْ عليه الثعالبُ (١)

فأرسلها مثلاً . وقال دُرَيدٌ فى مثل ذلك (٢) :

تمنَّيْتَنى قيْسَ بنَ سعدٍ سَفَاهةً ... وأنتَ امروٌ لا تحتويك المقانبُ (٣)

وأنت امروٌ جَعْدُ القَفَا مُتَعَكِّسٌ ... من الأَقِطِ الحولِىِّ شبعان كانبُ (٤)

إذا انتسبوا لم يعرفوا غيرَ ثَعْلَبٍ ... إليهم ، ومن شَرِّ السِّباع الثعالبُ

وأنشدوا فى مثل ذلك :

ما أعجبَ الدَّهْرَ فى تصرُّفِهِ ... والدَّهْرُ لا تنقضى عجائبُهُ

١٠٠ يبسُط آمالَنَا فنبسُطها ... ودونَ آمالِنا نوائبُهُ

وكم رأيْنا فى الدَّهر من أسَدٍ ... بالتْ على رأسهِ ثعالبُهُ

---

(١) رواية اللسان والقاموس والإصابة و س : « أرب » بدل : « إله » . وقراءة « الثعلبان » على الإفراد بضم الثاء واللام هى ما يقتضيه كلام الجاحظ . وبهذه الرواية أيضا جاء فى صحاح الجوهرى . وقال صاحب القاموس فى نقد الجوهرى : « غلط صريح ، وهو مسبوق فيه . والصواب فى البيت فتح الثاء ؛ لأنه كان غاوى بن عبد العزى . . . . » ، وذكر القصة على ما رويت فى التنبيه السابق ورواية عجز البيت فى الاقتضاب والإصابة : « لقد هان من بالت عليه الثعالب » .

(٢) بدل هـذه العبارة فى س : « وأنشدوا فى مثل ذلك » . والبيت الأول والثانى فى الخزانة (٣ : ١٦٦ بولاق) والثانى فقط فى الأصمعيات ص ١٢ ورواه ابن منظور فى اللسان (٢ : ٢٢٣) . وأما الثالث فلم أجده فى غير الحيوان . ويبدو لى أن هذه الأبيات الثلاثة هى لدريد من قصيدة أخرى غير التى سبق بيت منها فى الصفحة السابقة .

(٣) س : « تمنينى » تحريف . وفى الخزانة : « زيد بن سهل » و : « مقانب » . والمقانب : جمع مقنب ، بالكسر ، وهو من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، وقيل زهاء ثلثمائة ، أو هو جماعة الخيل والفرسان .

(٤) الجعد : القصير . والمتعكس : المتثنى غضون القفا . والأقط : لبن مجفف يابس مستحجر . والحولى : الذى مضى عليه الحول . والكانب : الغليظ . وفى شرح الأصمعيات : « أى أنت سمين وأنت صاحب غنم » . وفى الأصل : « من اللاقط » و : « كاقب » محرفتان ، صوابهما من الأصمعيات واللسان . وكلمة : « شبعان » هى فى ط : « ثعبان » س : « سعهان » ، صوابهما فى هـ والأصمعيات واللسان .

ففى الثعلب جلدُه ، وهو كريم الوَبر . وليس فى الوَبر أغلى من الثعلب الأسود . وهو ضروبٌ ، ومنه الأبيضُ الذى لا يُفْصَل بينه وبين الفَنَك[١] ومنه الخلنْجىّ[٢] ، وهو الأعمّ .

ومن أعاجيبه أن نَضِيَّهُ ، وهو قضيبه[٣] فى خِلقة الأنبوبة ، أحد شَطْريه عظْمٌ فى صورة المِثقب ، والآخر عصبٌ ولحم ، ولذلك قال بشرُ ابنُ المعتمر :

والتّتفل الرائغُ إمَّا نضا فشَطْرُ أُنبوبٍ على شطْرِ[٤]

وهو سَبُعٌ جبانٌ جدًّا ، ولكنَّه لفرط[٥] الخبثِ والحيلة يجرِى مع كبار السِّباع .

وزعم أعرابىٌّ ممن يُسمَعُ منه ، أنَّه طاردَهُ مرَّةً بكلابٍ له ، فراوغَه حتّى صار فى خَمَر[٦] ، ومرَّ بمكانه فرأى ثعلبا ميّتا ، وإذا هو قد زَكَر بطنه[٧] ونفخه ، فوهَّمه أنَّه قد مات من يوم أو يومين . قال : فتعدّيته

(١) سبق الكلام على الفنك فى (٥ : ٤٨٤ / ٦ : ٢٧) .
(٢) انظر الخلنجى (٥ : ٢٧٢) . س : « الخليجى » محرف .
(٣) النضى ، كغنى ، قال فى اللسان : إنه « ذكر الرجل ، وقد يكون للحصان من الخيل — وعم به بعضهم الخيل . وقد يقال أيضا للبعير . وقال السيرافى : هو ذكر الثعلب خاصة » . ه « ومن أعاجيبه أن قضيبه » وفيه سقط . س ، ط : « أن نصه وهو قضيبة » ، والصواب ما أثبت .
(٤) سبق الكلام على البيت فى ٢٩٦ . س ، ه : « والتنفل الرابع » صوابها فى ط . وفى الأصل : « نضى » بالياء ، صوابه بالألف . وفى اللسان : « أبو عبيدة : نضا الفرس ينضو نضوا : إذا أدلى فأخرج جردانه » .
(٥) س : « بفرط » بالباء .
(٦) الخمر ، بالتحريك : ما واراك من الشجر والجبال ونحوها . يقال : توارى الصيد عنى فى خمر الوادى ؛ وخمره : ماواراه من جرف أوحبل من حبال الرمل أوغيره .
(٧) زكر بطنه : ملأه بالهواء . وهو من زكر السقاء وزكره بالتشديد : إذا ملأه .

وشمَّ رائحة الكلاب[١] فوثب وثْبةً فصارَ فى صحراء .

وفى حديث العامَّة أنَّه لما كثُرت البراغيثُ فى فرْوته[٢] ، تناوَل بفيه إمَّا صُوفةً وإمَّا ليقة[٣] ، ثم أدخل رجْليه فى المـاء ، فترفَّعَتْ عن ذلك الموضع[٤] ، فما زال يغمسُ بدنَه أوَّلاً فأوّلاً حتَّى اجتمعن فى خَطْمه ، فلمَّا غمَس خَطمَه أوَّلا فأوَّلا اجتمَعْنَ فى الصُّوفة ، فإذا علم أنّ الصُّوفة قد اشتملت عليهنَّ تركها فى الماءِ وَوَثَبَ ، فإذا هو خارجٌ عن جميعها[٥] .

فإن كان هذا الحديثُ حَقًّا فما أعجبَه . وإن كان باطلا فإنَّهم لم يجعلوه له إلاّ للفضيلة التى فيه ، من الُخبْثِ والكَيْس .

وإذا مشى الفرَسُ مشْياً شبيهاً بمشْى الثعلب قالوا : مشَى الثّعلبيَّة[٦] .

قال الراعى[٧] :

وَغَمْلَى نَصِيٍّ بالمِتَانِ كأنَّها ... ثعالبُ مَوْتَى جلدُها قد تسَلَّعا[٨]

---

(١) س ، هـ : « وشمت » تحريف.

(٢) س : « بفروته » .

(٣) الليقة ، بالكسر : صوفة الدواة ، يقال : لاق الدواة جعل لها ليقة .

(٤) ط ، هـ : « من ذلك الموضع » ، وأثبت مافى س .

(٥) ط ، هـ : « من جميعها » .

(٦) س : « مشى مشية ثعلبية » .

(٧) البيت التالى فى أمالى القالى (١ : ١١٥ / ٢ : ١٨٥) والمخصص (١١ : ١٧٧) واللسان (زلع ، غمل) .

(٨) غملى ، بفتح الغين المعجمة : جمع غميل ، وهو من النصى ماركب بعضه بعضا . والنصى ، كغنى : نبت سبط أبيض ناعم من أفضل المرعى . والمتان : جمع متن ، وهو ما ارتفع من الأرض واستوى . تسلع : تشقق . وروى فى اللسان والمخصص والأمالى فى الموضع الأول : « تزلعا » . وتزلع مثل تسلع ، وزنا ومعنى . ونص صاحب اللسان فى (زلع) على رواية السين ، والقالى فى الموضع الثانى على رواية الزاى . ط ، هـ : « وخيل » س : « وقل » ، صوابهما ما أثبت من جميع المصادر . وفى الأصل : « نضى بالمثان » محرفتان .

وقال الأصمعيُّ : سرق هذا المعنى من طُفيلٍ الغنَوىّ ولم يُجِدِ السَّرَق[1] :

وفى تشبيهِ بعض مِشيته قال المرَّار بن مُنقِذ[2] :

صِفَةُ الثَّعلَبِ أدنَى جَرْيِهِ   وإذا يُرْكَضُ يَعْفُورٌ أشِرْ[3]

وقال امرؤ القيس :

له أيْطلاَ ظَبْىٍ وساقا نَعَامَةٍ   وإرخاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيب تَتْفُلِ[4]

والبيت الذى ذكره الأصمعيُّ لطفيل الغنَوى ، أنّ الرَّاعى سرَق معناه هو قوله[5] :

وغمْلَى نَصِىٍّ بالمتــان كأنّها   ثَعالبُ مَوتَى جِلْدُها لم ينَزَّعِ[6]   ١٠١

وأنشدوا فى جُبْنِه قولَ زُهيرِ بنِ أبى سُلمى[7] :

---

(١) سرق سرقا ، محركة وككتف ، وسرقة محركة وكفرحة ، وسرقا بالفتح .

(٢) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٦٥). والبيت من قصيدة فى المفضليات ٨٢ — ٩٣ وانظر الخيل لأبى عبيدة ٥٧ ، ١٥٧ .

(٣) اليعفور : الظبى . والأشر : النشيط . ورواية أبى عبيدة : « وهو إن يركض فيعفور » .

(٤) البيت من معلقة امرئ القيس . انظر التبريزى ٤٣ والزوزنى ٣٤ وديوانه ٣٩ . س : « تنفل » محرفة .

(٥) س ، هـ : « وهو قوله »، والواو مقحمة .

(٦) البيت لم يرو فى ديوان طفيل الغنوى ، ولا فى ملحقاته . ولم أجد له مرجعا . وانظر لشرح هذا البيت ما سبق فى شرح بيت الراعى . وفى الأصل : « وعجل نضى » محرف ، وفى ط ، س : « بالمثان » هـ : « بالمجان » صوابهما ما أثبت .

(٧) الأبيات من قصيدة رواها ثعلب فى ديوان زهير ص ٢٦٥ — ٢٦٨ طبع دار الكتب المصرية ، ولم يروها الشنتمرى فى ديوان زهير . قال ثعلب : « وقال زهير أيضا ، ورواها أبو عمرو الشيبانى ، وهى متهمة عند المفضل » . وأنشد القصيدة .

وبَلدةٍ لا تُرامُ خائفةٍ زَوراءَ مُغْبَرَّةٍ جوانبُها[١]

تسمَعُ للجِنِّ عازِفِينَ بها تَصِيحُ مِنْ رَهْبَةٍ ثعالبُها[٢]

كلَّفْتُها عِرْمِسًا عُذافِرَةً ذاتَ هِبابٍ فُعماً مناكبُها[٣]

تُراقِبُ المُحْصَدَ المُمَرَّ إذا هاجرةٌ لم تَقِلْ جَنادبُها[٤]

والذى عندى أنَّ زُهيراً قد وصفَ الثّعلبَ بشدَّة القلْب ؛ لأنهم إذا هَوَّلُوا بذكر الظُّلْمة الوحشيَّة والغيلان ، لم يذكُروا إلاَّ فزَع من لايكاد يفزَع ؛ لأنَّ الشاعر قد وصف نفسَه بالجراءة[٥] على قطع هذه الأَرض فى هذه الحال[٦] .

وفى استنذاله وجُبنه قالت أمُّ سالم لابنها مَعْمَر :

أرى مَعْمرا لا زَيّنَ اللهُ مَعْمَرًا ولا زَانَهُ مِنْ زائرٍ يتقرّب

---

(١) البلدة : الأرض . وقال ثعلب : « لا ترام : لايقدر عليها . وخائفة : ذات خوف ، كقولك : عيشة راضية : ذات رضا . وزوراء : ليس طريقها بمستقيم ولا هى القصد . ومغبرة من الجدب . وجوانبها : نواحيها » . وفى الأصل : « جابية » مكان : « خائفة » تحريف .

(٢) رواية الديوان : « تضبح » . قال ثعلب : « تضبح : تصيح » .

(٣) كلفتها : يريد كلفت تلك البلدة المخوفة عرمسا . والعرمس بكسر العين والميم : الناقة الشديدة . والعذافرة ، بضم العين : الضخمة الشديدة الخلق . والهباب ، بالكسر : النشاط ما كان . قال لبيد :

فلها هباب فى الزمام كأنها صهباء راح مع الجنوب جهامها

والفعم : جمع أفعم ، وهو الممتلىء . وفى الأصل : « ذات هنا فقم » صوابه من الديوان .

(٤) تراقب : ترقب السوط بشق عينها من الخوف أن تضرب به . والمحصد : الشديد الفتل ، يعنى السوط . والممر : المفتول ، أمر : فتل . لم تقل من القائلة ، يريد من شدة الحر . والجندب ، كما يقول ثعلب : « هو راجل الجراد الذى ليس له جناحان يطير بهما » . والراجل : الذى يمشى على رجليه . وانظر الجندب (٤ : ١٠٧) .

(٥) هـ : « بالجرأة » .

(٦) س : « فى هذه الحالة » .

أعاديْتَنا عادَاك عـزٌّ وذِلَّةٌ كأنك في السِّرْبالِ إذْ جئتَ ثعلبُ (١)
فلم ترَ عيني زائرا مِثلَ مَعْمَر أحقَّ بأن يُجنَى عليه ويُضْرَبُ

وقال عَقِيل بن عُلَفة (٢) :

تأمَّل لما [قد] نَال أمَّكَ هِجرِسٌ فإنَّكَ عَبْـدٌ يا زُمَيلُ ذَليلُ (٣)
وإني مَتَى أضرِبْكَ بالسَّيفِ ضَرْبة أصبِّحْ بَني عَمْرٍو وأنتَ قَتيلُ (٤)

الهِجْرس : ولد الثَّعلب (٥) . قال : وكيف يَصْطادُ وهو على هذه الصِّفَة (٦) ؟
فأنشد شعر ابن ميَّادَة :

ألم تَرَ أنَّ الوَحْشَ يَخْدَعُ مَرَّةً ويُخْدَعُ أحياناً فيُصطاد نُورها (٧)
بَلَى، وضَوارِي الصَّيدِ تُخْفِقُ مَرَّةً وإنْ فَرُهَتْ عِقبانُها ونُسورها (٨)

قال : وسألت عنه بعض الفقهاء فقال : قيل لابن عبَّاس (٩) : كيف تزعمون أن سليمانَ بن داود عليهما السلام كان إذا صار (١٠) في البرارى ، حيث (١١)

---

(١) أراها تدعو عليه بالهلاك ، فلا يكون له عز ولا ذلة . هـ : « عزا » محرف .
(٢) هو عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ ابن مرة بن سعد بن ذبيان ، شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الأموية . انظر الأغانى (١١ : ٨١ — ٨٩) والخزانة (٢ : ٢٧٨) . قال البغدادى « وعقيل بفتح العين وكسر القاف . وعلفة : بضم العين المهملة وتشديد اللام المفتوحة بعدها فاء . وهو علم منقول من واحد العلف وهو الطلح » . وفى الأصل: «علقمة» تحريف .
(٣) كلمة : « قد » ليست فى الأصل .
(٤) صبحهم : أتاهم صبحا بخير أو شر . وفى الأصل : « أصبح » .
(٥) ط ، هـ : « من ولد الثعلب » بإقحام « من » .
(٦) من البين أن فى الكلام هنا سقطا .
(٧) النور ، بالضم ، جمع نوار ، كسحاب ، وهو النفور من الظباء والوحش. وانظر (٥ : ٧٨ س ٥) . وفى الأصل : « ثورها » بالثاء المثلثة ، تحريف .
(٨) فرهت ، بضم الراء ، تفره فراهة وفراهية : حذقت . س : « فوهت » بالواو ، محرفة .
(٩) الذى سأل ابن عباس هو نجدة الحرورى ، أو نافع بن الأزرق ، كما فى ثمار القلوب ٣٨٤ والحيوان (٣ : ٥١٢) .
(١٠) س : « سار » بالسين .
(١١) ط ، س : « وحيث » .

لا ماءَ ولا شجر ، فاحتاج إلى الماء ، دلّه على مكانه الهدهُد ، ونحن نغطّى له الفخَّ بالتراب الرَّقيق ، ونُبرز له الطُّعم ، فيقع فيه جَهْلاً بما تحت ذلك التراب ؛ وهو يدلُّ على الماء فى قعر الأَرض الذى لا يُوصَل إليه إلاّ بأن يَحفر عليه[1] القيِّم الكيِّس ؟

قال : فقال ابنُ عبَّاس رضى الله عنهما : « إذا جاءَ القدَرُ لم ينفع الحذَر[2] ! » .

١٠٣

وأنشدوا :

خير الصديق هو الصَّدوق مَقالةً وكذاك شَرُّهم المَيُون الأكذبُ[3]

فإذا غدَوْتَ له تريد نَجازَهُ بالوَعْدِ رَاغَ كما يروغُ الثَّعلبُ[4]

وقال حَسَّان بن ثابت رضى الله تعالى عنه[5] :

بنى عابدٍ شاهَتْ وجُوهُ الأعابِد بِطاءٌ عن المعروف يوم التَّزَايُدِ[6]

---

(١) المعروف فى كلامهم : حفر عنه .

(٢) سبق فى (٣ : ٥١٣) : « إذا جاء القدر عمى البصر » ، وهى رواية الثعالبى فى ثمار القلوب .

(٣) الميون ، فعول من المين ، وهو الكذب . وفى اللسان : « ورجل ميون وميان كذاب » . ه : « المؤن » تحريف .

(٤) أراد بالنجاز الوفاء بالوعد . وهذا اللفظ لم يرد فى المعاجم ، والمعروف الإنجاز . ومنه المثل : « أنجز حر ما وعد » . ه : « عدوت له تريد فجاره » محرفة .

(٥) البيتان فى ديوانه ص ١٥٢ .

(٦) بنو عابد ، هم بنو عبد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، كما فى الديوان ١٤٢ ومختلف القبائل ومؤتلفها لمحمد بن حبيب ٤٤ طبع جوتنجن سنة ١٨٥٠ وأنساب السمعانى الورقة ٣٧٧ . قال : « العابدى بالعين المهملة والباء المكسورة المنقوطة بواحدة وكسر الدال المهملة ، هذه النسبة إلى عابد (بن عبد الله) بن عمر بن مخزوم » . وفى هجوهم وهجو رفيع بن صيفى بن عابد يقول حسان أيضا :

فإن تصلح فإنك عابدى وصلح العابدى إلى فساد

فما كان صَيفىٌّ يفِى بأمانة   قفا ثعلب أعْيا ببَعْضِ المراصِدِ[١]

وأنشد :

ويشْرَبُه مَذْقا ويَسْقِى عِيالَه   سَجَاجا كأقرابِ الثَّعالبِ أوْرَقا[٢]

وقال مالك بن مِرْداس[٣] :

يا أيُّهاذا الموعِدى بالضرِّ   لا تلعبنَّ لِعبةَ المغترِّ

أخافُ أنْ تكونَ مثلَ هرِّ   أو ثَعْلبٍ أُضيعَ بعد حُرِّ[٤]

= وضبط البغدادى فى الخزانة (٢ : ٥٣٩ بولاق) عابدا « بموحدة بعدها دال غير معجمة » . وفى بنى مخزوم أيضا « عائذ » وهم من ولد عمران بن مخزوم . انظر السمعانى ٣٧٩ . ولذا اختلط الأمر على أبى الفرج فى الأغانى (١ : ٩٤) فجعل عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم : « عائذا » بالذال المعجمة . وليس صوابا . والأعابد : جمع أعبد ، وأعبد جمع عبد . انظر ما سبق فى (٥ : ٤٦٤) ط : « بنى عائد » س ، هـ : « بنى عائذ » ط هـ : « وجوه الأعائذ » س : « الأعائذ » ، والوجه فيه ما أثبت . ورواية الديوان ١٥٢ :

سألت قريشا كلها فشرارها   بنو عابد شاه الوجوه لعابد

(١) صيفى بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الفاء وتشديد التحتية ، كما ضبطه البغدادى فى الخزانة (٢ : ٥٣٩ بولاق) . وهو والد رفيع بن صيفى ابن عابد . ط ، هـ : « ضيفى إذ يفى بأمانه » س : « صيفى إذ يفى بأمانه » كلاهما محرف ، كما أن كلمة : « إذ » مقحمة فيهما . وفى الديوان : « وما كان صيفى ليوفى ذمة » . قفا ثعلب ، أى قفا ثعلب ولى بعد أن أعيته الحيل .

(٢) المذق ، اللبن الممزوج بالماء . والسجاج بفتح السين المهملة بعدها جيم مخففة : اللبن الذى يجعل فيه المـاء ، أرقما يكون ، وقيل هو الذى ثلثه لبن وثلثاه ماء ، واحدته سجاجة . ط ، س : « ثجاجا » صوابه فى هـ واللسان (سجج ، مذق ، ورق) . والأقراب : جمع قرب ، بالضم ، وهو الخاصرة . والأورق : اللبن الذى ثلثاه ماء وثلثه لبن ، كما فى اللسان (١٢ : ٢٥٦) عند إنشاد البيت . وفى الأصل : « أزرقا » ، ووجه روايته ما أثبت من اللسان فى المواضع الثلاثة ورواية أوله فى المواضع الأول والثالث من اللسان : « ويشربه محضا » لا : « مذقا » كما فى الموضع الثانى .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) الحر ، بالضم : من الصقور شبه البازى ، يضرب إلى الخضرة ، أصفر الرجلين والمنقار ، صائد . وقيل بل الحر : الصقر والبازى . انظر المخصص (٨ : ١٥٠) .

هاجَتْ به مخيلة الأظفر[١] عَسراء فى يوم ِ شمَال قَرٍّ[٢][٣]
يجول منها لثق الذعر[٢] بصرَدٍ ليس بذى محجر[٤]
تنفض أعلى فرْوِهِ المغبرّ[٥] تنفضٌ منها نابها بشزر[٦]
نفضا كلون الشره المخمر[٧]

المخيلة : العقاب الذّكر الأشبث[٨] . صرد : مكان مطمئنّ[٩] .

وقال اليقطرى : كان اسمُ أبى الضّريس[١٠] ديناراً فقال له مولاه : يادنينير ! فقال : أتصغّرنى وأنتَ من بنى مخيلة[١١] ، والعقاب الذّكر بدرهم ، والأنثى بنصف درهم ، وأنا ثمنى عشرة دراهم[١٢] .

(سلاح الثعلب)

ومن أشدِّ سِلاح الثّعلب عندكم[١٣] الرّوَغان والتّماوُت ، وسُلاحه أنتنُ وألزَجُ وأكثَرُ من سُلاح الحبارى .

---

(١) كذا ورد هذا البيت . وفى س : « مخلبة » .
(٢) العسراء : العقاب التى فى جناحها قوادم بيض. انظر المخصص (٨ : ١٤٥) واللسان (٦ : ٢٤١) . وفى الأصل : « عراء » ، وما أثبت أقرب وجه لتصحيحها . يوم شمال : أى تهب فيه ريح الشمال . والقر ، بالفتح : اليوم البارد ، وكل بارد قر .
(٣) كذا جاء البيت .
(٤) الصرد ، بالفتح ويحرك ، كما فى القاموس ، هو المكان المرتفع من الجبال . ه : « بصدر » محرف . وكلمة : « محجر » موضع نظر .
(٥) ط ، ه : « فروة » س : « فروه » صوابهما ما أثبت .
(٦) كذا . وفى ه : « بأنها » بدل : « نابها » .
(٧) س : « المخمر » . ه : « بعضا كلون الشره المحمر » . والبيت محرف .
(٨) كذا وردت هذه العبارة .
(٩) انظر ما سبق فى الحاشية الرابعة .
(١٠) ضبط فى ه بتشديد الراء .
(١١) كذا فى الأصل . ولم أجده فى قبائلهم .
(١٢) هذه الجملة ساقطة من ه . وفى ط : « وأنا اثنى عشر درهما » محرفة . وكأنه يقول لمولاه : إن ثمنى هذا الحقير أعلى من ثمنك .
(١٣) كذا وردت هذه الكلمة .

وقالت العرب : « أدهى [من الثعلب[1]] » ، و : « أنتن من سُلاح الثَّعلب » .

وله عجيبةٌ فى طلب مقتل القنفذ ؛ وذلك [أنّه[2]] إذا لقيه فأمكنَهُ من ظهره بالَ عليه . فإذا فعل ذلكَ به ينْبَسط[3] فعند ذلك يقبضُ على مَرَاقِّ بطْنه .

(أرزاق الحيوان)

ومن العجَب فى قسمة الأرزاق أنَّ الذِّئبَ يصيد الثَّعلب فيأكلُه ، ويصيد الثّعلبُ القنفذَ فيأكلُه ، ويُريغ القنفـذ الأفعَى فيأكلها[4] . وكذلك صنيعُه فى الحيَّات مالم تعظُم الحيَّة . والحيَّة تصيدُ العصفورَ فتَأْكلُه ، والعصفور يصيد الجراد فيأكله ، والجراد يلتمس فِرَاخَ الزّنابير وكلّ شىء يكون أفحوصُهُ على المستوِى ، والزُّنبور يصيد النّحلةَ فيأكلُها ، والنَّحلة تصيد الذبابة فتأكلها ، والذبابة تصيدُ البعوضةَ فتأكلها .

٢٠٣

(الإلقة والسهل والنوفل والنضر)

وأمَّا قوله :

٩ « وإلقة تُرْغِثُ رُبَّاحَها والسَّهْـلُ والنَّوْفَلُ والنضْرُ[5] »

فالإلقة هاهنا القردة . تُرْغِث[6] : ترضع . والرُّبَّاح : ولد القِردة .

---

(١) ليست فى الأصل ، والكلام مفتقر إليها .

(٢) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٣) س : « تبسط » وهما صحيحتان ، يقال بسطه ، بالتخفيف ، فانبسط ، وبسطه بالتشديد فتبسط .

(٤) أراغها : طلبها وأرادها .

(٥) ط ، هـ : « ترعث » تحريف . وانظر ما سبق ص ٢٨٥ .

والسَّهْل : الغراب . والنوفل : [البحر[١]] . والنَّضْر : [الذهب [١]] . وكلُّ جَرِيَّةٍ[٢] من النساء وغيرِ ذلك فهى إلْقةٌ . وأنشدنى بشرُ بنُ المعتمِر لرؤبة :

* جَدّ وجَدّت إلْقةٌ من الإلَقْ[٣] *

وقد ذكرنا الهِقْلَ وشأنَه فى الجمر والصّخْر ، وأكلَ الضّبِّ أولادَه ، فى موضعه من هذا الكتاب[٤] وكذلك قوله فى العُنْرُفان[٥] ، وهو الديك الذى يؤثر الدّجاج بالحبّ ، وكأنّه منجِّم أو صاحبُ أَسْطُرلاب[٦] . وذكرنا أيضاً ما فى الجراد فى موضعه[٧] . ولسنا نُعيدُ ذكر ذلك ، وإن كان مذكوراً فى شعر بشر[٨] .

(الأبغث)

وأمّا قوله :

---

(١) ليست فى الأصل ، وبها يتم الكلام .

(٢) جرية : مهمل جريئة . وفى اللسان : « قال الليث : الإلقة توصف بها السعلاة والذئبة والمرأة الجريئة لخبثهن » . ط : « حرية » س : « حرمة » صوابهما فى هـ .

(٣) البيت من أرجوزة لرؤبة فى ديوانه ١٠٧ يصف فيها الفلاة . وهذا البيت فى صفة صائد وزوجه . وقبله :

يأوى إلى سفعاء كالثوب الخلق	لم ترج رسلا بعد أعوام الفتق
إذا احتسى من لومها مر اللعق	جد وجدت إلقة من الإلق

وفى الأصل : « حتى وجدت » ، صوابه من الديوان ومما سبق فى (٢ : ٢٨٥) .

(٤) انظر لأكل النعام الجمر والصخر ما سبق فى (١ : ١٤٧ / ٤ : ٣١٠ ، ٣٢٠) ولأكل الضب ولده (١ : ١٩٧ / ٦ : ٤٩) .

(٥) انظر (١ : ٢١٣ / ٢ : ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١) .

(٦) انظر (٢ : ٢٤٢) . س : « الأصطرلاب » .

(٧) انظر (٥ : ٥٤٩ — ٥٥٠) .

(٨) استغنى الجاحظ بهذه الإشارات عن إنشاد الأبيات رقم ١٠ — ١٦ من هذه القصيدة .

١٦ ● « وأبْغَثُ يَصطادُه صَقرُ[1] » ●

ثم قال :

١٧ « سِـلاحُه رُمْحٌ فمـا عُذْرُه وقد عَرَاه دُونَه الذعرُ »

يقول : بدنُ الأبغَث أعظمُ من بدن الصقر ، وهو أشدُّ منه شِدَّة ، ومِنقارُه كسنان الرُّمْح فى الطول والذَّرَب . وربَّما تجلى له الصَّقرُ والشّاهينُ فَعَلِقَ الشَّجر والعَرَار[2] ، وهتك كلَّ شىء . يقول : فقد اجتمعت فيـه خصالٌ فى الظَّاهر معينةٌ له عليه . ولولا أنّه على حال يعلم أنَّ الصَّقرَ إنَّمـا يأتيه [قُبُلاً و[3]] دُبُرًا ، واعتراضاً ، ومن عَلُ[4] ؛ وأنّه قد أعطى فى سِلاحه وكفِّه فضلَ قوَّة[5] لـا استخذى له[6] ، ولَمَا أطعمه بهرَبِه ، حتَّى صارت جُرأته عليه بأضعاف ما كانت .

قال بعضُ بنى مرْوان فى قتــل عبد الملك عَمْرَو بنَ سَعيد[7] :

كأنَّ بنى مَرْوانَ إذ يقتــلونه
بغاثٌ من الطَّيرِ اجتمعن على صَقْر

(مايقبل التعليم من الحيوان)

وأمَّا قوله :

---

(١) صدر هذا البيت : « جرادة تخرق متن الصفا » .

(٢) العرار ، بالفتح : شجر عظيم جبلى لا يزال أخضر ، تسميه الفرس السرو .

(٣) تكملة يقتضيها السياق . وكلمة : « إنما » هى فى ط فقط : « بما » محرفة .

(٤) هـ : « من على » ، وهى إحدى لغاتها . وفى اللسان : « وأتيته من على بياء ساكنة » .

(٥) فضل : زيادة . س ، هـ : « فضلة » ، وإنما الفضلة البقية من الشىء .

(٦) استخذى ، بالذال المعجمة : خضع . ط ، هـ : استخزى » محرفة .

(٧) هو عمرو بن سعيد الأشدق .

١٨ « والدُّبُّ والقِرد إذا عُلِّما والفيل والكَلْبة واليَعْر[1] »

فإنّ[2] الحيوان الذى يَلْقَن ويَحْكِي ويَكِيس ويُعلَّم فيزداد بالتَّعليم في هذه التى ذكَرنا[3] ، وهى الدّبّ والقِرد ، والفِيل ، والكلب ؛

وقوله : اليعر[4] ، يعني صغار الغنم[5] . ولعمرِى أنَّ فى المكّيّة والحبشيَّة لعباً . ١٠٤

(حب الظبي للحنظل، والعقرب للتمر)

وأمّا قوله :

٢٠ « وظبيةٌ تَخضِمُ فى حَنْظل وعَقْرَبٌ يُعْجِبُها التَّمرُ »

فى الظَّبى[6] أعاجيبُ من هذا الضرب ؛ وذلك أنَّه ربَّما رَعَى الحنظل[7] ، فتراه يقبِضُ ويعَضُّ على نِصف حنظلةٍ فيقدُّها قد الحَسْفَة[8] فيمضَغُ ذلك النِّصفَ وماؤُه يسيلُ من شِدقيه ، وأنت ترى فيه الاستلذاذَ له ، والاستحلاءَ لطَعمه .

وخبرنى أبو محجن العنزىّ ، خالُ أبي العميثل الرّاجز ، قال : كنت

---

(١) اليعر ، بفتح الياء التحتية المثناة : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد . وسيفسرها الجاحظ فيما يلى . وفى الأصل : « البغر » محرف.

(٢) فى الأصل : « أن » ، والفاء واجبة .

(٣) ط فقط : « فهذه التى ذكرنا » .

(٤) ط ، هـ : « البغر » محرفة .

(٥) ط فقط : « صفار الغنم » محرفة . وانظر التنبيه الأول .

(٦) ط ، هـ : « وفى » صوابها فى س .

(٧) فى الأصل : « رعت الحنظل » .

(٨) الحسفة ، بالفتح : واحدة الحسف ، وهو الجوز الذى يؤكل . انظر اللسان (١٠ : ٤١٦) . ط ، هـ : « الحصفة » ، س : « الخصف » ، صوابهما ما أثبت . أراد أنه يقسم الحنظلة قسمين متساويين كما تنقسم الجوزة .

أرى بأنطاكِيَةَ الظّبى يَرِدُ البحْر ، [و[١]] يشربُ المالحَ الأجاج[٢] .

والعَقْرب ترمى بنفسها فى التّمر[٣] . وإنّما تطلب النّوى المُنْقَع فى قعر الإناء .

فأىُّ شىء أعجبُ من حيوانٍ يستعذِب مُلوحةَ البحْر ، ويستحْلِى مَرَارةَ الحنظَل .

وسنذكر خِصالَ الظّبى فى الباب الذى يقع فيه ذِكرُه إن شاء الله تعالى . ولسنا نذكر شأنَ الضبِّ والنَّمل ، والُجعل والرَّوث [والورد[٤]] لأنّا قد ذكرناه مرّة.

(فأرة البيش)

وأمّا قوله :

٢٣ وفأرة البِيش إمامٌ لها والخلْدُ فيه عجَبٌ هتْر »

فإن فأرة البِيش دُوَيْبَّةٌ تشبه الفأرة ، وليست بفأرة ، ولكن هكذا تسمَّى : وهى تسكون فى الغِياض والرِّياض ومنابت الأهضام[٥] . وفيها سمومٌ كثيرة ، كقرون السُّنْبل ، وما فى القُسْط[٦] . فهى تتخلّل تلك الأهضام[٧] ،

---

(١) هذه من س .

(٢) الأجاج ، بالضم : الشديد الملوحة والمرارة . ط ، ه : « والأجاج » .

(٣) ط فقط : « والعفر » محرفة . وفى ط ، ه : « فى الغمر » ، صوابهما فى س .

(٤) هذه التكملة من س ، ه .

(٥) أى المنابت التى فى الأهضام . والأهضام : جمع هضم ، بالكسر ، وهو المطمئن من الأرض ، أو أسفل الوادى .

(٦) القسط ، بالضم : عود يتبخر به .

(٧) س ، ه : « تخالل » .

وتطلب السُّمومَ وتغتذيها . والبِيش : اسمٌ لبعض السُّموم . وهذا ممّا يُعجَب منه .

وقد ذكرنا شأنَ القنفُذ والحيَّة فى باب القول فى الحيَّات[1] .

(العضرفوط والهدهد)

وأمَّا قوله :

٢٥ * « وعضرفوطٌ ماله قِبْلة » *

فهو[2] أيضاً عندَهم من مطايا الجنّ . وقد ذكره أيمنُ بن خُرَيم[3] فقال :

وخيـــلُ غزالَة تنْتَابُهُـمْ تجُوب العِراقَ وتَجْبى النَّبيطَا[4]
تَـكُرُّ وتُجحِر فُرسانَهـمْ كما أجْحَرَ الحيَّةُ العَضْرَفُوطا[5]

---

(١) انظر ما سبق فى (٤ : ١٦٩) .

(٢) فى الأصل : « وهو » محرف .

(٣) هو أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك ، من شعراء الدولة الأموية ، ولأبيه صحبة برسول الله ورواية عنه . وقد جعله أبو الفرج فى الأغانى (٢١ : ٥) شيعيا . ولـكن المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٥٣ عده عثمانيا . وبذلك يكون قد اضطرب بين التيارين . والشعر التالى من قصيدة قالها لمـا طالت الحرب بين غزالة وأهل العراق وهم لا يغنون شيئا ، فقالها يستحثهم ويستثير حميتهم . انظر الأغانى (٢١ : ٨) . وانظر الـكلام على غزالة ما سبق فى (٥ : ٥٩٠) .

(٤) تنتابهم : تقصدهم وتأتيهم مرة بعد مرة . تجوب : تقطع . والنبيط : جيل كانوا ينزلون سواد العراق . تجبيهم : تأخذ منهم الجباية . والبيت محرف فى الأصل ، فإن صدره فيه : « دخلنا غزالة بفيانهم » محرف ، وفى الأغانى : « وخيل غزالة تسبى النساء » . س . « تجوز العراق وتجبى النبيطا » محرف . وفى ط : « تجوب العراق وتجبى النبيطا » صوابهما فى هـ . ورواية عجزه فى الأغانى : « وتحوى النهاب وتحوى النبيطا » ، صوابه : « وتجبى النبوطا » . وقبل البيت فى الأغانى :

ألا لايستحى الله أهل العرا ق أن قلدوا الغانيات السموطا

(٥) تـكر ، أى الخيل تـكر هى وتجحر فرسان أهل العراق . تجحرهم بتقدييم الجيم : تدخلهم الجحر ، أراد تحملهم على الفزع والهرب . وفى الأصل : « نـكر ونحجر فرسانهم كما أحجر » محرف . وهذا البيت لم يروه أبو الفرج . وروى =

لأنّ العضرفوط دويْبّة صغيرةٌ ضعيفة ، والحيّات تأكلها وتغصِبُها أنفسَها .
وأنشدوا على[1] ألسنة الجنّ :

ومن عَضْرَفوطٍ حَطَّ بى فأقمته يبادِرُ وِرْداً مِنْ عَظاءٍ قَوارِبِ[2]

وأمّا قولُه :

* « وهدهدٌ يُـكْفِرُهُ بكرُ[3] » *

فإنّما ذلك لأنّه كان [حاجَّ[4]] بكرَ ابنَ أختِ عبد الواحد[5] [صاحبَ[6]] البكريَّةِ ، فقالَ له[7] : أتخبرُ عن حال الهدهُدِ بخبَر[8] ؟ إنه كان يعرفُ طاعة الله عزَّ وجل مِن مَعصيته ، وقد ترك موضِعَه وسار إلى بلاد سبأ ، وهو وإن أطرفَ سليمانَ[9] بذلك الخبر وقبِلَه منه فإنَّ ذنْبَه فى ترْك موضعه الذى وُكِّل به ، وجوَلانِه فى البُلدان على حاله . ولا يكون ذلك مما يجعل ذنبه السابق[10] إحسانا . والمعصيةُ لاتنقلِبُ

١٠٥

= فى اللسان (٩ : ٢٢٥) :

فأجحرها كرها فيهم كما يجحر الحية العضرفوطا

(١) فى الأصل : « عن » .

(٢) سبق الكلام على البيت فى ص ٢٣٩ . وفى الأصل : « من فاقية » و : « من قطار » ، صوابهما مما سبق . وفى س : « غوارب » بدل : « قوارب » محرفة .

(٣) هذا هو عجز البيت رقم ٢٥ من القصيدة الأولى لبشر .

(٤) تكملة يلتئم بها الكلام .

(٥) هو بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد . ذكره ابن حزم فى جملة الخوارج . وقد فصلت مذهبه ورأيه فى مؤلفى : « معجم الفرق الاسلامية » . وانظر لسان الميزان (٢ : ٦٠) والفرق بين الفرق ٢٠٠ والفصل (٤ : ١٩١) .

(٦) تكملة يستقيم بها الكلام . أى صاحب الفرقة البكرية .

(٧) أى قال له بشر . وانظر ما سيأتى فى الصفحة التالية .

(٨) كذا فى س . لكن فى ط ، هـ : « بخير » .

(٩) زيدت بعد كلمة : « سبأ » فى هـ كلمة : « وهوازن » مقحمة . وفى س بدل : « وهو وإن » : « وهوارن » تحريف .

(١٠) س : « السالف » .

طاعة[1] ، فلم لا تشهد عليه بالنِّفاق ؟ قال : فإنى أفعل ! قال : فحكى ذلك عنه فقال : أمّا هو فقد كان سلم على سُليمان وقد كان قال : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ فلمَّا أتاه بذلك الخبر ، رأى أنَّه قد أدلى بحجّة ، فلمْ يعذِّبْه ، ولم يذبَحْه . فإن كان ذنبُه على حاله ، فكيف يكون ما هجَم عليه ممَّا لم يُرسَل فيه ولم يقْصِد له حُجَّة ؟ وكيف يُبْقِى هذا عليه .

وبكر يزعم أن الأطفال والبهائم لا تأثَم ، ولا يجوز أن يُؤْثِم الله تعالى إلاَّ المسيئين . فقال بشرٌ لبَكْر : بأىِّ شىءٍ تستدلُّ على أنّ المسىء يعلمُ أنه مسىء ؟ قال : بخجله ، واعتذاره بتوبته[2] . قال : فإنّ العقربَ متى لسعت فرَّتْ من خوف القتْل ، وهذا يدلُّ على أنَّها جانية ، وأنت تزعمُ أنّ كلَّ شىءٍ عاص كافرٌ ، فينبغى للعقرب أن تكون كافرة ، إذا لم يكن لها عذرٌ فى الإساءة .

(الببر والنمر)

وأمّا قوله :

٢٧ « والبَبْرُ فيه عجبٌ عاجبٌ   إذا تلاقى الليث والنَّمْرُ »

لأنّ الببر مسالِمٌ للأسد ، والنَّمر يطالبه ، فإذا التقيا[3] أعان الببر الأَسَد

(١) س : « لانقلب طاعة » .
(٢) س : « واعتذاره وهربه » .
(٣) س ، هـ : « التفت » محرف .

(الخفاش والطائر الذى ليس له وكر)

وأما قوله :

٢٨ « وطائِرٌ أشْرَفُ ذو جُرْدة وطائِرٌ ليس له وكرُ[١] »

فإنّ الأشرفَ من الطّير الخفّاش ؛ لأنّ لآذانها حجماً ظاهراً . وهو متجرِّدٌ من الزَّغَب والرِّيش ، وهو يلد .

والطّائر الذى ليس له وكرٌ ، هو[٢] طائرٌ يخبر عنه البحريُّون أنّه لايسقُط إلاّ ريثما يجعَلُ لبيضه أُدحيًّا من تراب ، ويغطِّى عليه ، ويطير فى الهواء أبداً حتّى يموت . وإن لقى ذكرٌ أنثَى تسافَدا فى الهواء . وبيضه يتفَقّص[٣] من نفسه عند انتهاء مُدّته ، فإذا أطاق فرخُه الطّيران كان كأبويه فى عاداتهما .

(الثعالب والنسور والضباع)

وأما قوله :

٢٩ « وثُرْمُلٌ تأوى إلى دَوْبَلٍ وعشكرٌ يتبعه النسرُ[٤]

٣٠ يُسالم الضّبْعَ بذى مرّةٍ أبرمها فى الرّحم العُمْرُ »[٥]

(١) الجردة ، بالضم : التجرد . ﻫ ، س : « جودة » تحريف .

(٢) ط ، ﻫ : « وهو » بإقحام الواو .

(٣) يقال : تفقصت البيضة عن الفرخ وانفقصت ، أى انكسرت وانفضخت . ويقال : فقص الطائر البيضة وفقصها بالتشديد . ويقال أيضا فقسها بالتخفيف ، والصاد فيه أعلى . س ، ﻫ : « ينفقص » وهى صحيحة ، كما مر .

(٤) ط ، ﻫ : « تتبعه » والصواب ما فى س .

(٥) فى الأصل ، « يسالم الظبى » وإنما هو : « الضبع » كما سيأتى فى تفسير الجاحظ ص ٣٢٣ س ٦ .

فالثُّرمُلة : أنثى الثَّعالب ، وهى مسالِمة للذُّوبَل(١) . وأمَّا قوله :

* وعسكر يَتبعه النَّسر(٢) *

فإن النّسور تتبع العساكر ، وتتبع الرِّفاق ذواتِ الإبل ، وقد تَفعل(٣)

١٠٦ ذلك العِقبان ، وتفعله الرَّخَم . وقد قال النابغة(٤) :

وثِقتُ له بالنَّصرِ إذ قيل: قد غَدَتْ كتائبُ من غسَّانَ غيرُ أشائِب(٥)

بنو عمِّه دِنيًا ، وعمرُو بن عامر أولئك قومٌ بأسُهم غيرُ كاذبِ(٦)

إذا ما غزَوْا بالجيشِ حلَّقَ فوقَهم عَصائِبُ طَيرٍ تهتَدِى بعَصائبِ(٧)

جَوانحُ قد أيْقَنَّ أنَّ قَبيلَه إذا ما التَقَى الجمْعانِ أوّلُ غالبِ(٨)

تراهُنَّ خَلْفَ القَوْمِ خُزراً عُيُونُها(٩)

جُلوسَ الشُّيوخ فى مُسُوك الأرانب(١٠)

---

(١) الذوبل : الذئب الهرم ، والثعلب .

(٢) ط ، هـ : « تتبعه » والصواب ما س .

(٣) ط ، هـ : « يفعل » .

(٤) من قصيدة فى ديوانه ٢ - ٩ من مجموع خمسة دواوين من أشعار العرب .

(٥) فى الديوان : « قد غزت » قال الوزير أبو بكر : « ويروى : إن قيل [قد غدت » . والأشائب : جمع أشابة ، بالضم ، وهم الأخلاط من الناس . ط ، هـ : « قبائل من غسان » وهى رواية اللسان (١ : ٢٠٨)

(٦) قال الوزير أبو بكر : « عمرو بن عامر من الأزد . وقوله : دنيا ، أراد الأدنين من القرابة . وإذا كسر أوله جاز فيه التنوين ، وإذا ضم لم يجز فيه إلا ترك الصرف لأن فعلى لا يكون إلا المؤنث . وهو منصوب على المصدر إذا نون ، كما تقول هذا درهم ضرب الأمير ، وعلى الحال إذا كانت ألفه للتأنيث » . وفى اللسان : « وقالوا هو ابن عمى دنية ودنيا منون ودنيا غير منون — أى بكسر الدال فى الثلاثة — ودنيا مقصور — أى بضم الدال — إذا كان ابن عمه لحا » . ط : « دينا » صوابه فى س ، هـ والديوان .

(٧) العصائب : الجماعات ، جمع عصابة .

(٨) جوانح : مائلات للوقوع .

(٩) الخزر : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه . ط ، هـ : « خزر » صوابه فى س والديوان .

(١٠) المسوك : جمع مسك ، وهو الجلد . وفى الأصل : « فى ثياب المذانب » تحريف ، =

والأصمعي يروى : « جُلوسَ الشيوخ فى ثياب المرانِب[1] » .

وسباع الطير كذلك فى اتباع العساكر . وأنا أرى ذلك من الطمَع فى القتلى ، وفى الرَّذايا والحَسْرَى ، أو فى الجهيض[2] وما يُجْرَح .

وقد قال النّابغة :

سَمَاماً تُبارى الرِّيحَ خُوصًا عُيونُها ... لَهُنَّ رذَايا بالطَّريقِ ودائِعُ[3]

وقال الشاعر[4] :

يشُقُّ سَمَاحِيقَ السَّلَى عن جَنِينِها ... أخو قَفْرَةٍ بادِي السَّغابَةِ أطْحَلُ[5]

= وأثبت ما سيأتى فى الجزء السابع . قال القتيبى : « خص الشيوخ لأنهم ألزم للبس الفراء لرقة جلودهم وقلة صبرهم على البرد . والأرانب لينة المس » .

(١) قال الوزير أبو بكر : « وقال الأصمعى : فى ثياب المرانب ، هى ثياب يقال لها المرنبانية ، إلى السواد ما هى ، شبه ألوان النسور بها » . س : « المراتب » محرف .

(٢) الرذايا : جمع رذية ، وهى الهزيلة الهالكة التى لا تستطيع براحا ولا تنبعث . س : « الرزايا » بالزاى ، محرفة . والحسرى : جمع حاسر وحاسرة ، وهى التى تعبت ، وأعيت . والجهيض : ما تلقيه الناقة من الولد إذا أجهضت لغير تمام ، يقال للسقيط جهيض ومجهض .

(٣) السمام ، بالفتح : ضرب من الطير نحو السمانى ، شبه الإبل بها . تبارى : تعارض . خوصا : غائرة . والرذايا : سبق تفسيرها . س : « رزايا » محرفة .

(٤) هو الأخطل ، من قصيدة له اختار منها ابن الشجرى فى الحماسة (١٩٨ — ١٩٩) . والبيت فى ديوان الأخطل ص ٧ .

(٥) البيت فى صفة ناقة . وقبله :

ترى العرمس الوجناء يضرب حاذها ... ضئيل كفروج الدجاجة معجل

السماحيق : جمع سمحاق ، وهى جليدة رقيقة تكون على الولد . والسلا ، بالفتح : هو الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من أمه ملفوفا فيه . قال ابن السكيت : « السلى سلى الشاة ، يكتب بالياء . وإذا وصفت قلت شاة سلياء » . وقد رسمت فى الأصل بالألف . والسغابة ، بالفتح : مصدر سغب يسغب — من بابى فرح ودخل — سغبا ، بالفتح والتحريك ، وسغابة وسغوبا ومسغبة : جاع . والأطحل : ما لونه الطحلة ، وهى لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد . وقد جاء البيت محرفا فى الأصل ، فى ط ، ﻫ : « تشق هماحيق » ﻫ : =

وقال حُميد بن ثَور فى صفة ذئب[1] :

إذا ما بَدَا يوماً رأيتَ غَيايةً من الطير ينظرْنَ الذى هو صانع[2]

لأنّه لا محالة حينَ يسعى[3] وهو جائع ، سوف يقع على سبع أضعف منه أو على بهيمةٍ ليس دونها مانع .

وقد أكثر الشّعراءُ فى هذا الباب حتى أطنب بعضُ المحدَثين وهو مسلم بن الوليد[4] بن يزيد[5] فقال :

يكسو السيوفَ نفوسَ الناكثين به ويَجْعَلُ الهامَ تِيجان القَنَا الذُّبُلِ[6]

= « تشق عماحيق » . هـ : « أخو فقرة » . وفى جميع النسخ : « بادى السحابة » والصواب ما أثبت .

(١) س : « يصف ذئبا » . والبيت من أبيات اختارها ابن الشجرى فى الحماسة ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٢) بدا ، كذا جاءت فى الأصل . وفى الحماسة : « غدا » ، وفى زهر الآداب (٤ : ١٣٦) : « عوى » من العواء . والغياية ، بالياء المثناة قبل الآخر ، قال الأعرابى : « الغياية تكون من الطير الذى يغيى على رأسك أى يرفرف » . وفى الأصل : « غيابة » تحريف . يقول : إن الطير تتبع هذا الذئب لتنال مما ينال .

(٣) ط : « لأنه لا محالة يسعى » س ، هـ : « لأنه لا محالة سمى يسعى » وأمل الوجه ما أثبت .

(٤) مسلم بن الوليد الأنصارى ، ويلقب صريع الغوانى ، وأبوه مولى أسعد بن زرارة الخزرجى ، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، مولده ومنشؤه الكوفة ، ويعدونه أول من أشاع صنعة البديع فى الشعر . وكان مسلم أستاذ دعبل ، وعنه أخذ ومن بحره استقى . وقد نزل مسلم بغداد فمدح هارون والبرامكة ، وكانت وفاته بجرجان وهو يتولى بها عملا . انظر تاريخ بغداد ٧٠٨٤ ومعاهد التنصيص (٢ : ١٠ — ١٥) . ومما هو جدير بالذكر أن ترجمته وأخباره سقطت من الجزء الخامس من الأغانى ، فاستدرك ذلك المستشرق « دى غويه » (De Ceje) ونشرها فى نهاية ديوان مسلم الذى طبعه فى ليدن سنة ١٨٧٥ .

(٥) كذا وردت هذه النسبة ، ولم أجد من ساق نسبه على هذا النحو . فلعلها : « أبو الوليد » ؛ وهى كنية مسلم كما فى تاريخ بغداد ومعاهد التنصيص .

(٦) البيتان من قصيدة له فى ديوانه ٥٨ — ٦٢ يمدح بها يزيد بن مزيد الشيبانى . =

قد عَوَّدَ الطَّيرَ عاداتٍ وثِقنَ بها   فهُنَّ يتبَعْنَه فى كلِّ مُرْتَحَلِ

ولا نعلم أحداً منهم أسرَفَ فى هذا القول وقال قولاً يُرغَبُ عنه[1] إلّا النابغة ؛ فإنّه قال :

جَوانحُ قدْ أيقَنَّ أنَّ قبيلهُ   إذا ما التقى الجمعانِ أوّلُ غالب

وهذا لانُثْبته . وليس عند الطَّير والسِّباع فى اتّباع الجُموع إلاَّ مايسقط من ركابهم ودوابِّهم وتوقّع القتلِ ؛ إذْ كانوا قد رأوا من تلك الجُموع مرّةً أو مِرارا . فأمّا أن تقصد بالأمل واليقين إلى أحد الجمعين ، فهذا مالم يقلْه أحدٌ .

(نسر لقمان)

١٠٧ وقد أكثر الشُّعراءُ فى ذكر النسور ، وأكثر ذلك قالوا فى لُبَد[2] . قال النّابغة :

أَضحَتْ خَـلاءً وأمْسَى أهلُها احتَمَلُوا
أخْنَى علَيْها الذى أخْنَى على لُبَدِ

— والنفس هاهنا : الدم ، ومن شواهده قوله السموأل :

تسيل على حد الظبات نفوسنا   وليست على غير الظبات تسيل

وهذه رواية الجاحظ والأغانى (٣ : ١٣٤) . ورواية الديوان : « دماء الناكثين به » . ط ، هـ : « يكسى » محرفة . وفى الأصل : « الماكثين » بالميم ، وإنما هى : « الناكثين » بالنون ، أى الناقضين للعهد . والذبل : جمع ذابل ، وهو القنا الدقيق اللاصق الليط ، أى القشر .

(١) س : « فيه » وهو عكس ما يراد .

(٢) فى الأصل : « وأكثرت ذلك » محرفة . ولبد : هو نسر لقمان . انظر حديثه فى التيجان ٧٥ — ٧٨ والمعمرين ٣ — ٤ وثمار القلوب ٣٧٦ — ٣٧٧ والميدانى (١ : ٣٩٣ — ٣٩٤) .

فضربه مثلاً فى طُول السَّلامة . وقال لَبيد :

لما رأى صُبْحٌ سَوادَ خليلِه مِنْ بين قائمِ سَيفِه والمِحْمَلِ [1]

صَبَّحْنَ صُبْحًا يوم حُقَّ حِذَارُه فأصاب صبحاً قائماً لم يُعقَلِ [2]

فالتفَّ مُنقصِفاً وأضحَى نَجمُه

بين الترابِ وبين حِنْوِ الكلكل [3]

ولقد جرى لُبَدٌ فأدرك جَرْيَه رَيبُ الزَّمانِ وكان غيرَ مُثَقَّلِ [4]

لما رأى لُبَدُ النسورَ تطايَرَتْ رَفَعَ القوادمَ كالفقيرِ الأعزَلِ [5]

---

(١) صبح : رجل من العماليق . وفى معجم البلدان : « قال هشام : سميت أرض صبح برجل من العماليق يقال له صبح ، وأرضه معروفة ؛ وهى بناحية اليمامة » . وأنشد صدر البيت . والسواد : الشخص . والخليل : الكبد ، كما فى اللسان عند إنشاد البيت . وقائم السيف وقائمته : مقبضه . والمحمل ، كمنبر : علاقة السيف . وفى التيجان وديوان لبيد ٣٤ : « ولقد رأى » ، وفى التيجان أيضا : « ما بين » .

(٢) صبحن ، أى الخيل . أصاب ، الضمير لخايل صبح . يعقل ، يقال عقل البعير وعقله واعتقله : ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعا فى وسط الذراع ، وذلك الحبل هو العقال . وفى الأصل : « فاتقا » ط ، هـ : « لم يقفل » س : « لم يذبل » وفى التيجان : « أصبحن صبحا قائما لم يعقل » ، صواب هذه : « فأصبن » أى الخيل . وفى الديوان : « قائف لم يغفل » .

(٣) انقصف : انكسر ، كما ينقصف العود . وفى س : « منقصما » فإن صحت كانت من القصع ، وهو — كما قال أبو عبيد — ضمك الشىء على الشىء حتى تقتله أو تهشمه . والمعروف أن يقال : انعقص ، بتقديم العين ، وانقعص وانقعف ، وانقرف ، إذا مات . والكلكل : ما بين محزم الفرس إلى ما مس الأرض منه . والحنو ، بالكسر والفتح : كل ما فيه اعوجاج من البدن . أراد أن نجم هذا الصريع قد هوى فصار بين التراب وكلا كل الخيل . وفى الأصل : « حد الكلكل » ، وفى الديوان : « جنو » ووجههما ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « منقل » بالنون ، صوابه فى الديوان والتيجان وثمار القلوب .

(٥) القوادم : أربع ريشات فى مقدم الجناح ، الواحدة قادمة ، وفى الأصل : « ربع القوائم » تحريف . والفقير : المكسور الفقار ، وهى ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب . والأعزل : هو من الخيل المائل الذنب فى أحد الجانبين .

مِنْ تحتِهِ لُقمانُ يرجو نفعه ولقَدْ رَأى لُقمانُ أن لم يأتلِ[١]

وإن أحسنت الأوائل فى ذلك فقد أحسن بعض المحْدَثين وهو الخزرجى[٢] فى ذكر النَّسر وضرب المثَل به وبلبَد[٣] وصِحَّة بدَنِ الغراب ، حيثُ ذكَرَ طولَ عمر مُعاذِ بن مُسلِم بن رجاء[٤] ، مولى القعقاع ابن شَور[٥] . وهو قوله :

إنَّ مُعاذَ بنَ مُسْلِمٍ رَجلٌ قَدْ ضَجَّ مِنْ طولِ عمرِه الأبَدُ

قدشابَ رأسُ الزّمانِ واختَضَبَ الدَّهرُ وأثوابُ عُمْرِهِ جُدَدُ[٦]

يانَسْرَ لقمانَ كمْ تعيشُ وكَمْ تَلْبَسُ ثَوْبَ الحياةِ يا لبَدُ[٧]

---

(١) فى الديوان والمعمرين ٤ وأمثال الميدانى (١ : ٣٩٣) : « يرجو نهضه » . والنهض بالفتح : النهوض . وفى الثمار : « نهضة » وفى التيجان : « سعيه » . ائتلى : قصر وأبطأ . وفى ط ، هـ : « إن لم يأتلى » س : « إن لم تأتل » صوابهما ما أثبت . وفى سائر المصادر : « أن لا يأتلى » أى أن لقمان التى نفسه لم يقصر فى استبقاء النسور والحرص عليها ، ولكن القدر غلبه على أمره .

(٢) هو أبو السرى سهل بن أبى غالب الخزرجى ، كما نص عليه ابن خلكان فى ترجمة معاذ بن مسلم . وقد سبقت ترجمة الرجلين فى شرح الحيوان (٣ : ٤٢٣) . على أن الشعر التالى روى فى العقد (٢ : ٥٢) وبغية الوعاة ٣٩٣ منسوبا إلى محمد بن منإذر ، وبدون نسبة فى عيون الأخبار (٤ : ٥٩) وثمار القلوب ٣٧٧ والحيوان (٣ : ٤٢٣) .

(٣) هـ : « ولبد » .

(٤) ذكره بهذه النسبة أيضا فى بغية الوعاة .

(٥) شور ، بفتح الشين المعجمة ، وفى القاموس أن القعقاع بن شور تابعى . وترجم له فى لسان الميزان (٤ : ٤٧٤) وقال : من كبار الأمراء فى دولة بنى أمية وفيه يقول الشاعر :

وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليس

وفى الأصل : « سور » تحريف .

(٦) فى سائر المصادر : « واكتهل الدهر » .

(٧) فى سائر المصادر : « تسحب ذيل الحياة » ، وفى س : « وكم تخلق ذيل الحياة » .

قدْ أصبحَتْ دارُ آدمٍ خَرِبَتْ وأنتَ فيها كأنَّك الوَتِدُ[١]

تَسألُ غِربانَها إذا حَجَلَتْ كيفَ يكونُ الصُّداعُ والرَّمَدُ[٢]

(شعر وخبر فيما يشبه بالنسور)

وما تعلق بالسَّحاب من الغيم يشبَّه بالنَّعام ، وما تراكَبَ عليه يُشبَّه بالنسور . قال الشاعر[٣] :

خَليلَيَّ لا تستسلما وادعُوَا الذى له كلُّ أمرٍ أنْ يَصُوبَ ربيعُ

حَياً لبلادٍ أنفذَ المَحْلُ عُودَها وجَبْرٌ لعَظْمٍ فى شَظاهُ صَدوعُ[٤]

بمنتصر غُرِّ النَّشاصِ كأنَّها جِبالٌ عليهِنَّ النسورُ وُقُوعُ[٥]

عسى أن يحلَّ الحىُّ جِزْعاً وإنها وعَلَّ النوى بالظَّاعِنِينَ تَريعُ[٦]

---

(١) الوتد يبقى فى الدار من مخلفات القوم .

(٢) زاد الثعالبى والميدانى بعد هذا البيت أربعة أخرى ، منها ثلاثة فى وفيات الأعيان .

(٣) سبقت الأبيات الثلاثة الأولى فى (٤ : ٣٥٠) ، والأبيات ماعدا ثالثها فى كتاب الزهرة ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٤) الحيا : الخصب وماتحيا به الأرض والناس . ط ، هـ : « فيالبلاد » س : « خبا لبلاد » محرفتان . أنفذه : جعله نافذا ، أى تركه أجوف منخوبا . هـ : « أنفد » . والشظى : عظم لازق بالذراع ، أو عظم لاصق بالركبة . والصدوع : الشقوق . وجبر ، أى وهو جبر . وفى الزهرة : « وجبرا » أى جابرا ، وفى ط ، هـ : « شطاه » صوابه بالظاء المعجمة كما فى س والزهرة .

(٥) بمنتصر ، كذا وردت فى ط ؛ س وفى هـ : « مسطر » والذى فى المعاجم : نصر الغيث البلد : إذا أعانه على الخصب والنبات . غر النشاص ، أى غر نشاصه . والغر : البيض . والنشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع أو الذى يرتفع بعضه فوق بعض . ط : « غب النشاط » هـ ، س : « عر النشاط » ، صوابهما ما أثبت . وانظر (٥ : ٣٣٥ س ٣) .

(٦) الجزع ، بالكسر : منحنى الوادى ، وقيل لايسمى جزعا حتى تكون له سعة تنبت الشجر ونحوه . وكلمة « وأنها » كذا وردت فى الأصل . ولعلها : « وليتها » أو « وإيما » ، وفى س : « جرعاء وأنها » محرفة . وعل هى مخفف لعل . والنوى : الدار والنية والبعد . تريع : ترجع وتعود : وفعله ثلاثى . وعجزه فى شروح سقط الزند ٨٨٩ .

وشبّه العُجير السّلوليّ (١) شُيوخاً على باب بعضِ الملوك بالنسور ، فقال :

فمنهن إسآدِى على ضوء كوكبٍ ... له من عمانىّ النُّجوم نظيرُ (٢)

ومنهن قرْعِى كلَّ بابٍ كأنّما ... به القومُ يرْجُونَ الأذِينَ نُسورَ (٣)

إلى فَطِنٍ يستخرج القلبَ طرْفُه ... له فوقَ أعوادِ السَّريرِ زئيرُ (٤)

١٠٨

وذكرت امرأةٌ من هُذيلٍ (٥) قتيلاً فقالت :

تمشى النسورُ إليه وهى لاهِيَةٌ ... مشْىَ العَذارَى عَلَيْهِنَّ الجلابيبُ

تقول : هى آمنةٌ أنْ تُذعَر (٦) .

ومدح بعضُ الشُّعراء عبدَ العزيزِ بنَ زُرارةَ الكلابىّ (٧) فقال :

وعند الكلابىِّ الذى حَلَّ بيْتُه ... بجوٍّ شِخَابٌ ماضرٌ وصَبُوحُ (٨)

ومكسورةٌ حمْرٌ كأنَّ مُتونَها ... نُسورٌ إلى جَنْبِ الخوانِ جُنوحُ (٩)

---

(١) سبقت ترجمته فى (٢ : ٣٣٧) .

(٢) الإسآد : سير الليل كله . ط : « آساد » صوابه فى س ، هـ .

(٣) الأذين : الزعيم والكفيل . وأراد بالباب باب الملك .

(٤) الفطن ، بالفاء : الفهم الذكى . ط ، هـ : « قطن » محرف . يستخرج طرفه القلب ، أى هو ألمعى يصل بفطنته إلى البواطن .

(٥) هى جنوب أخت عمرو ذى الكلب الهذلى ، ترثى أخاها . انظر حواشى الحيوان (٢ : ١٨٥) واللسان (١ : ٢٦٥) .

(٦) هذا تفسير لكلمة « لاهية » . وفى اللسان : « معنى قوله وهى لا هية ، أن النسور آمنة منه لا تفرقه لكونه ميتا » .

(٧) هو أحد أشراف العرب وشعرائهم ، روى له الجاحظ شعرا فى (٣ : ٨٤) والبيان (٤ : ٥٤) وروى له فى البيان (٢ : ٧٥) خبرا مع معاوية. وذكر أبو الفرج فى الأغانى (١ : ٦٨) أنه الذى تكفل بدفن توبة ابن الحمير . وتوفى فى زمن معاوية كما فى جمهرة ابن حزم ٢٨٣ .

(٨) جو : موضع . وكلمة : « شخاب » موضعها بياض فى س . والشخاب بالكسر اللبن ، يمنية . والماضر : اللبن الحامض . والصبوح : هو من اللبن ما حلب بالغداة . ط ، هـ : « سماء » والوجه ما أثبت .

(٩) جنوح : مائلات ، جنح : مال . وفى المحاضرات (٢ : ١٦١) : « لدى جنب الخوان » .

مكسورة : يغنى وسائد مثنيَّة . وقال ابن مَيَّادة :

ورَجَعْتُ مِنْ بَعْدِ الشَّبابِ وعَصرِه
شيــــخاً أزَبَّ كأنَّه نَسْرُ[١]

وقال طرفة :

فلأمنعنَّ مَنَـــابِتَ الضُّمران إذ منع النســـور[٢]

وفى كتاب كليلة ودمنة : «وكُنْ كالنَّسْرِ حَوْلَهُ الجِيفُ ، ولا تَكنْ كالجِيفِ حولها النسور[٣] » . فاعترض على ترجمة ابن المقفَّع بعضُ المتكلِّفين من فِتيان الكتَّاب فقال : إنما كان ينبغى أن يقول : « كُنْ كالضِّرس حُفَّ بالتُّحَف ، ولا تكنْ كالهَبْرة[٤] تطيف بها الأَكَلة » . وأظنّه [أراد[٥]] الضُّروس فقال الضِّرس . وهذا من الاعتراض عجبٌ .

ويوصف النسر بشدّة الارتفاع ، حتَّى ألحقوه بالأنوق ، وهى الرَّخمة .

وقال عدىُّ بن زيد :

---

(١) الأزب ، من الزبب ، وهو كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين . ورجع هنا بمعنى صار . ومثلها فى هذا الاستعمال « عاد » بمعنى صار . انظر سر العربية ٢٨٥ .

(٢) لم يرو البيت فى ديوان طرفة صنع الشنقيطى . والضمران بفتح الضاد المعجمة وضمها وبعد الميم راء : ضرب من الشجر . وفى الأصل : « الصمدان » . وليس له وجه . ومثله فى اللسان :

نحن منعنا منبت الحلى ومنبت الضمران والنصى

(٣) انظر كليلة ودمنة (باب الأسد والثور) ويجد النص فى ص ٨٣ من الطبعة التذكارية لدار المعارف . ولفظه : « فإنه قيل : إن خير السلطان من أشبه النسور حولها الجيف ، لا من أشبه الجيف حولها النسور » .

(٤) الهبرة ، بالفتح : البضعة من اللحم .

(٥) هذه من س .

فوقَ عَلْياءَ لا يُنـال ذُرَاها ‏ ‏ يَلْغَبُ النّسرُ دُونَها والأنوقُ [١]

وأنشدوا فى ذلك :

أهل الدّناءةِ فى مجالِسهِمْ ‏ ‏ والطَّيْشِ والعَوراءِ والهَـذْرِ [٢]

يَدْنُون ما سألوا وإن سُـئِلوا ‏ ‏ فهُمُ مَعَ العَيُّـوقِ والنَّسْر

وقال زيد بن بِشْر التّغلبى ، فى قتل عمير بن الحباب [٣] :

لا يجُوزَنَّ أرْضَـنَا مُضَرِىٌّ ‏ ‏ بخفـير ولا بغَـيرِ خَفـيرِ [٤]

طَحَنَتْ تغلبُ هَوازِنَ طَحْناً ‏ ‏ وألَحَّتْ على بنى مَنْصورِ

يَومَ تَرْدِى الكُماةُ حول عمير ‏ ‏ حَجَلَانَ النسورِ حَوْلَ جَزُورِ [٥]

109 وقال جميل [٦] :

وما صائبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ به ‏ ‏ يدٌ ومُمَرُّ العُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ [٧]

---

(١) اللغوب : التعب والإعياء ، يقال : لغب يلغب من باب دخل ، ولغب بالكسر لغة ضعيفة . وفى الأصل : « يلعب » ، بالمهملة محرفة .

(٢) س : « فى منازلهم » . العوراء : الكلمة القبيحة .

(٣) هو عمير بن الحباب السلمى ، قتلته بنو تغلب بالحشاك – وهو إلى جانب الثرثار بالقرب من تكريت – فى يوم من أيام قيس وتغلب فى الإسلام . انظر الأغانى (١١ : ٥٥ – ٦٠) ، والحشاك ياقوتا فى معظم البلدان ، والميدانى فى الأمثال (٢ : ٣٦٧) .

(٤) الخفير : المجير ، وخفير القوم : مجيرهم الذى يكونون فى ضمانه ماداموا فى بلاده .

(٥) ردى يردى رديانا ، أى عدا واشتد فى مشيه .

(٦) الأبيات فى الكامل ٢ : ٤ وحماسة ابن الشجرى ١٤٨ والأغانى (٧ : ٨٨) .

(٧) الصائب : هو من قولهم صاب السهم يصوب صوبا : قصد نحو الرمية ، وبذا فسره المبرد ، ووجدت فى اللسان (٢ : ٢٤) : « وصاب السهم القرطاس صيبا لغة فى أصابه » ، والنابل : صاحب النبل ، بالفتح ، وهى السهام ، لا واحد لها من لفظها ، وقال بعضهم : واحدتها نبلة ، وفى الأصل : « نائل » بالهمز ، محرف . ومُمَر العقدتين يعنى وترا . والممر : الشديد الفتل .

لهُ مِنْ خَوافى النَّسْرِ حُمٌّ نظائرٌ ... ونَصْلٌ كنَصْلِ الزَّاعبىِّ رَقيقُ [١]

على نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ أمَّا خِطامُها ... فمَتْنٌ وأمَّا عُودُها فعَتيقُ [٢]

بأوْشَكَ قتلاً منكِ يومَ رمَيْتِنِي ... نوافِذَ لم تَظْهَرْ لهن خُرُوقُ [٣]

فلمْ أرَ حَرْباً يابُثَينَ كحَرْبِنَا ... تَـكَشَّفُ غمّـاها وأنتِ صَدِيقُ

(مسالمة النسر للضبع)

وأما قوله :

٣٠ « يُسالم الضَّبْعَ بذى مِرَّةٍ ... أبْرَمَهَا فى الرَّحِمِ العُمْرُ » [٥]

---

(١) هذا البيت ساقط من ﻫ . وفى الـكامل : « قوله من خوافى النسر حم نظائر ، يريد ريش السهم . الحم : السود ، وذلك أخلصه وأجوده ، وجعلها نظائر فى مقاديرها لأنه أقصد للسهم » . وخوافى النسر : ريشات إذا ضم جناحيه خفيت . وحم : جمع أحم وحماء . والزاعبى : الرمح ، منسوب إلى رجل من الخزرج يقال له زاعب . وكان الأصمعى يقول : الزاعبى هو الذى إذا هز فـكأن كعوبه يجرى بعضها فى بعض للينه وتثنيه . و « رقيق » هى فى سائر المصادر : « فتيق » . قال المبرد : « فتيق يعنى حادا رقيقا » وفى الأصل : « فى خوافى » محرف . وفى س أيضا : « كنصل الراعبى » صوابه بالزاى المعجمة .

(٢) على نبعة ، أراد القوس ؛ وأجود القسى ما كان من النبع . وخطام القوس : وترها . الزوراء : المعوجة ، وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى . والمتن : القوة والصلابة . وفى اللسان : « وجلد له متن أى صلابة وأكل وقوة » . عتيق ، يصف كرم هذه القوس وعتقها . قال المبرد : « ويحمد منها أن تترك ، ولحاؤها عليها ، بعد القطع ، حتى تشرب ماءه » . ﻫ ، س : « تبعة » محرفة ، ط فقط : « فثنى » محرف ، وفى س : « ففتيق » بالفاء ، محرف . وروى المبرد : « أيما خطامها » و : « وأيما عودها » . وأيما لغة فى أما .

(٣) بأوشك : بأسرع : وفى الأصل : « بأوشك قتل » محرف . وفى س ، ﻫ : « عنك » بدل : « منك » محرف . نوافذ : أى بنوافذ من السهام ، نصبه بنزع خافضه ، أو أراد : رميات نوافذ ، فنصبه على أنه مفعول مطلق . ﻫ ، س : « لم يظهر » وفى الـكامل وابن الشجرى : « لم تعلم » .

(٤) غمى الحرب : شدتها . والصديق مما يذكر ويؤنث .

(٥) س . « انغير » ﻫ : « الغبر » محرفتان .

لأنَّ النَّسر طيرٌ ثقيلٌ ، عظيمٌ شرِهٌ رغيبٌ نَهِم ، فإذا سَقط على الجِيفة وتملَّأ لم يستطِعِ الطَّيرانَ حتَّى يثبَ وثَباتٍ ، ثمّ يدور حولَ مسقطِه مِراراً ، ويسقُط فى ذلك ، فلا يزالُ يرفع نفسَه طبقةً طبقة فى الهواء حتَّى يُدخِلَ تحتَه الرِّيح[1] . فكلُّ من صادفه وقد بَطِنَ وتملّأ ، ضَرَبه إن شاء بعصاً ، وإن شاء بحجر ، حتَّى ربما اصطاده الضَّعيفُ من الناس .

وهو مع ذلك يشارك الضَّبع فى فريسة الضبع ، ولا يثبُ عليه ، مع معرفته بعجْزِه عن الطَّيران .

وزعَمَ[2] أنّ ثقته بطول العمر هو الذى جرَّأه على ذلك .

(استطراد لغوى)

ويقال[3] هوت العُقاب تهوى هُوِيّا[4] : إذا انقضّت على صيدٍ أو غيره ما لم ترغه ، فإذا أراغتْه[5] قيل أهوت له إهواءً . والإهواء أيضاً التَّناول باليد . والإراغة أن يذهب بالصيد[6] هكذا وهكذا .

ويقال دوَّم الطائر فى جوّ السَّماء ؛ وهو يدوِّم تدويما : إذا دار فى السماء ولا يحرك جناحَيه .

---

(١) فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٧) : « حتى تدخل تحته الريح » . س : « تحت الريح » محرفة .

(٢) أى زعم بشر فى هذا الشعر . س : « وزعموا » .

(٣) ط ، هـ « وقال » .

(٤) يقال بضم الهاء وفتحها . ويقال هو بالضم : ما كان من أعلى إلى أسفل ، وبالفتح ما كان من أسفل ، وقيل بالعكس .

(٥) هـ : « راغته » محرفة .

(٦) فى الأصل : « الصيد » وليست الإراغة من فعل الصيد . وإنما هى من الصائد . ويقال أيضا راغ الصيد : ذهب هاهنا وهاهنا .

ويقال نسره بالمِنْسَر(١) . وقال العجّاج :

شاكى الكَلاليب إذا أهْوَى ظَفَرْ(٢)

كَعَابِرَ الرءوس منهـا أو نسَرْ(٣)

[والنسر ذو منسر(٤)] ، وليس بذى مخلب ، وإنما له أظفارٌ كأظفار الدَّجاج .

وليس له سلاحٌ ، إنما يقوَى بقوَّة بدنه(٥) وعِظَمه . وهو سبعٌ لئيمٌ عديم السِّلاح ، وليس من أحرار الطير وعِتاقها .

(ولوع عتاق الطير بالحمرة)

ويقال إنّ عتاقَ الطير تنقَضُّ على عمُـود الرّحل وعلى الطِّنفسة والنمرق(٦) فتحسبه لحمرته لحماً . وهم مع ذلك يصفونها(٧) بحدَّة البصر ولا أدرى كيف ذلك .

---

(١) المنسر ، كمنبر ، هو لسباع الطير بمنزلة المنقار لغيرها . وبعد هذه الكلمة فى كل من ط ، ﻫ جاءت هذه العبارة : « وليس بذى مخلب وإنما له أظفار كأظفار الدجاج » . وإنما موضعها بعد الرجز التالى كما أثبت من س .

(٢) الكلاليب : مخاليب البازى ، والواحد كلوب . والشاكى مأخوذ من الشوكة وهو من المقلوب ، أى حاد . ظفر : غرز ظفره فأحدث أثرا . ورواية اللسان « اظفر » على وزن افتعل ، أى أعلق ظفره . وفى الديوان ص ١٧ : « اطفر » بالطاء المهملة .

(٣) الكعابر : رءوس العظام ، واحدها كعبرة . ط ، ﻫ : « كفابرى » س : « كفاترى » ، صوابهما ما أثبت من الديوان واللسان (٦ : ٤٥٨) .

(٤) التكملة من س .

(٥) س : « يديه » .

(٦) الطنفسة مثلثة الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وفتح الفاء ، وبالعكس : النمرقة فوق الرحل ، وقيل هى البساط الذى له خمل رقيق . والنمرق : الوسادة الصغيرة ، أو الطنفسة فوق الرحل ، ومثلها النمرقة .

(٧) س : « وهم يصفونها مع ذلك » .

وقال غيلان بن سَلَمة[١] :

فى الآلِ يخفِضها ويرفَعُها رَيْعٌ كأنّ مُتونَه السَّحلُ[٢]

عَقْلاً ورَقْماً ثمّ أردَفَه كِللٌ على ألوانها الحَمْلُ[٣] ١١٠

كدَمِ الرُّعافِ على مآزرها وكأنّهنّ ضوامراً إجلُ[٤]

وهذا الشّعر عندنا للمسيَّب بن عَلَس[٥] . وقال علْقمة بن عَبَدَة :

ردّ الإماءُ جمالَ الحىِّ فاحتملُوا وكلّها بالتّزيدياتِ مَعْكُومُ[٦]

---

(١) هو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك الثقفى ، أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف ، ومات بالشام فى طاعون عمواس . وهو شاعر مقل ، وأحد حكام العرب فى الجاهلية . انظر الأغانى (١٢ : ٤٣ - ٤٧) والإصابة ٦٩١٨ .

(٢) الريع بالكسر والفتح : الطريق المنفرج من الجبل ، أو هو الطريق . ط ، ص : « ريغ » بالغين المعجمة ، صوابه بالمهملة . متونه : ظهوره . والسحل ، بالفتح : الثوب الأبيض من الكرسف من ثياب اليمن . والبيت فى صفة ظعن ، وقبله ، كما فى اللسان (١٣ : ٣٤٩) وجمهرة أشعار العرب ١١١ :

ولقد أرى ظعنا أبينها تحدى كأن زهاءها الأثل

ورواية اللسان فى الموضع السالف ، وفى (٩ : ٤٩٩) : « ريع يلوح كأنه السحل » .

(٣) العقل ، بالفتح : ثوب أحمر يجلل به الهودج . والرقم : ضرب من البرود . والكلل : جمع كلة : بالكسر ، وهى من الستور ما خيط فصار كالبيت . والحمل : الطنفسة ، وهدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول . وفى الجمهرة : « على أطرافها الحمل » .

(٤) ضوامر : جمع ضامر وضامرة ، وقد عنى الإبل . والإجل ، بالكسر : القطيع من بقر الوحش . وفى الأصل : « ضوامر أجل » محرف . وهذا البيت لم يرو فى جمهرة أشعار العرب .

(٥) بهذه النسبة ورد البيتان الأولان فى اللسان فى الموضعين المذكورين . والقصيدة بتمامها منسوبة إلى المسيب فى الجمهرة ص ١١١ - ١١٢ .

(٦) التزيديات : برود فيها خطوط ، منسوبة إلى تزيد بن حيدان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة . وفى الأصل : « البزيديات » ، صوابها بالتاء المثناة الفوقية . والمعكوم ، من قولهم عكم المتاع : شده بثوب .

عَقْلاً ورَقْماً يظلُّ الطَّيرُ يتبعُه
كأنّه من دَمِ الأجوافِ مَدْمُومُ[١]

(شعر فى العقاب)

وقال الهذلىّ[٢] :

ولقد غَدَوْتُ وصاحِبِى وحشيَّةٌ تحتَ الرِّداء بصيرةٌ بالمشرف[٣]
حتَّى أتيتُ إلى فِراش عَزِيزةٍ سَوداءَ، رَوْثَةُ أنفِها كالِمخْصَفِ[٤]

يعنى عقابا . وقوله : « بصيرة بالمشرف » يريد الرِّيح مَن أشرَفَ لها أصابتْه .

وقال الآخرُ فى شبيهٍ بهذا :

فإذا أتتْكُمْ هذِه فتلبّسُوا إن الرِّماح بصيرة بالحاسِرِ[٥]

وقال آخر[٦] :

---

(١) المدموم : المطلى . والبيتان هما الرابع والخامس من المفضلية ١٢٠ طبع المعارف.

(٢) هو أبو كبير الهذلى . انظر اللسان (٢ : ٤٦٢ / ٣ : ٢٤٢ / ١٤ ٢٦٢ / ١٠ : ٤١٩) والمخصص (١ : ١٢٩ / ٨ : ١٤٧) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٧) .

(٣) غدوت من الغدو . ط فقط : « عدوت » محرفة . وعنى بالوحشية ريحا دخلت تحت ثيابه . بصيرة بالمشرف ، يعنى الريح ، أى من أشرف لها أصابته وضربته ودخلت تحت ثيابه .

(٤) قال ابن سيده : « فراشها عشها ووكرها » . عزيزة ، يعنى العقاب ، جعلها عزيزة لامتناعها وسكناها أعالى الجبال . وروثة الأنف ، عنى به المنقار . والأصل فى الروثة أن تكون أرنبة الأنف . والمخصف : المثقب والإشفى .

(٥) تلبسوا ، أى البسوا السلاح ، والحاسر : الذى لاسلاح عليه . ط : « فتلبثوا » هـ : « فتلبثوا » صوابهما فى س .

(٦) هو أبو خراش الهذلى . انظر أشعار الهذليين (٢ : ٥٧) واللسان (٢ : ١٦ / ١٤ : ٣٥٩) . يذكر عقابا شبه فرسه بها .

كأنّى إذْ عَدَوْا ضَمَّنْتُ بَزِّى   مِن العِقْبانِ خائتةً طَلُوبا[1]
جريمةَ ناهضٍ فى رأس نيق   تَرَى لعِظامِ ما جَمعَتْ صَلِيبا[2]

وقال طُفيل الغَنَوىّ :

تبيتُ كعِقْبان الشُّرَيف رجاله   إذا مانَوَوْا إحداثَ أمْرٍ تعطّفوا[3]

أى أمهلوا . وقال دُرَيد :

تعلّلتُ بالشّطّاء إذْ بانَ صاحبى   وكلُّ امرئٍ قد بانَ إذْ بان صاحبُه[4]
كأنى و بَزِّى فوقَ فَتْخاءَ لِقْوةٍ   لها ناهضٌ فى وَكْرها لاتُجانبُه[5]

---

(١) عدوا ، من العدوة ، وهى الحملة فى الحرب . والبز ، بالفتح : السلاح . والخائتة : التى تنقض على الصيد لتأخذه فتسمع لجناحيها صوتا . ضمنتها البز : أودعتها إياه . والبيت محرف فى الأصل هكذا :

كأنى إذ غدوت ضمنت برى   من العقبان حانية طلوبا

وأول القصيدة :

عدونا عدوة لا شك فيها   وخلناهم ذؤيبة أو حبيبا

(٢) الجريمة : الكاسبة ، يقال هو جريمة أهله أى كاسبهم . والناهض : فرخها . والنيق بالكسر : أرفع موضع فى الجبل ، أو شمراخ من شماريخ الجبل . والصليب : الودك ، أو ودك العظام . وفى الأصل : « كريمة ناهض » صوابها بالجيم .

(٣) هكذا رواه الجاحظ . لكن روايته فى الديوان ص ٤ :

تبيت كعقبان الشريف رجاله   إذا ما نووا إحداث أمر معطب

ومثل هذه الرواية فى صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ١٧٣ والقافية فيها : « معقب » . وفى معجم البلدان : « لعقبان » . والبيت من قصيدة بائية . والشريف : بهيئة التصغير : موضع تنسب إليه العقبان . وأحداث ، تقرأ بفتح الهمزة وكسرها . وفى شرح الديوان : « أحداث جمع حدثة » .

(٤) هـ : « بالشطآء » س : « بالشطاء » ولم أهتد إلى تحقيقهما . ولم أجد فى أسماء أفراسهم لدريد بن الصمة إلا « عجلى » . انظر المخصص (٦ : ١٩٦) .

(٥) البز : السلاح . ط ، هـ : « وتربى » س : « وبرى » صوابها بالزاى كما أثبت . والفتخاء : العقاب ، وأصل الفتخ اللين ، وذلك لين جناحيها . واللقوة ، بالكسر والفتح : العقاب الخفيفة السريعة الاختطاف . والناهض : فرخها . س : « لا تجامبه » هـ : « لا تحاسبه » ، صوابهما فى ط .

فباتَتْ عليه ينفُضُ الطَّلَّ ريشُها تُراقِبُ ليلاً ماتغورُ كواكبهُ(١)

فلما تجلَّى اللَّيلُ عنها وأسفرَتْ

تُنفِّض حسرى عن أَحَصَّ مناكبُه(٢)

رأتْ ثَعْلباً من حَرَّةٍ فهوَتْ لهُ إلى حَرَّةٍ والموتُ عَجْلَانُ كاربُه(٣)

فخَرَّ قتيلاً واستمرَّ بسَحْره وبالقَلْب يَدْمَى أنفُه وترائبُه(٤)

(جفاء العقاب)

زعم صاحبُ المنطق أنّه ليس شيءٌ في الطَّير أجفى لفِراخه من العُقاب وأنّه لابدّ من أن يُخْرِجَ واحداً ، وربما طردَهُنَّ جميعاً حتى يجيء طائرٌ يسمَّى « كاسر العظام » فيتكفَّل به . ١١١

ودريدُ بن الصِّمَّة يقول :

كأني وبَزِّي فوقَ فتْخاءَ لقْوَةٍ لها ناهضٌ في وكْرها لاتجانِبُه(٥)

(مايعترى العقاب عند الشبع)

وقد يعترى العُقابَ ، عند شِبَعها من لحم الصَّيد ، شبيهٌ بالذى ذكرنا في النسر . وأنشد أبو صالحٍ مسعود بن قنْد(٦) ، لبعض القيسيِّين :

---

(١) غارت الكواكب : غربت .

(٢) أسفرت : أصبحت . والأحص : الأجرد أو القليل الريش ، وفي الأصل : « أخص » بالمعجمة محرف .

(٣) كاربه : دان منه وكل دان قريب فهو كارب .

(٤) السحر ، بالفتح : الرئة . والترائب : جمع تريبة ، وهي عظام الصدر .

(٥) ط : « وتربى » : « ويرى » ه : « لا تحاشيه » تحريف أسلفت تحقيقه في نهاية الصفحة السابقة .

(٦) قند ، بفتح القاف بعدها نون ساكنة . ط فقط : « قيد » .

قرَى الطَّيرَ بعدَ اليأس زيد فأصبحَتْ
بوحْفاء قَفْرٍ ما يدِبُّ عُقابُها[١]

وما يتخطَّى الفَحلَ زيدٌ بسَيفِهِ ... ولا العِرْمِسَ الوَجناءَ قد شَقَّ نابُها[٢]

وإن قيلَ مَهْلا إنَّها شدَنِيَّةٌ ... يقطِّع أقرانَ الحِبالِ جِذابُها[٣]

خبَّرَ أنّه يعترى العُقابَ من الثِّقل عند الطيران ، من البِطْنة ، ما يَعترى النَّسر .

(شعر فى العقاب)

وقال امروُ القيس — إن كان قالَه[٤] — :

كأنَّها حِين فاض الماءُ واحتُمِلَتْ ... فَتخاءُ لاحَ لها بالقَفْرَةِ الذِّيبُ[٥]

---

(١) الوحفاء : الأرض السوداء ، وفى الأصل : « بوجفاء » صوابه بالحاء المهملة .

(٢) مايتخطى الفحل والعرمس ، أى إنه ينحرهما لا يعبأ بكرمهما ولا يتخطاهما إلى الرذال ، فهو يهين لضيفه كرائم المال . والعرمس ، بكسر العين والميم : الناقة الصلبة الشديدة . والوجناء : الضخمة . وشق ناب البعير يشق شقوقا : طلع .

(٣) أى هو ما يتخطاها وإن قيل له مهلا . والشدنية : إبل منسوبة إلى شدن ، وهو موضع ، أو فحل باليمن . والأقران : جمع قرن بالتحريك ، وهو الحبل يقرن به البعيران .

(٤) الأبيات التالية لم تروَ فى ديوانه رواية الوزير أبى بكر . وقد ذكر البغدادى فى الخزانة (٢ : ١١٣) فى الكلام على البيت السادس أنه ثابت فى ديوان امرىء القيس ، ونسب الشنتمرى هذا البيت فى شرح شواهد سيبويه (١ : ٢٥٣) إلى امرئْ القيس ، وفى (٢ : ٢٧٢) إلى النعمان ابن بشير .

(٥) الماء ، هنا : العرق ، وذلك لشدة الركض . والعرق محمود فى الخيل ، انظر المفضليات ٣٤٣ . احتملت ، بالبناء للمفعول : استخفت من النشاط . انظر اللسان (١٣ : ١٩١ س ٢٢) . وفى الخزانة : « واختلفت » أى استقت ماء ، يريد كأنها استقت ماء من شدة عرقها ، أو اختلفت بمعنى ترددت . والفتخاء : العقاب ، اللين جناحيها . وفى الخزانة : « صقعاء » وهى العقاب البيضاء الرأس .

فأبصرت شَخْصَهُ مِن فوقِ مَرْقَبَةٍ ودُون مَوْقِعِها مِنهُ شَناخِيبُ (١)
فأقبلَتْ نحوَهُ فى الجوِّ كاسرةً يحُثُّها من هَوىِّ اللُّوح تصويبُ (٢)
صُبَّتْ عليه ولم تنصبّ من أَمَمٍ إنَّ الشَّقاء على الأَشقَين مصبوبُ (٣)
كالدَّلْو بُتَّتْ عُراها وهى مُثْقلةٌ إذْ خانها وَذَمٌ منها وتـكريبُ (٤)
لا كالتى فى هَواء الجوِّ طالبةً ولا كهذا الذى فى الأرض مطلوب (٥)
كالبرْق والريح مَرْآتاهما عجبٌ مافى اجتهادٍ على الإصرار تغبيبُ (٦)
فأدركتْـهُ فنالتْهُ مَخَالِبُهَـا فانسَلَّ من تحتها والدَّفُّ مثقوبُ (٧)

---

(١) المرقبة : الموضع العالى يراقب منه العدو . والشناخيب : رءوس الجبال ، واحدها شنخوب ، وشنخوبة وشنخاب ، وفى الأصل : « سناجيب » محرف .

(٢) كاسرة : تضم جناحيها للسقوط . والهوى بفتح الهاء : هبوب الريح ، قال :

* كأن دلوى فى هوى ريح *

واللوح ، بالضم : الهواء بين السماء والأرض . وقال اللحيانى : هو اللوح ، واللوح ، لم يحك فيه الفتح غيره . والتصويب : الخفض .

(٣) من أمم : من قرب .

(٤) بتت ، من البت ، وهو القطع . وفى الأصل : « ثبت » تحريف . والعرى : جمع عروة . والوذم ، بفتح الواو والذال المعجمة : السيور التى بين آذان الدلو وأطراف العراقى . والتكريب : شد الكرب ، وهو بالتحريك : الحبل الذى يشد فى وسط العراقى ، ثم يثنى ثم يثلث ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير . والعراقى : جمع عرقوة ، وهى العيدان المصلبة تشد من أسفل الدلو إلى قدر ذراع أو ذراعين من حبل الدلو مما يلى الدلو . شبه هوى العقاب بسرعة هوى الدلو الملأى إذا انقطع حبلها . فى الأصل : « ودم » تحريف .

(٥) الطالبة : العقاب ، والمطلوب : الذئب . ط ، هـ : « لا كالذى » ، صوابه فى س والخزانة .

(٦) المرآة ، بفتح الميم : المنظر ، حسنا كان أو قبيحا . فى الأصل : « كالبز » صوابه فى الخزانة . والتغبيب : الفتور والتقصير ، يقال غبب فى الحاجة إذا لم يبالغ فيها . وفى الأصل : « تغييب » محرف .

(٧) الدف ، بالفتح : الجنب . مثقوب ، هى فى الأصل : « معقوب » والصواب من الخزانة .

يلوذ بالصَّخر منها بَعْدَ ما فتَرَتْ منها ومنه على الصَّخْر الشآبيب[١]

ثمَّ استغاثت بمَتْنِ الأرض تعفُرُهُ وباللِّسان وبالشِّدقين تتريب[٢]

ما أخطأته المنايا قِيسَ أنْمُلَةٍ ولا تحرَّزَ إلَّا وهو مكثُوبُ[٣]

يَظَلُّ منجحِراً منها يُراقِبُهَا ويرقب اللَّيلَ إنَّ اللَّيلَ محبوبُ[٤]

وقال زهير :

تَنبذ أفلاذَها فى كلِّ مَنْزِلةٍ تَنتِخُ أعيُنَهَا العِقبانُ والرَّخَمُ[٥]

تنتِخ : أى تنزع[٦] وتستخرج . والعرب تسمِّى المِنقاش المِنتاخ . ١١٢

ويقال : نقَّت الرَّخَمُ تنِقُّ نقيقاً . وأنشد أبو الجرَّاح :

حديثا من سماع الدَّلِّ وعر كأنَّ نَقِيقَهُنَّ نقِيقُ رُخم[٧]

والنقيق مشترك[٨] . يقال : نقَّ الضفدع ينِقُّ نقِيقاً .

---

(١) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو من كل شىء حده .

(٢) متن الأرض : ظهرها . تعفره : تلقيه فى العفر ، وهو ظاهر التراب .

(٣) قيس أنملة ، بكسر القاف : قدرها . مكثوب : أى كثبته العقاب : قاربته أو تلته تتلوه . ط ، هـ : « مكتوب » ووجهها ما أثبت . وفى س : « مكروب » .

(٤) منجحرا ، بتقديم الجيم على الحاء : من أجحره فانجحر ، أى أدخله الجحر فدخله . ط ، س : « منجحر » صوابه فى هـ .

(٥) الأفلاء ، جمع فلو ، كعدو وأعداء ، وهو المهر الصغير . يقول : تلقى أولادها من الجهد ودءوب السير فتقع عليها العقبان والرخم فتنتخ أعينها ، أى تنزعها وتستخرجها . فى الأصل : « أفلاذها » ، والوجه ما أثبت من الديوان ٥٦ وطبعة دار الكتب ص ١٥٤ واللسان (٢٠ : ٣١) . وفى اللسان : « تبقر أعينها » لكن رواه فى (٤ : ٢٧) : « تنتخ » . ورواية الديوان طبع دار الكتب : « ينقر أعينها » .

(٦) س : « تفترع » ووجه هذه « تنتزع » .

(٧) الرخم ، بالضم : جمع رخمة ، بالتحريك ، وهى طائر أبقع على شكل النسر خلقة ، إلا أنه مبقع بسواد وبياض . وصدر البيت محرف ، وفى هـ : « الذل » .

(٧) فى الأصل : « يشترك » .

ويقال : « أعزُّ مِن الأبْلَق العَقُوق » و : « أبعَدُ من بَيض الأنوق » .

فأمَّا بَيض الأنوق فربَّما رُئِى . وذلك أنَّ الرَّخَم تختارُ أعالِىَ الجبال ، وصُدُوعَ الصَّخر ، والمواضِعَ الوحشيّة . وأمَّا الأبلق فلا يكون عَقوقاً . وأما العقوق البلْقاء فهو مَثَلٌ[1] . وقال :

ذكرْناكِ أن مَرَّتْ أمامَ ركابنا ... من الأُدْمِ ، مِخْماصُ العشىِّ سَلوبُ[2]

تدلَّتْ عليها تَنفُضُ الرِّيشَ تحتها ... براثِنُها وراحُهُنَّ خَضيبُ[3]

خُداريَّة صَقْعاء دُونَ فِراخِها ... من الطَّودِ فأْوٌ بينها ولهوبُ[4]

إذا القانِص المحروم آبَ ولم يُصِبْ ... فطُعمُهُ جُنْحَ الظَّلامِ نَصيبُ[5]

فأصبحت بعد الطير مادون فارة ... كما قام فوق المنْصِتين خطيبُ[6]

وقال بشرُ بن أبي خازم :

---

(١) انظر ما سبق فى (٣ : ٥٢٢) .

(٢) الركاب الأدم : الإبل يخالط بياضها سواد . المخماص : وصف من الخمص وهو الجوع . وصفها بالخمص فى العشيات . وقد عنى بذلك العقاب . والعشى ، هى فى الأصل : « القسى » محرفة . ط : « مخماض » هـ : « مخاض » صوابهما فى س .

(٣) الضمير فى « عليها » للركاب . وفى الأصل : « عليه » . والبراثن ، هى للسباع كالأصابع من الإنسان . والراح : جمع راحة ، وهى الكف ، والضمير للبراثن .

(٤) الخدارية : السوداء والصقعاء : التى فى رأسها بياض . والفأو : مهواة بين جبلين . انظر مبادئ اللغة ٢٥ واللسان . وفى الأصل : « دار » وما أثبت أقرب توجيه . واللهوب : جمع لهب ، بالكسر ، وهو وجه من الجبل كالحائط لا يستطاع ارتقاؤه ، وهو أيضا المهواة بين الجبلين .

(٥) ط فقط : « إن القانص » . يقول : إنها تصيد مالا يستطيع صيده القانص المحروم ، فهى تصيد فى الظلام حيث يتعذر الصيد على الناس . نصيب ، أى يصير ما عجز عن صيده نصيبا لها .

(٦) فى الشطر الأول من هذا البيت تحريف .

فما صَدَعٌ بِخُبَّةَ أو بِشَرْقٍ على زَلَقٍ زوالق ذى كِهافِ[1]

تَزِلُّ اللِّقْوة الشَّغْواء عَنها مخالبُها كأطْرافِ الأشافِى[2]

وقال بشر أيضاً :

تداركَ لَحمِى بعدَ ما حَلّقتْ به مع النَّسْر فَتخاءُ الجناح قَبوضُ[3]

فإنْ تجْعلِ النَّعماءَ منك تمامَهُ ونُعماك نعمَى لا تَزال تفيضُ

تَكنْ لكَ فى قومى يدٌ يشكرُونها وأيدِى النَّدَى فى الصالحين قُروض[4]

وعلى شبيهٍ بهذا البيت الآخر . قال الحطيئة :

مَنْ يفعَل الخيرَ لايَعدَمْ جَوَازيَهُ لايذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

---

(١) الصدع ، بالتحريك : وعل بين الوعلين ، وهو الوسط منها ليس بالعظيم ولا الصغير . وخبة : من أرض طيىء . وفى الأصل : « بحية » ، صوابه من مختارات ابن الشجرى ٧٧ ومعجم ما استعجم ٤٨٦ . وشرق : موضع فى جبل طيىء . والزلق ، بالتحريك : المكان المزلقة لا تثبت عليه قدم . « زوالق » هى فى معجم ما استعجم « زمالق » . والكهاف : جمع كهف ، وهو كالمغارة فى الجبل . وفى الأصل : « ذى كهاب » ، وهو من قصيدة فائية فى مختارات ابن الشجرى .

(٢) اللقوة ، بفتح اللام وكسرها : العقاب الخفيفة السريعة الاختطاف . والشغواء : العقاب ، قيل لها ذلك لفضل فى منقارها الأعلى على الأسفل ، أو لتعقف منقارها . وفى الأصل : « الشمواء » محرفة . عنها : أى عن الكهاف . والأشافى : جمع الإشفى ، وهو المثقب يستعمل فى الأساقى والمزاود والقرب وأشباهها ، نظير المخصف للنعال . وفى الأصل : « الأشاب » ، صوابه من مختارات ابن الشجرى .

(٣) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح . قبوض : تقبض جناحيها وتجمعهما . وفى الكتاب : (ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن) .

(٤) القروض : جمع قرض ، وهو ما يتجازى به الناس بينهم ويتقاضونه من إحسان أو إساءة . وفى الأصل : « فروض » بالفاء ، صوابه بالقاف كما أثبت .

وقال عقيل بن العرندس[1] :

حَبيبٌ لقرطاس يؤدِّى رسالة فيالكِ نفسا كيفَ حانَ ذُهولها[2]
وكنت كفَرْخ النسْر مُهِّدَ وَكْرُه بملتفَّة الأفنان حَيلٌ مَقيلها[3]

(التمساح والسمك)

١١٣ وأما قوله :

« وتِمْسَحٌ خَلَّلَهُ طائرٌ وسابحٌ ليسَ له سَحْرُ »

فالتمساح مختلفُ الأسنان ، فينشَبُ[4] فيه اللحم ، فيغمُّه فيُنتِن عليه ، وقد جُعل فى طبعه أن يخرُج عند ذلك إلى الشط ، ويشحا فاه لطائر يعرفه بعينه[5] ، يقال إنه طائرٌ صغير أرقط [مليح[6]] ، فيجىء مِن بَين الطير حتى يسقط بين لحييه ثم ينقرُه بمنقاره حتّى يستخرجَ جميعَ ذلك اللحم ، فيكونُ غذاءً له ومعاشاً[7] ، ويكونُ تخفيفاً عن التِّمساح وترفيهاً . فالطائر الصغير يأتى ما هنالك[8] يلتمس ذلك الطُّعم ، والتمساح يتعرَّض له ؛ لمعرفته بذلك منه :

وأما قوله : « وسابحٌ ليس له [سَحْر[9]] » ، فإن السمك كلَّه لا رئةَ

---

(١) ذكره المرزبانى فى معجمه ٣٠٢ . ط : « عقيل بن العرنوس » ، ﻫ : « عقيل ابن الحوحرس » . س : « يزيد بن العرندس » ، وقد استخرجت الصواب من بينهما مطابقا لما فى معجم المرزبانى .

(٢) ط ، ﻫ : « صبيب لقرطاس » ، وأثبت ما فى س .

(٣) الحيل ، بالفتح : الماء المستنقع فى بطن واد . ط : « خبل » س : « حبل » ، وأثبت ما فى ﻫ .

(٤) س : « فينبت » تحريف .

(٥) يقال شحا فاه يشحوه وشحاه شحوا ، وشحاه يشحاه شحيا : فتحه ، فهو يائى واوى . ط ، ﻫ : « يشحى » س : « إلى طائر » .

(٦) هذه من س .

(٧) س : « غذاء ومعاشا له » .

(٨) س : « ما هناك » .

(٩) التكملة من س ، ﻫ .

له . قالوا[١] : وإنما تكون الرِّئة لمن يتنفس . هذا ، وهم يَرون منخرَى السَّمك ، والخَرق النَّافذ فى مكان الأنف منه ، ويجعلون مايرون من نَفسه إذا أخرجوه من الماء[٢] أن ذلك ليس بنفَس يخرُج من المنخرَين ، ولكنه تنفس[٣] جميع البدَن .

(العث والحفاث)

وأما قوله :

٣٢ « والعُث والحُفّاث ذو نفخةٍ وخرنِقٌ يسفِده وَبْرُ[٤] »

فإنَّ الحُفَّاث[٥] دابّة تشبه الحيّة وليست بحيّة ، وله وعيدٌ شديدٌ ، ونفْخ وتوثُّب ، ومَن لم يعرفه كان له[٦] أشدَّ هيبةً منه للأفاعى والثّعابين . وهو لا يضر بقليل ولا كثير ، والحيَّات تقتله . وأنشد[٧] :

أيفايِشون وقد رَأَوْا حُفَّاثَهم قَدْ عضَّه فقَضَى عليه الأسود[٨]

والعثُّ : دويْبَّة تقرض كلَّ شىء ، وليس له خطرٌ ولا قوّة ولا بدن .

قال الرَّاجز :

(١) س : « قال » .
(٢) س : « عن الماء » .
(٣) س : « يتنفس » تحريف .
(٤) ه : « والغث » س : « والحفاث » ، وفى جميع النسخ : « ذو فخفخ » ، تحريف ، وانظر ماسيأتى من شرح الجاحظ . ط ، ه : « وخربق » س : « وخرنق » صوابهما ما أثبت .
(٥) س : « الخفاث » صوابه بالحاء المهملة .
(٦) س : « منه » .
(٧) روى نظير هذا البيت بقافية « الأشجع » لجرير فى اللسان (٨ : ٢٢٤) . وانظر ديوانه ص ٢٢٤ .
(٨) الفياش والمفايشة : المفاخرة . والأسود : أخبث الحيات وأعظمها . والأشجع فى قافية بيت جرير : ضرب من الحيات . س ، ه : « ويعايشون » ط ، ه : « أخفاثهم » س : « خفاثهم » ، صوابهما ما أثبت .

يحثّنى وَرْدانُ أىَّ حثٍّ وما يحثُّ من كبيرٍ عَثٍّ[1]

* إهابُه مثلُ إهاب العُثّ *

وأنشد :

وعَثٍّ قدْ وَكَلْت إليــه أهْلِى فطاحَ الأهْلُ واجتِيحَ الحريمُ

وما لاهى به طرف فيوحى ولا صَكٌّ إذا ذكر القَضِيمُ[2]

[وأنشد آخر[3]] :

فإن تشتمونا على لُؤْمِكُمْ فقد يقرض العُثُّ مُلْسَ الأديمِ[4]

وقالوا فى الُحفَّاث ، هجا الـكروبى أخاه[5] فقال :

١١٤ حُبارى فى اللِّقاء إذا التقينا وحُفَّاثٌ إذا اجتمعَ الفريقُ

وقال أعرابى :

ولست بحفَّاثٍ يُطاوِلُ شَخْصَهُ وينفخ نَفْخَ الـكِيرِ وهو لَئيمُ

وقع بينَ رجلٍ من العرب ورجل من الموالى كلامٌ ، فأربى عليه المولى ، وكان المولى فيـه مَشابهُ من العرَب والأعراب ، فلم يشكَّ ذلك العربىُّ

---

(١) العث ، بالفتح : الضئيل الجسم .

(٢) كذا ورد صدره محرفا . وظنى بكلمة « طارف » أنها « طرس » والطرس : الصحيفة . والقضيم ، بالضاد المعجمة : الرق الأبيض الذى يكتب فيه . وفى الأصل : « القصيم » محرف .

(٣) هذه التكملة من س . وصاحب البيت التالى هو المخبل ، كما فى أمثال الميدانى (١ : ٤٣٤) ، وقد روى فى رسم (العثة) من حياة الحيوان غير منسوب ، وكذا رواه الزمخشرى فى الفائق (٢ : ٥٩) .

(٤) رواية الميدانى والدميرى : « فقد تقرم العث » والزمخشرى : « فقد يلحس العث » . والعث جمع ، واحدته عثة . وقال صاحب اللسان : « وقد يجوز أن يعنى بالعث الواحد » . وقد ضرب الجلد الأملس مثلا لعرضه فى براءته من العيوب .

(٥) بدلها فى س : « هجا الـكرد يعنى أخاه » .

أن ذلك المولى عربيٌّ ، وأنّه وسط عشيرتِه ، فانخزل عنه[1] فلم يكلمْه ، فلما فارقَه وصار إلى منزله علم أنه مولًى ، فبكَر عليه غُدوةً ، فلما رأى خِذْلانَ جُلسائه له ذلَّ واعتذر ، فعند ذلك قال العربيُّ في كلمةٍ له :

ولم أدْرِ ما الحفاثَ حتَّى بلوتُه ولانَفْض للأشْخاصِ حتَّى تَكشَّفَا[2]

وقد أدركتُ هذه القضية[3] وكانت في البحْرَين ، عند مسحر بن السكن عندنا بالبصرة[4] . فهو قوله : « والعثّ والحفّاث ذو نفخةٍ[5] » لأن الحفاث له نفْخ وتوثُّب ، وهو ضخمٌ شنيعُ المنظر ، فهو يُهول من لايعرفه .

وكان أبو ديجونة مولى سليمان ، يدَّعي غاية الإقدام والشَّجاعة والصَّرامة[6] ، فرأى حُفَّاثاً وهو في طريق مكة ، فوجده وقد قتله أعرابيٌّ ، ورآه أبو ديجونة كيف ينفخ ويتوعَّد ، فلم يشك إلا أنه أخبثُ من الأفعى ومن الثعبان ، وأنه إذا أتى به [أباه[7]] وادعى أنه قتله سيقضي له بقتل الأسد والبَبْر والنمر في نِقاب[8] ، فحملَه وجاء به إلى أبيه وهو مع أصحابه ، وقال : ما أنا اليومَ إلا ذِيخ[9] وما ينبغي لمن أحسَّ بنفسه مثل الذي أحِس[10] أن يُرمى في المهالك والمعاطب ، وينبغي أن يستبقِيهاَ[11] لجهادٍ

---

(١) انخزل عنه ، بالزاى : انقطع وانفرد .

(٢) ﻫ : « ولا نقص » ط ، س : « ولا نقض » وجههما : « ولا نفض » . والنفض : أن ينظر جميع ما في الشيء حتى يعرفه .

(٣) ط ، ﻫ : « القصة » .

(٤) كذا وردت العبارة .

(٥) في الأصل : « فحفح » ، وانظر ما سبق في ٣٤٥ .

(٦) س : « والعرامة » .

(٧) التكملة من س .

(٨) في نقاب : أي دفعة واحدة ، كأنها جعلت في نقاب واحد . والنقاب : البطن ، يقال في المثل في الاثنين يتشابهان : « فرخان في نقاب » .

(٩) الذيخ ، بالكسر : الذكر من الضباع الكثير الشعر .

(١٠) ﻫ : « لمن أحسن بنفسه مثل الذي أحسن » ، تحريف .

(١١) س : « يستبقها » محرفة .

أو دفعٍ عن حُرْمة وحريمٍ يذبُّ عنه ! وذلك أنى هجمْتَ على هذه الحيّة ، وقد مَنَعَت الرِّفاقَ من السُّلوك ، وهَرَبت منها الإبل ، وأمعَنَ فى الهرب عنه كلُّ جَمَّالٍ ضخم الجُزارة[١] ، فهزتنى[٢] إليه طبيعة الأبطال ، فراوغْتها حتى وهب الله الظَّفَر . وكان من البلاء أنها كانت بأرضٍ ملساء ما فيها حصاة[٣] ، وبصُرْتُ بفهر على قاب غَلوة ، فسعيت إليه — وأنا أسوارٌ كما تعلمون — فو الله ما أخطأتُ حَاقَّ لِهزْمته[٤] حتى رزق الله عليه الظَّفر . وأبوه والقومُ[٥] ينظرون فى وجْهه ، وهم أعلم النَّاس بضعْف الخفّاث ، وأنَّه لم يؤذِ أحداً قط ، فقال له أبوه : ارم بهذا من يدك ، لعنَكَ الله ولعنَهُ معك ، ولعَنَ تصديقى لك ما كنْتَ تدَّعيه من الشَّجاعة والجراءة ! فكبَّروا عليه وسمَّوه قاتل الأسد .

(هجاء فيه تشبيه بالعث)

١١٥ ومما هجوا به حين يشبِّهون الرَّجل بالعث ، فى لُؤْمه وصِغَر قَدرِه[٦] قول مُخارق الطائى ، حيث يقول :

وإنى قد علمت مكان عُثٍّ له إبْلٌ مُعَلّسَةٌ تَسُومُ[٧]

---

(١) الجزارة : اليدان والرجلان . وانظر ما سبق فى (٥ : ٢٦٣) .

(٢) هـ : « فهزنى » .

(٣) س : « ليس فيها حصاة » .

(٤) اللهزمة ، بكسر اللام والزاى : واحدة اللهازم ، وهى أصول الحنك . وحاقها : وسطها . وقد جاء ضمير « الحية » فى القصة تارة مؤنثا وأخرى مذكرا والحية مما يذكر ويؤنث .

(٥) س : « وأتوه القوم » ، وهى صحيحة فى لغة .

(٦) فى الأصل : « قده » .

(٧) معلسة : تنال ما ترعى ، يقال ما علسوا ضيفهم بشىء : أى ما أطعموه . والسائمة : الراعية .

عَن الأضْيافِ والجيرانِ عزب فأودت والفتَى دنِسٌ لئيمُ [١]

وإني قد عَلمت مكان طِرْفٍ أغــرَّ كأنَّه فرسٌ كريمُ [٢]

له نَعَمٌ يعــام المحلُ فيهـا ويَرْوَى الضَّيفُ ، والزِّقُّ العظيمُ [٣]

(الوبر والخرنق)

وأما قوله :

* « وخِرنقٌ يسفِدُه وبْرُ » *

فإنَّ الأعراب يزعمون أنَّ الوبْر يشتهِى سِفاد العِكرِشَة — وهى أنثى الأرانب — ولـكنّه يعجِز عنها ، فإذا قدَر على ولدِها وثَبَ عليه . والأنثى تسمى العِكرِشة ، والذَّكر هو الخُزَز ، والخِرنِق ولدُهما . قال الشاعر :

قَبَحَ الإلٰهُ عِصابةً نادمتُهم فى جحجحان إلى أسافِلِ نقنقِ [٤]

أخذُوا العِتَاق وعرَّضُوا أحسابَهُمْ لمحَرَّبٍ ذَكَرِ الحديدِ مُعــرِّقِ [٥]

---

(١) عزب ، كذا وردت فى ط ، س . وفى هـ : « غرب » . أودت : هلـكت ، عنى أنها سوف تهلك . وفى الأصل : « فأدوت » ولا وجه له . يقول : ستهلك الإبل فى غير كرم ، فلا يعود على صاحبها منها فضل .

(٢) الطرف بالـكسر والفتح : الحرق الـكريم من الفتيان والرجال .

(٣) عنى بالزق زق الخمر ، أراد أنه يسقى ضيفه اللبن والخمر . ط ، س : « الزف » صوابه فى هـ .

(٤) جحجحان ونقنق : لعلهما موضعان ، ولم أجدهما فيما لدى من المراجع .

(٥) العتاق ، عنى بها الـكرام من الإبل . عيرهم بأخذهم الدية . ط ، هـ : « العناق » بالنون ، وأثبت ما فى س . والمحرب ، بالحاء المهملة : المحدد المذرب . ط فقط : « لمجرب » بالجيم . ومعرق : يعرق اللحم عن العظم . والذى فى اللسان : « يقال عرقت ما عليه من اللحم بمعرق — وضبطت كمنبر — اى بشفرة » .

ولقدْ قرعتُ صَفاتَكمْ فوجدْتُكم
مُتشبِّثين بزاحفٍ متعلِّــــــقِ

ولقد غَمَزْتُ قناتَكم فوجدتها خَرْعاءَ مَكْسِرُها كعُودٍ مُحرَقِ

ولقد قبَضْتُ بقلبِ سَلْمَةَ قبضة قبْضَ العُقابِ على فؤاد الخِرنقِ

ثمَّ اقتحَمْتُ لِلَحْمِه فأكلته في وكرِ مرتفعِ الجَناب معلَّقِ[1]

قالوا : إنه قالها أبو حبيب بعد أن قال جُشَمُ ماقال ، وقد قدَّم إليه طعامه .

(ما يشبه الخزز)

ووصف أعرابيٌّ خَلْقَ أعرابيٍّ فقال : كأن في عَضَلته خُزَزًا ، وكأنَّ في عضده جُرَذاً[2] .

وأنشدوا لماتحٍ ووصفَ ماتحا ، ورآه يستقي على بئرٍ ه[3] ، فقال[4] :

أعدَدْت للوِرد إذِ الوِردُ حَفَزْ[5] دَلواً جَرُوراً وجُلالاً خُزَخِزْ[6]

وماتِحاً لا ينثَني إذا احتجَزْ كأنَّ تحتَ جِلْدِه إذا احتَفَزْ[7]

* في كلِّ عضوٍ جُرَذين أو خُزَزْ *

---

(١) الجناب : الناحية . وفي الأصل : « الجناح » تحريف .

(٢) ط ، هـ : « كأن » في الموضعين ، تحريف . والعضلة : واحدة العضل ، وهي كل عصبة معها لحم غليظ . هـ : « غفلته » ، صوابهما في س .

(٣) ط : « وراءه » تحريف .

(٤) سبق الكلام على هذا الرجز في (٥ : ٢٥٩) .

(٥) سبق في (٥ : ٢٥٩) : « إذا الورد » .

(٦) ط ، هـ : « دلو » تحريف . وسبق في الخامس : « غربا » . في الأصل : « جروزا » وفي هـ ، س : « وحلالا » ، وفي الأصل : « حزحز » تحريفات .

(٧) سبق في الخامس : « كأن جوف جلده » .

وسنقول فى الأرنب بما يحضرنا إن شاء الله تعالى .

[القول فى الأرانب[١]]

قال الشاعر[٢] :

زَعَمَتْ غُدانة أن فيها سيِّداً ضَخماً يوازِنه جَناحُ الجنْدبِ[٣]

يُرويه ما يُروِى الذُّبابَ فينتَشِى سُكراً ويُشْبِعه كراعُ الأرنب[٤] ٩١٦

وإنما ذكرَ كراعَ الأرنبِ من بين جميع الكراعات[٥] لأنَّ الأرنب هى الموصوفة[٦] بقصر الذِّراع وقصر اليد[٧] . ولم يُرد الكُراع فقط ، وإنما أراد اليدَ بأسْرها . وإنما جعل ذلك لها بسببٍ نحن ذاكرُوه إن شاء الله تعالى .

والفرس يُوصف بقِصر الذِّراع فقط :

(التوبير)

والتَّوبير[٨] لكلِّ محتالٍ من صِغار السِّباع ، وإذا طَمِع فى الصيد

(١) هذا العنوان الأصيل من س فقط .
(٢) هو الأبيرد الرياحى كما فى الأغانى (١٢ : ١٠) يهجو حارثة بن بدر الغدانى كما سبق فى (٣ : ٣٩٨) وكما فى الأغانى وثمار القلوب ٣٢٥ . والأبيرد شاعر فصيح بدوى من شعراء الإسلام وأول دولة بنى أمية . وترجمته فى الأغانى (١٢ : ٩ — ١٥) والمؤتلف ٢٤ ، وقد رواهما الجرجانى فى الكنايات ١٢٩ منسوبين إلى زياد الأعجم .
(٣) سبق التنبيه على رواية : « يواريه » فى (٣ : ٣٩٨) ، وهى رواية الأغانى .
(٤) فى الأصل : « فينثنى » ، صوابه من الأغانى ومما سبق فى الجزء الثالث .
(٥) كذا ورد هذا الجمع .
(٦) س : « لأن الأرنب موصوفة » .
(٧) ط ، هـ : « وصغر اليد » ، وأثبت ما فى س .
(٨) هـ : « والتدبير » محرفة .

أو خاف[1] أنْ يُصاد ، كالثَّعلب ، وَعَناقِ الأرض ، [و[2]] هي التي يقال لها التُّفَة ، وهي دابّة نحو الكلْب الصَّغير ، تصيد صَيداً حسناً ، وربَّما واثبَ الإنسانَ فعقَرَه . وهو أحسن صيداً من الكلْب . وفي أمثالهم : « لأَنْتَ أغنَى من التفَةِ عنِ الرُّفة[3] » وهو التِّبن الذى تأكله الدوابُّ والماشية من جميع البهائم

والتُّفة سبعٌ خالصٌ لا يأكل إلا اللحم .

والتَّوبير : أن تَضمَّ بَرَاثِنها فلا تطأ على الأرض إلا ببطن الكفِّ ، حتى لا يُرَى لها أثر براثِنَ وأصابع . وبعضها يطأ على زمَعاته[4] وبعضها لا يفعل ذلك . وذلك كله في السهل ، فإذا أخذت في الحُزونة والصَّلابة ، وارتفعت عن السَّهل حيث لاتُرَى لها آثارٌ ــ قالوا : وظلفت الأثرَ تظلفه ظلْفا . وقال النُّميري : أظلفَت الأثر إظلافا .

(بعض ما قيل في الأرنب)

وعن عبد الملك بن عُمير[5] ، عن قَبِيصة بن جابر[6] : « ما الدُّنيا

---

(١) ط ، هـ : « وخاف » ، صوابه في س .

(٢) ليست في الأصل .

(٣) الرفة ، بضم الراء وتخفيف الفاء المفتوحة : التبن ، وهي كلمة يمانية . وروى في اللسان (١٩ : ٤٧) أن تشديد التفة والرفة لغة فيهما .

(٤) الزمعات : هنات شبه أظفار الغنم ، في كل قائمة زمعتان كأنما خلقت من قطع القرون .

(٥) هو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي ــ ويقال الفرسي ــ أبو عمرو الكوفي ، المعروف بالقبطي ، روى عن الأشعث بن قيس ، وجابر بن سمرة ، والمغيرة ، والنعمان بن بشير ، وعنه ابنه موسى ، وشهر بن حوشب ، والأعمش . توفي سنة ١٣٦ . انظر تهذيب التهذيب (٦ : ٤١١ - ٤١٣) . وفي الأصل : « عبد الملك بن نمير » تحريف . وانظر التنبيه التالي .

(٦) هو قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة الأسدي . روى عن جماعة من الصحابة . وعنه الشعبي وعبد الملك بن عمير والعريان بن الهيثم وغيرهم . وفي تهذيب التهذيب (٨ : ٣٤٥) : « قال عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر : ـــ

فى الآخرةِ إلّا كنَفْجة أرنب[1] » .

ويقال حذفته بالعَصا كما تَحذَف الأرنب[2] .

وقال أبو الوَجيه العُكْلى : « لو كانت والله الضبّة دجاجةً لكانت الأرنب دُرّاجة » . ذهب إلى أنّ الأرانب[3] والدُّرّاج لا تستحيل لحومها[4] ولا تنقلِبُ شحوماً[5] وإنّما سِمَنها بكثرة اللّحم . وذهب إلى ما يقول المعجَبون منهم بلحْم الضّبّ ؛ فإنّهم يزعُمون أنّ الطَّعمين متشابهان . وأنشد :

وأنتَ لو ذُقْتَ الكُشى بالأكبادْ لما تَرَكْتَ الضَّبَّ يَسعَى بالواد

قال : والضبّ يعرض لبيض الظّليم ؛ ولذلك قال الحجّاج لأهل الشّام : « إنّما أنا لكم كالظّليم الرّامح عن فراخه[6] ، ينفِى عنها المَدَر[7] ، ويباعدُ عنها الحجَر ، ويُكِنُّها من المطَر ، ويحميها من الضِّباب ، ويحرُسُها من

= الا اخبركم بمن صحبت ؟ صحبت عمر فما رأيت أحدا أفقه فى كتاب الله منه ، وصحبت طلحة فما رأيت أحدا أعطى للجزيل منه ، وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت أتم ظرفا منه ، وصحبت معاوية فما رأيت أكثر حلما منه ، وصحبت زيادا فلم أر أكرم جليسا منه ، وصحبت المغيرة فلو أن مدينة لها أبواب لا يخرج من كل باب منها إلا بالمكر لخرج من أبوابها كلها » .

(١) فى اللسان : « نفج الأرنب إذا ثار » . وقد روى هذا الحديث فيه بلفظ : « عند الآخرة » . وعقب عليه بقوله : « أى كوثبته من مجثمه . يريد تقليل مدتها » . وفى الأصل : « كنفخة » بالخاء ، صوابه بالجيم . وانظر البيان (٣ : ١٥٧) .

(٢) س : « بالعصا » . وفى اللسان : « ويقال للعصا عصاة ، بالهاء ، يقال أخذت عصاته » . قال : « ومنهم من كره هذه اللغة » ثم قال : « وقال الفراء : أول لحن سمع بالعراق هذه عصاتى بالتاء » .

(٣) فى الأصل : « الأرنب » .

(٤) ط ، هـ : « تستحل » ، صوابه فى س .

(٥) ط : « شحومها » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) فى اللسان (٣ . ٢٧٨) : « والعرب تجعل الرمح كناية عن الدفع والمنع » . س : « الرائح » صوابه فى ط ، هـ والبيان (٢ : ١٤٠) .

(٧) المدر : قطع الطين اليابس . وفى الأصل : « القذر » ، وصواب النص من البيان .

الذِّئاب . يا أهلَ الشَّام أنتم الجُنّة والرِّداء[1] ، وأنتم العُدّة والحذاء » .

(ما يشبه بالأرنب)

ثم رجع [بنا[2]] القول إلى الأرانب. فممَّا فى الخيل مما يُشبِه الأرنب[3] قول الأعشى[4] :

أمَّا إذا استقبلتَه فكأنَّه جِذعٌ سَما فوقَ النَّخيلِ مشذَّبُ

١١٧ وإذا تصفَّحَه الفَوارسُ مُعْرِضاً فتقولُ سِرْحَانُ الغَضَى المتنصِّبُ[5]

أمَّا إذا استدبرتَه فتسوقُه ساقٌ يُقمِّصُها وظِيفٌ أحْدَبُ[6]

مِنْه ، وجاعرةٌ كأنَّ حَماتَها كَشَطتْ مَكان الجلِّ عَنْهَا أرْنَبُ[7]

وقال عبد الرَّحمن بن حسّان :

كأنَّ حَماتَيْهِمَا أرْنَبَا ن غيضنا خيفةَ الأذؤبِ

---

(١) الجنة ، بالضم : ما واراك من السلاح واستترت به . وفى الأصل : « الجبة » ، وهو من مستطرف التصحيف .

(٢) هذه الزيادة من س .

(٣) س : « الأرانب » .

(٤) لم ترد الأبيات فى ديوان الأعشى طبع جاير . وإنما أثبتت فى ملحقاته . والصواب نسبتها إلى المرار العدوى كما فى كتاب الخيل لأبى عبيدة ص ٩٩ — ١٠٠ . وقد سبقت ترجمة المرار فى (٤ : ٤٦٥) . وانظر المفضليات ٧٢ .

(٥) السرحان ، بالكسر : الذئب . المتنصب : المتنصب القائم . وفى الأصل : « المتصبب » بمعنى المتحدر ، ولا وجه له . وانظر لهذا المعنى البيت ١٩ من المفضلية ١٧ والبيت الثانى من المفضلية ٧٣ طبع المعارف .

(٦) الوظيف لكل ذى أربع : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق . يقمصها : أراد يحملها على القمص ، وهو أن يرفع الفرس يديه ويطرحهما معا . ط ، هـ : « يقنصها » س : « يقبضها » ، وصواب الرواية من كتاب أبى عبيدة . وكلمة : « ساق » محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « سوقا » وفى س ، هـ : « سوق » صوابهما فى كتاب الخيل .

(٧) الجاعرة : حرف الورك المشرف على الفخذ . والحماة : اللحمة المجتمعة فى ظاهر الساق من أعلى .

(طول عمر الأغضف والأرنب)

وأنشد الأثرم :

بأغْضَفِ الأُذْنِ الطَّوِيلِ العمر   وأرنب الخُلَّة تِلْوُ الدَّهرِ [(١)]

قد سمعتُ من يذكر أنّ [كِبَرَ [(٢)]] أذنِ الإنسان دليلٌ على طول عمره ، حتّى زعُموا أنّ شيخاً من الزّنادقة ، لعنهم الله تعالى ، قدّموه لتضرب عنقه فعَدَا [(٣)] إليه غلامٌ سعديٌّ كان له ، فقال : أليسَ قد زعمتَ يا مولاىَ أنّ من طالت أذُنه طالَ عمره ؟ قال : بلى ! قال : فهاهم يقتلونك ! قال : إنما قلت : إن تركوه !

وأنا لا أعرف ما قال الأثرم ، ولا سمعتُ شعراً حديثاً ولا قديماً يُخبرُ عن طول عُمر الأرنب . قال الشّاعر :

مِعْبلة فى قِدْحِ نَبْعٍ حادِرْ [(٤)]   تسقى دَم الجوفِ لظفرِ قاصر [(٥)]

إذ لا تزالِ أرنبٌ أو فادِرْ [(٦)]   أو كروانٌ أو حُبارى حاسِرْ [(٧)]

* إلى حمار أو أتان عاقر [(٨)] *

---

(١) الأغضف الأذن : المسترخيها . وفى الأصل : « بأعصف » محرفة . وانظر الأرنب الخلة (٤ : ١٣٤ / ٦ : ١٢٣) . وتلو الدهر : ولده . وأصل التلو ، بالكسر : ولد الناقة الذى يتلوها .

(٢) التكملة من س ، هـ .

(٣) ط : « فعدى » صوابه فى س ، هـ .

(٤) المعبلة : النصل الطويل العريض . والحادر : الغليظ . وفى اللسان : « ورمح حادر : غليظ . والحوادر من كعوب الرماح : الغلاظ المستديرة » . وفى الأصل : « حازر » ، ولا وجه له .

(٥) كذا ورد البيت . ولم أجد لهذا الرجز مرجعا .

(٦) الفادر : المسن من الأوعال . وفى الأصل : « فازر » ، تحريف .

(٧) الحاسر : التى تحسر مع الطير أيام التحسير ، وذلك أن تلقى ريشها . انظر اللسان (٥ : ٢٣٢ س ٢٠) . وفى الأصل : « كاسر » ، ولا وجه له .

(٨) س : « وأتان عاقر » .

(لبن الأرنب)

قال : ويزعمون أنه ليس شيءٌ من الوحْش ، فى مثل جسم الأرنب أقلَّ لبناً ودُرُوراً على ولَدِ منها . ولذلك يُضرَبُ بدَرِّها المثل . فممَّن قال فى ذلك عَمرو بن قَميئة ، حيث يقول :

ليس بالمطعم الأرانبَ إذْ قلَّ ص دَرُّ اللِّقاح فى الصِّنَّبْرِ [1]
ورأيتَ الإماء كالجِعثِن البا لى عُكوفاً على قُرارة قِدْر
ورأيتَ الدُّخانَ كالوَدع الأهـ جَنِ يَنباع مِنْ وراء السِّتر [2]
حاضرٌ شرُّكُمْ وخيْرُكمُ دَ رُّ خَرُوسٍ من الأرانب بِكر [3]

(قصر يدى الأرنب)

والأرنب قصير اليدين ؛ فلذلك يخفُّ عليه الصَّعْداء[4] والتوقُّل فى الجبال . وعَرف أنّ ذلك سهلٌ عليه ، فصرَف بعضَ حِيله إلى ذلك ، عند إرهاق الـكلاب إيَّاه . ولذلك يُعجَبون بكلِّ كلبٍ قصير اليدين ، لأنه إذا كان كذلك كان أجدر أن يلحقها .

(من أعاجيب الأرنب)

١١٨ وفى الأرانب من العجب أنها تحيض ، وأنها لا تسمن ، وأن قضيب الُخزَزِ ربَّما كان من عظمٍ ، على صورة قَضيب الثّعلب[5] .

---

(١) سبق شرح هذه الأبيات فى (٥ : ٧٣ — ٧٤) . وفى الأصل هنا : « فى الصبر » تحريف . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٣٥٧) من تحقيق .

(٢) فى الأصل : « ورأيت الرجال كالورم الأضخم » ، وأثبت صوابه من الخامس .

(٣) فى الأصل : « دم جرو » ، تحريف .

(٤) أراد الأرض ذات الصعداء ، بفتح الصاد وسكون العين ، « وهى التى يشتد صعودها على الراقى .

(٥) انظر ما سبق فى هذا الجزء ص ٣٠٥.

ومن أعاجيبها أنّها تنامُ مفتوحةَ العَين ، فربّما جاء الأعرابىُّ حتّى يأخذها[1] من تلقاء وجهها ، ثقةً منه بأنّها لا تبصر .

وتقول العرب : هذه أرنبٌ ، كما يقولون : هذه عُقاب ولا يذكّرون .

وفيها التّوبير الذى ليس لشىءٍ من الدوابِّ التى تحتال بذلك ، صائدةً كانت أو مصيدةً ، وهو الوطْء على مؤخّر القوائم ، كى لا تعرفَ الكلابُ آثارَها ، وليس يعرفُ ذلك من الكِلاب إلّا المَاهِر . وإنّما تَفعل ذلك فى الأرض اللَّيِّنَةِ . وإذا فعلَتْ ذلك لم تسرع فى الهرَب . وإن خافت أن تُدرَك انحرفت إلى الُحزونة والصَّلابة . وإنما تستعمل التَّوبير قبل دنوِّ الكلاب .

وليسَ لشىءٍ من الوَحْش ، ممّا يُوصَف بِقصَر اليدَينِ ما للأرنَب من السرعة . والفرس يوصف[2] بقصر الكُراع فقط .

(تعليق كعب الأرنب)

وكانت العربُ فى الجاهليَّة تقول : مَن عُلّق عليه كعبُ أرنَب لم تصبْهُ عينٌ ولا نفسٌ ولا سِحر ، وكانت عليه واقية ؛ لأنّ الجنّ تهرب منها ، وليست من مطاياها[3] لمكان الحيض .

وقد قال فى ذلك امرؤ القيس :

يا هِنْدُ لا تَنْكحى بُوهَةً عليه عَقِيقَتَه أحْسَبَا[4]

(١) ط ، هـ : « أن يأخذها » ، صوابه فى س .
(٢) س : « توصف » ، والفرس يذكر ويؤنث .
(٣) انظر لمطايا الجن ما سبق فى ص ٤٦ .
(٤) البوهة ، بالضم : الرجل الضعيف . والعقيقة : الشعر الذى يولد به الطفل ، والأحسب : الذى ابيضت جلدته من داء ففسدت شعرته فصار أحمر وأبيض . يقول : كأنه لم تحلق عقيقته فى صغره حتى شاخ .

مُرَسَّعَةٌ بينَ أرساغه به عَسَمٌ يبتغى أَرْنبا[1]
ليجْعَل فى يَدِهِ كَعْبَهَا حِذَارَ المنيَّة أنْ يَعْطَبَا

وفى الحديث : « بكى حتَّى رسعت عينه » مشَدَّدة وغير مشدَّدة ، أى قد تغيَّرت[2] . ورجلٌ مرسَّع وامرأة مرسَّعة .

(تعشير الخائف)

وكانوا[3] إذا دخل أحدُهم قريةً خاف من جِنِّ أهلها ، ومن وباء الحاضرة ، أشدّ الخوف ، إلَّا أن يقِف على باب القَرية فيعشِّرَ كما يعشِّرُ الحمارُ فى نهيقه[4] ، ويعلِّق عليه كعبَ أرْنب . ولذلك قال قائلهم :

ولا ينفع التّعشيرُ فى جَنْبِ جِرْمة ولا دَعدعٌ يُغْنى ولا كَعْبُ أرْنبِ[5]

الجِرمة[6] : القطعة من النَّخل . وقوله : « دعدع » كلمةٌ كانوا يقولونها عند العِشار . وقد قال الحادِرة[7] :

ومَطِيَّةٍ كلَّفْتُ رَحْلَ مَطِيَّةٍ حَرَجٍ تُنَمُّ من العِشَارِ بدَعْدَعِ[8]

(١) المرسعة : بكسر السين المشددة : الفاسد العين . وأنثه إتباعا للفظ البوهة . وقيل : المرسعة : الذى لا يبرح من منزله ، زادوا الهاء للمبالغة . ويروى : « مرسعة » بالرفع وفتح السين ، وهى رواية الأصمعى ، وقال : والمرسعة كالمعاذة ، وهو أن يؤخذ سير فيخرق فيدخل فيه سير فيجعل فى أرساغه دفعا للعين . والعسم : يبس فى المرفق يعوج منه الكف . يقول : به عسم بين أرساغه .

(٢) فى اللسان : « يعنى فسدت وتغيرت والتصقت أجفانها » .

(٣) ط ، ھ : « وكان » ، وأثبت ما فى س .

(٤) عشر الحمار ، تابع النهيق عشر نهقات ، ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه .

(٥) الجرمة ، بكسر الجيم : ما جرم وصرم من النخل . ط : « خرمة » ھ : « حزمة » ، صوابهما فى س .

(٦) ط : « الخرمة » ھ : « الحزمة » ، صوابهما فى س .

(٧) الحادرة ، لقب غلب عليه . واسمه قطبة بن أوس بن محصن . وهو من شعراء الجاهلية . انظر الأغانى (٣ : ٧٩) .

(٨) الحرج : الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . تنم من النم ، وهو الإغراء . =

وقالت امرأةٌ من اليهود[1] :

وليس لوالدةٍ نَفْثُها ولا قَوْلُهَا لابنها دَعْدَعِ[2]

تدارى غِراء أحــواله وربُّك أعْلَمُ بالمصْرَعِ[3]

119

وقد قال عُروة بن الوَرد ، فى التَّعشير ، حين دخل المدينةَ فقيل له : إن لم تعشِّرْ هلكت ! فقال :

لَعمْرِى لئن عشَّرْتُ من خِيفة الرَّدَى

نُهاقَ الحمير إنَّنى لَجزُوعُ[4]

(نفع الأرنب)

وللأرنب جلدٌ وَوَبَرٌ يُنتَفَع به ، ولحمه طيِّب[5] ؛ ولا سيَّما إنْ جُعل مَحْشِيا[6] ؛ لأنَّه يجمع حُسنَ المنظر ، واستفادة العلم مما يرون من تدبيرها وتدبير الكلاب[7] ، والانتفاع بالجلد وبأكل اللَّحم . وما أقلَّ ما تجتمع هذه الأمورُ فى شيءٍ من الطَّير .

= يقول : إذا أنضى مطية فى سفر حمل رحلها على غيرها . ط : « حل مطية » س ، هـ : « وحل » س : « جرح » ، صواب هذه التحريفات ما أثبت من المفضليات ٤٧ والديوان ص ٤ مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب المصرية .

(١) ونسب فى الأغانى (٢١ : ٨٩) إلى الشنفرى ، وأنه أول ما قاله من الشعر .

(٢) نفث الراقى : تفل حين الرقية . هـ : « تفثها » محرف . يقول : ليس ينفعها شىء من ذينك .

(٣) كذا فى ط . وفى س ، هـ : « تدارى عزآء » .

(٤) انظر القصة مفصلة فى معجم البلدان (روضة الأجداد) . والبيت من أبيات فى ديوانه ٩٩ . وانظر المخصص (٨ : ٤٩) ومحاضرات الراغب (١ : ٧٤) والميدانى فى قولهم : (عشر والموت شجا الوريد) .

(٥) هـ : « رطيب » تحريف .

(٦) فى الأصل : « محشيا » ، وانظر ماسبق فى (١ : ٢٣٥ و ٥ : ٤٥٢) .

(٧) كذا وردت هذه العبارة على ما بها من تحريف ونقص . ولعل صواب آخرها : « مما يرون من توبيرها قبل دنو الكلاب » . انظر ص ٣٥٧ .

وأما قوله[١] :

إذا ابتدرَ النّاسُ المعالى رأيتَهم قياماً بأيديهم مُسوكُ الأرانبِ

فإنّه[٢] هجاهم بأنّهم لاكسبَ لهم إلّا صيدُ الأرانبِ وبيع جلودها .

(الحُلَكاء)

وأمّا قوله :

٢٣ « وغائصٌ فى الرمل ذو حدَّةٍ ليس له نابٌ ولا ظُفْرُ »

فهذا الغائص هو الحلكاء . [والحلكاء[٣]] : دويْبّة تغوصُ فى الرمل ، كما يصنع الطَّائر الذى يسمَّى الغَمّاس[٤] فى الماء .

وقال ابن سُحيم فى قصيدته التى قصَد فيها للغرائب[٥] :

* والحُلَكاء التى تَبْعَج فى الرمل[٦] *

(شحمة الرمل)

وممّا يغوص فى الرَّمل[٧] ، ويسبح فيه سباحةَ السَّمكة فى الماء ، شحْمةُ الرَّمل ، وهى شحْمة الأرض ، بيضاءُ حَسَنَةٌ يشبّه بها كفُّ المرأة . وقال ذو الرُّمَّة فى تشبيه البَنان بها :

---

(١) فى الأصل : « قولهم » .
(٢) هذه الكلمة ليست فى ط ، هـ . ووردت فى س محرفة برسم : « فباءته » .
(٣) التكملة من س ، هـ . وانظر ما سبق فى ص ٢٠ .
(٤) فى اللسان والقاموس : « الغماسة » . وقال صاحب القاموس : « جمعه غماس » . س : « القماس » ، وله اشتقاق صالح ، ولكنهم لم يذكروه فى الطير . والقمس : الغوص .
(٥) س : « الغرائب » .
(٦) البعج : الشق . ط : « يبعج » هـ : « ينعج » محرفتان . وهو قطعة من بيت من بحر البسيط .
(٧) هذه العبارة ساقطة من س . وفى ط ، هـ : « فى الماء » صوابه : « فى الرمل » .

خرَاعيب أمْثالٌ كأنّ بنانَها بَناتُ النقا تَخْفَى مِراراً وتظهرُ[١]

وقال أبو سليمان الغَنَوى : هى أعرض من العظاءة[٢] بيضاء [حسنةٌ[٣]] منقّطة بحمرة وصُفرة ، أحسنُ دوابِّ الأرض .

وتشبّه أيضاً أطرافُ البنانِ بالأساريع وبالعَنَم ، إذا كانت مُطَرَّفة[٤] .
وقال مرقّش :

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجوهُ دنا نيرُ وأطرافُ الأَكُفِّ عَنَمْ[٥]

وصاحب البلاغة من العامّة يقول : «كأنّ بنانها البَيَّاح[٦] والدُّواج[٧] ، ولها ذِراعٌ كأنها شَبُّوطة[٨] » .

ويشبه أيضاً بالدِّمقس :

(شعر فيه خرافة)

ومن خرافات أشعار الأعراب ، يقول شاعرهم[٩] :

أشكو إلى الله العلىِّ الأَمجدِ عشائراً مثلَ فراخ السرهدِ[١٠]

---

(١) الخراعيب : جمع خرعوبة ، وهى الشابة البيضاء اللينة الجسيمة الدقيقة العظم . أمثال : أشباه . وانظر ديوان ذى الرمة ٢٦٦ والمعانى الكبير ٦٧٩ .

(٢) العظاءة : واحدة العظاء ، بالفتح ، وهو دويبة على خلقة سام أبرص . ط : « العظاة » س : « الغطاة » هـ : « العضاة » ، وفى ثمار القلوب ٤٠٣ نقلا عن الجاحظ : « العضابة » ، صوابها ما أثبت .

(٣) التكملة من س .

(٤) يقال طرفت الجارية بنانها ، إذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء .

(٥) البيت من قصيدة فى المفضليات ٢٣٧ — ٢٤١ .

(٦) البياح : ضرب من السمك صغار أمثال شبر . انظر ما سبق فى ٨٧ . وفى الأصل : « البياج » بالجيم ، محرف .

(٧) الدواج كرمان وغراب : لحاف يلبس . وانظر ما سبق فى (٥ : ٣٢٢) . ط ، هـ : « الدراج » س : « الرواج » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) الشبوط : سمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس ، يكثر فى دجلة : Garp .

(٩) س : « بعضهم » .

(١٠) ط ، س : « عسابرا » . وأثبت ما فى هـ . وفى هـ أيضا : « مثل مراح » .

عشائراً قد نَيَّفوا بفَدفَد[1] قد ساقَهُمْ خبث الزمان الأنْـكَد
وكلّ حِرباء وكل جُدْجُد[2] وكلّ رامٍ فى الرِّمال يهْتَدِى
١٢٠ وكل نفاض القفا ملهّد[3] ينصِبُ رِجْلَيه حِذَارَ المعتدِى[4]
وشحْمة الأَرض وفَرْخ الهُدهُدِ والفَار واليَرْبُوع مالم يسفَدِ
فنارُهم ثاقبــةٌ لم تخْمُــد شِوَاء أحنــاشٍ ولم تفرّدِ[5]
من الُحبَينِ والعَظاء الأَجردِ[6] يبيتُ يَسْرِى مادنا بفــدفد[7]
وكلٍّ مقطوع العرا معلـكد[8] حَتَّى ينــالوه بعود أوْ يَدِ
منها وأبصار سَعَالٍ جُهَّــدِ يغدون بالجهــد وبالتشرُّدِ[9]
* زَحْفاً وحَبْوًا مثل حَبْوِ المُقْعَدِ *

---

(١) فى الأصل : « عشائرا » ، تحريف . س : « بعرفد » ط ، هـ : « بفرقد » صوابهما ما أثبت .

(٢) الجدجد : دويبة على خلقة الجندب تصر بالليل . وقال العديس : هو الصدى . ط : « حرجد » هـ : « جرجد » صوابهما فى س . ولعل الكلام : « لكل حرباء » أى ساقهم لهذه الأشياء .

(٣) الملهد : المستضعف الذليل .

(٤) س : « حذا » . ويمنى بتلك الدابة أم حبين ، إذا طردها الصبيان وأدركها الإعياء وقفت على رجليها ونشرت لها جناحين أغبرين على مثل لونها ، وإذا زادوا فى طردها نشرت أجنحة كن تحت ذينك الجناحين لم ير أحسن لونا منهن ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأبيض .

(٥) س ، هـ : « سواء » . ط : « ولم تغرد » .

(٦) الحبين ، كأنه عنى به جمع الحبينة . والحبينة لغة فى أم حبين . وفى الأصل : « من الجبين » ولا وجه له . والعظاء : جمع عظاءة . ط ، هـ : « الغطاء » س : « القطاء » ، صوابهما ما أثبت .

(٧) ما دنا ، هى فى س : « مذنا » . وفى هـ : « بفرقد » .

(٨) المعلكد ، من العلكدة ، وهى الغلظ . ومقطوع العرا ، لعلها : « مفطوح الفرا » .

(٩) ط ، هـ : « يغدون بالجهد وبالتشدد » .

(الحـرباء)

وأمّا قوله :

٣٤ « حِرباؤها فى قَيْظها شَامِسٌ حَتَّى يوافِى وَقتَهُ العَصْرُ

٣٥ يَميـل بالشّقِّ إليها كَما يَميل[1] فى رَوْضَتِهِ الزَهْرُ »

قال : والحِرباء دوَيْبَّة أعظَم من العظاءة[2] أغبَرُ ما كان فرخاً ، ثم يصفرّ . وإنّما حياتُه الحر . فتراه أبداً إذا بدت جَونة[3] يعنى الشَّمس ، قد لجأ بظَـهْره إلى جُذَيل[4] ؛ فإن رمضت الأرضُ ارتفع . ثم هو يقلّب[5] بوجهه أبداً معَ الشَّمس حيث دارت ، حتّى تغرب ، إلا أنْ يخاف شيئا . ثم تراه شَابحاً بيدَيه[6] ، كما رأيت من المصلوب . وكلما حميت عليه الشَّمس رأيتَ جلدَه قد يخضرّ . وقد ذكره ذو الرُّمّة بذلك فقال :

يظَـلُّ بها الحِرباءُ للشَّمسِ ماثِلاً على الجِذل إلاّ أنّه لا يكبِّرُ[7]

---

(١) ط : « يمل » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) فى الأصل : « العظاة » محرف .

(٣) جونة ، علم للشمس ، كما يقال لها ذكاء ، وإلاهة ، والضح ، والجونة ، والغزالة والجارية ، والبيضاء ، ويوح . وفى الأصل : « أبدا أبدت جونة » .

(٤) الجذيل : مصغر جذل ، وهو من العيدان ما كان على مثال شماريخ النخل ، وما عظم من أصول الشجر المقطع . ط ، س : « جديل » صوابه فى س .

(٥) س : « ينقلب » .

(٦) شبح يديه : مدهما . وفى اللسان : « وشبحه : مده كالمصلوب » وقال جرير :

وعليك من صلوات ربك كلما شبح الحجيج الملبدون وغاروا

ويقال تشبح الحرباء على العود : امتد . وفى الأصل : « سابحا بيديه » ، تحريف .

(٧) فى الأصل : « إلى الحول إلا أنه لا يكفر » ، صوابه من الديوان ٢٢٩ وحماسة ابن الشجرى ٢٢٦ . ورواية صدره عند ابن الشجرى : « يصلى بها الحرباء » .

إذا حَوَّلَ الظِّلُّ العشِيَّ رأيتَــه حَنِيفاً وفى قَرْن الضُّحَى يَتَنَصَّرُ[١]
غَدَا أصفَرَ الأعْلَى ورَاحَ كأنَّهُ من الضِّحِّ واستقباله الشَّمْسَ أخضَرُ[٢]

(خضوع بعض الأحياء للشمس)

وكذا الجمل أيضاً يستقْبل بهامته الشَّمس ، إلاّ أنه لا يدور معها كيف دارَت كما يفعل الحرباء[٣] .

وشقائقُ النُّعمان والخِيرىّ يصنع ذلك ، ويتفتَّحُ بالنهار ، وينضمُّ بالليل[٤] . والنِّيلُوفر الذى ينبت فى الماء[٥] يغيب الليل كلَّه ويظهر بالنهار[٦] . والسَّمك الذى يقال له الكَوسج[٧] ، فى جوفه شحمةٌ طيِّبة ، وهم يسمُّونها

---

(١) حول ، يتعدى ولا يتعدى ، ويروى بيت ذى الرمة برفع الظل ونصب العشى : أى تحول فى وقت العشى . ويروى بنصب الظل ورفع العشى على أن يكون العشى هو الفاعل والظل مفعول به . قال ابن برى : « يقول : إذا حول الظل العشى وذلك عند ميل الشمس إلى جهة المغرب صار الحرباء متوجها للقبلة فهو حنيف . فإذا كان فى أول النهار فهو متوجه للشرق ، لأن الشمس تكون فى جهة المشرق فيصير متنصرا ، لأن النصارى تتوجه فى صلاتها جهة المشرق » . انظر اللسان (١٣ : ٢٠٦) .

(٢) الضح ، بالكسر : ضوء الشمس على الأرض . وفى الديوان واللسان (٣ : ٣٥٦) : « غدا أكهب الأعلى » . والكهبة : لون غير خالص فى الحمرة .

(٣) ط ، هـ : « كما تفعل الحرباء » . وإنما الحرباء مذكر ، والأنثى حرباءة .

(٤) انظر ما سبق فى (٥ : ١٠٣) .

(٥) النيلوفر ، ضبطه صاحب القاموس بفتح النون واللام ضبط قلم . والكلمة مولدة وهى فارسية الأصل . انظر شفاء الغليل والألفاظ الفارسية لادى شير ١٥٥ . وفيه فى الفارسية لغات : يقال نِيلُفَر ، ونِيلُوبَرْگ ، ونِيلوپَر ، ونِيلوفَر ، ونِيلوفَل ، ونينوفر . انظر استينجاس ١٤٤٤ . ط ، هـ : « ينبت بالماء » ، وأثبت ما فى س .

(٦) وفيه يقول الشاعر الفارسى :

كر بكذر شبى بباغى كش نيلوفر ميان آبست
نيلوفر زآب برآرد بندارد رويت آفتابست

يقول لمعشوقه : لو مررت ذات ليلة فى بستان ، وصدر النيلوفر غارق فى وسط الماء ، لرفع النيلوفر رأسه من الماء ، إذ يخال وجهك الشمس .

(٧) انظر ما سبق فى (٤ : ٤٥ ، ١٠٢) .

الكَبِد ، فإن اصطادُوا هذه السَّمكة ليلاً وجدوا هذه الشَّحمةَ فيها وافرةً ، وإن اصطادُوها نهاراً لم تُوجَد . وقد ذكر الحطيئة [١] دوَرانَ النَّبات مع الشمس حيث يقول :

بمستأسدِ القُرْيانِ حُوٍّ تِلاعُه فنُوَّاره مِيلٌ إلى الشَّمس زاهِرُه [٢] ١٢١

وقال ذو الرُّمَّة :

إذا جَعَلَ الحِرباءُ يغْبرُّ لونُه ويخضرُّ من لَفْحِ الهَجير غَباغِبُه [٣]

ويَشْبَحُ بالكفَّين شَبْحاً كأنَّه أخو فجرةٍ عالَى بِهِ الجذعَ صالبُه [٤]

وقال ذو الرُّمَّة أيضاً :

وهاجرةٍ من دُونِ مَيَّةَ لم يَقِلْ قلُوصِي بها والجُندبُ الجَوْنُ يَرْمحُ [٥]

إذا جعَل الحِرباءُ ممَّا أصابَه من الحرِّ يلوِى رأسَه ويرنِّحُ [٦]

وقال آخر [٧] :

كأنّ يدَىْ حِربائها متشَمِّساً يَدَا مُجرمٍ يَستغفِرُ اللهَ تائب

وقال آخر :

---

(١) هذا يصحح ما سبق من نسبة البيت فى (٥ : ١٠٣) .

(٢) سبق الكلام مفصلا على هذا البيت فى (٥ : ١٠٣) .

(٣) الغباغب : جمع غبغب ، وهو الجلد الذى تحت الحنك .

(٤) يشبح بيديه : يمدهما . وفى الأصل : « ينسج بالكفين نسجا » ، صوابه فى الديوان ٤٧ . يقول : كأنه رجل فجر فرفعه صالبه فوق الجذع .

(٥) يقل ، من القيلولة ، وهى النوم فى القائلة نصف النهار . وفى الديوان ٨٦ : « لم تقل » بالتأنيث . والقلوص : الفتية من الابل . قال ثعلب : « الجون هاهنا الأبيض والجون الأسود ، وهو من الأضداد . يرمح : يضرب برجله الأرض من شدة الحر . والجندب شبه الجراد فى ظهره نقط » .

(٦) رنح وترنح : تمايل من السكر وغيره .

(٧) هو ذو الرمة ، لا آخر . انظر ديوانه ص ٣٠ .

لظًى يلفَحُ الحِرباءَ حتَّى كأنَّه أخو حَرَبَاتٍ بُزَّ ثَوْبيه ، شابحُ[1]

وأنشدوا :

قد لاحَها يَومٌ شموسٌ مِلهابْ أَبْلجُ ما لشمسه منْ جلبابْ[2]

يرمى الإكام من حصاة طبطاب[3] شال الحَرَابِىُّ له بالأذْنابْ[4]

وقال العباس بن مرداس :

على قُلُصٍ يعلو بها كلَّ سَبْسَبٍ تخالُ به الحِرباءَ أنشط جالِسَا

وقال الشّاعر[5] :

تجاوزت والعُصفورُ فى الجُحْرِ لاجئٌ

مع الضَّبِّ والشِّقْذانُ تَسمُو صُدورُها[6]

وقال أبو زُبَيْد :

واستَكَنَّ العُصفورُ كَرْهاً مع الضـ

بِّ وأوفَى فى عُودِهِ الحِرْباءُ[7]

والشِّقْذان[8] : الحرابىّ . وقوله : « تسمُو » [أى ترتفع[9]] فى الشجرة .

---

(١) الحربات : جمع حربة ، وهى المرة من حربه حربا بالتحريك : سلبه ماله . بزثوبيه أى بزه اللص ثوبيه ، يقال بزه ثيابه وابتزه ثيابه أى سلبهما . وقد أراد أثوابه فعبر بالمثنى عن الجمع ، وكذلك يفعلون . وشبح الداعى : مد يده للدعاء . كأنه يدعو على من صنع به ذلك . ط ، س : « شائح » هـ : « شايح » صوابهما بالباء الموحدة ؛ كما أثبت .

(٢) الأبلج : المشرق المضىء . وفى الأصل : « أهلج » ، تحريف .

(٣) كذا ورد هذا البيت .

(٤) الحرابى : جمع حرباء . شالت بأذنابها : رفعتها . هـ : « الحرانى » س : « الحرانى » ، صوابهما فى ط .

(٥) هو ذو الرمة ، كما سبق فى (٥ : ٢٣٢) .

(٦) فى الأصل : « والشقدان » . وقد مضى الكلام على البيت فى الجزء الخامس .

(٧) سبق البيت مع ثلاثة أخرى فى (٥ : ٢٣١ - ٢٣٢) .

(٨) فى الأصل : « الشقدان » ، تحريف .

(٩) التكملة من س .

وعلى رأس العود . والواحِد [من] الشِّقذان بإسكان القاف وكسر الشِّين [شَقَذ بتحريك القاف [1]] .

وأنشد :

ففيها إذا الحِرباءُ مَدَّ بكفِّـه   وقام مَثِيـلَ الرَّاهبِ المتعبِّـدِ

وذلك أنّ الحِرباء إذا انتصفَ النّهار فعَلاَ فى رأسِ شجرةٍ صار كأنَّه راهبٌ فى صومعتِه .

١٢٢ وقال آخر [2] :

أنَّى أُتيحَ لَـكُمْ حِرباءُ تنضبةٍ   لا يترُكُ السَّاقَ إلاَّ مُمْسكاً سَاقَا [3]

(التشبُّه بالعرب)

قال : وكان مولًى لأبى بكر الشَّيبانى ، فادَّعى إلى العرب مِنْ لَيلته ، فأصبحَ إلى الجُلوس فى الشمس . قال : قال لى محمد بن منصور : مررْتُ بِه

---

(١) الشقذ كما قيدت هنا : أحد مفردات الشقذان . وانظر لسائر المفردات ما سبق فى حواشى (٥ : ٢٣٢) . وفى الأصل : « والوجه الشقذان باسكان القاف وكسر الشين » ، واستضأت لتصحيحها وإكمالها بما سبق فى (٦ : ١٢٤) .

(٢) البيت لأبى دواد الإيادى من أبيات رواها العسكرى فى الجمهرة ٢١٢ . وقبله :

زموا بليل جمال الحى وانجذبوا   لم ينظروا باحتمال الحى إشراقا

يحثهم بطش ذو نجدة شرس   أوصى ليزعجهم بالظعن سواقا

وقد روى منسوبا أيضا فى اللسان (١ : ٢٩٧) وبدون نسبة فيه (١٢ : ٣٥) وعيون الأخبار (٣ : ١٩٢) وأمثال الميدانى (١ : ٢٠٢) وديوان المعانى (١ : ١٣٨) والمخصص (٨ : ١٠٣) .

(٣) تعجب كيف أتيح لتلك الظعن هذا السائق المجد الحازم . والساق ، هاهنا : الغصن من أغصان الشجرة . والحرباء لا يترك ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ولذا يقال فى المثل : « أحزم من حرباء » . و : « لكم » هذا التفات منه ؛ يخاطب الظعن . وهذه هى أيضا رواية ابن سيده . ويروى : « له » كما فى اللسان وعيون الأخبار . وتعقبها ابن برى فى اللسان (حرب) قال : « هكذا أنشده الجوهرى ، وصواب إنشاده : أنى أتيح لها . لأنه وصف ظعنا ساقها وأزعجها =

فإذا هو فى ضاحيةٍ[١] ، وإذا هو يحكُّ جلده بأظفاره خمْشا وهو يقول : إنما نحن إبل !

وقد كان قيل له مرَّة : إنَّك تتشبَّه بالعرب ، فقال : ألِى يقال هذا ؟ أنا والله حِرباء تنضُية ، يشهدُ لى سوادُ لَونى ، وشَعاثَتى ، وغَوْر عينى[٢] وحُبِّى للشَّمس .

(نفخ الحرباء والورل)

قال : والحِرباء ربَّما رأى الإنسان فتوعَّدَه ، ونفَخَ وتطاول له[٣] حتَّى ربَّما فزِع منه مَن لم يعرفْه . وليس عندَه شرٌّ ولا خير .

وأمَّا الذى سمعناه من أصحابنا فإن الورَل السَّامد[٤] هو الذى يفعل ذلك . ولم أسمعْ بهذا فى الحِرباء إلاّ من هذا الرجل .

قال : والحِرباء أيضا : المسمار الذى يكون فى حَلَقة الدِّرع[٥] ؛ وجمعه حرابى.

(استدراك لما فات من ذكر الوبر)

وقد كنا غفلنا أنْ نذكر الوَبْر فى البيت الأول[٦] . قال رجلٌ من بنى تغلب :

= سائق مجد » . قلت : يدفع قول ابن برى أنه يجوز هنا عود الضمير على : « بطش » فى البيت الذى قبله . تعجب كيف أتيح لذلك الحادى البطش ذاك السواق المجد .

(١) الضاحية : الأرض البارزة الشمس .

(٢) يقال غارت عينه غوراً ، وغؤورا بالضم على فعول .

(٣) س : « تطاول » فقط .

(٤) السامد : الرافع رأسه . س : « الساند » تحريف . ط ، ه : « إن الورل » ، وأثبت الصواب من س .

(٥) ط ، ه : « حلق » ، وأثبت ما فى س .

(٦) يريد بالأول الذى سبق ، وهو يشير إلى البيت رقم ٣٢ الذى مضى فى ٣٤٥ ولم يعرض فيه للكلام عليه إلا باشارة يسيرة فى ٢٤٩ .

إذا رَجَوْنَا ولداً من ظَهْرِ [١] جاءَتْ بِهِ أسْـوَد مِثلَ الوَبر

* من بارد الأدنَى بعيدِ القَعْرِ [٢] *

وقال مُخارقُ بن شِهاب [٣] :

فياراكباً إمَّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ بنى فالج حيثُ استقرَّ قرارُها [٤]

هلُمُّوا إلينا لا تـكونوا كأنَّـكم بلاقعُ أرضٍ طار عنها وِبارُها

وأرض التى أنتم لقيتم بجوِّها كثيرٌ بها أوعالُها ومدارها [٥]

فهجا هؤلاء بكثرة الوِبار فى أرضهم ، ومدح هؤلاء بكثرة الوعول فى جَبَلهم . وقال آخر [٦] :

هـل يشتمنِّى لا أبا لَـكُمُ دنِسُ الثِّيابِ كطابخ القِدْرِ [٧]

جُعَـلٌ تمَـطَّى فى غَيابتِهِ زَمِرُ المروءةِ ناقص الشَّبْرِ [٨]

لِزَبابةٍ سَـوداءَ حَنْظَلةٍ ولعاجز التَّـدبيرِ كالوَبْرِ [٩]

ويُضرب المثل بنتْن الوبْر ؛ ولذلك يقول الشاعر :

---

(١) فى اللسان : « فلان من ولد الظهر ، أى ليس منا » .

(٢) هـ : « إلا دنا » س : « الادنا » .

(٣) ذكره القالى فى ذيل الأمالى ص ٥٠ . وقال : « أحد بنى خزاعى بن مالك ابن عمرو بن تميم » وروى له شعرا . وفى الإصابة ٨٣١٠ : مخارق بن شهاب ابن قيس التميمى ، ذكره المرزبانى ، نقل عن دعبل أنه شاعر إسلامى . لكن الخبر الذى ساقه الجاحظ فى (٥ : ٤٨٩) ينفى أنه شاعر إسلامى .

(٤) هـ : « ياراكبا » بالخرم . وانظر وقعة صفين ٤٣٨ .

(٥) كذا وردت كلمة « مدارها » فى الأصل .

(٦) هو جواس بن القعطل يقوله فى حسان بن بحدل ، كما سبق فى (٣ : ٥٠٩) .

(٧) فى الجزء الثالث : « هل يهلكنى » .

(٨) الغيابة : المنهبط من الأرض . هـ : « عيابته » تحريف . زمر المروءة : قليلها . والشبر ، بالفتح العطاء والقد . وفى الأصل : « الشر » تحريف .

(٩) سبق الكلام على البيت فى (٣ : ٣٠٩ — ٥١٠) .

تَطَــلَّى وهْى سيِّئَــة الْمُعَرَّى   بوضْر الوَبر تحسَبُه مَلابَا[١]

ونتن الوبر هو بَوله[٢] .

(مما يتمازح به الأعراب)

ومما تمازح[٣] به الأعراب ، فمن ذلك قول الشاعر :

١٢٣ قد هدَمَ الضِّفدِعُ بيتَ الفَارَهْ   فجاءت الرُّبْيَــة والوِبارَهْ[٤]

* وحَــلَمٌ يَشُدُّ بالِحجاره[٥] *

وهذا مثلُ قولهم :

اختلط النَّقْـد على الِجعْلانْ[٦]   وقد بقِى دريهمٌ وثلْثـانْ

(١) تطلى : أى هى تتطلى ، فحذف إحدى التاءين . والمعرى ، بفتح الراء المشددة : أى المجرد . ومعارى المرأة : ما لابد لها من إظهاره ، وهى يداها ورجلاها ووجهها . ط : « سيبة المقرا » س : « سينة المقرا » ه : « سيبة المعزاء » والصواب ما أثبت . والملاب ، كسحاب : طيب ، أو هو الزعفران ، ومادته (ملب) و (لوب) . ه : « بوصر الوبر يحسبه » ، محرف . وفى ط ، ه : « ملايا » صوابه بالباء الموحدة كما فى س .

(٢) فى الأصل : « قوله » .

(٣) س : « يتمازح » .

(٤) الربية بضم الراء وسكون الباء : دويبة بين الفأرة وأم حبين ، عن ابن سيده . انظر الدميرى . وفى القاموس : « الربية كزبية ضرب من الحشرات ، والسنور » . فى الأصل : « الرعية » محرف . والوبارة ، بكسر الواو : أحد جموع الوبر ، بالفتح . ويقال أيضا فى الجمع وبور ووبار وإبارة .

(٥) الحلم ، بالتحريك : ضرب من القردان . يشد : يسرع فى عدوه ، يقال شد فى العدو واشتد : أسرع وعدا .

(٦) ط فقط : « واختلط » . والجعلان بالكسر : جمع جعل .

(الظَّرِبان)

وأمَّا قوله :

٣٦ « والظَّربانُ الوَرْدُ قد شفّه حُبُّ الكشى والوحَرُ الحُمْرُ[١]

٣٧ [يلوذ منه الضبُّ مذلولياً ولو نجا أهلكه الذُّعْرُ[٢]]

٣٨ وليس يُنْجِيهِ[٣] إذا مافَسَا شيءٌ ولَوْ أحرَزَهُ قَصْرُ »

قال أبو سليمان الغنَوِيّ : الظَّـرِبان أخبثُ دابَّةٍ فى الأرض وأهلَكه لفراخ الضَّـبَّة .

قال : فسألت زَيدَ بن كَشْوَة[٤] عن ذلك فقال : إى والله وللضَّبّ الكبير !

والظَّـرِبان دابّة فسّاءَة ، لا يقوم لشَرِّ فسْوها شيءٌ . قلت : فكيف يَأخذها[٥] ؟ قال : يأتى جُحرَ الضَّبِّ ، وهو ببابه يستَروِح ، فإذا وجد الضبُّ ريحَ فسْوه دخلَ هارباً فى جُحره ، ومَرَّ هو معه من فوق الجُحر مستمعاً حَرْشَه ، وقد أصغَى بإحدى أُذُنيه من فوق الأرض نحوَ صوته — وهو أسمع دابَّةٍ فى الأرض — فإذا بلغ الضبُّ مُنتهاه ، وصار إلى أقصى جُحره

(١) الوحر ، بالتحريك : جمع وحرة ، وهى ضرب من العظاء ، صغيرة حمراء تعدو فى الجبابين ، لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت . س : « قد شقه » ، و « الوجر » ، محرفتان .

(٢) هذا البيت لم يرد فى الأصل ، وإثباته ضرورى لالتئام الكلام .

(٣) فى الأصل : « ينسيه » ، صوابه مما سبق فى ص ٢٨٨ .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ١١٦ . وفى الأصل : « زيد بن كثرة » تحريف .

(٥) أى يأخذ الظربان الضب . وأنث الضمير لما أنه جعل الضب دابة .

وكفَّ حَرشَه استدبَرَ جُحره ، ثم يَفسُو عليه[1] من ذلك الموضع — وهو متى شمّـه غُشِيَ عليه — فيأخذه .

قال : والظَّـرِبان واحدٌ ، والظِّـرْبان : الجميع ، مثل الكَرَوان للواحد والكِرْوان للجميع . وأنشد قولَ ذى الرُّمَّة :

مِنَ آلِ أبى مُوسَى تَرَى القَوْمَ حَوْلَهُ
كأنَّهُـمُ الكِرْوَانُ أبصَرْنَ بازِيا[2]

والعامّة لا تشكُّ أنَّ الكَرَوان ابنُ الحُبارَى ؛ لقول الشاعر :

ألم تَرَ أنَّ الزُّبْدَ بالتَّمرِ طَيِّبٌ   وأنّ الحُبارَى خالَةُ الكَرَوَانِ[3]

وقال غيره : الظَّـرِبان يكونُ على خِلقة هذا الكلب الصِّينِيِّ ، وهو منتِنٌ جدًّا ، يدخل فى جُحر الضبِّ[4] فيفسو عليه ، فينتِن عليه بيته ، حتى يُذلق الضبَّ من بَيته[5] ، فيصيده .

والضِّـباب الدلالى[6] أيضاً ، التى يدخُل عليها السَّيلُ فيخرجها . وأنشد :

يا ظَرِبَاناً يتعشّى ضَبًّا   رَأى العُقاب فَوْقهُ فخَبًّا
كأنَّ خُصْيَيه إذا أكبًّا   فَرُّوجتان تطابان حَبًّا
* أوْ ثَعْلبَانِ يَحْفِزان ضبًّا[7] *

---

(١) فى الأصل : « ثم حفر عليه » ، محرفة .

(٢) فى الديوان ٥٦٤ : « ويروى : كأنهم الخربان . والخربان ذكور الحبارى ، الواحد خرب » . وانظر أمالى الزجاجى ٥٨ بتحقيقنا .

(٣) ط : « خاله » هـ : « ناله » صوابهما ، فى س ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) .

(٤) كلمة : « فى » ليست فى هـ .

(٥) فى الأصل : « يزلق » بالزاى المعجمة ، والأولى أن يقال : « يذلق » بالذال المعجمة . انظر شرح الحيوان (٦ : ١٢٩ - ١٣٠) .

(٦) كذا وردت هذه الكلمة فى ط ، هـ . وفى س : « الدلاف » .

(٧) حفزه : دفعه من خلفه . والحفز أيضا : الحث والسوق . ط ، هـ : « يحضران » س : « يخفران » ، والوجه ما أثبت .

وأنشد الفرزدق[١] :

أبوك سليمٌ قَدْ عَرَفْنا مكانهُ   وأنتَ بجيرىٌ قصـير قوائمُـهْ[٢]   ١٢٤

ومَن يجعل الظِّـرْبَى القصارَ ظُهورُها

كمَنْ رفَعَتْهُ فى السماء دعائمُـه[٣]

(سلاح بعض الحيوان)

قال : والظَّـرِبان يعلم أَنَّ سِلاحه فى فسائه ، ليس شىءٌ عندَه سواه .

والحبارى تعلم أنَّ سِلاحها فى سَلْحها ليس لها شىءٌ سواه . قال :

ولهـا فى جوفها خِزانةٌ لهـا فيها أبداً رَجْعٌ مُعَدٌّ[٤] فإذا احتاجتْ إليه وأمكنَها الاستعمال استعملَتْه ، وهى تعلم أنَّ ذلك وقايةٌ لها ، وتعرف مع ذلك شدَّةَ لَزَجه ، وخُبث نَتْنِه ، وتعلم أنها تساور بذلك الزُّرَّق[٥] ، وأنها تُثقله فلا يصيد .

ويعلم الدِّيك أنَّ سلاحه فى صيصيته[٦] ، ويعلم أنَّ له سلاحا ، ويعلم أنَّه تلك الشوكة ، ويدرى لأىِّ مكانٍ يعتلج ، وأىَّ موضعٍ يطعن به .

---

(١) يهجو خالد بن صفوان . وأمه أروى بنت سليم مولى زياد . انظر الديوان ٨١٤ .

(٢) فى الديوان : « وأنت لحيرى » . وقبل البيت :

وما خالد إلا كن كان قبله   من الهتم حباق غليظ لهازمه

(٣) الظربى ، بكسر الظاء والقصر : جمع ظربان . ولم يجىء من الجموع على هذا الوزن إلا هذا الحرف وقولهم فى جمع الحجل حجلى . وللمتنبى قصة فى هذين الجمعين انظر الدميرى (الظربان) . ط : « الظرب » ﻫ : « الظربان » س : « الظربا » ، والصواب ما أثبت . وفى الديوان : « فى البناء دعائمه » .

(٤) الرجع والرجيع : النجو والروث . س ، ﻫ : « رفع » ، تحريف .

(٥) الزرق ، بضم الزاى وتشديد الراء المفتوحة : طائر بين البازى والباشق يصاد به . وفى الأصل : « الورق » ، تحريف .

(٦) الصيصية : الشوكة التى فى رجل الديك . يقال صيصية وصيصة بحذف الياء الثانية . انظر شرح الحيوان (٣ : ١٢٦) . وفى س ، ط : « صنصنة » ﻫ : « صيصة » ، صوابهما ما أثبت . وانظر (٥ : ٤٤٧) .

والقنافذ تَعلم أنّ فروتها جُنّة[1] وأنّ شوك جلدها وقايةٌ . فما كان منها مثل الدُّلدل ذوات المدارى[2] فإنها ترمى فلا تُخْطِئُ ، حتى يمرَّ مُرُورَ السهم المسدَّد . وإن كانت من صِغارها قبضَتْ على الأفعى وهى واثقةٌ بأنّه ليس فى طاقة الأفعى لها من المكروه شيء . ومتى قبضتْ على رأس الأفعى فالخطب فيها يسير . وإن قبضَتْ على الذنَبِ أدخلَتْ رأسها فقرضَتها وأكلتها أكلا ، وأمكنَتْها من جسمها ، تصنع ما شاءت ؛ ثقةً منها بأنّه لا يصل إليها بوجهٍ من الوجوه .

والأجناس التى تأكل الحيَّاتِ : القنافذُ ، والخنازير ، والعِقْبانُ ، والسّنانيرُ ، والشاهمُرْك[3] . على أن النّسور والشاهمرك لايتعرَّضان للكبار.

ويعلم الزُّنبور أن سلاحه فى شَعْرته فقط ، كما تعلم العقربُ أن سلاحها فى إبرتها فقط . وتعلم الذِّبان[4] والبعوضُ والقَملة ، أن سلاحها فى خراطيمها . وتعلم جوارحُ الطَّير أن سِلاحها فى مخالبها . ويعلم الذِّئبُ والكلبُ أنّ سلاحهما فى أشداقهما فقط . ويعلم الخنزير والأفعَى أنّ سلاحهما فى أنيابهما فقط .

ويعلم الثّور أنّ سِلاحه قرنُه ، لا سلاحَ له غيره . فإن لم يجد الثّورُ

(١) الجنة ، بالضم : الوقاية . س ، ه : « يعلم » .

(٢) المدارى : جمع مدرى ، أراد بها الشوك الطويل . والمدرى : شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط .

(٣) الشاهمرك ، ويقال الشاهمرج كما ورد فى المخصص (٨ : ١٥٣) : كل طائر طويل الساقين . انظر ما سبق فى (٣ : ٣٣٦) .

(٤) ه : « الزبان » تحريف . وفى ط : « الذباب » .

والكبشُ والتّيس قُروناً ، وكانت جُمًّا[1] ، استعملتْ باضطرار مواضع القُرون .

والبرذون يستعمل فمه وحافرَ رجله .

ويعلم التِّمْساح أنّ أحدَّ أسلحته وأعْونَها[2] ذَنبُه . ولذلك لايعرِض إلّا لمن وجَدَه على الشّريعة ؛ فإنّه يضربه ويجمعُه إليه حتى يُلقيَه فى الماء .

وذَنَب الضبّ أنفع من براثنه .

(لُجوء بعض الحيوان إلى الخبث)

وإنما تفزع هذه الأجناس إلى الُخبث ، وإلى مافى طبعها من شدّة الُحضْر[3] إذا عَدِمت السِّلاح ؛ فعند ذلك تستعمل الحيلَة : مثلَ القُنفذِ فى إمكان عَدوِّه من فرْوته ، ومثلَ الظّبى واستعمال الحضْر فى المستوِى ، ومثل الأرنب واستعماله الُحضْر فى الصَّعْداء[4] .

وإذا كان ممن لايرجع إلى سلاحه ولا إلى خبثه كان إمّا أن يكون أشدَّ حُضْرًا ساعة الهرَبِ من غيره ، وإمّا أن يكون ممّن لايمكنه الُحضْر ويقطَعُه الجبْن ، فلا يبرح حتّى يؤخذَ . ١٢٥

(ما يقطعه الجبن من الحيوان)

وإنما تتقرَّب الشّاة بالمتابعة والانقياد للسَّبع ، تظنُّ أن ذلك ممّا ينفعها ؛ فإن الأسد إذا أخذ الشّاة [و[5]] لم تتابعه ، ولم تعِنْه على نفسها ،

---

(١) الجم : جمع أجم وجماء ، وهو الذى لا قرن له .

(٢) ط : هـ : « وأعونه » ، صوابه فى س .

(٣) الحضر ، بالضم : الارتفاع فى العدو . س : « الحصر » ، تحريف .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٣٥٦ .

(٥) ليست فى الأصل .

فربما اضطُرّ الأسد إلى أن يجرَّها إلى عرينه . وإذا أخذها الذّئب عدَتْ معه حتّى لا يكونُ عليه فيها مَؤُونة[١] ، وهو إنما يريد أن ينحِّيَها[٢] عن الراعى والـكلب ، وإن لم يكن فى ذلك الوقت هناك كلبٌ ولا راع ، فيرى أن يجرى على عادته . وكذلك الدَّجاج إذا كُنَّ وُقَّعا على أغصان الشَّجر[٣] ، أو على الرُّفوف ، فلو مرَّ تحتها كلُّ كلبٍ ، و [كلُّ[٤]] سنَّور ، وكلُّ ثَعلب ، وكلُّ شيءٍ يطالبها ، فإذا مرَّ ابن آوى بقُربها لم يبق منها واحدةٌ إلَّا رمت[٥] بنفْسها إليه . لأنّ الذِّئبَ هو المقصودُ به إلى طباع الشَّاة . وكذلك شأنُ ابن آوى والدَّجاج ، يخيَّلُ إليها أن ذلك مما ينفعُ عنده . وللجُبن تفعل كلّ هذا .

ولمثل هذه العلَّة نزل المنهزِم عن فرسه الجوادِ ؛ ليُحْضر ببدنه ، يظنُّ اجتهادَه أنْجَى[٦] له ، وأنّه إذا كان على ظهر الفرَس أقلُّ كَدًّا ، وأنَّ ذلك أقرب [له[٧]] إلى الهلاك .

ولمثل[٨] هذه العلَّة يتشبَّثُ الغريق بمن أراد إنقاذه حتَّى يُغرقَه ويُغرِقَ نفسَه ، وهما قبلَ ذلك قد سمعا بحال الغريق[٩] والمنهزم ، وأنهما إنما هما

(١) هـ : « منها مؤنة » .
(٢) ينحيها : يبعدها . وفى الأصل : « يحميها » ، وليس بالذئب حماية .
(٣) س : « الشجرة » .
(٤) هذه من س .
(٥) س : « يُبق » ، رسمت كذلك لتقرأ بالتاء وبالياء . وفيها أيضا : « إلاورمت » .
وانظر ما مضى فى (٢ : ٥٤) .
(٦) فى الأصل : « أنجاله » .
(٧) هذه من س .
(٨) س : « وبمثل » .
(٩) الـكلام بعد لفظ : « الغريق » الأول إلى هنا ساقط من س .

فى ذلك كالرجل المعافَى[1] الذى يتعجَّب ممن يشرب الدَّواء من يد أعلم النَّاس به ، فإن أصابتْه شقيقة[2] ، أو لسعة عقرب ، أو اشتكى خاصِرته ، أو أصابه حُصْر أو أُسْر [3] شرب الدَّواءَ من يد أجهل الخليقة ، أو جَمع بين دواءين متضادَّين .

فالأشياء التى تعلم أنَّ سِلاحها فى أذنابها ومآخرها[4] الزُّنبور والثَّعلب ، والعقرب والحُبارى ، والظَّرِبان . وسيقع هذا البابُ فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وليس شىءٌ من صنف الحيوان[5] أردأ[6] حيلةً عند معايَنة العدُوِّ من الغنم ؛ لأنها فى الأصل موصولةٌ بكفايات النَّاس ، فأسندت إليهم فى كل أمْرٍ يصيبها ، ولولا ذلك لخرَّجت لها الحاجةُ ضروباً من الأبواب التى تعينها . فإذا لم يكن لها سلاحٌ ولا حيلة ، ولم تَكن[7] ممن يستطيع الانسياب إلى جُحرٍ أو صدع صخرة[8] ، أو فى ذرْوة جبل[9] ، كانت مثلَ الدَّجاجة ، فإنَّ أكثر ماعندها من الحيلة إذا كانت على الأرض أن ترتفع إلى رَفٍّ . وربما كانت فى الأرض ، فإذا دنا المغرب[10] فزعت إلى ذلك .

---

(١) رسمت فى الأصل : « المعافا » .
(٢) الشقيقة : صداع يأخذ فى نصف الرأس والوجه .
(٣) الحصر : احتباس الغائط . والأسر : احتباس البول . كلاهما مضموم الأول .
(٤) س : « ومواخرها » .
(٥) ه : « من الحيوان » .
(٦) أراد : تسهيل أردأ . ورسمت فى الأصل : « أردى » .
(٧) ط ، ه : « لم يكن » ، تحريف .
(٨) الصدع : الشق . ط فقط : « وصدع صخرة » .
(٩) فى الأصل : « وكافت » .
(١٠) س : « المغر » .

(ماله ضروب من السلاح)

وربما كان عند الجنس من الآلات ضروبٌ[1] ، كنحو زبرة الأسد ولبدته[2] ، فإنَّه حَولٌ للسِّلاح إلَّا فى مراقٍّ بطنه[3] فإنّه من هناك ضعيفٌ جدًّا. وقال التغلبى[4] :

١٢٦

تَرى النَّاسُ مِنَّا جلدَ أسْودَ سالخٍ
وزُبْرَةَ ضِرْغامٍ من الأُسْدِ ضَيغَمِ[5]

وله مع ذلك بَعدُ الوثبةُ واللُّزوقُ بالأرض . وله الحبس باليد[6] ، وله الطَّعن بالمخلب ، حتى ربما حبَسَ العَيرَ بيمينه[7] وطعن بمِخْلب يساره لبَّته[8] وقد ألقاه على مؤخره ، فيتلقّى دَمَه شاحيا فاه[8] وكأنه ينصبُّ من فوَّارَة ، حتى إذا شربه واستفرغَه صار إلى شَقِّ بطنه .

وله العضُّ بأنيابٍ صلاب حِداد ، وفكٌّ شديد ، ومنخر واسع . وله مع البُرثُن والشكِّ بأظفاره[10] دقُّ الأعناق ، وحطم الأصلاب . وله أنه أسرعَ حُضْرًا من كلِّ شيء أعْمَلَ الحُضْرَ فى الهرب منه . وله من الصَّبر

---

(١) س : « ضروب من الآلات » .
(٢) الزبرة ، بالضم : ما بين كتفى الأسد من الوبر ، وهى اللبدة أيضا .
(٣) مراق البطن : مارق منها فى أسفلها .
(٤) هو جابر بن حنى التغلبى . والبيت آخر قصيدة له فى المفضلية رقم ٤٢ طبع المعارف .
(٥) رواية المفضليات : « يرى الناس » و : « وفروة ضرغام » . يريد أن الناس يهابونهم هيبتهم الأفعى والأسد .
(٦) ط ، هـ : « الجس باليد » ، صوابه من س .
(٧) هـ فقط : « جس » محرفة . وفى ط ، هـ : « البعير » بدل « العير » .
(٨) اللبة ، بالفتح : وسط الصدر والمنحر .
(٩) شحافاه : فتحه . س : « شاحبا » ، تحريف .
(١٠) ط ، س : « والشدة بأظفاره » .

على الجوع ومن قلّة الحاجة إلى الماء ما ليس مع غيره ، وربما سار فى طلب الملح[١] ثمانين فرسخاً فى يوم وليلة[٢] . ولو لم يكن له سلاحٌ إلّا زئيره ، وتوقُّد عينيه ، وما فى صدور النّاس له لَكفاه .

وربما كان كالبعير الذى يعلم أنَّ سِلاحه فى نابيه وفى كِركِرته[٣] .

والإنسان يستعملُ فى القتال كفّيه فى ضروبٍ ، ومرفقيه ورِجليه ومنكبيه وفمه ورأسَه وصدرَه ، كلُّ ذلك له سلاحٌ ويعلم مكانه ، يستوى فى ذلك العاقلُ والمجنونُ ، كما يستويان فى الهداية فى الطّعام والشراب إلى الفم .

(سلاح المرأة)

والمرأة إذا ضعُفت عن كل شيءٍ فزعت إلى الصُّراخ والولولة ؛ التماساً للرَّحمة ، واستجلاباً للغياث من حُماتِها وكفاتها ، أو من أهل الحسبة[٤] فى أمرها

باب

قال : ويقال[٥] لولد السَّبع الهِجرِس[٦] والجمع هجارس ، ولولد الضبع

---

(١) ط ، هـ : « الماء » تحريف . وانظر لشهوة الأسد الملح ما سبق فى (٣ : ٢٦٠ / ٥ : ٢٠٦) ، ولقلة رغبته فى الماء ما مضى فى (٢ : ٥٦ / ٣ : ٣١٨) .

(٢) س : « فى يوم أو ليلة » .

(٣) الكركرة ، بكسر الكافين : رحى زور البعير أو الناقة .

(٤) هـ : « الخشية » .

(٥) س : « وقد يقال » .

(٦) الهجرس ، بكسر الهاء والراء . والذى فى المعاجم أنه القرد ، أو الثعلب ، أو ولده ، أو الدب . وقيل الهجْرس جميع ما تعسس من السباع مادون الثعلب وفوق اليربوع .

الفرعُل والجمع فراعل[1] . قال ابن حبناء[2] :

سلاحين منها بالرّكوب وغيرها إذا مارآها فُرعُل الضَّبعِ كَفَّرا[3]

قال : والدَّيسم ولد الذِّئب من الكلبة .

وسألت عن ذلك أبا الفتح صاحبَ قطرب[4] فأنكر ذلك وزعم أنَّ الدَّيسمة الذَّرة . واسم أبى الفتح هذا ديْسم[5] .

ويقال إنَّه دويْبَّة غيرُ ما قالوا .

ويقال لولد اليربوع والفأر دِرص ، و [الجمع[6]] أَدْرَاصٌ . ويقال لولد الأرنب خِرنِق ، والجمع خرانق[7] ، قال طرفة :

إذا جَلَسوا خَيَّلتَ تحت ثيابهم خَرانقَ تُوفِى بالضَّغيبِ لها نَذْرا[8]

أشعارٌ فيها أخلاط من السباع والوحش والحشرات

قال مسعود بن كبير الجرمى ، من طيء[9] ، يقولها فى حمارٍ اشتراه فوجدَه ١٢٧ على خلاف ما وصفه به النخَّاس[10] :

---

(١) الفرعل ، بضم الفاء وسكون الراء وضم العين المهملة . ط ، س : « الفوغل والجمع فواغل » ، صوابه فى هـ .

(٢) سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٦) .

(٣) لم أجد مرجعا لهذا البيت . ط ، س : « فوغل » ، صوابه فى هـ .

(٤) سبقت ترجمة قطرب فى (٢ : ٣٥٢) .

(٥) هو ديسم العنزى . وقد مضى هجاء بشار له فى (١ : ١٨٣) قال أبو الفرج فى (٣ : ٢٧) : « كان بشار كثير الولوع بديسم العنزى ، وكان صديقا له وهو مع ذلك يكثر هجاءه » .

(٦) ليست فى الأصل . وفى س : « ويقال اولاد اليربوع والفأر درص » فقط .

(٧) « والجمع خرانق » ليس فى س .

(٨) خيلت ، بالبناء للفاعل ، بمعنى ظننت . يعنى أن خصاهم عظيمة وأنها تصوت . ومن أبيات هذه القصيدة قبل هذا البيت (الديوان ١٤) :

فما ذنبنا فى أن أداءت خصاكم وأن كنتم فى قومكم معشرا أدرا

(٩) جرم ، بنو حرمز بن لبيد بن سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل بن عمرو ابن الغوث بن طيىء . انظر نهاية الأرب (٢ : ٣٠٠) .

(١٠) هـ : « وضعه » تحريف . س : « وسفه النخاس » .

إنَّ أبا الخرشن شيءٌ[1] هِنْبُ[2] ... معجَبٌ ما يحتويه العُجْبُ[3]

قد قلتُ لما أنْ أجدَّ الرَّكبُ[4] ... واعـتر القوم صحار رحب[5]

يا أجْنح الأُذنِ ألا تخبّ[6] ... أهانك الله فبئسَ النَّجْبَ

ما كان لى إذ أشتريك قلبُ ... بَلى ولـكنْ ضاع ثَمَّ اللُّبُّ

إن الذى باعلك خَبٌّ ضَبٌّ ... أخبرَنى أنَّك عَيْرٌ نَدْبُ[7]

وشرُّ ما قال الرِّجالُ الْـكذبُ ... صَبَّ عليهِ ضَبُعٌ وذِئبُ[8]

سِرْحانَةٌ وجَيْألٌ قِرْشَبٌّ[9] ... ذِيخٌ عَدتْهُ رَمْلةٌ وهضبٌّ[10]

---

(١) ط ، هـ : « شيخ » بدل : « شيء » التى أثبت من س .

(٢) فى اللسان : « ابن الأعرابى : المهنب الفائق الحمق . قال : وبه سمى الرجل هنبا » فى الأصل : « هلب » باللام ، ولا وجه له .

(٣) معجب : يحمل على العجب . ما يحتويه العجب : أى هو عجب جدا حتى ما يستطيع العجب أن يحتويه . والعجب ، بالضم ، هو العجب . فى الأصل : « محبب » والوجه ما أثبت .

(٤) ط ، هـ : « قد كنت » ، صوابه فى س .

(٥) كذا ورد البيت فى ط ، هـ . وفى س : « واعتر للقوم » .

(٦) أجنح ، إن صحت كانت من الجنوح وهو الميل . هـ : « جنح » . والخبب : ضرب من السير السريع . س : « ألا تحب » تحريف .

(٧) العير ، بالفتح : السيد والملك . والندب ، بالفتح : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب .

(٨) فى اللسان : « صب ذؤالة على غنم فلان إذا عاث فيها » . وذؤالة : الذئب . وفيه أيضا : « وصبت الحية عليه إذا ارتفعت فانصبت عليه من فوق » . فى الأصل : « ودب » تحريف . وهذا يذكرنا بدعاء ذاك الأعرابى على غنمه إذ يقول :

تفرقت غنمى يوما فقلت لها ... يارب سلط عليها الذئب والضبعا

دعا عليها بأن يقتل الذئب أحياءها ، وتأكل الضبع موتاها . انظر اللسان (١٠ : ٨٦) .

(٩) السرحانة : أنثى السرحان ، بالكسر ، وهو الذئب . وجيأل وجيألة : الضبع ، معرفة بغير ألف ولام . وفى ط ، س : « حسل » وفى هـ : « رحيبل » تحريف . وجيأل ترد فى الرسم القديم هكذا « جيئل » فلذا تيسر تصحيفها . والقرشب : الأكول ، والرغيب البطن ، والمسن .

(١٠) الذيخ : بالكسر : ذكر الضباع الكثير الشعر . عدته ، بالعين المهملة : صرفته عنها ، أى أنه جاوز الرمال والهضاب ليعيث فى البلاد .

كأنَّه تحت الظَّلام سَقْبُ(١) يأخذ منه مَن رآه الرُّعْبُ
أبو جِراءٍ مَسَّهنَّ السَّغْبُ(٢) حَتَّى يقال حيث أفضى السحبُ(٣)
وأنت نَفَّاقٌ هُناك ضَبُّ(٤) وصبَّحَ الراعى مُجرًّا وَغبُ(٥)
ورخمات بَيْنَهُنَّ كَعبُ(٦) وأكرُعُ العَيْرِ وفَرْثٌ رطْبُ(٧)

يقول : أدنونى إلى شرائه ، ويقال ثُرية لقيلك(٨) لغة طائيَّة(٨)

وقال قِرْواش بن حَوْط(٩) :

نبئتُ أن عقالاً بنَ خويلدٍ بِنعافِ ذى عدَمٍ وأنَّ الأعلما(١٠)

---

(١) السقب ، بالفتح : ولد الناقة .

(٢) الجراء : جمع جرو ، وهن صغاره . وفى الأصل : « أبو جراد » تحريف . والسغب ، بالفتح : الجوع ، كالسغب بالتحريك والسغابة والسغوبة والمسغبة والسغبة . وفى ط : « السقب » ، صوابه فى س ، ه .

(٣) كذا فى ط . وفى س ، ه : « أقصى » بالقاف .

(٤) يقال نفق اليربوع ونحوه تنفيقا ونافق : أى دخل فى نافقائه . ط ، س : « نفاق » صوابه فى ه .

(٥) مجرا : تسهيل مجرأ ، وهو الجرئ . ط : « مجرى » تحريف . الوغب : اللئيم الوغد ، عنى به الذئب . ط ، س : « غب » ، ه : « عب » وجههما ما أثبت .

(٦) الرخم مما يقع على الجيف . والكعب ، هو كما فى اللسان : « العظم لكل ذى أربع » . وفى الأصل : « كلب » ، وليس له وجه .

(٧) العير ، بالفتح : الحمار . والفرث بفتح الفاء : ما فى الكرش من المرجين . ط فقط : « قرث » تحريف .

(٨) كذا فى ط . وفى ه : « ربه » وفى س : « ربه » بالإهمال . وكلها محرف .

(٩) قرواش ، بالكسر ، ابن حوط ، بالفتح ، ابن أنس بن صرمة بن زيد بن عمرو ابن عامر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة ، شاعر جاهلى . والأبيات التالية يخاطب بها رجلين توعداه ، كما فى معجم المرزبانى ٣٣٩ . وقد رواها أبو تمام فى الحماسة (٢ : ١٩٤) .

(١٠) النعاف : جمع نعف ، وهو أنف الجبل . وذو عدم : موضع بنواحى المدينة ، وفى الأصل : « ذى عدم » ، صوابه فى معجم البلدان والحماسة ١٤٥٩ بشرح المرزوقى وصدر البيت محرف فى الأصل هكذا : « نبئت أنك يا عقال حويله » ، وعجزه فى ط : « بشقاف دنى » س : « سعاورى »

صَبُعًا مجاهَرةٍ وليثًا هُدنةٍ وثعَيلِبًا خَمَرٍ إذا ما أظْلَمَا[1]

لاتسأمانى من دَسِيسِ عَداوةٍ أبداً فلستُ بسائمٍ إنْ تسأمَا[2]

غُضّا الوَعيدَ فما أكونُ لموعِدِى فيئاً ولا أكلاً له متخَضَّمَا[3]

فَمَتى ألاقِكما البرازَ تُلاقِيا عَرِكًا يفلُّ الحدَّ شاكا مُعْلِمَا[4]

(الوحَـــر)

قال : وقال العَدَبّس الكنانىّ[5] : والوَحَرة دويْبَّة كالعَظاءة[6] حمراء[7] إذا اجتَمَعَتْ تَلصق بالأرض، وجمع وحَرَة وحَرٌ ، مفتوحة الحاء ، ومنه قيل وَحَرُ الصَّدرِ ، كما قيل للحِقد ضَبٌّ ؛ ذهبوا إلى لزوقه بالصَّدر كالتزاق الوَحَرة بالأرض، وأنشدَ[8] :

= بهذا التحريف والإهمال . ه : « بثقاف ذى عدم » ، وفى الجميع : « ولى لا أعلما » والصواب من الحماسة ومعجم المرزبانى .

(١) أى هما عند المجاهرة كالضبع فى الجبن ، وعند الهدنة ، أى الصلح ، كالأسد . والخمر : ما واراك من شجر ونحوه . أظلما : دخلا فى الظلام . ط ، ه : « صيفى محامدة وليثى هدنة تقتلنى حمرا » س « صنى محامدا ولمسى عذبه دفملى حمرا » بهذا الإهمال . والصواب من الحماسة ومعجم المرزبانى وعيون الأخبار (١ : ١٦٦)

(٢) الدسيس : الإخفاء . وفى الأصل : « رسيس » ، محرفة .

(٣) غضا وعيدكما : أى كفا عنه وازجرا . والفىء : الغنيمة . ورواية الحماسة والمعجم : « قنصا » ، والقنص : الصيد . والأكل ، بضمتين : الأكل . والمتخضم : الذى يؤكل بسهولة .

(٤) البراز ، أى متبارزين . والعرك : الشديد العلاج والبطش فى الحرب. والشاك : الشائك السلاح ، وهو ذو الشوكة والحد فى سلاحه .

(٥) سبقت ترجمته فى (٤ : ٣٣٥) . ط ، ه : « العديس » محرف . وفى والأصل : « الكلابى » .

(٦) فى الأصل : « كالعظاة » تحريف .

(٧) فى الأصل : « خضراء » ، تحريف . وانظر لحمرة الوحرما مضى فى ص ٣٧١ .

(٨) ط ، ه : « وأنشدوا » . والبيتان رويا فى المخصص (١٦ : ١٣٢) ، وثانيهما فى اللسان (٩ : ١٥٦) .

بئسَ عَمْرَ اللهِ ، قوم طُرِقوا فقَرَوْا أضيافهُمْ لَحْماً وَحِرِ[١]
وسَقَوْهم فى إناءٍ مقــرفٍ لبَناً من دَرِّ مِخراطٍ فَئِرْ[٢]

يقال لحم وَحِر : إذا دبّت عليه الوَحرة . مقرف : مُوبِئ[٣] . ويقال
١٢٨ فئر : إذا وقعتْ فيه فارةٌ . وقال الحَكَمىّ[٤] :

بأرضٍ باعَـــدَ الرَّحْمَـ نُ عَنْهَا الطَّلْحَ والعُشَرَا
ولم يَجْعلْ مَصَايِدَهَا يَرَابِيعاً ولا وَحَــرا

(الهَيْشَـــة)

وأما قوله :

٢٩ « وَهَيْشةٌ تأكلها سُرْفَةٌ وَسِمْعُ ذِئْبٍ هَمُّـهُ الحُضُرُ »

فالهيشة أم حبين[٥] . وأنشد :

أشكو إليكَ زَماناً قدْ تعرَّقَنَا كما تعرَّق رَأسَ الهَيْشَةِ الذِّيبُ[٦]

وَأمُّ حُبَيْنٍ وأمُّ حُبَيْنَة سواءٌ ، وقد ذكرنا شأنها[٧] فى صدر هذا الكتاب

---

(١) ط : « طوقوا » تحريف . وطرقوا : طرقهم الضيف ليلا . وفى الأصل : « لحم وحر » ، صوابه فى المخصص .

(٢) هذه أيضا هى رواية اللسان . وفى المخصص : « كلع » وهو المتشقق الوسخ . والمخراط : الناقة يخرج لبنها متعقدا كقطع الأوتار ومعه ماء أصفر . وفى الأصل : « من ذى مخيراط » ، صوابه فى المخصص واللسان .

(٣) فى الأصل : « مبول » ، ولا وجه له . وفى اللسان : « أقرف الجرب الصحاح : أعداها . والقرف : مقارفة الوباء » .

(٤) هو أبو نواس الحسن بن هانئ .

(٥) هـ : « أم حنين » ، تحريف . وفى ط ، هـ بعد هذه الكلمة : « وحبينة سواء وقد ذكرنا شأنهما » ، والصواب إثبات هذه العبارة بعد البيت التالى كما ورد فى س .

(٦) التعرق : برى اللحم عن العظم . س ، هـ : « تعرفنا كما تعرف » ، صوابهما بالقاف كما فى ط . وفى الأصل : « رأس الحية » ، والصواب من اللسان (٨ : ٢٦١) كما يقتضيه الاستشهاد :

(٧) س ، هـ : « شأنهما » .

ويقال إنَّها لاتقيم بمكانٍ تكونُ فيه هذه الدُّودة التى يقال لها السُّرْفة ، وإليها ينتهى المَثل فى الصَّنْعة ، ويقال : « أصْنَعُ من سُرْفة[١] » . ويقال إنها تقوم منْ أمِّ حُبَين[٢] مَقامَ القراد من البعير ، إذا كانتْ أمُّ حُبَيْنٍ[٣] فى الأرض التى تكون فيها هذه الدُّودة .

(ذكر من يأكل أمَّ حُبين والقَرَنْبَى والجرذان)

قال : وقال مَدَنِىٌّ لأعرابى : أتأكلون الضَّبَّ ؟ قال : نعم . قال : فاليربوع ؟ قال : نعم . قال : فالوَحَرة ؟ قال : نعم . حتَّى عدَّ أجناساً كثيرةً من هذه الحشَرات . قال أفتأكلون أمَّ حُبَيْنٍ ؟ قال : لا . قال : « فلْتَهْنِ أمَّ حُبَينٍ العَافيةُ[٤] » .

قال ابنُ أبى كريمة[٥] : سألَ عمرُو بنُ كريمةَ أعرابيًّا — وأنا عنده — فقال : أتأكلونَ القرَنْبَى ؟ قال : طال والله ما سال ماؤُه على شِدقى !

وزعم أبو زيدٍ النحوىُّ سعيدُ بنُ أَوْس الأنصارىُّ ، قال : دخلتُ على رُؤبة وإذا قُدَّامَه كانونٌ ، وهو يَمُلُّ على جَمْـرِهِ جُرذاً من جُرذان البيت ، يُخرج الواحدَ بعد الواحد فيأكله ، ويقول : هذا أطْيَبُ من اليربوع ! يأكل التَّمْر والجُبْن ، ويحسو الزَّيْت والسَّمْن[٦] .

---

(١) ط : « ويقال إنها أصنع من سرفة » وكلمة « إنها » مقحمة .

(٢) ط : « مع أم حبين » صوابه ، فى س و هـ .

(٣) هـ : « حنين » فى هذا الموضع وسابقه ، تحريف .

(٤) سبقت هذه القصة فى ص ١٤٣ . هـ : « حنين » فى الموضعين ، تحريف .

(٥) هـ : « ابن أبى كدية » .

(٦) سبقت هذه القصة فى (٤ : ٤٤ / ٥ : ٢٠٣) .

وأنشد :

تَرَى التَّيْمِىَّ يزحفُ كالقرنْبى إلى تَيْمِيَّة كعَصَا القَدُوم[1]

وقال آخر[2] :

يدِبُّ عَلَى أحشائها كُلَّ لَيْلَةٍ دَبيبَ القَرَنْبى باتَ يَعْلونقاً سهلا[3]

(اليربوع)

قال : واليربوع دابَّة كالجُرذ ، منْكبٌّ على صدره ؛ لقِصرِ يديه طويلَ الرِّجلين ، له ذنبٌ كذنب الجرذ يرفعه فى الصَّعْداء[4] إذا هَرْوَلَ وإذا رأيتَه كذلك رأيتَ فيه اضطرابا وعجباً . والأعراب تأكله فى الجَهْد و [فى[5]] الخِصب .

(أخبث الحيوان)

١٢٩ قال : وكلُّ دابّةٍ حشاها الله تعالى خُبْثاً فهو قصيرُ اليدين ، فإذا خافت شيئاً لاذت بالصَّعداء[6] فلا يكاد يلحقُها شىء .

---

(١) يروى هذا البيت برواية : « كعصا المليل » منسوبا إلى جرير فى ديوانه ٤٣٨ وعيون الأخبار (٤ : ٤٢) واللسان (٢ : ١٦٥) وفى (١٤ : ١٥٢) بدون نسبة . وانظر المخصص (١٦ : ٧) .

(٢) هو الأخطل يصف جارية وبعلها . انظر الدميرى فى رسم (القرنبى) . وقبله :

ألا يا عباد الله قلبى متيم بأحسن من صلى وأقبحهم بعلا

ينام إذا نامت على عكناتها ويلثم فاها كالسلافة أو أحلى

انظر الدميرى والكامل ٢٧٢ .

(٣) فى الكامل : « يقرونقا » اى يقصده . وهذا البيت وإنشاده ساقط من س .

(٤) أرض ذات صعداء : يشتد صعودها على الراق . وفى الأصل : « يرفعه الصعداء » .

(٥) هذه من س .

(٦) س : « فإذا خاف شيئا لاذ بالصعداء » .

(أكل المسيب بن شريك لليربوع)

قال : وأخبرنى ابنُ أبى نُجَيح[١] وكان حجَّ مع المسيَّب بن شريك[٢] عامَ حجّ المهدىُّ فى [صُحْبة[٣]] سَلسَبيل ، قال : زاملْت المسيِّب فى حَجَّته تِلك ، فبينا نحنُ نَسير[٤] إذ نظرنا إلى يربوع يتخلل فرَاسِن الإبل[٥] ، فصاحَ بغلمانه : دونَكم اليَربوع ! فأحضَرُوا فى إثره فأخذُوه ، فلمَّا حططْنا قال : اذبَحوه . ثمَّ قال : اسلخُوه واشوُوه وائتونى به فى غَدَائى . قال : فأُتى به فى آخر الغَداء ، على رغيف قد رَعَّبوه فهو أشــدُّ حمرة من الزَّهوة[٦] — يريد البُسْرة — فعطَف عليه فثنى الرَّغيف[٧] ثم غمزه بين راحتيه[٨] ثم فَرَج الرغيف[٩] ، فإذا هو قد أخذَ من دَسمه ، فوضَعه بين يديه ، ثمَّ تناول

(١) هو عبد الله بن أبى نجيح ، واسم أبى نجيح يسار . قال ابن حجر : « ثقة رمى بالقدر وربما دلس . مات سنة إحدى وثلاثين — يعنى ومائة — أو بعدها » انظر تهذيب التهذيب والتقريب .

(٢) هو المسيب بن شريك أبو سعيد التميمى الكوفى ، وهو ممن أخذ عن الأعمش . انظر لسان الميزان .

(٣) بمثل هذه الكلمة تلتئم العبارة . وسلسبيل هذه هى أم ولد لأخى المهدى ، جعفر ابن أبى جعفر المنصور . انظر المعارف ١٦٥ .

(٤) س : « يسير » .

(٥) الفراسن : جمع فرسن ، بكسر الفاء والسين ، وهو من البعير بمنزلة الحافر من الدابة . وفى الأصل : « فراسخ » ، تحريف .

(٦) الترعيب : التقطيع . والزهوة ، بالفتح : واحدة الزهو ، وهو البسر إذا ظهرت فيه الحمرة . س : « الزهرة » ، تحريف .

(٧) ﻫ : « يثنى الرغيف » .

(٨) ط : « غمره » ، تحريف .

(٩) فرجه : فتحه وباعد بين شقيه . ط ، ﻫ : « قرع » ، صوابه فى س .

اليربوعَ فنزع فخذا منه ، فتناولها ثم قال : كل يا أبا محمد ! فقلت : مالى به حاجة ! فضحك ثم جعلَ يأتى عليه عُضواً عضواً .

(أم حبين)

قال : وأمّا أمُّ حُبينٍ فهى الهَيشة[1] ، وهى أم الحبين[2] ، وهى دويْبَّةٌ[3] تأكلُها الأعراب مثل الحرباء ، إلاّ أنّها أصغر منها . وهى كدْرَاءُ لِسوادٍ[4] بيضاءُ البطن . وهو خلافُ قول الأعرابىِّ للمدنى :

(وَصاَة أعرابى لسهل بن هارون)

وقال أعرابىٌّ لسهل بن هارون ، فى توارِى سهلٍ من غُرمائه وطلبهم له طلباً شديداً ، فأوصاه الأعرابىُّ بالحزْم وتدبير اليَربوع ، فقال :

انزل أبا عمرو على حَـــدِّ قريةٍ تَزِيغ إلى سَهْلٍ كثير السَّلائقِ[6]
وخُذْ نَفَقَ اليربوع واسْلُكْ سبيلَه ودَعْ عنك إنّى ناطقٌ وابنُ ناطق
وكنْ كأبى قُطْنٍ على كلِّ زَائغ له منزلٌ فى ضيق العَرْض شاهقِ[7]

(١) فى الأصل : « الهدسة » ، تحريف . وانظر ما مضى فى ص ٣٨٤ .
(٢) هـ : « حنين » ، تحريف .
(٣) س : « دابة » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .
(٤) أى تميل إلى السواد . وفى س : « السواد وبيضاء البطن » ، تحريف .
(٥) انظر ما مضى فى ص ٣٨٥ .
(٦) تزيغ : تميل ، يقال زاغ يزيغ زيغا وزيغانا . والكلمة محرفة فى الأصل ، فى ط : « تريغ » س ، هـ : « تريع » ، وفى عيون الأخبار (١ : ٢٠٥) : « تربع » والصواب ما أثبت . والسلائق : أثر الأقدام والحوافر فى الطريق . وإنما أوصاه بذلك ليضيع أثر قدمه فى هذه الآثار فلا يهتدى إليه .
(٧) فى عيون الأخبار : « كأبى قطب » بالباء . وسبق فى (٢ : ٢٦٧) : « أبو قصبة » . ويقال زاغ عن الطريق : عدل عنه . وفى الأصل والعيون : « رائغ » ، ولا وجه له . ط ، هـ : « ضيق الأرض » ، وأثبت ما فى س . ورواية ابن قتيبة : « له باب دار ضيق العرض سامق » .

وإنما قال ذلك لاحتيال اليربوع بأبوابه التى يخرج من بعضها ، إذا ارتاب بالبعض الآخر . وكذا كانت دار أبى قطنة الخناق[١] بالكوفة فى كندة ، [و[٢]] يزعمون أنّه كان مولًى لهم . وأنشد أبو عُبيدة قال : أنشدنى سفيان بن عيينة[٣] :

إذ ما سَرَّكَ العَيشُ فلا تمرُرْ على كِنْدَهْ[٤]

وقد قُتل أبو قُطْنة وصُلِب .

(الخناقون)

وممّن كان يخنُق النّاس بالمدينة عَديّةَ المدنيّةُ الصَّفراءُ ، وبالبصرة رادويْه[٥] . والمرميُّون بالخنق من القبائل وأصحاب النِّحَل والتأويلات ، هم الذين ذكَرَهم أعشى هَمْدان فى قوله :

إذا سِرْتَ فى عِجْلٍ فسِرْ فى صَحابةٍ وكِنْدَةَ فاحذَرْهَا حِذَارَكَ للخَسْفِ

وفى شيعة الأعمى خِناقٌ وغِيلة وقَشْبٌ وإعمال لجندلة القذفِ[٦]

وكلُّهُمُ شَرٌّ ، على أنَّ رأسهم حميدةُ والميلاءُ حاضِنة الكِسْفِ[٧] ١٣٠

(١) ط ، هـ : « الخفاف » ، وإنما هو « الخناق » كما فى س . وانظر ما سبق فى (٢ : ٢٦٦ — ٢٧١) .

(٢) هذه من س ، هـ .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٨٠) .

(٤) فى (٢ : ٢٦٧) وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٧) : « فلا تأخذ على كنده » قال ابن قتيبة : « يريد أن الخناقين من المنصورية أكثرهم بالكوفة من كندة » .

(٥) هـ : « وادوية » ، تحريف .

(٦) سبق الكلام على البيت فى (٢ : ١٦٦) . وفى الأصل : « وأعمال لجندلة القذف » ، صوابه ما أثبت .

(٧) هـ : « والبلاء خاصة الكف » ، تحريف .

متى كُنْتَ فى حَيَّىْ بَجيلةَ فاستمعْ فإنَّ لها قصفاً يدلُّ على حَتْفِ [١]
إذا اعتزموا يوماً على قَتْلِ زائر تداعَوْا عَلَيــه بالنُّباح وبالعَزْفِ

وذلك أن الخناقين لا يسيرون إلاّ معاً ، ولا يقيمون فى الأمصار إلاّ كذلك . فإذا عزَم أهلُ دارٍ على خنْق إنسانٍ كانت العلامةُ بينهم الضرب على دُفٍّ أوْ طبلٍ ، على ما يكون فى دُور الناس . وعندهم كلابٌ مرتَبَطة ، فإذا تجاوَبُوا بالعزْف ليختفى الصَّوت [٢] ضربوا تلك الـكِلاب فنبحَتْ . وربّما كان منهم معــلِّم يؤدِّب فى الدّرب ، فإذا سمع تلك الأصوات أمَرَ الصِّبيانَ برفع الهجاء والقِراءة والحساب .

وأما الأعمى فهو المغيرة بن سعيدٍ [٣] صاحبُ المغيرية ، مولى بجيلة ، والخارج على خالد بن عبد الله القَسرى . ومن أجل خُروجه عليه قال : « أطعمونى ماء » ، حتى نَعَى عليه ذلك يحيى بنُ نوفل ، فقال :

تقولُ من النَّوَاكَة أطعمُونى شَراباً ثُمَّ بُلتَ على السَّريرِ [٤]
لأعــلاجٍ ثمــانيةٍ وشَيخ كَليلِ الحدِّ ذى بصر ضَرير [٥]

وأمَّا حميدة ، فكانت من أصحاب لَيلى الناعظية [٦] ، ولهــا رياسة

---

(١) فى (٢ : ٢٦٦) : « فإن لهم قصفا » .

(٢) س : « ليخفى الصواب » .

(٣) هو المغيرة بن سعيد العجلى . وفى الملل (٢ : ١٣) أنه كان مولى لخالد بن عبد الله القسرى . وانظر لتفصيل مذهبه الملل ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف والفرق بين الفرق ٢٢٩ — ٢٣٣ . وفى الأصل : « المغيرة بن شعبة » ، تحريف .

(٤) انظر ما سبق فى (٢ : ٢٦٧ — ٢٦٨ / ٤ : ٣٢٢ — ٣٢٣) . وفى البيان (٢ : ٢٦٦) : « تقول لما أصابك » . والنواكة : الحمق .

(٥) الرواية فى جميع الأرقام السابقة وكذا فى البيان (٣ : ٢٠٥) والموشح ٢٣٥ : « وشيخ * كبير السن » .

(٦) انظر ما سبق فى حواشى (٥ : ٥٩٠) . س : « الناعطية » ، تحريف .

فى الغالية[1] . والمَيْلاء حاضنة أبى منصور صاحب المَنْصوريَّة ، وهو الكِسْف ، قالت الغاليَة : إيَّاه عَنَى [الله[2]] : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾ . وإيَّاه عنى مَعْدَانُ الأعمى حيثُ يقول :

إنَّ ذا الكِسْفِ صَدَّ آل كُمَيل ... وكميلٌ رَذْلٌ من الأرْذَالِ[3]

تَرَكا بالعِــراق دَاءً دويًّا ... ضَلَّ فيــه تلطُّف المحتالِ

(تفســـير بيت)

وأمَّا قوله :

انزل أبا عمرو على حَــدٍّ قريةٍ ... تَزيغ إلى سَهْلٍ كثيرِ السَّلائقِ[4]

فأراد الهرب ؛ لأنه متى كان فى ظهرٍ فظٍّ[5] كثيرِ الجوَادِّ والطرائق[6] كان أمكرَ وأخفَى . وما أحسن ما قال النابغةُ فى صفة الطَّريق إذا كان يتشعَّبُ ، حيث يقول :

وناجيــةٍ عدَّيتُ فى ظهر لاحبٍ ... كَسَحْلِ اليمانى ، قاصداً للمناهِلِ[7]

(١) أى الغلاة . س : « العالية » ، تحريف .

(٢) التكملة مما سبق فى (٢ : ٢٦٨) .

(٣) س : « زول من الأزوال » . وانظر ما سبق فى (٢ : ٢٦٩) .

(٤) فى الأصل : « تريغ » . وانظر ما سبق فى ص ٣٨٨ .

(٥) الظهر ، بالفتح : ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٦) الجواد : جمع جادة ، وهى الخطة المستقيمة الملحوبة فى الطريق . والطرائق : جمع طريقة ، وهى الخطوط . س : « الطرق » ، محرف .

(٧) الناجية : الناقة السريعة . واللاحب : الطريق الواضح . والسحل ، بالفتح ، الثوب الأبيض من الكرسف من ثياب اليمن . وقال المسيب بن علس :

فى الآل يخفضها ويرفعها ... ريع يلوح كأنه سحل

وصدر البيت فى الأصل : « وماحية أو عزبر فى ظهيرة كثل اليمانى » ، وصوابه فى الديوان ٦٣ مجموع خمسة دواوين . وفى الديوان أيضا : « قاصد للمناهل » فتكون صفة للطريق ، وهى ها هنا حال . انظر البيتين ١٥ ، ١٦ من المفضلية ١١٩ طبع المعارف .

له خلجٌ تَهْوِى فُرادى وترعوِى … إلى كلِّ ذى نِيرَيْنِ بادِى الشَّواكلِ[١]

وهذا موضعُ اليربوع فى تدبيره ومَكره .

(أرجوزة فى اليربوع وأكل الحشرات والحيات)

١٣١ وقال الآخر[٢] فى صفة اليربوع ، وفى حيلته ، وفى خَلْقه ، وفى أكل الحشَرات والحيات[٣] :

يارُبَّ يَربوع قَصيرِ الظَّهرِ … وشاخِصِ العَجْبِ ذليلِ الصَّدْرِ

ومُحكمِ البيتِ جَمِيع الأمْرِ[٤] … يَرْعَى أُصولَ سَلم وسِدْرِ

حتى تراهُ كمِداد العكرِ[٥] … باكرتُه قبلَ طُلوع الفَجْرِ

بكلِّ فيَّاض اليَدين غَمْرِ … وكلِّ قَنَّاصٍ قليلِ الوَفْرِ

مُرْتفع النَّجم كريم النَّجْرِ[٦] … فعاذ مِنِّى ببعيد القَعْرِ[٧]

مختلفِ البَطْنِ عجيبِ الظَّهرِ … وتَدْمُرِىٌّ قاصعٌ فى جُحرِ[٨]

---

(١) ذو النيرين ، يعنى به الطريق . وأصل النير العلم فى الثوب . قال :

على ظهر ذى نيرين أما جنابه … فوعث وأما ظهره فوعس

والشواكل : الخواصر . وقد أراد به جوانبه وأطرافه التى هى منه بمنزلة الخواصر من الناس . انظر البيت ٣٣ من المفضلية ٤٠ طبع المعارف . وفى الأصل : « له حجل يهوى فرادى ويرعوى » . وفى ط ، هـ : « ذى تبريق » س : « ذى بيرين » ، وأثبت صوابه من الديوان .

(٢) س : « قال آخر » .

(٣) فى الأصل : « والنبات » ، والوجه ما أثبت كما يقتضيه الرجز .

(٤) جميع الأمر : أى أمره مجتمع لم يتفرق عليه .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) النجر ، بالفتح : الأصل .

(٧) عاذ به : التجأ . ط ، هـ « فعاد منى » ، صوابه فى س .

(٨) التدمرى ، بفتح التاء وضمها وضم الميم : هو الماعز من اليرابيع ، وفيه قصر وصغر ولا أظفار فى ساقيه ، وضأن اليرابيع هو الشفارى ، بالضم . قصع اليربوع فى جحره : لزمه .

فى العُسر إنْ كان وبعدَ العُسْرِ أطيبُ عِندِى من جَنِيِّ التَّمرِ [1]
وشَحْمَةُ الأرضِ طعامُ الُمثرِى وكلِّ جبارٍ بعيد الذِّكْرِ
وهَيْشَة أرفعها لفطْرِى [2] ليوم حَفْل وليوم فَخْرِ
وكلُّ شىءٍ فى الظلام يَسْرِى من عقْرَبٍ ، أو قُنفذ ، أو وَبْرِ
أو حيَّةٍ أمُلُّها فى الجَمْرِ [3] فتلك هَمِّى وإليها أجرِى
فى كلِّ حالٍ من غنًى وفَقْرِ وكلُّ شىءٍ لقَضاءٍ يجرى
وكلُّ طيرٍ جاثم فى وَكْرِ وَكلُّ يَعسوبٍ وكلُّ دَبْرِ
والذِّيخُ والسِّمْعُ وذِئبُ القَفْرِ والكلبُ والتَّتْفل بعد الهِرِّ [4]
والضّبُّ والحوتُ وطيرُ البَحْرِ والأعورُ النَّاطقُ يومَ الزّجْرِ [5]
آكُلُهُ غيرَ الحرابى الُخضْرِ [6] أو جُعَل صَلَّى ، صلاةَ العَصْرِ
يشكر إن نالَ قِرًى من جَعْرِ [7] ياويلَه من شاكرٍ ذى كُفْرِ

* أفسدَ واللهِ علىّ شُكرِى *

فزعم أنَّه يستطيبُ كلَّ شىءٍ إلاّ الحِرباء الذى قد اخضرَّ من حرِّ الشّمس.

---

(١) الجنى : المجتنى ما دام طريا ؛ فعيل بمعنى مفعول . ه : «خبى» ، تحريف .
(٢) الهيشة ، سبق الكلام عليها فى ص ٣٨٤ . وفى الأصل : «هدسة» تحريف .
(٣) مل الشىء يمله : أدخله فى الملة بالفتح ، وهى الرماد الحار والجمر . ه : «وحية» .
(٤) التتفل : الثعلب . وانظر ما مضى فى ص ٢٨٥ . ه ، س : «التنفل» ؛ محرف .
(٥) الأعور : الغراب ، سمى بذلك للتشاؤم به ، والأعور عندهم مشؤوم . أو سمى بذلك لحدة بصره كما يقال للأعمى أبو بصير ، وللحبشى أبو البيضاء . وانظر ما مضى فى (٣ : ٤٣٩) .
(٦) انظر لخضرة الحرباء ما سبق فى ص ٣٦٣ س ١٠ .
(٧) الجعل مولع باقتيات النجو والعذرة . والقرى ، بالكسر : طعام الضيف . ه : «فرا» ط ، س : «قرا» ، والصواب ما أثبت .

وإلاّ الجُعَل الذى يصلِّى العصر . وزَعَمَ أنّه إنما جَعَل ذلك شكراً على ما أُطعِم من العَذِرة ، وأنَّ ذلك الشُّكر هو اللُّؤم والكُفر .

ولا أعرِفُ معنى صلاة الجعَل . وقد روى ابنُ الأعرابى عن زاهر قال : « يا بُنَىّ لا تصلِّ فإنما يصلِّى الجُعَل ، ولا تَصُمْ فإنما يصوم الحِمار » . وما فهمتُه بعد[1] .

وأراه قد قدّم الهَيْشَة[2] ، وهى أمُّ حبين ، وهذا خلافُ ما رووا عن الأعرابى والمدنى[3] .

(اليرابيع)

وأمَّا قوله :

١٣٣ * وَتَدْمُرِىٌّ قاصعٌ فى جُحْرِ *

فقد قال الشاعر[4] :

وإنِّى لأَصطادُ اليَرابيعَ كُلَّها ... شُفَارِيَّها والتَّدْمُرِىَّ المقَصَّعَا[5]

(١) أرى أن قوله : « يصلى الجعل » هنا من قولهم صلى الفرس إذا أتى مصليا ورأسه على صلا السابق . والجعل يصلى أى يتبع كلَّ من ذهب لقضاء حاجته يأتى خلفه كما يأتى المصلى من الخيل خلف السابق . وانظر (١ : ٢٣٥ - ٢٣٧ / ٣ : ٥٠٣) . وقوله : « يصوم الحمار » أى يقف . وصيام الخيل والحمير : وقوفها على أربعها . قال ربيعة بن مقروم (المفضليات ١٨٢) فى صفة حمر :

وبالماء قيس أبو عامر ... يؤملها ساعة أن تصوما

أبو عامر : اسم القانص . يؤملها أن تقف ساعة ليرميها . فقد وضح المبهم إن شاء الله .

(٢) فى الأصل : « الهدسة » ، تحريف . وانظر ما سبق ص ٣٨٤ .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٣٨٥ . والقصة هناك تدل على أن أم حبين آخر ما يؤكل من الحشرات . س . « ابن الأعرابى والمدنى » وكلمة « ابن » مقحمة .

(٤) ط ، هـ : « فقال الشاعر » . والبيت روى فى اللسان (دمر ، شفر) والمخصص (١ : ٨٦ / ٨ : ٩١) .

(٥) المقصع : الذى سد باب جحره ، أو الذى دخل فى قاصعائه .

واليرابيع ضربان : الشُّفَارِىُّ والتَّدمُرِى ، مثل الفَتِىِّ والمذَكِّى[١] .

وقال جريرٌ حينَ شبَّــه أشياءَ من المرأة بأشياءَ من الحشَرات وغيرها وذكر فيها الجُعَل فقال :

تَرَى التَّيمىَّ يَزْحَفُ كالقرنَبى ... إلى تيميَّةٍ كعَصَا المَليلِ[٢]

تشينُ الزَّعفرانَ عَروسُ تَيْمٍ ... وتَمْشِى مِشْيَةَ الجُعَلِ الدَّحُولِ[٣]

يَقولُ المجتَلون عروسَ تَيمٍ ... شَوَى أمِّ الحُبَيْن ورأسُ فيل[٤]

(شعر فيه ذكر اليربوع)

وقال عُبيد بن أيُّوبَ العنبرى ، فى ذكر اليربوع :

حَمَلْتُ عليها ما لو أنَّ حمامةً ... تُحَمَّلُه طارتْ به فى الخفاخفِ[٥]

---

(١) الفتى : الشاب . والمذكى : المسن من كل شىء . وقد سبق فى ص ١١٧ : « ولو كانت سن الحسل على حال واحدة أبداً لم تعرف الأعراب الفتى من المذكى » . وفى الأصل : « القوى والمذكى » ، والصواب ما أثبت .

(٢) سبق إنشاد نظير هذا البيت فى ص ٣٨٦ . والقصيدة فى ديوان جرير (٤٣٦ ـــ ٤٣٩) . والأبيات الثلاثة فى عيون الأخبار (٤ : ٤٢) . والمليل : مايمل فى الرماد الحار أوفىالنار من خبزأو لحم. والبيت فى اللسان(٢ : ١٦٥ / ١٤ : ١٥٢) والمخصص (١٦ : ٧) . ورواية ابن سيده : « إلى سوداء مثل عصا المليل » .

(٣) الدحول : هو من قولهم : ناقة دحول تعارض الإبل متنحية عنها . وفى الديوان : « الزحول » ؛ زحلت الناقة تأخرت فى سيرها . ط : « يشف الزعفران » س ، ه : « يشق الزعفران » ، صوابهما ما أثبت من الديوان وعيون الأخبار .

(٤) اجتلى العروس : نظر إليها . س : « المحتاون » تحريف . والشوى : الأطراف . ط : « سوى » س : « سواء » ه : « سوا » تحريف . وفى ط ، ه : « أم الحنين » صوابه فى س .

(٥) أى حمل نفسه وأنطاعه ونسوعه على الناقة . وفى الشعراء ١٨٣ : « وهو القائل فى نحول جسمه » وأنشد البيتين الأولين . والخفاخف : جمع خفخفة وهى الصوت ، وأصله فى الحيوان للحبارى والضبع والخنزير . ط : « للحفاحف » س ، ه : « فى الحفاحف » صوابه فى الشعراء .

نطوعا وأنساعاً وأشــلاءَ مُدْنَفٍ

بَرى جِسمَه طولُ السُّرَى فى المخاوفِ [1]

فرُحْنَا كما راحَتْ قَطاةٌ تَنوَّرَتْ لأزْغَبَ مُلْقًى بين غُبْرٍ صَفاصِفِ [2]

ترى الطّير واليربوعَ يبحثْن وطأَهَا وينقرنَ وطْءَ المنسِمِ المتقاذِفِ [3]

وقال ابنُ الأعرابىّ ، وهو الذى أنشدَنيه [4] : « ترى الطير واليربوع » يعنى أنهما يبحثانِ فى أثر خُفِّها [5] ملجأ يلجآن إليه ، إمَّا لشدَّة الحر ، وإما لغير ذلك . وأنشد أصحابُنا عن بعض الأعراب وشعرائهم [6] أنَّه قال فى أمِّه :

فمــا أمُّ الرُّدينِ وإن أدَلَّتْ بعالمةٍ بأخْــلاقِ الــكرامِ [7]

---

(١) النطوع : جمع نطع ، وهو بساط من الأديم . والأنساع : جمع نسع : وهو سير ينسج عريضا تشد به الرحال . والأشلاء : الأعضاء . وقد عنى بالمدنف نفسه ؛ والمدنف ، بفتح النون وكسرها : الذى براه المرض حتى أشرف على الموت . ط : « نرى رسمه » ه : « يرى جسمه » ، صوابهما فى س . والمخاوف : مواضع الخوف . س ، ه : « المخارف » تحريف . ورواية الشعراء : « أضربه طول السرى فى المخارف » .

(٢) التنور : التبصر والنظر من بعيد . وأصل التنور فى النار ، وقد جعله هاهنا للماء ، فهى تبحث عن ماء لفرخها . والأزغب : ذو الزغب ، وهو الريش القصير . ط ، ه : « لأرغب » ، صوابه فى س . والغبر : جمع أغبر وغبراء . والصفاصف : الأماليس المستوية ، جمع صفصف . وفى الأصل : « بين عير » ، تحريف .

(٣) وطأها : أى مواضع وطء هذه الناقة . والمنسم ، كمجلس : خف البعير .

(٤) ه : « أنشد فيه » .

(٥) ط فى الأصل : « يحسبان فى أثر حفهما » ، لكن فى ط : « آثر » ، وصواب العبارة ما أثبت .

(٦) هذه الكلمة ليست فى ه .

(٧) أدلت : انبسطت ، أو وثقت بمحبته فأفرطت عليه . ط ، ه : « أجلت » س : « أحلت » ، صوابه مما سبق فى (٥ : ٢٧٧) واللسان (١٢ : ٢٣٧) .

إذَا الشّيطانَ قصَّعَ فى قَفَاهَا تَنَفَّقْنَاه بالحَبْلِ التُّؤَامِ[١]

يقول : إذا دخل الشَّيطان فى قاصعاءِ قفاها تنفقناه ، أى أخرجْناه من النافقاء ، بالحبل المثنى[٢] . وقد مَثَّل و [قد[٣]] أحسن فى نعت الشِّعر وإن لم يكن أحْسَنَ فى العُقوق . وأنشد فى قَوس[٤] :

لا كزَّة السَّهم ولا قلوعُ[٥] يدرُج تحت عَجْسها اليربوعُ[٦]

القَلوع من القِسِى : التى[٧] إذا نُزِع فيها انقلبت على كفِّ النازع .

وأما قوله :

تخالُ به السِّمعَ الأزلَّ كأنّه إذا ما عـدا[٨] (البيت)

(قيام الذئب بشأن جراء الضبع)

ويقولون : إن الضبع إذا هلكتْ قام بشأنِ جرائها الذِّئب[٩] .

وقال الكُميت :

---

(١) سبق شرح البيت فى (٥ : ٢٧٧) . س : « بالحيل » تحريف .
(٢) س : « بالحيل المثنى » ، تحريف . والمثنى : المجمول من اثنين .
(٣) هذه من س .
(٤) أى فى صفة قوس . ط ، ﻫ : « وأنشدنى قوس » ، والصواب ما أثبت من س . وفى اللسان (١٠ : ١٦٦) : « وأنشد ابن الأعرابى » وروى الرجز .
(٥) فى اللسان (٧ : ٢٦٧) : « وقوس كزة : لا يتباعد سهمها من ضيقها . أنشد ابن الأعرابى : لا كزة السهم ولا قلوع » . وانظر شبيه هذا البيت فى المخصص (٦ : ٤١)] .
(٦) عجس القوس ، مثلثة : مقبضها الذى يقبضه الرامى منها . وفى الأصل : « عجبها » صوابه فى اللسان .
(٧) فى الأصل : « الذى » . والقوس مؤنثة .
(٨) كذا ورد هذا البيت مقحما محرفا فى كلام ناقص ، وفى س : : « كأنما » بدل : كأنه » و « الخ » بدل : « البيت » وفى ﻫ : « الحذروف » بدل : « البيت » . ومهما يكن فإن حفظى فى البيت : « إذا ما علا نشزا حصان مجلل » .
(٩) س : « أجرائها » . والأجراء والجراء : جمع جرو .

١٣٣ كما خامَرَتْ فى حِضْنها أمُّ عامر

لِذى الحَبْلِ حتَّى عالَ أوسٌ عِيالَها[1]

وأنشد أبو عُبيدةَ فى ذلك شعراً فسَّر به المعنى ، وهو قوله :

والذِّئبُ يغذُو بناتِ الذِّيخ نافلةً

بلْ يَحْسَبُ الذِّئْبُ أنَّ النَّجْلَ للذِّيبِ

يقول : لكثرة ما بين الذئاب والضِّباع من التّسافُد يظن الذِّئبُ أنّ أولادَ الضبع أولادُه .

(أكل الأعراب للسباع والحشرات)

والأمرُ فى الأعراب عجَبٌ[2] فى أكل السِّباع والحشَرات : فمنهم من يظهر استطابتها ، ومنهم من يفخَر بأكلها ، كالذى يقول :

يا أم عمرو مَنْ يَكُنْ عُقْرُ داره جِوَارَ عَدِىٍّ يأكل الحَشَراتِ[3]

(ما تحبه الأفاعى وما تبغضه)

وأمّا قوله :

٤٠ « لا تَرِدُ الماءَ أفاعِى النّقا لٰكِنّها يُعْجِبُها الخمْرُ[4]

---

(١) خامرت : استترت . وذو الحبل : الصائد . وفى الأصل : « لدى النخل » ، صوابه من (١ : ١٩٨) والمحاسن والمساوى (٢ : ٢٢٧) . وفى اللسان (أوس) . وعيون الأخبار (٢ : ٧٩) : « لدى الحبل » . والحبل : حبل الرمل . وفى ثمار القلوب ٣١٣ : « لدى الختل » .

(٢) ط ، س : « عجيب » .

(٣) كذا بالجزم فى س ، هـ . وفى ط : « أيام أم عمرو » . وفى الأصل : « جراء عدى » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٤) س ، هـ : « لا يرد الماء » .

٤١ وفى ذَرَى الحَرْمَلِ ظِلٌّ لها إذا عــلا واحْتدَم الهَجْــرُ »

فإنّ من العجَب(١) أنّ الأفعى لا ترِدُ المــاءَ ولا تريدُه ، وهى مَعَ هذا إذا وجدت الخَمر شربَت حتّى تَسكر ، حتَّى ربَّما كان ذلك سبب حتفها(٢) .

والأفاعى تـكره ريح السَّذَاب والشِّيح ، وتستريحُ إلى نبات الحَرمَل . وأمَّا أنا فإنِّى ألقيْتُ على رأسها وأنفها من السّذابِ ما غَمرها فلم أر على ما قالوا دليلاً .

(أكل بعض الحيوان لبعض)

وأمَّا قوله :

٤٢ « وبعضها طُعْمٌ لبعضٍ كما أعْطَى سِهــام الميْسِرِ القَمْرُ »

فإنّ الجرذ يخرُج يلتمسُ الطُّعم ، فهو يحتالُ لطُعمه ، وهو يأكل ما دونَه فى القُوَّة ، كنحو صغارِ الدّوابِّ والطّير ، وبيضِها وفراخِها(٣) ، ومِما لا يسكن فى جُحْر ، أو تـكونُ أفاحيصُه على وجْه الأرض ، فهو يحتال لذلك ، ويحتال(٤) لمنْع نفسه من الحيّات ومن سِباع الطَّير .

والحيّة تُريغ الجرَذ لتأكله(٥) ، وتحتال أيضاً للامتناع من الورَل والقنفذ ، وهما عليه أقْوى منه عليهما . والورَل إنما يحتال للحية ، ويحتال للثَّعلب ، والثعلب يحتال لما دُونه .

قال : وتخرج البعوضة لطلب الطُّعمِ ، والبعوضة تعرف بطبعها أنّ الذى

(١) فى الأصل : « قال : ومن العجب » ، والوجه ما أثبت .
(٢) انظر لسكر الحيات ما سبق فى (٢ : ٢٢٩) .
(٣) س : « وبيضهما وفراخهما » ، تحريف .
(٤) ط فقط : « ويحتاج » .
(٥) تريغه : تطلبه وتريده .

بعيشها الدم ، ومتى أبصرتِ الفيلَ والجاموسَ وما دونهما ، علمت أنّما خُلِقت جلودهما لها غذاءً ، فتسقطُ عليهما وتطعُنُ بخرطومها ؛ ثقةً منها بنفوذ سلاحها ، وبهجومها على الدّم . وتخرجُ الذُّبابة ولها ضروبٌ من المطعَم ، والبعوضُ من أكبرها صيدها وأحبٌّ غذائها إليها . ولولا الذِّبان[1]

١٣٤ لكان ضررُ البعوض نهاراً أكثر . وتخرج الوزَغَةُ والعنكبوتُ الذى يقال له[2] اللَّيث فيصيدان الذُّباب بألطف حِيلة ، وأجودِ تدبير ، ثم تذهب تلك أيضاً كشأن غيرهما[3] . كأنه يقول : هذا مذهب[4] فى أكل الطيِّبات بعضها لبعض . وليس لجميعها بُدٌّ من الطُّعم ، ولا بدّ للصائد أنْ يَصطاد ، وكلُّ ضعيفٍ فهو يأكُلُ أضعَفَ منه ، وكلُّ قوىٍّ فلا بدَّ أن يأكلَه مَن هو أقوى منه ، والنّاسُ بعضُهم على بعض[5] شبيه بذلك ، وإن قصروا عن دَرْك المِقدار ؛ فَجَعل الله عزّ وجلَّ بعضها حياةً لبعض ، وبعضها موتا لبعض .

(شعر للمنهال فى ذلك)

وقال المنهال[6] :

وَوثبــةٍ من خُــزَزٍ أعفرٍ وخِرنِقٍ يلعَبُ فَوْقَ التُّرابْ[7]

---

(١) ط ، س : « الذباب » .

(٢) انظر ما سبق فى (٣ : ٣٧) .

(٣) فى الأصل : « بشأن غيرها » .

(٤) فى الأصل : « هذا ذهب » .

(٥) ط ، ه : « عن بعض » .

(٦) فى معجم المرزبانى ٤٤٧ : « المنهال الشيبانى الخارجى البصرى يقول :

إنى لأروع فى الهيجاء مختلف كالليث يسكنه الطرفاء والأسل

(٧) الأعفر : الأبيض وليس بالشديد البياض . وفى الأصل : « أعصر » ، ولا وجه له .

وَعَضْرَفُوطٍ قـد تقوّى على مُحْلَوْلِكِ البقة مثـل الحباب[١]
وظالم يَعْـدُو على ظالمٍ قد ضَجَّ منه حَشَرَاتُ الشِّعاب

وهذان الظَّالمان اللذان عَنى : الأسودُ ، والأفعَى ؛ فإنَّ الأسودَ إذا جاعَ ابتلعَ الأفعى .

(أكل الأسود للأفعى)

وشكا[٢] إلىّ حَوّاءٌ مرةً فقـال : أفقرَنى هذا الأسود ، ومنَعنى الـكَسْبَ ؛ وذلك أنّ امرأتى جهلت[٣] فرمَتْ به فى جُونةٍ فيها أفاعِى[٤] ثلاثٌ أو أربعٌ ، فابتلعهُنَّ كلّهن . وأرانى حَيَّةً مُنْـكَرَةً . لايبعد ما قال[٥] .

والعرب تقول للمسىء : « أظْلَمُ من حيَّة » . وقد ذكرنا [ذلك[٦]] فى موضعه من هذا الـكتاب[٧] .

ولا يستطيع أنْ يروم ذلك من الأفعى إلاّ بأن يغتالها ، فيقبضَ على رأسها وقَفاها ؛ فإنّ الأفعى تنفذُ فى الأسْود ، لـكثرة دمه .

(وصف سم الحية)

وإذا وصفوا سمّ الحيّة[٨] بالشدَّة والإجهاز خبَّروا عنها أنّه لم يَبقَ فى بدنها دمٌ ولا بِلّة[٩] ، ولذلك قال الشاعر :

---

(١) البقة ، كذا وردت فى الأصل .
(٢) س : « شكى » . وفى القاموس : « شكيت لغة فى شكوت » .
(٣) س : « جهلته » .
(٤) كذا وردت بإثبات الياء . وهو مذهب جائز فى العربية .
(٥) هـ : « لا تبعد ما قال » .
(٦) التـكملة من س ، هـ .
(٧) انظر ما سبق فى (٤ : ١٤٩ ، ٢٠٠) .
(٨) فى الأصل : « اسم الحية » ، تحريف .
(٩) البلة ، بالـكسر : البلل . ط : « فلة » س ، هـ : « قلة » ، وقد أثبت ما يقتضيه الشعر .

لو حُزَّ ما أخرجَتْ منه يَدٌ بَللاً ولو تَـكَنَّفَهُ الراقون ما سَمِعَا[1]

وقال آخر :

لُسيمةٌ من حَنشٍ أعْمَى أصمّْ قد عاش حَتَّى هو مايمشى بِدَمْ[2]

(سلاح الحيوان)

والشأن فى السِّلاح [أنّه[3]] كلما كان أقلَّ كان أبلغَ ، وكلما كان أكثرَ عَدَداً[4] وأشــدَّ ضرراً كان أشجع وآخَذَ[5] لـكلِّ من عَرَف أنه دونَه . وأنشد أبو عبيدة[6] :

مَشْيَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجَاءَ مُفْظِعَةٍ له سلاحانِ أنيابٌ وأظفارُ[7]

كالأسد له فم الذِّئب — وحسبك بفم الذِّئب — وله فضلُ قوة المخالب . وللنَّسر مِنْسرٌ وقُوَّة بدَن يكون بهما فوقَ العقاب . ولذلك قال ابن مُناذر[8] :

---

(١) الحز : قطع الشيء فى غير إبانة . وفى الأصل : « حزت » تحريف . ط ، هـ : « بدلا » س : « مللا » ، ووجههما ما أثبت . تـكنفه الراقون : أحاطوا به . وفى الأصل : « تـكشفه » تحريف . وقد سبق فى (٤ : ١٨٢ — ١٨٣ ، ٢٨١ — ٢٨٢) مقاطيع يحتمل أن يكون هذا البيت من إحداها .

(٢) سبق الـكلام على هذا الرجز فى ص ١٢٩ . وانظر (٤ : ١١٩ ، ٢٨٣) فى الأصل : « حتى ما هوه يمشى » .

(٣) بهذه اللفظة يلتئم الـكلام .

(٤) فى الأصل : « عدوا » تحريف .

(٥) آخذ : أى أشد أخذا . وفى الأصل : « وأجبن » .

(٦) البيت للخنساء من قصيدة لها فى رثاء أخيها صخر ، مطلعها :

قذى بعينك أم بالعين عوار أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

(٧) السبنتى ، مقصور : النمر ، وقيل الأسد . ط : « السلبتى » س : « السبنت » هـ : « السبنتا » . والمفظعة ، بضم الميم وكسر الظاء : الشديدة الشنيعة . وفى الأصل : « مقطعة » تحريف . وفى الأغانى (١٣ : ١٣٢) : « معضلة » . الضمير فى « له » للسبنتى . وفى الأصل : « لها » ، تحريف .

(٨) هو محمد بن مناذر ، مولى بنى صبير بن يربوع . وكان إماما فى علم اللغة وكلام العرب ، وكان فى أول أمره ناسكا ملازما للمسجد كثير النوافل جميل الأمر ، إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى ، فتهتك بعد ستره ، وفتك بعد نسكه . وكان معاصرا للأصمعى وخلف الأحمر وأبى العتاهية وأبى نواس . ومناذر ، بضم الميم . وله أخبار حسان فى الأغانى (١٧ : ٩ — ٣٠) .

أتجعل ليثاً ذا عرين ترَى له   نُيوباً وأظفاراً وعِرساً وأشبُلاَ ١٣٥
كآخرَ ذا نابٍ حديدٍ ومِخْلَبٍ   ولم يتَّخذ عِرْساً ولم يَحْمِ مَعْقِلاَ

وذلك أن فتيين تواجَئَا بالخناجر ، أحدهما صُبَيرىٌّ[1] والآخر كلْبىٌّ ، فَحُمِلا إلى الأمير ، فَضرب الصُّبيرىَّ مائةَ سوط ، فلم يحمَدوا صبره[2] ، وشُغل عن الكلبى فضربه يوم العَرْض خمسمائةِ سوط ، فصبر صبراً حِمدوهُ ، فَفَخرَ الْكَلبىُّ بِذلِك على الصُّبيرى .

وابن مناذر مولى سُليمان بن [عبيد[3] بن] علاّن بن شَمَّاس الصُّبيرى . فقال هذا الشعر . ومعناه أنَّ شُجَاعاً لو لقى الأسَد[4] وهو مسلَّح ، بأرضٍ هوَ بها غريبٌ وليس هو بقرب غيضتِهِ[5] وأشباله ، لما كان معه ، ممَّا يتخذه ، مثلُ الذى يكون معــه فى الحال الأخرى . يقولُ : وإنَّما صَبَرَ صاحبُكم لأنّه إنما ضُربَ بحضرة الأكْفاء والأصدقاء والأعداء ، فكان هذا ممَّا أعانه على الصّبر . وضُربَ صاحبُنا فى الخلاء ، وقد وُكِل إلى مقدار جَودة نَفْسه ، وقطعت المادةُ بحضور البَطالة .

---

(١) نسبة إلى بنى صبير ، بالضم ، من بنى يربوع بن حنظلة .

(٢) هـ : « فلم يجدوا صبره » .

(٣) التكملة من س . وفى الأغانى (١٧ : ٩) : « قال الجاحظ : كان محمد بن مناذر مولى سليمان القهرمان ، وكان سليمان مولى عبيد الله بن أبى بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكرة عبدا لثقيف . ثم ادعى عبيد الله بن أبى بكرة أنه ثقفى ، وادعى سليمان القهرمان أنه تميمى ، وادعى ابن مناذر أنه صليبة من بنى صبير بن يربوع . فابن مناذر مولى مولى مولى ، وهو دعى مولى دعى وهذا مالا يجتمع فى غيره فقط ممن عرفنا » .

(٤) فى الأصل : « الأسود » .

(٥) س : « غيضة » ، تحريف .

(حمدان وغلامه)

وسمعتُ حمدانَ أبا العقب ، وهو يقولُ لِغلامٍ له : وكيف لا تستطيل عليَّ وقد ضربُوك بين النَّاسِ خمسِينَ سَوطاً فلم تنطِق ؟ ! فقلت[1] : إذا ضَرَبه السَّجَّانُ مائةَ قنـاةٍ فى مكانٍ ليس فيـه أَحَـدٌ فصبَرَ فهو أصبرُ النَّاسِ .

(تفسير بيت الخنساء)

وأمَّا قوله : « مَشْيَ السَّبَنْتَى » ، [فَإن السَّبَنْتى[2]] هوالنمر ؛ [ثمَّ] صار اسماً لـكلِّ سبع جرىء ، ثم صاروا يسمُّونَ الناقةالقوية سَبَنْتَاة[3] . قال[4] الشَّاعرُ :

* مَشْيَ السَّبنتى وجَدَ السَّبَنْتى[5] *

(رؤساء الحيوان)

وأمَّا قولُهُ :

٤٣ « وَتِمْسَحَ النِّيلِ عُقاب الهوا وَاللَّيْثُ رَأسٌ وله الأسْرُ[6]

٤٤ ثلاَثَةٌ ليْسَ لَهُـمْ غالبٌ إلاَّ بِمَا يَنْتَقِضُ الدَّهْـرُ »

---

(١) فى الأصل : « فقال » .

(٢) هذه التـكلة من س ، ه . وقد رسمت « السبنتى » فى هذا الموضع وسابقه بالألف ، تحريف .

(٣) هذه الـكلمة ليست فى س ، ه ، وفيهما : « ثم صاروا يسمون بها الناقة القوية » . وفى ط : « سبنتى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) التكلة من س ، ه .

(٥) رسمت السبنتى فى الموضعين بالألف فى كل من س ، ه .

(٦) الأسر ، بالفتح ، القوة وشدة الخلق . وفى الأصل : « الأمر » ، صوابه مما سبق فى ص ٢٨٩ .

فإنّهمْ يزعُمونَ أنَّ الهواءَ للعُقاب ، والأرض للأسَد(١) ، والمـاءَ للتِّمساحِ .
وليسَ للنَّـارِ حَظٌّ فى شىءٍ من أجناس الحيوان : فـكَأَنَّهُ سلّم الرياسةَ على
جميع الدُّنيا للعُقاب والأسَدِ والتمساح .

ولم يَمُـدّ الهَوَاءَ ؛ وقصْرُ الممدودِ أحْسَنُ من مدِّ المقصورِ .

(رواية المعتزلة للشعر)

وروَت المعتزلةُ المذكورونَ(٢) كلُّهمْ روايةَ عامَّةِ الأشعارِ ، وكان بِشرٌ
أرواهم للشِّعر خاصَّةً .

(الهوائى والمـائى والأرضى)

وقولهم : الطائرُ هوائىٌّ ، والسمك مائىٌّ ، مجازُ كلام ؛ وكلُّ حيوان
فى الأرض فهو أرضىٌّ قبـل أن يكونَ مائيًّا أو هوائيا ؛ لأنَّ الطَّائرَ
وإنْ طارَ فى الهواء فإنّ(٣) طيرانَهُ فيه كسِباحةِ الإنسانِ فى المـاء ، وإنّمـا
ذلك على التكلفِ والحيلة . ومتى صار فى الأرض ودلّى نفسَه لم يجدْ بُدًّا
من الأرض .

(بقية قصيدة بشر الأولى)

وأمّا بَقِيَّةُ القصيدةِ التى فيها ذكر الرَّافضة والإباضيَّةِ والنَّابتة فليس ١٣٦
هذا موضعَ تفسيرِه .

---

(١) س : « للنسر » ، تحريف .
(٢) هذه الـكلمة ساقطة من س .
(٣) س : « فإنما » .

وسنقولُ فى قصيدته الأخرى ، بمـا أمكنَنا من القول إن شـاء الله تعالى .

انقضت قصيدةُ بشر بن المعتمر الأولى .

(تفسير القصيدة الثانية)

وأمَّا قولُهُ :

« أوابِدُ الوَحْش وأحناشهاَ »

فإن الأوابدَ المقيمة[1] ، والأحناشُ الحيّات ، ثم صارَ[2] بعدُ الضب والوَرَلُ والحِرباء والوحَرة وأشباه ذلك — من الأحناش .

وأما قوله :

« وكلُّهَا شَرٌّ وفى شَرِّها خيرٌ كثيرٌ عند مَنْ يدرِى »

يقولُ : هى وإن كانَتْ مؤذيَةً وفيها قواتل فإن فيها دواءً ، وفيها عبرةً لمن فكّر ، وأذاها محنــة واختبارٌ . فبالاختبار يُطيع النَّاسُ[3] ، وبالطاعة يدخلونَ الجنّةَ .

وَسئِلَ على بن أبى طالب ، كرم الله وجههُ ، غيرَ مرَّةٍ فى عِللٍ نالته فقيل لهُ : كيف أصبحت ؟ فقال: بشرٍّ . ذَهَبَ إلى قوله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ .

وأمَّا قوله :

١٧ « فَشَرُّهمْ أكثرُهُمْ حِيلةً كالذِّئْبِ والثَّعْلَبِ والذَّرِّ »

---

(١) أى المقيمة بالقفر . من قولهم : أبد بالمكان أبودا : أقام به ولم يبرحه .

(٢) فى الأصل : « مما صار » .

(٣) فى الأصل : « يطمع » ، والوجه ما أثبت .

فقد فسرهُ لك فى قوله :

١٨ « واللَّيث قـد بلّدَه عِلْمُهُ   بمـا حوَى من شدَّةِ الأسْرِ[١] »

وهكذا كلُّ من وثِقَ بنفسه ، وقلَّت حاجته .

ويزعم أصحاب القَنص أنَّ العُقاب لا تكادُ تراوغ الصَّيد ولا تعانى[٢] ذلك ، وأنَّها لا تزال تكونُ على المرقَبِ العالى ، فإذا اصطاد بعضُ سِباع الطيرِ شيئاً انقَضَّتْ عليه[٣] فإذا أبصرها ذلك الطائرُ لم يكن همه إلاّ الهربَ وتركَ صيدِه فى يدها ، ولكنها إذا جاعت فلم تجدْ كافياً لم يمتنعْ عليها الذِّئْبُ فما دونَه . وقد قال الشّاعرُ :

مُهَبّلٌ ذئبها يوماً إذا قَلَبَتْ   إليه من مُسْتَكَفٍّ الجَوِّ حِملاقَا[٤]

وقال آخر :

كأنَّها حين فاض الماءُ واحْتُمِلَتْ   صَقْعاءُ لاحَ لها بالقَفرَةِ الذِّيبُ[٥]

صُبَّتْ عليه ولم تنصبٌّ من أَمَم   إنَّ الشَّقاء على الأشقَيْنَ مصبوبُ

وأمَّا قوله :

٢٢ « تَعرِفُ بالأحساسِ أقدارها   فى الأسْرِ والإلحاح والصَّبرِ »   ١٣٧

(١) بلده : جعله يبلد . بلد بالمكان بلودا : أقام ولزمه . ط ، ه : « قد جلده » . وانظر ما يلى من شرح الجاحظ .

(٢) س : « تعانى فى ذلك » .

(٣) ط ، ه : « عليها » .

(٤) مهبل : أى مكتسب مغتنم . والمستكف : موضع الاستكفاف ، وهو الاستيضاح . الجوهرى : استكففت الشىء : استوضحته ، وهو أن تضع يدك على حاجبك كالذى يستظل من الشمس تنظر إلى الشىء هل تراه .

(٥) انظر ما أسلفت من الكلام على نسبة هذا الشعر فى ص ٣٣٩ .

يقول : لا يخفى على كلِّ سبع ضعفُه وتجلدُه وقوته ؛ وكذلك البهيمةَ الوَحْشيَّةُ لا يخفى عليها مقدارُ قوةِ بدنِها وسلاحها ، ولا مقدارُ عَدْوِها في الكرِّ والفر . وعلى أقدار هذه الطّبقات تظهر أعمالها .

وأمّا قوله :

٢٤ « والضَّبُعُ الغَثْراء مع ذِيخها شرٌّ مِنَ اللَّبْوَة والنَّمرِ [١]

٣٢ كما ترَى الذِّئبَ إذا لم يُطِق صَاحَ فَجَاءَت رَسَلاً تجرِى

٣٣ وكُلُّ شيءٍ فعَلَى قَدْرِهِ يُحْجِمُ أو يُقْدِمُ ، أو يَجْرِى »

فإنَّ هذه السِّباعَ القَوِيَّةَ الشَّرِيفَةَ ذواتِ الرِّياسةِ : الأُسْدَ والنُّمُورَ والبُبُورَ — لا تعرِض للنَّاس إلاَّ بعدَ أن تَهرَم فتعجِزَ عن صيد الوَحْش . وإن لم يَكُنْ بها جوعٌ شديدٌ فمرَّ بها إنسانٌ لم تَعْرِضْ له ، وليس الذِّئبُ كذلك ، لأَن [٢] الذِّئْبَ أشدُّ مطالبةً ، فإن خاف العجز عوى عُوَاء استغاثَة [٣] فتسامعت الذِّئاب وأقبلَتْ ، فليس دون أكل ذلك الإنسانِ شيءٌ .

وقسّمَ الأَشياء فقال : إنّما هو نكوصٌ وتأخّر ، وفِرَارٌ ، وإحجام وليس بفرار ولا إقدام [٤] . وكذلك هو .

---

(١) ط ، هـ : « العشراء » س : « العثراء » ، صوابهما في ٢٩٢ .

(٢) هذه من س .

(٣) س : « استغاث » .

(٤) أي أن الإحجام ليس بفرار ولا إقدام .

(العندليل والنسر)

وأمّا قوله :

٣٤ « والكَيْسُ فى المكسبِ شَمْلٌ لَهُمْ   والعندليل الفرخ كالنَّسْرِ[1] »

فالعندليل[2] طائرٌ أصغر من ابن تمرة[3] ، وابنُ تمرة هو الذى[4] يُضرب به المثلُ فى صغَر الجسم . وَالنَّسر أعظمُ سباع الطَّير وأقواها بدناً .

وقال يونسُ النحوىُّ وذكر خلفاً الأحمرَ فقال : « يضربُ ما بين العندليل إلى الكُركىّ[5] » . وقد قال فيه الشّاعر :

ويضربُ الكركى إلى القُنبُرِ   لا عانساً يبقى ولا مُحْتَلِمْ

وقال :

وبما أقولُ لصاحِبى خَلَفٍ   إيهاً إليك تَحَذّرَنْ خَلَفُ
فلوَ انّ بيتَك فى ذُرَى عَلَمٍ   من دُونِ قُلّةِ رأسِهِ شَعَفُ[6]
لخشيتُ قدرك أن يبيتها   إن لم يكن لى عنه مُنصَرَفُ[7]

وفى المثل : « كلُّ طائرٍ يصيدُ على قَدْرِه » .

---

(١) فى الأصل : «شمل له » ، صوابه مما سبق فى ٢٢٣ . والعندليل ، بلامين بينهما ياء ، كما فى اللسان والقاموس ، وفى الأصل « العندبيل » ، ولم أر معتمدا لصحته .

(٢) فى الأصل : « فالعندبيل » . وانظر التنبيه السابق .

(٣) ابن تمرة : طائر أصغر من العصفور ، قيل سمى بذلك ، لأنك لا تراه أبدا إلا وفى فيه تمرة . وفى الأصل : « ابن نمرة » ، تحريف . وانظر ما سبق فى (٥ : ١٤٩) .

(٤) فى الأصل : « وأصغر من ابن فرة وهو الذى » .

(٥) ط ، س : « العندبيل » ، وأثبت الصواب من هـ .

(٦) الشعف : جمع شعفة بالتحريك ، وهى رأس الجبل .

(٧) يبيتها ، موضعها أبيض فى س . وفى هـ : « بيتنا » .

(كسبُ الذّئبِ وخبثه)

وأمّا قوله :

٣٥ « والخُلد كالذِّئب على كَسْبِهِ والفيلُ والأعـلَمُ كالوَبْرِ[1] »

١٣٨ فإنّهُ يقالُ : « أغدرُ مِن ذئب » ، و : « أخبث من ذئب » ، و : « أكسبُ من ذئب » ، على قول الآخر :

* أكسَبُ لِلْخَيْرِ مِنَ الذِّئبِ الأزَلْ *

والخير عنده فى هذا الموضع ما يُعيش ويَقُوتُ ،والخير فى مكانٍ آخر : المالُ بِعينه[2] على قوله عزَّ وجلَّ : ﴿إنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ[3]﴾ وعلى قوله : ﴿وَإنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ، أى إنّه من أجل حبِّ المال لبخيلٌ عليه ، ضنين به[4] ، متشدِّد فيه .

والخير فى موضعٍ آخر : الخِصب وكثرةُ المأكول والمشروب ، تقول : ما أكثرَ خير بيتِ فلان . والخير المحض : الطّاعة وسلامة الصّدر .

وأمّا قوله : « أَخبَث من ذِئْبِ خَمَر » فعلى قول الرّاجز :

أمَا أتاك عَنِّىَ الحديثُ إذْ أنا بالغائط أستغيثُ

والذِّئْبُ وسط أعنُزِى يَعِيثُ[5] وصحتُ بالغـائط يا خَبِيثُ[6]

وقالوا فى المثل : « مُستودع الذئب أظلم » .

---

(١) سبق فى ٢٩٤ : « على خبثه » .

(٢) ط : « يعينه » ، تحريف .

(٣) من الآية ١٨٠ فى سورة البقرة .

(٤) ط ، ﻫ : « ضيق به » ، وصوابه فى س .

(٥) الأعنز : جمع عنز . وفى الأصل : « عنزى » تحريف . وانظر (١ : ٣٠٦) .

(٦) بالغائط ، أى فى الغائط وهو المتسع من الأرض فى طمأنينة .

(الخُلد)

والخُلد دويْبَةٌ عمياءُ صماءُ ، لا تعرف ما يدنُو منها إلاّ بالشّمِّ ، تخرُجُ من جُحرها ، وهى تعلم أن لا سمعَ ولا بصَرَ لها ، وإنما تَشْحَا فَاهَا[١] ، وتقفُ على باب جُحرها فيجىء الذُّباب فيسقط على شِدقها ، ويمرُّ بينَ لَحَيها[٢] فتسدُّ فمها عليها وتستدخلها بجذْبة النّفَس ، وتعلمُ أنّ ذلك هو رِزقُها وقَسْمها . فهى تعرِض لها نهاراً دون اللّيل ، وفى السّاعات من النهار التى يكون فيها الذباب أكثر[٣] ، لا تفرِّط فى الطَّلب ، ولا تقصِّر فى الطّلب ، ولا تخطئُ الوقْتَ ، ولا تغلط [فى] المقدارِ[٤] .

وللخُلد أيضاً ترابٌ حوالىْ جُحره ، هو الذى أخرجه من الجُحر ، يزعمون أنّه يصلُحُ لصاحب النِّقرِس[٥] إذا بُلّ بالماء وطُلى به ذلك المكان .

(الأعلم)

وأمّا قوله :

* والفيل والأعلم كالوَبْر *

فالفيل معروف ، والأعلم : البعير ، وبذلك يسمّى ؛ لأنّه أبدا مشقوقُ الشَفة

(١) تشحا فاها : تفتحه ؛ يقال شحا فاه يشحوه ويشحاه .

(٢) هـ : « فتجىء الذبان فتسقط على شدقيها وتمر بين لحييها » .

(٣) هـ : « التى تكون فيها الذبان أكثر » .

(٤) التكملة من س .

(٥) النقرس ، بالكسر : ورم ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين : (Arthritism) .

العليا ، ويسمّى الإنسان إذا كان كذلك به .

ويدل على أن الأَعلم والبعير سواءٌ قولُ الراجز[1] :

إنى لمن أنكَرَ أو توسَّما أخو خَناثِيرَ أقود الأَعلمَا[2]

وقال عنترة :

١٣٩ « وحَليل غانيةٍ تركْتُ مجدَّلاً تمْكُو فريصَتُه كشِدْق الأَعْلَمِ[3] »

يريد شِدْق البعير فى السَّعة . وقال الآخر :

كم ضربةٍ لكَ تحْكِى فاقراسِيَةٍ من المَصاعِبِ فى أشْدَاقِهِ عَلَمُ[4]

(بعض ما قيل من الشعر فى الضرب والطعن)

وقال الكميت :

* مَشافِرَ قَرْحَى أكلْنَ البَرِيرا[5] *

وقال آخر :

بضربٍ يُلقِحُ الضِّبْعانُ مِنْهُ طرُوقَتَه ويأتنِفُ السِّفادا[6]

وقال [الشاعر] الباهلىّ[7] :

بضَرْبٍ كآذان الفِراء فُضُولُه وطَعْنٍ كإيزاغِ المَخاضِ تَبُورُها[8]

---

(١) سبق الرجز فى (٤ : ٤٠٠) .

(٢) ط : « ابن جياش أقود » س ، هـ : « ابن حياش » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) الحليل : الزوج . هـ : « وخليل » ، تحريف .

(٤) سبق مثل هذا البيت فى (٣ : ٣١٠) برواية : « فى أشداقه علم » . وفى الأصل : « فافراسية » ، صوابها : « قراسية » بالقاف .

(٥) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٣١٠) . وفى الأصل : « البريدا » تحريف .

(٦) الضبعان ، بالكسر : ذكر الضباع . وطروقته ، بالفتح : أنثاه . يأتنف السفاد : يبتدئه . فى الأصل : « السفار » تحريف .

(٧) التكملة من س . وهذا الباهلى هو مالك بن زغبة الباهلى ، كما فى اللسان (فرأ) و (بور) . وانظر الكامل ١٨١ وديوان المعانى (٢ : ٧٣) .

(٨) سبق الكلام على البيت فى (٢ : ٢٥٦) . وفى الأصل : « ثبورها » ، تحريف .

كأنّه ضربَه بالسَّيف ، فعلِقَ عليه من اللّحم كأمثال آذان الحَمير .

وقال بعضُ المحدثين ، وهو ذو اليمينَين :

ومُقْعَص تشْخَبُ أوداجُه قد بانَ عن مَنْكِبِه الكاهلُ[1]

فصارَ ما بينهما هُوَّةٌ يَمشِى بها الرَّامحُ والنّابِلُ[2]

وفى صفات الطَّعنة والضَّربة أنشدنى ابنُ الأعرابىّ :

تمنَّى أبو اليَقظانِ عِندى هَجْمَةً فسهَّل مأوى لَيلها بالكَلاكِلِ

ولا عَقلَ عندىَ غيرُ طعنٍ نوافذٍ

وضربٍ كأشداق الفِصَال الهوادِلِ[3]

وسَبٍّ يود المرءُ لو ماتَ دُونَه كوقْعِ الهضابِ صُدِّعَتْ بالمعاوِلِ

وقال الآخر[4] :

جَمَعْتُ بها كفِّى فأنْهَرْتُ فَتْقَها تَرى قائماً مِن خلفها ما وَرَاءها[5]

وقال البَعيث :

أئن أمرعَت مِعْزَى عَطِيَّة وارتَعتْ تِلاعاً من المرُّوت أحْوَى جميمُها[6]

---

(١) المقعص : الذى ضرب فمات مكانه . ورواية البيت فى الموشح ٧٩ ، ٢٤٥ :
ضربته فى الملتقى ضربة فزال عن منكبه الكاهل

(٢) الرامح : ذو الرمح . والنابل : ذو النبل ، وهى السهام . وفى الموشح ٧٩ بدل : « هوة » : « فجوة » وفى ٢٤٥ : « رهوة » .

(٣) الفصال : جمع فصيل ، وهو ولد الناقة . س : « العضال » ، تحريف . والهوادل : العظام المشافر كما فى البيان (١ : ١٥٧) من تفسير الجاحظ . وفى الأصل : « الهوازل » ، تحريف .

(٤) هو قيس بن الخطيم كما فى ديوانه ص ٣ ، والحماسة (١ : ٥٣ — ٥٦) ، واللسان (نهر) وديوان المعانى (٢ : ٥١) .

(٥) أنهر الطعنة : وسعها . أى ترى ما وراءها قائما من خلفها . وروى أبو عمرو : « يرى قائم » بالرفع وبناء الفعل للفاعل ، وهى رواية الحماسة واللسان وديوان المعانى . أى يرى القائم من دونها ما يكون وراءها .

(٦) عطية هو والد جرير بن عطية بن الخطفى . ارتعت : رعت . ط : « وأرتعت » تحريف . والمروت ، كسفود : اسم موضع . يقول : جميمها أحوى . والجميم : النبت الذى طال بعض الطول ولم يتم . والأحوى : الذى يضرب إلى السواد من شدة خضرته ، وهو أنعم ما يكون من النبات . هـ ، س : « حميمها » تحريف .

تَعَرَّضْتَ لى حتّى ضَرَبتُك ضربةً على الرَّأس ، يكبو لليدَين أَميمها[1]

إذا قاسها الآسِي النِّطاسيُّ أُرْعِشَتْ أنامِلُ آسِيها وجاشَتْ هُزُومَها[2]

وقال الآخر :

١٤٠ ونائحة رافـعٍ صَـوْتُها تَنُوحُ وقد وَقَعَ المِهْذَمُ[3]

تَنُوحُ وتُسْـبَرُ قَلّاسَةً وقد غابَت الكفُّ والمِعْصَمُ[4]

وقال آخر :

ومُستَنَّةٍ كاستنانِ الخَرُو فِ قدْ قَطَعَ الحبلَ بالمِرْوَدِ[6]

دفوعِ الأصابع ضَرْحَ الشَّمُو سِ نجلاءَ مُؤْيسةِ العُوَّدِ[7]

وقال محمد بن يَسير[8] :

---

(١) الأميم : الذى أصيب فى أم رأسه .

(٢) الآسى : الطبيب . والهزوم : الصدوع والشقوق . يقول : تجيش بالدم يتدفق منها . وفى الأصل : « هرومه » تحريف . وفى اللسان (٨ : ١١٨) : « أدبرت غثيثتها وازداد وهيا هزومها » .

(٣) النائحة ، يعنى بها الطعنة تصيح بشدة خروج الدم منها . و المهذم : السيف القاطع . وفى الأصل : « المرزم » ، ولا وجه له هاهنا .

(٤) تسبر : تختبر بالمسبار ليدرك غورها . قلاسة : قذافة . وأصل القلس القذف بالطعام وغيره . وفى اللسان : « وقلست الكأس : إذا قذفت بالشراب لشدة الامتلاء » . ويعنى بالكف والمعصم كف الآسى الذى يسبرها ومعصمه . يقول : غابا لشدة غورها .

(٥) أنشده فى اللسان (خرف) لرجل من بنى الحارث .

(٦) المستنة : الطعنة فار دمها باستنان ، وهو المضى على الوجه . والخروف : ولد الفرس إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة . بالمرود ، أى مع المرود . والمرود : حديدة توتد فى الأرض يشد فيها حبل الدابة . ط : « كاستقبال » صوابه فى س ، هـ واللسان والمخصص (٦ : ١٣٧ / ٩ : ١٤٢) .

(٧) دفوع الأصابع : أى أنها لشدة قذفها بالدم تدفع أصابع من يسبرها . ضرح الشموس أى كضرح الدابة النفور برجلها . نجلاء : واسعة . مؤيسة : تحمل على اليأس . والعود : جمع عائد المريض . ط : « رفوع » هـ : « وقوع » تحريف . ط ، س : « ضوء الشموس » هـ : « ضوح » ، صوابهما ما أثبت . ط : « مؤسية » محرفة . وفى هـ : « مويسة » بالتسهيل .

(٨) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٩) . ط : « محمد بن بشير » س ، هـ : =

وطعن خَليسٍ كفَرْغ النّضِيح أُفْرِغَ مِنْ ثَعَبِ الحاجِرِ(١)
تُهالُ العـوائدُ من فَتْقِهـا تردُّ السِّبارَ على السَّابِرِ(٢)

وأنشدُوا لرجلٍ من أزْد شنوءة :

وطَعْنَ خَليسٍ قد طعنت مُرِشَّةٍ يقطِّعُ أحشاءَ الجَبانِ شهيقُها(٣)
إذا باشَرُوها بالسِّبار تقطَّعَتْ تقطع أم السكر شيب عقوقُها(٤)

ورُوى للفِنْد الزِّمَّانى(٥) ولا أظنُّه له :

كَففْنا عن بنى هنـدٍ وقلنا : القـومُ إخْـوانُ(٦)

= « محمد بن بشر »، محرفتان . وانظر التنبيه الخامس من ص ٢٣٢ . وقد روى البيت الثانى فى تهذيب الألفاظ ٥٤٢ مع سابق له منسوبين إلى خداش بن زهير العامرى .

(١) فى اللسان : « طعنة خليس : إذا اختلسها الطاعن بحذقه ». وفى الأصل : « حليس » بالمهملة ، محرف . يفخر بطعنه تلك الطعنة الخليس . والنضيح : الحوض . وفرغه : مخرج الماء منه . وفى الأصل : « كفرخ النطيح » محرف . والثعلب : الماء السائل . والحاجر ، هنا : مايحبس ماء الحوض مما يستدير به . هـ ، س : « تعب » محرف .

(٢) تهال : تفزع . والسبار : ما يسبر به الجرح . يقول : إنها تنفى المسابير لفوران الدم . وقال التبريزى . « ترد السبار ، لأن الذى يريد علاجها إذا رأى سمتها علم أن السبار لا يبلغ أقصاها فلم يدخله فيها » . وعجز هذا البيت فى المخصص (٥ : ٩٣) ، واللسان (سبر) .

(٣) المرشة : التى ترش الدم . فى الأصل : « وطعن حليس »، محرف . وانظر ما مضى فى التنبيه الأول . وقد جعل الطعن شهيقا، وهوصوت تدفق الدم منها .

(٤) كذا ورد البيت محرفا .

(٥) الفند ، بالكسر : لقب غلب عليه ، شبه بالفند من الجبل ، وهو القطعة منه . واسمه شهل – بالشين المعجمة – بن شيبان بن ربيعة بن مازن بن مالك ابن صعب بن على بن بكر بن وائل . وقد شهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة سنة فأبلى بلاء حسنا . والزمانى : نسبة إلى زمان – بكسر الزاى المعجمة وتشديد ثانيه – بن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل . انظر الأغانى (٢٠ : ١٤٣ – ١٤٤) والاشتقاق ٢٠٧ ونهاية الأرب (٢ : ٣٣١) ط ، س : « الرمانى »، تحريف ، صوابه فى هـ .

(٦) وكذا وردت الرواية فى الأغانى (٢٠ : ١٤٣) وحماسة البحترى ٧٤ . وروى : =

عَسَى الأيّامُ ترْجِعْهمْ جَمِيعاً كالذى كانوا[١]
فلمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ وأضْحَى وهو عُرْيانُ[٢]
شَدَدْنَا شَدَّةَ اللَّيْثِ عَدَا واللَّيْثُ غضبانُ[٣]
بضَرْبٍ فيه تفجيعٌ وتوهينٌ وإرنانُ[٤]
وطعن كفَم الزِّقِّ وَهَى والزِّقُّ ملآنُ[٥]

وأنشد السِّدرىُّ لرجل من بلحارث :

أتيت المحرم فى رحله فشمَّرَ رحلى بعَنْسٍ خَبُوبْ[٦]

= « صفحنا عن بنى ذهل » فى حماسة أبى تمام (١ : ٦) وأمالى القالى (١ : ٢٦٠) . قال التبريزى : « ويروى صفحنا عن بنى هند ، وهى هند بنت مر ابن أد ، أخت تميم . وهى أم بكر وتغلب ابنى وائل » . وذهل هم بنو ذهل ابن شيبان بن ثعلبة بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

(١) فى حماسة أبى تمام والأغانى والأمالى : « عسى الأيام أن يرجعن قوما » وفى حماسة البحترى : « عسى الأيام أن ترجع قوما » .

(٢) فى الحماسة والأمالى : « فأمسى » والأغانى : « وأمسى » والبحترى : « فأضحى » .

(٣) فى الأمالى وحماسة أبى تمام : « مشينا مشية الليث » ، قال أبو على القالى : « يروى عدا وغدا بالعين والغين . ويروى : شددنا شدة الليث . فمن روى : شددنا فالأجود عدا بالعين غير المعجمة . ومن روى مشينا فالأجود غدا بالغين المعجمة » . وقال التبريزى : ومن روى عدا بالعين غير معجمة على أن يكون من العدوان فليست روايته بحسنة » . ويعجبنى هنا ذوق أبى على . ط : « غدا » بالمعجمة ، هـ : « غذا » بمعجمتين ، وهذه الأخيرة محرفة .

(٤) التفجيع : تفعيل من الفجيعة ، وهى المصيبة . والتوهين : تفعيل من الوهن ، وهو الضعف . والإرنان : التصويت . أبو تمام والقالى : « توهين وتخضيع وإقران » البحترى : « تأييم وإيتام وإزنان » ، أبو الفرج : « تفجيع وتأييم وإرنان » .

(٥) وهى : ضعف . أبو تمام : « غذا » بالذال المعجمة ، أى سال ، والغذوان : السيلان . وفى سائر المصادر : « غذا » .

(٦) شمر إبله وأشمرها : إذا أكشها وأعجلها . والعنس : الناقة الصلبة . والخبوب : وصف من الخبب ، وهو ضرب من العدو . س ، هـ : « خيوب » ، تحريف .

تذكّرَ منّى خُطوباً مَضَتْ ويومَ الأباء ويومَ الكَثِيبْ

ويَوْمَ خزَازَ وَقدْ أَلجمُوا وأشرطت نَفْسى بأن لا أثُوبْ (١)

ففرَّجْتُ عنهم بنفّاحةٍ لها عانِدٌ مثلُ ماء الشعِيبْ (٢)

إذا سَبَرُوها عوى كلبُها وجاشَتْ إليهم بآنٍ صَبيبْ (٣)

١٤١

وقال آخر :

طعْنَةً ما طَعَنْتُ فى جُمَحِ الذَّ مِّ هِلاَلٍ وأين منِّى هِلاَلُ (٤)

طعنة الثائر المصمِّم حتى نجم الرُّمْحُ خَلْفَه كالخِلاَلِ (٥)

وقال الحارث بن حِلِّزَة :

لا يُقيم العزيز بالبَلَدِ السَّهْلِ ولا يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النَّجَاءُ (٦)

حَوْلَ قَيْسٍ مستلئمين بكبشٍ قَرَظىٍّ كأنَّهُ عبلاءُ (٧)

---

(١) خزاز ، كسحاب ، وخزازى : جبل كان به يوم من أيامهم . انظر ياقوت والعقد (٣ : ٣٦٥) والكامل (١ : ٣١٠) والعمدة (٢ : ١٦٦) والميدانى (٢ : ٣٥٣) . ألجموا : أى ألجموا الخيل . س : « الزموا » . والإشراط : أن يجعل لنفسه علامة يعرف بها . ثاب يثوب : رجع . كأنه قد جعل علامته بين الفرسان أنه الذى يقدم لا يرجع ولا يحجم . س : « بأن لأتوب » ، محرفة .

(٢) النفاحة : الشديدة الدفع ، عنى الطعنة . والعاند : الدم يسيل فى جانب . ط ، هـ : «عائد» ، صوابه فى س . والشعيب : المزادة المشعوهة . ط : « الزبيب » . هـ : «الذبيب» .

(٣) الآنى : الذى انتهى واشتد فى حرارته . وفى الكتاب : (يطوفون بينها وبين حميم آن) .

(٤) ط ، س : « جمع القدم هلالا » .

(٥) الثائر : طالب الثأر . نجم : ظهر . والخلال : العود يخل به الشىء .

(٦) النجاء : الهرب . والأبيات من معلقته .

(٧) المستلئم : لابس اللأمة ، وهى الدرع . والكبش : رئيس القوم . قرظى : منسوب إلى البلاد التى ينبت فيها القرظ ، وهى اليمن . والعبلاء هاهنا : هضبة بيضاء . ط : « متلئمين » س : « مستسلمين بكبيس فرطى » هـ : « مستسلمين بكبش قوطى » ، والصواب ما أثبت .

فَرَدَدْنَاهُمْ بِضربٍ كما يَخْــرُجُ من خُرْبة المَزَادِ الماءُ[1]

وفَعَلْنا بِهِمْ كما عَلِمَ اللهُ وما [إنْ] للحَائنين دِماءُ[2]

وقال ابن هَرْمة :

بِالمشرفيّة والمظاهَر نَسْجُها يَوْمَ اللِّقاء وكلِّ وَرْدٍ صاهِلِ[3]

وبكلِّ أرْوَعَ كالحريق مُطاعِنٍ فمسايفٍ فمعانقٍ فمُنازِلِ[4]

ويروى : « فعاذل » .

(الإفراط فى صفة الضرب والطعن)

وإذْ قد ذكرنا شيئاً من الشِّعر فى صفة الضرب والطعن[5] فقد ينبغى أنه نذكرَ بعضَ ما يشاكلُ هذا الباب مِن إسرافِ من أسْرَفَ ، واقتصادِ من اقتصد . فأما من أفْرَط فقول مُهلهل :

فلولا الرِّيحُ أُسْمِعُ مَنْ بِحَجْرٍ صليلَ البَيض تُقْرَعُ بالذُّكور[6]

---

(١) قال التبريزى : « الخربة هاهنا : عزلاء المزادة ، وهو مسيل الماء منها » . س : « حربة » ، هـ : « حرته » ، صوابهما ما أثبت .

(٢) كلمة : « إن » ساقطة من ط ، هـ . والحائن ، بالمهملة : الهالك . أى من عصى فقد حان أجله ويهدر دمه . وفى الأصل : « الخائنين » ، تحريف .

(٣) عنى بالمظاهر نسجها الدروع قد طورقت . وفى الأصل : « المشرفية » ، وزدت الباء فى أوله .

(٤) س : « فسابق فعانق » ، تحريف . تسايفوا : تقاتلوا بالسيوف .

(٥) س : « الطعن والضرب » .

(٦) انظر نقد الشعر لقدامة ٨٤ وحواشى البيان (١ : ١٢٤) . وقال المرزبانى فى الموشح ٧٤ : « عن دعبل بن على قال : أكذب الأبيات قول مهلهل :

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرع بالذكور

قال : وكان منزله على شاطئ الفرات من أرض الشام . وحجر هى قصبة اليمامة » . وضبطها ياقوت بفتح أولها .

وقال الهذلى[1] :

والطعن شَغْشَغَةٌ والضَّرْبُ هَيْقَعة ... ضَرْبَ المعوِّل تحتَ الدِّيمة العَضَدا[2]

وللقسِىِّ أزاميلٌ وغَمْغَمَةٌ ... حِسَّ الجَنُوبِ تسوق الماءَ والقَرَدا[3]

ومن ذلك قول عنترة :

بِرَحيبة الفَرْغين يَهدِى جَرْسُها ... بالليْل مُعْتَسَّ السِّباع الضُّرَّمِ[4]

وقال [أبو] قيس بن الأسلَت[5] :

قد حَصَّت البيضةُ رأسى فما ... أطْعَمُ نوماً غيرَ تَهجَاعِ[6]

وقال دُريد بن الصِّمَّة :

أعاذِلُ إنَّما أفْنَى شَبابى ... رُكوبى فى الصَّريخ إلى المنادِى[7]

---

(١) انظر ما سبق من الكلام على قائله فى (٤ : ٤٠٦) .

(٢) فى الأصل : « شعشعة » و « هبقعة » ، والوجه ما أثبت . وقد مضى الكلام بتفصيل فى شرح هذا البيت وتفصيل رواياته .

(٣) الأزاميل : رنين القسى ، جمع أزمل وأزملة . وفى الأصل : « أراميل » محرف . الجنوب : ريح تقابل الشمال ، وحسها ، بالكسر : رفتها وصوتها . ط : « حين الجنون » ، س ، هـ : « حين الجنوب » ، صوابهما ما أثبت من اللسان (حسس ، زمل) . والقرد ، بالتحريك : هنات صغار تكون دون السحاب لم تلتئم ، كما فى القاموس ؛ وككتف : السحاب المنعقد المتلبد . ورواية اللسان فى موضعيه : « والبردا » . ورواية صدره فى (زمل) : « أهازيج وأزملة » .

(٤) الفرغ : مفرغ الدلو . والجرس : الصوت . واعتس الذئب والسبع : طلب الصيد وبغاه . والضرم : الجياع ، مفردها ضارم ولم يتكلم به ، بل قالوا الجائع « ضرم » كفرح . فى الأصل : « الفرعين » ، ط : « معبس السباع » ، س ، هـ : « مقبس السباع اللزم » ، تحريف .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٣ : ٤٥) . وكلمة « أبو » ساقطة من الأصل .

(٦) هذا السطر وتاليه ساقطان من هـ . وفى ط : « البيضة » بالمهملة ، صوابه فى س . والبيت من قصيدة له فى المفضليات (٢٨٤) . وفيها : « فما أطعم غمضا » .

(٧) الصريخ : المغيث ، عنى الجماعة الذين ينهضون لإغاثة من ينادى بالاستغاثة .

١٤٢ مَعَ الفِتيان حَتّى خلّ جِسْمِى وأَقْرَحَ عاتِقِى حَمْلُ النِّجَادِ[١]

ومِمَّا يدخُل فى هذا الباب قولُ عنترة :

رُعْناهُم والخيلُ تَرْدِى بالقَنَا وبكُلِّ أبْيَضَ صارمٍ قَصَّالِ[٢]

وأنَا المنيّةَ فى المواطِنِ كلِّها والطَّعْنُ مِنِّى سابِقُ الآجالِ

وأمَّا قوله[٣] :

إنّ المنيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ مِثْلى، إذا نَزَلُوا بِضنْكِ المنزِلِ[٤]

وقال نَهشَل بن حَرِّىّ[٥] :

وما زال رَكْنِى يرتقى من ورائه

وفارسُ هَيجا ينفض الصَّدرَ واقفُ[٦]

فوصف [نفسه[٧]] بأنّه مجتمع القلب ، مرير[٨] لايبرح .

---

(١) خل الجسم : وهن وفسد . س : « حل » تحريف . وأقرحه : أحدث به قروحا ، وهى الجراحات . ط فقط : « وأقرع » ، محرف .

(٢) رعناهم ، من الروع ، وهو الخوف والفزع . س « رغناهم » تحريف . تردى بالقنا : تعدو بالرماح ؛ والرديان : ضرب من العدو . والأبيض : السيف . والقصال ، بالقاف : القطاع . هـ : « فصال » ، محرف . والبيت من قصيدة له فى ديوانه ١٩٣ — ١٩٨ يقولها فى إغارته على بنى ضبة .

(٣) هو عنترة أيضا من قصيدة له فى ديوانه ١٧٧ — ١٨٠ .

(٤) عجز البيت ساقط من هـ .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ١٩) . وفى الأصل : « نهشل بن حرى » ، محرف .

(٦) أركان كل شىء : جوانبه التى يستند إليها .

(٧) تكملة يقتضيها السياق .

(٨) المرير : القوى ذو المرة ، أو الشديد القلب . انظر اللسان (مرر) والمخصص (٣ : ٥٧ — ٥٨) . ط ، هـ : « مدبر » س : « مدبرا » صوابهما ما أثبت .

وقد كان حُميد بن عبد الحميد[1] يوصف بذلك ؛ لأنّه كان لا يرمى بسَهْمٍ ، ولا يطعنُ برُمحٍ ، ولا يضربُ بسيفٍ ، ولكن التصبير[2] والتّحريض والثّبات ، إذا انهزَمَ كلُّ شُجاع .

باب

مَنْ نذَر فى حَمِيّة المقتول نذْراً فبلغ فى طلب ثأره الشفاء

قال العَبسىّ :

دَعَوْتُ اللهَ إذْ قدُنَا إليهمْ   لِنَلْقى مِنْقَرًا أو عَبْدَ عَمْرِو

وكانَتْ حَلْفَةً حُلِفَتْ لِوِترٍ   وشاءَ اللهُ أنْ أدْرَكْتُ وِتْرِى

وإنِّى قد سَقِمْتُ فكان بُرْئى   بقِرْواش بن حارثةَ بن صَخْرِ

والأعرابُ تعدُّ القَتْلَ سُقماً وداءً لا يبرئه أخذ ثأره دونَ أخ أو ابن عَمٍّ[3] ، فذلك الثَّأْرُ المنيم . وممّن قال فى ذلك صبَّار بن التوأم اليشكُرى[4] ، فى طلب الطّائلة وأنّ ذلك داءٌ ليس له بُرء ، وكانوا قتلوا أخاه إساف بن عباد ، فلما أدرك ثأرَه قال :

---

(١) هو أبو غانم حميد بن عبد الحميد الطوسى ، أحد أمراء الدولة العباسية وقوادها وأجوادها ، وهو أحد من وطد الخلافة للمأمون بهزيمة إبراهيم بن المهدى . ولأبى العتاهية وعلى بن جبلة وأبى تمام مدائح فيه ، كما رثاه أبو تمام ، وأكثر من رثاء بنيه محمد وقحطبة وأبى نصر ، الذين قال فيهم :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر   فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

انظر الأغانى (١٩ : ١٠٠ — ١١٤) والطبرى (٩ : ٢٤٥ — ٢٥٤) وقد قتل بشربة صنعها له جبريل بن بختيشوع سنة ٢١٠ . انظر كتاب أسماء المغتالين من الأشراف ص ٧٢ — ٧٤ .

(٢) التصبير : الأمر بالصبر . س : « الصفر » هـ : « الصفير » ، صوابهما فى ط .

(٣) فى الأصل : « إلا أخذ ثأره دون أخ أو ابن عم » . وكلمة « إلا » مقحمة .

(٤) لم أعثر له على ترجمة . وفى شعرائهم « الصنان بن النار بن عبادة اليشكرى » =

أَلَمْ يأتِها أنّى صَحَوْتُ وأنَّنى شَفانى من الدّاء المُخامِرِ شاف
فأصبحْتُ ظَبياً مُطْلقاً من حِبالةٍ صَحيحَ الأَديم بَعْدَ داءٍ إساف
وكنتُ مغطًّى فى قِناعِىَ حِقْبةً
كَشَفْتُ قِناعى واعتَطَفْتُ عِطافِى[١]

وفى شبيهٍ بهذا المذهبِ مِنْ ذكر الدّاء والبُرء قال الآخر[٢] :

١٤٢ قالتْ عهِدتُكَ مجنوناً فقلتُ لها إنّ الشّبابَ جُنونٌ بُرؤهُ الكِبَرُ

وفى شبيهٍ بالأوّل قول الشّيخ الباهلىّ ، حين خرجَ إلى المبارزَةِ[٣] على فرس أعجف ، فقالوا : « بالٍ على بالٍ ! » . فقال الشّيخ :

رَآنِي الأشْعَرِىُّ فقالَ بالٍ على بالٍ ولم يعرِفْ بَلائى
ومثلَكَ قد كَسَرْتُ الرُّمْحَ فيه فآبَ بدائه وشفَيْتُ دائى

وقالت بنتُ المنذر بن ماء السَّماءِ[٤] :

بعَين أُباغَ قاسَمْنا المَنايَا فكان قَسِيمُها خيْرَ القَسيم
وقالوا فارسُ الهَيْجاءِ قلنا
كذاك الرُّمح يَكْلَفُ بالكَريمِ[٥]

= انظر المؤتلف ٧٠ والقاموس (نور) ، ط ، س : « ابن السوام اليشكرى » ، وأثبت ما فى هـ .

(١) العطاف ، بالكسر : الرداء ، جمعه عطف وأعطفة .

(٢) هو العتبى كما ذكرت فى ص ٢٤٤ .

(٣) هـ : « المبارزة » .

(٤) قالته فى مقتل أبيها المنذر بن ماء السماء فى يوم عين أباغ ، وكان بينه وبين الحارث ابن الأعرج الغسانى . ويروى الشعر أيضا لابنة فروة بن مسعود ترثى أباها وكان قد قتل بعين أباغ . انظر معجم البلدان (١ : ٦٨) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٢٥) والعقد (٣ : ٣٧٣) .

(٥) س : « يلهج بالكريم » . وصدره فى المعجم : « وقالوا سيد منكم قتلنا » .

وقال الأسدى :

رفعْنا طَرِيفًا بأرْماحنا وبالرَّاح مِنَّا فلم يدفَعونَا[1]

فطاحَ الوَشيظُ ومَالَ الجُمُوحُ ولا تأكلُ الحَرْبُ إلا السَّمينا[2]

وقال الحَرَمى[3] :

وأعددتُه ذُخْراً لكلِّ مُلِمَّةٍ وسَهْمُ المنايَا بالذخائر مُولَعُ[4]

وقال السموءلُ بنُ عاديا :

يقرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنَا لنَا وتَكْرَهُهُ آجالُهمْ فتَطُولُ

لأَنّا أُناسٌ لا نرَى القَتْلَ سُبّةً إذا ما رأتْهُ عامرٌ وسَلولُ[5]

وقال أبو العَيزار[6] :

---

(١) ط ، هـ : « طريقا » بالقاف .

(٢) الوشيظ ، بالمعجمة فى آخره : الدخلاء فى القوم ليسوا من صميمهم ، وحليف القوم . وفى الأصل : « الوسيط » ، محرف .

(٣) الحرمى ، بالراء المهملة . وفى الأصل : « الخزيمى » ، تحريف . وهو أبو يعقوب إسحاق بن حسان ، الذى تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٢٤) .

(٤) فى الأصل : « مولع بالذخائر » ، ووجه الرواية ما أثبت مطابقا لما مضى فى (٣ : ١٤٨) ولما فى الكامل ٧٠٣ ليبسك . ومن أبيات هذه القصيدة ما أنشده المبرد :

ولو شئت أن أبكى دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

(٥) الرواية السائرة : « وإنا لقوم لا نرى القتل » . انظر الحماسة (٢ : ٢٩) والبيان (٤ : ٦٨) . وقصيدة الأبيات فى الحماسة وأمالى القالى (١ : ٢٦٩) .

(٦) فى ط ، هـ : « الغيزان » ، س : « العيران » ، وأثبت ما فى البيان (١ : ٤٠٦) . وقد قال الجاحظ هناك : « وذكر أبو العيزار جماعة من الخوارج بالأدب والخطب » . وقبل البيت الأول :

ومسوم للموت يركب ردعه بين القواضب والقنا الخطار

وبعد الثانى :

أدباء إما جئتهم خطباء ضمناء كل كتيبة جرار

يَدْنُو وَتَرْفَعُهُ الرِّماحُ كأنّهُ شِلْوٌ تَنَشَّبَ فى مخالِبِ ضارِى

فَتَوَى صَرِيعاً والرِّماحُ تَنُوشُه إنَّ الشُّرَاةَ قَصيرةُ الأَعمارِ(١)

وقال آخر وهو يُوصِى بلُبْس السِّلاح :

فإذا أَتَتْكُمْ هذِهِ فتلبَّسُوا إنَّ الرِّماحَ بَصِيرَةٌ بالحاسِرِ(٢)

وقال الآخر :

يا فارسَ الناس فى الهيجا إذا شغِلَتْ

كِلتا اليدَينِ كَرُوراً غيْرَ وَقّافِ(٣)

قوله « شَغِلَتْ » يريد بالسَّيف والتُّرس . وأنشد أبو اليقظان(٤) :

١٤٤

• وكان ضَروباً باليدينِ وباليَدِ(٥) •

أمَّا قوله: « ضروباً باليَدَين » ، فإنّه يريد القِداح ، وأمّا قوله: « باليد » فإنّه يريد السَّيف :

وأمَّا قول حسَّان لقائده حينَ قرَّبوا الطّعام لبعض الملوك : « أطعام يَدَين أم يد(٦) ؟ » [فإنه] قال هذا الكلامَ يومئذ وهو مكفوفٌ .

وإن كان الطعام حَيْسا أو ثريداً أو حريرة(٧) فهو طعام يدٍ ، وإن كان شواءً فهو طعام يدَين .

---

(١) توى ، من التوى ، وهو الهلاك . وفى الأصل : « فترى » تحريف . وفى البيان : « فثوى » بالمثلثة ، وهى صحيحة كتلك . قال كعب :

فن للقوافى شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعب وفوز جرول

(٢) سبق البيت فى ص ٣٣٦ . وفى الأصل : « إن السلاح » ، محرف .

(٣) ط ، ﻫ : « بالهيجا » ، وأثبت ما فى س .

(٤) اسمه عامر بن حفص . وقد ترجم فى (٢ : ١٠) .

(٥) صدره كما فى الحيوان (٧ : ٢٦٠) والميسر والقداح ص ١٤٠ :

* أعينى ألا فابكى عبيد بن معمر *

(٦) انظر الحيوان (٧ : ٢٦٠) .

(٧) الحريرة : دقيق يطبخ بلبن أو دسم . س ، ﻫ : « حريرا » ، تحريف .

(من أشعار المقتصدين فى الشعر)

ومن أشعار المقتصدين فى الشِّعر أنشدنى قطرب :

تَرَكْتَ الرِّكابَ لأربابها فأجْهَدْتُ نفسى على ابن الصَّعِق[1]
جَعَلْتُ يَدَىَّ وِشاحاً له وبعضُ الفوارِسِ لا يعتنقْ

وممّن صدَق على نفسه عمرُو بن الإطنابة ، حيثُ يقول :

وإقْدَامِى على المَكْرُوهِ نَفْسِى وضَرْبى هامَةَ البطَلِ المُشِيحِ[2]
وقولى كُلَّمَا جَشَأَتْ وجَاشَتْ مَكانَكِ تُحْمَدِى أَوْ تَسْتَرِيحِى

وقال آخر :

وقلتُ لِنفسى إنّمـا هـو عامرٌ
فلا ترهَبِيه وانظُرى كيف يركبُ[3]

وقال عَمرو بن مَعْدِ يكرب[4] :

ولمّا رأيتُ الخيلَ زُوراً كأنّها
جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فاسْبَطَرَّتِ[5]
فَجَاشَتْ إلىَّ النَّفْسُ أوّل مَرَّةٍ
فَرُدَّتْ على مَكْرُوهِها فاسْتَقَرَّتِ[6]

---

(١) فى البيان (٣ : ٢٤٦) : « وأكرهت نفسى » .
(٢) المشيح : الجد ؛ والمشيح أيضا : المقبل إليك أو المانع لما وراء ظهره .
(٣) هـ : « أين يركب » س : « كيف تركب » .
(٤) وهذه النسبة أيضا فى الحماسة (١ : ٤٣ — ٤٥) . لكن نسب فى الأصمعيات ١٧ — ١٨ إلى دريد بن الصمة .
(٥) الزور : جمع أزور وزوراء ، وهو المعوج العنق . والجداول : جمع جدول ، وهو النهر الصغير . اسبطرت : امتدت .
(٦) جاشت : اضطربت من الفزع .

وقال الطّائىُّ :

ودَنَوْنا ودَنَوْا حتّى إذا أَمْكَنَ الضَّرْبُ فَمَنْ شاءَ ضَرَبْ

رَكَضَتْ فِينَا وفِيهِمْ سَاعةً لَهْذَمِيَّاتٌ وَبيضٌ كالشُّهُبْ[1]

تَرَكُوا القَاعَ لنا إذْ كَرِهُوا غَمَراتِ الموتِ واختارُوا الهَرَبْ[2]

وقال النّمْرُ بنُ تَوْلَب :

سَمَوْنا ليَشْكُرَ يَوْمَ النِّهابِ نهزُّ قَنًا سَمْهرِيًّا طِوَالاَ[3]

فلمّا التقَينا وكانَ الجِلاَدُ أَحَبُّوا الحياةَ فولَّوْا شِلاَلاَ[4]

وكما قال الآخر :

هُم المقْدِمُونَ الخَيلَ تَدْمَى نُحورُها

إذا ابيضَّ من هَوْل الطِّعان المسالِحُ[5]

١٤٥ وقال عَنترة :

إذْ يتّقُون بِى الأسِنَّة لم أَخِمْ عَنْها ولٰكنى تَضَايَقَ مُقْدَمِي[6]

وقال قَطرىُّ بن الفُجاءة :

وقولى كلّما جَشَأَتْ ، لنفسى مِنَ الأبْطالِ وَيْحَكِ لا تُرَاعِى

---

(١) الهذم : السنان القاطع ، وأراد بالهذميات هاهنا : الرماح . والبيض : السيوف .

(٢) س : « عمرات » ، تحريف .

(٣) فى الأصل : « تهرقنا » ، والوجه ما أثبت . والقنا : الرماح . والسمهرية : الرماح المنسوبة إلى سمهر .

(٤) الشلال ، بالكسر : المتفرقون . قال ابن الدمينة :

أما والذى حجت قريش قطينة شلالا ومولى كل باق وهالك

(٥) المسالح : جمع مسلحة ، وهم القوم ذوو السلاح .

(٦) خام يخيم : نكص وجبن .

فإنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ حَيَاةَ يومٍ ... سِوَى الأجَلِ الذى لَكِ لم تُطاعِى

وقالت الخنْساء :

يُهِينُ النُّفوسَ وهَوْنُ النفوس ... غَدَاةَ الكريهةِ أبقى لها

وقال عامر بن الطُّفيل :

أقولُ لنفسٍ لا يُجادُ بمثلِها ... أقِلِّى المِرَاح إنَّنى غيرُ مُقْصِرِ (١)

وقال جرير :

إنْ طارَدُوا الخيْلَ لم يُشْوُوا فوارِسَها

أو نَازَلوا عانَقُوا الأبطَالَ فاهتصروا (٢)

وقال ابن مقروم الضّبىّ (٣) :

وإذا تُعلَّل بالسِّياطِ جِيادُها ... أعطاك ثائبةً ولم يَتَعَلَّلِ (٤)

فدعَوا نَزَالِ فكنتُ أوّلَ نازلٍ ... وعَلامَ أرْكَبُهُ إذا لمْ أنزلِ

---

(١) المراح : المرح ، وهو شدة الفرح والنشاط حتى يجاوز قدره ، أو التبختر والاختيال . وفى الأصل : « المزاح » ، صوابه من المفضليات ٣٦٢ .

(٢) يشووا من الإشواء ، وذلك إذا رمى فأصاب الأطراف ولم يصب المقتل . ط : « يشؤا » . وفى الديوان ٢٥٩ : « يشووا » بفتح الياء ، والوجه ما أثبت . والاهتصار : الجذب والإمالة . وفى الأصل : « فاقتصروا » ، وأثبت الصواب من الديوان .

(٣) هو ربيعة بن مقروم الضبى ، وقد سبقت ترجمته فى (١ : ٤٣٧) . وفى الأصل : « ابن مقرم » تحريف . وبعض أبيات قصيدته فى الحماسة (١ : ١٣ - ١٤) والأغانى (١٩ : ٩٢ - ٩٣) والخزانة (٣ : ٥٦٥ - ٥٦٦) والخيل لأبى عبيدة ١٧٢ .

(٤) التعليل : تفعيل ، من العل وهو متابعة الضرب . وضمير « جيادها » للخيل ، أى الفوارس فى بيت سابق . وهو :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها ... بسليم أوظفة القوائم هيكل

=

وقال كعب الأَشقرى[1] :

إليهم وفِيهم مُنتهَى الحزْم والنَّدَى
والكَرْبِ فيهم والخصَاصةِ فاسِحُ

ترَى عَلَقاً تَغْشَى النفوس رَشاشُه
إذا انفرجت مِن بَعْدِهِنَّ الجوانحُ[2]

كأنَّ القَنَا الخطِّىَّ فينا وفيهمُ   أشاطينُ بِئرٍ هيَّجَتْها المواتحُ[3]

هناك قذَفْنَا بالرِّماح فمائلٌ   هُنالِك فى جَمْع الفَرِيقَين رَانحُ[4]

ودُرْنا كما دارتْ على قُطْبها الرَّحَى   ودارَتْ على هام ِالرِّجالِ الصَّفائِحُ

= ثائبة : أى دفعة راجعة من الجرى . ثاب : رجع . وفى الأصل : « أعطى كتائبها » تحريف ، وأثبت صوابه من الخزانة . ورواية الأغانى : « أعطاك نائبة » . وفى كتاب الخيل :

وإذا يعلل بالسياط جيادنا   أعطاك نائله ولم يتعلل

(١) هو كعب بن معدان الأشقرى . والأشاقر : حى من الأزد . وهو من شعراء خراسان ، وقد استفرغ شعره فى مدح المهلب وولده . وروى عن الفرزدق أنه كان يقول : « شعراء الإسلام أربعة ، أنا ، وجرير ، والأخطل ، وكعب الأشقرى » . انظر معجم المرزبانى ٢٤٦ والأغانى (١٣ : ٥٤ — ٦١) .

(٢) أى رشاش العلق : وهو الدم الغليظ . هـ ، س : « رشاشة » ، تحريف .

(٣) أشاطين : أريد بها الحبال ، وهى جمع أشطان ، والأشطان : جمع شطن . وفى الأصل : « شياطين » ، ولا وجه له ، وإنما صححتها بذلك قياسا على ما قالوا فى جمع أنعام أناعيم . والعرب يشبهون الرماح بالأشطان ، قال عنترة :

يدعون عنتر والرماح كأنها   أشطان بئر فى لبان الأدهم

وقال سلامة بن جندل فى المفضلية (٢٢ : ٢٨) :

كأنها بأكف القوم إذ لحقوا   مواتح البئر أوأشطان مطلوب

(٤) فى القاموس : « الرنح : الدوار » . ط ، هـ : « فما يرى هناك فى جمع الفريقين رامح » .

وقال مهلهل :

ودلَفْنا بجمعِنا لبنى شَيْ ... بان إن الخليلَ يبغِى الخليلاَ[١]

لم يُطِيقوا أن ينزلوا ونزَلْنا ... وأخُو الحرب من أطاقَ النزولا

وقال عبدة ، وهو رجلٌ من عبد شمس :

ولما زجَرْنا الخيلَ خاضَتْ بنا القَنا
كما خاضَت البُزْلُ النِّهاءَ الطَّوامِيَا[٢]

رمَوْنَا برَشْقٍ ثمَّ إنَّ سيوفَنا ... ورَدْنَ فأنكرن القبيل المراميا[٣]

ولم يكُ يَثْنِي النَّبلَ وَقْعُ سُيوفِنا ... إذا ما عقدنا للجلادِ النَّواصيا

باب
فى ذكر الجُبن ووهل الجبان

قال الله عزَّ وجل : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ[٤] ﴾ . ويقال إن جريراً من هذا أخذ قولَه :

ما زلتَ تحسَبُ كُلَّ شيءٍ بعدَهُمْ ... خيلاً تكرُّ عليكم ورِجالا[٥]

---

(١) انظر القصيدة فى ٥٣ بيتا فى حرب البسوس ٧٨ — ٨٠ وبعضها فى العقد (٥ : ٢١٦ — ٢١٧) .

(٢) النهاء : جمع نهى ، بالكسر والفتح : وهو الغدير وكل موضع يجتمع فيه الماء . وفى الأصل : « إليها الطواميا » ، تحريف .

(٣) القبيل : الجماعة من أقوام شتى . وفى الأصل : « القتيل » .

(٤) من الآية الرابعة فى سورة المنافقين .

(٥) ط ، هـ : « تكر مليهم » تحريف . وانظر ما سبق من الكلام على البيت فى (٥ : ٢٤٠) .

وإلى هذا ذهب الأوَّل[١] :

ولو أنّها عصفورةٌ لحسبتَها مُسَوَّمَةً تدعُو عُبيداً وأزْنما[٢]

وقال جران العَود[٣] :

يومَ ارْتحلتُ برَحْلِى قَبْلَ بِرذَعتى
والقَلْبُ مُسْتَوْهِلٌ للبَيْنِ مشغولُ[٤]
ثُمَّ اغترزتُ على نِضْوِى ليحمِلَنى
إثْرَ الحُمولِ الغوادِى وهو مَعقولُ[٥]

وهذا صفة وهَل الجبان . وليس هذا من قوله :

كملقِى الأعِنّةِ من كَفِّهِ وقادَ الجيادَ بأذنابِها[٦]

وقال الذّكوانى[٧] أو زمرة الأهوازىُّ، ففسَّر ذلك حيث يقول :

يَجعلُ الخيلَ كالسَّفِينِ ويَرْقَى عَادياً فوقَ طِرْفِهِ المشْكُولِ[٨]

لأنهم ربَّما تنادَوا فى العَسكر : قد جاءوا ، ولا بأس ! فيُسرِج الفارسُ

---

(١) هو العوام بن شوذب الشيبانى ، كما حققت فى (٥ : ٢٤٠) .

(٢) أزنم ، بالزاى . وفى الأصل : « أرنما » ، تحريف .

(٣) من قصيدة له فى ديوانه ٣٤ — ٤٢ . وتروى القصيدة أيضا لابن مقبل ، ولقحيف العقيلى ، ولحكم الخضرى .

(٤) المستوهل : الفزع . وفى الديوان : « دون برذعتى » .

(٥) اغترزت : وضعت رجلى فى الغرز . وهو الركاب ، ركاب الرحل . والنضو : البعير الذى أنضاه السفر . الحمول : الإبل . معقول : مشدود بالعقال ، وإنما لم يحلل عقاله دهشا وفزعا . وفى الأصل : « اغتورت » ، تحريف .

(٦) انظر عيون الأخبار (١ : ١٦٥) .

(٧) انظر (٣ : ٢٦٦ / ٥ : ١٨) . وفى الأصل : « الزكوانى » تحريف .

(٨) الطرف : الفرس الكريم الطرفين . والمشكول : المشدود بالشكال ، وهو العقال تشد به قوائم الدابة .

فرسه وهو مشكولٌ ثم يركبه ويحثُّه بالسَّوط ، ويضربُه بالرِّجل ، فإذا رآه لا يُعطيه ما يريدُ نزَل فأحْضَرَ على رِجايه ، ومِنْ وهَل الجُبان أن يُذْهَل عن موضع الشِّكال فى قوائم فرسه[1] . وربّما مضى باللِّجام إلى عَجْب ذنبه[2] . وهو قوله : « يجعل الخَيْلَ كالسُّفين » لأنّ لجام السفينة الذى يغمزها به والشِّكالَ[3] هو [فى] الذَّنَب .

وقال سهلُ بن هارون الكاتب فى المنهزِمَة من أصحاب ابن نهيك[4] بالنَّهروان[5] من خيل هَرْثمة بن أعْيَن[6] :

يُخيِّلُ للمهزومِ إفراطُ رَوْعِـه
بأنّ ظهورَ الخيلِ أدنَى من العَطَبْ

لأنّ الجُبْنَ يُريه أنّ عَدْوَه على رِجله أنجى له ؛ كأنّه يرى أنّ النَّجاة إنّما تكونُ على قدر الحمل للبدن .

١٤٧

---

(١) فى الأصل : « فى قوائمه » ، والوجه ما أثبت من س .

(٢) العجب ، بالفتح : أصل الذنب . ط ، ه : « عجم ذنبه » ، صوابه من س .

(٣) أى ما هو للسفينة بمنزلة اللجام والشكال . ط ، ه : « والسكان » ، وسكان السفينة : ما تسكن به وتمنع من الحركة والاضطراب .

(٤) ابن نهيك : هو على بن محمد بن عيسى بن نهيك قائد محمد الأمين . وكان محمد قد عقد نحوا من أربعمائة لواء لقواد شتى ، وأمر على جميعهم على بن محمد بن عيسى ابن نهيك ، وأمرهم بالمسير إلى هرثمة بن أعين ، فساروا فالتقوا بجللتا ، على أميال من النهروان ، فهزمهم هرثمة ، وأسر على بن محمد بن عيسى بن نهيك وبعث به هرثمة إلى المأمون ، وزحف هرثمة فنزل النهروان . انظر الطبرى (٩ : ١٧٢) .

(٥) فى الأصل : « النهروان » .

(٦) هرثمة بن أعين قائد عباسى ولاه الرشيد مصر ثم أفريقية ، ثم عقد له على خراسان . ثم قاد الجيوش للمأمون أيام الفتنة ثم حبسه حتى مات سنة ٢٠٠ . النجوم الزاهرة والطبرى فى حوادث سنة ٢٠٠ .

وقال آخر [١] حِينَ اعْتَلَّ عَلَيه قومُه [٢] فى القتال بالوَرع :

كأنّ ربَّك لم يَخْلقْ لِخَشيتِه سِواهُمُ مِنْ جَميعِ النّاس إنسانَا

وقال آخر [٣] :

كأنّ بلادَ الله وهى عريضةٌ على الخائفِ المطلوبِ كِفّة حَابِل [٤]

وقال الشّاعر [٥] :

يروِّعه السِّرارُ بكُلِّ أرضٍ مخافة أنْ يكونَ به السِّرارُ

وأنشدنى ابن رُحَيم القَراطيسىّ الشاعر [٦] ورمى شاطِراً بالجُبن ، فقال :

رأى فى النّــوم إنساناً فوارَى نَفْسَهُ شهرَا [٧]

ويقولون فى صفة الحديد إذا أرادُوا أنّه خالص : فمن ذلك قول هِمْيان :

* يمشُون فى ماء الحديدِ تنكُّبا [٨] *

---

(١) هو قريط بن أنيف العنبرى ، وكان ناس من بنى شيبان قد أغاروا عليه فأخذوا ثلاثين بعيرا . فاستنجد قومه فلم ينجدوه . انظر أول حماسة أبى تمام .

(٢) ط : « جنى فاعتل عليه قومه » ، س ، ه : « حين اعتل على قومه » ، والصواب ما أثبت .

(٣) هو عبد الله بن الحجاج ، أحد الخارجين مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان . ولما قتل عبد الملك بن مروان عمرا خرج مع نجدة بن عامر الحنفى ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير ، فكان معه إلى أن قتل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكرا ، واحتال عليه حتى أمنه . وقد قال الشعر التالى فى هربه حين ضاقت عليه الأرض من شدة الطلب . انظر الأغانى (١٢ : ٢٤ - ٢٦) .

(٤) سبق البيت مع قرين له فى (٥ : ٢٤٠ - ٢٤١) . وانظر الكامل ٥٠٨ ومجموعة المعانى ١٣٨ .

(٥) هو بشار كما سبق فى (٥ : ٢٤١) .

(٦) ه : « ابن رحم القراطيهى ، الشاعر » .

(٧) س ، ه : « أشهر » .

(٨) التنكب : المشى فى شق على انحراف ، وهو من صفة المتطاول الجائر . انظر اللسان (٢ : ٢٧١ - ٢٧٢) .

وقال ابنُ لَجَإٍ [1] .

* أخضر من ماءِ الحديد جمجم [2] *

وقال الأعشى فى غير هذا :

وإذا مَا الأَكَسُّ شبه بالأرْ وق عند الهيجَا وقَلَّ البُصاقُ [3]

وقال الأعشَى :

إذْ لاَ نُقَاتِـل بالعِصِـــىِّ ولا نُرامِى بالحِجـارَه [4]

وقال الأخطَل :

وما تَرَكَتْ أســيافُنا حِينَ جُرِّدَتْ

لأعدائنا قيسِ بنِ عيلان من عُذْرِ

وأنشد الأصمعىُّ [للجعدىّ [5]] :

وبنــو فزارة إنَّهـــا لا تُلْبِثُ الحَلَبَ الحلائبْ [6]

(١) هو عمر بن لجأ ؛ سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٩/٢ : ٢١٢) وفى ط ، س : « ابن نجا » ﻫ : « ابن لحاء » ، صوابهما ما أثبت .

(٢) كذا . ولعله : « خضم » أو « مصمم » ، وهو القاطع .

(٣) الأكس : القصير الأسنان الصغيرها ، يقابله الأروق ، وهو الطويلها . يقول : كلح الأكس من شدة الحرب فبدت أسنانه عند العبوس ظاهرة كأنها أسنان الأروق . ومثل هذا المعنى فى قول القائل :

إذا ما كان كس القوم روقا وحالت مقلتا الرجل البصير

انظر المخصص (١ : ١٠١) واللسان (كسس ، روق) . والبصاق إنما يقل عند الفزع . س : «الأكش» ، تحريف . وفى الأصل : « بالأزرق » ، محرف . وانظر ديوان الأعشى ١٤٤ طبع جاير .

(٤) فى ديوانه ص ١١٥ : « لسنا نقاتل » ، وفى س ، ﻫ : « تقاتل » و « ترامى » محرفتان .

(٥) التكملة من س . وهذه النسبة كذلك فى اللسان (١ : ٣١٩) .

(٦) فى الأصل : « الحلاب » . والحلاب ، بالكسر : اللبن ، وما يحلب فيه . ولا وجه له ، وصواب إنشاده من اللسان ومما يقتضيه التعليق .

يقول[١] : لا تُلْبِثُ الحلائِبَ[٢] حَلَباً حتى تَهْزِمَهُمْ[٣] .

(السَّنْدل)

وأمّا قوله :

٤٣ « وطائر يسبح فى جَاحِمٍ كماهِرٍ يسبَحُ فى غَمْرِ »

فهذا[٤] طائرٌ يسمَّى سَنْدل[٥] ، وهو هِنْدِىّ ، يدخل فى أتون النّار ويخرج ولا يحترق له ريشة[٦] .

(ذكر مالا يحترق)

وزعم ثُمامة أنّ المأمون قال : لو أخذ إنسانٌ هذا الطُّحلب الذى ١٤٨ يكون على وجْه الماء ، فى مناقع المياه ، فجفَّفه فى الظلّ وألقاه فى النّار لَمَا كان يحترق[٧] .

---

(١) ط : « يقولون » ، صوابه فى س ، هـ .
(٢) الحلائب : جمع حلوبة ، وهى ما يحلب من النوق . ط ، س : « حلاب » صوابه فى هـ .
(٣) أى تهزم الأعداء .
(٤) فى الأصل : « هذا » .
(٥) السندل : لغة فى السمندل ، وقد سبق الكلام عليه فى (٢ : ١١١ / ٥ : ٣٠٩) قال الدميرى : « السندل هو السمندل » . وقال ابن منظور : « والسندل طائر يأكل البيش عن الحائط » ، صوابه : « عن الجاحظ » . وفى الأصل : « سنهبيل » تحريف .
(٦) كلمة : « ويخرج » ليست فى س . وفى هـ : « ولا تحترق له ريشة » .
(٧) ط : « ما ألقاه فى النار وكان يحترق » ، هـ : « فجففه فى الظل أنه كان لايحترق » ، وصواب العبارة من س . وقد سبقت هذه القصة فى (٥ : ٣١٠) .

وزعموا أنّ الفلفل لا يضرُّه الحرق ، ولا الغرَق . والطَّلَق لا يصير جمراً أبداً[1] . قال : وكذلك المَغْرة[2] .

فكأنّ هذا الطائر في طباعه وفي طباع رِيشه مزَاجٌ من طِلاء النّفاطين[3] . وأظنُّ هذا من طَلَق وحَفَا[4] ومَغْرة .

وقد رأيْت عُوداً يُؤْتَى به من ناحية كِرْمان لا يحترق . وكان عندنا نَصرانيٌّ في عنقه صليبٌ منه ، وكان يقول لضُعفاء النّاس : هذا العود من الخشبة التي صُلِب عليها المسيح ، والنّار لا تعمل فيها . فكان يكتسب بذلك[5] ، حتّى فُطن له وعُورِض بهذا العُود .

(الماهر)

وأمّا قوله :

* كماهِرٍ يَسبحُ في غَمْرٍ[6] *

---

(١) في ط ، س : « ولا الطلق ولا يصير جمرا أبدا » تحريف . وفي هـ : « ولا الطلق لا يصير جمرا أبدا » .

(٢) المغرة ، بالفتح : طين أحمر يصبغ به . وفي الأصل : « الحمرة » تحريف .

(٣) أي ما يتطلى به النفاطون ، وهم العاملون في استخراج النفط .

(٤) الحفأ : البردي . وفي الأصل : « وحطى » محرفة . ومما يمهد لتصحيف كلمة « حفأ » بكلمة « حطى » أن يخطىء الكاتب فيرسمها مسهلة بالياء . والبردي لا تعمل فيه النيران ، كما سبق في (٥ : ٨٣ س ٥ — ٦) .

(٥) ط ، هـ : « يكسب بذلك » ، وأثبت ما في س . والكسب والاكتساب : طلب الرزق . وقد مضى هذا الكلام بعبارة أخرى في (٥ : ٣١٠) .

(٦) ط : « سبح في غمر » ، صوابه في س ، هـ .

فالماهر هو السَّابح الماهر . [وقال الأعشى :

مِثلَ الفرَاتِيِّ إذا ما طَمَا يقذِفُ بالبُوصِيِّ والماهِرِ[1]]

وقال الربيع بن قَعْنَب[2] :

وتَرَى المـاهِرَ فى غَمْرَتِه مِثْلَ كلْبِ الماءِ فى يومٍ مَطِرْ[3]

(لطعة الذئب ، وصنعة السرفة والدبر)

وأمّا قوله :

٤٤ « ولَطْعَةَ الذِّئب على حَسْوِهِ وصَنْعَةَ السُّرْفَة والدَّبْرِ[4] »

قال : فإنّ الذِّئب يأتى الجمل الميِّت[5] فيُفضى بغَمغَمته[6] ، فيعتمِدُ على حجاج عينه[7] فيلْحَسُ عَينَــه بلسانه حَسْياً[8] ؛ فكأنّما قُوِّرت عينه تقويراً ؛ لِمَا أُعطِىَ من قوَّة الرَّدَّة[9] . وردُّه لسانَه أشــدُّ مَرًّا

---

(١) التكملة من س ، هـ . والفراتى : عنى به ماء الفرات . س : « العراتى » هـ : « الفراتى » ، صوابهما ما أثبت من الديوان ص ١٠٥ ، واللسان (بوص) والخزانة (٢ : ٤١ — ٤٢ بولاق) . والبوصى : ضرب من السفن ، فارسى معرب ، وقد يفسر بأنه الملاح . لـكن أصله الفارسى يرجح تفسيره الأول . وهو فى الفارسية « بوزى » كما فى المعرب ٥٤ واستينجاس ٢٠٦ . وقد فسره بقوله . ' A boat, Skiff ' أى قارب ، أو زورق عريض القاع . وقبل البيت :

ما يجعل الجد الظنون الذى جنب صوب اللجب الماطر

(٢) الربيع بن قعنب الفزارى ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٢٥ ، وروى أبو الفرج فى (١١ : ١٣٩) مهاجاة بينه وبين أرطاة بن سهية . وقد سبقت ترجمة أرطاة فى (٣ : ٣٩١) .

(٣) المطر : ذو المطر ، ومثله « المطير » . ط ، س : « مطير » ، وأثبت ما فى هـ .

(٤) هـ : « على حسوة » .

(٥) هـ : « الحمل الميت » .

(٦) أى يفضى إليه وهو يغمغم . ط ، س : « فيقبض » ، هـ : « فيقضى » بالقاف .

(٧) الحجاج : العظم المستدير حول العين . ط ، هـ : « حجاجى » تحريف .

(٨) ط ، هـ : « عنه » س : « منه » والوجه ما أثبت . وفى س ، هـ : « حاسيا » .

(٩) الردة : المرة من الرد ، أى ترديد لسانه فى لحسه . وفى الأصل : « الودة » .

فى اللَّحم والعَصب[١] من لِسان البقَر فى الخلَى[٢] . فأمَّا عضَّته ومصَّته فليس يقعُ على شيء عظماً كان أو غيرَه إلاَّ كان له بالغا بلا معاناةٍ ، من شدّة فكَّيه .

ويقال : إنّه ليس فى الأرض سبعٌ يَعضُّ على عظمٍ إلاَّ ولكسْرته[٣] صَوْتٌ بين لَحييه ، إلاّ الذئب ؛ فإنّ أسنانَه توصَف بأنّها تبرِى العظمَ بَرْى السَّيفِ المنعوت بأنّ ضربتَه من شِدّة مُرورها فى العظم ، ومِن[٤] قلّة ثبات العظْم له ، لا يكونُ له صوت . قال الزُّبير بن عبد المطَّلب[٥] :

ويُنْبِي نَخْـــوةَ المختال عَنِّى
غَموضُ الصَّوتِ ضَرْبَتُه صَمُوتُ[٦]

ولذلك قالوا فى المثل : « ضربه ضربةً فكأنما أخطَأَهُ » ؛ لسرعة المرِّ ؛ لأَنّه لم يكن له صوت . وقال الرَّاجز فى صفة الذِّئب[٧] :

---

(١) ط : « مراق اللحم والعصب » ، س ، هـ : « مراق اللحم والعصب » والوجه ما أثبت .

(٢) الخلى ، مقصورة : الرطب من النبات ، واحدته خلاة . وقد رسمت الكلمة فى الأصل بالألف ، وهى يائية .

(٣) س : « إلا وتكسر » ، تحريف . والكلام بعدها إلى كلمة « من شدة » التالية ساقط من س .

(٤) فى الأصل : « من » ، والكلام مفتقر إلى الواو .

(٥) سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٩٣) حيث أنشد البيت وفسر .

(٦) ط ، س : « وينهى » هـ : « وسهى نحوه » ، صوابه ما أثبت من (٤ : ٢٩٣) .

(٧) انظر البيان (١ : ١٥١) والكامل ٢٠٨ وجمهرة العسكرى ١٩ ومحاسن البيهقى (٢ : ١١٩) وديوان المعانى (٢ : ١٣٤) . وقد اتفقت المراجع على أن الرجز فى صفة ذئب . وانفرد البيهقى بقوله : ونظر أعرابى إلى صياد فقال » .

أطلس يخفى شخصَه غُبارُه[١] ... في شِدْقِه شَفْرته ونارُه[٢]

وسنأتي على صفة الذئب ، في غير هذا البابِ[٣] من أمره في موضعه إن شاء الله تعالى .

وأمّا ذِكر صَنْعة السُّرْفة والدَّبْر[٤] ، فإنّه يعني حكمتها في صنعة بيوتها[٥] ، فإنّ فيها[٦] صنْعَةً عجيبةً .

(سمع القُراد والحِجر)

١٤٩ وأمّا قوله :

٤٤ « ومَسْمَع القِرْدَان في مَنْهَلٍ ... أعجبُ ممّا قيل في الحِجْرِ »

فإنهم[٧] يقولون : « أسمَعُ مِنْ فَرَسٍ » ، ويجعلون الحِجْر فرساً بلا هاء ، وإنّما يعنون بذلك الحِجْر ، لأنها أسمع[٨] .

قال : والحِجْر وإن ضُرِبَ بها المثل[٩] ، فالقُرَادُ أعْجَبُ منها ،

---

(١) الأطلس : ما لونه الطلسة ، وهي غبرة إلى سواد . وقد أراد أنه يسرع العدو فيثير من الغبار ما يخفى شخصه . كلمة « شخصه » ساقطة من س ، ه . وفى ط : « عينه » صوابه من جميع المراجع .

(٢) الشفرة : السكين العريضة العظيمة . على أنه قد استغنى بأنيابه عن معالجة مطعمه بالشفرة ثم بالنار . وفى الأصل : « صفرته » ، تحريف .

(٣) ط ، ه : « وعلى غير هذا الباب » .

(٤) الدبر ، بالفتح والكسر : النحل .

(٥) س : « البيوت »

(٦) س : « لها » .

(٧) ط : « لأنهم » ، صوابه في س ، ه .

(٨) ط : « فانه » ، ه : « لأنه » صوابه في س .

(٩) في الأصل : « به المثل » والوجه ما أثبت . وهم يبالغون في صفة سمع الفرس حتى ليقولون إنه يسقط منه الشعر فيسمع وقعه على الأرض . انظر شروح سقط الزند (١ : ٧٧ طبع دار الكتب) . وأمثال الميداني (١ : ٣١٨) .

لأنها تكون في المَنهَل فتموج ليلةَ الوِرْد ، في وقتٍ يكونُ بينها وبين الإبل التي تريد الورودَ أميالٌ . فتزعمُ الأعرابُ أنها تسمعُ رغاءها وأصوات أخفافها ، قبلَ أنْ يسمعَها شيء .

والعرب تقول : « أسمَعُ مِنْ قُرَاد » . وقال الرَّاجز :

* أسمع مِنْ فَرْخِ العُقابِ الأسحمِ (١) *

(ما في الجمل من الأعاجيب)

وأمَّا قوله :

٤٨ « والمقْرَم المعْـلِم ما إن له مَرارةٌ تُسْمَـعُ في الذِّكْرِ

٤٩ وخَصيةٌ تنصُلُ من جَوفِه عِنْدَ حُدُوث الموتِ والنَّحْرِ (٢)

٥٠ ولا يَرَى بعـدَهما جازرٌ شِقشِقـةً مائلـة الهَـدْرِ (٣) »

فهذا بابٌ قد غلِط فيه مَن هو أعْنَى (٤) بتعرُّف أعاجيب ما في العالَم من بِشْر .

ولقد تنازعَ بالبَصرة ناسٌ ، وفيهم رجلٌ ليس عندنا [بالبصرة (٥)] أطيَبُ منه (٦) ، فأطبقوا جميعاً على أنَّ الجملَ إذا نُحِرَ وماتَ فالتُمست خُصْيته وشقشقتُه أنهما لا توجدان . فقال ذلك الطيِّب (٧) : فلعلَّ مرارةَ الجمل أيضاً

(١) سبق في (٤ : ٢٤٥) .
(٢) س : « وخصية تبطل » ، هـ : « وخضيته تنطل من جوفه » ، تحريف .
(٣) أي بعد الموت والنحر . س : « بعدها » .
(٤) يقال عنى بالشيء : بالبناء للمفعول ، وهذه لا يكون منها التفضيل . ويقال أيضاً عنى بالشيء وفيه ، بوزن رمى ورضى . فمن هذين يصح التفضيل . انظر اللسان (١٩ : ٣٤٠) .
(٥) التكملة من س .
(٦) أطيب ، من الطيب ، وهو المزح والفكاهة .
(٧) ط ، هـ : « الطبيب » ، ووجهه من س .

كذلك ، ولعلّه أن تكون له مرارة ما دام حيًّا ، ثمّ تبطل عند الموت والنّحر .
وإنّما صرنا نقول : لا مرارَةَ له ، لأنّا لا نصلُ إلى رؤية المرارة إلاّ بعد أن
تفارقَه الحياة . فلم أجد ذلك عمِلَ فى قلبى ، مع إجماعهم على ذلك ، فبعثْت
إلى شيخٍ من جزَّارِى باب المغيرة فسألته عن ذلك ، فقال : بلى لعمرى إنهما
لتوجدان[1] إن أرادهما مريد . وإنّما سمعت العامَّة كلمةً ، وربّما مزَحْنا بها ،
فيقول [أحدنا[2]] : خُصية الجمل لا توجد عند مَنْحَره ! أجلْ والله ما توجَدُ
عند منحره ، وإنما توجد فى موضعها[3] . وربّما كان الجمل خياراً جيّداً
فتلحق خصيتاه[4] بكليتَيه ، فلا توجدان[5] لهذه العلّة . فبعثت إليه رسولا :
إنّه ليس يَشفينى إلاَّ المعاينة. فبعث إلىَّ بعدذلك بيومٍ أويومين مع خادمى نَفِيس ،
بشقشِقةٍ وخُصية.

ومثل هذا كثيرٌ قد يغلط فيه مَن يشتدُّ حرصُه على حكاية الغرائب ،

(ما فى الفرس والثور من الأعاجيب)

وأمَّا قوله :

١٥٠ ٥١ « وليس للطِّرْفِ طِحالٌ وقد أشـاعَهُ العـالِمُ بالأمر

٥٢ وفى فُؤَادِ الثَّورِ عَظْمٌ وَقَدْ يعرِفُه الجازِرُ ذُو الخـبر »

---

(١) س : « ليوجدان » .

(٢) التـكملة من س .

(٣) المنحر : موضع النحر ، وهو أيضا مصدر ميمى من النحر .

(٤) فى الأصل : « خصيته » ، والوجه التثنية .

(٥) ط ، ه : « يوجدان » .

وليس عندى فى الفَرَس أنّه لا طِحال له ، إلاّ ما أرى فى كتاب الخيل لأبى عبيدة[1] والنَّوادر لأبى الحسن ، وفى الشِّعر لبشر . فإن كان جوفُ الفرَس كَجَوف البرذَون ، فأهلُ خُراسان من أهل هذا العسكر[2] ، يذبحون فى كلِّ أسبوع عِدَّة براذين .

وأمَّا العظم الذى يوجَد فى قلب الثَّور[3] فقد سمعنا بعضهم يقول ذلك ، ورأيتُه فى كتاب الحيوان لصاحب المنطق .

(أعجوبة السمك)

وأمَّا قوله :

٥٣ « وأكثرُ الحيتان أعجوبةً ما كان منها عاشَ فى البَحْر

٥٤ [إذ لا لسانٌ سُــقى ملحه ولا دماغ السمك النهرى[4]] »

فهو كما قال ، لأنّ سمك البحر كلّه ليس له لسانٌ ولا دِماغ .

(القواطع من السمك)

وأصنافٌ من حِيتان البحْر تجئ فى كلِّ عام ، فى أوقاتٍ معلومةٍ ، حتَّى تدخل دِجلة ، ثم تجوز إلى البطاح . فمنها الأشبور[5] ، ومنها البرَسْتوك[6]

(١) ذكر المستشرق الفاضل سالم كرنكو فى تعليقه على كتاب الخيل لأبى عبيدة ١٧٨ أن الجاحظ نقل هذا النص من كتاب آخر لأبى عبيدة فى الخيل سماه « كتاب الديباجة » .

(٢) ط ، هـ : « فى أهل هذا العسكر » .

(٣) هـ : « وجدوا » ، ط : « ربما وجد » ، والصواب من س .

(٤) تكملة يقتضيها السياق .

(٥) انظر (٣ : ٢٥٩) . وفى ط ، هـ : « الأشبور » س : « الأشول » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) انظر ماسبق من التحقيق فى (٣ : ٢٥٩) . وفى الأصل : « البرسول » ، تحريف .

ووقته[1] ومنها الجُوَاف[2] ووقته[1] . وإنما عرفتْ هذه الأصناف بأعيانها وأزمانها لأنها أطيبُ ذلك السَّمك . وما أشكّ أنّ معها أصنافاً أُخر يَعلَم منها أهلُ الأُبلّة مثلَ الذى أعلم أنا من هذه الأصناف الثلاثة .

(كبد الكوسج)

وأمّا قوله :

٥٨ « وأكبُدٌ تَظْهَر فى ليلِها ثمّ تَوارى آخرَ الدهر

٥٩ ولا يُسيغ الطُّعمَ ما لم يكنْ مِزاجُه ماءً على قدْر

٦٠ ليس له شىءٌ لإزْلاقه
سوى جِرابٍ واسعِ الشَّجْر[3] »

فإنّ سمكا يقال له الكوسج غليظ الجلد ، أجرد ، يشبه الجِرّىّ ، وليس بالجِرّىّ ، فى جوفها[4] شحمةٌ طيّبة ، فإن اصطادُوها ليلا وجدوها وإن اصطادوها نهاراً لم يجدوها . وهذا الخبر شائعُ فى الأُبُلّة ، وعند جميع البحريّين ، وهم يسمُّون تلك الشَّحمة الكبد[5] .

وأما قولهم : السَّمكة لا تسيغ طعمَها إلاّ مع الماء ، فما عند بِشْرٍ ولا عندى إلاّ ما ذكر صاحبُ المنطق . وقد عجِبَ بشرٌ من امتناعها من بلْع الطَّعم ، وهى مستنقعة فى الماء[6] ، مع سعة جِرابٍ فيها .

---

(١) كذا جاءت هذه الكلمة .

(٢) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٢٥٩) . وفى الأصل : « الجراف » ، محرف .

(٣) ط : « لازلاقه » ، تحريف . والشجر، بفتح الشين وسكون الجيم : مفرج الفم . ط : « السحر » س ، هـ : « الشحر » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) س : « جوفه » .

(٥) انظر ص ٣٦٤ — ٣٦٥ .

(٦) استنقع فى الماء : ثبت فيه . وفى الأصل : « منقعة » ، تحريف .

والعرب تسمِّى جوفَ البئر من أعلاه إلى قعرِه جراب البئر .

وأمَّا ما سوى هذه القصيدةِ فليس فيها إلاّ ما يُعرَف ، وقد ذكرناه في موضعٍ غيرِ هذا من هذا الجزء خاصَّة .

(الضبع)

وسنقول في باب الضّبع والقنفذ والحرقوص والورَل وأشباهِ ذلك ما أمكن[1] إنْ شاء الله تعالى .

قال أبو زياد الكلابيّ : أكلتِ الضّبع شاةَ رجلٍ من الأعراب ، فجَعل يخاطبُها ويقول : ١٥١

ما أنا يا جَعارِ من خُطّابِكْ عليَّ دَقُّ العُصْل من أنيابكْ[2]

* عَلَى حِذَا جُحْرِكِ لا أهابُكْ *

جَعَارِ : اسمُ الضبع ؛ ولذلك قال الشاعر[3] :

يأيُّها الجَفْر السَّمين وقَومُه هَزْلَى تجرُّهُمُ ضِباعُ جَعَارِ[4]

ثم قال الأعرابيّ :

ما صَنَعَتْ شاتى التى أكلْتْ مَلأْتَ مِنْها البَطْنَ ثُمَّ جُلْتْ

* وخُنْتِنِي وبِئْسَ ما فَعَلْتْ *

* * *

---

(١) ط ، هـ : « مما أمكن » .

(٢) العصل : جمع أعصل وعصلاء ، وهى الملتوية .

(٣) فى الأصل : « الراجز » .

(٤) الجفر : العظيم الجفرة وهى بالضم ، ما يجمع البطن والجنبين . وفى الأصل : « الجعر » تحريف . هزلى : جمع هزيل . ط : « هزلان » س ، هـ : « هزلن » ، صوابهما ما أثبت . وضباع جعار يعنى أولادها . وفى الأصل : « نحوهم ضباع جعار » صوابه « تجرهم » . وسيأتى فى ص ٤٤٩ : « خذينى فجرينى جعار » .

قالت له : لا زلت تَلْقى الهَمَّا وأرسـل الله عَلَيكَ الحُمَّى
لقد رَأَيْت رجلاً معمّاً

* * *

قال لهـا : كذبتِ يا خَباثِ قد طالما أمسيْتُ فى اكتراثِ [1]
أكلتِ شاةَ صبيةٍ غِرَاثِ

* * *

قالت له والقولُ ذو شُجونِ : أسهَبْتَ فى قولك كالمجنونِ
أمَا وربِّ المرْسَلِ الأمينِ لأفْجَعَنْ بِعَـيرِكَ السَّمينِ [2]
وأمِّـهِ وجَحشِه القَرين حَتَّى تـكونَ عُقْلَةَ العُيُونِ

* * *

قال لهـا وَيْحَكِ حذِّريني [3] واجتهدى الجهد وواعديني [4]
وبالأَمـانىِّ فعـلِّليني لَأَقْطَعَنَّ مُلتَقى الوتينِ
مِنْكِ وأشفى الهمَّ مِنْ دَفِينِي فصـدِّقيني أو فـكذِّبيني
أو اتركى حَقِّى وما يَليني إذًا فشلَّتْ عنـدها يَميني
تعرَّفى ذٰلِكِ باليَقينِ

* * *

(١) الاكتراث : الحزن ، اكترث له : حزن .

(٢) العير : الحمار . ط : « بعترك » س ، ﻫ : « بعنزك » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) ﻫ : « وجرديني » .

(٤) ﻫ : « وأعديني » .

قالت : أبالقتلِ لنا تهدَّدَ وأنت شيخٌ مُهْتَرٌ مفنَّدُ[١]
قولُكَ بالجُبْنِ عليكَ يشهدُ منك وأنت كالذى قد أعهَدُ

* * *

قال لهـا : فأبشِرِى وأبشرى إذا تجردتُ لشأنى فاصبرى[٢]
أنتِ زعمتِ قد أمنتِ منكرى أحلفُ باللهِ العَلِيِّ الأَكبر ١٥٢
يمين ذى ثُرية لم يكفَر[٣] لأخْضِبَنَّ منكِ جَنْبَ المنحَر
برَمْيةٍ من نازِعٍ مذَكّرٍ[٤] أو تتركين أحْمَـرِى وبَقرِى

* * *

فأقبلَتْ للقـــدَر المقـــدّر فأصبحَتْ فى الشَّرَكِ المزعفَرِ
مكبوبةً لوَجْهِها والمنخرِ والشَّيخُ قد مالَ بغربِ مِجْزَرِ[٥]
ثمّ آشتوى من أحمرٍ وأصفرِ منها ومقدورٍ وما لم يُقْدَرِ[٦]

---

(١) المهتر : الذى فقد عقله من الكبر وصار خرفا . ط ، س : « عثر » ﻫ : « عتر » وليس لهما وجه . والمفند : الذى كثر كلامه من الخرف ، يكثر خطؤه لذلك فيفنده الناس .

(٢) ط ، ﻫ : « لشاق » .

(٣) س : « ذى قرية » .

(٤) النازع : الذى ينزع فى القوس ، أى يجذب وترها بالسهم . ط ، ﻫ : « من بارع » .

(٥) الغرب : الحد . والمجزر : آلة الجزر . وفى الأصل : « بقرب مجهر » .

(٦) المقدور : ما طبخ فى القدور ، ومثله القدير .

(جلد الضبع)

وقال الآخر [1] :

يا ليتَ لى نَعلَينِ من جِلد الضَّبُعْ   وشُرُكاً من آستِها لا تَنْقَطِعْ [2]

* كُلَّ الحذاءِ يحتذِى الحافى الوَقعْ [3] *

وهذا يدلُّ على أنّ جلدَها جلدُ سَوء .

وإذا كانت السَّنةُ جَدبةً تأكلُ المـال ، سمّتها العربُ الضّبع .

قال الشّاعر [4] :

أبا خُراشَةَ أمَّا كُنْتَ ذا نفَرٍ   فإنّ قَوْمِيَ لم تأكلْهم الضّبعُ [5]

(تسمية السنة الجدبة بالضبع)

وقال عُمير بن الحباب [6] :

---

(١) هو أبو المقدام ، واسمه جساس بن قطيب ، كما فى اللسان (وقع) . وانظر البيان (٣ : ١٠٩) والقالى (١ : ١١٥) وجمهرة الأمثال ٢٢٠ والميدانى (٢ : ٧٤) والعقد (١ : ٨٠ ، ٢٧٠) وشرح ابن الأنبارى للقصائد السبع ٥٦٤ .

(٢) الشرك : جمع شراك ، وهو سير النعل . فى الأصل : « لا ينقطع » ، صوابه من البيان وسائر المراجع .

(٣) الوقع : الذى مشى فى الوقع ، بالتحريك ، وهى الحجارة ، فحفيت رجله . قال الأزهرى : « معناه أن الحاجة تحمل صاحبها على التعلق بكل شىء قدر عليه » . وجعله صاحب العقد مضربا لمن ابتلى بشىء مرة فخافه أخرى .

(٤) هو العباس بن مرداس السلمى . انظر الخزانة (٢ : ٨٠ بولاق) وسيبويه (١ : ١٤٨) وشرح شواهد المغنى ٤٣ واللسان (ضبع) .

(٥) يخاطب أبا خراشة خفاف بن ندبة الصحابى . يقول : لست أعز نفرا منى .

(٦) هو عمير بن الحباب بن جعدة بن إياس بن حزابة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج ابن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم . شاعر إسلامى قتلته بنو تغلب يوم سنجار . انظر معجم المرزبانى ٢٤٥ . وإياه يعنى الأخطل بقوله :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر   بقتلى أصيبت من سليم وعامر

انظر الأغانى (١١ : ٥٨) .

فبشِّرِى القَيْنَ بطَعْنٍ شَرْجِ[1] يشبعُ أولادَ الضباعِ العُرْجِ
ما زال إسدائى لهمْ ونَسْجِى حَتّى اتّقَوْنى بظُهُورٍ ثُبْجِ[2]
* أَرَيْنَنَا يَوْماً كيوم المَرْجِ[3] *

(مما قيل من الشعر فى الضباع)

وقال رجلٌ من بَنى ضَبَّة[4] :

يا ضَبُعاً أكلت آيارَ أحْمِرةٍ ففى البطون وقد راحَتْ قراقيرُ[5]
ما منكم غير جِعْلانٍ بِمَمْدَرةٍ دُسْمُ المرافِق أنذَالٌ عَواويرُ[6]
وغيرُ هَمْزٍ ولمزٍ للصَّديق ولا تَنْكِى عدوَّكُم منكم أظافيرُ
وإنَّكم ما بَطِنْتُم لم يزلْ أبداً مِنكم على الأقربِ الأدنى زنابيرُ[7]

---

(١) القين ، يعنى به الفرزدق .
(٢) الثبج : جمع أثبج ، وهو الأحدب . ط : « شج » هـ : « شبج » ، صوابهما فى س .
(٣) هـ : « البرج » تحريف . وهو يعنى مرج الكحيل ، لامرج راهط . وقد أبلى فيه عمير بلاء حسنا . وفى ذلك يقول زفر بن الحارث (انظر الأغانى ١١ : ٥٦) :
فلو نبش المقابر عن عمير فيخبر عن بلاء أبى الهذيل
غداة يقارع الأبطال حتى جرى منهم دما مرج الكحيل
(٤) نسبه فى اللسان (أير) إلى جرير الضبى . وانظر المخصص (١٨ : ١٠٩) .
(٥) ضبعا ، بفتح الضاد . حمله على الجنس فأفرده . ورواه أبو زيد فى النوادر ٨٦ : « ضبعا » بضمتين . ويروى : « يا أضبعا » . وانظر المخصص (٨ : ٦٩) وسيبويه (٢ : ١٨٦) واللسان (ضبع) .
(٦) الجعلان ، بالكسر : جمع جعل . والممدرة ، بكسر الميم وفتحها : موضع فيه طين حر . وفى الأصل : « ممدة » ، صوابه من اللسان (أير) ، ففيه : « هل غير أنكم جعلان ممدرة » . والعواوير : جمع عوار ، بضم العين وتشديد الواو ، وهو الجبان . وفى الأصل : « غوارير » محرف .
(٧) بطن : شبع وامتلأ من الطعام امتلاء شديدا . والناس إذا شبعوا أشروا وسعى بعضهم إلى بعض بالسلاح . وإنما يغيرون فى الخصب لا فى الجدب . قال :
يا ابن هشام أهلك الناس اللبن فكلهم يسعى بقوس وقرن

وأنشد :

القومُ أمثالُ السِّباع فانشَمِر[1] فمنهمُ الذِّئب ومنهم النَّمِرْ

* والضَّبُع العَرجاءُ واللَّيث الهصِرْ[2] *

١٥٣ وقال العلاجم :

معاورِ حلباته الشخص أعم[3] كالذِّيخ أفنى سِنّه طول الهرمْ

وأنشد :

فجاوز الُحرض ولا تشمِّمه[4] لسابغ المِشفر رحبٍ بلعمه[5]

سالت ذفاريه وشاب غلصمُه[6] كالذِّيخ فى يومٍ مُرشٍّ رِهَمه[7]

= وقال :

قوم إذا نبت الربيع لهم نبتت عداوتهم مع البقل

انظر تنبيه البكرى على أمالى القالى ١٨ - ١٩ . وفى الأصل : « بطشتم » ، تحريف . والزنابير : عنى بها الأذى والشر والغارة . وفى الأصل : « دنابير » والوجه ما أثبت .

(١) يحذره ويحرضه على الأعداء . وفى الأصل : « ألغوه » .

(٢) الهصر ، بضم ففتح ، وبفتح فكسر ، هو الشديد الغمز .

(٣) كذا ورد محرفا .

(٤) الحرض ، بالضم : شجر الأشنان ، وهو من الحمض . ولا تشممه ، هى لاتشممه بالجزم ثم أتى حركة الهاء على ما قبلها ، كما قال الآخر :

يا عجبا والدهر جم عجبه من عنزى سبنى لم أضربه

(٥) السابغ : الطويل . ط ، ه : « لسائغ » س : « بسامع » تحريف . البلعم والبلعوم : مجرى الطعام فى الحلق . ه : « ملغمه » .

(٦) الذفارى : جمع ذفرى ، وهو الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن . وسالت الذفرى استطالت وعرضت . أو سالت : عرقت . س : « شالت » وفى الأصل : « دفاريه » محرفتان . والغلاصم : جمع غلصمة ، وهى اللحم الذى بين الرأس والعنق . وهذا الجمع فى هذا المعنى لم أجده فى المعاجم ، لكن فى اللسان « ابن السكيت : إنه لفى غلصمة من قومه أى فى شرف وعدد . قال أبو النجم :

أبى لجيم واسمه ملء الفم فى غلصم الهام وهام الغلصم »

(٧) الذيخ ، بالكسر : ذكر الضباع . والمرش : الذى يأتى بالرش ، وهو -

يقول : وبَرُ لَحيِيها كثيرٌ كأنّه شعر [ذِيخ[1]] قد بلّه المطر . وأنشد :

لما رأينَ ماتِحاً بالغَرْب[2] تَخَلَّجَتْ أشداقُها للشُّربِ[3]

تَخْليجِ أشداقِ الضِّباع الغُلْبِ[4]

يعنى من الحرص والشَّرَه . وتمثّل ابنُ الزُّبير[5] :

خُـذِينى فَجُرِّينى جَعارِ وأبشِرى

بلحْمِ امرئٍ لم يَشْهَد اليومَ ناصرُه[6]

= المطر القليل . والرهم : جمع رهمة ، بالكسر ، وهى المطر الضعيف الدائم الصغير القطر . س : « فالذيخ » ، تحريف . ط ، س : « مرس » هـ : « مدمس » ، صوابهما ما أثبت .

(١) تكملة يقتضيها الكلام .

(٢) الماتح : المستقى من أعلى البئر . والغرب : الدلو العظيمة ، والضمير فى « رأين » للإبل وف . وفى الأصل : « لما رأيت قائما » تحريف .

(٣) التخلج : التحرك والاضطراب . هـ : « تحلجت » . وقال ابن الأثير فى التحلج : إن أصله من الحلج ، وهو الحركة والاضطراب .

(٤) هـ : « تحليج » ، وانظر التنبيه السابق . والغلب : جمع أغلب وغلباء ، وهو الغليظ الرقبة . وفى الأصل : « القلب » تحريف .

(٥) فى الكامل ٤٣١ : « وقال عبد الله بن الزبير لما أتاه قتل مصعب بن الزبير : أشهده المهلب بن أبى صفرة ؟ قالوا : لا ، كان المهلب فى وجوه الخوارج . قال : أفشهده عباد بن الحصين الحبطى ؟ قالوا : لا . قال : أفشهده عبد الله بن خازم السلمى ؟ قالوا : لا . فتمثل عبد الله بن الزبير فقال » ... البيت . وقد نقل هذه القصة الميدانى فى (١ : ٤٢١) . وروى الطبرى فى (٧ : ١٨٥) أن الذى تمثل بهذا البيت هو عبد الله بن خازم . وفهم الشنقيطى فى حواشى المخصص أن ابن خازم هو قائل الشعر ، وإنما هو تمثل منه بالشعر .

(٦) جعار ، كقطام : اسم للضبع ، لكثرة جعرها . ط : « ضباع » س ، هـ : « الضباع » ، صوابهما ما أثبت . لم يشهد : لم يحضر . ورواية صدره فى اللسان (جعر) والمخصص والكامل والميدانى :

* فقلت لها عيثى جعار وجررى *

هـ : « فحرينى » محرفة . س : « فجربنى » و « ... فأبشرى » . ورواية اللسان : « لم يشهد القوم » . والبيت محرف فى التمثيل والمحاضرة ٣٥٧ .

وإنّما خصَّ الضِّباع ؛ لأنّها تنبش القُبور ، وذلك من فَرط طَلَبها للحوم النَّاسِ إذا[1] لم تجدْها ظاهرة . وقال تأبَّط شرًّا[2] :

فلا تَقْبُرُونِى إنَّ قَبْرِى مُحَرَّمٌ ... عليكمْ ولكن خامِرِى أمَّ عامِرِ[3]

إذا ضَرَبُوا رأسِى وفى الرَّأْسِ أكْثَرِى ... وغُــودر عِنــد الملتقَى ثَمَّ سائرى[4]

هُنالِكَ لا أبْغِى حياةً تسرُّنى ... سَمِيرَ اللّيالِى مُبْسَلاً بالجَرائرِ[5]

(إعجاب الضباع بالقتلى)

قال اليقطرى : وإذا بقى القتيلُ بالعَراء انتفخ أيره[6] ؛ لأنّه إذا ضربت عنقه يكون منبطحاً على وجهه ، فإذا انتفخ انقلب ، فعند ذلك تجىء الضّبع فتركبُه فتقضى حاجتَها ثمَّ تأكله .

---

(١) ط ، س : « إذا » صوابها فى هـ .

(٢) كذا . وإنما الشعر للشنفرى الأزدى قاله فى قصة رواها أبو الفرج فى (٢١ : ٨٩) وابن قتيبة فى مقدمة الشعراء ٢٦ . وانظر العقد (١ : ٥٣ / ٤ : ٢١٩) والأزمنة والأمكنة (١ : ٢٩٣) — وفيها نسبة البيت الأخير إلى تأبط شرا — والحماسة (١ : ١٨٨) والمخصص (١٣ : ٢٥٨) والمقاييس (خمر) .

(٣) رواية الحماسة والأغانى : « أبشرى أم عامر » . وقد نقد صاحب العقد رواية « خامرى أم عامر » بقوله : « وهذا اللفظ بعيد من المعنى » .

(٤) العقد : « إذا حملت » . وفى (٤ : ٢١٩) منه : « إذا نزعوا » . الحماسة : إذا احتملوا » ، الأغانى : « إذا احتملت » ، الشعراء : « إذا حملوا » .

(٥) العقد أيضا : « لا أبغى » ، وفى سائر المصادر : « لا أرجو » . سمير الليالى : أى آخر الدهر . العقد والحماسة والأغانى : « سجيس الليالى » أى أبدا . والمبسل : المسلم ؛ أبسلته بجريرته : أسلمته بها .

(٦) ط ، هـ : « وانتفخ » ، والواو مقحمة .

وكانت مع عبد الملك جارية شهِدَت معه حربَ مُصعَب ، فنظرت إلى مصعبٍ وقد انقلَبَ وانتفخ أيره وورم وغَلظ ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما أغلظَ أُيورَ المنافقين !

فلطمها عبد الملك .

(حديث امرأة وزوجها)

ابنُ الأعرابى : قالت امرأةٌ لزوجها ، وكانت صغيرة الرَّكَب ، وكان زوجُها صغير الأير : ما للرّجل فى عِظَم الرَّكَب منفعة ، وإنّما الشّأن فى ضِيق المدخَل ، وفى المصِّ والحرارة ، ولا ينبغى أن يلتفت إلى ما ليس مِن هذا فى شىء . وكذلك الأير ، إنّما ينبغى أن تنظر المرأةُ إلى حَرِّ جِلدته ، وطيب عُسَيلته[1] ، ولا تلتفت إلى كِبَره وصِغَره[2] . وأنعظ الرجُل على حديثها إنعاظاً شديداً ، فطمع أن ترَى أيرَه فى تلك الحال عظيما ، فأراها ١٥٤ إيَّاه ، وفى البيت سِراجٌ ، فَجَعل الرَّجلُ يشير إلى أيره ، وعينُها طامحةٌ إلى ظلِّ أيره فى أصْل الحائط[3] ، فقال : يا كذابة ، لشدَّة شهوتك فى عظم ظلِّ الأير لم تفهمى عَنِّى شيئاً ! [قالت[4]] : أما إنَّكَ لو كنتَ جاهلاً كان أنعَمَ لبالك ! يا مائق ، لو كان منفعةُ عِظَم الأير كمنفعة عِظَم الرَّكَب لما طمَحَتْ عينى إليه[5] . قال الرجل : فإنَّ للرَّكَب العظيم حَظًّا فى العَين ، وعلى ذلك تتحرَّك له الشَّهوة . قالت : وما تصنَع بالحركة ، وشكٍّ يؤدِّى

---

(١) العسيلة : كناية عن حلاوة الجماع ، وفى الحديث : « حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك » . ط : « عسلته » س ، هـ : « غسلته » ، محرف .

(٢) س : « إلى كبر وصغر » .

(٣) أصل الحائط : أسفله . وفى الأصل : « ظل الحائط » .

(٤) التكملة من س ، هـ .

(٥) ط فقط : « عينك إليه » .

إلى شكّ ؟ الأير إنْ عَظُم فقد ناك جميعَ الحِرِ ، ودخَل فى تلك الزّوايا التى لم تزل تنتظمُ من بعيد ، وغيرِها المنتظمِ دونَها ، وإذا صغُر ينيكُ ثُلث الحِرِ ونصفَه وثلثيه . فمَنْ يسرُّه أن يأكل بثُلث بطْنه ، أو يشرب بثُلث بطنه ؟

قال اليقطرى : أمكنَها واللهِ مِنَ القول ما لم يمكنه .

(حديث معاوية وجاريته الخراسانية)

وقال : وخلا معاوية بجاريةٍ له خراسانيّة ، فلما همَّ بها نظر إلى وصيفةٍ فى الدّار ، فترك الخراسانيّة وخلا بالوصيفة ثمَّ خرج فقال للخراسانيّة : ما اسم الأسد بالفارسيَّة ؟ قالت : كَفْتار[1] . فَخرج وهو يقول : ما الكَفتار ؟ فقِيلَ له : الكَفتار الضّبع . فقال : مالها قاتلَها الله ، أدركَتْ بثأرها ! والفُرْسُ إذا استقبحت وجه الإنسان قالت : رُوىِ كَفْتَار ، أى وجه الضبع .

(كتاب عمر بن يزيد إلى قتيبة بن مسلم)

قال : وكتب عمر بن يزيد بن عمير الأسيِّدىّ إلى قتيبة بن مسلم ، حين عزل وكيع بن سُودٍ عن رِياسة بنى تميم ، وولاَّها ضِرار بن حسين الضّبى : « عزَلْتَ السِّباعَ وولَّيت الضِّباع » .

---

(١) كفتار ، بفتح الكاف بعدها فاء ساكنة فتاء . وفسرها استينجاس فى ص ١٠٣٧ بقوله : « A hyena » أى الضبع . وكذا وردت فى كتاب السامى فى الأسامى للميدانى المتوفى سنة ٥١٨ وهو معجم عربى فارسى منه ثلاث نسخ بالمكتبة التيمورية . انظر ص ٢٣٦ من النسخة رقم ٢٤ . وفى الأصل : « كنعان » فى المواضع الأربعة من هذا النص ، تحريف . وأما الأسد فهو بالفارسية « شير » .

(شعر فيه ذكر الضبع)

وأنشد لعبّاس بن مِرداسٍ السُّلميِّ :

فلو ماتَ مِنهمْ مَنْ جَرَحْنا لأصْبحتْ
ضباعٌ بأكناف الأراك عرائسا[1]

[و[2]] قال جريبة بن أشْيَمَ[3] :

فمَنْ مبلغٌ عنِّى يساراً ورافعاً وأسلم إنَّ الأوهنين الأقاربُ[4]

فلا تدفِننِّى فى ضَرًا وادْفِنَنّنى بديْمُومَةٍ تنزو علىَّ الجنادِبُ[5]

وإنْ أنتَ لم تعقرْ علىَّ مطيّتِى فلاقام فى مالٍ لكَ الدّهْرَ حالبُ[6]

فلا يأكلنِّى الذِّئبُ فيما دفنتنى ولا فُرْعُلٌ مثل الصَّريمة حَاربُ[7]

---

(١) عرائس : جمع عروس . يشير إلى ما يكون من الضباع من ولوعها بركوب القتلى . والبيت من قصيدة فى الأصمعيات ٢٠٤—٢٠٧ .

(٢) هذا الحرف من س ، هـ .

(٣) هو جريبة — بالجيم الموحدة مصغرا — ابن الأشيم بن عمرو بن وهب بن دثار ابن فقعس الأسدى ثم الفقعسى ، كان أحد شياطين بنى أسد وشعرائها فى الجاهلية ثم أسلم . ط ، هـ : « خراشة بن أشيم » ، س : « خرشة بن أشيم » صوابهما ما أثبت . انظر المؤتلف ٧٧ والإصابة ١٢٨٠ .

(٤) ط : « الأوهيين » س ، هـ : « الأوهين » ، ووجهه ما أثبت .

(٥) الضرا : مقصور الضراء ، بالفتح ، وهو الشجر الملتف فى الوادى . ط : « صرى » س ، هـ : « صرا » ، والوجه ما أثبت . والديمومة : الفلاة .

(٦) كانوا فى الجاهلية يعقرون عند القبر مطية ، ويسمون تلك العقيرة البلية ، ويزعمون أن الناس يحشرون يوم القيامة ركبانا على البلايا ، ومن لم يكن له بلية حشر ماشيا . انظر اللسان (١٨ : ٩٢) . وفى هذا المعنى يقول جريبة بن الأشيم أيضا مخاطبا ولده — وأنشده الشهرستانى فى الملل (٣ : ٢٣٠) :

لا تتركن أباك يعثر راجلا فى الحشر يصرع لليدين وينكب
ولعل لى مما تركت مطية فى القبر أركبها إذا قيل اركبوا

(٧) فيما دفنتنى ، لعلها : « إما دفنتنى » . والفرعل بضم الفاء وسكون الراء وضم العين المهملة : ولد الضبع . ط : « فرغل » س ، هـ : « فوعل » صوابهما ما أثبت . والصريمة : الليل ، شبهه به لسواده . والحارب : السالب .

أَزَلُّ هَلِيبٌ لا يزال مآبطاً إذا ذربت أنيابُه والمخالبُ[1]

وأنشد :

تركُوا جارَهُمُ تأكلـهُ ضَبُعُ الوادِى وترميه الشَّجرْ

١٥٥ يقول : خذَلوه حتّى أكله ألأم السِّباع ، وأضعفها . وقوله : وترميه الشَّجر ، [يقول : حَتّى[2]] صار يرمِيه من لا يرمى أحداً .

(بقية الكلام فى الضبع)

وقد بقى من القَول فى الضّبُع ما سنكتبه فى باب القول فى الذئب[3] .

(الحرقوص)

وأمّا الُحرقوص فزعموا أنّه دويْبَّة أكبر من البُرغوث ، وأكثرُ ما ينبت له جناحان بعد حينٍ ، وذلك له خير[4] .

وهذا المعنى يعترِى النّمل — وعند ذلك يكون هلاكه — ويعترى الدَّعاميصَ إذا صارت فَرَاشاً ، ويعترى الِجعلان .

والُحرقوص دويْبَّة عضُّها أشـدُّ من عضِّ البراغيث . وما أكثر

(١) الأزل : الأرسح الصغير العجز . والهليب ، من الهلب ، وهو كثرة الشعر . ولم أجد هذا الوصف فى المعاجم . « مآبطا » كذا وردت فى ط ، وفى ﻫ : « مابطا » وفى س ، « ماءبطا » ولعلها : « مبالطا » ، والمبالطة : المجاهدة والمجالدة . ﻫ : « إذا دربت » س : « إذا دريت » .

(٢) كلمة : « يقول » ليست فى الأصل .وأثبت كلمة « حتى » من س ، ﻫ .

(٣) لم يفرد الجاحظ فيما سيأتى بابا للذئب . وقد يكون عدل عن هذه العدة بتأليفه كتاب « الأسد والذئب » .

(٤) ﻫ : « عير » س : « عد » ، وأثبت ما فى ط . ولعله يقابل هذا بما يكون من هلاك النمل فى مثل تلك الحالة .

ما يَعَضُّ أحراحَ النساء والخُصَى . وقد سمِّى بحرقوص [من] مازنٍ[١] أبو كابية بن حُرقُوص ، قال الشّاعر :

أنتم بنِى كابيةَ بن حُرقُوصْ[٢] كلهمُ هامَتُه كالأُفْحُوصْ[٣]

وقال بشرُ بن المعتمر ، فى شعره المزاوج[٤] ، حين ذكر فضلَ علىٍّ على الخوارج ، وهو قوله :

ماكان فى أسلافهم أبو الحسنْ[٥] ولا ابنُ عبَّاسٍ ولا أهلُ السُّنَنْ

غُرٌّ مصابيحُ الدُّجَى مَناجِبُ أولئك الأعلامُ لا الأعارِبُ

كمثلِ حُرْقوصٍ ومَنْ حُرْقوصُ فَقْعةُ قاعٍ حَولَها قَصيصُ[٦]

ليس من الحَنظل يُشْتارُ العَسَلْ[٧] ولا من البُحورِ يُصطادُ الورَلْ

هيهاتَ ما سافلةٌ كعالِيَه ما مَعدِنُ الحكمة أهلَ الباديَهْ

قال : والحرقوص يسمى بالنُّهيك[٨] . وعضَّ النُّهيكُ[٩] ذلك الموضعَ من امرأةٍ أعرابىٍّ فقال :

---

(١) أى من قبائل بنى مازن . وكلمة « من » ليست فى الأصل . و « مازن » جاءت فى ط ، هـ بالراء المهملة ، تحريف . وفى الاشتقاق ١٢٥ : « فمن قبائل بنى مازن حرقوص » . ثم قال : « فمن قبائل الحرقوص بنو معاوية . . . وبنو كابية » .

(٢) س فقط : « بنو كابية » .

(٣) أفحوص القطاة : مبيضها . وهو مثل فى الصغر ، يهجوهم بصغر هاماتهم .

(٤) ط ، هـ : « المراوخ » صوابه فى س .

(٥) ط ، هـ : « ما كان من » هـ : « إسلامهم » وهذه محرفة .

(٦) وهم بشر فى جمع فقع على فقعة بالفتح ، أو فى ظنه أنها مفرد الفقع . وإنما يقال للأبيض الرخو من الكمأة فقع بالفتح والكسر ، ويجمعان معا على فقعة بوزن عنبة . وهذا مثل يضرب للرجل الذليل ، وذلك لأن الدواب تنجل الفقع بأرجلها . والقصيص : جمع قصيصة ، وهى شجرة تنبت فى أصلها الكمأة .

(٧) اشتيار العسل : استخراجه . يقال شاره شورا وأشاره واشتاره واستشاره .

(٨) هـ : « الهنيك » س « بالهنيك » ، صوابهما بتقديم النون كما أثبت .

(٩) س ، هـ : « الهنيك » تحريف .

وما أنا لِلحُرقوص إنْ عَضَّ عَضةً لها بَيْنَ رِجلَيها بِجِدٍّ عَقُورِ[١]

تَطِيب بنَفْسِي بعدَ ما تستفزُّني مَقَالتُها إنَّ النُّهيكَ صَغِيرُ[٢]

والذين ذهبوا إلى أنَّه البرغوث نفسُه قالوا : الدَّليل على ذلك قول الطِّرِمَّاح :

ولو أنّ حُرقوصاً على ظَهْرِ قَمْلة يَكرُّ على صَفَّىْ تميمٍ لوَلّتِ[٣]

قالوا : ولو كان له جناحانِ لما أركبه ظَهْر القملة . وليس في قول الطِّرِمَّاح دليلٌ على ما قال .

وقال بعضُ الأعراب ، وعضَّ الحرقوص خُصيتَه[٤] :

لقدْ مَنَعَ الحراقيصُ القَرَارَا فلا ليلًا نَقَرُّ ولا نَهارَا[٥]

يُغالِبْنَ الرِّجالَ على خُصاهم وفي الأحراحِ دَسًّا وانجِحارا[٦]

وقالت امرأةٌ تَعْني زوجَها[٧] :

[يغارُ من الحرقوصِ أنْ عَضَّ عَضةً

بفخذَيَ منها ما يَجُذُّ ، غيورُ[٨]

---

(١) في الأصل : « وما أنا والحرقوص » ، صوابه من اللسان (نهك) والمخصص (٨ : ١١٩) . وفي الأصل : « بجد عقور » صوابه فيهما .

(٢) س : « يطيب بنفسي » ، ورواية اللسان والمخصص : « تطيب نفسي » .

(٣) رواية الصناعتين ٣٥٠ وحماسة ابن الشجري ١٢٦ : « ولو أن برغوثا على ظهر قملة » . س : « على ظهر نملة يكون على ضفني تميم » ، تحريف . هـ : « على صفقى » ، محرفة .

(٤) في نهاية الأرب (١٠ : ٣٠٥) : « خصيتيه » .

(٥) قر يقر ، بالفتح والكسر : ثبت وسكن . وفي الأصل : « يقر » تحريف .

(٦) الانجحار : أصله الدخول في الجحر . س : « انحجارا » ، تحريف .

(٧) ط ، هـ : « تغر » ، تحريف . وفي نهاية الأرب : « تشير إلى زوجها » .

(٨) غيور ، فاعل يغار ، تعني به زوجها . وهذا البيت من نهاية الأرب .

لقد وقَعَ الُحرقوصُ مِنِّى موقِعاً أرَى لَذّةَ الدُّنيا إليه تصير

وأنشدوا لآخر :

بَرَّحَ بى ذُو النُّقطتين الأملسُ يَقْرُصُ أحياناً وحينا ينهَسُ[1]

فقد وصفَه هذا كما ترى . وهذا يصدِّق قول الآخر ، ويردُّ على من جعل الحراقيص من البراغيث . قال الآخر :

يَبيت بالّليل جوّاباً على دَمِثٍ ماذا هُنالك من عَضِّ الحراقيصِ[2]

(الورل)

وسنقول فى الورَل بما أمكنَ من القول إن شاء الله تعالى . وعلى أنّا قد فرَّقنا القولَ فيه على أبوابٍ قد كتبناها قبل هذا .

قالوا : الورَل يقتل الضَّبَّ ، وهو أشدُّ منه ، وأجودُ سلاحاً وألطفُ بدناً . قالوا : والسَّافِد منها يكون مهزولا[3] وهو الذى يَزِيف إلى الإنسان[4] وينفخ ويتوعَّد .

قال[5] : واصطدت منها واحداً فكسرت حجراً ، وأخذتُ مَرْوةً

(١) س : « يعرض » ، هـ : « ينهش » ، محرفتان .

(٢) الدمث : اللين السهل ، يعنى به الأحراح والخصى . وفى الأصل : « رمث » تحريف .

(٣) ط : « والسافر منا يكون مسرورا » ، هـ : « والسافر منا يكون مسرولا » ، والوجه ما أثبت من س .

(٤) زاف يزيف فى مشيته : تبختر ، أو أسرع فى تمايل . وفى الأصل : « يريف » بالمهملة ، تحريف .

(٥) يبدو أن هنا نقصا فى الكلام ، وأن هنالك قائلا غير الجاحظ .

فذبحته بها[١] ، حتّى قلت قد نخعته[٢] . فاسبطرَّ لحِينِه[٣] فأردت أن أصغىَ إليه وأشرْتُ بإبهامى فى فيه[٤] ، فعضَّ عليها عضةً اختلعَت أنيابَه[٥] ، فلم يخلِّها[٦] حتّى عضضْت على رأسِه .

قال : فأتيتُ أهلى فشققْتُ بطنَه ، فإذا فيها[٧] حيّتان عظيمتان إلّا الرّأس .

قال : وهو يشدخ رأسَ الحيَّة ثمّ يبتلعُها فلا يضرُّه سُمُّها . وهذا عنده أعجب ما فيه . فكيف لو رأى الحوَّائين عندنا ، وأحدُهم يُعطَى الشيءَ اليسير ، فإن شاء أكل الأفْعى نِيًّا[٨] ، وإن شاء شِواءً ، وإن شاء قَديداً ، فلا يضرُّه[٩] ذلك بقليلٍ ولا كثير .

وفى [الورَل[١٠]] أنه ليس شىءٌ من الحيوان أقوَى على أكل الحيّات وقتلها منه[١١] ، ولا أكثر سفادا ، حتى لقد طمّ فى ذلك على التَّيس[١٢] ، وعلى الجمل ، وعلى العُصفور ، وعلى الخِنزير ، وعلى الذِّبَّانِ[١٣] فى العدد ، وفى طُول المكث .

---

(١) المروة : واحدة المرو ، وهو حجر أبيض براق يجعل منه المظار : يذبح بها .

(٢) نخعه : جاوز منتهى الذبح ، فأصاب نخاعه . هـ : « نجمته » ، تحريف .

(٣) اسبطر : امتد . ط ، س : « فاسبط لحيته » ، صوابهما فى هـ .

(٤) ط فقط : « فى فه » .

(٥) فى الأصل : « اختلفت » .

(٦) لم يخلها : أى لم يخل الإبهام ، والإبهام مؤنثة وقد تذكر . س : « فلم يحلها » .

(٧) ط ، س : « فى قانصته » ، وإنما القانصة للطائر . وأثبت ما فى هـ .

(٨) نيا ، بالكسر : لم ينضج . والأفعى يذكر ويؤنث . وفى المخصص (١٦ : ١٠٥) : « الأفعى تقع على المذكر والمؤنث » .

(٩) س : « ثم لا يضره » .

(١٠) هذه من س .

(١١) س : « تقتل الحيات وأكلها » .

(١٢) طم : زاد وغلب .

(١٣) ط فقط : « الذباب » .

وفيه أنه لايحتفر لنفسه بيتاً ، ويغتصب كلَّ شيء [بيتَه[١]] ؛ لأنها أىَّ جُحر دخَلتْه[٢] هربَ منه صاحبُه . فالورَل يغتصب الحيَّة بيتَها[٣] كما تغتصب الحيَّةُ بيوت سائر الأحناش[٤] والطير والضَّب .

وهو أيضا من المراكِب[٥] . وهو أيضاً مما يُستطاب ، وله شَحمة ، ويَستطيبون لحمَ ذنبه . والورل دابَّة خفيفُ الحَركة[٦] ذاهبا وجائيا ، ويمينا وشمالا . وليس شيء بعد العَظَاءة[٧] أكثر تلفُّتا منه وتوقفا .

(زعم المجوس فى العظاءة)

وتزعم المجوس أنَّ أهْرِمن[٨] ، وهو إبليس ، لمَّا جلس فى مجلسه فى أوَّل الدهر ليقسِّم الشرَّ والسُّموم — فيكون ذلك عُدَّةً على مناهضة صاحب الخير إذا انقضى الأَجل بينهما[٩] ، ولأنَّ من طباعه أيضاً فعلَ الشر على كلِّ حال[١٠] — كانت العظاءة[١١] آخِرَ من حَضَر ، فحضَرَتْ وقد قسم السمَّ كلَّه ، فتداخلها الحسرةُ والأَسف . فتراها إذا اشتدّت وقفَتْ وِقْفَةً ١٥٧

(١) التكملة من س .

(٢) ط ، هـ : « دخلت » .

(٣) ط ، هـ : « نفسها » ، صوابه فى س .

(٤) س : « الأجناس » .

(٥) أى مراكب الجن . انظر ما سبق فى ص ٤٦ .

(٦) س : « خفيفة الحركة » .

(٧) ط ، هـ : « العظاة » ، س : « القَطاة » ، والوجه ما أثبت .

(٨) انظر ما سبق فى (٤ : ٢٩٦) .

(٩) ضربت الملائكة — فيما يقول الكيومرثية — لأهرمن أجلا قدره سبعة آلاف سنة ثم يخلى العالم ويسلمه ليزدان إله الخير . انظر الملل (٢ : ٧٣ — ٧٤) .

(١٠) ط ، س : « على حال » .

(١١) فى الأصل : « العظاة » ، تحريف .

تذكُّرٍ لما فاتَها من نصيبها من السُّم ، ولتفريطها فى الإبطاء حتى صارتْ لاتسكن إلّا فى الخرابات والحُشُوش[1] ؛ لأنها حين لم يكن فيها من السمّ شىءٌ لم تطلبْ مواضعَ الناس كالوزَغةِ التى تسكنُ معهم البيوت ، وتـكرَع فى آنيتهم الماءَ وتمجُّه ، وتُزاقُّ الحيَّات وتهيِّجها عليهم . ولذلك نفرت طباعُ النَّاس من الوزَغة ، فقتلوها تحت كلِّ حجر ، وسلمت منهم [العظاءَة تسليما منهم[2]] . ولم أر قولاً أشدَّ تناقضاً ، ولا أموق من قولهم هذا ؛ لأنّ العظاءة لم يكن ليعترِيَها من الأسف على فوت السمّ على ما ذكروا [أوَّلا[3] إلّا وفى طبعها من الشَّرَارة[4] الغريزيَّة أكثرُ ممَّا فى طبع الأفعى .

(شعر فيه ذكر الورل)

قال الرَّاجز فى معنى الأوَّل :

يا وَرَلًا رَقْرَقَ فى سَرَابِ أكانَ هذا أول الثَّوَاب

قال : ورقرقتُه : سُرعتُه ذاهباً وجائيا ويميناً وشمالا .

قال أبو دُؤاد[5] الإيادىّ ، فى صفة لسان فرسه :

عَنْ لسان كَجُثَّة الورَل الأحْـــمَر مَجَّ الثَّرَى عليه العَرارُ[6]

وقال خالد بن عُجْرة :

---

(١) الحشوش : جمع حش ، بالضم ، وهو بيت الخلاء .

(٢) هذه من س ، ه . وكلمة « العظاءة » وردت بدون همزة فيهما .

(٣) هذه من س فقط .

(٤) الشرارة : مصدر شر يشر شرا وشرارة . ه : « الشره » تحريف .

(٥) س : « أبو داود » تحريف .

(٦) الثرى : الندى . س : « السرى » ه : « مح السدى » ، صوابهما فى ط . والعرار ، بالفتح : نبت طيب الريح ، وقد سبق البيت فى (١ : ٢٧٢) . وروى فى اللسان (ورل) منسوبا إلى عدى بن الرقاع . وفيه : « كجثة الورل الأصفر »

[كأنّ لسانه ورلٌ عليه ، بِدارِ مَضِنّةٍ ، مَجُّ العرارِ[1]]

ووصف الأصمعىُّ حمرته فى بعض أراجيزه[2] ، فقال :

فى مَغرٍ ذى أضرُسٍ وصَكٍّ[3] يعرج[4] منه بعد ضيق ضَنْكِ

(فروة القنفذ)

قد قلنا فى القُنفذ ، وصنيعِه فى الحيَّات و [فى[5]] الأفاعى خاصَّة ، وفى أنه من المراكب[6] ، وفى غير ذلك من أمره ، فيما تقدم هذا المكانَ من هذا الكتاب[7]

ويقول من نزَع فروته[8] بأنها مملوءة شحيمة[9] . والأعراب تستطيبُ أكله ، وهو طيِّب للأَرواح[10]

---

(١) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأكلته مما سبق فى الجزء الأول .

(٢) ط ، س : « حواقى » ، هـ : « حواق » ، والوجه ما أثبت .

(٣) المغر : المصبوغ بالمغرة وهو صبغ أحمر . ط ، هـ : « فى قمر » س : « فى معر » ، صوابهما ما أثبت . ط : « دن » بدل : « ذى » . وفى الأصل : « ضرس » .

(٤) لعلها : « يفرج » .

(٥) هذه من س .

(٦) انظر ما سبق فى ص ٤٦ .

(٧) ط : « فيما تقدم فى هذا الكتاب » هـ : « فيما تقدم هذا المكان » ، وأثبت ما فى س .

(٨) س : « ويقولوه » س ، هـ : « من نزعت » ، صوابهما فى ط .

(٩) شحيمة : ذات شحم . وفى الأصل : « شحمة » ، محرفة .

(١٠) كذا فى الأصل .

(شعر فى القنفذ)

والقنفذ لايظهر إلا بالليل ، كالمستخفى ، فلذلك شبه به[١] ، قال أيمن ابن خُريم[٢] :

كقنفذ الرَّمل لاتخفى مدارِجُه خَبٌّ إذا نام عنْهُ النّاسُ لم يَنَم[٣]

وقال عَبْدَة بن الطبيب :

قوم إذا دَمَسَ الظّلامُ عليهمُ حَدَجُوا قَنافِذَ بالنّمِيمة تَمْزَعُ[٤]

وقال[٥] :

شَرَيْتَ الأُمور وغالَيْتُها فأوْلَى لَكُمْ يا بَنِى الأعرجِ[٦]

تدبُّون حول رَكِيَّاتِكُمْ دَبِيبَ القنافِذِ فى العَرْفَجِ[٧]

وقال الآخر فى غير هذا الباب :

١٥٨ كأنّ قِيراً أو كُحيلا ينعصرْ[٨] ينحطُّ من قَنفذِ ذِفراه الذّفِرْ[٩]

---

(١) أى يشبه به النمام والمداخل والدسيس ، كما سبق فى (٤ : ١٦٦) .

(٢) وكذا جاءت النسبة فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٤) . وقد تقدمت ترجمة أيمن فى ص ٣١٨ . ﻫ : « خزيم » تحريف . وفى (٤ : ١٦٨) نسبته إلى الأودى .

(٣) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع .

(٤) سبق البيت مع غيره فى (٤ : ١٦٦ — ١٦٧) . فى الأصل : « خرجوا قنافذ بالنيمة تمرع » ، تحريف .

(٥) روى البيت الثانى فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٤) منسوبا إلى جرير ، ولم أجده فى ديوانه .

(٦) فى الأصل : « شربت » . غاليتها : أنفقت فيها ثمنا غاليا . س : « عاينتها » .

(٧) س : « يدبون » . والركيات : جمع ركية : وهى البئر . وفى الأصل : « من حول ركيانسكم » ، صوابه من ديوان المعانى .

(٨) القير ، بالكسر : شىء أسود تطلى به الإبل . ط ، ﻫ : « سرا » س : « بترا » بالإهمال ، والوجه ما أثبت . والكحيل ، بالتصغير : طلاء للإبل الجرب .

(٩) قنفذ الذفرى : مسيل العرق من خلف أذنى البعير . والذفر ، بالذال المعجمة : الخبيث الريح . وفى الأصل : « الزفر » تحريف .

وقال عبّاس بن مِرداس السُّلَمِىّ ، يَضرب المثَلَ به وبأذنيه في القلّة والصِّغَر :

فإنَّك لم تك كابن الرَّشيدِ ولكنْ أبوك أبو سَالِمِ
حَمَلْتَ المنير وأثقالها على أذنى قنفُذٍ وارِمِ(١)
وأشبهْتَ جَدَّكَ شرَّ الجدودِ وَالعِرْقَ يَسْرِى إلى النَّائمِ(٢)

وأنشدنى [أبو الرُّدينىّ(٣)] الدَّلْهُ(٤) بن شهاب ، أحد بنى عوف ابن كنانة ، من عُكل ، قال : أنشدنيه نفيع بن طارق(٥) فى تشبيه رَكَب المرأة إذا جَمَّمَ(٦) بجلد القنفذ :

عُلِّقَ من عنائه وشِقْوته وقد رأيتَ هَدَجاً فى مِشْيَتِه(٨)
وقد جلاَ الشَّيبُ عِذارَ لِحْيته(٩) بِنْتَ ثمانى عَشْرَةٍ من حِجَّتِه(١٠)
يَظُنُّها ظَنًّا بغير رُؤيتِه تمشى بجَهْمٍ ضِيقُهُ من هِمَّتِه(١١)

---

(١) المنير ، كذا جاءت فى ط ، هـ . وفى س : « الممر » بالإهمال . ولعلهما : « المثين » يعنى تطاول عمره .

(٢) ط ، س : « والعدو » هـ : « والعرو » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) التكملة من الخزانة (٣ : ١٠٥ بولاق) وقد صرح بالنقل من كتاب الحيوان .

(٤) ط ، س : « نديم » ، هـ : « بدهم » ، وأثبت ما فى الخزانة .

(٥) س : « أنشدنيه ابن طارق » .

(٦) جمم : ظهر فيه الشعر ولم يغزر . وأصله من الجميم ، وهو النبت الذى طال بعض الطول ولم يتم .

(٧) فى الأصل : « على من » ، صوابه فى الخزانة .

(٨) الهدج : مشية الشيخ .

(٩) جلاه : جعله واضحا أبيض . ط ، س : « جلى » ، الخزانة : « حكى » صوابهما ما أثبت .

(١٠) يستشهد به النحويون على إضافة النيف إلى العشرة . وفى الأصل : « عشر » تحريف .

(١١) ط ، س : « ليس بجهم » ، هـ : « يمسى بجهم » ، والوجه ما أثبت من الخزانة . أراد حراً جهما ذا عكن كالوجه الجهم . ضيقه من همته : أى إن حرها ضيق كضيق همته . ط ، هـ : « صفة من همته » ، س : « صنعة » ، محرفتان .

لم يُخْزِهِ اللهُ بِرُحْبِ سَعَتِه[١] جَمَّمَ بَعْدَ حَلْقِهِ ونورَتِه[٢]
كقنفذ القُفِّ اختَفَى فى فَرْوَتِه[٣] لا يبلغ الأيرُ بنزعِ رَهوته[٤]
ولا يكرُّ راجعًا بكرَّتِه كأنّ فيه وهَجاً من مَلَّته[٥]

(من تسمى بقنفذ)

ويتسمَّون بالقَنافذ . وذو البرة الذى ذكره عمرو بن كلثوم هو الذى يقال له : بُرة القُنفذ ، وهو كعب بن زهير ، وهو قوله :

وذو البُرَة الذى حُدِّثتَ عَنْه بهِ نُحْمَى وَنَشْفِى المُلْجَئِينَا[٦]

(كبار القنافذ)

ومن القنافذ جنس وهو أعظم من هذه القنافذ[٧] ؛ وذلك أنّ لها شوكاً كصَياصى الحاكة[٨] ، وإنما هى مدارَى قد سُخِّرَتْ لها وذلّت

(١) فى الأصل : « لم يجزه » ، صوابه فى الخزانة .
(٢) سبق تفسير التجميم قبل الرجز . وفى الخزانة : « حجم » ، وفسرها بقوله : « برز . . من حجم الرجل إذا فتح عينيه كالشاخص » . وقد ألجأ البغدادى إلى هذا التكلف نسخته من كتاب الحيوان . والنورة ، بالضم : مسحوق يطلى به فيذهب بالشعر . وفى الأصل : « بعد خلقه » ، وفى ط ، س : « وبزته » س : « وبرته » صوابهما ما أثبت .
(٣) القف ، بالضم : ما غلظ من الأرض وارتفع .
(٤) الرهوة : مستنقع الماء . والنزع ، مأخوذ من نزع الماتح بالدلو من البئر . هـ : « لا يبلغ الأير » س : « لا تبع الأير يمرع دهوته » . وفى الخزانة : « لا يقنع الأير بنزع زهرته » ، وأثبت ما فى ط .
(٥) الملة ، بالفتح : الرماد الحار والجمر .
(٦) رواية المعلقات : « وذا البرة » عطفا على المنصوب قبلها . وما هنا رفع على الاستئناف . الزوزنى : « ونحمى المحجرينا » ، التبريزى : « ونحمى الملجئينا » .
(٧) س : « جنس هو أعظمها » .
(٨) الصياصى : جمع صيصية ، وهى الشوكة التى يستعملها الحائك .

تلك المغارِز والمنابت ، ويكون متى شاء أن ينصل منها رمى به الشخصَ الذى يخافُه ، فَعلَا[١] حتّى كأنّه السهم[٢] الذى يخرجه الوتر .

ولم أر أشبه به فى الحذف من شَجر الخِرْوع ؛ فإنَّ الحبَّ إذا جفَّ فى أكمامه ، وتصدَّع عنه بعضَ الصَّدع ، حذف به بعضُ الغصون ، فربّما وقَع على قاب الرُّمح الطويل[٣] وأكثر من ذلك .

(تحريك بعض أعضاء الحيوان دون بعض)

والبرذون يسقُط على جلدِهِ ذبابةٌ فيحرِّك ذلك الموضعَ . فهذا عامٌّ فى الخيل . فأمَّا النَّاس فإن المخنَّث ربما حرَّك شيئاً من جسَده ، وأىَّ موضعٍ شاء من بدنه .

والكاعانى ، وهو اسم الذى يتجنَّن أو يتفالج فالج الرِّعدة والارتعاش ، فإنّه يحكى من صَرْع الشَّيطان ، ومن الإزباد ، ومن النَّفضة ، ما ليس ١٥٩ [يصدرُ[٤]] عنهما. وربما جمعهما فى نِقابٍ واحد[٥] ، فأراك الله تعالى [منه[٦]] مجنونا مفلوجا يجمع الحركتين جميعاً بما لا يجىء من طباع المجنون .

(حكاية الإنسان للأصوات وغيرها)

والإنسان العاقلُ وإن كان لا يحسُن يبنى[٧] كهيئة وَكْر الزُّنبور ، ونسج العنكبوت ، فإنّه إذا صار إلى حكاية أصوات البهائم وجميع الدوابّ

---

(١) فى ط ، هـ : « فعل » ، محرفة . والكلمة ساقطة من س .

(٢) ط ، هـ : « حتى كأنه يخرج كالسهم » .

(٣) قاب الرمح : قدره .

(٤) بمثلها يلتئم الكلام . والضمير فى « عنهما » لما فهم من يتجنن ويتفالج .

(٥) أى مرة واحدة . وأصل النقاب : البطن .

(٦) ليست فى الأصل .

(٧) حذف « أن » قبل الفعل . وقد سمع ، فقال البصريون : إنه شاذ . وذهب =

وحكاية العُمْيان والعُرْجان ، والفأفأة(١) ، وإلى أنْ يصوِّر أصنافَ الحيوان بيده ــ بَلَغ من حكايته الصُّورةَ والصوت والحركة مالا يبلغه المحكىّ .

(الحركات العجيبة)

وفى النَّاس من يحرِّك أذنَيه من بين سائر جسده(٢) ، وربما حرَّك إحداهما(٣) قبل الأخرى . ومنهم من يحرِّك شعر رأسه ، كما أنَّ منهم من يبكى إذا شاء ، ويضحَك إذا شاء .

وخبَّرنى بعضهم أنَّه رأى من يبكى بإحدى عينيه ، وبالتى يقترحُها عليه الغير .

وحكى المكىّ عن جَوارٍ باليمن ، لهنَّ قُرونٌ مضفورةٌ من شَعر رءوسهن(٤) وأنْ إحداهنَّ تلعب وترقُص على إيقاعٍ موزون ، ثمَّ تُشخِص قرناً من تلك القرون ، ثمَّ تلعب وترقص ، ثمَّ تُشخِص من تلك الضَّفائر المرصَّعة واحدةً بعد أخرى ، حتَّى تنتصب كأنها قرونٌ أوَابدُ(٥) فى رأسها .

فقلت له : فلعلَّ التَّضفير والترصيع أن يكون شديد الفتْل ببعض

= الكوفيون وبعض البصريين إلى القياس عليه : وأجازه الأخفش بشرط رفع الفعل . انظر همع الهوامع (٢ : ١٧) والإنصاف لابن الأنبارى ٢٣٢ – ٢٣٥ والتصريح شرح التوضيح (٢ : ٢٤٥) واللسان (ريث) والمغنى (٢ : ١٧٢) والرسالة للشافعى ١٦٨ ، ٧٣١ ، ١٧٣٢ والخزانة (٣ : ٦٢٣)

(١) هذه الكلمة ليست فى س .

(٢) كلمة « بين » ليست فى س .

(٣) ط ، هـ : « إحديهما » ، وألفه إنما هى ألف القصر لا التثنية .

(٤) س : « شعور رءوسهن » .

(٥) أوابد : منفردات . وأصل الأوابد الوحش . هـ : « وأبر » .

الغِسْل والتّلبيد[1] ، فإذا أخرجَتْه بالحركة التى تُثْبِتُها[2] فى أصل تلك الضفيرة شخَصت . فلم أره ذهبَ إلى ذلك ، ورأيته يحقّقه ويستشهد بأخيه .

(نوم الذئب)

وتزعمُ الأعرابُ أنّ الذّئب ينامُ بإحدى عينيه ، ويزعمون أنّ ذلك من حاقِّ الحذر[3] . وينشد[4] شعر حُمَيد بن ثَوْرٍ الهلالىّ ، وهو قوله :

يَنامُ بِإحدى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِى الـ ... ـمَنَايا بأُخْرَى فهو يَقظانُ هاجعُ[5]

وأنا أظنُّ هذا الحديث فى معنىَ ما مُدِح به تأبَّط شرًّا[6] :

إذا خَاط عينيه كَرَى النّوم لم يَزَلْ ... له كالئٌ من قلب شَيْحَانَ فاتكِ[7]

ويجعَـلُ عَيْنَيه رَبِيئَةَ قلْبِهِ ... إلى سَلّةٍ مِنْ حَدِّ أخْضَرَ باتكِ[8]

---

(١) الغسل ، بالكسر : ما يغسل به الرأس من خطمى وطين وأشنان . ط ، هـ : « العسل » ، صوابه فى س .

(٢) س : « ثبتتها » .

(٣) حاق الحذر : شدته .

(٤) ط ، هـ : « وينشر » ، صوابه فى س .

(٥) روى البيت مع أبيات أخرى فى حماسة ابن الشجرى ٢٠٨ وأمالى المرتضى (٤ : ١٢٢) ومع قرين له فى ديوان المعانى (٢ : ١٣٤) ، وروى مفردا منسوبا فى جمهرة العسكرى ١٠٢ والشعراء ٣٥٢ والميدانى (١ : ٢٠٧ ، ٢٣٣) ، وبدون نسبة فى رسائل الجاحظ ١٤٢ ساسى . وفى س : « فهو يقظان نائم » وهى رواية العقد (٤ : ٢٦١) مع نسبته إلى حميد بن ثور . وهو بهذه الرواية الأخيرة بدون نسبة فى ثمار القلوب ٣١٢ ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٧) . والبيتان يبدو أنهما من قصيدتين له على قافيتين مختلفتين . وللسليك بن السلكة بيت يشبهه ، وهو كما فى التيجان ٢٤٢ :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى ... بأخرى المنايا من خلال المسالك

(٦) انظر ما سبق فى ص ٢٥٦ .

(٧) فى الأصل : « كأنى من عينيه شجعان » ، صوابه مما سبق .

(٨) هـ : « رئيسة » محرفة ، س : « ربية » . وفى الأصل : « أحضر » ، هـ : « بائك » صوابهما ما أثبت .

(قولهم: أسمع من قنفذ ومن دلدل)

ويقال : « أسمعُ من قُنْفُذ » . وقد ينبغى أن يكون قولهم : « أسمعُ من الدُّلدُل » من الأمثال المولّدة .

(المتقاربات من الحيوان)

وفرق مابين القَنفذِ والدُّلدُل ، كفرقِ مابين الفَأْر والْجُرذان ، والبقر والجواميس ، والبَخَاتىّ والعِراب ، والضّأن والمعز ، والذّر والنّمل ، والجوَاف والأسبور[١] ، وأجناس من الحيّات ، وغير ذلك ؛ فإنّ هذه الأجناس منها مايتسافد ويتلاقح ، ومنها مالا يكون ذلك فيها .

(قولهم: أفحش من فاسية)

ويقال : « إنّه لأفْحَشُ من فاسية » ، وهى الخنفساء ؛ لأنها تفسو فى يد من مَسَّها[٢] . وقال بعضهم : إنه عنى الظَّربان ؛ لأنّ الظَّربان يفْسُو فى وسْط الهجْمة[٣] ، فتتفرَّق الإبل فلا تجتمع[٤] إلا بالجهد الشّديد . ١٦٠

(١) الجواف ، بالواو وبوزن غراب : ضرب من السمك ، قال صاحب عجائب المخلوقات ١١٤ : « ووصفه مثل وصف الأسبور » . والأسبور : سمك بحرى مشهور ، منه المعروف بالمرجان . وانظر ما سبق فى (٣ : ٢٥٩/٥ : ٥٦٥) . ط ، ﻫ : « والحراف » . ط : « والاثبل » س ، ﻫ : « والأشبل » ، والوجه ما أثبت .

(٢) س : « مسكها » ، وإنما يقال مسك به وأمسك به .

(٣) الهجمة ، بالفتح : القطعة الضخمة من الإبل .

(٤) س : « ولا تجتمع » .

(قولهم : ألج من الخنفساء)

ويقال : « ألجُّ من الخنفساء » . وقال خَلَفٌ الأحمرُ وهو يهجو رجلا[1] :

ألجُّ لَجَاجاً مِن الخُنفساء وأزْهَى إذا مامَشَى مِنْ غُرابِ

(رجز فى الضبع)

وأنشد أبو الرُّدينى ، عن عبد الله بن كُراع ، أخى سُويد بن كُراع[2] ، فى الضّبع :

مَنْ يجن أولاد طريفٍ رَهْطا[3] مُرْداً أوله شُمْطاً[4]

رَأَى عَضاريط طِوالاً ثُطًّا[5] كأضْبعٍ مُرْطٍ هَبطْنَ هَبْطا[6]

ثم يفسِّينَ هَزِيلاً مَرْطَا[7] إنَّ لكم عندى هناءً لَعْطَا[8]

* خطْماً على آنفِكُمْ وَعَلْطَا[9] *

---

(١) هو أبو العيناء كما فى معجم الأدباء (١٦ : ١٦١) ، أو العتبى كما فى حياة الحيوان . وقد سبق البيت مع قرين له فى (٣ : ٥٠٠) .

(٢) سويد بن كراع العكلى جاهلى إسلامى . انظر الشعر والشعراء ٦١٦ وفيه مراجع ترجمته .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى هـ : « مَن يجنى » .

(٤) مردا : جمع أمرد . وشمطا : جمع أشمط ، وهو الذى اختلف شعره بلونين من سواد وبياض . وفى الأصل : « سمطا » تحريف . وفى البيت نقص بيض له بعد كلمة « مردا » فى هـ .

(٥) العضاريط : جمع عضروط ، وهم التباع والخدم ونحوهم . وفى الأصل : « وأى » ط : « عضايط » س : « عصاريط » هـ : « عضاتكل » ، تحريف ما أثبت . والثط : جمع أثط ، وهو القليل شعر اللحية والحاجبين . وفى الأصل : « سبطا » ولا وجه له لأنه مفرد مذكر .

(٦) أضبع : جمع ضبع . س : « كأصبع » تحريف . ومرط : جمع أمرط ومرطاء ، وهو الخفيف شعر الجسد والحاجبين والعينين . وفى الأصل : « المزط » . هبطن ، بالبناء للفاعل والمفعول : هزلن .

(٧) هجاهم بضعف الفساء . ومثل هذا ما سبق فى (٤ : ٤١٢) من قول التيمى :

حبقت عجيفا محثلا ولو اننى حبقت لأسمعت النعام المشردا

ط : « يغنين هديلا » هـ : « يقيسن هديلا » ، صوابهما فى س . والمزط : الإسراع .

(٨) الهناء ، ككتاب : ضرب من القطران تطلى به الإبل . عنى به وسمهم بميسم الهجاء . واللعط : الكى بالنار . هـ : « لغطا » تحريف .

(٩) يقال خطم فلانا بالسيف : إذا ضرب حاق أنفه ، أى وسطها . وفى الأصل : =

(قصة أبي مجيب)

وحكى أبو مجيب[١] ، ما أصابه من أهله[٢] ، ثمَّ قال : وقد رأيت رؤيا عبَّرتها : رأيتُ كأنى طردت أرنباً فانجَحرتْ[٣] ، فحفرتُ عنها[٤] حتَّى استخرجتها ، فرجوت أن يكون ذلك ولداً أُرزقه ، وإنه كانت[٥] لى ابنة عمٍّ هاهنا ، فأردتُ أن أتزوَّجها ؛ فما ترى ؟ قلت: تزوَّجْها على بركة الله تعالى . ففَعل ؛ ثمَّ استأذننى أنْ يقيم عندنا أيَّاما ؛ فأقام ثم أتانى فقلت : لا تخبرْنى بشيءٍ حتى أنشدَك . ثمَّ أنشدْتُه هذه الأبيات :

يالَيتَ شِعْرِى عَن أبي مجيبِ إذْ باتَ فى مَجَاسِدٍ وطِيبِ[٦]

= « حطما » بالمهملة ، تحريف . والآنف : جمع أنف . ط ، هـ : « أنفسكم » صوابه فى س . والعلط : الوسم بالعلاط ، والعلاط ، بالكسر : سمة فى عرض عنق البعير . هـ : « وغلطا » ، تحريف .

(١) هو أبو المجيب الربعى ، أحد فصحاء العرب الذين روى عنهم ابن الأعرابى . انظر فهرست ابن النديم ١٠٣ .

(٢) يفهم من القصة أن الرجل الذى حاور أبا المجيب هو الجاحظ نفسه . لكن جاء فى الأغانى (٥ : ٨٥) : « عن إسحاق – يعنى ابن إبراهيم الموصلى – قال : كان أبو المجيب الربعى فصيحا عالما فقال لى : يا أبا محمد ، عزمت على التزويج فأعنى وقونى . قال : فأعطيته دنانير وثيابا ، فغاب عنى أياما ثم عاد ، فقلت : يا أبا مجيب ، ها هنا فاسمعها . فقال : هاتها . فقلت . . » . وأنشد الأبيات . وإسحاق هذا كان راوية الشعر حافظا للأخبار شاعرا له تصانيف . ولد فى سنة ولادة الجاحظ وتوفى سنة ٢٣٥ . وفيات الأعيان ١ : ٦٥ ومعجم الأدباء ٦ : ٥ .

(٣) انجحرت : دخلت الجحر . وفى الأصل : « فانحجرت » ، تحريف .

(٤) س : « فغرت عنها » ، تحريف .

(٥) ط ، هـ : « وقد كانت » .

(٦) المجاسد : جمع مجسد ، بضم الميم وفتح السين ، وهو الثوب المصبوغ بالجساد ، أى الزعفران .

مُعانِقاً للرَّشــأ الرَّبيبِ أأَقْحَمَ المِحفارَ فى القَلِيبِ[1]

• أمْ كانَ رِخْواً يابسَ القَضيبِ •

قال : بلى كان والله رِخْواً يابسَ القضيب ، والله لكأنَّكَ كنتَ معنا ومُشاهِدَنا !

(خصال الفهــد)

فأمَّا الفهد فالذى يحضُرنا من خصاله أنَّه يقال إن عظام السِّباع[2] تشتهى ريحَه ، وتستدلُّ برائحته على مكانهِ وتُعجَب بلحمه أشدّ العجَب .

وقد يصادُ بضروبٍ ، منها الصَّوت الحسَن ؛ فإنَّه يُصغِى إليه إصغاءً حسناً . وإذا اصطادوا المسنَّ كان أنفعَ لأهله فى الصَّيد من الجرو الذى يربُّونه ؛ لأنَّ الجرو يخرج خَبًّا[3] ، ويخرج المسنُّ عَلَى التأديب صَيُودا[4] غيرَ خِبٍّ ولا مُوَاكِلٍ[5] فى صيده . وهو أنفع من صيدِ كلِّ صائد[6] ، وأحسن فى العين . وله فيه تدبيرٌ عجيب .

---

(١) فى الأغانى : « أأحد المحفار » ، أى وجده جيدا .

(٢) ط : « أن يقال إنه عظام السنام » ، س : « أنه يقال إن عظام الصنام » ، هـ : « أنه يقال إن عظام السنام » ، والوجه ما أثبت مطابقا لما فى مباهج الفكر ٥٣ من مصورة دار الكتب رقم ٣٢٤ طبيعيات . ففيها : « وقال أرسطو : والسباع تشتهى رائحة الفهد وتستدل بها على مكانه وتعجب بلحمه أشد العجب ، فهو يتغيب عنها لذلك » . وقد سبق أيضا فى (٤ : ٢٢٨) نقل الجاحظ عن أرسطو قوله : « والسباع تشتهى رائحة الفهود والفهد يتغيب عنها » . وقد جاءت الأفعال التالية فى الأصل مبدوءة بالياء ، ووجهه بالتاء .

(٣) الخب : بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . وانظر (٤ : ٤٨) .

(٤) فى الأصل : « صبورا » .

(٥) المواكل : الثقيل ذو البطء والبلادة . ط ، س : « مرتكل » صوابهما ما أثبت . وقد سبق فى (٤ : ٤٨) عند الكلام على الصغير من الفهود : « خرج جبينا مواكلا » .

(٦) ط ، هـ : « طائر » ، وأثبت ما فى س .

وليس شىءٌ فى مثل جِسْم الفَهد إلاّ والفَهد أثقلَ منه ، وأحطمُ لظهر

١٦١ الدابَّة التى يَرتَقى على مؤخَّرها .

والفهد أنوَم الخلق ، [وليس نومه كنوم الكلب ؛ لأن الكلب نومه نعاس واختلاس[١]] ، والفهد نومهُ مُصْمَت[٢] : قال أبو حيَّة النُّميرى :

بعـذاريها أناسا نام حلمهم عَنّا وعنك وعنها نومة الفَهـدِ[٣]

وقال حُميد بن ثَورٍ الهِلالىّ :

ونمتَ كنَوم الفَهْدِ عن ذِى حَفيظةٍ أكلْت طعاماً دونه وهو جائعُ[٤]

(أرجوزة الرقاشى فى الفهد)

وقال الرقاشىُّ[٥] فى صفة الفهد :

قد أغتدِى والَّليلُ أحْوَى السُّدِّ[٦] والصُّبحُ فى الظَّلماء ذو تَهَـدِّى

مثل اهتزازِ العضب ذى الفرنْدِ بأهـرَتِ الشِّـدقَين ملتئد[٧]

أربدَ مَضْبُورِ القرَا عِلَّكْدِ[٨] طاوِى الحشا فى طىِّ جسمٍ مَعْـدِ[٩]

---

(١) التكلة من أمثال الميدانى (٢ : ٢٨١) عند قولهم : (أنوم من فهد) ، وكذلك من ثمار القلوب ٣١٩ مع تصريحه بالنقل عن الجاحظ .

(٢) مصمت : خالص . وأصل المصمت فى الألوان ما كان منها خالصا لاشية فيه.

(٣) كذا ورد صدره محرفا فى ط ، ه . وفى س : « بعدا رها » بالإهمال . والبيت من قصيدة له يمتدح فيها المنصور ويهجو بنى حسن . انظر الأغانى (١٥ : ٦٢) .

(٤) أنشد هذا البيت فى ثمار القلوب ٣١٩.

(٥) هو الفضل بن عبد الصمد الرقاشى ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٦١) .

(٦) السد : الحاجز ، وكل بناء سد به موضع .

(٧) كذا فى ط . وفى س : « ملسد » بالإهمال . وفى ه : « مولند » .

(٨) الأربد : ما لونه الربدة ، وهى لون إلى الغبرة . وفى الأصل : « أدبر » . والمضبور : المكتنز اللحم . والقرا ، بالفتح : الظهر . وهو واوى ، ورسم فى ط بالياء . والعلكد : الغليظ الشديد .

(٩) المعد ، بالفتح : الضخم ، ومثله المغد بالغين المعجمة .

كَزَّ البراجيمِ هصور الجِـدِّ[1] برامز ذِى نُكَتٍ مُسْوَدِّ[2]

وسحر اللجين سحر وردِ[3] شَرَنبثٍ أغلبَ مُصْمَعِدٍّ[4]

كالليث إلا نُمْـرَةً فى الجلد[5] للمح الحـائل مستعدِّ[6]

حَتَّى إذا عايَنَ بعدَ الجهـدِ عَلَى قَطاة الرِّدف ردف للعبد[7]

سر سرعتنا بحس صـلد[8] وانقضَّ يأدُو غيرَ مجرهِدِّ[9]

فى مُلْهَبٍ منـه وخَتْلٍ إدِّ[10] مثل انسياب الحيَّـة العربدِّ[11]

وقوله: «مثل انسياب الحيَّة العربدِّ[11]» ، هذه الحيَّة عين[12] الدابّة التى

---

(١) الكز : الصلب الشديد اليابس . والبراجيم : هى البراجم زيدت فيها الياء ، جمع برجمة ، وهى مفاصل الأصابع . وفى الأصل : «كر الوفاحم» . والهصور ، من الهصر ، وهو الافتراس والكسر . وفى الأصل : «عضور» .

(٢) برامز ، كذا وردت فى س . وفى ط ، ه : «برامد» .

(٣) ه : «وسحر اللحى» ، س : «اللحى» بالإهمال .

(٤) الشرنبث : الغليظ الكفين . والأغلب : الغليظ الرقبة . والمصمعد : الذاهب فى الأرض الممعن .

(٥) النمرة ، بالضم : أن تكون فيه نكت بيضاء وأخرى سوداء . ط : «إلا يمر» س : «إلا عرة» ، ه : «إلا يمره» ، والوجه ما أثبت .

(٦) كذا ورد هذا البيت . ولم أجد لهذه الأرجوزة مرجعا أستأنس به .

(٧) القطاة : مقعد الردف من الدابة خلف الفارس .

(٨) كذا فى ط ، ه . وفى س : «سرسر عسا» بالإهمال .

(٩) يأدو : يمشى بين المشيتين ليس بالسريع ولا البطىء ، ويأدو أيضا : يختل . والمجرهد : المسرع المستمر فى السير . وفى ط ، ه : «باد واغبر» ، س : «باد واغير» ، ووجههما ما أثبت .

(١٠) ملهب : أى جرى ملهب ، يقال ألهب الفرس : إذا اشتد فى عدوه حتى يثير الغبار . ط ، ه : «لهب» س: «لغب» ، وليس لهما وجه . والختل : الخداع . والإد ، بالكسر : العجيب . فى الأصل : «وحبل» .

(١١) ه : س : «العرند» .

(١٢) يريد أنها تقال بتشديد الدال وتخفيفها ، لغتان . وفى الأصل : «غير» .

يقال لها العربِد . وقد ذكرها مالك بن حريم[1] [في قوله[2]] لعمْرو ابن معد يكرب :

يا عَمـرُو لو أبصرتنى لرَفَوتَنى فى الخيـل رَفْوا[3]
والبِيضُ تلمعُ بينهم تعصُو بها الفُرْسانُ عَصْوَا[4]
فلقيت منى عِرْبِداً يقْطو أمامَ الخيلِ قَطْوَا[5]
لَمَّا رأيتُ نساءَهم يدخُلْنَ تحت البيت حَبْوَا[6]
وسَمِعْتُ زَجْرَ الخيل فى جوفِ الظَّلام هَبِى وهبْوَا[7]
فى فَيلقٍ ملمومةٍ تسطو على الخِبَرَات سَطْوَا[8]

---

(١) مالك بن حريم ، بفتح الحاء المهملة وكسر الراء المهملة . وقد تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢١٠) . ط ، س : « خريم » هـ : « حزيم » محرفتان . ولم أجد للأبيات التالية مرجعا إلا فى لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص ٢٠٣ .

(٢) تكملة يلتئم بها الكلام .

(٣) رفاه يرفوه : سكنه من الرعب . يقول : إن ذاك الموقف للحرب يخيل لمشاهده أن الأبطال فى حالة فزع وذعر ، وذلك لهول القتال ، وليس الأمر كذلك . فى الأصل : « فى الليل » ، تحريف .

(٤) البيض : السيوف . فى لباب الآداب : « تلمع بيننا » . وفى الأصل : « نلمع خلفهم » ، تحريف . وعصاه بالسيف يعصوه ويعصيه ويعصاه : ضربه به . س : « نعضوا بها الفرسان عضوا » ، تحريف .

(٥) ط : « وقلقت » س : « قلمت » هـ : « فلقت منى عرندا » ، تحريف . وفى لباب الآداب : « للقيت منى » . وقطا يقطو : تقارب مشيه من النشاط .

(٦) نساءهم ، عنى نساء قومه . وفى لباب الآداب : « نساءنا » ، يعنى أنه يدافع عن الحريم .

(٧) هبى ، بكسر الباء : زجر للخيل ، أى توسعى وباعدى . وفى الأصل : « هبا » تحريف . وهبوا : زجر أيضا ، ولم أجد هذا اللفظ فيما لدى من مراجع اللغة .

(٨) الفيلق : الكتيبة العظيمة . والملمومة : المجتمعة . تسطو : تسرع الخطو ؛ وفرس ساط : بعيد الشحوة . والخبرات ، بفتح فكسر : جمع خبرة ، وهى الأرض كثر خبارها ، والخبار بالفتح : ما استرخى من الأرض وتحفر . وفى الأصل : « تعطو على الخيرات عطوا » ، وفى لباب الآداب : « تعطو على النجدات عطوا » كلاهما محرف . وبقية الشعر فى لباب الآداب :

أقبلت أفلى بالحسا م معا رؤوس القوم فلوا

وقال الرَّقاشى أيضاً فى الفهد :

لما غدا للصَّيْدِ آلُ جَعْفَرِ   رَهْطُ رسولِ اللهِ أهلُ المفْخَرِ
بفَهْدَةٍ ذات قَراً مُضَبَّرِ[1]   وكاهلٍ بادٍ وعُنْقٍ أزْهرِ   ١٦٢
ومُقْلةٍ سال سَوادُ المحجِرِ   منها إلى شِدقٍ رُحابِ المفْغَرِ[2]
وذنبٍ طالَ وجلْدٍ أنْمَرِ[3]   وأيْطلٍ مستأسد غضنفرِ[4]
وأذنٍ مكسورةٍ لم تُجْبرِ   فَطْساءَ فيها رَحَبٌ فى المنخرِ[5]
مثل وجار التَّتْفل المقوَّرِ[6]   أرثها إسحاق فى التعذرِ[7]

* منها على الخدَّين والمُعذَّرِ[8] *

(نعت ابن أبى كريمة للفهد)

وقال ابنُ أبى كريمة[9] فى صفة الفَهْد :

كأنَّ بناتِ القَفْرِ حين تشعَّبَتْ   غدوت عليها بالمنايا الشواعِبِ[10]

---

(١) القرا : الظهر . والمضبر : الذى ازرت عظامه واكتنز لحمه . وفى اللسان : « الضبر شدة تلزيز العظام واكتناز اللحم . وجمل مضبر الظهر » . وفى الأصل : « ذات شرار مضبر » ، تحريف . واعتبر هذا بما مضى فى قول أبى نواس (٢ : ٦٢) :

* من كل مضبور القرا عارى النسا *

(٢) الرحاب ، بالضم : الرحب الواسع . والمفغر : المفتح ، فغرفاه : فتحه . ط ، ه : « المغفر » بتقديم الغين . وفى س : « وحاب المقفر » محرفتان .

(٣) ط ، ه : « فى ذنب » تحريف . والأنمر : ما فيه نقط سواد وبياض .

(٤) الأيطل : الخاصرة . وسائر البيت محرف . وفى ه : « مستأصر » .

(٥) فطساء ، من صفة الفهدة ، والفطس : انخفاض قصبة الأنف وانفراشها .

(٦) التتفل : الثعلب . المقور : الموسع . ه : « التنفل » تحريف . س ، ه : « المغور » .

(٧) ه : « أريتها إسحاق فى التقذر » .

(٨) المعذر : المقذ ، وهو أصل الأذن .

(٩) هو أحمد بن زياد بن أبى كريمة كما سبق فى (٢ : ٣٦٧) .

(١٠) الشواعب : المفرقات . وفى الأصل : « الشواغب » ، تحريف . وقد مضى شرح هذه الأبيات فى (٢ : ٣٧١ — ٣٧٣) .

بذلك نَبغى الصيد طوراً وتارةً   بمُـخْطفة الأحشاء رحْبِ الترائب[١]

مُوَقَّفة الأذناب ، نُمْرٍ ظهورها   مخطّطة الآماق غلبِ الغَوَارب[٢]

مُوَلَّعةٍ فُطْح الجِبَاهِ عوابسٍ   تخالُ على أشْداقها خَطّ كاتِب[٣]

فوارسُ مالم تلقَ حَرْباً ورَجلةٌ

إذا آنَسَتْ بالبيد شُهبَ الكتائب[٤]

تضَاءَلُ حَتَّى ما تكاد تُبينُها   عيونٌ لدى الصَّرَّاتِ غيرِ كواذب[٥]

توسّد أجيَادَ الفرائس أذرُعاً   مُرمَّلةً تحْكى عِناقَ الحبائب[٦]

(مايضاف إلى اليهود من الحيوان)

قال : والصِّبيان يصِيحون بالفَهد إذا رأوه : يا يهودىّ !

وقد عرفنا مَقالهم فى الجِرِّىّ[٧] .

---

(١) نبغى : نطلب . ط ، س : « يبغى » ﻫ : « نعنى » وفى (٢ : ٣٧١) : « أبغى الصيد » .

(٢) التوقيف : بياض وسواد . وفى الأصل : « مرقفة » ، تحريف . س : « لأطراف نمر طهورها » تحريف كذلك .

(٣) ط ، ﻫ : « قطع الحياة » س : « وطمح الحياة عوانس » ، بإهمال الكلمة الأولى ، تحريف .

(٤) فى الأصل : « ما تلقين حربا وحلة » ، تحريف .

(٥) ط ، س : « الصرات » صوابه فى ﻫ .

(٦) ط : « أجناد » س : « العوانس » ط ، ﻫ : « القوانس » ط : « أدرعا » . وفى الأصل : « مزملة » ط ، ﻫ : « عتاق الجنائب » س : « عنان الجنائب » تحريفات .

(٧) الجرى ، بكسر الجيم وتشديد الراء المكسورة والياء : ضرب من السمك . ط : « معناهم فى الحرابى » س ، ﻫ : « معناهم فى الحرى » تحريف والصواب ما أثبت . وانظر لمسخ الجرى ما سبق فى (١ : ٢٣٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ و ٦ : ٧٧) .

والعامّة تزعم أن الفأرة كانت يهوديَّةً سحّارة . والأرَضَةُ يهودية أيضا عندهم ؛ ولذلك يلطِّخون الأجذاع بشَحمِ الجَزُور[١] .

والضبّ يهوديٌّ ؛ ولذلك قال بعضُ القصّاص لرجل أكل ضبًّا : اعلمْ أنّك أكلت شيخاً من بنى إسرائيل[٢] .

ولا أراهم يضيفون إلى النّصرانية شيئاً من السِّباع والحشرات .

ولذلك قال أبو علقمة : كان اسم [الذئب] الذى أكل يوسفَ رجحون[٣] . فقيل له : فإنّ يوسف[٤] لم يأكُلْه الذِّئب ، وإنما كذبوا على الذئب ؛ ولذلك قال الله عزَّ وجلّ : ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قال : فهذا اسمٌ للذئب الذى لم يأكلْ يوسف .

فينبغى أن يكونَ ذلك الاسمُ لجميع الذِّئاب ، لأنَّ الذئابَ كلها لم تأكله .

(زعم المجوس فى لبس أعوان شُوتن)

وتزعمُ المجوسُ أنّ شَوتَن[٥] الذى ينتظرون خروجه ، ويزعُمون أنّ الملك يصيرُ إليه ، يخرج على بقرةٍ ذاتِ قرون ، ومعه سبعون رجلا عليهم جلود الفهود ، لايعرفُ هرًّا ولا بِرًّا[٦] حتى يأخذ جميع الدنيا .

---

(١) الجزور : البعير أو الناقة المجزورة . والإبل من الحيوانات المحرمة على اليهود . وفى سفر اللاويين (١١ : ٤) : « إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف : الجمل لأنه يجتر ، ولكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم » . وفى الأصل : « لحم الجزور » تحريف .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٧٧ .

(٣) هـ : « رحجون » بتقديم الحاء . وفى العقد (٦ : ١٥٦) مع نسبة الخبر إلى أبى دحية القاص ، أن اسم الذئب « هملاج » .

(٤) ط ، هـ : « إن يوسف » .

(٥) س : « سوق » . وانظر الاستدراكات .

(٦) ط ، س : « لا يقول هرا وبرا » هـ : « لايقول هرا وبزا » ، والوجه ما أثبت . يقال « لا يعرف هرا من بر » أى لا يعرف من يهره ، أى يكرهه ، ممن يبره . أراد أنه يأخذ الناس بالغشم ، لا يميز بين مواليه ومعاديه .

(الهرّ والبرّ)

١٦٣ وكذلك إلغازهم[١] فى الهرّ والبرّ . وابن الكلبى يزعم عن الشّرقى ابن القطامىّ ، أنّ الهرّ السنّور ، والبرّ الفارة[٢] .

(جوارح الملوك)

والباز والفَهد من جوارح الملوك : والشاهين ، والصَّقر ، والزُّرّق ، واليؤيؤ[٣] .

وليس ترى شريفاً يستحسِنُ حملَ البازى ـ لأنّ ذلك من عمل البازيار ـ[٤] ويستهجن حمل الصُّقور والشواهين وغيرها من الجوارح ، وما أدرى علّة ذلك إلا أنّ البازَ عندهم أعجمىّ ، والصَّقر عربىّ .

ومن الحيوان الذى يدرّب فيستجيب ويَكِيس وينصَح[٥] العَقْعَقُ ، فإنهُ يستجيبُ من حيثُ تستجيبُ الصُّقور . ويُزْجر فيعرف ما يُرَادُ منه ويخبأ الحَلْى فيُسأل عنه ويُصاح به فيمضى حتى يقفَ بصاحبه على المكان الذى خبَّأهُ فيه[٦] ، ولكن لا يلزم البحث عنه[٧] .

وهو مع ذلك كثيرا ما يُضِيع بيضه وفِراخَه .

---

(١) فى الأصل : « ألفاظهم » .

(٢) انظر لاختلاف اللغويين فى تأويلهما اللسان والقاموس وكتب الأمثال .

(٣) اليؤيؤ : طائر شبيه بالباشق ، من جوارح الطير . وفى الأصل : « البؤبؤ » ، تحريف .

(٤) البازيار والبازدار : لفظان فارسيان ، ومعناهما واحد ، وهو القائم بأمر البازى ، ويعرب أيضا فيقال « البيزار » . انظر ماسبق فى (٤ : ٤٣٠) .

(٥) من النصيحة ، وهى الإخلاص والصدق . ط ، س : « فيصيح » ه : « ويصيح » ، والوجه ما أثبت .

(٦) ط : « خبأ فيه » .

(٧) موضع كلمة « يلزم » بياض فى س .

(مخبئات الدراهم والحلى)

وثلاثة أشياء تُخَبِّى الدَّراهم والحَلىَ ، وتَفْرَحُ بذلك من غير انتفاع به ، منها العَقعقُ ؛ ومنها ابن مِقْرَض[1] : دويْبّةٌ آلَقُ[2] من ابن عِرْس ؛ وهو صعبٌ وحْشىٌّ ، يحبُّ الدَّراهم ، ويفْرَحُ بأخذها[3] ، ويخبيها ، و [هو مع ذلك[4]] يصيد العصافير صيداً كثيراً ، وذلك أنّهُ يُؤْخَذ فيُربَطُ بخيطٍ شديد الفتْل ، ويُقابَلُ به بيت الْعُصفور ، فيدخُلُ عليه فيأخذه وفراخَه ، [و[5]] لايقتلها حتى يقتلها الرّجل[6] ، فلا يزال كذلك ولو طاف به على ألف جُحْر . فإذا حلّ خيطه ذهَب ولم يقُم .

وضرب من الفار يسرق الدَّراهِمَ والدنانير والحَلْى ويفرح به ويُظْهِرهُ ويغيِّبه فى الُجحر وينظُر إليه ويتقلّبُ عليه .

(ذنب الوزغة)

قال : وخطب الأشعث فقال : « أيُّها الناسُ إنه مابقى من عدوِّكم إلا كما بقى من ذَنَب الوزغَة تَضرِب به يميناً وشمالا ثم لاتلبث أن تموت »[6] .

---

(١) ابن مقرض ، بكسر الميم ، سبق فى ص ٢٢ من هذا الجزء . هـ : « ابن مقرص » تحريف .

(٢) آلق : أخبث ، وتسمى الذئبة إلقة لخبثها . وفى الأصل : « آلف » تحريف .

(٣) س : « ويفرح بها » .

(٤) هذه من س .

(٥) ط ، هـ : « الوجل » بالواو ، صوابه فى س .

(٦) فى الأصل : « يضرب به يمينا وشمالا ثم لا يلبث أن يموت » .

فمر به رجلٌ من قشير فسمع كلامه فقال : قَبَّح الله تعالى هذا ورأيَه ، يأمر أصحابَه بقلّة الاحتراس ، وتركِ الاستعداد !

وقد يُقطَع ذنَبُ الوزَغةِ من ثلثها الأسفل[1] ، فتعيش إن أفلتَتْ من الذَّرِّ .

(أشد الحيوان احتمالاً للطعن والبتر)

وقد تحتمل الخنافسُ والكلابُ من الطَّعْن الجائف[2] ، والسَّهم النَّافذ ، مالا يحتملُ مثلَه شيء[3] . والخُنفسَاءُ أعْجبُ من ذلك . وكفاك بالضّبِّ !

والجمل يكون سَنامُه كالهدف[4] ، فيُكشَف عنه جلدُه فى المجهدَة[5] ثمَّ يُجتث من أصله بالشِّفار ، ثمَّ تعاد عليه الجلدةُ ويُداوَى فيبرأ ، ويحتمل ذلك ، وهو أعْجَب فى ذلك من الكبش فى قطع أليته من أصل عَجْب ذنَبه ، وهى كالتُّرس ، وربما فعل ذلك به وهو لايستطيع أن يقُلَّ أليته[6] إلَّا بأداةٍ تتَّخذ . ولكنَّ الألية على كلِّ حال[7] طرف زائد ، والسَّنام قد طبّقَ على جميع مافى الجوف .

---

(١) س ، ه : « تلثيها الأسفل » ، تحريف .

(٢) الجائف : الذى يبلغ الجوف .

(٣) ط : « ما لا يحتمله شىء » ، ه : « ما لا يحتمله منه شىء » ، صوابهما فى س .

(٤) الهدف : ما رفع وبنى من الأرض للنضال .

(٥) المجهدة : الإعسار والحال الشاقة .

(٦) يقل : يحمل ويرفع . يقول : عظمت حتى لا يستطيع أن يقلها إلا بطريق الصناعة . وفى الأصل : « ينقل » .

(٧) فى الأصل : « على حال » .

(ذكاء إياس)

ونظر إياسُ بن معاوية فى الرَّحْبة بواسط إلى آجُرَّة ، فقال ، : تحت هذه الآجُرَّة دابّة . فنزعوا الآجُرَّة فإذا تحتها حيَّة متطوِّقة . فسُئِل عن ذلك ، فقال : لأنّى رأيتُ مابينَ الآجُرَّتين نَدِيًّا من جميع تلك الرَّحْبة ، فعلمتُ أن تحتها شيئاً يتنفّس . ١٦٤

(هداية الكلاب فى الثلوج)

وإذا سقط الثّلج فى الصحارى صار كلُّه طبقاً واحداً ، إلّا ما كان مقابلاً لأفواه جِحَرة[١] الوحْش والحشرات ؛ فإنّ الثّلج فى ذلك المكان يَنْحسر ويرقّ لأنْفاسها من أفواهها ومَناخِرِها ووهَج أبدانها[٢] ، فالكلابُ فى تلك الحال يعتادها الاستراوح حتى تقفَ بالكلّابين على رءوس المواضع التى تنبت الإجْرِدّ والقَصِيص[٣] ، وهى التربة[٤] التى تُنبت الكَمْأة وتربيها .

(تعرُّف مواضع الكمأة)

وربما كانت الواحدةُ كالرُّمانة الفخْمة ، ثم تتخلّق من [غير[٥]] بزر ، وليس لها عرقٌ تمصُّ به من قُوى تلك الأرض ، ولكنها قُوًى اجتمعَت

---

(١) جحرة ، بكسر ففتح : جمع جحر . وفى ط ، هـ : « أجحرة » ، صوابهما ما أثبت . وانظر لاستعمال الجاحظ كلمة « الجحرة » (٢ : ١٦٤ / ٤ : ١٥ ، ١٥٠ / ٥ : ٢٣١) .

(٢) سبق نظير هذا الكلام فى (٢ ، ١١٩) .

(٣) الإجرد : نبت يدل على الكمأة . والقصيص : شجر ينبت فى أصله الكمأة ، قالوا : سمى بذلك لدلالته على الكمأة كما يقتص الأثر . ط ، هـ : « للاجرد » صوابه فى س .

(٤) ط : « كالتربة » صوابه فى س ، هـ .

(٥) تكملة يقتضيها السياق .

من طريق الاستحالات ، كما يَنطبخُ فى أعماق الأرض ، من جميع الجواهر ؛ وليس لها بدٌّ من تربةٍ ذلك من جوهرها[1] ، ولا بد لها من وسْميٍّ[2]. فإذا صار جانِيها[3] إلى تلك المواضع ـ ولا سيما إن كان اليومُ يوماً لِشمسهِ وَقْعٌ[4] ـ فإنه إذا أبصر الإجرِدَّ والقَصِيص استدلَّ على مواضعها بانتفاخ الأرض وانصداعها.

وإذا نظر الأعرابىُّ إلى موضع الانتفاخ يتصدَّعُ فى مكانه[5] فكان تفَتُّحه[6] فى الحالاتِ مستويا ، علم أنَّه كمأة ؛ وإن خَلَطَ فى الحركَة والتصدُّع علم أنّه دابَّة ، فاتّقى مكانَها .

باب
(نوادرَ وأشعار وأحاديث)

قال الشّاعر[7] :

وعَصَيتِ أمْرَ ذوِى النُّهى ... وأطعْتِ رأىَ ذَوِى الجَهالَهْ

فاحتلتُ حِينَ صَرَمْتِنِى ... والمرءُ يَعْجَزُ لا المَحَالَه[8]

---

(١) كذا وردت هذه العبارة.

(٢) الوسمى : مطر أول الربيع ، وهو أوان الكمأة .

(٣) جانيها : جامعها . وفى الأصل : « جانبها » ، تحريف .

(٤) وقع : أى شدة ، وأصله من وقع المطر ، وهو شدة ضربه الأرض . فى الأصل : « بشمسه وقع » ، والوجه ما أثبت .

(٥) س : « ينصدع » ، مع إسقاط الكلمتين بعده .

(٦) ط : « بفتحه » س ، ه : « يفتحه » ، والوجه ما أثبت.

(٧) هو أبو دؤاد الإيادى ، يعاتب امرأته [وقد لامته] فى سماحته بماله ، كما فى اللسان (١٣ : ١٩٧) . والبيت الثانى مع ثلاثة فى البيان (٣ : ٣٧) .

(٨) المحالة ، بالفتح : الحيلة . قال الميدانى : « أى لاتضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز » . ط ، س : « محالة » وهى خطأ فى الرواية . ومن أبيات هذا الشعر ما أنشده فى البيان :

والعبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه المقاله

وقال بشّار :

وصاحب كالدُّمَّل المُمِدِّ[١] حَمَلْتُه فى رُقْعَةٍ من جِلدِى

الحُرُّ يُلْحَى والعصا للعَبْدِ وليس للملحِفِ مثلُ الرَّدِّ

وقال خليفة الأقطع[٢] :

العبد يُقْرَعُ بالعصا والحُرُّ تكفيه المَلاَمَهْ

باب

(من القول فى العُرْجان)

قال رجلٌ من بنى عِجْل[٣] :

١٦٥ وشَى بِىَ واشٍ عندَ لَيْلَى سَفاهةً فقالت له ليلَى مَقالةَ ذى عَقْلِ

وخبَّرَها أنِّى عَرِجْتُ فلم تكُنْ كَوَرْهاءَ تجترُّ الملاءةَ للبَعْلِ[٤]

وما بِىَ مِنْ عَيبِ الفتى غَيْرَ أنّنى جَعَلْتُ العَصَا رِجلاً أقيمُ بهارِجلِى

وقال أبو حَيَّة فى مثل ذلك[٥] :

وقد جَعَلْتُ ، إذ ما قُمْتُ ، يُوجِعُنِى

ظَهْرِى فَقُمت قِيامَ الشّارِبِ السَّكِرِ[٦]

---

(١) الممد : الذى صارت فيه المدة ، وهى ما يجتمع من القيح . س : « الممد » تحريف .

(٢) كذا . وإنما هو ليزيد بن مفرغ ، كما فى البيان (٣ : ٣٧) . قال : أخذه من الصلتان الفهمى حيث قال :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة

(٣) الأبيات فى البيان (٣ : ٧٦) .

(٤) الورهاء : الحمقاء . تجتر : تجر وتجتلب . ط : « تخبو » ه : « يحبو » س : « يحو » بالإهمال ، صوابه من البيان .

(٥) ويروى الشعر أيضا لعمرو بن أحمر الباهلى ، كما فى الموشح ٨٠ .

(٦) السكر : السكران . وفى الأصل : « أوجعنى » ، وأثبت صوابه من الخزانة (٤ : ٩٥) نقلا عن الحيوان .

وكنتُ أمْشي على رِجليْنِ مُعْتَدِلاً

فصرتُ أمشِي على أخرَى من الشجرِ[١]

وقال أعرابىٌّ من بنى تميم :

وما بىَ مِنْ عيب الفتى غَيْرَ أنّنى

ألِفتُ قناتى حِينَ أوجَعنِي ظَهْرِى[٢]

وكان بنُوا الحَذّاءِ عُرْجاناً[٣] كلّهم، فهجاهُم بعض الشّعراء[٤] فقال :

لله درُّ بَنِى الحَذّاءِ منْ نَفَرِ   وكلُّ جارٍ على جِيرانِهِ كَلِبُ[٥]

إذا غَدَوْا وعصِىُّ الطّلْح أرجُلُهمْ

كما تَنَصَّبُ وَسْطَ البِيعَةِ الصُّلُبُ[٦]

وإنّما شبه أرجلهم بعصىّ الطّلح ؛ لأنّ أغصانَ الطلح تَنْبت معوجّة .
لذلك قال مَعْدَانُ الأعمى[٧] :

والذِى طفّفَ الجدار من الذّعـ   ـر وقد بات قاسِمَ الأنفالِ[٨]

---

(١) فى الخزانة : « على رجل معتدلا »، وفى الموشح : « على رجلين متئدا » . ويروى : « على رجل من الشجر » كما فى الخزانة والبيان . يعنى بها العصا .

(٢) البيت فى البيان (٣ : ٧٦) .

(٣) فى الأصل : « عرجان » .

(٤) هو بشر بن أبى خازم، كما فى البيان . وقد سبق البيتان فى (١ : ٣١٦) .

(٥) ورد هذا البيت فى الأصل مؤخرا عن تاليه . وترتيب البيتين مما سبق ومن البيان .

(٦) فى الأصل : « إذا عدوا » بالعين المهملة ، صوابه من البيان ومن الجزء الأول من الحيوان .

(٧) معدان ، بالميم ، كما سبق فى (٢ : ٢٦٨ ، ٢٧٠ / ٦ : ٣٩١). وفى الأصل : « سعدان » تحريف .

(٨) طفف الجدار : علاه ورفعه . وفى اللسان : « وطف الحائط طفا علاه » . والأنفال : الغنائم . فى الأصل : « خفف الحذار » . ط ، هـ : « وفات قاسم الأنفال » س : « قال قاسم الأثقال »، وصواب البيت من البيان .

فغدا خامعاً بأيدِى هَشِيمٍ وبِسَاقٍ كعُودِ طَلحٍ بالِ[1]

وله حديثٌ :

(عصا الحكم بن عبدل)

وكان الحكمُ بن عبدل أعرجَ ، وكان بعد هجائه لمحمد بن حسّان ابنِ سعد[2] لا يبعث إلى أحدٍ بعصاه التى يتوكأُ عليها وكتبَ عليها حاجَته إلاّ قضاها كيفَ كانت ، فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب[3] ، وهو أميرُ الكوفة ، وكان أعرجَ ، وكان صاحبُ شُرطته أعرَج - فقال ابن عَبْدَل[4] :

ألقِ العَصَا ودَعِ التَّعَارُجَ والتمِسْ عَملاً فهذِى دَولَةُ العُرجانِ[5]

---

(١) فى الأصل : « فهذا » ، صوابه فى البيان . خامعا : أعرج ؛ والخمع والخماع : العرج . ط ، هـ : « جامعا » س : « حامعا » ، صوابه ما أثبت . ط ، س : « بأيد » وفى البيان : « بوجه » . والهشيم : الشجر اليابس البالى . ط ، س : « الطلح » صوابه فى هـ .

(٢) هو محمد بن حسان بن التيمى ، كان على خراج الكوفة . فكلمه الحكم بن عبدل فى رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهما من خراجه ، فقال : أماتنى الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئا ! فهجاه الحكم بقصيدة دالية قال فيها :

يقول أماتنى ربى ، خداعا أمات الله حسان بن سعد

وما زال ابن عبدل يزيد فى قصيدته هذه الدالية حتى مات ، وهى طويلة جدا ، واشتهرت حتى إن كان المكارى ليسوق بغله أو حماره فيقول : « عد . أمات الله حسان بن سعد » . انظر الأغانى (٢ : ١٤٨) . ط ، هـ : « محمد بن حبان ابن ثابت » س : « محمد بن حسان بن ثابت » ، والصواب ما أثبت .

(٣) كان أمير الكوفة من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز . انظر المعارف ١٥٩ .

(٤) يبدو من القصة هنا أن ابن عبدل يخاطب نفسه بهذا الشعر . وفى الأغانى (٢ : ١٤٥) أن ابن عبدل خرج إلى عبد الحميد ، فلقى سائلا أعرج وقد تعرض للأمير يسأله .

(٥) التعارج : حكاية مشية الأعرج . وفى الأغانى (٢ : ٤٠٦ طبع دار الكتب) : « التخامع » وهو التعارج . وفى البيان (٣ : ٧٦) « التخادع » ، صوابها « التخامع » . وفى الأصل ها هنا : « التعرج والتمس عقلا » ، محرف .

فأميرُنا وأميرُ شُرطَتِنا مَعاً يا قومنا لـكليهما رِجلاَنِ[1]

فإذا يكونُ أميرُنا ووزيرُه وأنا فإنّ الرّابعَ الشيطانُ

وقال آخر ووصفَ ضَعفه وكِبَرَ سنِّه:

آتِي النَدِيَّ فلا يُقرِّب مجلِسِي وأقودُ للشرَف الرفيع حمارِيا[2]

(عرجان الشعراء)

١٦٦ وكان من العُرجان والشعراء أبو ثعلب[3]، وهو كليب بن [أبي[4]] الغول. ومنهم أبو مالك الأعرج[5]. وفي أحدهما يقول اليزيدي[6].

[أبو ثعلبٍ للناطقيِّ مؤازِرٌ على خبثه والناطقيُّ غيورُ

وبالبغلة الشهباء رِقَّةُ حافرٍ وصاحبُنا ماضي الجَنَان جَسورُ

ولاَ غَرْوَ أنْ كان الأعيرجُ آرَهَا وما الناسُ إلا آيِرٌ ومَثِيرُ[7]]

---

(١) في البيان والأغاني وعيون الأخبار: «لأميرنا»، وتقرأ بفتح اللام وكسرها.

(٢) البيت في البيان (٣ : ٢٦٣). والندى: مجلس القوم.

(٣) هـ : «أبو تغلب». وفي هامش أصل معجم المرزباني ٣٥٤ نقلا عن الحيوان: «أبو تغلب». وفي اللسان (١ : ٩٨) نقلا عن الحيوان «أبو ثعلب». كما أثبت من ط، س.

(٤) التكملة من اللسان وحواشي المرزباني نقلا عن الجاحظ.

(٥) هو أبو مالك النضر بن أبي النضر التيمي، وفد على الرشيد ومدحه. انظر الأغاني (١٩ : ١٥٠ - ١٥١).

(٦) هو أبو محمد يحيى بن المبارك، المترجم في (٥ : ٢٩٥). وفي اللسان أنه يهجو عنان جارية الناطفي، وأبا ثعلب الأعرج الشاعر.

(٧) هذه التكملة من لسان العرب (١ : ٩٨) نقلا عن الجاحظ. آرها يؤورها ويئيرها: جامعها.

(البدء والثُّنيان)

وقال الشاعر[1] :

تَلَقَى ثِنَانَا إذا ما جاء بَدَأَهُمْ ... وبَدْؤُهم إنْ أتانا كان ثُنْيانَنَا[2]

فالبدء أضخم السَّادات[3] ؛ يقال ثِنًى وثنيان[4] ، وهو اسم واحد . وهو تأويلُ قولِ الشَّاعرِ[5] :

يَصُدُّ الشَّاعِرُ الثُّنْيَانُ عَنِّى ... صُدُودَ الْبَكْرِ عَن قَرْمٍ هِجَانِ[6]

لم يمدح نفسه بأن لا يغلب الفحل[7] [وإنَّما يغلب الثُّنيانَ[8]] . وإنما

---

(١) هذه العبارة من هـ فقط ، على أنها وردت فى هـ بدل كلمة : « وفى أحدهما يقول اليزيدى » السابقة . والشاعر هذا هو أوس بن مغراء السعدى ، كما فى اللسان (بدأ ، ثنى) والمخصص (١٥ : ١٣٨) والقالى (٢ : ١٧٦) والعمدة (١ : ٧٦) . وقد ورد البيت بدون نسبة فى المخصص (٢ : ١٥٩) . وورد نظيره فى محاضرات الراغب (١ : ٧٧) وهو قول حجر بن خالد :

يسود ثنانا من سوانا وبدؤنا ... يسود معدا كلها ما تدافعه

(٢) الثنى ، بالكسر والقصر : هو من بعد السيد . وفى الأصل : « تلقا ثنايا إذا ما جاء ندهم » محرف . ط : « وبدهم » س ، هـ : « وبدأهم » والصواب ما أثبت من جميع المراجع . والثنيان ، بالضم ، هو الثنى . وصدر البيت فيما عدا اللسان (بدأ) : « ترى ثنانا » ، وفى اللسان (بدأ) : « ثنياننا إن أتاهم » . وذكر فى مادة (ثنى) أنها رواية الترمذى .

(٣) ط ، هـ : « فالبدا ضخم السادات » ، صوابه فى س .

(٤) فى الأصل : « ثناويان وثنيان » .

(٥) هو النابغة الذبيانى يهجو يزيد بن الصعق ، والبيت من قصيدة فى ديوانه ٧٦ . وانظر العمدة (١ : ٧٦ / ٢ : ١٥٢) .

(٦) البكر ، بالفتح : الفتى من الإبل ، بمنزلة الغلام من الناس . والقرم ، بالفتح : هو الفحل من الإبل . والهجان ، بالكسر : الأبيض . ط ، س : « قرم الهجان » هـ : « قوم الهجان » ، صوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « لأن يغلبه الفحل » هـ : « لا يغلبه الفحل » .

(٨) التكملة من س . وعبارة ابن رشيق : « لم يرد أنه يغلب الثنيان ولا يغلب الفحل ، لكن أراد التصغير بالذى هاجاه » .

أراد أنْ يصغِّر بِالذى هَجَاه ، بأنه ثنيان[1] ، وإن كان عندَ نفسِه فحلا .
وأما قول الشَّاعر[2] :

وَمَنْ يَفْخَرْ بمثل أبى وجَدّى يجئ قبل السَّوابِقِ وهو ثانِ[3]

فالمعنى ثانٍ عنانه[4] :

أحاديث من أعاجيب المماليك

أتيتُ باب السَّعدانىّ ، فإذا غلامٌ له مليحٌ بالباب كان[5] يتْبع دابَّته ، فقلت له : قلْ لمولاك ، إن شئتَ بكَرتَ إلىَّ ، وإن شئتَ بكَرتُ إليك . قال : أنا ليس أكلِّم مولاى — ومعى أبو القنافذ — فقال أبو القنافذ : ما نحتاج مع هذا الُخْبْرِ إلى معاينَة .

وقال أبو البصير المنجِّم ، وهو عند قثم بن جعفر[6] ، لغلامٍ له مليحٍ صَغيرِ السِّنّ : ما حَبَسك يا حَلَقِىّ ؟ — والحلقىُّ : المخنث — ثمّ قال : أمَا والله

(١) ط ، ه : « وبأنه ثنيان » ، والواو مقحمة .

(٢) البيت فى العمدة (٢ : ١٥٣) واللسان (١٨ : ١٢٥) .

(٣) ه : « ومن يعجز » ، تحريف .

(٤) فى اللسان : « يقال للفارس إذا ثنى عنق دابته عند شدة حضره : جاء ثانى العنان . ويقال للفرس نفسه : جاء سابقا ثانيا : إذا جاء وقد ثنى عنقه نشاطا ، لأنه إذا أعيا مد عنقه ، وإذا لم يعى ولم يجهد وجاء سيره عفوا غير مجهود ثنى عنقه » . وأنشد البيت ، وعقب عليه بقوله : « أى يجىء كالفرس السابق الذى ثنى عنقه . ويجوز أن يجعله كالفارس الذى سبق فرسه الخيل ، وهو مع ذلك قد ثنى من عنقه » . فى الأصل : « أى » بدل : « فالمعنى » ، والوجه ما أثبت . س ، ه : « ثانى عنانه » .

(٥) س ، ه : « فكان » .

(٦) هو قثم بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، كان أميرا للبصرة ، وكانت داره مألف كثير من الشعراء منهم أبو العتاهية وسلم الخاسر . انظر الأغانى (٢١ : ٧٧) والمعارف ١٦٤ .

لئن قمتُ إليك يا حلَقىٌّ لَتَعلمنَّ ! فلمَّا أكثر عليه من هذا الكلام [بكى و [1]]
قال : أدعو الله [2] على مَنْ جعلَنى حَلَقيًّا .

حدَّثنى الحسن بنُ المرْزُبانِ قال : كنتُ مع أصحابٍ لنا ، إذ أُتِينا بغلامٍ سِندىٍّ يُباع ، فقلت له : أشتريك ياغلام ؟ فقال : حتَّى أسألَ عنك !

قال المكىٌّ : وأُتِىَ المثنَّى بن بِشرٍ بِسِنْدىٍّ [3] ليشتريه على أنَّه طبّاخ ، فقال له المثنَّى : كَمْ تحسنُ يا غلامُ من لونٍ ؟ فلم يُجبْه ، فأعاد عليه ، وقال : يا غلامُ كَمْ تحسنُ من لون ؟ فكلَّمَ غيرَه وتركه ؛ فقال المثنَّى فى الثالثة : ما له لا يتكلم ؟ يا غلام ، كَم تحسنُ من لون ؟ فقال السندى : كم تحسن من لون ! كم تحسن من لون ! وأنت لا تحسن ما يكفيك أنت [4] ؟ قال : حسبُك الآن : ثم قال المثنَّى للدَّلّال : امضِ بهذا ، عليه لعنةُ الله !

وحدَّثنى ثُمامة قال : جاءنا رجلٌ بغلام سِندىّ يزعمُ أنّه طباخٌ حاذق ، فاشتريتُه منه ، فلمَّا أمرتُ له بالمال قال الرَّجل : إنه قد غاب عنا غيبةً ، فإن اشتريتَه عَلَى هذا الشّرط ، وإلاّ فاتركْهُ . فقلت للسندى : أكنتَ أبقْتَ قطّ ! قال : والله ما أَبَقْتُ قطّ ! فقلت: أنت الآن قد جمعتَ مع الإباق الكذِب [5] ! قال : كيف ذلك ؟ قلتُ : لأنّ هذا الموضعَ لا يجوز أنْ يكذِب فيه البائع . قال : جعلنى الله تعالى فِداءَك [6] ! أنا والله أخبرك عن قصّتى : كنت أذنبْتُ ذنباً كما يُذْنِبُ هذا وهذا ، جميعُ غلمان النَّاس ١٦٧

(١) التكملة من س .
(٢) س : « ادعوا » بغير همز ، على الأمر .
(٣) ط ، هـ : « بشيخ سندى » ، وليس يصح مع سائر الكلام .
(٤) فى الأصل : « وأنا لاتحسن مايكفيك أنت » .
(٥) الإباق : هرب العبد من سيده . أبق يأبق ، من بابى ضرب ونصر ، أبقا وإباقا .
(٦) س : « جعلت فداك » .

فحلفَ بكلِّ يمينٍ لَيضرِبَنّي أربَعمائة سَوط ، فكنتَ ترى لى أن أقيم[١] ؟
قلت : لا الله ! قال : فهذا الآن إباق ؟ قلتُ : لا . قال : فاشتريته فإذا هو
أحسنُ النّاس خبْزاً وأطيبُهم طبخاً[٢] .

وخبّرنى رجلٌ قال : قال رجلٌ لغلام له ذاتَ يوم : يا فاجر ! قال :
جعلنى الله فِداك ، مَولى القوم منهم !

وزعم رَوح بن الطائفية — وكان رَوْحٌ عَبداً لأخْت أنَس بن أبى
شيخ[٣] ، وكانت قد فوّضَت إليه كلَّ شيء من أمْرها — قال : دخلت السُّوق
أريدُ شراءَ غلامٍ طبّاخ ، فبينا أنا واقفٌ إذ جىء بغلامٍ[٤] يُعرَض
بعشرة دنانير ، ويساوِى على حُسْن وجهه وجَودة قدِّه ، وحداثةِ سنِّه ،
دونَ صناعته — مائةَ دينار . فلمّا رأيته لم أتمالك أنْ دنوتُ منه فقلت :
ويحك[٥] أقلُّ ثمنِك على وجْهِك مائةُ دينار . والله ما يبيعُك مولاكَ بعشْرَة
دنانيرَ إلاّ وأنت شرُّ الناس ! فقال : أمّا لهم فأنا شرُّ الناس ، وأمّا لغيرهم
فأنا أساوى مائةَ ومائةَ . قال : فقلت : التزيُّنَ بجمالِ هذا وطيبِ طَبْخِه
يَوما واحدا عند أصحابى خَيرٌ من عشرة دنانير[٦] . فابتَعته ومضيتُ به إلى
المنزل ، فرأيتَ من حِـذقه وخِدمته ، وقِلّة تزيُّده ما إنْ بعثتُه إلى
الصيرَفىّ ليأتينى من قِبَله بعشرين ديناراً ، فأخذَها ومضَى على وجْهه

---

(١) ط ، هـ : « ترانى أن أقيم » ، صوابه فى س .
(٢) ط ، هـ : « وأطبخهم قدرا » ، صوابه فى س .
(٣) كان أنس بن أبى شيخ من البلغاء الفضلاء ، وكان كاتبا للبرامكة ، وقتله الرشيد على الزندقة سنة سبع وثمانين ومائة ، وهى سنة نكبة البرامكة . انظر لسان الميزان ، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠ : ١٩٠ — ١٩١) .
(٤) س : « إذ أتى بغلام » .
(٥) ط ، هـ : « ويلك » .
(٦) ط ، هـ : « يساوى عشرة دنانير » .

فو الله ما شعَرت إلاّ والنّاشد قد جاءنى[1] وهو يطلب جُعْله ، فقلت : لهذا وشبْهه باعك القَومُ بعشرة دنانير ! قال: لولا أنّى أعلم أنّك لا تصدِّق يمينى [و[2]] كيف طُرَّت الدّنانير من ثوبى [3] . ولـكنِّى[4] أقولُ لك واحدة : احتبِسنى واحترسْ منِّى ، واستمتعْ بخدمتى ، واحتسِبْ[5] أنّك كنت اشتريتَنى بثلاثين ديناراً . قال : فاحتبسته لهواىَ فيه ، وقلت[6] لعلّه أنْ يكونَ صادقا . ثمَّ رأيتُ والله من صَلاحه وإنابته[7] وحُسْن خِدمته ، ما دَعانى إلى نِسيان جميع قصَّته ، حتى دفعتُ إليه يَوْماً ثلاثين ديناراً ليوصلها إلى أهلى ، فلمَّا صارت إلى يده ذهَبَ على وجهه ، فلم ألبثْ إلاّ أيّاما حتى ردّه النّاشد ، فقلت له : زَعمتَ أنَّ الدّنانير الأولَى طُرَّتْ منك ، فما قولك فى هذه الثانية ؟ قال: أنا ، واللهِ ، أعلم أنَّك لا تقبل لى عُذْراً ، فدَعْنى خارجَ الدار ، ولا تجاوِزْ بى خدمةَ المطبخ ؛ ولوكان الضَّرْبُ يردُّ عليك شيئاً من مالِك لأشرتُ عليك به ، ولـكنْ قد ذهبَ مالُك ، والضَّرب ينقُص من أجْرك ؛ ولعلِّى أيضاً أموتُ تحتَ الضّرب فتندمَ وتأثَمَ وتفتضحَ

---

(١) الناشد ، يقال الذى يطلب الضالة وينادى بها ، ويقال أيضا للذى يعرف بالضالة ، كما جاء فى قول أبى دواد :

ويصيح أحيانا كما اســـ ... تمع المضل لصوت ناشد

وأراد الجاحظ بالناشد المعرف . ط ، هـ : « قد جاء » وأثبت ما فى س .

(٢) بها يلتئم الكلام .

(٣) أى لأخبرتك بما حدث . طرت : اختلست .

(٤) س : « ولـكن » .

(٥) الاحتساب : الحساب والظن ، وبهما فسر الأزهرى قوله تعالى : (ويرزقه من حيث لايحتسب) أى من حيث لايظن ويقدر ، أو من حيث لايعده فى حسابه . س : « واحسب » .

(٦) ط ، هـ : « فقلت » .

(٧) الإنابة : التوبة والرجوع إلى الطاعة . س ، هـ : « إنابته » ، صوابه فى س .

ويطلبَك السلطان . ولكنْ اقتصِرْ بى على المطْبخ فإنّى سأسُرُّك فيـه ،
١٦٨ وأوفره عليك ، وأستجيد ما أشتريه(١) وأستصلحه لك . وعُدَّ أنك
اشتريتَنى بستّين دينارًا ! فقلت له : أنت لا تفلحُ بعد هذا ! اذهبْ فأنتَ
حرٌّ لوجه الله تعالى ! فقال [لى(٢)] : أنت عبدٌ فكيف يجوز عِتقُك : قلت
فأبيعُك بما عزَّ أوْهانَ(٣) ! فقال : لاتَبِعْنى حَتَّى تُعِدَّ طبَّاخا(٤) ، فإنّك
إنْ بعتنى لم تتغذّ غِذاءً(٥) إلاّ بخبزٍ وباقِلاءَ(٦) . قال : فتركته ومَرَّتْ
بعد ذلك أيامٌ(٧) فبينا أنا جالسٌ يوماً إذ مرَّت علىّ شاةٌ لبونٌ كريمة ،
غزيرة الدّرّ(٨) كنا فرّقْنا بينها وبين عَناقها فأَكثَرَتْ فى الثُّغاء ، فقلت
كما يقول النّاس ، وكما يقول الضّجر : اللهمَّ العَنْ هذه الشاة ! ليت أنَّ الله
بعثَ إنساناً ذبحها أو سرَقها ، حتى نستريحَ من صِياحها ! قال : فلم ألبَثْ
إلاّ بقدْر ما غاب عن عينى(٩) ، ثمَّ عاد فإذا فى يده سِكّين وسَاطور(١٠) ،
وعليه قَميصُ العَمَل ، ثمّ أقبلَ علىّ فقال : هذا اللّحم ما نصنع به(١١) وأىُّ
شىءٍ تأمرنى به(١٢) ؟ فقلت : وأىُّ لحم ؟ قال : لحم هذه الشاة . قلت :

(١) هـ : « واستجييك » تحريف . س : « ما أشترى » .
(٢) التكملة من س .
(٣) أى بأى ثمن كان . وفى الأصل : « بما عز وهان » .
(٤) س ، هـ : « لاتبيعنى » .
(٥) ط : « لاتتغذى » مع إسقاط الكلمة بعدها . س : « لاتتغذى غداء » هـ : « لم يتعمد عدا » ، وقد أثبت مايجمع صواب تلك الروايات .
(٦) الباقلاء : الفول ، يقال باقلاء بالتخفيف والمد ، وباقلى بالتشديد والتخفيف . هـ : « وباقل » .
(٧) ط فقط ، « وصبرت بعد ذلك أياما » .
(٨) كلمة « كريمة » ليست فى س . ط ، هـ : « غزير الدر » صوابه فى س .
(٩) س : « إلا بقدر ماغاب عنى » ، تحريف .
(١٠) الساطور : سيف القصاب . هـ : « وساطرد » محرف .
(١١) س ، هـ : « ماتصنع به » بالخطاب .
(١٢) ط ، هـ : « تأمر به » .

وأيّما شاةٍ[1] ؟ قال : التى أمرتَ بذبحها . قلت : وأى شاةٍ أمرْت بذَبْحها ؟ قال : سبحان الله ! أليس [قد[2]] قلت السّاعة : ليت أن الله تعالى قد بعث إليها مَن يذبحها أو يسرقها ، فلما أعطاك الله تعالى سُؤلك صرتَ تتجاهل ! قال روح : فبقِيت والله لا أقدرُ على حَبسه ولا على بيعه[3] ولا على عِتقه .

(أشعارٌ حِسَان)

[و[4]] قال مسكين الدّارىّ :

إنَّ أبانا بِكْرُ آدم ، فاعلموا ، وحَواء قَرْمٌ ذو عَثانِين شارفُ[5]

كأنّ على خُرطومه متهافِتاً من القُطن هاجته الأكفُّ النوادفُ[6]

ولَلصَّدأُ المُسْوَدُّ أطيبُ عندَنا من المِسكِ دَافته الأكُفُّ الدوائفُ[7]

---

(١) س : « وأى شاة » .

(٢) هذه من س .

(٣) ط ، هـ : « على بيعه ولا حبسه » .

(٤) هذه من س .

(٥) القرم ، بالفتح : الفحل . والعثانين : جمع عثنون ، وهى شعيرات طوال تحت حنك البعير . وفى اللسان : « يقال بعير ذو عثانين ، كما قالوا لمفرق الرأس مفارق » . ط ، س : « ذو عنانين » هـ : « عيائين » . والصواب ما أثبت من العيون (٤ : ١٦٥) والشارف : المسن من الإبل والمسنة .

(٦) المتهافت : المتطاير المتساقط . شبه اللغام على مشافر ذلك القرم بقطن متهافت تطيره أيدى النادفين ، شبهه به فى بياضه .

(٧) داف الطيب : خلطه . يقول : رائحة الصدأ من حديد السلاح أطيب عندنا من المسك المدوف . س : « ذاقته الأكف الذوائف » ، تحريف .

ويُصْبِح عِرفان الدُّرُوعِ جلودَنا إذا جاء يومٌ مُظلِمُ اللَّونِ كاسفُ

تعلق فى مثْل السّوارِى سُيوفُنا وما بينها والكعب مِنّا تَنائفُ(١)

وكلُّ رُدَيْنِىٍّ كأنَّ كُعوبَــه قَطاً سابقٌ مستورِدٌ الماءَ صائفُ(٢)

كأنَّ هِلالاً لاحَ فوقَ قَنَاتِهِ جلا الغَيْمَ عنه والقتامَ الحَراجِفُ(٣)

له مثلُ حُلقومِ النَّعامــة حــلة ومثل القدامى ساقها متناصفُ(٤)

وقال أيضاً مِسكينٌ الدَّارِمىّ(٥) :

وإذا الفاحشُ لاقى فاحِشاً فهنا كُمْ وافقَ الشَّنُّ الطبَقْ(٦)

إنّمــا الفُحشُ ومنْ يعتادُه كغُرابِ البَيْنِ ما شاءَ نَعَقْ(٧)

أو حمارِ السَّوْءِ إنْ أشبعْتَهُ رَمَحَ النَّاسَ وإنْ جاعَ نَهَقْ(٨)

---

(١) مثل السوارى ، عنى بها أعناق الرجال . والسارية : الأسطوانة من أساطين البيوت ونحوها . والتنائف : جمع تنوفة . وهى المفازة ، وهذه مبالغة ظاهرة أن يجعل مابين أعناقهم وكعوبهم تنائف . وفى المقاييس (نف) : « نفانف » . والبيت من شواهد النحويين فى العطف .

(٢) الردينى : الرمح المنسوب إلى ردينة ، جعل كعوبه كالقطا فى ضآلتها ؛ ويستحب من الرمح قصر كعوبه .

(٣) شبه سنان ذلك الرمح بالهلال فى بياضه ولمعانه وتقوسه ، فى الأصل : « فوق قناته » تحريف ، ونظير هذا ماجاء من قول المزرد فى المفضليات ٩٩ :

له فارط ماضى الغرار كأنه هلال بدا فى ظلمة الليل ناحل

الغيم : السحاب . والقتام : الغبار . والحراجف : جمع حرجف ، وهى الريح الباردة اليابسة ، يقول : كأنه الهلال المجلو فى تلك الليالى الباردة التى ينتفى فيها الغيم والغبار .

(٤) كذا ورد هذا البيت .

(٥) س : « وقال أيضا » فقط .

(٦) انظر ماسبق فى ص ١١٤ .

(٧) فى الخزانة (١ : ٤٦٧) : «نغق» بالمعجمة . يقال نعق ونغق بمعنى .

(٨) س ، ه : « وإن شاء » ، صوابه فى ط والخزانة والشعراء ١٢٣ .

أو غُلامِ السَّوءِ إنْ جوَّعتَه ... سَرَق الجارَ وإن يشْبَع فَسَق ٦٩

وقال ابن قيس الرقيات[١] :

مَعقِل القوم من قُريشٍ إذا ما ... فازَ بالجهلِ مَعْشَرٌ آخرُونا[٢]

لا يَؤُمُّون فى العَشِــيرةِ بالسُّو ... ءِ ولا يُفسِدُون ما يَصْنَعُونَا[٣]

وقال ابنُ قيس أيضاً ، واسمُه عبد الله[٤] :

لو كانَ حَولى بنو أميَّــةَ لم ... ينطِقْ رجالٌ إذا هُمُ نَطقُوا

إنْ جلسُوْا لم تَضِقْ مجالسهُم ... أو ركِبوا ضاقَ عنهمُ الأُفقُ

كَمْ فيهم من فَتًى أخِى ثِقَةٍ ... عن مَنْكِبَيْه القميصُ منخرقُ[٥]

تُحبُّهم عُــوَّذُ النِّساء إذا ... ما احمَرَّ تحت القوانِسِ الحَدَقُ[٦]

وأنــكَرَ الــكَلْبُ أهلَه ورأى الشَّـرَّ ... وطاحَ المروَّع الفَرِقُ[٧]

وقال النَّابغة :

سَهكِينَ مِنْ صَدَإِ الحديدِ كأنَّهمْ ... تحتَ السَّنَوَّرِ جِنةُ البقَّارِ[٨]

---

(١) سبقت ترجمته فى (٢ : ٦). س : « ابن الرقيات » ، تحريف .

(٢) ط : « مقل القوم » ، صوابه فى س ، هـ .

(٣) يؤمون : يقصدون . ط : « يأمون » س : « يؤمنون » هـ : « يؤبون » . صوابه ما أثبت .

(٤) انظر ماسبق من الخلاف فى اسمه ولقبه فى (٢ : ٦) .

(٥) فى ديوانه : « عن منكبيه السربال » .

(٦) العوذ : جمع عائذة ، وهى التى تلجأ إلى غيرها تعتصم به . ط ، هـ : « تحسبهم عذر » . س : « تحسبهم غدر » ، صوابهما من الديوان . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى بيضة الحديد . س : « الفرايس » تحريف .

(٧) فى الديوان : « وأتى الشر » برفع الشر . والفرق : الخائف الفزع . وهذه الأبيات من قصيدة فى ديوان ابن قيس الرقيات ١٤٨ — ١٥٣ ، وترتيبها على هذا النحو : ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ .

(٨) الجنة : الجن . والبقار ، بفتح الباء وتشديد القاف : جبيل لبنى أسد . =

وقال بشار بن برد :

يطيِّب ريحُ الخيزُرَانَةِ بينَهمْ   على أنّها ريحُ الدِّماء تضُوعُ[١]

(القول فى الشهب واستراق السمع)

وسنقول فى الشُّهُب ، وفى استراق السَّمع[٢] . وإنّما تركْنا جمعَه فى مكانٍ واحد ، لأنّ ذلك كان يطولُ على القارئ . ولو قد قرأ فضْل الإنسانِ على الجانّ ، والحجَّةَ على مَن أنكرَ الجانّ — لم يستثقِلْه ، لأنّه حينئذٍ يقصد إليه على أنّه مقصورٌ على هذا الباب ، فإذا أدخلناه فى باب القول فى صِغار الوحش ، والسِّباع ، والهَمج ، والحشراتِ ، فإذا[٣] ابتدأ القراءة على ذلك استطال كلّ قصير إذا كان من غير هذا المعنى .

قالوا : زعمتم أنّ الله تعالى قال : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ[٤] ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ[٥] ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ[٦] ﴾ ونحنُ لم نجدْ قطُّ كوكباً خلا مكانُه ، فما ينبغى أنْ يكون واحدٌ من جميع

= س : « حنة » هـ : « حنته » صوابهما فى ط . ويروى : « قنة البقار » كما أنشده ياقوت فى البلدان (٢ : ٢٥٠) . وانظر ماسبق من الكلام على البيت فى ص ١٨٩ من هذا الجزء من الحيوان .

(١) روى الصدر برواية أخرى فى حماسة ابن الشجرى ١١٣ وشروح سقط الزند ٧٠٠ ، ٧٠٨ ، ٨٥٧ . وعجزه فى المقاييس (ضوع) .

(٢) انظر ماسبق من الكلام على الشهب واستراق السمع فى ص ٢٦٤ — ٢٨١ .

(٣) س : « وقد » .

(٤) من الآية ١٥ فى سورة الملك .

(٥) الآية ١٧ من سورة الحجر .

(٦) كذا وردت هذه الآية مكررة فى ط ، هـ . على أن الكلام من بعد كلمة : « للشياطين » الأولى إلى هنا ساقطة من س .

هذا الخلق[١] ، من سكّان الصحارى ، والبحار[٢] ، ومن يراعي النُّجوم للاهتداء ، أو يُفكِّر[٣] فى خلق السموات أن [يكون[٤]] يرى كوكباً واحداً زائلاً[٥] ، مع قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ ﴾ .

قيل لهم : قد يحرِّك الإنسانُ يدَه أو حاجبَه أو إصبَعه ، فتضافُ تلك الحركةُ إلى كلِّه ، فلا يشكُّون أنَّ الكلَّ هو العاملُ لتلك الحركة . ومتى فَصَل شِهابٌ[٦] من كوكب ، فأحرق وأضاء فى جميع البلاد[٧] ، فقد حكَم[٨] كلُّ إنسانٍ بإضافة ذلك الإحراق إلى ذلك الكوكب . وهذا جواب [قريبٌ[٩]] سهل . والحمد لله . ١٧٠

ولم يقلْ أحد : إنَّهُ يجبُ فى قوله ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ ﴾ أنّه يَعْنِي الجميع . فإذا كان قد صحَّ أنّه إنَّما عَنَى البَعض فقد عَنَى نُجُوم المجرَّة[١٠] ، والنجومَ التى تظهر فى ليالى الحنادس ؛ لأنّه محال أن تقعَ عينٌ على ذلك الكوكبِ بعينه فى وقت زَواله حتَّى يكون الله عزَّ وجلَّ لو أفنى ذلك الكوكبَ من بين جميع الكواكب الملتفَّة ، لعرف هذا المتأمِّلُ

(١) س : « من جمع سكان هذا الخلق » . وكلمة « سكان » مقحمة .

(٢) س : « والتجار » .

(٣) ط ، ه : « وأنكر » س : « وينكر » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٤) ليست بالأصل . وقد كررت « أن يكون » لطول الفصل بينها وبين سابقتها .

(٥) فى الأصل : « قائلا » ، والوجه ما أثبت . وسيأتى فى س ١٢ قوله : « فى وقت زواله » .

(٦) فى الأصل « ومن فضل شعاع » ، صوابه ما أثبت .

(٧) س : « العيان » ، تحريف .

(٨) فى الأصل : « وفى حكم » .

(٩) هذه الكلمة من س .

(١٠) فى الأصل : « فى غب نجوم المجرة » .

مكانَه ، ولوَجَدَ مَس فقدِه . ومن ظَنَّ بجهله أنَّه يستطيع الإحاطةَ بعدد النُّجوم[1] فإنه متى تأمَّلها فى الحنادس ، وتأمَّلَ المجرَّة وما حولَها ، لم يضرِب المثلَ فى كثرة العدَد إلاّ بها[2] ، دونَ الرّمل والتّراب وقَطْر السَّحاب .

وقال بعضُهم[3] : يدنوالشِّهاب قريباً، ونراه يجىء عَرْضاً لا مُنْقَضًّا[4]، ولو كان الكوكبُ هو الذى ينقَضُّ لم يُرَ كالخيط الدَّقيق[5] ، ولأضاء جميعَ الدُّنيا ، ولأَحرق كلَّ شىء مما على وجْه الأرض . قيل له : قد تكون الكواكب[6] أفقيّة ولا تكونُ علوية[7] ؛ فإذا كانت كذلك فصَل الشِّهابُ مِنها عَرْضا . وكذلك قال الله[8] تعالى : ﴿ إلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ[9] ﴾ وقال الله عزَّ وجلّ : ﴿ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ[10] ﴾ فليس لكم أن تَقضوا بأَنَّ المباشرَ لبدَن الشيطان هو الكوْكبُ[11] حتى لا يكون غير ذلك ، وأنتم تسمعونَ الله تعالى يقول[12] :

---

(1) ط ، س : « بعد النجوم » ، وأثبت ما فى ه .

(2) فى الأصل : « إلا أنها » ، والوجه ما أثبت .

(3) فى الأصل : « فيقال بعضهم » .

(4) فى الأصل : « ولا منقضا » والواو مقحمة .

(5) فى الأصل : « الرقيق » بالراء .

(6) فى الأصل : « الجبال » .

(7) ط فقط : « وتكون علوية » ، تحريف .

(8) الكلام من هنا إلى لفظ الجلالة التالى ساقط من س .

(9) الآية ١٠ من سورة الصافات .

(10) من الآية ٧ فى سورة النمل . وقد وردت الآية محرفة فى الأصل بلفظ : « لعلى آتيكم » . وأما الآية التى تلتبس بهذه الآية فهى قول الله تعالى : (لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى) من الآية ١٠ فى سورة طه . وقد سبق كثير من التحريفات القرآنية فى (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ / ٥ : ٣٢ : ٩٣ ، ١٣٧ ، ٥٤٤ ، ٥٤٧) . وانظر تحقيق النصوص لعبد السلام هارون ص ٤٥ .

(11) أى هو جميع الكوكب . وفى الأصل : « من الكوكب » .

(12) فى الأصل : « وأنتم تسمعونه والله تعالى يقول » .

﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ والشِّهاب معروفٌ فى اللغة ، وإذا لم يُوجِبْ عليها ظاهرَ لفظ القُرآن(١) لم ينكر أنْ يكون الشِّهابُ كالخطّ أو كالسهم لا يضيءُ إلاّ بمقدار ، ولا يقوَى على إحراق هذا العالَم . وهذا قريبٌ والحمد لله .

وطعن بعضهم من جهة أخرى فقال : زعمتم أنّ الله تبارك وتعالى قال : ﴿وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ . لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ(٢)﴾ وقال على سَنَن الكلام : ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ قال : فكيف تكون الخطفة من المكان الممنوع ؟ قيل له : ليس بممنوعٍ من الخطفة ، إذ كان لا محالة مرميًّا بالشِّهاب(٣) ومقتُولا ، على أنَّه لو كان سَلِمَ بالخطْفة لما كان استفادَ شيئاً للتكاذيب والرِّياسة . وليس كلُّ مَن كذبَ على الله وادَّعى النبوَّة كان على الله تعالى أَنْ يُظهر تكذيبه ، بِأَنْ يخسِفَ به الأرض ، أو ينطِقَ بتكذيبه فى تلك السَّاعة . وإذا وجبَ ١٧١ فى العُقول السَّليمة ألاَّ يصدق فى الأخبار لم يكن معه بُرهان . فكفى بذلك .

ولو كان ذلك لكانَ جائزاً ، ولكنَّه ليس بالواجب(٤) . وعلى أنَّ

---

(١) أى إذا لم يتأول لفظ القرآن على ظاهره .

(٢) الآيات ٧ — ٩ من سورة الصافات .

(٣) ط ، هـ : « مؤمنا بالشهاب » س : « هو منا بالشهاب » . ووجههما ما أثبت .

(٤) ط ، هـ : « ليس بالجواب » .

ناساً من النحويِّين لم يُدخلوا قوله تعالى : ﴿ إلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ ﴾ في الاستثناء ، وقالوا[1] : إنّما هو كقوله[2] :

إلاّ كخارجة المكلِّفِ نفسَه وابنَى قبيصة أن أغِيبَ ويَشْهَدا[3]

وكقوله أيضاً[4] :

إلا كناشرة الذى كَلَّفتمُ كالغُصْنِ فى غلوائه المتَنَبِّتِ[5]

---

(١) ط ، ﻫ : « وقال » س : « قال » .

(٢) هو الأعشى ، والبيت فى ديوانه ص ٣٤ طبع جاير من قصيدة طويلة .
وقبل البيت :

من مبلغ كسرى إذا ماجاءه عنى مآلك مخمشات شردا
آليت لانعطيه من أبنائنا رهنا فنفسدهم كمن قد أفسدا
حتى يفيدك من بنيه رهينة نعش ويرهنك السماك الفرقدا

وبعد البيت :

إن يأتياك برهنهم فهما إذا جهدا وحق لخائف أن يجهدا

(٣) خارجة : رجل من بنى شيبان كما فى شرح الديوان ، وقد ورد عجز البيت محرفا : « وأبى قبيصة أن أغيب وتشهدا » ، وصوابه الذى أثبت من الديوان .

(٤) هو عنز بن دجاجة المازنى . كما فى كتاب سيبويه (١ : ٣٦٨) . وقبل البيت :

من كان أشرك فى تفرق فالج فلبونه جربت معا وأغدت

وفالج هذا هو فالج بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، سعى عليه بعض بنى مازن وأساء إليه حتى رحل عنهم ولحق ببنى ذكوان بن بهثة بن سليم بن قيس عيلان فنسب إليهم . وكان بنو مازن قد ضيقوا على رجل منهم يسمى ناشرة حتى انتقل عنهم إلى بنى أسد ، فدعا هذا الشاعر المازنى عليهم حيث اضطروه إلى الخروج عنهم ، واستثنى ناشرة منهم لأنه لم يرض فعلهم ، ولأنه قد امتحن بهم محنة فالج بهم . انظر شرح شواهد سيبويه للشنتمرى . والبيتان بدون نسبة فى اللسان (نبت) . وورد البيت منسوبا إلى الأعشى فى المخصص (١٦ : ٦٨) ، وليس فى ديوانه ، وإنما أوقع ابن سيده فى هذا الوهم تشابه مابين الصدرين .

(٥) الكاف فى « كناشرة » زائدة ، أو غير زائدة لأنه أراد ناشرة ومن كان مثيله ، كما تقول : مثلك لا يرضى بهذا ، أى أنت وأمثالك . فى الأصل : « كباشرة » محرف . كلفتم ، أى أمرتموه بما يشق عليه . والرواية فى جميع المراجع : « الذى ضيعتم » . وفى الأصل : « كالعضو » . والغلواء : النماء والارتفاع ؛ وأصله فى الشباب ، أوله وسرعته . ط ، ﻫ : « علوائه » س : « عليائه » تحريف . والمتنبت ، بفتح الباء المشددة : المنمى المغذى ، ويروى بكسر الباء ومعناه النابت النامى . هذا قول الشنتمرى . ولم أجد تنبت =

وقال الشّاعر فى باب آخر، ممّا يكونُ موعظةً له من الفكر والاعتبار. فمن ذلك قوله [١] :

مهما يَكن ريبُ المَنُون فإننى ... أرى قَمَر اللّيلِ المعَذَّرَ كالفَتَى [٢]

يَكُونُ صغيراً ثمَّ يعظُم دائباً ... ويرجعُ حتّى قيلَ قدمات وانقضَى

كذلك زَيدُ المرءِ ثمَّ انتقاصُه ... وتكراره فى إثرِه بعد مامَضَى [٣]

وقال آخر :

ومستَنْبَتٍ لا باللّيالى نَباتُه ... وما إن تلاقِى ما به الشّفَتَانِ [٤]

= متعدية فيما لدى من المعاجم . وقال ابن منظور : « وقيل المتنبت هنا المتأصل » يعنى المتنبت بكسر الباء المشددة . وفى الأصل : « المتثبت » تحريف .

(١) هو حسان السعدى ، أو حنظلة بن أبى عفراء الطائى . انظر حواشى (٣ : ٤٧٨) حيث الكلام على نسبة الشعر وتخريجه وتفسيره .

(٢) فى الأصل : « فإلا تكن » و : « المقدر » بدل : « المعذر » . وانظر ما سبق فى (٣ : ٤٧٨) .

(٣) فى الأصل : « كذاك يزيد المرء » ، تحريف .

(٤) ط ، س : « ومستثبت لا بالليالى ثباته » ، والوجه ما أثبت من ه . ط ، ه : « تلاقت به » س : « تلاقت به » بترك بياض بين الكلمتين . ولعل الوجه ما أثبت . عنى أن الطريق كلما سار به السابلة ازداد اتساعا وطولا ونماء ولا أثر لليالى فى ذلك ، وإنما هو من فعل السالكين ، ومع أنه نبت فإن أحدا لا تلاقى شفتاه ما به لتطعمه . وقد روى هذا البيت فى المخصص (٩ : ٢٨) وتهذيب الألفاظ ٤٠١ :

وما شامة سوداء فى حر وجهه ... مجللة لا تنجلى لزمان

لكن فى المخصص : « وذى شامة » . وفى شرح التهذيب : « قال أبو محمد — يعنى أبا محمد يوسف بن الحسين بن عبد الله بن المرزبان القيسرانى : كما فى مقدمة الكتاب — : الذى عندى أنه أراد : وما شىء فى حر وجهه شامة سوداء ؟ ويكون سؤاله عن القمر إلا أنه ألغز . وإن حمل الكلام على ظاهره كان السؤال عن الشامة ماسببها » .

وآخر في خمسٍ وتسعٍ تَمامُه ويُجْهَد في سَبْعٍ معا وثمانِ[1]

الأوّل الطّريق والثاني القمر .

(ما قيل في إنقاص الصحة والحياة)

وقال أبو العتاهية :

* أسرَعَ في نقْصِ امرئٍ تمامُه[2] *

وقال عبدُ هند[3] :

فإنّ السِّنان يركبُ المرءُ حَدّه من العارِ أويعدُو على الأسدِ الوَرْدِ

وإنّ الذى ينها كُمُ عن طِلاَبِهَا يُناغِي نِساءالحيِّ في طُرّةالبُرْد[4]

يُعَلّلُ والأيّامُ تنقص عمرَهُ

كما تنقُصُ النِّيرانُ من طَرَفِ الزَّندِ[5]

وفي أمثال العرب : «كلُّ ما أقامَ شَخَص[6] ، وكلُّ مَا ازداد نقص ؛ ولو كان يُميتُ النّاسَ الدَّاء ، لأعاشهم الدّواء » .

---

(١) المخصص : « ويدرك في خمس وتسع » ، والتهذيب : « ويدرك في ست وتسع » يجهد ، من قولهم جهده المرض والتعب الحب يجهده جهدا : هزله . ورواية المخصص والتهذيب : « ويهرم » .

(٢) في عيون الأخبار (٢ : ٣٣٢) : « في نقص » بالصاد المهملة ، وهو الأوفق في المقابلة .

(٣) كذا ورد في جميع النسخ . وقد سبق في (٣ : ٤٧٩) بهذه النسبة أيضا في نسخة كوبريلي . وفي (٣ : ٤٨) : « عمرو بن هند » ، كما ورد بهذه النسبة الأخيرة في ط ، س من (٣ : ٤٧٩) .

(٤) في الأصل : « فان الذى » ، صوابه من الموضعين السابقين والبيان (٣ : ٣٤) .

(٥) في الأصل : « نعلل والأيام تنقص عمرنا » ، وأثبت ما في المواضع السابقة .

(٦) شخص : سار من بلد إلى بلد . وفي ط ، هـ : « كل ما قام » س : « كلما قام » والوجه « مع فصل « كل » عن « ما » . وانظر البيان (١ : ١٥٤) .

وقال حميد بن ثور :

أرى بَصَرِى قد رَابَنِي بَعْدَ صحّةٍ　　وحَسْبُكَ داءً أن تصحَّ وتسلما

وقال النَّمر بنُ تَولب :

يُحبُّ الفتَى طُولَ السَّلاَمةِ والبقا　　فكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلامةِ يفعَلُ[1]

(أخبار فى المرض والموت)

١٧٢ وقيل للمُوبَذ[2] : متى أبنك يعنى أبنك[3] قال : يوم ولِد .

وقال الشّاعر :

تصرّفتُ أطوارًا أرى كُلَّ عِبْرَةٍ　　وكان الصِّبَا مِنِّى جَديدا فأخْلَقا[4]

وما زادَ شىءٌ قطُّ إلا لنقصِه　　وما اجتمع الإلفان إلاَّ تفرَّقا[5]

وقيل لأعرابى فى مرضه الذى مات به : أىَّ شىءٍ تشتكى ؟ قال : تمام العِدَّة ، وانقضاء المدّة[6] !

وقيل لأعرابىٍّ[7] ، فى شَكَاته التى ماتَ فيها : كيف تجِدُك ؟ قال : أجدُنى أجدُ مالا أشتهى ، وأشتهى مالا أجِد !

---

(١) انظر البيان (١ : ١٥٤) والمعمرين ٦٣ والأغانى (١٩ : ١٥٩) وشرح شواهد المغنى ٢١٥ .

(٢) هـ : « المؤيد » تحريف .

(٣) كذا فى ط . وفى س : « متى ابنك يعنى أباك » بإهمال الكلمة الأخيرة ، هـ : « متى أتيك يعنى أينك » .

(٤) أخلق : بلى . ط : « تعرفت أطوارا » .

(٥) ط ، هـ : « وما اجتمعا » ، صوابه فى س .

(٦) هذا الخبر ساقط من هـ .

(٧) سبق الخبر فى (٣ : ١٣٢) . وفى عيون الأخبار (٣ : ٤٩) : « عن أبى زيد قال : دخلنا على أبى الدقيش وهو شاك ، فقلنا له : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى أجد مالا أشتهى وأشتهى مالا أجد ، ولقد أصبحت فى شر زمان و شر ناس ؛ من جاد لم يجد ، ومن وجد لم يجد » .

وقيلَ لعَمرو بن العاصى فى مَرْضَته التى ماتَ فيها[1] : كيف تجدك ؟ قال : أجِدُنى أذوب ولا أثُوب[2] .

وقال مَعْمَرٌ : قلتُ لرجلٍ كان معى فى الحبْس ، وكان مات بالبطْن : كيفَ تجدُك ؟ قال : أجدُ روحى قد خرَجَتْ من نصفى الأسفل ، وأجدُ السَّماء مُطْبِقةً علىَّ ، ولو شئتُ أنْ ألمَسَها بيدِى لفعلت ، ومهما شككتُ فيه فلا أشكُّ أنَّ الموت بَرد ويُبس ، وأنَّ الحياةَ حرارة ورطوبة .

(شعر فى الرثاء)

وقال يعقوبُ بن الرَّبيع[3] فى مرثية جاريةٍ كانتْ له :

حَتَّى إذا فَتَرَ اللِّسانُ وأصبحَتْ ... للموتِ قد ذَبَلَتْ ذُبول النَّرجسِ
رَجَعَ اليقين مطامعِى يأساً كما ... رَجَعَ اليقينُ مطامِعَ المتلمِّس[4]

---

(١) س : « فى مرضه الذى مات فيه » .

(٢) أثوب ، بالمثلثة : أرجع . س : « آتوب » تحريف . وتمام الخبر فى عيون الأخبار (٣ : ٤٩) : « وأجد نجوى أكثر من رزقى ، فما بقاء الشيخ على هذا ! » .

(٣) هو يعقوب بن الربيع الحاجب مولى المنصور ، شاعر محسن أنفد شعره فى مراثى جاريته « ملك » بضم الميم ، وكان طلبها سبع سنين يبذل فيها ماله وجاهه حتى ملكها فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت ، فرثاها بشعر كثير . انظر معجم المرزبانى ٥٠٤ والكامل ٧٧٣ – ٧٧٤ . ومن قوله فيها :

يا ملك نال الدهر فرصته ... فرمى فؤادا غير محترس
كم من دموع لا تجف ومن ... نفس عليك طويلة النفس

(٤) رجع المطامع يأسا : جعلها يأسا لا أمل فيها . ويشير إلى ما كان من طمع المتلمس الشاعر بما فى صحيفته ، ثم ضياع ذلك الأمل حين عرضها على أحد أبناء الحاضرة فعرف ما فيها من المكيدة . وبين هذا البيت وسابقه :

وتسهلت منها محاسن وجهها ... وعلا الأنين تحثه بتنفس

وقال يعقوبُ بن الربيع :

لَئن كانَ قُرْبُكِ لى نافعاً لَبُعْدُكِ قد كان لى أنفعاَ

لأنى أمِنْتُ رَزَايَا الدُّهور وإنْ جلَّ خطبٌ فلن أجْزَعاَ

وقال أبو العتاهية[1] :

وكانَتْ فى حياتِكَ لى عِظَاتٌ فأنتَ اليوم أوْعَظُ منك حَيَّا

وقال التيميُّ :

لقَد عَزَّى رَبيعَةَ أنَّ يوماً عليها مِثلَ يومِكَ لا يعودُ

ومِنْ عَجبٍ قَصَدْنَ له المنايا على عَمْدٍ وهُنَّ له جُنُودُ[2]

وقال صالحُ بنُ عبد القدُّوسِ :

إن يكنْ ما أصِبت فيه جليلا فذهاب العَزاء فيـه أجَلُّ

ونظر بعضُ الحكماء إلى جنازة الإسكندر، فقال : « إنَّ الإسكندرَ كان أمسِ أنطقَ منه اليوم ، وهو اليومَ أوعَظُ منه أمس » .

وقال حسان :

ابيضَّ مِنِّى الرَّأسُ بعدَ سوادِه ودَعَا المشيبُ حَليلَتِى لِبعادِ[3] ٩٧٣

واستُنفِدَ القَرْنُ الذى أنا مِنْهُمُ وكَفى بذلك علامةً لحصادِى[4]

وقال أعرابى :

---

(١) يرثى على بن ثابت الأنصارى، كما فى معاهد التنصيص (٢ : ١٨٥) ، أو ولدا له كما فى العقد (٢ : ١٥٦) . وانظر الكامل ٢٣٠ ليبسك وذيل الأمالى ص ٢ والحيوان (٣ : ٩١) وحواشى أمالى الزجاجى ٩٣ من تحقيقنا .

(٢) فى الأصل : « بنود » .

(٣) س : « خليلتى لبعادى » .

(٤) استنفدهم : أنفدهم وأفناهم . ط ، س : « واستنفذ » هـ : « وستنفذ » صوابهما ما أثبت . ط ، هـ : « وكفى بذلك » ، صوابه فى س .

إذا الرِّجالُ ولدَتْ أولادُها　　واضطربَتْ من كِبَرٍ أعضادُها
وَجَعَلَتْ أسقامُها تعتادُها　　فهي زُروعٌ قد دَنا حَصادُها

وقال ضِرارُ بنُ عمرو[1] : « مَنْ سرَّه بَنُوهُ ساءتْه نفسُه » .

وقال عبدُ الرحمن بن أبي بكرة . « مَنْ أحبَّ طُولَ العُمُر فليُوطِّنْ نفسَه على المصائب » .

وقال أخو ذِي الرُّمَّة[2] :

ولم يُنسِني أوْفَى المُلِمَّاتُ بعدَه　　ولكنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أوْجَعُ

(بعض المجون)

وقال بعض المُجّان[3] :

نُرقِّع دُنْيانا بتمزيقِ دِينِنا　　فلا دِينُنا يَبْقَى ولا ما نرقِّعُ

وسُئل بعضُ المُجَّان : كيف أنتَ في دينك ؟ قال : أخرِّقه بالمعاصي ، وأرقّعه بالاستغفار .

---

(١) في عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) : « ورأى ضرار بن عمرو الضبي له ثلاثة عشر ذكرا قد بلغوا ، فقال » .

(٢) هو مسعود ، كما في الشعراء ١٢٧ والأغاني (١٦ : ١٠٧) يرثي بهذا الشعر أخاه ذا الرمة ويذكر « أوفى » الذي مات قبل ذي الرمة . وأوفى هذا هو أوفى ابن دلهم ، ابن عم ذي الرمة ، وكان أحد رواة الحديث الثقات ، ترجم له ابن حجر في تهذيب التهذيب . وذكر ابن قتيبة أن « أوفى » هذا أخ لذي الرمة والصواب أنه ابن عمه لا أخوه وقبل البيت :

نعى الركب أوفى حين آبت ركابهم　　لعمري لقد جاءوا بشر فأوجعوا
نعوا باسق الأخلاق لا يخلفونه　　تكاد الجبال الصم منه تصدع
خوى المسجد المعمور بعد ابن دلهم　　فأضحى بأوفى قومه قد تضعضعوا
تعزيت عن أوفى بغيلان بعده　　عزاء وجفن العين ملآن مترع

(٣) البيت منسوب إلى إبراهيم بن أدهم في العقد (٢ : ١١٥) . وفي محاسن البيهقي (٢ : ٤٧) : « وكان إبراهيم بن أدهم ينشد » ، وفي عيون الأخبار (٢ : ٣٣٠) : « كان إبراهيم بن أدهم العجلي يقول » . ويبدو أنه كان يتمثل بهذا البيت كما في البيان (١ : ٢٦٠) .

(شعر في معنى الموت)

وأنشدُوا لعُروة بن أُذينة :

تُراع إذا الجنائزُ قابلتْنَا ... ويحزُننا بُكاءُ الباكياتِ[1]

كرَوْعةِ ثَلَّةٍ لُمغَارِ سَبْعٍ ... فلما غابَ عادَتْ راتِعَاتِ[2]

وقال أبو العتاهية :

إذا ما رأيتم مَيِّتِينَ جزعتمُ ... وإن لم تَروا مِلتم إلى صَبَواتِها[3]

وقالت الخنساء :

تَرتَعُ ما غَفَلَتْ حتَّى إذا ادَّكرت ... فإنَّما هي إقبالُ وإدبارُ[4]

وكان الحسنَ لا يتمثَّل إلا بهذين البيتين ، وهما :

يسرُّ الفتى ما كان قدَّمَ من تُقًى ... إذا عَرَفَ الدَّاءَ الذى هو قاتلُه

والبيتُ الآخر :

ليس مَنْ ماتَ فاستراح بمَيْتٍ ... إنَّما الميْتُ ميِّتُ الأحياء[5]

---

(١) في عيون الأخبار (٣ : ٦٢) : « ونلهو حين تخفى ذاهبات » .

(٢) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم . والمغار : مصدر ميمى من أغار . وفي الأصل : « ليمار » ، صوابه من عيون الأخبار والبيان (٣ : ٢٠١) والرواية في الأخير : « لمغار ذئب » .

(٣) أي صبوات الدنيا . والصبوة ، بالفتح : جهلة الفتوة واللهو من الغزل .

(٤) من مرثية الخنساء في أخيها صخر . والبيت في صفة ناقة ثكلت ولدها . وقبله :

فما عجول على بو تطيف به ... قد ساعدتها على التحنان أظآر

العجول ، أراد بها ناقة ثكولا . والبو : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلده أمه يحشى تبنا ويدنى منها فتشمه وترأمه . ما غفلت : أي عن ذكر ولدها . في الأصل : « ذكرت » والرواية : « ادكرت » بتشديد الدال : أي تذكرت . جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر كأنها تجسمت من الإقبال والإدبار . انظر الخزانة (١ : ٢٠٧ بولاق) والبيان (٣ : ٢٠١) .

(٥) البيت لعدى بن الرعلاء الغسانى ، كما في الخزانة (٤ : ١٨٧) وحماسة ابن الشجرى ٥١ .

وكان صالحٌ المُرّىّ[١] يتمثّل فى قصصه بقوله :

فباتَ يُروِّى أصولَ الفسيلِ فعاشَ الفَسيلُ وماتَ الرجلْ

١٧٤ وكان أبو عبد الحميد المكفوف ، يتمثّل فى قَصَصه بقوله :

يا راقدَ اللّيلِ مَسروراً بأوَّله إنّ الحوادثَ قد يطرُقن أسحارَا[٢]

ونظر بكرُ بن عبد الله المُزَنىّ[٣] إلى مُوَرِّقٍ العِجلىّ[٤] ، فقال :

عندَ الصَّباحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى وتنجلى عنهمْ غَياباتُ الكَرَى[٥]

وقال أبو النجم[٦] :

---

(١) هو صالح بن بشير بن وادع المرى ، بضم الميم وتشديد الراء ، أبو بشر البصرى القاضى الزاهد ، أحد رواة الحديث العباد البلغاء . توفى سنة ١٧٢ . تهذيب التهذيب والبيان والتبيين (١ : ٧٨) . وفى الأصل : « صالح المدنى » تحريف ، وقد جاء اسمه على الصواب فى البيان .

(٢) لأبى العتاهية فى ديوانه ١٢٠ . ونسب إلى ابن الرومى فى تفسير سورة طارق عند القرطبى. وانظر البيان (٣ : ٢٠٢) .

(٣) بكر بن عبد الله المزنى : نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصرى ، ثقة ثبت جليل من الثالثة ، مات سنة ست ومائة . تقريب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧١) . س : « المدنى » تحريف .

(٤) مورق - بضم الميم وفتح الواو وتشديد الراء المكسورة - بن مشمرج ، بضم الميم وفتح الشين وسكون الميم بعدها راء مكسورة فجيم ، ابن عبد الله العجلى ، أبو المعتمر البصرى ، ثقة عابد من كبار الثالثة ، مات بعد المائة . ط : « مؤرق » بالهمز ، تحريف ، صوابه فى س ، هـ وتقريب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧٣) والقاموس (ورق) .

(٥) البيتان من أرجوزة نسبت فى أمثال الميدانى (١ : ٤٢٢) إلى خالد بن الوليد . وهى بدون نسبة فى معجم البلدان (رسم سوى ، وقراقر) وتاريخ الطبرى (٤ : ٤٥) . ومهما يكن فإنها قيلت فى رافع بن عميرة الطائى ، دليل خالد بن الوليد حين أراد السير مفوزا من قراقر - وهو ماء لكلب - إلى سوى - وهو ماء لبهراء - بينهما خمس ليال ، فالتمس دليلا ، فدل على رافع واستنقذ بذلك جيشه الذى أرسل مددا من العراق إلى الشام فى زمن أبى بكر . وقبل البيتين :

لله عينا رافع أنى اهتدى فوز من قراقر إلى سوى
خمسا إذا ماساورها الجيش بكى ما سارها قبلك إنسى يرى

(٦) ورد بدون نسبة فى البيان (٣ : ١٩٤) .

كلنا يأمُلُ مدًّا في الأجلْ والمنايا هيَ آفاتُ الأملْ

فأمّا أبو النجم فإنّه ذهَب في الموت مذهبَ زهير حيث يقول[١] :

إنَّ الفتى يُصْبِحُ للأسقامِ كالغَرَضِ المَنْصُوبِ للسِّهامِ

* أخطاهُ رامٍ وأصاب رامِ[٢] *

وقال زهير :

رأيتُ المنايا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

(مقطعات شتى)

وقال الآخر[٣] :

وإذا صَنَعْتَ صَنيعةً أتممتها بيدَين ليس نَداهُما بمكدّرِ

وإذا تباعُ كريمةٌ أو تُشْتَرَى فسواك بائعُها وأنت المُشْتَرِي[٤]

---

(١) أي حيث يقول أبو النجم .

(٢) هـ : « أخطأ رام » .

(٣) هو ابن المولى ، واسمه محمد بن عبد الله بن المولى ، شاعر متقدم مجيد من مخضرمي الدولتين ، قدم على المهدي وامتدحه فأجازه بجوائز سنية ، ووفد على يزيد ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب فامتدحه بقوله :

يا واحد العرب الذي أضحى وليس له نظير

لو كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير

انظر الأغاني (٣ : ٨٥) . والبيتان العاليان من أبيات له في الحماسة يمدح بها يزيد ابن حاتم ، وقد رويا في الأغاني (٩ : ٦٧) بدون نسبة .

(٤) روى هذا البيت في الحماسة والأغاني سابقا لما قبله . ط هـ : « فإذا تباع » بالفاء ، وأثبت ما في س والحماسة والأغاني .

وقال الشاعر :

قصيرُ يدِ السِّربالِ يَمْشِى معرِّدًا وشرُّ قريشٍ فى قريشٍ مُرَكَّبا[1]

وقال الآخر[2] :

بعثتَ إلى العراقِ ورافِدَيه فزاريًّا أحَذَّ يدِ القَميصِ[3]

تفيْهق بالعراق أبو المثنَّى وعلَّمَ قومه أكلَ الخبيصِ[4]

وقال الآخر :

حَبَّـذا رَجْعُها إلىَّ يَدَيها بيدَىْ دِرعِها تحلُّ الإزارا

وأنشد :

طَوَتْهُ المنايا ، وهو عنهنَّ غافلٌ بمنخَرِق السِّربالِ عارِى المناكبِ[5]

جرىءٍ على الأهوال يَعْدِل دَرْأَهَا بأبيضَ سَقَّاطٍ وراءَ الضَّرائب[6]

---

(١) السربال : القميص ، ويده : كمه . معردا ، من التعريد ، وهو الأحجام . ط ، هـ : « معرجا » . والتعريج : الإمالة . وأثبت ما فى س . والمركب : الأصل والمنبت . وفى الأصل : « وشق قريش فى قريش مركنا » تحريف .

(٢) هو الفرزدق يخاطب يزيد بن عبد الملك ويشكو إليه عمر بن هبيرة الفزارى والى العراق ، وكان يكنى أبا المثنى . انظر ما سبق فى (٥ : ١٩٧) .

(٣) الأحذ : السريع اليد الخفيفها ، أراد خفة يده فى السرقة ، وقد سبق البيتان محققين مفسرين مع أخوين لها فى (٥ : ١٩٧) . ط : « أخذ » س : « أحد » هـ : « أجد » . صوابها ما أثبت .

(٤) هـ : « يفيق » س : « يمعق » بالإهمال . وانظر ما سلف من الروايات فى هذا البيت .

(٥) أراه زاد الباء فى « بمنخرق » ، والمعروف زيادتها فى الحال المنفى عاملها ، كما سبق فى ص ١٠٦ . أى طوته المنايا فى هذه الحال . وانخراق السربال ، إنما هو لإدمانه السفر ودؤوبه فى السير .

(٦) الدرء : العوج والميل ، قال المتلمس :

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من درئه فتقوما

ط : « يعدل ذروه » س : « يعدل دوه » هـ : « بعد درؤه » والصواب ما أثبت . والأبيض : السيف . والسقاط : السيف يسقط من وراء الضريبة يقدها حتى يصل إلى الأرض بعد أن يقطع .

وقال جرير[1] :

تركتُ لكم بالشّام حَبْلَ جماعةٍ
مَتِينَ القُوَى مُسْتَحْصِدَ الْفَتْلِ باقياً[2]

وجدْتُ رُقَى الشَّيطانِ لا تستفزُّه وقدكان شَيطانى من الجِنِّ راقيا[3]

وقال الأسدىّ[4] :

كثير المناقب والمكرمات يجود مجداً وأصلاً أثيلا

ترى بيديه وَراء الكمىِّ تباله بعد نصال نصولا

(١) البيتان لم يرويا فى ديوان جرير . وكان من خبر الشعر أن عمر بن عبد العزيز حين استخلف جاءه الشعراء فجعلوا لايصلون إليه ، فجاء عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعليه عمامة قد أرخى طرفيها ، فدخل فصاح به جرير وقال :

يأيها القارئُ المرخى عمامته هذا زمانك إنى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه أنى لدى الباب كالمصفود فى قرن

فدخل على عمر فاستأذن له فأدخل عليه وأنشده مديحا ، ولكن عمر لم يبض له بقطرة ، فخرج من عنده على أصحابه - وفيهم الفرزدق - فسألوه : ما صنع بك أمير المؤمنين ؟ قال : خرجت من عند رجل يقرب الفقراء ويباعد الشعراء ، وأنا مع ذلك عنه راض . ثم وضع رجله فى غرز راحلته وأتى قومه ، فقالوا : ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حزرة ؟ فأنشد هذا الشعر . انظر الأغانى (٧ : ٥٤) .

(٢) عنى بحبل الجماعة عمر بن عبد العزيز ، به يجتمع شمل المسلمين وبه يستمسكون . والقوى : طاقات الحبل ، واحدها قوة . الأغانى : « أمين القوى » . والمستحصد ، بكسر الصاد : المحكم الشديد الفتل . س : « يستحصد » هـ : « يستحضر القول » ، صوابهما فى ط . وفى الأغانى : « مستحصد العقد » .

(٣) رقى الشطان : عنى بها بديع الشعر . راقيا ، أى كأن شيطانه يرقى الناس ويعوذهم بما يلقيه على لسانه من الشعر . يقول : لم تفلح فيه تلك الرقى .

(٤) وردت الأبيات التالية محرفة فى الأصل ، وكلمة : « نصال » فى البيت الثانى -

تمنى السفاه ورأى الخنا ... وضَلَّ وقد كان قِدْمًا ضَلولا

فإن أنت تنزع عن وُدِّنا ... فما أن وجدت لقلبى محيلا

كمل المصحف السَّادسُ من كتاب الحيوان ولله الحمدُ والمِنَّة ، يتلوه أول المصحف السابع : القول فى أحساسِ أجناس الحيوان[1] .

= ساقطة من هـ ، وموضعها بياض فى س . والبيت الرابع ساقط من هـ . ولم أجد لها مرجعا أعتمد عليه فى تحقيقها .

(١) كذا فى س . وفى ط : « تم الجزء السادس من كتاب الحيوان ويليه الجزء السابع ، وأوله القول فى أحساس أجناس الحيوان » .

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
١١	٩	« والسعة » كذا فى الأصل . وصوابها : « والسبُعية » وهو مصدر صناعى ، جاء نظيرهُ فى قول الجاحظ فى (٤ : ١٣٠) : « بالجاموسية والخنزيرية التى فيها » .
٦٢	٥	دغماء هى أمه ، وهى دغماء بنت مرة أخت جعونة بن مرة ، كما جاء فى كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء .
٨٤	١٣	« العقصير » وجدت فى القاموس (٢ : ٩٤) : « العقيصير مصغرا دابة يتقزز من أكلها » .
٢٤٤	٦	نسب البيت فى عيون الأخبار (٢ : ٢٢٠) إلى ابن أبى فنن خطأ ، إذ أن البيت الذى أوله « قالت عهدتك » مقحم على النص فى عيون الأخبار ، وموضعه بعد الخبر الذى يليه .
٢٦٣	١٠	« بتقطيع ثيابه » تقطيع الثياب : تقصيرها ، أو وشيها وشياً مقطَّعًا : والمقطَّعات : الثياب القصار ، وبرود عليها وشى مقطّع .
٤٤٧	٥	أنشد ياقوت فى معجم الأدباء (٨ : ٢٥٦) للشاعر النهرجورى :

هل أرين شوتنا وأمته راكبة حوله على البقر

ثم قال : شوتن عند المجوس يجرى مجرى المهدى ، ويزعمون أنه يخرج

وقدامه أربعون نفسا ، على كل منهم جلد النمر » فيعيدون دين النور » . ونقل هذا النص عنه الخفاجى فى شفاء الغليل فى نهاية حرف الشين . وانظر الحيوان (٧ : ٢٤٦) .

كتبه

عبد السلام محمد هارون

مصر الجديدة فى { ١٣٨٦ هـ
١٩٦٦ م }

أبواب الكتاب

صفحة

شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء السابع

ومعه القسم الأول من الفهارس العامة لجميع أجزاء الكتاب

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء





تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء السابع

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٧هـ = ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى أحساس أجناس الحيوان

اللهم إنّا نَعوذ بك من الشَّيطان الرجيم ، ونسألك الهداية إلى صراطك المستقيم[١] ، وصلّى الله على سيدنا محمد خاصَّة[٢] وعلى أنبيائه عامَّة . ونعوذ بالله أن تدعوَنا المحبَّةُ لإتمام هذا الكتاب إلى أنْ نَصِل الصِّدْقَ بالكذب ونُدْخِل الباطلَ فى تضاعيف الحقّ ، وأن نتكثَّر بقول الزور ونلتمس تقوية ضعفِه[٣] باللفظ الحسن ، وستر قبحه بالتأليف المونِق[٤] ، أو نستعينَ على إيضاح الحقِّ إلا بالحق ، وعلى الإفصاح بالحجَّة إلاّ بالحجة[٥] ، ونستميلَ إلى دراسته واجتبائه[٦] ، ونستدعى إلى تفضيله والإشادة[٧] بذكره ، بالأشعار المولّدة ، والأحاديث المصنوعة[٨] ، والأسانيد المدخولة ، وبما لاشاهد عليه إلاّ دعوى قائله ، ولا مصدِّق له إلاّ مَن لا يُوثَق بمعرفته . ونعوذُ بالله من فتنة القول وخَطَله ، ومن الإسهاب وتقحُّم أهله[٩] . والاعتمادُ فيما بيننا

---

(١) فيما عدا ل : « إلى الصراط المستقيم » .

(٢) ط ، هـ : « محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم خاصة » .

(٣) س ، هـ : « صفته » ل : « ويلعمس تمويه مافيه » .

(٤) هـ : « وشر » تحريف . ل : « قبيحة » . المونق : المعجب . س : « الموفق » .

(٥) فيما عدا ل : « وعلى إيضاح الحجة إلا بالحجة » .

(٦) الاجتباء : الاختيار والاصطفاء . ط : « واقتنائه » س ، هـ : « واحتبائه » صوابهما فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « والإشارة » ل : « والإصادة » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) ط ، س : « الموضوعة » ، وأثبت مافى ل ، هـ .

(٩) ل ، هـ : « وتفحم » س ، ط : « خطته » .

وبين كثيرٍ من أهل هذا الزمان على حسن الظنّ[1] ، والاتّكالُ فيهم على العُذر ؛ فإنّ كثيرًا ممّن يتكلّف قراءة الكُتب ، ومدارسةَ العلم ، يقِفون من جميع الكتب[2] على الكلمة الضعيفة ، واللّفظة السّخيفة ، وعلى موضع من التأليف قد عرض له شيءٌ من استكراهٍ[3] ، أو ناله بعضُ اضطراب[4] ، أو كما يعرض في الكتب من سَقَطات الوهْم ، وفَلَتات الضَّجَر ، ومن خطأ النّاسخ ، وسوء تحفُّظ المعارِض[5] على معنًى لعله لو تدبَّره بعقلٍ غير مفسَدٍ ، ونظرٍ غير مدخول ، وتصفّحَه وهو محترِسٌ من عوارض الحسد ، ومن عادة التسرُّع[6] ، ومن أخلاقِ من عسى أن يفَّسِح في القول بمقدار ضيق صَدره ، ويُرسِل لسانَه إرسالَ الجاهل بِكُنْه ما يكون منه . ولو جعلَ بدلَ شُغله بقليلِ ما يرى من المذموم شغْلَهُ[7] بكثيرِ ما يرى من المحمود — كانَ ذلك أشبهَ بالأدبِ المرضيّ والخِيم الصَّالح ، وأشدَّ مشاكلَةً للحكمة ، وأبعدَ من سلطان الطَّيش ، وأقربَ إلى عادة السَّلف[8] وسيرة الأوَّلين ، وأجدَرَ أن يَهَبَ الله له السَّلامةَ في كُتبه ، والدِّفاعَ عن حُجَّته يومَ مناضلةِ خصومه[9] ومقارعةِ أعدائه .

(١) ط : « على من حسن الظن » ﻫ : « على ظن من حسن الظن » ، محرفتان .

(٢) فيما عدا ل : « من جميع هذا الكتاب » .

(٣) س : « الاستكراه » .

(٤) فيما عدا س : « وناله بعض الاضطراب » .

(٥) س : « المعاند » .

(٦) فيما عدا ل : « ومن عارض » ط فقط : « التبرع » تحريف .

(٧) ط ، س : « تنقله » ﻫ : « ينقله » صوابهما في ل .

(٨) ط ، ﻫ : « الصلف » تحريف .

(٩) ط ، ﻫ : « يوم مناضلة خصومه » .

وليس هذا الكتابُ — يرحمك الله — في إيجاب الوَعد والوعيد فيعترض عليه المُرجئُ ، ولا في تفضيل عليٍّ فينصب له العثمانيّ[١] ، ولا هو في تصويب الحكَمَين ، فيتسخّطَه الخارجيّ ، ولا هو في تقديم الاستطاعة فيعارضَه من يُخالف التقديم ، ولا هو في تثبيت الأعراض فيخالفَه صاحبُ الأجسام ، ولا هو في تفضيل البَصرة على الكوفة ، ومكة على المدينة ، والشّام على الجزيرة ، ولا في تفضيل العجَم على العرب ، وعدنانَ على قَحْطان ، وعمرٍو على واصل[٢] فيردّ بذلك الهذيلي عَلَى النّظّامي[٣] ، ولا هو في تفضيل مالكٍ على أبي حنيفة ، ولا هو في تفضيل امرئ القيس على النّابغة ، وعامر ابن الطفيل على عمرو بن معد يكرب ، وعباد بن الحُصين[٤] على عبيد الله ابن الُحرّ ، ولا في تفضيل ابن مُريج على الغَريض ، ولا في تفضيل سيبويه على الكسائيّ ، ولا في تفضيل الجعفريّ على العقيليّ[٥] ، ولا في تفضيل حلم الأحنف على حِلم معاوية ، وتفضيل قتادة على الزّهرى ، فإنّ لكلّ

---

(١) يقال نصب لفلان نصبا : إذا قصده وعاداه وتجرد له ، ومنه النواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون ببغضة على عليه السلام . فيما عدا ل : « فينصب » ، وصواب النص من ل .

(٢) عمرو : هو عمرو بن عبيد المترجم في (١ : ٣٣٧) وهو صاحب العمرية . انظر الفرق بين الفرق ١٠٠ — ١٠٢ .

(٣) الهذيلي : واحد الهذيلية ، وهم أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف ، المعتزلى . انظر الكلام على مذهبه في الفرق بين الفرق ١٠٢ والملل (١ : ٦٢) والمواقف ٦٢١ ومفاتيح العلوم ١٨ . فيما عدا ل : « الهذلى » تحريف .

(٤) سبقت ترجمته في (٢ : ١٠٤) وترجمة عبيد الله بن الحر في (٢ : ١٠٣) ط ، هـ : « بن الحسين » صوابه في س . وفي ل : « بن حصين » وهو وجه جائز في العربية .

(٥) ل : « والجعدى على القاقلانى » .

صِنفٍ من هذه الأصناف شيعةً ، ولكلِّ رجلٍ من هؤلاء [الرجال] جُنداً وعدداً يخاصمون عنهم . وسفهاؤهم المتسرعون منهم كثير[1] ، وعلماؤهم قليل وأنصاف علمائهم أقلّ .

ولا تنكر هذا — حفظكَ الله — أنا رأيت رجُلين بالبصرة على باب مُويس ابن عِمران ، تنازعا فى العنب النَّيروزىِّ والرازقىِّ ، فجرى بينهما اللعين[2] حتى تواثبا ، فقطع الكوفىُّ إصبع البصرىِّ ، وفقأ البصرىُّ عينَ الكوفىّ ، ثم لم ألبَث إلّا يسيراً حتى رأيتهما متصافيَيْن متنادمين لم يقعا قطّ على مقدار ما يُغضب مِن مقدار ما يُرضى[3] ، فكيف يقعَانِ على مقادير طبقات الغضب والرضا[4] ؟ ! والله المستعان .

وقد ترك هذا الجمهورُ الأكبر ، والسَّوادُ الأعظمُ ، التوقفَ عند الشبهة ، والتثبّتَ عند الحكومة جانبا ، وأضربوا عنه صَفْحًا[5] ، فليس إلّا لا أو نعم . إلّا أنَّ قولهم « لا » موصول منهم بالغضب ، وقولهم « نعم » موصولٌ منهم بالرِّضا . وقد عُزلت الحرِّيّة[6] جانبا ، ومات ذِكرُ الحلال والحرام ، ورُفض ذكر القَبيحِ والحسن .

قال عَمرو بن الحارث : « كنَّا نُبغض من الرِّجال ذا الرياء والنَّفج[7] ، ونحن اليوم نَتمنّاهما » .

---

(١) فيما عدا ل : « من مخاصميهم وسفهائهم والمتسرعون منهم كثير » .

(٢) أى الشيطان . ل : « العَنَن » تحريف .

(٣) ل : « لم يقعا قط على مايغضب من ما يرضى » .

(٤) فيما عدا ل : « مقدار طبقات الغضب » .

(٥) فيما عدا ل : « وأعرضوا عنه صفحا » .

(٦) فيما عدا ل : « وقد عزل الحق جانبا » .

(٧) النفج : أن يفتخر بما ليس له . ماعدا ل : « النفخ » تحريف .

قد كتبْنا من كتاب الحيوان ستّةَ أجزاء ، وهذا الكتابُ السابع هو الذى ذكرنا فيه الفِيل بما حضَرنا من جُمْلة القولِ فى شأنه ، و [فى] جملة أسبابه ، والله الموفق .

وإنما اعتمدنا فى هذه الكتب على الإخبار عمّا فى أجناس الحيوان[١] من الحجج المتظاهِرة ، وعلى الأدلة المترادفة[٢] ، وعلى التنبيه على ماجلَّلها الله تعالى من البرهانات[٣] التى لاتعرف حقائقُها إلا بالفكرة[٤] ، وغشّاها من العلامات التى لا تُنال منافعها إلا بالعبرة ، وكيف فرّق فيها من الحكم العجيبة[٥] ، والأحساس الدقيقة ، والصنعة اللطيفة ، وما ألهمها من المعرفة وحشاها[٦] من الجُبن والجرأة ، وبصَّرها بما يُقيتُها[٧] ويُعيشُها ، وأشعرها من الفِطنة لما يحاول منها[٨] عدوُّها ، ليكونَ ذلك سببا للحذر ، ويكونَ حذرُها سبباً للحِراسة ، وحراستُها سبباً للسلامة ، حتى تجاوزت فى ذلك مقدارَ حراسة المجرِّب من الناس ، والخائفِ المطلوب من أهل الاستطاعة والرويّة[٩] ، كالذى يروى من تحارُس الغرانيق والكراكى ، وأشكالٍ من ذلك كثيرة ، حتّى صار الناسُ لايضربون المثلَ إلا بها ، ولا يذمّون

(١) فيما عدا ل : « وإنما اعتمادنا فى هذا الكتاب على أخبار ما فى أجناس الحيوان » .

(٢) ل : « من الحجج الظاهرة والأدلة المترادفة » . وكلمة : « الظاهرة » محرفة .

(٣) جللها : كساها . وفيما عدا ل : « خلفها » ، تحريف .

(٤) ط ، هـ : « لايعرف » . وفيما عدا ل : « إلا من الفكرة » .

(٥) فيما عدا ل : « من الحكمة » .

(٦) حشاها : ملأها ، على المثل . وأنشد ثعلب :

ولا تأنفا أن تسألا وتسلما ... فما حُشى الإنسان شرا من الكبر

فيما عدا ل : « كساها » تحريف .

(٧) فى الأصل : « يقيمها » .

(٨) فيما عدا ل : « بما تحاذر بها عدوها » .

(٩) س ، هـ : « والرؤية » تحريف .

ولا يمدحون إلا بما يجدون فى أصناف الوَحْش من الطَّير وغير ذلك ، فقالوا : أحذر من عقْعَق ، وأحذَر من غراب ، وأحذَر من عصفور ، وأسمع من فَرْخ العُقاب[١] ، وأسمع من قُراد ، وأسمعُ من فَرَس ، وأجْبَنُ من صِفْرِد[٢] ، وأسخَى من لافِظَة[٣] ، وأصنع من تنَوِّطٍ ، وأصْنَع من سُرْفة ، وأصنع من دَبْر ، وأهدى من قَطاة ، وأهدى من حمامٍ ، وأهدَى من جمل [وأزهى من غراب[٤]] ، وأزهى من ذباب[٥] ، وأجرأ من اللَّيث ، وأكسب من الذِّئب ، وأَخدع من ضَبٍّ ، وأرْوَغ من ثعلب ، وأَعقّ من ضَبٍّ ، وأبرّ من هِرَّة ، وأَسْرع من سِمْع ، وأظلم من حيَّة ، وأظلم من وَرَلٍ ، وأكذبُ من فاختِة ، وأصدق من قطاة ، وأمْوَق من رَخمة ، وأحزَم من فَرْخ العُقاب .

ونبَّهنَا تعالى وعزّ على هذه المناسبة ، وعلى هذه المشاركة[٦] ، وامتَحن ماعندنا بتقديمها علينا فى بعض الأمور ، وتقديمنا عليها فى أكثر الأمور[٧] وأراد بذلك ألاّ يُخْلِينَا من حُجة ، ومن النَّظر إلى عبرةٍ ، وإلى مايعود عند الفكرة[٨] موعظة . وكما كره[٩] لنا من السهو والإغفال ، ومن

---

(١) فيما عدا ل : « وأحذر من فرخ العقاب » . وانظر ما سيأتى فى ص ١٥ ، وأمثال الميدانى فى قولهم : « أسمع من حية . . . » الخ ، كما أنه سبق فى (٦ : ٤٣٩) قول الراجز :

* أسمع من فرخ العقاب الأسحم *

(٢) ط ، هـ : « صافرة » تحريف . وفى س : « صافر » وهذه صحيحة ؛ فإن الصافر مما يضرب به المثل فى الجبن . انظر لجبن الصافر (٣ : ٤٠٥) ولجبن الصفرد (١٠ : ٢١٣ س ٢)

(٣) ويقال أيضا : « أسمح من لافظة » . وانظر المثل فى (٢ : ١٤٨ — ١٤٩) .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) هذا المثل ساقط من س .

(٦) فيما عدا ل : « عن هذه المناسبة وعن هذه المشاركة » .

(٧) فيما عدا ل : « ببعض الأمور وتقديمها علينا فى أكثر الأمور » ، تحريف .

(٨) ط ، هـ : « عند الفطنة » .

(٩) فى الأصل : « ولما » .

البطالة والإهمال ، فجعلنا فى كلِّ أحوالنا لاتُفْتَح أبصارُنا إلا وهى واقعةٌ على ضربٍ من الدلالة ، وعلى شكل من أشكال البرهانات ، وجعل ظاهرَ مافيها من الآيات داعيا إلى التفكير فيها ، وجعل ما استخزنها من أصناف الأعاجيب يُعرف بالتكشيف عنها[١] ؛ فمنها ظاهرٌ يدعوك إلى نفسه[٢] ، ويشير إلى مافيه ، ومنها باطنٌ يَزيدك بالأمور ثقةً إذا أفضيتَ إلى حقيقته ، لتعلم أنَّك مع فضيلة عقلِك ، وتصرُّف استطاعتِك إذا ظهر عجزُك عن عمل ٥ ماهو[٣] أعجز منك — أنَّ الذى فضَّلك عليه بالاستطاعة والمنطق ، هو الذى فضَّله عليك بضروبٍ أُخَر ، وأنكما ميسَّران لما خلِقتُما له ، ومُصَرَّفان لما سُخِّرْتما له ، وأن الذى يعجِز عن صَنعة السُّرْفة ، وعن تدبير العنكبوت فى قلتهما ومَهانتهما وضُعفهما وصِغَر جُرمهما[٤] ، لاينبغى أن يتكبَّر فى الأرض ولا يمشِيَ الُخيَلاء ، ولا يتهكَّمَ فى القول ، ولا يتألَّى ولا يستأمر[٥] . وليعلم أنَّ عقله منيحة من ربه[٦] ، وأن استطاعتَه عاريَّةٌ عنده ، وأنه إنما يستبقى النِّعمة بإدامة [الشُّكْر[٧] ، والتعرُّض لسلبها بإضاعة] الشكر .

ثم حبَّب إليها طلب الذَّرء والسِّفاد الذى يكون مَجْلَبَةً للذرء[٨] ، وحبَّب إليها أولادَها ونجلَها وذَرءها ونسلها ، حتى قالوا : أكرم الإبل أشدُّها حنيناً ، وأكرم الصَّفايا أشدُّها حبًّا لأولادها . [وزَاوَجَ بين أكثرها]

---

(١) فيما عدا ل : « بالكشف عنها » .
(٢) ل : « نصه » .
(٣) فيما عدا ل : « من هو » .
(٤) فيما عدا ل : « صورهما » .
(٥) ل : « يستثنى » .
(٦) فيما عدا ل : « منحة من ربه » .
(٧) فى الأصل ، وهو هنا ل : « الشكر » .
(٨) فيما عدا ل : « للولد » .

وجعل تألّفَها معَ بعضها من الطّروقة[١] إذا لم يكن الزّواج لها خَلقا ، وجعل إلف العِرْس لها عادةً ، وقوّاها على المسافَدة ، لتتمّ النعمة ، وتعظُم المنة[٢] ، وألهمها المبالغةَ فى التربية ، وحُسْنَ التعبُّد ، وشدّة التفقُّد ، وسوَّى فى ذلك بين الجِنس الذى يُلَقِّم أولاده تلقيما ، وبين الذى يُرْضِعُها إرضاعا ، وبين الذى يزقُّه زَقًّا ، وبين مايحضُن ومالا يحضن . ومنها ما أخرجها من أرحام البَيض وأرحام البطون كاسيةً ، ومنها ما أخرجها كاسيةً كاسِبة ، وأمتَعَها والذَّها[٣] ، وجعلها نِعمةً على عباده ، وامتحانا لشكرهم ، وزيادةً فى معرفتهم ، وجِلاءً لما يتراكم من الجهل على قلوبهم . فليس لهذا الكتاب ضدٌّ من جميع مَن يشهد الشهادة ، ويصلِّى إلى القبلة[٤] ، ويأكل الذَّبيحة ولا ضدٌّ من جميع الملحدين ممَّن[٥] لايقرُّ بالبعث ، وينتحل الشرائع وإن ألْحَدَ فى ذلك وزاد ونقص ، إلا الدَّهريَّ ، فإن الذى ينفى الربوبيَّة[٦] ، ويُحيل الأمرَ والنَّهىَ ، ويُنكر جواز الرِّسالة ، ويجعل الطِّينة قديمة ، ويَجحد الثوابَ والعِقاب ، ولا يعرف الحلالَ والحرام ، ولا يقرُّ بأن فى جميع العالَم برهانا يدلّ عَلى صانعٍ ومصنوع ، وخالق ومخلوق ، ويجعلُ الفلك الذى لايعرف نفسه من غيره ، ولا يفصل بين الحديث والقديم ، وبين المحسن والمسىء ، ولا يستطيع الزيادةَ فى حركته ، ولا النُّقصانَ مِن دورانه ،

---

(١) الطروقة ، بالفتح : الأنثى التى بلغت الضراب . ل : « وكثر لبعضها من الطروقة » .

(٢) فيما عدا ل : « وتتم المنة » .

(٣) فيما عدا ل : « وأمتعها وأولادها » .

(٤) فى الأصل : « ويصلى القبلة » .

(٥) ط ، ﻫ : « من » .

(٦) ط ، ﻫ : « الرب » ل : « الربوبة » وهذه محرفة .

ولا مُعاقبةً للسُّكون بالحركة[١] ، ولا الوقوفَ طرْفَةَ عين ، ولا الانحرافَ عن الجهة — هو[٢] الذى يكون به جميع الإبرام والنَّقض ، ودقيقُ الأمور وجليلها ، وهذه الحِكَمُ العجيبة ، والتدابير المتْقَنة ، والتأليف البديع[٣] ، والتَّركيب الحكيم ، على حسابٍ معلوم ، ونسَق معروف ، على غايةٍ من دقائق[٤] الحكمة ، وإحكام الصَّنعة . ٦

ولا ينبغى لهذا الدهرىِّ أيضاً أن يعرِض لكتابنا هذا وإن دلَّ على خلافِ مذهبه ، ودعا إلى خِلافِ اعتقاده ، لأن الدَّهرىّ ليس يرى أنَّ فى الأرض دينا أو نِحلةً أو شريعةً أو مِلة ، ولا يرى للحلال حُرْمَةً ولا يعرفه ولا للحرام نهايةً ولا يعرفه ، ولا يتوقَّع العقابَ على الإساءة ، ولا يترجَّى[٥] الثوابَ على الإحسان . وإنما الصواب عنده والحقُّ فى حُكْمه ، أنه والبهيمةَ سِيّانِ ، وأنه والسَّبُعَ سِيّان ، ليس القبيحُ عنده إلاّ ما خالف هواه [وليس الحسَن عنده إلاّ ما وافق هواه] ، وأن مدار الأمر على الإخفاق والدَّرك ، وعلى اللذّة والألم ، وإنما الصواب فيما نال من المنفعة[٦] ، وإن قتلَ ألفَ إنسانٍ صالحٍ لِمَنالةِ درهم ردىء[٧] . فهذا الدهرىّ لا يخاف إن ترك

(١) ل : « السكون الحركة » .
(٢) هو ، أى الفلك ، الذى تقدم ذكره .
(٣) فيما عدا ل : « والتأليف البديعة » .
(٤) فيما عدا ل : « من حقائق » .
(٥) فيما عدا ل : « يتوخى » : تحريف .
(٦) س : « نال به منفعة » .
(٧) ط : « لنالة » س ، هـ : « لناله » صوابهما فى ل . والمنالة : الحصول على الشىء ، مصدر ميمى .

الطّعْن على جميع الكتب عقابا ولا لائمة ، ولا عذاباً [دائما] ولا منقطعاً ولا يرجو إنْ ذمّها ونَصَب لها[1] ثواباً فى عاجل ولا آجل .

فالواجبُ أن يسلم هذا الكتابُ على جميع البريَّة ، إذ كان موضِعُه على هذه الصِّفة ، ومُجراه إلى هذه الغاية . والله تعالى الكافى الموفِّق بلطفه وتأييده[2] ، إنه سميع قريب ، [فعال لما يريد] .

ثم رجع بنا القولُ إلى الإخبار عن الحيوان ، وبأىِّ شىء تفاضلتْ وبأىِّ شىء خُصَّت ، وبماذا أبينتْ[3] . وقد عرَفنا ما أعطيت فى الشَّمِّ والاستِرْواح . قال الرَّاجز[4] وذكر الذئب :

يستخبِرُ الرِّيحَ إذا لم يسمَع   بمِثْل مِقْرَاعِ الصَّفا الموقَّعِ[5]

وقد عرفنا كيف شمُّ السَّنانيرِ والسِّباع والذئاب . وأعجبُ من ذلك وِجدانُ الذَّرّة لرائحةِ شىءٍ لو وضعْتَه على أنفك لَمَا وجدْتَ له رائحة كرجل جرادةٍ يابسة منبوذةٍ ، كيف تجدُ رائحتها من جوف جُحرها حتى تخرج إليها ، فإذا تكلّفَتْ حملَها فأعجزَتْها كيف تستدعى إليها سائر الذَّرِّ ، وتستعينُ بكلِّ ما كان منها فى الجُحر ، ونحوِ شمِّ الفرَس رائحةَ الحِجْر

---

(١) نصب لها : عاداها وتجرد لها . انظر ما سبق فى التنبيه الأول من ص ٧ . ط ، س : « نصب إليها » ، هـ : « لقب لها » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « والموفق بتأييده » .

(٣) فيما عدا ل : « أنست » .

(٤) هو أبو الرديني العكلي ، كما سبق فى (١ : ٣٤) والبيان (١ : ٨٢) . وانظر الحيوان (٤ : ١٣٢) .

(٥) الموقع : المحدد . فيما عدا ل : « المرقع » تحريف . وروايته فى اللسان (نخر) : « يستنخر » ؛ استنخر الريح : قابلها بأنفه ليكون أروح لنفسه .

من مَسيرة ميل . والفرس يسير قدما[١] والحجر خلفه بذلك المقدار ، من غير تلفُّتٍ ولا معايَنةٍ من جهة من الجهات . وهذا كثيرٌ ، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع[٢] .

فأمّا السَّمع فدعنا من قولهم : « أسمعُ من فَرس » و : « أسمع من فرْخ العقاب » وأسمع من كذا ، وأسمع من كذا . ولكنّا نقصد إلى الصَّغير الحقير في اسمه وخطَره ، والقليلِ في جسمه وفي قَدْره

وتقول العرب : « أسمع من قُراد » ، ويستدلون بالقِردان التي تكون حَوْل الماء[٣] والبئر . فإذا كان ليلة ورود القَرَب[٤] ، وقد بعث القومُ من يصلح لإبلهم الأرشِيَةَ وأداةَ السقي ، وباتت الرجال [عند الماء[٥]] تنتظر مجيء الإبل ، فإنها تعرف قربَها منهم في جوف الليل بانتفاش القِرْدان[٦] وسرعة حركتها وخشخشتها ، ومرورها نحو الرعاء ، وزجر الرعاء[٧] ، ووقع الأخفاف على الأرض ، من غير أن يُحسّ أولئك الرجالُ حسّا[٨] أو يشعروا بشيء من أمرها . فإذا استدلوا بذلك من القِردان نهضوا [فتلبَّبوا] واتزَرُوا[٩] وتهيئوا للعمل .

---

(١) سار قدما : مضى لم يعرج ولم ينثن . ط ، س : « قدما » .

(٢) انظر ما سبق في (٢ : ١٤١ / ٤ : ٤٠٢) .

(٣) فيما عدا ل : « المياه » .

(٤) القرب ، بالتحريك : أن يسير القوم إبلهم وهم في ذلك يسيرون نحو الماء ، فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجلوا نحوه ، فتلك الليلة ليلة القرب . ط ، س : « العرب » تحريف .

(٥) هذه التكملة من ل ، س . وفي س زيادة « لما » في آخر هذه العبارة .

(٦) ل : « بانتعاش للقردان » .

(٧) فيما عدا ل : « نحو الراعي وزجر الراعي » .

(٨) فيما عدا ل : « تحس أولئك الرجال حسها » .

(٩) التلبب : أن يتحزم بثوبه عند صدره . والاتزار : لبس الإزار ، في لغة —

فأمّا إدراك البصر[١] فقد قالوا : « أبصر من غراب » و : « أبصر من فرس » ، و : « أبصر من هدهد » و : « أبصر من عقاب » .

والسَّنانير والفأرُ والجرذان والسِّباع تُبصر بالليل كما تبصر بالنهار ؛ فأمّا الطُّعم فيظنّ أنها بفرط الشَّرَه والشّهوة[٢] وبفرط الاستمراء وبفرط[٣] الحرص والنَّهم ، أن لذتها تكون عَلى قَدْر شرهها وشهوتها ، وتكون على قدر ماترَى من حركتها[٤] ، وظاهر حرصها . ونحن قد نرى الحمار إذا عاين الأتان ، والفرس إذا عاينَ الحِجْر والرمكة[٥] ، والبغلَ والبغلةَ ، والتيسَ والعنز[٦] فنظن [أن اللذة] على قدر الشهوة ، والشهوة على قدر الحركة ، وأن الصِّياحَ على قدر غلبة الإرادة . ونجد الرجال إذا اعتراهم ذلك لايكونون كذلك إلاّ فى الوقت الذى هم فيه أشدُّ غُلْمة وأفْرَط شهوة .

فإن قال قائل : إن الإنسان يغشى النِّساء[٧] فى كلِّ حالٍ من الفصلين الصَّميمين[٨] ، وإنما هَيْجُ السِّباع والبهائم فى أيام من السنة[٩]

= من يدغم الهمزة فى التاء ، كما تقول اتّمنه فى ائتمنه . فيما عدا ل : « وبرزوا » . وانظر العلاقة بين الإبل والقردان ما مضى فى (٥ : ٤٣٣) .

(١) فيما عدا ل : « درك البصر » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . ط ، هـ : « فيظنون أن لفرط الشهوة » س : « فظن أنه لفرط الشره فى الشهوة » .

(٣) فيما عدا ل : « ولفرط » .

(٤) فيما عدا ل : « ويكون » تحريف . ط ، هـ : « ما يرى » .

(٥) فيما عدا ل : « والرمك » .

(٦) أى إذا عاين البغل البغلة والتيس العنز . اكتفى بالفعل المتقدم .

(٧) فيما عدا ل : « يعشق النساء » تحريف . وانظر ما سبق فى (٥ : ٢١٨) .

(٨) يراد بالصميمين الصيف والشتاء فى أشد حالاتهما . انظر (٢ : ٢٣٥) .

(٩) فيما عدا ل : « فى فصل معلوم » .

[ثم يسكن] هيج التَّيس والجمل . فالإنسان[1] المداوم أحسن حالا .

قلنا : إنّا لم نكن[2] فى ذكر المخايَرة بين نصيب الإنسان فى ذلك مجموعًا ومفرّقا ، وبين نصيب كلِّ جنسٍ من هذه الأجناس مجموعا ومفرّقا ، وإنما ذكرنا نفس المخالطة فقط[3] . ومايدريكم أيضاً لعلها أنْ تَسْتَوْفِىَ[4] فى هذه الأيّام اليسيرة أضعافَ ما يأتى الإنسان فى تلك الأيّام الكثيرة .

وعلى أنّنا قد نرى ممّا يعترى الحمارَ والفرسَ والبغلَ وضروباً كثيرة إذا عاينوا الإناث فى غير أيام الهيج . وها هنا أصنافٌ تُديم ذلك كما يُديمه الإنسان ، مثل الحمام والدِّيَكَةِ وغير ذلك . وقد علمنا أنّ السَّنانيرَ وأشباهَ السنانير لها وقتُ هيجٍ ، ولكنّ ذلك يكون مرارًا فى السَّنة على أشدَّ من هَيج الإنسان ، فليس الأمر على ما يظنّون . فإن كان الإنسانُ موضعُ ذهنهِ من قلبه أو دماغه يكونُ أدقَّ وأرقَّ وأنفذَ ، وأبصر ، فإنّ حواسَّ هذه الأشكال أدقّ وأرقّ وأبْصر وأنفذ . وإن كان الإنسانُ يبلغُ بالروِيّة والتصفُّح ، والتحصيل والتمثيل ما لا يبلغه شىءٌ من السِّباع والبهائم ، فإنّ لها أمورًا تدركها ، وصنعةً تحذِقها تبلغُ منها بالطبائع سهوًا ورهوًا[5] ما لا يبلغ[6] الإنسان فى ما هو بسبيله ٨ إلا أن يُكرِه نفسَه على التفكير ، وعلى إدامة التنقير والتكشيف والمقاييس فهو يستثقله .

---

(١) فيما عدا ل : « والإنسان » .

(٢) فيما عدا ل : « إذا لم يكن » .

(٣) الكلام بعد هذا إلى نهاية البيت الذى صدره : « وإن قيل احملى » فى ص ٢٠ ساقط من ل .

(٤) ط ، هـ : « تستوى » ، صوابهما فى س .

(٥) الهوى : السقوط . عنى به الوقوع على الصدمة بدون إرادة وإدراك .

(٦) ط ، هـ : « ما لايبلغ » .

ولكلّ شيءٍ ضربٌ من الفضيلة وشكلٌ [من(١)] الأمور المحمودة، لينفى تعالى وعز عن الإنسانِ العُجْب ، ويقبِّح عنده البَطر ، ويعرِّفه أقدار القَسْم .

وسنذكر من فطن البهائم وأحساس الوَحْش وضروب الطير أموراً تعرفون بها كثْرَةَ ما أودعها الله تعالى من المعارف ، وسخّر لها من الصنعة(٢) ، ثم لا نذكر من ذلك فى هذا الموضع إلاّ كلَّ طائر(٣) منسوبٍ إلى الموق ، وإلاّ(٤) كلَّ بهيمةٍ معروفةٍ بالغثاثة ، بعِدّةِ ما فيه أشكالها من المعرفة والفطنة . ولو أردنا الأجناسَ المعروفةَ بالمعارف الكثيرةِ ، والأحساسِ اللَّطيفة، لذكرنا الفيلَ والبعير ، والذّرة والنملة ، والذئب ، والثعلب ، والغرنوق ، والنحلة ، والعنكبوت ، والحمامَ والكلب .

وسنذكر عَلَى اسم الله تعالى بعضَ مافى البهائم والسِّباع والطير من المعرفة ، ثم نخصُّ فى هذا الكتابِ المنسوباتِ إلى المُوق ، والمعروفاتِ بالغباوةِ وقِلة المعرفة ، كالرَّخمة والزنبور ، والرُّبَع من أولاد الإبل ، والنَّسر من عظام الطير .

وقال المفضَّل الضبىّ : قلت لمحمد بن سهل راوية الكميت : ما معنى قول الكميت فى الرَّخمة :

وذات اسمين والألوانُ شَتَّى ... تحمَّق وهى كيِّسة الحَويل(٥)

لها خبٌّ تلوذُ به وليست ... بضائعة الجنين ولا مَذُول(٦)

---

(١) هذه من س .

(٢) ط ، هـ : « وسخرها فى الصنعة » .

(٣) فى الأصل : « إلا من كل طائر » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها فى ط ، هـ : « وإلى » .

(٥) فى اللسان : « حاولت الشىء : أى أردته ؛ والاسم الحويل » . وأنشد هذا البيت .

(٦) المذول : وصف من المذل : بالتحريك ، وهو الضجر والقلق . س : « بضائعة » . هـ : « الجنين » محرفتان .

قال[١] : كأنّ معناه عندى حفظُ فراخها ، أو موضع بيضها ، وطلب طعمها ، واختيارها من المساكن ما لا يَطُوره سبع طائر[٢] ولا ذو أربع . قال : فقلتُ : فأيُّ كيس عند الرّخمة إلاّ ما ذكرت ، ونحن لا نعرف طائرا ألأم لؤما ولا أقذر طُعْمةً ، وَلا أظهر مُوقا منها ، حتى صارت فى ذلك مثلا ؟ ! فقال محمد بن سهل : « وماحمقُها وهى تحضن بيضها ، وتحمى فِراخها ، وتحبُّ ولدها ، ولا تمكّنُ إلاّ زوجها ، وتقطع فى أوّل القواطع وترجع فى أوّل الرواجع ، [ولا تَطير فى التحسير ، ولا تغترّ بالشكير ، ولا تُرِبُّ بالوكور ولا تسقط على الجفير » .

أما قوله : « تقطع فى أول القواطع ، وترجع فى أوّل الرواجع[٣] »] فإنّ الرُّماة وأصحابَ الحبائلِ والقُنّاصَ إنّما يطلبون الطير بعد أن يعلموا أنّ القواطع قد قَطَعَتْ ، فبِقطع الرّخمة يستدلُّون . فلا بدّ للرَّخَمَةِ مِنْ أن تنجوَ سالمةً إذا كانت أوّلَ طالعٍ عليهم .

وأمّا قوله : « ولا تُرِبُّ بالوُكور[٤] » [فإنّه[٥]] يقول : الوكر لا يكون إلا فى عُرْض الجبل ، وهى لا تَرضى إلا بأعالى الهضاب ، ثم مواضعِ الصّدوع وخِلالِ الصخور ، وحيث يمتنعُ على جميع الخلقِ المصيرُ إلى فراخها . ولذلك قال الكميت :

---

(١) فى الأصل : « قال للمفضل » ، وإنما القائل هو محمد بن سهل .

(٢) يطوره : يقرب ويدنو منه . ط ، ه : « طائرا » ، صوابها فى س .

(٣) هذه التكملة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) حيث نقل عن الحيوان .

(٤) وأما قوله ، ساقطة من ه . وفى ط ، س : « وأما قولهم » تحريف . وترب ، من قولهم أرب بالمكان يرب به إربابا : أقام به فلم يبرحه . وفى الأصل : «تراب» ، تحريف .

(٥) ليست فى الأصل .

ولا تجعلونى فى رَجائىَ وُدَّكم كراجٍ على بيضِ الأنوق احتبالَها[1]

والأنوقُ هى الرَّخمة . وقال ابن نوفل[2] :

وأنتَ كساقط بينَ الحشايا يَصيرُ إلى الخبيثِ مِن المَصيرِ

ومثلُ نَعامةٍ تُدعَى بعـيرًا تعاظَمِها إذا ما قيل طِيرِى[3]

وإن قيل احمـلى قالت فإنِّى من الطَّير المُربَّة فى الوكورِ[4]

وأما قوله : [ولا تطير فى التَّحسيرِ[5]] ، ولا تغترُّ بالشَّكير[6] » فإنها [تدعُ الطيرانَ أيام التحسير ، فإذا نبت الشَّكير ــ وهو أول ما ينبت من الريش ــ فإنها] لا تَنهض[7] حتَّى يصير الشكير قَصَبا . وأمَّا قوله : « ولا تسقط عَلَى الجفِير » ، فإنمـا يعنى جعبة السِّهام[8] ، [يقول : إذا رأته علمت أنَّ هناك سهاماً ، فهى لا تسقط فى موضـع تخاف فيه وقع السِّهام[9]] .

---

(١) الاحتبال : أخذ الصيد بالحبالة ، وهى المصيدة . وفى الأصل : «احتيالها» صوابه من نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) .

(٢) هو يحيى بن نوفل . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٧/٤ : ٣٢٢) .

(٣) انظر روايات البيت فى (٤ : ٣٢٢) .

(٤) روى فى (٤ : ٣٢٢) : « بالوكور » .

(٥) هذه التكملة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) .

(٦) فيما عدا ل : « تغير » ، صوابه فى ل ونهاية الأرب .

(٧) فيما عدا ل : « تنهض بالشكير » . وكلمة « بالشكير » مقحمة .

(٨) الجعبة ، بالفتح : كنانة النشاب فى أعلاها اتساع ، يفرج أعلاها لئلا ينتكث ريش السهام . والوفضة أصغر منها ، وأعلاها وأسفلها مستو . فيما عدا ل : « قائما عن » .

(٩) كلمة « فيه » ليست فى الأصل ، وهو هنا ل ؛ وإثباتها من نهاية الأرب .

(اتباع الرخم والنسور والعقبان للجيوش)

والرَّخَم والنّسور والعِقبان تتبع الجيوشَ لتوقع القتال وما يكون لها من الجيف ، وتتبع أيضا الجيوشَ والحُجّاج لما يسقط من كَسير الدَّواب[1] ، وتتبعها أيضاً فى الأزمنة التى تكون فيها الأنعام والحجور حواملَ ، لِمَا تؤمِّل من الإجهاض والإخداج[2] . قال النابغة[3] :

وثقت له بالنَّصر إذْ قِيلَ قد غَدَتْ ... كتائبُ من غسّان غير أشائبِ[4]

بنو عمِّــه دُنيا وعمرُو بن عامر ... أولئك قومٌ بأسهُم غير كاذب

[إذا ما غَزَوْا بالجيش حَلَّقَ فوقهمْ ... عصائب طيرٍ تَهتدى بعصائب]

جوانح قــد أيقنَّ أنّ قبيله ... إذا ما التقى الجمعان أوّلُ غالبِ

تَراهُنّ خَلْفَ القَوْمِ خُزْرًا عيونُها ... جُلوس شيوخٍ فى مُسوك الأرانبِ[5]

فأخذ هذا المعنى حميد بن ثور الهلالى فقال :

إذا ما غزا يوما رأيتَ عِصابةً ... من الطّير ينظُرْنَ الذى هو صانِــعُ[6]

---

(١) الكسير : المكسور . وفى نهاية الأرب : « كسرى » وهو جمع كسير ، وفى ل : « حسرى » وهو جمع حسير ، أى مجهد معى . وفى س ، هـ : « كثير » وهذه محرفة .

(٢) الإخداج : أن تجىء بولدها ناقص الخلق .

(٣) من أول قصيدة فى ديوانه يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر .

(٤) ل : « وثقت لهم بالنصر إذ قيل قد غزوا » . وفى الديوان : « وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت » . الأشائب : الأخلاط من الناس ، جمع أشابة بالضم .

(٥) هذه رواية ل . وفيما عدا ل : « الشيوخ فى ثياب المرانب » . وانظر ما مر من الكلام على هذه الأبيات فى (٦ : ٣٢٢ - ٣٢٣) .

(٦) انظر ما مضى فى (٦ : ٣٢٤) . والبيت ساقط من ل .

وقال آخر [1] :

يكسُو السيوفَ نفوس النَّاكثين به ... ويجعل الرُّوسَ تيجَانَ القنا الذبُلِ

قد عوَّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وَثِقن بها ... فهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فى كلِّ مُرْتَحَل

فقال الكميت كما ترى [2] :

* تحمَّق وهى كيِّسةُ الحويلِ *

[فزعم أن النَّاس يحمقونها وهى كيِّسة] .

(قول بعض الأعراب)

وقال بعضُ أصحابنا : قيل لأعرابىٍّ : أتحسن أنْ تأكُل الرَّأسَ ؟ قال : نعم . قيل : وكيف تصنع به ؟ قال : « أبخصُ عينيه [3] ، وأسْحَا خدَّيه [4] ، وأعفص أذنيه [5] ، وأفكُّ لَحْيَيْه ، وأرْمى بالمخِّ [6] إلى مَن هُو أحوجُ منِّى إليه » . قيل له : إنك لأحمق من رُبَع [7] . قال : و « ماحمق الرُّبَع ؟ ! والله إنه ليَجْتَنِبُ العُدَوَاء [8] ويتبع أمّه فى المرعى ، ويُرَاوِحُ بين الأطْباء ، ويعلم أن حنينها رُغاء ، فأين حمقُهُ » .

(١) هذا الإنشاد ساقط من ل . والبيتان لمسلم بن الوليد كما سبق فى (٦ : ٣٢٤)

(٢) ل : « كما مر » . وانظر ص ١٨ س ١٦ .

(٣) بخص عينه يبخصها ، بفتح الخاء : قلعها مع شحمتها . فيما عدا ل : « أعض عينيه » ، تحريف .

(٤) سحاه يسحوه ويسحيه ويسحاه ، سحوا وسحيا : قشره . وهذه العبارة ساقطة من ل .

(٥) العفص : الثنى والعطف . ط ، س : « أعقص » بالقاف ، صوابه بالفاء . والخبر رواه صاحب اللسان فى مادة (عفص) . وهذه العبارة وتاليتها ساقطة من ل .

(٦) فى الأصل : « بالدماغ » ، والوجه ما أثبت من اللسان .

(٧) الربع ، بضم ففتح . يقال فرس ذو عدواء إذا لم يكن ذا طمأنينة وسهولة . فيما عدا ل : « ليجنب » تحريف ، و « العدوى » تحريف كذلك .

(قتل المكاء للثعبان)

وحدث ابنُ الأعرابيّ عن هشام بن سالم ، وكان هشام من رهط ذي الرُّمّة ، قال : أكلتْ حَيّةٌ بيضَ مُكّاء[1] فجعل المُكّاءُ يشرشر على رأسها ويدنو منها ، حتى إذا فتحت فاها تريده [وهمّتْ به] ألقى فيه حَسَكة ، فلم يزل يُلقي فيه حسكةً بعد حسكة[2] ، فأخذَتْ بحلقها حتى ماتت .

وأنشد ابن الأعرابيّ عند هذا الحديث قولَ الشاعر :

كأنّ لكلّ عند كلّ سخيمةً ... يُريد بتخريق الأديم اسْتِلالَها

وأنشد أبو عمرو الشيباني بيت شعر ، وهو هذا المعنى بعينه ، وهو قول الأسديّ الدُّبيريّ[3] :

إنْ كنتَ أبصَرْتَني فذًّا ومُضطَلَمًا ... فرُبّما قَتَلَ المُكّاءُ ثُعبانا[4]

يقول : قد يظفر القليل بالكثير[5] . والقليلُ الأعوانِ بالكثير الأعوان ، والمُكّاء من أصغر الطير وأضعفِه ، وقد احتال للثُّعبان حتّى قتله .

---

(١) المكاء ، بالضم والتشديد : طائر مثل القنبرة إلا أن في جناحيه بلقا ، سمي بذلك لأنه يمكو ، أي يصفر صفيرا حسنا . والمكاء مخفف : الصفير ، وفي التنزيل العزيز : (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) .

(٢) الكلام من : « فلم يزل » إلى هنا ليس في ل .

(٣) الدبيرى : نسبة إلى « دبير » وهو أبو قبيلة من أسد ، كما في القاموس (دبر) : ط ، هـ : « الزبيرى » س : « الزبيدى » صوابهما في ل .

(٤) الفذ : الفرد : ط ، ل : « قذا » س : « فظا » ، صوابهما في هـ .

(٥) ط ، هـ : « قد يظهر » ، تحريف .

(قول جالينوس فى معرفة أنثى الطير)

وقال جالينوس فى الإخبار عن معارف البهائم والطير ، وفى التعجُّب من ذلك وتعجب الناس منه : قولوا لى : مَن علَّمَ النسرَ الأنثى إذا خافت على بيضها وفراخها الخفافيش أن تفرِش ذلك الوَكْر بورق الدُّلْب[١] حتى لاتقربه الخفافيش : وهذا أعجب[٢] ، والأطباء والعلماء لايتدافعونه ، والنُّسور هى المنسوبة إلى قلّة المعرفة والكيس والفطنة .

(حزم فرخ العقاب)

وقال ابن الأعرابىّ وأبو الحسن المدائنى : قال رجلٌ من الأعراب : « كان سنان بن أبى حارثة أحزَم من فرخ العقاب[٣] » . وذلك أنَّ جوارح الطير تتخذ أوكارها فى عُرْض الجبال[٤] ، [فربّما] كان الجبلُ عموداً ، فلو تحرّك الفرخ إذا طلب الطعم وقد أقبل إليه أبواه أو أحدهما وزادَ فى حركته شيئاً من موضع مَجثِمه لَهوَى من رأس الجبل إلى الحضيض ، وهو يعرف مع صِغره وضُعْفه وقلّة تجربته ، أنّ الصواب فى ترك الحركة .

---

(١) الدلب ، بالضم : شجر يعظم ويتسع ولا نور له ولا ثمر ، وهو مفرض الورق واسعه ، شبيه بورق الكرم . وقال داود : « يعظم عند المياه جدا ، حتى رأيت شجرة منه تظل نحو عشرين فارسا . وورقه كورق التين لكنه أدق ، وأحسنه وجهيه مزغب » .

(٢) ط ، ل : « أعجب » .

(٣) انظر المثل فى كتاب البغل ص ٣٧٥ والميدانى ١ : ٢٠٢ .

(٤) ل : « الجبل » .

(اختلاف عادات صغار الحيوان)

ولو وُضِع فى أوكار الوحشيَّاتِ فرخٌ من فراخ الأهليَّات لتهافتن تهافتاً كفراخ القطا والحجَل والقَبج والدُّرَّاج والدَّجاج ؛ لأنَّ هذه تدرج على البَسيط[1] وذلك لها عادة ، وفراخ الوحشيّة لا تجاوز الأوكار ؛ لأنها تعرِف وتعلم أنّ الهلَكة فى المجاوزة . وأولادُ الملاّحين الذين وُلدوا فى السفن الكبار ، والمنشآت العظام[2] لا يخاف الآباءُ والأمَّهات عليهم إذا درجوا ومَشوا أنْ يقعوا[3] فى الماء . ولو أن أولاد سُكان القصور والدّور صاروا مكان أولادِ أرباب السفن لتَهافتوا[4] . ولكلِّ شىء قَدر ، وله موضعٌ وزمانٌ ووجهةٌ وعادةٌ .

فإذا استوى قصب ريش [فرخ] العقاب ، وأحَسَّ بالقوة طار .

وأبَوَا فَرخ الخطّاف يعلّمانه الطيرانَ تعليما .

(الختان عند اليهود والمسلمين والنصارى)

وزعم ناسٌ من أطبَّاء النصارى وهم أعداءُ اليهود ، أن اليهود[5] يختِنون أولادَهم فى اليومِ الثّامن ، وأن ذلك يَقَع[6] ، ويوافِق أَنْ يكون

---

(١) تدرج : تمشى . والبسيط : المنبسط من الأرض . فيما عدا ل : « تدر على البسيط » تحريف .

(٢) المنشآت ، بفتح الشين : السفن المرفوعة الشرع ؛ وبكسرها : الرافعة الشرع . وبهما قرئ قول الله عز وجل : (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) . ل : « والشاهرات » تحريف .

(٣) ط : « أن يقع » ل : « ان يقعوا » ، صوابهما فى س ، هـ .

(٤) فيما عدا ل : « تهافتوا » .

(٥) فيما عدا ل : « أنهم » .

(٦) ط ، س : « نفع » صوابها فى ل ، هـ .

فى الصَّميمين ، كما يوافق الفصلين[1] ، وأنّهم لم يرَوْا قطّ يهوديًّا أصابه مكروه من قِبَل الختان ، وأنهم قد رأَوْا من أولاد المسلمين والنصارى ما لا يُحصى مِمَّنْ لقى المكروهَ فى ختانه[2] إذا كان[3] ذلك فى الصَّميمين من ريح الحمرة[4] ، ومن قطع طَرَف الكمرة ، ومن أن تكون المُوسَى حديثةَ العَهْد بالإحداد وسَقْى الماء ، فتشيط[5] [عند] ذلك الكَمَرة ويعتريها بَرَص . والصبىّ[6] ابن ثمانية أيام أعسر [ختاناً] من الغُلام الذى قد شَبَّ وشدن وقَوىَ ؛ إلاّ أنْ ذلك البرصَ لا يتَفشى[7] ولا يعدو مكانَه ؛[وهو فى ذلك] كنحو البرص الذى يكون من الكىّ وإحراق النار ، فإنهما يفحشان ولا يتسعان[8] .

(ختان أولاد السفلة وأولاد الملوك وأشباههم)

ويختن من أولاد السِّفْلة والفقراء [الجماعة الكثيرة] فيؤمَن عليهم خطأُ الخاتن ، وذلك غير مأمون على أولاد الملوك وأشباهِ الملوك ، لفِرط الاجتهاد و [شدّة] الاحتياط ، ومع ذلك يَزْمَعُ[9] ، ومع الزَّمَع[10]

---

(١) سبق الكلام على الصميمين فى ص ١٦ . فيما عدا ل : « كما وافق » .
(٢) فيما عدا ل : « ممن لا يحصى من لقى من المكروه فى ختانه » .
(٣) فيما عدا ل : « إن » .
(٤) الحمرة : داء يعترى الناس فيحمر موضعها ، وهو من جنس الطواعين .
(٥) شاط يشيط : هلك ، واحترق . فيما عدا ل : « فيسقط » .
(٦) فيما عدا ل : « ويظن أن » .
(٧) يتفشى : ينتشر . فيما عدا ل : « برص لاينفشر » تحريف .
(٨) فيما عدا ل : « وإن كان لا ينبتان » لكن فى هـ : « لا ينسقان » ، والصواب ما أثبت من ل .
(٩) أى يز مع الخاتن . والزمع : الدهش ، ورعدة تعترى الإنسان إذا هم بأمر . فيما عدا ل : « يزيع » ، تحريف .
(١٠) فيما عدا ل : « الزيع » ، تحريف .

والرِّعدة يتبعُ الخطأُ ، وعلى قدر رعدة اليد[1] ينال القلب من الاضطراب على حسَب ذلك .

(حسن التدبير فى الختان)

وليس من التدبير أن يحضُر الصبىّ والخاتنَ إلاّ سفلة الخدم ، ولا يحضره من يهاب .

(قدم ختان العرب)

وهذا الختان فى العرب فى النِّساء والرجال من لدُنْ إبراهيم وهاجر إلى يومنا هذا . ثم لم يُولَد صبىٌّ مختونٌ قط[2] أو فى صورةِ مختون .

(ختان الأنبياء)

وناسٌ يزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم وعيسى بن مريم وُلِدَا مختونين . والسَّبيلُ فى مثل هذا الرُّجوعُ إلى الرواية الصحيحة ، [والأثر القائم] .

(أثر الختان فى اللذة)

قال : والبظراء تجد من اللذة ما لا تجدُه المختونة ، فإنْ كانت مُستأصَلة مستوعَبةً كان على قدر ذلك . وأصل ختان النساء لم يُحاوَلْ به الحسنُ دونَ التماس نُقصان الشهوة ، فيكون العفاف عليهنَّ مقصورًا[3] . قال :

---

(١) فيما عدا ل : « وعلى قدر الاحتياط إليه » ، تحريف .

(٢) ل : « قط مختونا » .

(٣) ل : « مقصورا عليهن » .

ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم [للخاتنة] : « يا أم عطيَّة أشِمِّيه ولا تَنْهَكِيه[1] ، فإنه أَسْرَى للوَجْه[2] ، وأحظَى عند البعل » . كأنه أراد النبىُّ صلى الله عليه وسلم أن ينقُص من شهوتها بقدر ما يردّها إلى الاعتدال ؛ فإن شهوتها إذا قلَّتْ ذهبَ التمتّع ، ونقَصَ حُبُّ الأزواج ، وحبُّ الزَّوج قَيْدٌ دون الفجور[3] : والمرأة لا تكونُ فى حالٍ من حالات الجماع أشدَّ شهوةً منها للكَوْم الذى لقحت منه[4] .

وقد كان رجلٌ من كبار الأشراف عندنا يقول للخاتنة : لا تقرضى إلاّ ما يظهر فقط . ١٢

(أثر الختان فى العفاف والفجور)

وزعم جَناب بن الخشخاش[5] القاضى، أنه أحصى فى قرية [واحدة] النساء المختونات والمُعْبَرَات[6] ، فوجد أكثر العفائفِ مستوعَبات[7] وأكثر الفواجر مُعْبَرَات[8] ، وأن نساء الهند والروم[9] وفارس إنما صار الزنى وطلبه

---

(١) الإشمام : أن تأخذ منه قليلا . فيما عدا ل : « شميه » تحريف .

(٢) أسرى : أجلى . ط : « أسر » ه : « أسرا » . ويروى : « أضوأ للوجه » .

(٣) فيما عدا ل : « فيه دون الفجور » .

(٤) ط ، ه : « للكرم » .

(٥) جناب بن الخشخاش العنبرى ، ترجم له فى لسان الميزان (٢ : ١٣٨) وقال : « روى منه عبد الله بن معاوية الجمحى » . وذكره الذهبى فى المشتبه . ل : « جناب بن الخشقاش » محرف ، كما حرف فى سائر النسخ ، ففى ط : « حباب بن حسان » س : « حباب بن جساس » ه : « حباب بن حساس » .

(٦) معبرة ، بفتح الباء المخففة : لم تخفض . فيما عدا ل : « مبظرات » ، وهو خلاف الصواب ؛ إذ أن المبظرات المختونات المخفوضات .

(٧) ل ، س : « موعبات » .

(٨) فيما عدا ل « مبظرات » . وانظر التنبيه السادس .

(٩) فيما عدا ل : « الروم والهند » .

الرِّجال فيهن أعم ، لأنَّ شهوتهنَّ للرجال أكثر ، ولذلك اتخذ الهند دوراً للزَّوانى ، قالوا : وليس لذلك علّة إلاّ وفارةَ البظر(١) والقُلْفة .

والهند توافِق العربَ فى كلِّ شىء إلاّ فى ختانِ النِّساء والرجال . ودعاهم إلى ذلك تعمُّقهم فى توفير حظ الباه . قالوا : ولذلك اتخذوا الأدوية ، وكتبوا فى صناعة الباه كتباً ودَرَسُوها الأولاد(٢) .

(السَّحْق)

قالوا : ومن أكبر(٣) ما يدعو النساء إلى السحق [أنهنَّ] إذا ألصقن موضع مَحَزِّ الختان وجَدْنَ هناك لذَّةً عجيبة ، وكلما كان ذلك منها أوفرَ كان السَّحقُ ألذّ . قال : ولذلك صار حُذّاق الرِّجالِ يضعون أطراف الكمرويعتمدون بها على محزِّ الختان ، لأنَّ هناك مجتمَعَ الشهوة .

(ظمأ الأيِّل إذا أكل الحيات)

ومن هذا الباب الذى ذكرنا فيه صِدقَ إحساس الحيوان ثم اللاتى يضاف منها إلى الُموق وينسب إلى الغثارة(٤) . قال داود النبي عليه السلام فى الزبور : « شوقى إلى المسيح مثل الأيِّل إذا أكل الحيَّات(٥) »

---

(١) فيما عدا ل : « قارة البظر » ، وإنما هى الوفارة بمعنى التمام والوفرة .

(٢) فى اللسان : « ابن جنى : ودرسته إياه وأدرسته . ومن الشاذ قراءة ابن حيوة : (وبما كنتم تدرسون) .

(٣) فيما عدا ل : « أكثر بالثاء » .

(٤) الغثارة : الحمق ، ولم تصرح المعاجم بهذا المصدر ، لكن فيها : الأغثر : الأحمق الجاهل . فيما عدا ل : « الغباوة » وليس يريدها الجاحظ .

(٥) النص فى المزامير (٤٢ : ١) : « كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسى إليك يا ألله » .

[والأيّل إذا أكل الحيّات[1]] فاعتراه العطش الشديد تراه كيف[2] يدور حَول الماء ويحجزه من الشرب [منه] علمُه بأنّ ذلك عطبُه ، لأن السموم حينئذٍ تجرى مع [هذا] المـاء ، وتدخل مداخلَ لم يكن لِيبلغها الطّعامُ بِنفسه[3] . وليس علم الأيّل بهذا كان عن تجربةٍ متقدِّمة[4] ، بل هذا يوجد[5] فى أوّل ما يأكل الحيّاتِ وفى آخِره[6] .

(تعلُّق رؤوس الحيات فى بدن الأيّل)

وربما اصطيد الأيّل فيجد القَنّاصُ رؤوس الأفاعى وسائرِ الحياتِ ناشبةَ الأسنان فى عنقه وجلد وجهه ؛ لأنه يريدُ أكلها فربّما بدرته الأفعى والأسود وغيرهما من الحيات فتعضُّه ، وهو يأكلها ويأكل ما ينال منها [ويفوته ما تعلق به منها] بالعضِّ ، فتبقى الرُّءوس مع الأعناق معلّقةً عليه إلى أن تنقطِـع .

(نصول قرن الوعل)

[قالوا: وليس شىءٌ من ذوات القرون ينصل قرنه[7] فى كلِّ عام إلا الوعل ، فإذا علم أنّه غير ذى قرن ، وأنه عديم السلاح ، لم يظهر من مخافة السباع . فإذا طال مُكثُه فى موضعه سمن ؛ فإذا سمن علم أن حركته تفقد

---

(١) بمثل هذه يلتئم الكلام .
(٢) فيما عدا ل : « فكيف تراه » .
(٣) ط ، ﻫ : « نفسه » تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « وليس علمى بهذا علما عن تجربة » ، تحريف.
(٥) فيما عدا ل : « هكذا يوجد » .
(٦) فى الأصل : « وفى آخرها » .
(٧) ينصل قرنه : يسقط . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « ينصب » تحريف .

وتمطى ، فزاد ذلك فى استخفائه وقلّة تعرُّضه ، واحتالَ بألاَّ يكون أبدا على علاوة الريح ، فإذا نجم قرنه[1] لم يجد بُدًّا من أن يمظِّعه[2] ويعرِّضه للشمس والريح ، حتى إذا أيقن أنه قد اشتد أكثر المجىء والذهاب التماسا أن يذهب شحمه ، ويشتد لحمه ، وعند ذلك يحتال فى البعد من السِّباع ، حتى إذا أمكنه استعمال قرنيه فى النزال[3] والاعتماد عليهما ، والوثوب من جهتهما ، رجَع إلى حاله من مراعيه وعاداته . ولذلك قال عصام بن زفر :

تَرجو الثَّوَاب من صبيح يا حَمَلْ   قد مصَّه الدهر فما فيه بَلَلْ

إن صبيحًا ظاعِنٌ فمحتَمِلْ   فلائذٌ منك بشِعبٍ من جَبَلْ

* كما يلوذ من أعاديه الوَعِلْ *

فضرب به المثل كما ترى فى الاحتيال والهربِ من أعدائه . وقال الراجز :

لما رأيتُ البرقَ قد تبسَّما   وأخرج القَطْرُ القَرُوعَ الأعصَما

قال ابن الأعرابىّ : إنما سمَّوا الوعلَ القَروع لأنه يقرع عَجْب ذنبه من الناحيتين جميعاً] .

(بيوت الزنابير)

وقال ابن الكلبى : قال الشرقى بن القطامى ذات يوم : أرأيتم لو فكَّر رجل منكم عُمرَه الأطولَ فى أن يتعرَّف الشىء الذى تتَّخذ الزنابيرَ بيوتها المخرَّقة بمثل المحاوب[4] ، المستوية فى الأقدار ، المتحاجزة بالحيطان ، السخيفة

---

(١) نجم قرنه : ظهر . وفى الأصل : « لحم » تحريف .

(٢) يمظعه : يعرضه للشمس ، وفى الأصل : « يمطعه » بالمهملة ، تحريف ، قال أوس :

فظمها حولين ماء لحائها   تعالى على ظهر العريش وتنزل

(٣) فى الأصل : « النزول » .

(٤) س ، هـ : « الحلقة » ط : « المحلقة » . ط ، س : « بمثل المجالس » ، هـ : « المجارف » تحريف . والمجوب ، بكسر الميم : آلة الجوب وهو الخرق والقطع .

فى المنظر ، الخفيفة فى الحمل ، المستديرة المضمر بعضها ببعض ، المتقاربة الأجزاء . وهى البيوت التى تعلم أنها بُنيت من جوهرٍ واحد وكأنها من ورق أطباق صِغار الكاغد المزرَّرة[1] . قولوا لى : كيف جمعته ؟ ومن أى شىء أخذته ، وهو لا يشبه البناء ولا النَّسجَ ولا الخياطة .

١٣ ولم يفسر ابن الكلبىّ والشرقىُّ فى ذلك شيئا ، فلم يصِرْ فى أيدينا منهما[2] إلا التعجُّب والتعجيب . فسألت بعد ذلك مشايخ الأكَرَة[3] فزعموا أنها تلتقطه من زَبَد المُدود[4] . فلا يدرى أمِن نَفْس الزَّبَدِ تأخذ ، أم مِن شىء يكون فى الزَّبد .

والذى عرَّف الزنابير مواضع تلك الأجزاء ، ودلها على ذلك الجوهر هو الذى علَّمَ العنكبوتَ ذلك النسج . وقد قال الشاعر :

كأنَّ قفا هارون إذ يَعْتَلونَهُ قفا عَنْكبُوتٍ سُلَّ من دُبْرها غَزْلُ

وقد قال بلا علم .

وأما دودة القزّ فلا نشك[5] أنها تخرجه من جوفها .

(معرفة الحقنة من الطير)

وتزعم الأطباء أنهم استفادوا معرفة الحُقنة من قِبل الطائر الذى إذا أصابه الحصْر أتى البحرَ فأَخَذَ بمنقاره من الماء المالح ، ثم استدخله فمجَّه فى جوفه ، وأمكنَه ذلك بطول العنق والمنقار ، فإذا فعل ذلك ، ذَرَق فاستراحَ

---

(١) انظر للكاغد ما مضى فى (٤ : ٣٧٤) .

(٢) فيما عدا ل : « منها » ، والضمير لابن الكلبى والشرقى .

(٣) الأكرة ، بالتحريك : جمع أكار ، كشداد ، وهو الحراث .

(٤) المدود : السيول ، جمع مد . فيما عدا ل : « الممدود » تحريف .

(٥) ل : « فبلا شك » .

(ما يتعالج به الحيوان)

والقنفذ وابن عِرسٍ إذا ناهشا الأفاعيَ والحيَّاتِ الكبارَ تعالَجَا بأكل الصَّعتر (١) البرّىّ .

والعقاب إذا اشتكت كبدَها من رَفْعها الأرنبَ والثعلبَ في الهواء وحَطِّها لها مِرَارًا فإنها لا تأكل إلاّ من الأكباد حتى تبرأ من وجَع كبدها .

(رغبة الثعلب في القنفذ)

[قال : وسألتُ القُنَّاصَ : ما رغبة الثعلب في أكل القنفذ وإن كان حشو إهابه شحماً سميناً ، وفي (٢) ظاهر جلده شوك صلابٌ حدادٌ متقاربٌ كتقارُب الشعر في الجسد ؟ فزعموا أنَّ الثعلبَ إذا أصابه قلبَه لظهره ثم بال على بطنه فيما بين مغرزِ عَجْبه إلى فكَّيه ، فإذا أصابه ذلك البولُ اعتراه الأسَنُ (٣) فأسبَطَ (٤) وتمدَّد ، فينقر عن بطنه . فمن تلك الجهة يأكل جميعَ بدنه ومسلوخِه الذى يشتمل عليه جلدهُ .

(صيد الظربان للضب)

وقالوا : وبشبيهٍ بهذه العلّة يصيد الظَّرِبانُ الضبَّ في جوف جُحْره حتى يغتصبه نفسَه ، وذلك أنّه يعلم أنّه أنتن خلق الله فَسوة ، فإذا دخل

---

(١) الصعتر ، ويقال أيضا « السعتر » : نبت من خواصه طرد الهوام . ط : « الصقر » ل : « الصعير » ، صوابهما في س ، ه .

(٢) هذه الكلمة ليست في الأصل ، وهو هنا ل .

(٣) الأسن ، بالتحريك : الدوار والغشي ، ويقال للذى غشي عليه من رائحة البئر أسن ، قال زهير :

يغادر القرن مصفرا أنامله ... يميد في الرمح ميد المائح الأسن

(٤) أسبط إسباطا : امتد على وجه الأرض وانبسط ، ومثله اسبطر .

عليه جُحره سَدَّ خَصاصَه وفُروجَه ببدنه ، وهو فى ذلك مستدبِرٌ له ، فلا يفسو عليه ثلاثَ فَسَوَاتٍ حتى يُغْطِىَ بيده فيأكله كيفَ شاءَ .

قالوا : وربّما فسا وهو بقرْب الهَجْمة وهى باركةٌ فتتفرّق فى الصحراء فلا يجمعُها راعِيها إلاّ بجهد شديد ، ولذلك قال الشاعر :

لاتمنحـوا صقـرًا ، فما لمنيحةٍ
أتت آلَ صقرٍ من ثوابٍ ولا شُكْرِ
فما ظَرِبانٌ يُؤْبِسُ الضبَّ فَسْوُهُ بِأْلأَمَ لؤما قد علمناه مِن صقْرِ[1]

ولذلك قال الراجز ، وهو يذكر تكسُّب الظربان بفسوه لِطُعْمِهِ[2] وقوته ، كما يتكسَّب الناس بالصِّناعات والتِّجارات ، فقال :

باتا يحُكَّان عراصِيفَ القَتَبْ[3] مستمسِكَيْنِ بالبِطانِ وَالحقَبْ[4]
كما يحُكُّ القينُ أطرافَ الخشَبْ[5] وابن يزيدَ حَرَبٌ من الحَرَبْ[6]
لاينفع الصاحبَ إلاّ أن يَسُبّ كالظَّربان بالفُسَاء يكتسِبْ

(١) يؤبسه : يقهره . وفى الأصل : « يؤنس » تحريف . وفى اللسان : « وأبسه أبسا : قهره . عن ابن الأعرابي . وأبسه : غاظه وروعه » . وفى الأصل : « بآلم لؤما » .

(٢) فى الأصل : « وطمعه » ، تحريف .

(٣) العراصيف : أربعة أوتاد يجمعن بين رءوس أحناء الرحل ، الواحد عرصاف وعرصوف ، وتسمى أيضا العصافير ، واحدها عصفور . انظر المخصص (٧ : ١٤٠) واللسان (١١ : ١٤٨ - ١٤٩) . وفى الأصل : « غضاريف » تحريف .

(٤) البطان ، بالكسر : حزام الرحل . والحقب ، بالتحريك : حبل يشد به الرحل فى بطن البعير لئلا يؤذيه التصدير .

(٥) فى الأصل : « كما يحل » ، تحريف .

(٦) الحرب : الخصومة والغضب ، وصفه بالمصدر .

(ما قيل فى بلاهة الحمام)

قال ابن الأعرابىّ : قلت لشيخ من قريش : مَن علّمك هذا ، وإنما يُحسِن من هذا أصحابُ التجارات والتكسُّب ، وأنتَ رجلٌ مكفىٌّ مودّع (1) ؟ قال : علّمنى الذى علم الحمامةَ على بَلَهها تقليبَ بيضها كى تعطى الوجهين جميعاً نصيبَهما من الحضْن ، ولخوف طباع الأرض إذا دام على الشِّقِّ الواحد .

والحمام أبله ؛ ولذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : « كونوا بُلْهًا كالحمام » . ألا ترى أنّ الحمام فى الوجه الذى ألهمه الله مصالح ما يُعيشه ، ويُصْلِح به شأنَ ذَرْئه ونسله — ليس بدونِ الإنسان فى ذرئه ونسله ، مع ما خُوِّل من المنطق ، وأُلهِمَ من العقل ، وأُعطى من التّصريف فى الوجوه (2)] ؟ !

(حيلة الفأرة للعقرب)

وإذا جَمَعَ بعضُ أهل العَبث وبعضُ أهل التّجرِبة بين العقرب وبين الفأرة فى إناءِ زجاج ، فليس عندَ الفأرة حيلةٌ أبلغُ من قرض إبرة العقرب فإمّا أنْ تموتَ من ساعتها ، وإمّا أنْ تتعجل السَّلامةَ منها ، ثم تقتلَها كيف شاءت ، وتأكلَها كيف أحبّت .

(علم الذرة)

قال : ومَن علَّم الذَّرَّة أن تفلق الحبَّةَ فتأكل (3) موضع القِطمير لئلا

---

(1) المكفى : الذى كفى أموره ، وفى الأصل : « يتكفى » تحريف . والمودع : المرفه ، يقال ودعه توديعا فهو مودع ، وموادوع على غير قياس .

(2) إلى هنا تنتهى التكملة التى بدأت فى ص ٣٣ س ٧ .

(3) فيما عدا ل : « وتأكل » .

تنبتَ فتفسُدُ . فإذا كانت الحبَّة من حبّ الكزبُرة[1] ففلقتها أنصافا لم ترض[2] حتى تفلِقها أرباعا ؛ لأن الكُزبُرة من بين جميع الحبّ[3] تنبُت وإنْ كانت أنصافا . وهذا عِلمٌ غامضٌ إذَا عرَفه الشّيخُ الفلّاح المجرِّب ، والفاشكار[4] الرئيس والأكّار الحاذِق ، فقد بلغوا النهاية فى الرِّياسة .

(معرفة الدبّ)

وقال جالينوس[5] : ومن علْم الدبّ الأنثى إذا وضعت ولدَها أنْ ترفعَه فى الهواء أياما تهرُب به من الذَّرِّ والنمل ، لأنها تضعه كفِدْرة[6] من لحم ، غيرَ متميِّز الجوارح ، فهى تخاف عليه الذَّرَّ ، وذلك له حتفٌ . فلا تزالُ رافعةً له وراصدة ، ومُتفَقِّدَةً وَمُحَوِّلةً [له[7]] من موضع إلى موضع ، حتى يشتد وتنْفرج أعضاؤُه .

(شعر لبشار)

وقال بشّار الأعمى :

أما الحيَاة فكلُّ النّاسِ يحفظُها ... وفى المعيشةِ أبلاءٌ مناكيرُ[8]
وكلُّ قسمٍ فللعقبان أكثَرُهُ ... والحظُّ شيءٌ عليه الدهر مقصورُ

---

(١) فيما عدا ل : « وإذا أخذت الحبة من حبة الكزبرة » .

(٢) فيما عدا ل : « فلقتها أنصافا فلم ترض » .

(٣) فيما عدا ل : « البزور » .

(٤) الفاشكار ، لفظة فارسية معربة ؛ مأخوذة من « بشكارى » الفارسية ، بمعنى الزراعة والفلاحة : (Agriculture, tillage) . انظر استينجاس ١٨٩ .

(٥) س ، ه : « الجالينوس » .

(٦) الفدرة ، بالكسر : القطعة من اللحم إذا كانت مجتمعة. فيما عدا ل : « كجذوة » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وتفقده وتحوله » .

(٨) فيما عدا ل : « أما الجياد » تحريف . والأبلاء : جمع بلو ، بالكسر ، يقال رجل بلو شر وبلو خير ، أى قوى عليه . فيما عدا ل : « أشياء » موضع : « أبلاء » .

(أُمْنِيَّة بشر أخى بشار)

وقال بشر أخو بشّار — وكانوا ثلاثةً ، واحد حنفىٌّ ، وواحد سدوسىٌّ وبشّار عُقيلىّ ، وإنما نزل فى بنى سدوس لسبب أخيه[١] — وقد كان قيل لأخيه : لو خيَّرك الله أنْ تكون شيئاً من الحيوان أىَّ شىءٍ كنتَ تتمنى أن تكون ؟ قال : عُقاب . قيل : ولِمَ تمنّيت ذلك ؟ قال : لأنَّها تَبيتُ حيثُ لاينالها سَبُعٌ ذو أربعٍ ، وتَحِيدُ عنها سباعُ الطَّير . ١٤

(معرفة فى العقاب)

وهى لاتعانى الصَّيد إلّا فى الفَرْط ، ولكنّها تسلُب كلّ صَيُودٍ صَيْدَه . وإذا جامع[٢] صاحبُ الصقر وصاحبُ الشّاهين وصاحبُ البازى [صاحبَ العقاب ، لم يرسلوا أطيارهم خوفاً من العُقاب . وهى طويلة العمر ، عاقّة بولدها] . وهى لاتحمِل على نفسها فى الكَسْبِ ، و [هى] إنْ [شاءتْ] كانت فوقَ كلِّ شىءٍ ، وإن شاءتْ كانت بقُرْبِ كلِّ شىء ، وتتغدّى بالعِراق وتتعشّى باليمن . وريشُها الذى عليها هو فَروُها فى الشتاء ، وخَيْشُها فى الصيف . وهى أبصرُ خلق الله .

هذا قولُ صاحب المنطق فى عُقوق العقاب وجفائها بأولادها ، فأمّا أشعار العرب فهى تدلُّ على خلاف ذلك ، قال دريد بن الصِّمَّة[٣] :

---

(١) فيما عدا ل : « فى بنى عقيل لمكان أخيه » . وفى الأغانى (٣ : ٥٣) : « وكان بشار مجاورا لبنى عقيل وبنى سدوس فى منزل الحيين » .

(٢) فيما عدا ل : « وإذا رآها الجامع » ، تحريف .

(٣) كذا ، والمعروف نسبة الشعر إلى المعقر البارق ، واسمه سفيان بن أوس ، وبالبيت الثانى سمى « معقرا » . انظر الأغانى (١٠ : ٤٤ - ٤٥) والمزهر (٢ : ٢٧٣) . وقصيدته فى الأغانى . وقبل البيتين :

قفرج عنا كل ثغر مخافة مسح كسرحان القصيمة ضامر

وكلُّ لَجُوجٍ فى العِنانِ كأنَّها إذا اغتمست فى الماءِ فَتْخَاءُ كاسِرُ[١]
لها ناهض فى الوكر قد مَهَدَتْ له كما مَهَدَتْ لِلْبَعْلِ حسناءُ عاقِرُ[٢]

(الحمق من الحيوان)

والحيوان المحمّق الرَّخَمة والحُبارَى. قال عثمان بن عفّان رضى الله عنه: «كلُّ [شىءٍ] يحبُّ ولدَه حتّى الحبارى».

وأنثى الذئاب، وهى التى تسمَّى جَهِيزة[٣]، والضبع، والنّعجة والعنز[٤]، هذه من الموصوفات بالُموق [جدًّا].

قال: ومن الحيوان ماليس عنده إلّا الجمالُ والحسن [كالطاوس؛ وهو من الطير المحمَّق]، وكذلك التُّدْرُجُ[٥] مع جماله وحُسنه وعجيب وَشْيه، والزرافةُ، وهى أيضا موصوفة بالُموق، وليس عندها إلا طَرَافة الصُّورة[٦]

---

(١) عنى الفرس. اغتمست فى الماء أى عرقت عرقا شديدا من الجرى. والفتخاء: العقاب، سميت بذلك للين جناحيها. والكاسر: المنقضة. فيما عدا ل: «فى العناق» تحريف. وفى الأغانى واللسان (١٤: ٨): «وكل طموح» وفى اللسان: «إذا اغتسلت بالماء» قال: «ويقال للفرس إذا عرق قد غسل وقد اغتسل».

(٢) الناهض: فرخ العقاب الذى وفر جناحاه ونهض للطيران. ل: «ناحض»، وفيما عدا ل: «ناهد»، صوابهما ما أثبت من الأغانى والمزهر والمقاييس (عقر). قال أبوالفرج: «وإنما خص العاقر لأنها أقل دلا على الزوج من الوالود فهى تصنع له وتداريه». وبعد البيت:

تخاف نساء يبتدرن حليلها محردة قد حردتها الضرائر

(٣) فيما عدا ل: «جهيرة» صوابه بالزاى. وجهيزة علم ممنوع من الصرف، لكن نقل فى اللسان عن الجاحظ أنه مصروف، وهو نقل عجيب؛ إلا أن يكون اعتمد الناقل فى ذلك على نسخة من الحيوان، وليست النسخ بحجة فى الضبط.

(٤) فيما عدا ل: «والبقر» تحريف. وانظر ماسبق فى (١: ٣٥٤ / ٥: ٤٧٠).

(٥) انظر حواشى (٥: ٢٠٩).

(٦) الطريف: العجيب، يقال طرف طرافة. فيما عدا ل: «ظرافة» وهى صحيحة أيضا، وفى القاموس: «ظرف ككرم ظرفا وظرافة قليلة». وانظر ما سبق فى (٣: ١٦٣).

وغرابة النِّتاج . وهى من الخَلْق العجيب مَواضِعِ الأعضاء ، ويتنازعها أشباهٌ كثيرة .

والفيل عجيب[1] ظريف ، ولكنه قَبيحٌ مَسيخ[2] ، وهو فى ذلك بهىٌّ [نبيلٌ] ، والعين لاتكرهه . والخنزير قبيح مَسيخٌ ، والعين تكرهه[3] . والقرد قَبيحٌ مليح .

وعند البَبْغاء[4] والمُكَّاء والعندبيل[5] وابن تَمْرة[6] مع صغر أجْرامها ولَطافة شُخوصها ، وضَعْف أسْرِها[7] ، من المعرفة والكَيس والفِطنة والخُبث ماليسَ عند الزَّرافة والطاووس. والببغاء عجيب الأمر[8] .

ويقولون : عندليب[وعندبيل[9]] ، وهو [من] أصغر الطير .

(ماقيل فى حمق الأجناس المائية وفطنتها)

فأما الأجناس المائية من أصناف السَّمك ، والأجناس التى تُعايش[10] السَّمك ، فإنَّ جماعتَها موصوفَةٌ بالجهل والمُوق وقِلَّة المعرفة ، وليس فيها خُلُقٌ مذكور ، ولا خَصْلة من خِصال الفِطَن ، إلا كنحو ما يروى من صَيد الجرِّىِّ

(١) ط ، س : « عجب » .
(٢) المسيخ : الذى لاملاحة له ؛ وقد مسخ مساخة . فيما عدا ل : « سمج » .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل . وكلمة « نسخ » هى فى الأصل « سمج » ، والوجه ما أثبت .
(٤) ل : « السقاء » .
(٥) انظر (٥ : ١٤٩ / ٦ : ٢٩٣ ، ٤٠٩) . ولم أجد معتمدا لصحة هذه الكلمة . وفيما عدا ل : « عندليب » .
(٦) سبق الكلام عليه فى (٥ : ١٤٩ / ٦ : ٤٠٩) . فيما عدا ل : « ابن عرة » تحريف .
(٧) الأسر ، بالفتح : القوة . فيما عدا ل : « أمرها » .
(٨) ل : « والسقاء عجيبة الأمر » .
(٩) هذه الكلمة من ل ، س ، ه . وانظر التنبيه الخامس .
(١٠) فيما عدا ل : « تعاشر » .

١٥ للجِرْذَان ، وحَمْل تلك الدابة للغَرْقى حتى تؤدِّيَهم إلى الساحل[١] .

(شدة بدن السمكة والحية)

والسمكة شديدة البدن ، وكذلك الحيّة . وكلُّ شيء لايستعينُ بيدٍ ولا رجلٍ ولا جَنَاحٍ ، وإنما يستعمل أجزاءَ بدنه معاً فإنه يكونُ شديد البدن .

(حيلة الشبوط فى التخلص من الشبكة)

وخبَّرنى بعضُ الصيّادين أنَّ الشبوطة تنتهى فى النهر[٢] إلى الشَّبكة فلا تستطيع[٣] النفوذ منها ، فتعلم أنها لايُنجيها إلا الوثوب فتتأخّر قدرَ قابِ رُمح[٤] ، ثم تتأخَّر جامعةً لجراميزها[٥] حتّى تثِب ، فربّما كان ارتفاعُ وثْبتِها فى الهواء أكثرَ من عَشْرِ أذرُع . وإنما اعتمدَتْ على ماوصفنا[٦] . وهذا العملُ أكثرُ ما روَوْه من معرفتها ، وليس لها فى المعرفة نصيبٌ مذكور .

---

(١) لم يذكر الجاحظ اسم تلك الدابة البحرية ، وقال أيضا فى ص ١٣٠ : « وقد ذهب عنى اسمه » . وتلك الدابة هى « الدخس » . انظر الحاشية التاسعة من (٥ : ٥٤٥) والثامنة من (٦ : ٢٧) .

(٢) فيما عدا ل : « إلى النحيز » تحريف .

(٣) ط : « نستطيع » س : « يستطيع » محرفتان .

(٤) القاب : القدر . وكلمة « قدر » ليست فى ل . وإضافة الاسم إلى مرادفه وردت كثيرا فى كلام العرب . وفى قول الله : (ولدار الآخرة) و : (حق اليقين) ، و : (حب الحصيد) . وانظر شرح الأشمونى للألفية (٢ : ٢٣٨) .

(٥) الجراميز : الجسد والأعضاء ، يقال جمع جراميزه ، إذا تقبض ليثب . فيما عدا ل : « بجراميزها » تحريف .

(٦) ل : « على ماء » ، ولها وجه .

(مايغوص من السمك فى الطين)

وأنواعٌ من السمك يغوصُ فى الطِّين ، وذلك أنها تَنْخَر[١] وتتنفّس فى جوفه ، وتلزم أصول النبات إذا لم يرتفع[٢] ، وتلتمس الطُّعم والسِّفاد .

ونحن لم نر قَطُّ فى بطن دِجلةَ والفراتِ وجميع الأودية والأنهار ، عند نضوب الماء ، وانكشاف الأرض وظهور [وجه] الطين وعند الجزْر والنُّقصان فى الماء فى مَوَاخِرِ الصَّيْف[٣] وأيَّامِ مجاورة الأهلّة والأنْصاف[٤] جُحْرًا قَطُّ ، فضلاً على مايقولُون[٥] ، أنّ لها فى بُطونِ الأنهار بيوتاً .

(جحرة الوحش)

ورأيتُ عجَبا آخرَ ، وهو أنّى فى طولِ مادخلت البَرارىَّ ، ودخلت البُلدان ، فى صحارى جزيرة العرب والرُّوم والشّام والجزيرة وغير ذلك ، ما أعلمُ أنّى رأيتَ على لَقَمِ طريقٍ[٦] أو جادةٍ ، أو شَرَكٍ مُصَاقِبٍ ذلك[٧]

---

(١) ل : « لها مسخر » س ، ه : « أنها تسخر » ط : « أنها تسحر » والوجه ما أثبت .

(٢) ل : « إذا لم ترتع » من الارتعاء ، وهو الرعى .

(٣) جمع مؤخر بالتسهيل . وفى ل : « أواخر » .

(٤) أى أنصاف الشهور . ط ، ه : « وما نأمن مجاورة الأبلة » س : « وما أنا من محاورة الأبلة » مع إسقاط كلمة : « والأنصاف » . وانظر المد والجزر ماسبق فى (١ : ٤٧ س ٣ — ٤ / ٥ : ٢٨٧ ، ٤٧٩) .

(٥) فيما عدا ل : « فضلا عما يقولون » .

(٦) لقم الطريق ، بالتحريك : متنه ووسطه ومعظمه .

(٧) شرك الطريق : جواده ، وقيل هى الطرق التى لاتخفى عليك ولا تستجمع لك ، فأنت تراها وربما انقطعت ، غير أنها لاتخفى عليك . والمصاقب : المجاور . فيما عدا ل : « سرك » وفى ل : « شراك » صوابهما ما أثبت . ط ، ه : « مصافت » ، محرفة ، وفى ل : « يصاقب » .

أو إذا جانبتَ الطُّرُق[١] ، وأمعنْتَ فى البَرارى ، وضربتَ إلى الموْضِع[٢] [الوحشى ــ جُحرا واحدًا يجوز أن يدخله ضبع أو تيس ظباء ، أو بعض هذه الأجناس] الوحشيّة . وما أكثر ما أرَى الجِحَرَةَ ، ولكنى لم أرَ شيئاً يتسعُ للثّعلب[٣] وابنِ آوى ، فضلا على هذه الوحوش الكِبار[٤] مما هو مذكور بالتّوْلَج والوِجار ، وبالكِناس والعَرين .

وجُحْر الضبّ يسمَّى عريناً ، وهو غير العَرين الذى يضاف إلى الشَّجَر[٥] .

(حيلة الضب واليربوع)

وأمّا حِفظ الحياةِ والبصر بالكَسْبِ ، والاحتراسُ مِن العدوّ والاستعدادُ بالحِيَل ، فكما أعدَّ الضبُّ واليَربوع[٦] .

(أوقات اختفاء الفهد والأيل)

والفهد إذا سمِنَ عَرَف أنه مطلوب ، وأنّ حركته قد ثقُلت ، فهو يُخفى نفسَه بجهده حتى ينقضِىَ ذلك الزمان الذى تسمن فيه الفهود ، ويعلم أنّ رائحة بدنه شهيّةٌ إلى الأسد [والنّمِر . وهو ألطفُ شمًّا لأرابيح السباع

(١) فيما عدا ل : « وأنا جاريت الطرق » .

(٢) فيما عدا ل : « المواضع » .

(٣) فيما عدا ل : « يسع الثعلب » .

(٤) فيما عدا ل : « عن » موضع « على » .

(٥) إذ العرين جماعة الشجر والشوك والعضاه ، كان فيه أسد أو لم يكن .

(٦) أما الضب فانه يعد لمحترشه عقربا . انظر (٦ : ٤٥ ، ٥٨) . وأما اليربوع فانه يحتال بالنافقاء . انظر (٥ : ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٤٤٧) .

القويّة من شمّ السباع للرائحة الشهيّة] ، فهى لاتكاد تكون [إلّا] على عُلاوةِ الريح[1] :

والأيّلُ ينصُل قَرْنُه فى كلّ عام ، فيصير كالأجَمّ ، فإذا كان ذلك الزمانَ استخفَى وهربَ وَكَمَن ، فإذا نبت قرنُه[2] عرَّضَهُ للرِّيح والشَّمْسِ فى الموضع الممتنعِ ، ولا يظهرُ حتى يَصْلُب قرنه ويَصيرَ سلاحًا يمتنع به . وقرنُه مُصمَتٌ ، وليس فى جوفه تجويفٌ ، ولا هو مصمتَ الأعْلَى أجوف الأسفل .

(معرفة الإبل بما يضرها وما ينفعها)

والبعير يدخل الرَّوضة والغيضة ، وفى النبات ماهو غذاءٌ ، ومنه[3] ماهو سمٌّ عليه خاصة ، و [منه] ما يخرج من الحالين[4] جميعاً ، ومن الغِذاء مايريده فى حالٍ [ولا يريده فى حالٍ] أخرى ، كالحَمْضِ وَالخَلَّة ، ومنه مايغتذيه غيرُ جِنسِه فهو لايقرَبُه وإن كان ليس بقاتل ولا مُعْطِب . فمن تلك الأجناس مايَعرفه برؤية العين دون الشمّ ، ومنها مالا يَعرفه حتّى يَشمَّه ، وقد تغلَطُ فى البِيش فتأكلُه ، كصُنْع الحافرِ فى الدِّفْلَى[5] . ١٦

(١) يقال : كن فى علاوة الريح أو سفالتها. فعلاوتها : أن تكون فوق الصيد ، وسفالتها : أن تكون تحت الصيد لئلا يجد الوحش رائحتك . فكلمة « إلا » التى أثبتها ضرورية لاستقامة الكلام .

(٢) فيما عدا ل : « شب قرنه » .

(٣) فيما عدا ل : « فيعرف مايغذيه من النبات و » .

(٤) فيما عدا ل : « الحالتين » .

(٥) انظر ماسبق فى (٥ : ٣١١ — ٣١٢) .

(معرفة الإبل بالزجر)

والناقة تعرفُ قولَهم : حَل ، والجمل يعرف قولهم : جاه . قال الراجز وهو يحمّق رجلاً هجاه :

يقولُ للنـاقة قَوْلاً للجمَلْ   يقُولُ جَاهِ ثم يَثْنِيهِ بحَلْ[١]

(قدرة الحيوان على رفع اللبن وإرساله)

ومِمَّا فضلت به السِّباعُ على بنى آدمَ أنّ الله جعَلَ فى طِباع إناث السباع والبهائم ، من الوحشيّة والأهلية ، رَفْعَ اللّبن[٢] وإرسالَه عند حضور الولد ، والمرأةُ لاتقدر أن تدرَّ على ولدها وترفعَ لبنها[٣] فى صدرها إذا كان ذلك المُقَرَّبُ منها غيرُ ولدِها[٤] .

والذى أعطى الله البهائم من ذلك مثل ماتعرف به المعنى وتتوهّمه[٥] .

اعلم أنّ الله تعالى قد أقدر الإنسانَ[٦] على أن يحبس بولَه وغائطه إلى مقدارٍ ، وأن يخرجهما ، مالم تكن هناك عِلّةٌ من حُصْرٍ وأُسْر ، وإنما يخرج منه بولُه ورَجِيعه بالإرادة والتوجيه والتهيؤ لذلك[٧] . وقد جعل الله حبْسَه

---

(١) انظر كتاب البغال ٢٧٤ . وحل ، بإسكان اللام وبكسرها منونة .

(٢) فى الأصل : « فى رفع اللبن » وكلمة « فى » مقحمة .

(٣) فيما عدا ل : « ولدها » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « إذا كان القرب منها لغير ولدها » .

(٥) ل : « والذى أعطى الله البهائم فى ذلك مثل تعرف به المعنى فتوهمه » .

(٦) فيما عدا ل : « قدر » صوابه « أقدر » وفى ل : « قد أمكن » .

(٧) ل : « ورجعه » ؛ والرجع والرجيع : النجو . ط ، هـ : « والتوجه » ، وأثبت مافى س ، ل .

وإخراجَه وتأخيرَه وتقديمَه على ما فسَّرْنا . فعلى هذا الطريق [طوْقُ[1]] إناثِ السِّباع والبهائم ، فى رفْع اللَّبَن .

(حشر الحيوان فى اليوم الآخر)

وقد قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . فالكلمة فى الحشر مطلقة [عامّة] ، ومرسلةٌ غيرُ مستثنًى منها . فأوجب فى عموم الخبَرَ على [الطَّير[2]] الحَشْرَ[3] ، والطير أكثر الخلق . والحديث[4] : « إنَّ أكثرَ الخلْقِ الجراد » .

(مايطرأ عليه الطيران)

ومن العقارب طيَّارة قاتلة . وزعم صاحب المنطق أنَّ بالحبشَة حياتٍ لها أجنحةٌ .

وأشياءُ كثيرةٌ تطيرُ بعد أن لم تكن طيَّارة ، مثل الدعاميص ، والنَّمْلِ ، والأَرَضةِ ، والجِعلانِ .

والجرادُ تنتقل فى حالاتٍ قبلَ نبات الأجنحة .

(جعفر الطيار)

قالوا : وحين عظَّم الله شأن جعفر بن أبى طالب ، خلق له جناحين

---

(١) الطوق : القدرة والإطاقة .
(٢) هذه من ل ، س .
(٣) ط ، ه : « الشر » تحريف .
(٤) كذا فى الأصل ، ولها وجه .

يطير بهما فى الجنّة ، كأنه تعالى ألحَقَه بشبه الملائكة فى بعض الوُجوه [١] .

(مايطير ولايسمى طيرا)

وذكر الله الملائكةَ فقال ﴿ أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

ولا يقال للملائكة طيرٌ ، ولا يقال إنها من الطَّير ، رفعاً لأقدارها .

ولا يقال للنمل والدعاميص والجِعلان والأَرَضةِ إذا طارت : من الطَّير ، كذلك لايقال للجِرجِس والبَعُوضِ وأجناس الهَمَج إنها من الطير ، وضعاً لأقدارها عن أقدار ما يسمَّى طَيْرًا . فالملائكةُ تطير ولايسمُّونها طيْرًا لرفْع أقدارِها عن الطير . [والهمج يطير [٢]] ولا يسمّى طيْرًا لوضع أقدارها عن الطَّير . ١٧

(ملائكة العرش)

وفى الرواية أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم أُنْشِدَ قولَ أميّةَ بن أبى الصَّلْت :

رَجُلٌ وثورٌ تحتَ رِجْلِ يَمينِه ... والنَّسرُ للأُخرَى وليثٌ مُرْصِدُ [٣]

فقال : «صدَق [٤]» . وقوله «نسر» يعنى فى صورة نسر ، لأنَّ الملَك لايقال له نَسْرٌ ولا صقرٌ ولا عُقابٌ ولا بازٍ .

---

(١) انظر ماسبق فى (٣ : ٣٨ ، ٢٣٣ / ٦ : ٢٢٢) .

(٢) التكملة من س ، هـ . والكلام من : « والهمج » إلى كلمة « الطير » الثانية ساقط من ل .

(٣) فيما عدا ل : « موصد » ، تحريف . وانظر الخزانة (١ : ١٢٠) .

(٤) فى الخزانة : « صدق . وهذه صفة حملة العرش » . ونقل عن شرح ديوانه لمحمد ابن حبيب : يقال إن حملة العرش ثمانية : رجل ، وثور ، ونسر ، وأسد . هذه أربعة ، وأربعة أخرى ، فأما اليوم فهم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة أخرى .

(ما جاء فيه الأثر من الطير)

وذكروا غرابَ نوح وحمامة نوح[1] : وهدهد سليمان[2] ، والنحل والدرّاج[3] ، وما جاء من الأثر في [ذلك] الديكِ الذى يكون فى السماء[4] .

وقال الناس : غراب نوح ، وهدهد سليمان ، وحمامة نوح : ورووا فى الخطاف والصُّرَد[5] .

(أشرف الخيل والطير)

ولا نعرف شيئاً من الحيوان أشْرَفَ اسماً من الخيل والطَّير ، لأنّهم يقولون فرس جواد ، وفرس كريم ، [وفرسٌ وسيم] ، وفرس عَتيق ، وفرس رائع . وقالوا فى الطير لذوات المخالب المعقَّفة ، والمناسر المحدَّبة : أحرار ، ومَضْرِحيَّات[6] ، وعِتاق ، وكواسب ، وجوارح . وقال لبيدُ بنُ ربيعةَ :

فانتضَلْنا وابنُ سَلْمَى قاعدٌ كَعتيقِ الطَّير يُغْضِى ويُجَلّ[7]

---

(١) فيما عدا ل : « وذكروا أن » وكلمة . « أن » مقحمة . وانظر لغراب نوح ما مضى فى (٢ : ٣٢٥) ، ولحمامة نوح ما سبق فى (١ : ٢٩٨ / ٣ : ١٩٥ / ٤ : ١٩٧) .

(٢) انظر لهدهد سليمان ما مضى فى (١ : ٩٧ ، ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٧٧ / ٦ : ٣١٠) .

(٣) ل : « والرماح » .

(٤) انظر ما مضى فى (٢ : ٢٥٩) .

(٥) بعدها فى ل : « والضوضية » .

(٦) المضرحيات ، بالضاد المعجمة ، وأصل معناه فى الناس السيد الكريم والطويل . ومما جاء فى تسمية عتاق الطير بالمضرحية قول طرفة :

كأن جناحى مضرحى تكنفا حفافيه شكا فى العسيب بمسرد

ل : « المصرحيات » وفيما عدا ل : « المصرحات » ، والوجه ما أثبت .

(٧) ابن سلمى ، هو النعمان بن المنذر . وجل ببصره تجلية ، إذا رمى به كما ينظر الصقر إلى الصيد . انظر اللسان (٢٠ : ١٦٤) وديوان لبيد ١٩٥ .

وقال الشّاعر :

حُرٌّ صَنَعْنَاهُ لتُحْسِنَ كفُّهُ عَملَ الرفِيقة واستلابَ الأخْرقِ[1]

ولولا أنا قد ذكرنا شأن الهدهُد والغراب والنمل وما ذكرها به القرآنُ ، والخصالَ التى فيهـا من المعارف ومِنَ القَوْلِ والعمَل[2] ، لذكرناه فى هذا الموضع .

[[3] ما جاء فى ذكر الطير

قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ . وقال الله : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِى[4] وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِى ﴾ . وقال : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ . وقال الله : ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾ . وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ .

---

(١) الرفيقة : الطيفة الصنعة الحسنتها . وفيما عدا ل : « الرقيقة » بقافين ، تحريف .

(٢) كلمة : « لولا » ساقطة من ل .

(٣) انفردت نسخة كوبريلى بإثبات هذا السقط الذى يبدأ هنا وينتهى فى ص ٥٤ .

(٤) هذه قراءة نافع وأبى جعفر ويعقوب ، وزاد أبو جعفر فقرأ : (كهيئة الطائر) ، وقرأ سائر القراء : (فتكون طيرا) .

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِن سِجِّيلٍ﴾ . وقال الله : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ .

ولم يذكر منطق البهائم والسباع والهمج والحشرات .

وقال الله : ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ؛ لأنك حيثما تجد المنطقَ تجد الرُّوح والعَقل والاستطاعة .

وقالوا : الإنسان هو الحيُّ الناطقُ . وقال الله : ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى﴾ . وقال : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً﴾ ، ثم قال : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ ولم يذكر شيئاً من جميع الخلق . وقد كان الله سخّر له جميعَ ذلك . ثم قال : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ .

ولم يتفقد شيئا ممّا سخّر له ، ولا دلَّ سليمانَ على مَلِكة سبأ إلّا طائرٌ .

وقال الله : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ . وقال الله : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ . فلما ذكر داود قال : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ . وقال الله : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . وقال : ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ .

وقالوا : « مَنطِق الطير » ، على التشبيه بمنطق الناس ، ثم قالوا بعدُ : الصَّامت والناطق ، ثم قالوا بعد للدار : تنطق .

وقال الله : ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا

تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ .

وقال اللهُ : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ ﴾ .

وكان عبدُ الله بن عبّاسٍ يقول : ليس يعنى بقوله : تُكلِّمُهُمْ من الكلام ، وإنما هو من الكَلْم والجِراح . وجمع الكَلْم كُلوم ، ولم يكن يجعلُه من المنطق ، بل يجعله من الخُطوط والوسم ، كالكتاب والعلامة اللذين يقومان مقام الكلام والمنطق .

وقال الآخرون : لا نَدعُ ظاهرَ اللفظ والعادةَ الدالّة فى ظاهر الكلام ، إلى المجازات ، قالوا : فقد ذكر الله الدابّة بالمنطق ، كما ذكروا فى الحديث كلام الذئب لأهبان بن أوس[1] . وقولُ الهدهد مسطورٌ فى الكتاب بأطول الأقاصيص ، وكذلك شأن الغراب[2] .

وقال الله : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ ، وجعل الله مقالة النملة قرآنا ، وقال : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ ، وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَافَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ﴾ . وقال فى مكان آخر : ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ . وقال : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ . وذكر الملائكة فقال : ﴿ أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

---

(١) انظر الإصابة ٣٥٠ والحيوان (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ — ٤ : ٨٠) .
وفى الأصل : « لأوس بن أهبان » ، تحريف .

(٢) انظر لكلام الغراب مع الديك ما سبق فى شعر أمية بن أبى الصلت (٢ : ٣٢٥) .

وأنشدوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم قول أميّة بن أبي الصَّلت[1] :

رَجُلٌ وَثَوْرٌ تحتَ رِجْلِ يَمِينِهِ   والنَّسْرُ لِلأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدُ

فقال : « صدق » .

وخلق الله لجعفرٍ جناحَين في الجنّة عوضاً من يديه المقطوعتين في سبيل الله[2] . قالوا : ولو كانت في الأرض يدٌ تفضل الجناحَ لجعلها الله بدل الجناح . وسمّاه المسلمون « الطيّار » .

ويقال : « ما هو إلا طائر » ، إذا أرادوا مديح الإنسان في السُّرعة .

وقال الفرزدق :

جاءُوا مع الرِّيح أو طارُوا بأجنحةٍ   وخَلَّفوا في جُؤاثَا سيِّدَيْ مُضَرَا[3]

والأمم كلُّها تضرب المثلَ بعَنقاء مُغْرِبٍ . وقد جاء في نسر لقمان ما قد جاء من الآثار والأخبار . وقال الخزرجي[4] :

إنَّ مُعاذَ بنَ مُسلمٍ رَجُلٌ   قد ضجَّ مِن طُول عُمره الأبَدُ

قد شابَ رأسُ الزَّمانِ وَاختَضَبْ الـ   ـدَّهْرُ وأثوابُ عُمْرِه جُدُدُ

يا نَسْرَ لقمانَ كَمْ تَعيشُ وكم   تسحَبُ ذيلَ الحياةِ يا لُبَدُ

قد أصبحتْ دارُ آدمٍ خَرِبَتْ   وأنتَ فيها كأنّكَ الوتِدُ

تسألُ غرْبانَها إذا حجَلَتْ   كيفَ يكونُ الصُّدَاعُ والرَّمدُ

وقال النابغة :

أضْحَتْ خَلاءً وأضْحَى أهلُها احتَمَلوا   أخنَى عليها الذى أخنى عَلَى لُبَدِ

---

(١) انظر ماسبق في ص ٤٦ .

(٢) انظر مامضى في (٣ : ٢٣٣) .

(٣) جؤاثا : موضع بالبحرين . وفي الأصل : « مضر » تحريف . والبيت ملفق من بيتين . انظر الديوان ٣٨٦ .

(٤) في الأصل : « الخارجي » ، تحريف . وانظر ماسبق من التحقيق في حواشي (٣ : ٤٢٣ / ٦ : ٣٢٧) .

وقال الله : ﴿ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ، لأن ذلك الصنم كان على صورة النَّسر .

وقالوا : أحرار فارسَ ، وأحرار الرَّياحين ، وأحرار البقول ، وأحرار الطير . وهى الأحرار ، والعتاق ، والكواسبُ ، والجوارح ، والمضرحيّات .

وقال الله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَـٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ .

أسماء ما فى النجوم والبروج

والفَرَسِ والنّاس وغير ذلك ، من أسماء الطير

مما يُعدّ فى الفَرَسِ من أسمـاء الطير : الفَرَاش وهو المنخر[1] . والذُّباب ، وهو ذُباب العَين . والصُّلْصُل ، وهو الدائرة فى الجبهة[2] . والعصفور ، وهو الجلدة تحت الناصية والحدأة ، وهو أصـل الأذن . والهامة ، وهو الجلدة التى فيها الدماغ والفَرْخ موضع الفَهْقَة[3] . والنّاهضان فى المنكبين . والصُّرَد : عرق تحت اللسان . والسَّمامة[4] : الدائرة فى عرض العنق والقَطاة : موضع الرِّدف . والغرابان : العظمان

(١) كذا . والذى فى المعاجم أن الفراش طرائق دقاق من القحف ، وقيل هى العظام التى تخرج من رأس الإنسان إذا شج وكسر .

(٢) والصلصل فى الطير طائر تسميه العجم الفاختة .

(٣) الفهقة : عظم عند مركب العنق ، وهو أول الفقار .

(٤) السمامة : واحدة السمام ، بالفتح ، وهو ضرب من الطير نحو السمانى دون القطا فى الخلقة .

الناتئتان بين الوركين ؛ ويقال الغُراب طرف الوَرِك . والساق : ساق الفرس ، وهو ذكر الحمام . والخُطّاف : موضع الرِّكاب من جنبه . والرُّخَمة : البَضْعة الناتئة فى ظهر الفخذ . والأصقع : الأبيض الناصية[1] .

وقال الله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ .

وفى السماء النَّسر الطائر ، والنَّسر الواقع .

وفى الأوثان القديمة وَثَنٌ كان يسمَّى نَسرا ، ويزعمون أنه كان على صورة نسر . وقال الله : ﴿ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ . وقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ . وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ .

وفى أسماء الناس : غُراب ، وصُرَد . وفى أسماء النساء : فاختة وحمامة . وفى أسماء الناس : يَمام ويمامة ، وسَمَامة ، وشاهين . وفى أسماء النِّساء : عقاب ، وقطاة ، وقُطَيَّة ، ودَجاجة يكون للرِّجال والنساء . ويسمُّون بعصفور ، ونقّاز ، وحَجَل[2] ، ويسمُّون الرجال بقُطَامِىّ ، مثل أبى الشرقىّ ابن القُطامى الشاعر[3] . وإذا كانت امرأةً قالوا قَطامِ مثل حَذَامِ . وقال امرؤ القيس بن حجر :

---

(١) الأصقع : طائر كالعصفور فى ريشه ورأسه بياض . وانظر الكلام على ساق الفرس من أسماء الطير ، كتاب الخيل لأبى عبيدة ص ٤٦ .

(٢) فى الأصل : « حجاف » .

(٣) أى مثل ما سمى والد الشرقى بن القطامى . وفى الأصل : « أبو الشرقى » . وقد سبقت ترجمة الشرقى فى (٥ : ٢٠٢) .

وأنا الذى عرَفَتْ مَعدٌّ فضْلَه ونشدتَ حُجرًا ابنَ أُمِّ قَطَامِ [1]

ويسمون بمضرحِيٍّ . وكبار الطير هى المضرحِيّة [2] ؛ وأكثر ما يستعمل ذلك فى عِتاق الطير وأحرارها ، ويسمون بحُرّ ، وليس الحر من الطير إلاّ العتيق . وقال الشاعر :

حُرّ صَنعناه لتَحْسِنَ كَفُّهُ عَمَلَ الرَّفِيقَةِ وَاسْتِلَابَ الأَخْرَقِ [3]

ويسمُّون صَعْوة وسُمَانَى ، وسَمامَة ، ويسمُّون بجَناح ، ويلقّبون بمنقار ، ويسمون بفرخ وفرَيخ ، وصقر وصُقير وأبى الصَّقر ، وطاوُس وطويس . وفى الألقاب يُؤْيُؤ وَزُرَّق [4] وفى الأسماء حَيْقَطان وهو الدُّرَّاج الذَّكر ، ويسمُّون بحَذَف [5] وَحُذَيفة ، وأبى حذيفة ، وفى الألقاب أبو الكراكىّ ، وفى الصفات الغرانيق والغُرنوق [6]] .

---

(١) حجر بن أم قطام ، هو والد امرئ القيس . وقد سجل هذه النسبة الحارث ابن حلزة فى معلقته إذ يقول :

ثم حجرا أعنى ابن أم قطام وله فارسية خضراء

وفى الأصل : « حجرا وابن أم قطام » ، تحريف . وفى الديوان : « ونشدت من حجر بن أم قطام » . قال الوزير أبو بكر : « يروى أشدت ، أى رفعت ذكره وناديت به وفخرت به وشهرته . . . وخص معدا من بين العرب لأن امرأ القيس من اليمن . ولا نسبة بينه وبين معد ، فإذا أقرت اليمداء بفضله واعترفت به ، فسائر العرب أقرب إلى ذلك وأجدر به » .

(٢) فى الأصل : « بمضرجى » ، و « المضرجية » ، صوابهما بالحاء المهملة.

(٣) سبق البيت فى ص ٤٨ .

(٤) فى الأصل : « درق » تحريف . وانظر الزرق فى (٣ : ١٨٢ / ٤ : ٢٢٩ / ٥ : ٣٦٩) .

(٥) فى القاموس : « الحذف محركة طائر ، أو بط صغار : وغنم سود صغار حجازية أو جرشية بلا أذناب ولا آذان ، والزاغ الصغير الذى يؤكل » . والزاغ : غراب صغير إلى البياض .

(٦) الغرنوق فى الصفات ، هو الشاب الأبيض الجميل . وهو طائر من طيور الماء . انظر ما مضى فى (٥ : ٤١٩ ، ٥٣٨) .

وإلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ فى ص ٤٨ س ٦ .

(نطق الطير)

وقال أميَّة أبي الصَّلْت :

فاسمَعْ لِسانَ اللهِ كيفَ شُكُولُه   عجبٌ ويُنْبِيكَ الذى تَسْتَشْهِدُ

والوحشُ والأنعامُ كيفَ لُغاتُها   والعلمُ يُقْسَمُ بينَهمْ وَيُبَدَّدُ[1]

وقال الله عزّ وجل مخبرًا عن سليمان [أنه قال] : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ وقال الشاعر[2] :

يا ليلةً لى بحُوَّارِينَ ساهرةً   حتَّى تَكَلَّمَ فى الصُّبح العَصَافيرُ

وقال الشَّاعر :

وَغَنَّتِ الطَّيرُ بعدَ عُجْمَتِها   واستوفَت الخمرُ حَوْلَها كَمِلا[3]

وقال الكميت :

كالناطقاتِ الصادقا   تِ الواسِقاتِ من الذَّخائرْ[4]   ١٨

(تدبير الحيوان)

قال : ولكلِّ جنسٍ من أجناس الحيوان احترافٌ[5] وتكسُّب ، ورَوَغانٌ من الباغى عليه ، واحتيالٌ لما أراد صيده ؛ فهو يحتالُ لما [هو]

---

(١) يبدد : يفرق .

(٢) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، كما سبق فى (٢ : ٢٩٦ / ٥ : ٢٢٧) . وانظر العمدة (١ : ١٧٩) والموشح ٢٩٣ .

(٣) حول كمل ، بفتح الكاف والميم : أى كامل . وفيما عدا ل : « بعد ما كملا » تحريف .

(٤) انظر (٥ : ٢٨٧) والعمدة (٢ : ٢٣) .

(٥) فيما عدا ل : « احتراس » ، تحريف

دونه ، ويحتال فى الامتناع مما فوقه[١] ، ويختار الأماكنَ الحصينةَ ما احتملته[٢] والاستبدالَ بها إذا أنكرَها .

(منطق الطير)

ولها منطقٌ تتفاهم بها [حاجاتِ بعضها إلى بعض . ولا حاجة بها إلى أن[٣]] يكونَ لها فى منطقها فضْلٌ لا تحتاج إلى استعماله . وكذلك معانيها [فى[٤]] مقادير حاجاتها .

(بعض ما قيل فى العقل)

وقيل لرجل من الحكماء[٥] : متَى عقَلْتَ ؟ قال : ساعةَ وُلِدْتُ . فلما رأى إنكارَهم لكلامه قال : أمّا أنا فقد بكيت حِينَ خِفْت ، وطلبت الأكل حين جُعْتُ ، وطلبت الثّدَى حين احتَجْت ، وسكتُّ حين أُعطيت . يقول : هذه مقاديرُ حاجاتى . ومن عَرَف مقادير حاجاته إذا مُنِعَها ، وإذا أُعْطِيَها ، فلا حاجة به فى ذلك الوقت إلى أكثرَ من ذلك العقل . ولذلك قال الأعرابىّ :

سَقَى اللهُ أرضاً يعلم الضّبُّ أنّها ... بَعِيدٌ من الآفات طيبةُ البَقْلِ[٦]

---

(١) فيما عدا ل : « لما فوقه » .

(٢) فى ط بعد « يختار » : « به حاجات بعضها ولا بد أن » . وهو كلام مقحم . وفيما عدا ل : « من الأماكن الحصينة وما احتمله » بزيادة « من » . وفى ل : « مما حمله » ، والوجه ما أثبت .

(٣) فى س بدل هذه التكلمة : « حاجات بعضها ولا به أن » ؛ وما أثبت من ل أكمل وأقوم .

(٤) التكملة من ل ، س .

(٥) ل : « الخطباء » .

(٦) سبق البيت فى (٦ : ٥٧) برواية : « عذية بطن القاع » .

بنى بيتَه منهـا عَلَى رأس كَدْيةٍ
وكلُّ امرئٍ فى حِرْفة العَيش ذُو عَقْلِ [١]

(منطق الطير وعقله)

فإن قال قائل : ليس هذا بمنطق ، قيل له : أما القرآن فقد نطَق بأنّه منطِقٌ ، والأشعارُ قد جعلته مَنطِقا ، وكذلك كلامُ العرب ، فإن كنتَ إنما أخرجتَه من حدِّ البيان ، وزعمتَ أنّه ليس بمنطقٍ لأنّك لم تَفهم عنه ، فأنتَ أيضاً لا تفهم كلامَ عامَّةِ الأمم ؛ وأنتَ إن سَمَّيْتَ كلامَهم رَطانةً وطَمْطمة فإنّك لا تمتنِعُ [٢] من أن تزعم أنّ ذلك كلامُهم ومنطقُهم ، وعامّة الأمم أيضا لا يفهمون كلامَك ومنطِقَك ، فجائزٌ لهم أن يُخرِجوا كلامَك من البيان والمنطِق . وهل صـار ذلك الـكلامُ منهم بياناً ومنطقاً [إلاّ لتفاهمهم حاجةَ بعضهم إلى بعض ، ولأنّ ذلك كان صوتاً مؤلّفا خرج من لسانٍ وفمٍ ، فهلاّ كانت أصواتُ أجناس الطير والوحش والبهائم بياناً ومنطقاً] إذْ قد عامتَ أنّها مقطعة مصوَّرة ، ومؤلّفة منظمة [٣] ، وبها تفاهموا الحاجات ، وخرجت من فمٍ ولسان ، فإن كنتَ لا تفهم من ذلك إلاّ البعض ، فـكذلك تلك الأجناس لا تفهَمُ من كلامك إلاّ البعض . وتلك الأقدارُ من الأصوات المؤلّفة هى نهايةُ حاجاتِها والبيان عنها ، وكذلك أصواتُك المؤلَّفةُ هى نهايةُ حاجاتك وبيانِك عنها . وعلى أنّك قد تعلِّم الطّيرَ

---

(١) ل (٦ : ٥٧) : « يرود بها بيتا » .
(٢) ط فقط : « تمنع » .
(٣) فيما عدا ل : « منطقة » .

الأصواتَ فتتعلّم ، وكذلك يُعلَّم الإنسانُ الـكلامَ فيتكلَّم[١] ، كتعليم الصبيّ والأعجميّ . والفرقُ بين الإنسان والطير أنّ ذلك المعنى معنًى يسمَّى منطقاً وكلاما على التشبيه بالنَّاس ، وعلى السبب الذى يجرى[٢] ، [و] النَّاسُ ذلك ١٩ لهمْ على كلّ حال .

وكذلك قال الشاعر الذى وصفَها بالعقل ، وإنما قال ذلك على التَّشْبيه ، فليس للشاعر إطلاق هذا الـكلام لها ، وليس لك أن تمنعها ذلك من كلِّ جهةٍ وفى كلّ حال . فافهم فهَّمك الله ، فإنَّ الله قد أمرك بالتفكّر والاعتبار ، وبالتعرُّف والاتِّعاظ .

وقد قال الله عزَّ وجلَّ مخبِرًا عن سليمان : ﴿ يـأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ فجعل ذلك منطقا ، وخصَّ الله سليمانَ بأنْ فهَّمه معانىَ ذلك المنطق ، وأقامه فيه[٣] مقامَ الطَّير ؛ وكذلك لو قال عُلِّمنا منطقَ البهائم والسِّباع ، لـكان ذلك آيةً وعلامة .

وقد علَّم اللهُ إسماعيلَ منطِقَ العرَب بعد أن كان ابنَ أربعَ عشرةَ سنة ، فلما كان ذلك على غير التلقين والتأديب والاعتياد[٤] والترتيب[٥] والمنشأ ، صار ذلك برهانا ودلالةً وأُعجوبةً وآية .

وقال ابنُ عبّاس — وذكر عمرَ بن الخطاب فقال — : « كان كالطائر الحذِر » ؛ فشبَّه عزْمَ عمرَ وتخوُّفَه من الخطأ ، وحذَره من الُخدعِ بالطائر[٦] .

---

(١) ل : « فيتعلم » .

(٢) ل : « وعلى السبب يجرى » ، أى الذى يجرى .

(٣) فيما عدا ل : « فيهم » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « والاعتبار » .

(٥) هذه الـكلمة ساقطة من ﻫ . ولعلها : « التربيب » ، أى التربية .

(٦) فيما عدا ل : « كالطائر » ، تحريف .

(ما قيل فى تجاوب الأصداء والديكة)

وقال ابن مقبل :

فلا أقومُ عَلَى المَوْلَى فأشتُمه ... ولا يخرِّقه نابى ولا ظفَرِى

ولا تَهَيَّبُنى المَوْماةُ أركبُها ... إذا تجاوبت الأصداءُ بالسَّحَرِ [(١)]

فجعلها تتجاوب . وقال الطرِمّاح بنُ حكيم — وذكر تجاوب الدِّيَكة كما ذكر ابنُ مقبلٍ تجاوبَ الأصْدَاء — فقال :

فيا صُبْحُ كَمِّشْ غُبَّرَ اللَّيْلِ مُصْعِدًا ... بِبَمٍّ ونبِّهْ ذا العِفَاء الموشَّحِ [(٢)]

إذا صاح لم يُخْذَلْ وجاوَبَ صوتَهُ ... حِماشُ الشَّوَى يصدَحْنَ مِنْ كلِّ مَصْدَحِ [(٣)]

(ما قيل فى ضبحة الثعلب وقبعة القنفذ والقرنبى)

وحدَّثَ أبوعبيدةَ عن أبى عمرو بن العلاء قال : خطب ابن الزبير [خطبة] فاعترض له رجلٌ فآذاه بكلمة ، ثم طأطأ الرَّجلُ رأسَه ، فقال ابنُ الزُّبير : أين المتكلم ؟ فلم يجبْه فقال : « قاتله الله ، ضبح ضَبْحَةَ الثَّعلب [(٤)] وقبَعَ قِبْعةَ القُنفذ » . وقال ابن مقبل :

ولا أتبَعُ الجارات باللَّيْلِ قابعاً ... قُبُوعَ القَرَنْبَى أخلفَتْهُ مجاعِرُهْ [(٥)]

---

(١) فى اللسان (٢ : ٢٨٩) : « قال ثعلب : أى لا أتهيبها أنا ، فنقل الفعل إليها . وقال الجرمى : ولاتهيبنى الموماة ، أى لاتملؤنى مهابة » . ل : « تجهضنى » ، وفيما عدا ل : « تجهمنى » ، صوابهما ماأثبت من اللسان .

(٢) سبق البيت وتحقيقه فى (٢ : ٢٥٤ ، ٣٤٦) . فيما عدا ل :

« كش لى عن الليل مصعداً ... ينم ونبه ذا العفاء الموشح »

تحريف ، صوابه من اللسان (٣ : ٤٧٣ س ٢٥) والديوان ٦٩ .

(٣) فيما عدا ل : « حماس الصدا » ، محرف . وانظر ماسبق فى (٢ : ٢٥٤) .

(٤) الضباح : صوت الثعلب . والخبر فى اللسان (٣ : ٣٥٥ س ٤) . فيما عدا ل : « صاح صيحة الثعلب » .

(٥) ط ، هـ : « أخلقته » تحريف . والمجاعر : جمع مجعر ، وهو الدبر . والقرنبى =

باب[1]

ما جاء فى الشعر من إحساس الطَّير وغير ذلك من الحيوان

قال أبو عبيدة : تسلَح الحُبارَى على الصّقر ، وذلك من أحدِّ سِلاحها ، وهى تعلم أنّها تدبّق جناحَيه وتكتِفُه ، حتى تجتمع عليه الحُبارَيات فينتفن ريشه طاقةً طاقة ، فيموت الصَّقْر .

والحبارَى إذا تحسَّرتْ فأبطأ نبْتَ ريشِها ، وهى لا تنهض بالشَّكير[2] ، فربَّما طار صُوَيحباتها إذا تقدَّمَ نبْتُ ريشها قبل نبْت ريش تلك الحُبارى ، فعند ذلك تَكْمَد حزناً حتى تموت كمداً ؛ ولذلك قال أبو الأسود الدُّئِلىّ :

وزيدٌ ميّت كَمَدَ الحُبارى إذا ظعنَتْ مليحة أو تُلِمُّ[3]

وليس فى الطَّيْر أسرعُ طيراناً منها ، لأنها تَصَادُ عِندنا بظهر البصرة ، فيوجَد فى حواصلها حبَّة الخضراء غضّةً طريَّة ، وبينها وبين مواضع ذلك الحبِّ بلادٌ وبلاد . ولذلك قال بشر بن مروان[4] ، فى قتل عبد الملك عمرو ابنَ سعيدٍ[5] :

كأنَّ بنى مروانَ إذ يقتلونه بُغاثٌ من الطَّيْرِ اجتمَعْنَ على صَقْرِ

وبُغَاث الطّيْر ضعاف الطير وسَفِلَتها من العِظام الأبدان ، والخشاش مثلُ

= معروفة بتتبع الناس إلى الغائط ، لولوعها بالجعر . وفى الأصل : « محاجره » تحريف ، صوابه مما سبق فى (١ : ٢٣٨ ، ٣١٧) .

(١) من هنا يبتدئ سقط كبير ؛ فات النسخ جميعها ، وأثبته من ل .

(٢) الشكير : ما نبت من صغار الريش بين كباره .

(٣) سبق الكلام على البيت فى (٥ : ٤٤٥) .

(٤) سبق فى (٦ : ٣١٥) : « بعض بنى مروان » . ولم يعرف بشر بن مروان بشعر .

(٥) هو عمرو بن سعيد الأشدق . انظر ماسبق فى حواشى (٦ : ٣١٥) .

ذلك إلا أنها من صغار الطّير ، وأنشد أبو عبيدة قول الشاعر :

سألتُ النّاسَ عن أنسٍ فقالوا　　بأندلُسٍ وأندلسٌ بعيـدُ[1]

كأنّى بعد سكن مَضرِحىٌّ　　أصابَ جَناحَه عنَتٌ شديدُ[2]

فقد طمِعت عِتاقُ الطّيرِ فيه　　وكانت عن عَقيرَتِه تحيدُ[3]

وقال الذّكوانىّ :

بُغَاثُ الطّير تعرِف قانِصيهاَ　　وكلٌّ مكبَّدٍ منها لِهَيدِ[4]

يقول : لكلّ جنس من الجوارح ضربٌ من الصيد ، وضربٌ من الطلب فالمصيد منها يعرف ذلك ، فيجعل المهرب من الآخر ، ثم ذكر أنها تعرف الصائد المعتلّ من الصحيح . وهو معنى الخرَيمى[5] حيث يقول :

ويعلم ما يأتى وإنْ كان طائرًا　　ويعلم أقدارَ الجوارحِ والبُغْثِ

وقوله البُغْث[6] يريد به جمع أبغث ، وقال الأوّل[7] : —

بُغاث الطّيْرِ أكثرها فروخاً　　وأمُّ الباز مِقْلاتٌ نَزُورُ[8]

وأنشدنى ابن يسير :

---

(١) أنشده ياقوت فى معجم البلدان (رسم الأندلس) مستشهدا به على جواز حذف (أل) منها . وانظر شرح همزيات أبى تمام ص ١٧ .

(٢) كذا وردت كلمة « سكن » فى البيت .

(٣) العقيرة : الصوت .

(٤) الهيد ، أصله فى الإبل أن يصيب جنبها ضغطة من حمل ثقيل فتورثها داء يفسد عليها رئتها .

(٥) الخريمى ، هو إسحاق بن حسان بن قوهى الخريمى . انظر (١ : ٢٢٤ ، ٣٥٤). وفى الأصل : « الحزيمى » ، تحريف .

(٦) فى الأصل : « وليس قوله البغث » وكلمة « ليس » مقحمة .

(٧) هو العباس بن مرداس ، كما فى الحماسة (٢ : ٢١) . ونسب فى اللسان (٢ : ٣٧٧) إلى كثير عزة .

(٨) الفروخ : جمع فرخ . ورواية الحماسة : « فراخا » . والمقلات : التى لا يبقى لها ولد . وفى الأصل : « مقلاة » ، تحريف . والنزور : القليلة الولد .

وبالجَـدّ طوراً ثم بالجِدّ تارةً

كذاك جميعُ الناس فى الجَدِّ والطَّلَبْ[1]

والجد مفتوح الجيم . يقول : الطير كالناس ، فمرَّةً تصيد بالحظّ وبما يتفق لها ، ومرَّةً بالحيلة والطَّلب . وقال بشّار بنُ بُرْد :

* وبجَدِّهِ يتقلّبُ العصفور *

قال : وقال زاهر[2] لصبيانه : « يرزقكم الذى يرزُق عصافير الدوّ » .
وقال صالح المُرّىّ[3] : «تغدو الطّيرُ خِماصاً وتَرُوحُ شِباعًا ، واثقة بأنّ لها فى كلّ غدْوَةٍ رزقاً لا يفوتُها . والذى نَفْسى بيده أنْ لو غدوتُم على أسواقكم على مثل إخلاصها ، لرُحتم وبطونُكم[4] أبطنُ من بطون الحوامل » .

وقال أعشى هَمْدان :

قالت تعاتبنى عِرْسى وتسألُنى :	أين الدَّراهم عَنّا والدَّنانيرُ
فقلتُ : أنفقتُها واللهُ يُخلِفُها	والدَّهر ذو مرَّةٍ عسرٌ وميسورُ
إنْ يرزقِ اللهُ أعدائى فقد رُزِقَتْ	من قبلهم فى مَراعيها الخنازيرُ
قالت : فرزقُك رزقٌ غيرُ متَّسعٍ	وما لَدَيْكَ من الخيرات قِطميرُ
وقد رضيتَ بأن تحيا على رَمَقٍ	يوماً فيوماً ، كما تحيا العصافير[5]

(١) فى الأصل : « ثم بالحس » ، ولا وجه له .
(٢) زاهر ، يروى عنه ابن الأعرابى . انظر (٦ : ٣٩٤ س ٣) .
(٣) صالح المرى ، أحد زهاد البصرة وعبادها ، وكان مملوكا لامرأة من بنى مرة ابن الحارث ، من بنى عبد القيس ، فأعتقته ، وإليها ينسب . انظر صفة الصفوة لابن الجوزى (٣ : ٢٦٥ — ٢٦٦) . وقد سبقت ترجمته فى (٦ : ٥٠٨) . وفى الأصل : « صالح المروى » ، تحريف .
(٤) فى الأصل : « لرجمتم ودينكم » .
(٥) الرمق : القليل من العيش الذى يمسك الرمق ، أى بقية الحياة . وفى الأصل : « رنق » . والرنق : الكدر ، ولا وجه له .

وإنما خصَّ العصافير بقلّة الرِّزق ، لأنها لا تتباعد فى طلب الطعم ؛ وإلا فإنّ السِّباعَ ووحشَ الطَّير كلّها تغدو خِماصاً وتروح بطاناً .

وقال لبيد :

فإنْ تسألينا فيم نحنُ فإنّنا عصافيرُ من هذا الأنام المُسحَّرِ [1]

وقال [2] :

عصــافيرٌ وذِبَّانٌ ودودٌ وأجرأُ من مجلِّحة الذئابِ [3]

ولولا أنّ تفسير هذا قد مرَّ فى باب القول فى العصافير فى كتاب الحيوان لقلنا فى ذلك .

باب

ذكر اختلاف طبائع

الحيوان وما يعتريها من الأخلاق

الذئب لا يطمع فيه صاحبُه ، فإذا دَمِىَ وثب عليه صاحبُه فأكلَه ، وإذا عضَّ الذِّئْبُ شاةً فأفلتتْ منه بضربٍ من الضروب ، فإنَّ عادة الغنم إذا وجدَتْ ريحَ الدَّمِ أن تَشمَّ موضع أنياب الذئب ، وليس عندها عند ذلك إلاّ أن ينضمَّ بعضها إلى بعض ؛ ولذلك قال جريرٌ لعَمر بن لجأ التَّيمىّ :

فلا يضغمَنَّ اللَّيْثُ تَيما بِغِرَّةٍ وتَيمٌ يَشَمُّونَ الفَرِيسَ المُنَيَّبا [4]

---

(١) انظر ما سبق من الكلام على نسبة هذا البيت فى (٥ : ٢٢٩) . والبيت فى ديوان لبيد برواية الطوسى ص ٨١ .

(٢) أى لبيد . انظر الحيوان (٥ : ٢٢٩) . لكن البيت فى شعر امرئ القيس ١٣٢ ، واللسان (٣ : ٢٤٩ — ٢٥٠) .

(٣) المجلحة : الجريئة .

(٤) الفريس : المفترس ، كالفريسة . والمنيب : المعضض بالأنياب . وانظر البيان (٣ : ٢٢٣) .

فذكر أنّهم كالغنم فى العجز والجُبن . وإذا دَمِىَ الحمارُ ألقى نفسَه إلى الأرض وامتنع ممن يريده بالعضّ وبكلٍّ ما قدر عليه ، غير أنه لا ينهض ولا يبرحُ مكانَه . وإذا أصاب الأسدَ خَدْشٌ أو شَحْطَة[1] بعد أن يَدْمَى مكانَه فإنَّ ذبَّان الأسد تلحُّ عليه ، ولا تُقْلِع عنه أبدا حتى تقتله .

وللأُسود ذِبَّانٌ على حدة ، وكذلك الكلاب ، وكذلك الحمير ، وكذلك الإبل ، وكذلك الناس .

وإذا دَمِىَ الإنسانُ وشمَّ الذئبُ منه ريحَ الدَّم فما أَقَلَّ من يَنْجُو منه وإن كان أشدَّ الناس بدَناً وقلباً ، وأتَمَّهم سِلاحا ، وأثقفَهم ثقافة .

وإذا دَمِىَ الببرُ استكلب فخافه كلُّ شيء كان يسالمُه مِن كبار السِّباع كالأُسود والنُّمور ، والببر على خلاف جميع ما حكينا .

وإذا أصاب الحية خدْشٌ فإنَّ الذرَّ يطالبه أشدَّ الطلب ، فلا يكاد ينجو ، ولا يعرف ذلك إلا فى الفَرْط .

وإذا عضَّ الإنسانَ الكلبُ الكلِبُ فإنَّ الفأر يطالبه ليبولَ عليه ، وفيه هَلَكَتُهُ ، فهو يحتال له بكلِّ حيلة .

وربما أَغَدَّ البعير فلا يعرف ذلك الجمَّالُ حتى يرى الذّبّانَ يطالبه .

وإذا وضعت الذِّئبةُ جَرْوَها فإنه يكون حينئذ ملتزقَ الأعضاء أمْعَطَ كأنه قطعة لحم ، وتعلم الذِّئبة أنّ الذرَّ يطالبه ، فلا تزال رافعةً له بيدِها ، ومحوِّلةً له من مكانٍ إلى مكان ، حتى تفرج الأعضاء ، ويشتدّ اللحم .

وإذا وضعت الهِرَّة جروَها فإنْ طرَحُوا لها لحما من ساعتِها أو رُوبة[2]

---

(١) الشحطة : أثر سحج يصيب جنبا أو فخذا أو نحوها .

(٢) الروبة بالضم : القطعة من اللحم . وفى الأصل : « ربة » ، تحريف .

أو بعض ما يشبه ذلك فأكلته ، لم تكد تأكل أجراءها ، لأنّ الهرة يعتريها عند ذلك جُوعٌ وجُنون وخفة .

والأجناس التى تحدث لها قوّةٌ على غير سبب يعرف فى تقدير الرأى منها الذِّئبُ الضعيف الواثبُ على الذِّئب القوىّ إذا رأى عليه دما ، والهِرَّةُ إذا سفِدها الهرُّ ، فإنها عند ذلك تشدُّ عليه وهى واثقةٌ باستخذائه لها ، وفضْلِ قوّتها عليه ، والُجرذ إذا خصِى فإنّه يأكل الجرذان أكلا ذريعاً ولا يقوم له شىءٌ منها .

فأمَّا الفيل والكركدَّنَ والجمل ، عند الاغتلام وطلَب الضِّراب ، فإنها وإن تركت الشُّرْبَ والأكلَ الأيّامَ الكثيرة فإنّه لا يقوم لشىءٍ منها شىء من ذلك الجنس وإن كان قويًّا شابًّا آكلا شاربا .

وأمَّا الغيرانُ والغَضبان والسَّكران والُمعاين للحرب ، فهم يختلفون فى ذلك على عللٍ قد ذكَرْناها فى القول فى فضيلة المَلَك على الإنسان ، والإنسانِ على الجانّ . فإنْ أردتَه فالتمِسْهُ هناك . فإنَّ إعادة الأحاديث الطوال والكلامَ الكثيرَ مما يُهجَر فى السَّماع ، ويهجِّن الكتب[1]] .

باب

ما يستدل به فى شأن الحيوان على حسن صنع الله

وإحكام تدبيره ، وأن الأمور موزونة مقدرة[2] . قالوا : الأشياء البيّاضة طائر ، ومشترك ، وذو أربع ، ومُنْساح . فمنها ما يبيض فى صُدوع الصَّخر وأعالى الهِضاب . ومنها ما يعيش فى الجِحَرة كسائر الحيات[3] .

(١) إلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ فى ص ٦٠ .

(٢) فيما عدا ل : « وأحكامه وتدبيره ، وأن أموره موزونة مقدرة » .

(٣) فيما عدا ل : « ما يبيض فى الأجحرة » ، تحريف . والجحرة ، بتقديم الجيم : جمع جحر .

٢٠ وأما الدَّسَّاس منها فإنَّها تلد ولا تبيض ، و [هى] لا تُرضِع ولا تُلقِم . والخُفّاش تَلد ولا تبيض وترضع ، وهذا مختلف .

والدَّجاج والحجَل والقَطا وأشباه ذلك من الدَّراريج وغيرِها أفاحيصُها فى الأرض .

والحمام منها طُورانىّ[١] جبَلِىّ ، ومنها ألوفٌ أهلىّ . فالجبلىُّ تبيض فى أوكارٍ لها[٢] فى عُرْض مقاطع الجبال ، والأهلىُّ منها يبيض فى البيوت . والعصافير بيوتُها[٣] فى أصول أجذاع السُّقُف . والخطاطيف تتّخذ بيوتَها فى باطن السقف فى أوثق ذلك وأمْنَعِه[٤] . والرَّخَم لا ترضَى من الجبال إلا بالوحشىّ[٥] منها ، ومن البعيد إلا فى أسحَقِها[٦] وأبعدها عن مواضع أعدائها ، ثم من [الجبال إلاّ فى رءوس هضابها ، ثم من] الهضاب[٧] إلا فى صدوع صخورها[٨] . ولذلك يُضرَب بامتناع بيضِها المثل .

وأما الرِّقّ والضِّفدِع والسُّلَحفاة والتِّمساح ، وهذه الدوابّ المائية ، فإنها تبيض فى الأرض وتحضن . وأمَّا السَّراطِين فإنَّ لها بيوتاً فى عَرْض شُطوط الأنهار والسَّواقى ، تمتلئ مرةً ماءً وتخلو مرة .

(١) يقال طورانى وطورى : منسوب إلى طور سيناء ، وقيل منسوب إلى جبل يقال له طرآن ، نسب شاذ . وفيما عدا ل : « طورى » .

(٢) س : « فى أوكارها » .

(٣) ط ، هـ : « والعصافير فى بيوتها » .

(٤) فيما عدا ل : « فى باطن البيوت فى أوساطه وأمنعه » ، وأثبت ما فى ل . وكلمة « أوثق » هى فى الأصل : « أوسع » فأبدلتها بما يناسب « وأمنعه » .

(٥) ط ، هـ : « لا تبيض من الجبال إلا فى الوحشى » .

(٦) أسحقها : أشدها بعدا . فيما عدا ل : « ومن أبعدها » .

(٧) ط فقط : « الهضبات » .

(٨) ل : « رءوس صدوعها » .

ومن الحيوان مالا يجثم ، كالضبَّة فإنها لا تجثُمُ على بيضها ، ولكن تغطّيها[1] بالتراب وتنتظر أيّام انصداعها .

(مواضع الفراخ والبيض)

فإذا كان مواضع الفِراخ والبيض من القطا وأشباه القطا فهو أفحوصة ، وإذا كان من الطير الذى يهيِّئ ذلك المجثَمَ[2] من العِيدان والرِّيش والحشيش فهو عُشّ ، وإذا كان من الظّليم فهو أُدْحِىّ . ذكر[3] ذلك أبوعبيدة والأصمعى . وكلّها وُكور ووكون ، ووُكنات ووَكَرات[4] .

(أكثر الحيوان بيضا وأقله)

فالذى يبيض[5] الكثيرَ من البيض [الذى] لا يجوزه شيءٌ فى الكثرة السَّمَك ؛ ثم الجراد ، ثم العقارب ، ثم الضبَّة ، لأن السَّمَكَ لا تزقُّ ولا تلقِم ولا تُلحِم ولا تحضُن ولا تُرضِع * فحين كانت كذلك كثَّر الله تعالى ذَرْءَها وعددَ نسلِها ، فكان ذلك على خلاف شأن الحمام الذى يُزاوِج أصنافَ الحمام. ومثل العصافير والنَّعام ، فإنها لا تزاوج .

فأما الحمام فلما جعله الله يزقّ ويحضُن ، ويحتاج إلى ما [يغتذيه[6] و] يغذو به ولده ، ويحتاج إلى الزَّقّ ، وهو ضربٌ من القيء ، وفيه عليها وهْنٌ

---

(١) فيما عدا ل : « تغطيه » .

(٢) يقال جثم وجثم ، بفتح الثاء وكسرها . وفعله من بابى دخل وضرب .

(٣) فيما عدا ل : « يذكر » .

(٤) وكرات : جمع وكرة ، بالفتح ، يقال وكر ووكرة .

(٥) فيما عدا ل : « فالتى تبيض » .

(٦) التكملة من ل ، ه .

وشدّة[1] ، ولذلك لا يُزْجَل[2] إذا كان زاقًّا . فلما [أن] كان كذلك لم يحمل عليها أكثر من فرخين وبيضتين .

ولما كانت الدَّجاجة تحضُن ولا تزُقّ ، وهى تأكل الحبَّ وكلَّ ما دبّ ودَرَجَ ، زاد الله فى بيضها ، وعدد فراريجها ، ولم يجعل ذلك فى عدد أولاد السَّمك والعقارب والضِّباب التى لا تحضُن البتّةَ ولا تزُقّ ولا تُلقِم .

ولمَّا جعَلَ الله أولادَ الضبّ لها معاشاً ، زاد فى عدد بيضِها وفراخها ، وصار ما يسلمُ كثيرا غير متجاوزٍ للقدر .

٢١ وكذلك الظَّليم ، لما كان لا يزقّ ولا يحضُن اتسَع عليه مطلبُ الرِّزق من الحبوب وأصول الشَّجر[3] .

وجعلها تبيض ثلاثينَ بيضةً وأكثر . [وقال ذو الرمة :

أذاك أم خاضبٌ بالسِّيِّ مَرْتَعُه ... أبو ثلاثين أمسى فهو منقلبٌ[4]

و] بيضها كبارٌ ، وليس فى طاقتها أن تَشتمل وتجثم [إلاّ] على القليل منها .
وكذلك الحيَّة تضع ثلاثين بيضةً ، ولها ثلاثون ضِلعا ، وبيضها وأضلاعها عدد أيام الشَّهر ؛ ولذلك قويَت أصلابها لكثرة عددالأضلاع ، وحمل عليهافى الحضن بعض الحمل[5] إذكانت لا ترضع .

(أثر الإلقام والزق فى الحيوان)

والطائر الذى يُلقِم فرخه يكون أقوى من الطائر الزاقّ ، وكذلك من البهائم المرضِعة .

---

(١) فيما عدا ل : « وهن شديد » .
(٢) زجل الحمام : إرساله على بعد . وفيما عدا ل : « لا يرحل » ، تحريف .
(٣) ل : « أصول الأشجار » .
(٤) سبق البيت فى (٤ : ٣١١ ، ٣٢٨) .
(٥) فيما عدا ل : « بعد الحضن » .

ولما كانت العصافير تصيد الجراد والنمل والأَرَضَة إذا طارت : وتأكل الحبَّ واللَّحم ، وكانت مع هذا تُلقم ، لم تكثِّر من البيض كتكثير الدجاج ولم تقلِّل كتقليل الحمام .

(ما يزاوج من الحيوان)

والعصافير فيها زِوَاجٌ ، وكذلك النّعام . وليس فى شىء من ذوات الأربع زِواج ، وإنما الزِّواج فى اللاتى[1] تمشى على رِجْلين ، كالإنسان والطَّير والنَّعام ، وليس [هو] فى الطير بالعامّ ، وهو فى الحمام وأصناف الحمام[2] من هذه المغنيات والنوائح عامٌّ . وسبيل الحجل والقَبَج[3] سبيلُ الدِّيكة والدَّجاج .

والدَّجاجة تمكِّن كلَّ ديك ، والدِّيك يثِبُ على كلِّ دَجاجة . وربَّما غَبَر [الحمام[4]] الذَّكَر حياتَه كلَّها لا يقمط غير أنثاه ، وكذلك الأنثى لا تدعو إلا زوجَها ، وربَّما أمكنت غيره . وفى الحمام فى هذا الباب من الاختلاف ما فى النساء والرجال . فأما الشِّفْنِين[5] فإنّه لا يقمُط غيرَ أنثاه ، وإن هلكت الأُنثى لم يزاوِجْ أبدا ، وكذلك الأنثى للذكر .

(عجائب البيض)

فأمّا العلة فى وضع القطا بيضَها أفراداً ، وخروجِ البيضة من جهة أوسع الرَّأسين ، واستدارةِ بيض الرّقّ ، واستطالة بيض الحيات ، وما يكون

---

(١) فيما عدا ل : « اللتى » .

(٢) هاتان الكلمتان ساقطتان من ط .

(٣) ط : « والفنتخ » س : « والفتح » ، صوابهما فى ل ، هـ .

(٤) التكملة من ل ، س .

(٥) فيما عدا ل : « السفنين » محرف . وانظر (٣ : ٥١٦) .

منها أرقطَ وأخضَر وأصفر وأبيض [وأكدر] وأسود ، فإنّى لم أرْضَ لهم فى ذلك[1] جواباً فأحْكِيَه لك .

(معارف فى البيض)

قالوا : وإنما يعظُم البيض على قدر جُثّة البيّاضة . وبيضُ الأبكارِ أصغر . فأمّا كثْرة العدد فقالوا[2] إنه كلما كان أكثرَ سِفاداً كانَ أكثَرَ عدداً . وليس الأمرُ كذلك ؛ لأنَّ العصفور أكثَرُ سِفاداً من أجناسٍ كثيرَةٍ هى أقلُّ بيضاً منه .

والجرادُ والسَّمَك لا حضنَ ولا زَقَّ ولا رَضاعَ ولا تَلقيم[3] عليهن ، فحين جَعَل الفراخَ كثيرةَ العدد ، وكانت الأمّهات والآباءُ عاجزةً عنها ، لم يَجْعلْها محتاجةً إلى الأمّهات والآباء .

فتفهَّمْ هذا التدبيرَ اللطيفَ ، والحكمةَ البالغة .

(أقل الحيوان نسلا وأكثره)

قالوا : والأقلّ فى ذلك البازى ، والأكثر فى ذلك الذَّرّ والسَّمك . قال الشاعر[4] :

بغاثُ الطَّيْرِ أكثرها فُروخا ... وأمُّ البازِ مِقْلاتٌ نَزُورُ[5]

---

(١) فيما عدا ل : « بذلك » ، تحريف .

(٢) س : « فقال » ، صواب هذه « فيقال » كما فى ل .

(٣) ط ، س : « ولا يلقم » هـ : « ولا تلقم » ، صوابهما من ل .

(٤) هو العباس بن مرداس ، كما فى الحماسة (٢ : ٢٠ — ٢١) . ونسب فى اللسان (٢ : ٣٧٧) إلى كثير عزة .

(٥) فيما عدا ل : « فراخا » كما فى الحماسة . وفيما عدا ل أيضا : « وأم الصقر » و « مقلات » هى فيما عدا ل : « مقلاة » ، محرفة .

وقال صاحب المنطق : نسل الأسد أقلُّ[1] لأنه يَجْرح الرحم فيُعْقَم .   ٢٢

قالوا : والفِيَلة تضعُ فى سبع سنين. وأقلُّ الخلْق عدداً وذَرْءًا الكركَدَّن ؛ لأنّ الأنثى تكون نَزُورًا ، وأيامُ حملها كثيرة [جِدًّا[2]] ، وهى من الحيوان الذى لايلد إلاّ واحداً ؛ وكذلك عِظامُ الحيوان وهى مع ذلك تأكل أولادَها ، ولا يكاد يسلم منها إلاّ القليل ؛ لأنّ الولد يخرجُ سويًّا نابتَ الأسنانِ والقرنِ ، شديدَ الحافر .

ما جاء فى الفيلة

من عجيب التركيب ، وغريب التأليف ، والمعارف الصحيحةِ ، والأحساس اللطيفة ، وفى قبولها التثقيفَ والتأديبَ وسرعَتِها إلى التَّلقين والتقويم ، وما فى أبدانها من الأعضاء الكريمة ، والأجزاء الشريفة[3] .

بسم الله الرحمن الرحيم

[والحمد لله ولاحول ولاقوة إلا بالله] ، وصلى الله على سيدنا محمدخاصَّة وعلى أنبيائه عامّة ، ونسأله التأييدَ والعصمة ، ونعوذ به من كلِّ سببٍ جانَبَ الطَّاعَة ، ودعا إلى المعصية ، إنه قريبٌ مجيب ، فعَّالٌ لما يريد .

قد قلنا فى أول هذا الجزء ، [وهو الجزء السابع] ، من القول فى الحيوان فى أحساس أجناسها المجعولة فيها[4] ، وفى معارفها[5] المطبوعة عليها ، وفى أعاجيب ما رُكِّبَتْ عليه من الدَّفع عن أنفسها ، والتقدُّم فيما يُحيِيها

---

(١) فيما عدا ل : « يقل » .
(٢) التكملة من ل ، س .
(٣) من مبدأ « ما جاء فى الفيلة إلى هنا ليس فى ل .
(٤) فيما عدا ل : «ومنها» ، تحريف .
(٥) فيما عدا ل : « صغارها » ، تحريف .

وفى تحسُّسِها عواقبَ أمورها وكلِّ ما خوِّفت[1] من حوادث المكروه عليها بقدر ما ينوبُها من الآفات ، ويعتريها من الحادِثات[2] وأنّها تُدْرِك ذلك بالطَّبع من غير رَوِيّة ، وبِحِسِّ النَّفس من غير فِكرة ؛ ليعتبرَ مُعْتَبِرٌ ، ويفكِّرَ مفكِّر ، ولينفىَ عن نفسه العُجب ، ويعرفَ مقدارَه من العجز ، ونهاية قُوَّته ، ومبلغَ نفاذِ بصَرِهِ ، وأنه مخلوق مدبَّر ومصرَّف وميسَّر ، وأنَّ الأعجمَ من أجناس الحيوان ، والأخرسَ من تلك الأشكال ، يبلغ فى تدبير معيشته ، ومصلحةِ شأنهِ ، وفى كلِّ ماهو بسبيله ، مالا يبلغه ذو الرَّويَّة التامّة ، والمنطقِ البليغِ ، وأنَّ منها ما يكون ألْطفَ مَدخلاً ، وأدقَّ مسلكا ، وأصنَعَ كَفّا ، وأجودَ حنجرة ، وأطبَعَ على الأصوات الموزونة ، وأقْوَم فى حفظ ما يُعيشُه طريقةً ، إلّا أنّ ذلك منها مفرَّق[3] غـيرُ مجموع ، ومنقطعٌ غير منظوم .

والإنسان ذو العقل والاستطاعة ، والتصرُّف والروية ، إذا علم علماً غامضاً ، وأدرَكَ معنًى خفيّا ، لم يكَدْ يمتنع عليه ما دونَه إذا قاس بعض أمْرِهِ على بعض . ٢٣

وأجناسُ الحيوانِ قد يعلِّم بعضُها[4] علماً ، ويصنع بكفِّه صنعةً يفوقُ بها الناس[5] ، ولا يهتدِى إلى ماهو دونَ [ذلك بطبعٍ ولا رويّة . وعلى أنَّ الذى عجز عنه فى تقدير العقول دون] الذى قَدَرَ عليه .

---

(١) فى الأصل : « وفى تحصينها عواقب أمورها وكلما خوفت » .
(٢) ل : « من الحاجات » .
(٣) فيما عدا ل : « مفترق » .
(٤) ط : « بعضه » .
(٥) ل : « الإنسان » .

وأنا ذاكرٌ إن شاء الله ، ما جاء فى الفيلة من عجيب التركيب ، وغريب التأليف ، والمعارفِ الصَّحيحة ، والأحساس اللطيفة ، وفى قَبولها التّثقيف والتّأديب ، وسُرعتها إلى التلقين والتّقويم ، وما فى أبدانها من الأعضاء الكريمة ، والأجزاء الشريفة ، وكم مقدارُ منافِعها ، ومبلغُ مضارِّها ، وبكم فَضَلَتْ أجناسَ الحيوان ، وفاقَتْ تلكَ الأجناسَ ، وما جعل الله تعالى فيها من الآيات والبرهانات ، والعلامات النيِّرات ، التى جَلاها لعيُون خلْقه وعَرَّف بينها وبين عُقول عباده ، وقيَّدَها عليهم ، وحفِظَها لهم [ليكثِّر لهم[1]] من الأدلة ، ويزيدَهم فى وضوح الحُجَّة ، ويسخِّرَهم لتمام النِّعمة ، والذى ذكرها الله به فى الكتاب الناطق[2] ، والخبر الصادق ، وما فى الآثار المعروفة ، والأمثال المضروبة ، والتجارب الصحيحة[3] ، وما قالت فيها الشعراء ، ونطقَتْ به الخطباء ، وميَّزَتْه العلماء ، وعجِبت منه الحكماء ، وحالها عند الملوك وموضعِ نفعِها فى الحروب ، ومهابتها فى العيون ، وجَلالتها فى الصُّدُور ، وفى طُول أعمارها ، وقوَّة أبدانِها ، وفى اعتزامها وتصميمها ، وأحْقادها[4] ، وشدَّة اكترائها ، وطلبها بطوائلها ، وارتفاعها[5] عن مِلْك السُّقّاط والحشْوة ، وعن اقتناءِ الأنذال والسَّفِلة ، وعن ارتخاصها فى الثمن وارتباطها على الخسْف ، وابتذالها وإذالتها ، وعن امتناع طبائعها ، وتمنُّع غرائزها[6] أن تَصلُحَ أبدانُها ، وتَنْبُتَ أنيابُها ، وتعظُمَ جوارحُها ، وتتسافَد

(١) التكملة من س ، هـ ل . لكن فى ل : « ليكرر » .

(٢) فيما عدا ل : « وما ذكرها الله بها فى الحديث الناطق » .

(٣) فيما عدا ل : « والتجارب الصحيحة » .

(٤) ط ، هـ : « وإخفارها » س : « وإخفادها » ، صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « وارتداعها » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « غوائرها » ، محرف .

وتتلاقَحَ إلّا فى معادنها وبلادها ،وفى منابتها ومَغارس أعراقها ، مع التماس الملوك ذلك منها ، حتى أعجَزَت الحِيل ، وخرجَتْ مِن حدِّ الطَّمَع[١] ، وعن الإخبار عن حْماها ووضْعِها ، ومواضع أعضائها ، والذى خالَفتْ فيه الأشكالَ الأربعةَ التى تُحيط بالجميع ممّا ينْساح أو يعوم، أو يمشى أو يطير، وجميعِ ما ينتقل عن أوّليَّةِ خَلْقه ، وما يبقى على الطّبائع الأُوَل من صُورته وعَمّا يتنازَعُه من شِبه الحيوان ، أو ما يخالِفُ فيه جميعَ الحيوان ، وعن القول فى شدَّة قلبه وأسْرِه ، وفى جرأته على ماهو أعظَمُ بدَناً وأشدُّ كلَباً ، وأحدُّ أظفاراً ، وأذْربُ أنيابا ، وهربِه[٢] ممَّا هو أصغَرُ منه جِرْماً وأكلُّ حدًّا ، وأضعَفُ أسْرًا ، وأخملُ ذِكراً ، وعن الإخبار عن خصاله المذمومة ، وأموره المحمودة ، وعن القول فى لَوْنه وجِلده وشَعره ، ولحمه وشحمه وعظمه ، وبَوْله و نَجْوه ، وعن لسانه وفمه[٣] ، وعن أذنه وعينه ، وعن خرطومه وغُرموله ، وعن مَقاتِلِه وموضع سلاحه ، وعن أدوائه ودوائه ، وعن القول فى أنيابه وسائرِ أسنانه ، وسائر عظامه ، وفرْقِ مابين عِظامه وعظام غيره ، وعن مَوَاضع عجزه وقوّته ، والقَوْل فى ألبانها وضُروعها ، وعدد أخْلافها وأماكن ذلك منها ، وعن سياحتها ومشْيها وحُضْرها وسُرعتها ، وخِفَّة وطئها ولين ظهورها ، وإلذاذ راكبها ، وعن ثباتِ خُفِّها فى الوَحل والرَّمل ، وفى الحَدَر والصَّعْداء ، وعن أمْن راكبها من العِثار ، وكيف حالها[٤] عند اهتياجها واغتلامِها ، وعن[٥] سكونها وانقضاء هَيَجانها عند حملها ، ٢٤

(١) فيما عدا ل : « خرجت عن الطبع » .
(٢) فيما عدا ل : « ونفرته » .
(٣) فيما عدا ل : « وفيه » .
(٤) فيما عدا ل : « واحتيالها » ، تحريف .
(٥) ل : « وعنه » ، محرف .

وعن طرَبها وطاعتها لسُوّاسها ، وفهمِها لما يُراد منها ، وكيف حِدّةُ نَظرها والفَهمُ الذى يُرَى فى طَرْفِها ، مع الوقار والنُّبل ، والإطراق والسُّكون ، وَلِمَ(١) اجتمعت الملوكُ عَرَبُها وعجمُها(٢) وأحمرُها وأسودُها على اقتنائها(٣) والتزيُّنِ بها ، والفخرِ بكثرةِ ماتهيَّأ لهم منها ، حتى صارت عندَهم من أكرم الهدايا ، وأشْرَف الألطاف ، وحتى صار اتّخاذُها مُرُوءةً وعَتاداً وعُدّة ، ودليلًا على أنّ مُقْتَنِيَها(٤) صاحبُ حرب ؛ وفى تفضيل [خصال] الفيل على خصال البعير ، وفى أىِّ مكانٍ يكون أنفعَ فى الحرب(٥) من الفرَس ، وأصبَرَ عند القتال من النَّمر ، وأقْتَلَ للأسد من الجاموس ، وأكلَبَ من الببر إذا تعرَّم(٦) ، وأشدَّ من الكرْكَدَّنِ إذا اغتلم ، حتى لايبلُغه مقدارُ ما يكون من تماسيح [الخلجان ، وخيل] النِّيل ، وَعِقبان الهواء ، وأُسْدِ الغياض .

(قصيدة هارون مولى الأزد فى الفيل)

وقد جمع هارونُ مولى الأزد الذى كان يرُدُّ على الكميت ويفخر بقحطان ، وكان شاعرَ أهل المُوْلتَان(٧) ، ولا أعرف من شأنه [أكثر من

(١) فيما عدا ل : « ولو » ، تحريف .
(٢) س : « عربها وعجميها » .
(٣) ل : « اجتلابها » .
(٤) فيما عدا ل : « يقتنيها » .
(٥) فيما عدا ل : « الحرب » .
(٦) تعرم : صار صاحب عرامة ؛ وهى الشراسة والشدة . وفيما عدا ل : « تعرض » محرفة .
(٧) المولتان ، بضم أوله وسكون ثانيه واللام ، يلتقى فيه ساكنان ، بذلك ضبطه ياقوت ، ثم قال : « وأكثر ما يسمع فيه ملتان بغير واو ، وأكثر ما تكتب كما هنا » وهى بلد فى بلاد الهند على سمت غزنة » . فيما عدا ل : « وكان شاعرا مواهدا » .

اسمه] وصناعته . وقد قال فى صفات الفيل أشعاراً كثيرة ، ذكر فيها كثيراً ممّا قدّمْنا ذِكرَه[1] . فمن ذلك قولُه :

أليس عجيباً بأنْ خِلقةٌ ... له فِطَنُ الإنْس فى جِرْم فيل

وأنشد [نى] هذا البيت صفوانُ بن صفوانَ الأنصاريّ ، وكان من رُواة داود بن مزيد[2] :

« أليس عجيباً بأنْ خِلقةٌ ... له فِطَنُ الإنس فى جِرْمِ فيلِ »

وأطرف مِنْ قِشّةٍ زَولة ... بحِلْمٍ يجلُّ عن الخنشَليل[3]

وأوقصُ مختلفٌ خَلْقُـــهُ ... طويلُ النُّيُوب قصير النَّصِيلِ[4]

ويلقى العدُوَّ بنابٍ عظيم ... وجَوفٍ رَحيب وصوتٍ ضَئيلِ

وأشبــهُ شئٍ إذا قِسْتَه ... بخنزيرِ بَرٍّ وجاموسِ غِيلِ

تَنازَعَـــهُ كلُّ ذِى أربَع ... فما فى الأنام له مِن عَدِيلِ

٢٥ ويخضعُ للّيثِ لَيْثِ العَـــرينِ ... بأنْ ناسَبَ الهِرَّ ، من رأس مِيلِ[5]

ويعصِفُ بالبَبْر بعد النُّمورِ ... كما تعصف الرِّيحُ بالعندبيلِ[6]

---

(١) فيما عدا ل : « ذكرتها فى ما قدمنا ذكره » ، تحريف .

(٢) ل : « وكان منزوار داوه بن يزيد » . والأبيات فى مروج الذهب (٢ : ١٠ – ١١) .

(٣) القشة : بالكسر : الأنثى من القرود . والزولة : الظريفة . فيما عدا س : « وأكرم » ، محرف . وفى نهاية الأرب (٩ : ٣١١) : « وأطرف » بالطاء المهملة . ط : « ذولت » ه : « زولت » صوابهما فى ل ، س ونهاية الأرب والخنشليل : الماضى، والمسن القوى . وبه لقب أحد العلماء . انظر نهاية الفهرست لابن النديم . فيما عدا ل : « الخشنبيل » ، صوابه فى ل والنهاية .

(٤) الأوقص : القصير العنق . ط ، س : « رواقص » صوابه فى ل ، ه والنهاية . والنصيل : ما تحت العين إلى الخطم . ط فقط : « النميل » ، محرفة .

(٥) أى يخاف الأسد لمشابهته الهر فى الصورة .

(٦) كذا وردت « العندبيل » بباء بعد الدال . والذى فى المعاجم أنه بلام بعد الدال .

وشخصٌ تَرَى يَدُه أنفَه فإن وصَلوه بسيفٍ صَقِيلِ[١]

وأقبلَ كالطَّوْدِ هادِى الخميسِ بِهَوْلٍ شديدٍ أمامَ الرَّعِيلِ[٢]

ومرَّ يَسِيلُ كَسَيْل الأتىِّ بخطوٍ خفيفٍ وجِرْمٍ ثقيلِ[٣]

فإن شِمْتَــه زادَ فى هــوله شناعةُ أُذْنَينِ فى رأسِ غولِ[٤]

وقد كنتُ أعدَدْتُ هِرًّا لهُ قليل التهيُّبِ للزَّندَبيل[٥]

فلما أحسَّ به فى العَجاج أتانَا الإلهُ بفتحٍ جميــلِ

فطارَ وَرَاغَــمَ فَيَّــالَهُ بقلب نجيب وجسمٍ نبيلِ

فسبحانَ خالقِــهِ وحْــدَه إلهُ الأنامِ وربُّ الفُيــول

(احتيال هارون بالهر لهزيمة الفيل)

وذكر صفوانُ بن صفوان أنّ هارون هذا خبَّأ معه هرًّا[٦] تحت حِضْنِه ، ومشى بسيفِه إلى الفيل ، وفى خرطومه السَّيف ، والفيالونَ يَذْمُرُونه[٧] ، فلما دنا منه رمى بالهرِّ فى وجهه ، فأدبَرَ هارباً ، وتساقط كلُّ مَن كان فوقَه ، وكبَّر المسلمون ؛ وكان ذلك سببَ الهزيمة .

وسنذكر الهرَّ فى هذا الشِّعر كما كتبتُه لك .

---

(١) ط ، هـ : « فإن وصفوه » . ط : « بسيف ثقيل » .

(٢) هدى الخميس ، أى تقدم الجيش ، والهادى : المتقدم .

(٣) الأتى : السيل لا يدرى من أين أتى . فيما عدا س : « بسيل كسيلى » .

(٤) شمته : رأيته ، يقال شامه يشيمه . فيما عدا ل ونهاية الأرب : « فإن سمته ذاك » ، تحريف .

(٥) ط : « ثقيل التثبت » س ، هـ : « فقيل التثبت » ، صوابهما فى ل .

(٦) ط : « جاء معه هر » س ، هـ : « جاء معه بهر » ، وأثبت ما فى ل .

(٧) الذمر : بالذال المعجمة : الحض والحث . فيما عدا ل : « يدمرونه » ، تحريف . انظر (٢ : ٦٥ س ١) . والخبر مروج الذهب (٢ : ٩ - ١٠) .

(استطراد لغوى)

وأمّا قوله :

* بحِلم يَجِلُّ عن الخنْشليل[1] *

فقد قال الأنصارىُّ فى صفة النَّخل[2] :

تُليصُ العِشاءَ بأذنابها وفى مَدَر الأرضِ عنها فُضُولُ[3]

ويشبعها المصُّ مصُّ الثَّرَى إذا جاعت الشَّاةُ والخنْشلِيلُ[4]

وهذا غير قوله :

قد علمتْ جاريةٌ عُطبولُ أنِّى بنَصْل السيف خنْشلِيل[5]

(العندبيل)

وأما العَندبيل فهو طائرٌ صغيرٌ جدًّا ؛ ولذلك قال الشاعر :

وما كان يَوْمَ الرِّيح أوَّلَ طائر

يَرُوحُ كَرَوْحِ العَندبيل إلى الوكْرِ[6]

لأنَّ الرِّيح تعصِف به من صِغره ، فهو يعرفُ ذلك من نفسِه ، فإذا قويت الرِّيح دخلَ جُحْره . ويقولون عندليب وعَندبيل[7] وكلٌّ صواب ، ولذلك قال هارون :

---

(١) فيما عدا ل : « الخنشبيل » تحريف . وانظر ما مضى فى ص ٧٦ .

(٢) فى الأصل : « النحل » ، وثانى البيتين يعين أنه « النخل » إذ جعلها تمص الثرى .

(٣) تليص بذنبها : تديره وتحركه . المدر : قطع الطين اليابس . فيما عدا ل : « تمص العشايا ذناباتها » .

(٤) الخنشليل من الإبل : المسن البازل . فيما عدا ل : « الخنشبيل » محرف .

(٥) البيتان فى اللسان (١٣ : ٢٣٦) .

(٦) العندبيل ، كذا وردت . ولم أجد إلا « العنداليل » بلامين .

(٧) عندبيل ، كذا فى الأصل . وانظر التنبيه السابق .

ويعصِفُ بالبَبْر بَعْدَ النّمورِ كما تعصِفُ الرِّيح بالعنديلِ

وسنخبر عن تقرير مافى هذه القصيدة مفرّقا ، إذ لم نقدِرْ عليه مجموعاً ٢٦ متّصلا . ولو أمكن ذلك لكان أحسن للكِتاب ، وأصَحّ لمعناه ، وأفهَمَ لمنْ قرَأه[1] .

باب

مايدخل فى ذكر الفيل

وفيه أخلاط من شعر وحديث وغير ذلك

قال رؤبةُ فى صفة الفيل :

أَجْرَدُ كالحِصْنِ طويلُ النّـابَيْنْ مُشَرَّفُ اللَّحْيِ صغيرُ الفقْمَيْنْ[2]

* عليه أُذْنَانِ كفضْلِ الثَّوْبَيْنْ *

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

هو البعوضةَ إنّ كلّفتَه كَرَمًا والفيل فى كلِّ أمرٍ أصلُه لُومُ[3]

وقال أعرابىٌّ وَوَصَف امرأةً له[4] :

* لو أكلتْ فِيلينِ لم تَخْشَ البَشَمْ *

وقال أعرابىٌّ ، [وتَروى] لبعض الأكْرِياء[5] :

---

(١) فيما عدا ل : « وأوضح وأفهم لمعناه » .

(٢) الفقمان : بالضم : الحيان . فيما عدا ل : « العينين » ، وأثبت ما فى ل ومباهج الفكر (٣ : ٧٩) مصورة دار الكتب .

(٣) ط ، هـ : « إذ كلفته » .

(٤) ل : « فى وصف امرأة له » .

(٥) الأكرياء ، جمع كرى ، وهو المكارى الذى يكريك دابته . ل : « وقال أعرابى لبعض الأكرياء » . وفيما عدا ل : « وقال الأعرابى يصف الأكرياء » ، وقد جمعت من بينهما الصواب زائدا كلمة « وتروى » .

لو تركبُ البُختِيَّ مِيلاً لانْحطَمْ[1]   أو تركبُ الفِيلَ بها الفيلُ رَزَمْ[2]

وحمل ناسٌ أبا الحلال الهَدادى[3] على الفيلِ أيَّام الحجَّاج ، فتمنَّع وأنشأ يقول :

أأرْكَبُ شيطاناً ومِسْخًا وهَضْبةً   إلا إنَّ رأيي قبل ذاك مُضَلَّلُ[4]

فقالوا له : لو علوتَه ما كانَ عندَك إلاّ كالبغْل ! فلما علاه صاحَ : الأرْضَ الأرضَ ! فلما خافوا أنْ يرْمِيَ بنفسه وهو شيخٌ كبير ، أنزلوهُ ، فقال بعد ذلك فى كلمة له :

وما كان تحتى يومَ ذلك بَغْـلةٌ   ولـكِنَّ جُلْبًا مِنْ رَفِيع السَّحائبِ[5]

وقال بعض [المتحدِّثين و] المُملِّحين[6] فى بعض النساء :

أرادت مرَّةً بيتاً لهـا فيـه تماثيلُ

فلما أبصرتْ سِتْرًا لوجْهَيْـهِ تهاويلُ

وفيه الفيلُ منقوشاً وفى مِشْفَرِهِ طُولُ

قالت : انزعُوا الستر فلا يأكلْنِىَ الفِيلُ[7]

---

(١) فيما عدا ل : « انحطم » .

(٢) رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزوما ورزاما ، إذا كان لا يقدر على النهوض رزاحا وهزالا . ط : « نهى الفيل ورم » ، س ، هـ : « نها الفيل ورم » صوابهما فى ل .

(٣) الهدادى : نسبة إلى هداد كسحاب : حى من اليمن . فيما عدا ل : « الهداهدى » وهداهد ، بضم أوله وكسر رابعه : حى من اليمن أيضا .

(٤) فيما عدا ل : «وأسلم إنى قبل ذاك فعلل » ، محرف .

(٥) الجلب ، بالكسر والضم : السحاب الذى لاماء فيه . ط ، هـ : « ولكن تحتى » س : « ولكن حتى » ، صوابهما فى ل . والرفيع : المرتفع . ل : « رجيع » ، ولا وجه له .

(٦) فى اللسان والقاموس : « ملح الشاعر ، إذا أتى بشىء مليح » . ل : « المتملحين » .

(٧) فى البيت ما يسميه العروضيون الخرم .

وقال خَلَف بن خليفةَ الأقطع ، حين ذكر الأشرافَ الذين يدخلون على ابن هُبيرة :

وقامتْ قريشٌ قريشُ البِطاح مع العُصَبِ الأُوَلِ الدَّاخِلَهْ[1]
يقودهم الفِيلُ والزَّنْدَبِيلُ وَذُو الضِّرْسِ والشَّفَةِ المائلةْ

الفيل والزَّنْدَبيل : أبان والحكم ، ابنا عبد الملك بن بشر بن مَرْوان[2] . وذو الضِّرس : خالد بن سَلَمة المخزومى الخطيب ، وهو ذو الشَّفة ، قتل مع يزيد ابن عُمَر بن هبيرة[3] فيمن قتل .

٢٧

وقد فَصَل خلف بن خليفة الفيلَ من الزَّنْدَبِيل ، ولم يفسِّر[4] . وقد اختلفوا فى ذلك ، وسنذكرهُ إذا جرّ سببه[5] إن شاء الله تعالى .

(طرائف من اللغات والأخبار فى الفيل)

[[6] الفيلُ ، المعروف بهذا الاسم . ويقال رجلٌ فِيلٌ إذا كان فى رأيه فِيَالة ؛ والفِيَالة : الخطأ والفساد . ويسمُّون أيضاً الرَّجلَ بفيل ، منهم فيلٌ

(١) قريش البطاح : الذين ينزلون أباطح مكة وبطحاءها . وقريش الظواهر : الذين ينزلون ما حول مكة . وأكرمهما قريش البطاح . فيما عدا ل : « هى القضب » موضع : « مع العصب » .

(٢) فى المعارف ١٥٥ أن بشر بن مروان ، « أول أمير مات بالبصرة ، وله عقب » . فيما عدا ل : « بشر بن عبد الملك » . وليس لعبد الملك بن مروان ولد يسمى بشرا . انظر المعارف ١٥٦ وجمهرة ابن حزم ٨٩ والطبرى (٩ : ١٤٥ س ١٦) .

(٣) يزيد بن عمر بن هبيرة ، ولاه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم على العراق ، وقتله أبو جعفر المنصور بعد حصاره له فى واسط تسعة أشهر فى شوال سنة ١٣٢ . وانظر الفيل والزنديبل جمهرة ابن حزم ١٠٧ بتحقيقنا . وانظر المعارف ١٦٢ . فيما عدا ل : « يزيد بن عمرو » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ولم يقصر » ، محرفة .

(٥) فيما عدا ل : « وسنذكر شبهه » .

(٦) من هنا يبدأ سقط كبير انفردت بإثباته نسخة كوبريلى .

مولى زياد وحاجبُه : وفى أنهار الفرات بالبصرة نهر يقال له فيل بانان ، وموضعٌ آخر يقال له فِيلان[1] .

وقد يعرض بقدم الإنسان ورَم جاسٍ حتّى تعظم له قدمُه وساقُه ، وصاحبُه لايبرأ منه ، ويسمّى ذلك الورمُ داءَ الفيل .

ويسمَّى الرَّجُل بدَغْفَلٍ ، وهو ولد الفِيل[2] ، ولا يسمُّون بزَنْدبيل .

وبعض العرب يقول للذَّكر من الفيلة فِيل وللأُنْثى فِيلة ، كما يقولون أسد وأسدة ، وذئب وذئبة ، ولا يقولون مثل ذلك فى ثعلب وضبع ، وأمورٍ غير ذلك ، إلاّ أن يكون اسماً لإنسان .

وبعث رجلٌ من العرب بَديلاً مكانَه فى بعض البعوث ، وأنشأ يقول :

إذا ما اختَبَّتِ الشَّقْرَاءُ مِيلاً ... فهانَ عَلَىَّ ما لقِىَ البَديلُ[3]

يشنِّفُها ويحسِبُها بعِيرًا ... قليلٌ علمه بالخيل فِيلُ[4]

وأنشدنا الأصمعىّ :

يفرُّون والفيل الجبان كأنّه ... أرَبُّ خَصِىٌّ نفّرته القَعاقِعُ

قال سَلَمة بن عَيَّاش[5] : قال لى رؤبة : « ما كنت أجد أن أرى فى رأيك فِيالة » .

---

(١) فيلان : بلد وولاية قرب باب الأبواب من نواحى الخزر . عن ياقوت .

(٢) ممن سمى بذلك دغفل بن حنظلة الشيبانى النسابة، المترجم فى (٣ : ٤٨٩).

(٣) اختبت : سارت الخبب ، وهو ضرب من العدو . قال :

مذكرة الثفيا مساندة القرى ... جمالية تختب ثم تنيب

والشقراء : فرسه .

(٤) الفيل هنا : الضعيف الرأى .

(٥) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، وكان منقطعا إلى جعفر ومحمد ابنى سليمان بن على بن عبد الله بن عباس يمدحهما . ترجم له أبو الفرج فى (٢١ : ٨٤ ــ ٨٦) . وفى الأصل : « بن عباس » ، محرف .

وبالكوفة باب الفيل ، وبواسط باب الفيل .

ومنهم فِيلُويَه ، وهو أبو حاتم بن[١] فِيلُويه . وكان أبو مسلم ربَّى أبا حاتم حتَّى اكتهل . وهُما سقَيا أبا مسلم السمّ حتى عُولج بالترياق فأفاق ، فقتلهما أبو مسلم بعد ذلك ، وكانا على شبيهٍ بدين الخُرَّميّة .

ويقولون عنبسة الفِيل ، وهو النحويّ ، وهو أحد قدماء النحويِّين الحذّاق . وهو عنبسة بن مَعْدَانَ ، وكان معدانُ يروض فيلاً لزياد ، فلما أنشَد عنبسةُ بنُ معدانَ هجاءَ جريرٍ للفرزدق قال الفرزدق :

لقد كان فى مَعْدانَ والفيلِ زاجرٌ　　لعنبسةَ الرَّاوى عَلَيَّ القصائدا

فلمَّا تناشَدَ النَّاسُ بعد ذلك هذا الشعرَ قال عنبسةُ : إنَّما قال الفرزدق :

* لقد كان فى مَعْدانَ واللُّؤْمِ زاجرٌ *

فقالوا : إنَّ شيئاً فررتَ منه إلى اللُّؤْم لَناهِيكَ به قُبحًا ! فعند ذلك سُمِّى « عنبسةَ الفيل[٢] » .

وغيلان الراجز كان يقال له « غيلانُ راكبُ الفيل » ، كان الحجّاج ابن يوسف ربَّما حَمَلَه على الفيل .

وسَعْدُويه الطُّنبوريّ ، وكان يقال له : « سعدويه عين الفيل » .

قال أبو عبيدة : حدَّثنى يونس قال : لمـا بنى فِيلٌ مولى زيادٍ دارَه وحَمَّامَه بالسَّبابجة[٣] ، عمل طعاما لأصحاب زياد ، ودعاهم إلى داره ، وأدْخلهم

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل ، وهى تكملة يستقيم بها الكلام .

(٢) كان عنبسة تلميذ أبى الأسود . وانظر القصة فى بغية الوعاة ٣٦٨ .

(٣) السبابجة ، أراد به موضعا كان ينزله السبابجة بالبصرة ، والسبابجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن . انظر معرب الجواليقى ١٧٣ . وكان كثير من خطط البصرة وغيرها يسمى بأسماء الطوائف والقبائل النازلة فيها .

حمّامَه ، فلمّا خرجوا منه غدّاهم ، ثم رَكِب وغَبّر فى وجوههم ، فقال أبو الأسود الدُّؤلى :

لَعَمْرُ أبيكَ ما حمّامُ كِسرى   على الثُّلُثَينِ من حمّام فيلِ

وقال الجارود بن أبى سَبرة :

وما إرقاصنا خَلْفَ الموالى   كَسُنّتِنا عَلَى عهدِ الرسولِ(١)

وأنشد الأصمعى وغيره :

خلافا علينا من فَيالة رأيه

كما قيل قبلَ اليوم خالفْ فتُذْكَرا(٢)

ويقال للرّجُل إذا عُنّف عند الرأى يراه : لِمَ تفيِّلُ رأيَكَ ؟ وقد فَالَ رأىُ فلان .

وحدَّثنا عبد الله بن بكر ، عن حميد ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لمّا انتهيت إلى السِّدْرَة إذا ورَقُها أمثالُ آذانِ الفِيَلة ، وإذا ثمَرها أمثالُ القِلال(٣) ، فلما غشِيَها من أمر الله ما غشِيها تحوَّلت ياقوتا » .

وقال صاحب الكيمياء فى جرير بن يزيد :

مهلاً أبا العبّاس رِفقاً ولا   تكنْ خَصِيمَ المَعْشَرِ الخُونِ

هيهاتَ هيهاتَ لما رُمْتَه   أو يُولَدَ الفيلُ من النُّونِ

أنت إذا ماعُدَّ أهلُ الحِجا   والحِلْمِ كالأحنف فى سينِ(٤)

---

(١) فى اللسان : « أرقص القوم فى سيرهم إذا كانوا يرتفعون وينخفضون » . وفى الأغانى (٢١ : ٣٠) : « وما إيجافنا » ، مع نسبة الشعر إلى حارثة بن بدر .

(٢) فى الأصل : « خالف تذكر » ويأباه الشعر ، وصوابه فى البيان (٢ : ١٨٧) . وانظر المثل فى الميدانى (١ : ٢١٣) .

(٣) القلة : الجرة العظيمة .

(٤) كأنه أراد : هما فى الاستواء كاستواء أسنان حرف السين .

(الفرخ والفروخ)

وكلُّ طائرٍ يخرُج من البيض وكلُّ ولدٍ يخرج من البيض وإن لم يكن طائراً ، فإنما يسمَّى فرخاً ، كفرخ الحمام والوزغة والعظاءة والرقّ والسُّلحفاء والحُلَكاء ، وبناتِ النَّقا ، وشحمة الأرض ، والضب ، والجِرْذون ، والورل ، والحرباء ؛ إلا مايخرج من بيض الدجاج فإنه يقال له « فرّوج » ولا يقال له فرخ. إلاّ أنّ الشعراءَ يتوسَّعون فى ذلك . قال شمَّاخ بن أبى شداد[١] :

ألا مَن مبلغٌ خاقان عَنَّا ... تأمَّلْ حين يضربُك الشِّتاءُ

أتجعلُ فى عيالك من صغيرٍ ... ومن شيخٍ أضرَّ به الفَنَاءُ

فراخَ دجاجةٍ يتبعْن دِيكًا ... يلُذْنَ به إذا حَمِسَ الوغاءُ

وقال الآخر :

أحبُّ إلينا من فراخ دجاجة ... ومن ديك أنباط تنوسُ غباغبُهْ[٢]

وإذا سَمَّى أهل البصرة إنساباً بفيل فأرادوا تصغيره قالوا فِيلويه ، كما يجعلون عمرا عَمرويه ، ومحمداً حمدويه . وكان محمد بن إبراهيم الرّافقى الفارسُ النَّجيد قتيل نصر بن شَبَث ، مولى بنى نصر بن معاوية ، له كنيتان : أبو الفيل وأبو جعفر ؛ ولم يكن بالجزيرة أفْرَسُ من داود بن عيسى ، وأبى الفيل وعيسى بن منصور من ساكنى الرافقة[٣]] .

---

(١) سبق فى (١ : ٢٠٩) نسبة الشعر إلى الشماخ بن ضرار . ويبدو أن ماهنا صوابه ، إذ أن الأبيات لم ترو فى ديوان الشماخ . والشماخ بن أبى شداد الغيانى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٣٨ وروى له شعرا .

(٢) قبله كما سبق فى (١ : ١٩٩) :

لعمرى لأصوات المكاكى بالضحى ... وسود تداعى بالعشى نواعبه

(٣) الرافقة : بلدة كانت متصلة البناء بالرقة على ضفة الفرات ، قال ياقوت : « فأما الآن فإن الرقة خربت وغلب اسمها على الرافقة ، وصار اسم المدينة الرقة » .. وإلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ فى ص ٨١ .

(حمل الفيل وعمره)

وذَكَرَ بعضُ الفيَّالين أنّ الفيَلة تضعُ لِسبع سنينَ ولدًا مستوىَ الأسنان ، وأنهم يرصدون ذلك الوقتَ من الوحشية منها[1] ، ويحتالون فى أخْذ الولد ، وأن ذلك الولدَ يعيش فى أيديهم[2] مابين الثمانين سنةً إلى المائة ، وأنّ عُمر الوحشية أطولُ ، وأنّ كلَّ شىء منها اليومَ بالعَسْكر إناث ، وأنّ الموتَ بالعراق إلى الذُّكورة أسرعُ ، وأنَّ نابَه لايطول عندنا ، وأنَّهم يَعْملون من جلودها التِّرَسَة[3] أجودَ من جلود الجواميس ، ومن الخيزُران[4] ، ومن الدّرق والحَجَف التى تتخذ من جلود الإبل[5] ، ومن هذه المعقَّبة [المطليَّة] ، ومن جميع مايؤلَّف من أنواع الخشَب والجلودِ التى قد أطيلَ إنقاعَها فى اللّبن ، ومن كلِّ تَبَّتىّ وصينىّ[6] .

(مروج الفيلة)

وذكر أن لها مُروجاً ، وأن المروجَ أصلَحُ لها من القُرى ، ومواضِعَها من الوحش أصلحُ لها من المُروج .

---

(١) فيما عدا ل : « بها » ، محرف .

(٢) فيما عدا ل : « فيهم فى أيديهم » . وكلمة « فيهم » مقحمة .

(٣) الترسة : جمع ترس . س ، ه : « أترسة » . وفى اللسان : « قال يعقوب : ولا تقل أترسة » .

(٤) فيما عدا ل : « الحيوان » .

(٥) الحجف بتقديم الحاء : الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب . فيما عدا ه : « الجحف » محرف ، وفى ل : « المتخذة من جلود الإبل » .

(٦) فيما عدا ل : « ومن كل شىء رصين » .

(فهم الفيلة)

وذكر رسولٌ لى إلى سائسها أنه قد اتّبعها إلى دجلة ، وأنّ بعض الغَوغاء صاح بها : ياحجّام بابَك ! وهذا الكلام اليومَ ظاهرٌ على ألسنة الجهّال ، وأن فيلًا منها ركلَه برجله رَكْلةً صكّ بها الحائط [١] حتّى خيف عليه منها ، وأنه رأى منها الإنكارَ لذلك القول ، وأنّ الفيّالَ كان يحثُّها على الانتقام لمّا صاحَ بها .

وإذا عرفَ الكلبُ اسمه ، وكذلك السنّور ، وكذلك الشّاة والفرس ، والطفل والمجنون المصْمَت الجنون ، وعرفت النّاقةُ [فصْل] ما بين حَلْ وجاهِ [٢] ، وعرَف الحمارُ الصَّوتَ الذى يُلْتَمَسُ به وقوفُه ، والذى يلتمس به سيرُه ، وعرف الكلبُ مخاطبةَ الكلّاب ، والببْغاءُ مناغاةَ المُكلِّم له [٣] ، فجائزٌ أن يكون الفيلُ بفضْل فِطنته [أنْ [٤]] يفهم أضعافَ ذلك . فإذا أمره بضرب إنسانٍ عند ضروبٍ من الكلام استعاد [ذلك] وأدامَه ، لم ينكر أنْ يعرفَه على طول الترداد .

(فائدة نجو الفيل)

قالوا : وإذا احتملت [٥] المرأةَ شيئا من نَجْو الفيل بعد أن يُخْلَطَ به شيءٌ [٦] من عسَل فإنها لا تَحبَل أبدًا [٧] .

---

(١) ل : « لها الحائط » .

(٢) جاه ، بالجيم ، وهو مبنى على الكسر ، وربما قالوه بالتنوين : انظر اللسان (١٨ - ٣٨٠) . وفى الأصل : « حاه » بالمهملة ، تصحيف .

(٣) فيما عدا ل : « المتكلم له » ، ولها وجه .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) فيما عدا ل : « حملت » وحمل واحتمل بمعنى .

(٦) فيما عدا ل « تخلط به شيئا » .

(٧) فيما عدا ل : « لاتحمل أبدا » بالميم ، وهما بمعنى .

قالوا : ومما يؤكِّد ذلك أنّك لو علّقتَ على شجرةٍ من نَجْوه شيئاً » أنَّ تلك الشجرةَ لاتَحمِلُ فى تلك السنة .

قالوا : وزوانى الهند[١] يفعلن ذلك استبقاءً للطّراء[٢] [وللشّباب] »

٢٨ ولأنها إذا كانت موقوفةً على جميع الأجناس من الرِّجال كانت أسرَعَ إلى الحبَل[٣] لأنها لاتعدَم موافقاً لطبعها . وإذا حملت ووضعت مرارا بطلت .

(ضروب من الدواء)

وليس هذا بعجيب ؛ لأنهم يزعمون أنَّ صاحب الحصاة إذا أخَذَ روثَ الحمار حين يَرُوثه حارًّا فعصرَه وشرِب ماءه أنه كثيراً مايبول تلك الحصاة . وفى [ماء] روثِ الحمارِ أيضاً دواءٌ للضِّرس المأكول .

وقال الأصمعيّ : سألتُ بعضَ الأكلة ممن كان يقدَّم على مَيْسرة التَّرّاس[٤] : كيف تصنعُ إذا جَهَدتك الكِظّة ؟ والعرب تقول : إذا كنت بطيناً فعدِّلْ نفسَك زَمِنا[٥] . فقال : آخذ روْثَ حمار حارًّا فأعصرُه وأشرب ماءه[٦] فأختلف عنه مراراً[٧] ، فلا أثبت[٨] أنْ يلْحَقَ بطنى بصُلْبى ، فأشتَهى الطّعامَ .

---

(١) ل : « وزوانى اليد بالهند » .

(٢) الطراء ، بالفتح : النضرة ، والطرىّ خلاف الذاوى . فيما عدا ل : « الطراق » ، وهو بالكسر : الضراب . والأوفق ما أثبت من ل ليلائم مابعده .

(٣) فيما عدا ل : « فى الحبل » .

(٤) فيما عدا ل : « التياس » .

(٥) كلمة « نفسك » ليست فى ل . وفيما عدا ل : « فعد » .

(٦) ل : « روثا حارا فأعصره ثم أشرب ماءه » .

(٧) الاختلاف : أن تصيبه الخلفة ، فيختلف إلى المتوضأ . فيما عدا ل : « عليه مرارا » .

(٨) هى بمعنى « لا ألبث » .

والمرأة من نسائنا اليومَ إذا استُحِيضَت استفَّتْ مثقالًا من الإثمد ؛ لأنها عندهن إذا فعلت ذلك لم تَلِد .

وأنا رأيتُ امرأة [قد] فعلتْ ذلك ثم ولدت .

وخُرء الكلب إذا كان الجعرُ أبيضَ اللَّوْن ، وكان غذاءُ الكلب العظامَ[١] دون اللحم ، فهو عجيبٌ لصاحب الذُّبحة ، وكذلك رَجِيع الإنسان[٢] .

وخرء الفار يكونَ شِيافاً[٣] للصِّبيان ، يحملونه إذا استوكى بطنُ أحدهم[٤] وإن كان من خرء الجرذان وكان عظيماً كان الواحد منه هو الشِّياف .

ويصلح أيضاً خُرْء الفار[٥] لداء الثَّعلب ، وهو القَرَع الذى يعرض لشَّعر الرَّأس .

وخرء الحمام الأحمر يصلحُ ، من المَبْوَلات للرَّمْل[٦] والحصَى ، يُقمَحُ منه وزن درهم مع مثله من الدَّارصينىّ[٧] .

(شعر فى الفيل)

وقال بعض المُحْدَثين :

يالحيةً طالت على نَوكها كأنها لِحيةُ جِبريلِ[٨]

---

(١) ل : « وكان من أكل الكلب العظام » .

(٢) ل : « رجع الإنسان » .

(٣) فى القاموس : « والشياف ، ككتاب : أدوية العين ونحوها » .

(٤) استوكى بطنه : لم يخرج منه نجوه . فيما عدا ل : « يحلمونه » ، محرفة . ل : « إذا استرخى » . وفيما عدا ل : « إذا استوكأ » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) فيما عدا ل : « خرء الكلب » .

(٦) مبولة : يحمل على البول . وفيما عدا ل : « من الهيولات من الرمل » ، محرف .

(٧) يقال قمح السويق ونحوه — من باب علم — واقتمحه ، إذا استفه . س : « يقتمح » . ل : « دار صينى » بطرح اللام .

(٨) النوك : الحمق . فيما عدا ل : « على كونها » ، صوابه فى ل وعيون الأخبار (٤ : ٥٥) .

لَوْ كانَ ما ينصَبُّ من مائها ... نَهْرًا إذًا طَمَّ على النِّيلِ

أو كان ما يقطر من دُهْنها ... كَيْلًا لَوَفَّى ألفَ قِنديلِ

فلو ترَاها وهى قد سُرِّحَتْ ... حسبْتَها بَنداً على فيلِ[1]

وأنشد أبو عمرو الشيبانىّ لبعض المولّدين :

إذا تلاقَى الفُيولُ وازدحَمتْ ... فكيفَ حالُ البَعوضِ فى الوَسَطِ

وأنشد على بن محمد[2] :

وما الفِيلُ أحمِلُه مُوقَرا ... رَصاصاً بأثْقَلَ من معْبَدِ

ولا قِرْمِلىٌّ عليه الغَبيطُ ... ينوء بِعِدْلَين من إثْمِدِ[3]

وجاموسةٍ أُوقِرَتْ زِئبقاً ... بأثْقَلَ منه ولا أنْكَدِ

٢٩ وقال آخر :

بابٌ يرى ليس له داخلٌ ... إلاّ خِرًا جُمِّع فى الزَّاويه

إن جئت فالفيلُ على هامتى ... ومثله نِيطَ بأوصالِيَهْ

ووصف[4] مرَّة بن مَحْكَان[5] قِدراً فقال :

---

(١) البند : العلم الكبير ، فارسى معرب . فيما عدا ل : « نبذا » ، صوابه فى ل وعيون الأخبار .

(٢) فيما عدا ل : « وقال » فقط .

(٣) القرملية من الإبل : الصغار الكثيرة الأوضار ، وهى إبل الترك . فيما عدا ل : « قزملى » ، صوابه بالراء المهملة . والغبيط : الرحل . فيما عدا ل : « العبيط » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « ورأى » .

(٥) محكان ، بفتح الميم ، كما ضبط بالقلم فى اللسان والقاموس (محك) . وضبط بالقلم =

تَرمى الصُّلاةَ بنَبْلٍ غيرِ طائشةٍ وَفْقاً إذا آنست من تَحتِها لهبا[1]

زيَّافة مثل جوفِ الفيل مُجفَرة لو يُقذَف الرَّأْلُ فى حيزومها ذَهَبا[2]

وقال بعض الأكرياء فى امرأة كان حَمَلَها :

بيضاء من رُفقةِ عِمْرانَ الأصمْ لاثَعلٌ فى سِنِّها ولا قَصَم[3]

بَهْكَنَة لو تَركب الفيلَ رَزَمْ[4] كأنَّها يوم تُوَافِى بالحَرَمْ

* غمامةٌ غرَّاءُ عَنْ غِبِّ رِهَمْ[5] *

وقال رؤبةُ بن العجَّاج :

= فى الاشتقاق ١٥١ بكسر الميم . وفى حواشى المبهج لابن جنى ص ٦١ : « فى حاشية الأصل : حكى السكرى محكان ومحكان ، بالكسر والفتح فى اسم هذا الشاعر » . وفى معجم المرزبانى ٣٨٣ : « مرة بن محكان السعدى من بنى عبيد أحد اللصوص . هجا الفرزدق » . وأنشد له الأبيات البائية التى رواها أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٢٥٣). وترجم له أبو الفرج فى (٢٠ : ٩ - ١٠) .

(١) الصلاة ، بالضم : جمع صال ، وهو الذى يصطلى بالنار . وفقا : متوافقات . وفيما عدا ل : « وقما » .

(٢) زيافة ، هى من قولهم : زافت المرأة فى مشيها تزيف ، إذا رأيتها كأنها تستدير . فيما عدا ل : « زرافة مثل جوف الليل » محرف . والمجفرة : الواسعة ، يقال ناقة مجفرة عظيمة الجفرة ، والجفرة ، بالضم : الوسط . والرأل : فرخ النعام . فيما عدا ل : « لم يقذف » ، تحريف .

(٣) الثعل : تراكب الأسنان بعضها على بعض . والقصم : انقصام الثنية إذا كان منكسرها من النصف . ط : « لاتقل » س ، هـ : « لانقص » ؛ وأثبت ما فى ل .

(٤) البهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة . فيما عدا ل : « بهنكة » تحريف . و « رزم » فسرت فى ص ٨٠ . فيما عدا ل : « ورم » محرف .

(٥) الرهم : جمع رهمة ، بالكسر ، وهو المطر الضعيف . فيما عدا ل : « وهم » ، محرف .

إنَّ الرُّدافى والـكرىَّ الأرْقَبا[1] يكفيكَ دَرْءَ الفِيل حَتى تَرْكَبا[2]

ثم قال :

يشقَى بى الغِيرانَ حَتَّى أحْسَبا[3] سِيداً مُغِيراً أو لياحاً مُغْرَبَا[4]

(ماورد فى كليلة ودمنة من الأمثال فى شأن الفيل)

ومما قرأه الناسُ من الأمثال فى شأن الفيل التى وجدوها فى كتاب كليلة ودمنة ، فمن ذلك[5] قوله : « أفَلا تَرَى أنَّ الـكلب يُبصبِصُ بذنبه مِراراً حتّى تُلقَى له الـكِسرة ، وإنّ الفيلَ المغتلِم لَيعرِفُ قوّتَه وفضله ، فإذا قُدِّمَ إليه عَلَفه مُكرَّما[6] لم يأكلْ حتّى يُمَسح[7] ويُتملّق » .

---

(١) الردافى : الحداة، جمع حاد . والـكرى : الذى يكريك دابته . والأرقب : الغليظ الرقبة .

(٢) درء الفيل : دفعه وكفه . أراد أن ركوب الإبل يغنى من ركوب الفيل وعن الحاجة إلى درئها قبل اعتلائها . فيما عدا ل : «ورن الفيل» ، محرف .

(٣) الغيران ، بالـكسر : جمع غور ، وهو المطمئن من الأرض . فيما عدا ل : « سمارى العيران حتى أجنبا » ، لكن فى ط « سمادى » ، والصواب ما أثبت من ل . يقول : تشقى به الأغوار من شدة سيره .

(٤) السيد ، بالـكسر : الذئب . والياح ، بالفتح والـكسر : الثور الأبيض . والمغرب ، بفتح الراء : الأبيض . فيما عدا ل : « شرا معيرا ولياحا ممربا » ، محرف .

(٥) فى أوائل باب (الأسد والثور) . انظر ص ٤٧ من الطبعة التذكارية لدار المعارف .

(٦) ط فقط : « مكرها » ، تحريف صوابه فى سائر النسخ وكتاب كليلة ودمنة .

(٧) فى كليلة ودمنة : « حتى يمسح رأسه » .

قال[1] : « وقيل فى أعمال ثلاثة[2] لايستطيعها أحدٌ إلا بمعونةٍ من ارتفاع هِمّة[3] ، وعظيم خطر ، منها عملُ السلطان ، وتجارة البحر ، ومناجزة العدوّ . [و] قالت العلماء فى الرَّجُل الفاضل : إنّه لاينبغى أن يُرَى إلا فى مكانَين ، ولا يليق به غيرهما[4] إمّا مع الملوك مُكرَّماً ، وإمّا مع النُّسَّاك متبتِّلا ، كالفيل إنما بهاؤه وجماله فى مكانَين : إمّا فى برّية وحشيًّا ، وإما مَرْكَباً للمُلوك » .

[قال[5]] : « وقد قيل فى أشياءَ ثلاثةٍ فضْلُ ما بينها متفاوِت : فضل المقاتل على المُقاتل ، و [فضل] الفيلِ على الفيلِ ، و [فضل] العالم على العالم[6] » .

وقال فى كلام آخر[7] : « فإن لم تنجَع[8] الحيلة فهو إذًا القَدَرُ الذى لايُدفَع ، فإنَّ القدرَ هو الذى يسلب الأسَدَ قوَّتَه حَتى يُدْخِله التَّابُوت ، وهو الذى يَحمِل الرَّجُل الضَّعيف على ظهر الفيل المغتلِم[9] ، وهو الذى يسلِّط الحوّاء على الحَيَّة ذات الحُمَة فينزِعُ حُمَتَها ويلعبُ بها . ٣٠

(١) فى باب (الأسد والثور) انظر ص ٥٠ — ٥١ من النسخة السالفة الذكر .

(٢) فى كليلة ودمنة : « وقد قيل فى أمور » فقط . والوجه حذف كلمة « ثلاثة » .

(٣) ط ، ﻫ : « ابداع همة » س : « إبداع » صوابهما فى ل والكتاب .

(٤) فيما عدا ل : « به إلا أحدهما » وأثبت مافى ل وكليلة ودمنة .

(٥) فى باب (الأسد والثور) . انظر ص ٥٢ — ٥٣ من الكتاب .

(٦) فى كليلة ودمنة تأخير : « وفضل الفيل على الفيل » .

(٧) فى باب (الأسد والثور) انظر ص ٧٧ — ٧٨ من كليلة ودمنة .

(٨) فيما عدا ل : « تجمع » محرفة . وبدله فى كليلة ودمنة : « فإن لم يكن هذا » .

(٩) فيما عدا ل زيادة : « فيضربه الفيل بأذنه فيهلك » وكلمة « المغتلم » لم ترد فى نسخة كليلة ودمنة . وأما هذه الزيادة فقد وردت فى موضع بعد هذا من كليلة =

[قال[١] : « ومَن لم يرضَ من الدُّنيا بالكَفاف الذى يُغْنيه ، وطمحت عيناه إلى ما فوق ذلك ، ولم ينظر إلى مايتخوّف أمامه ، كان مثله مثل الذباب الذى ليس يرضى[٢] بالشجر والرياحين حتى يطلب الماء الذى يسيل من أذن الفيل المغتلم ، فيضربه بأُذنه فيهلك »] .

وقال[٣] : « فأقام الجملُ مع الأسد حتى إذا كان ذاتَ يوم توجَّه الأسد نحو الصَّيد ، فلقِيَه فيلٌ فقاتلَه قتالاً شديداً ، وأفلتَ الأسدُ مُثْقَلاً يسيل دَمًا ، قد جرحه الفيل بأنيابه ، فكان لايستطيع أن يطلُبَ صيداً . فلبث الذئبُ والغرابُ وابنُ آوى أياماً لايجدون مايعيشون به من فضول الأسد » .

وقال[٤] : « وكيف يرجو إخوانُكَ عندك وفاءً وكرَمًا[٥] وأنتَ قد صَنَعت بملكك الذى كَرَّمك وشَرَّفك ما صَنعتَ . بل مَثَلُك فى ذلك كما قال التاجر : إنَّ أرضًا يأكلُ جُرذانها مائةَ مَنٍّ من حديد ، غيرُ مستنكَرٍ أن تخطِف بُزاتها الفِيَلة » .

= ودمنة فى ص ٧٨ - ٧٩ فى كلام آخر نصه : « كان كالذباب الذى ليس يرضى بالشجر والرياحين حتى يطلب الماء الذى يسيل من أذن الفيل المغتلم ، فيضربه الفيل بأذنيه فيقتله » . وسيأتى فى التكملة التالية .

(١) انظر ص ٧٨ - ٧٩ من باب الأسد والثور .

(٢) فى الأصل : وهو هنا ل : « لم يرض » ، وأثبت ما فى كليلة ودمنة .

(٣) من باب الأسد والثور ص ٧٩ - ٨٠ .

(٤) فى باب الأسد والثور ص ٩٤ .

(٥) فيما عدا ل : « وكيف يرجو إخوانك عندنا كرماء » ، تحريف ونقص . وفى كليلة ودمنة : « وكيف يرجو إخوانك وفاءك لهم » .

[قال(١)] : « وقال الجرذُ للغراب : أشدُّ العداوةِ عداوةَ الجوهر.
وعداوةُ الجوهر عداوتان ، منها عداوة متجازيَة(٢) كعداوة الفيل والأسد ،
[فإنّه] ربّما قتل الفيلُ الأسد ، وربّما قتل الأسدُ الفيل . ومنها عداوةٌ
إنما ضرَرُها من أحد الجانبين [على الآخر] كعداوة ما بيني وبين السنّور ،
فإنّ العداوة بيننا ليست لضرٍّ منّي عليه ، ولكن لضرٍّ منه عليّ » .

وقال(٣) : « إن الكريم إذا عَثَر لم يستعنْ إلا بالكريم ، كالفيل
إذا وَحِل لم يستخرجْه إلا الفيلة » .

(ضروب العداوات)

وسنذكرُ عداوة الشيطان للإنسان ، [والإنسان للشيطان : وهما
عداوتان مختلفتان — وعداوة الله للكافر ، وعداوة الكافر لله ، وهاتان
العداوتان غير تينك ، وهما في أنفسهما مختلفتان ، وهما والتي قبلها مخالفة
لعداوة العقرب للإنسان] ، وعداوةُ العقرب مخالفةٌ لعداوة الحيّة ، [وعداوة
الإنسان لهما مخالفة لعداوة كلٍّ منهما للإنسان] ، وعداوة الذئب والأسد

---

(١) انظر باب (الحمامة المطوقة) ص ١٢٩ — ١٣٠ .

(٢) فيما عدا ل : « متجارية » تحريف . وفي كليلة ودمنة : « منها عداوة من يجتزيان » . وفي نظم كليلة ودمنة لابن الهبارية المسمى « نتائج الفطنة » ص ١٢٩ :

« وهو التجازي لاسواه إنما ماجانب الفرد يصير لازما »

(٣) من باب الحمامة المطوقة ص ١٤٢ .

[والأسد] والإنسان خلاف عداوة العقرب والحية ، وعداوة النمر للأسد والأسد للنمر مخالفةٌ لجميع ما وصفنا. ومسالمة البَبر للأسد غير مسالمة الخنفساء والعقرب . وشأن الحيات والوزغِ خلافُ شأنِ الخنافس والعقارب . وعداوة الإنسان للإنسان خلافُ عداوة ذلك كلِّه . وابن عِرْس أشدُّ عداوةً للجُرذان من السنَّور . وعداوةُ البعير للبعير ، والبرذون للبرذون والحمار للحمار شكل واحد . وعداوة الذِّئب للذئب خلاف ذلك . والشَّاةُ أشدُّ فَرَقا منه منها من الأسد والنمر والببر ، وهى أقوى عليها من الذِّئب . وفَرَق الدَّجاج من ابن آوى أشدُّ من فَرَقها من الثَّعلب . والحمام أشدُّ فرَقاً من الشاهين منه من الصَّقر والبازى .

(عداوات الناس)

وأسباب عداوات النَّاس ضروبٌ : منها المشاكلة فى الصناعة ، ومنها التقارُب فى الجِوار ، ومنها التقارب فى النَّسب . والكثرة مِن أسباب التَّقاطع فى العشيرة والقبيلة ، والسَّاكن عدو للمُسْكِن ، والفقير عدوٌّ للغنى وكذلك الماشى والراكب ، وكذلك الفحل والخصىّ ؛ و « بَغْضاء السُّوَق موصولةٌ بالملوك » ، وكذلك [المعتق عن دُبُر[1]] ، والموصَى له[2] بالمال الرغيب ، وكذلك الوارث والموروث . ولجميع هذا تفسيرٌ ولكنه يطول .

(١) س : « وكذلك المعين » وباقى التكملة من ل . والمعتق عن دبر ، هو ما يسميه الفقهاء : « المدبر » ، وهو الذى تعلق حريته بموت مالكه ، يقول له : أنت حر بعد موتى .

(٢) فيما عدا ل : « الوصلة » ، محرفة .

(عداوات الحيوان)

٣١ وذكر صاحب المنطق عداوةَ الغرابِ للحمار . والنَّحويون ينشدون فى ذلك قولَ الشَّاعر :

عاديتَنَا لازِلْتَ فى تَبابِ[١]   عَــدَاوَةَ الِحمارِ للغُرَابِ

[ولا أدرى من أينَ وقعَ هذا إليهم] .

وذكر أيضاً عداوةَ البُوم للغراب[٢] ، وكذلك عصفور الشَّوك للحمار ؛ وفى هذا كلامٌ كثيرٌ قد ذكرنا بعضه فى أوَّل كتابنا [هذا] من الحيوان[٣] .

(نصوص من كليلة ودمنة)

ثم رجعنا إلى الإخبار عن الأمثال .

قال[٤] : وأكيس الأقوام[٥] مَن [لا] يلتمس الأمر[٦] بالقتال ماوجد عن القِتال مَذْهبا[٧] ؛ فإن القتال إنما النفقة فيه من الأنفس[٨] ،

(١) التباب : الهلاك . ل : « عاديتنى » . والرجز مضى فى (٢ : ٦٢ / ٣ : ٤٥٨) برواية : « عاديتنا » .

(٢) ل : « والغداف » . والغداف : ضرب من الغربان .

(٣) انظر لعداوة عصفور الشوك للحمار مامضى (٢ : ٥١ - ٥ : ٢٢٥) .

(٤) انظر ماسبق فى ص ٩٢ . والنص التالى من باب البوم والغربان فى كليلة ودمنة ص ١٥٠ .

(٥) فيما عدا ل : « القوم » ، وما أثبت من ل يطابق مافى كليلة ودمنة .

(٦) فيما عدا ل : « الأمن » ، صوابه فى ل وكليلة ودمنة .

(٧) فى كليلة ودمنة : « من لم يكن يلتمس الأمر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلا » .

(٨) فيما عدا ل : « فإنما القتال النفقة فيه من الأنفس » .

وسائر الأشياء إنما النَّفقة فيها من الأموال . فلا يكوننَّ[1] قتالُ البومِ من رأيك ، فإنّ من يُرَاكل الفيل يُرَاكل الحَيْن[2] .

قال[3] : فأجابه الجرذ فقال : إنّه رُبَّ عداوةٍ باطنةٍ ظاهرُها صداقة[4] ، وهى أشدُّ ضَرَرًا من العداوة الظاهرة[5] ، ومن لم يَحترسْ منها وقَعَ موقِعَ الرَّجُلِ الذى يَركب نابَ الفيل المغْتَلِم ثمَّ يغلبُه النُّعاس .

قال[6] : واعلم أَنَّ كثيراً من العَدوّ لايستطاع بالشدَّةِ والمكابرة[7] حتّى يُصادَ بالرِّفق والملاينة ، كما يصاد الفيل الوحشىُّ بالفيل الأهلىّ[8] .

وقال[9] : إنّ العُشب كما رأيتَ فى اللِّينِ والضَّعف ، وقد يُجْمَعُ[10] منه الكثيرُ فيصنع منه الحبلُ [القوىُّ[11]] الذى يوثق به الفيل المغتلم .

[قال] : وقالوا : نريد أحبَّ بَنيك إليك[12] ، وأكرمهم عليك ،

---

(١) فيما عدا ل : «يكون» ، وما أثبت من ل يطابق كليلة ودمنة .

(٢) المراكلة : مفاعلة من الركل ، وهو الضرب بالرجل . ط ، هـ : « يؤاكل » س ، وكليلة ودمنة : « يواكل » من الأكل . وفى نظم ابن المبارية :

فإن من واكل فيلا هائلا ... فللبلاء والشقاء واكلا

(٣) انظر باب السنور والجرذ ص ٢٣٤ من كليلة ودمنة .

(٤) بعدها فيما عدا ل : « قال » ، وهى كلمة مقحمة .

(٥) ل : وكليلة ودمنة : « أشد ضرا » ل : « من عداوة الظاهر » .

(٦) انظر ص ٢٤٠ من (باب الملك والطير قبرة) فى كليلة ودمنة .

(٧) كذا فى ل وكليلة ودمنة . وفى ط ، س : « والمكايدة » ، هـ : « والمكابدة » .

(٨) فى كليلة ودمنة : « بالفيل الداجن » .

(٩) انظر ص ٢٥٥ من باب الأسد وابن آوى فى كليلة ودمنة .

(١٠) فيما عدا ل : وكليلة ودمنة : « يجتمع » .

(١١) هذه الكلمة من كليلة ودمنة .

(١٢) انظر ص ١٩١ من باب إيلاد وإيراخت من كليلة ودمنة . ط : « ربيبك » س ، هـ : « ربيك » ، والوجه ما أثبت من ل . وفى كليلة ودمنة : « من تريدون ؟ قلنا له : إيراخت امرأتك وابنها جوير ، وابن أخيك ، وإيلاد صاحب أمرك » .

ونريد[1] كالكاتب[2] صاحب سرك[3] ، والسيف الذى لايوجد مثله[4] ، والفيل الأبيض الذى لاتلحقه الخيل [الذى] هو مَركبُكَ فى القتال ، ونريد[5] الفيلين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذَّكَر .

(الفيلة فى الحروب)

وقد سمعنا فى هذا الحديثَ والأخبارَ عن أيام القادسيَّة[6] ويوم جسر مِهْرَان[7] ، وقُسِّ النَّاطف[8] ، وجَلولاء ، ويومِ نَهاوَند ، بالفيل الأبقع ، والفيل الأسود ، والفيل الأبيض . والناس لم يَرَوْا بالعراق فِيلاً أَوْبَرَ ، ولا فيلاً أشْعَرَ .

---

(١) ط : « ويريبك » س ، هـ : « يربيك » ، صوابهما فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « اكتب الكتاب » بدل « كالكاتب » . وانظر تعليق الدكتور عزام فى حواشى كليلة ودمنة ص ٢٩٧ .

(٣) فى كليلة ودمنة : « كاتبك ولسانك » .

(٤) هذه العبارة ليست فى كليلة ودمنة . وقد أحسن الجاحظ فى تتبعه المواضع التى ذكر فيها الفيل فى كتاب كليلة ودمنة .

(٥) القادسية : بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال . وكان يوم القادسية بين سعد بن أبى وقاص والمسلمين والفرس فى أيام عمر بن الخطاب فى سنة ١٦ من الهجرة . وكانت القادسية أربعة أيام : أولها أرماث والثانى يوم أغواث ، والثالث عماس ، والرابع القادسية . وكان الفتح للمسلمين ، ولم يقم للفرس بعده قائمة . انظر ياقوت وكتب التاريخ فى سنة ١٦ . وفيما عدا ل : « يوم القادسية » .

(٦) مهران : نهر بالسند .

(٧) قس الناطف : موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقى ، كانت به وقعة بين الفرس والمسلمين فى سنة ١٣ فى خلافة عمر بن الخطاب ، وأمير المسلمين أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمرو الثقفى . وكان النصر للفرس ، ويعرف هذا اليوم أيضا بيوم الجسر .

(الفيلة المستأنسة)

والفيلة التى كانت مع الفرس ، حُكمُها حكمُ الفِيَلة التى كانت عند[١] أمير المؤمنين المنصور ، وعند سائر الخلفاء [من بَعدِه] ، وكلها جُردٌ مُغَضّبة[٢] ، ولم نلْقَ أحداً رآها وحشيّةً قبل أن تصير فى القُرَى والمواضع التى يذكرها[٣] .

(تبدل حال الحيوان إذا أخرج من موطنه)

وقد علمنا[٤] أنّ الطائر الصَّيود من الجوارح ، لو أقام فى بلاده مائة عام لم يحدُثْ لمنسره[٥] زوائد ، وعَيْرَ العانة إذا أقام فى غير بلاده احتاجَ إلى الأخذ من حافره ، وإلى أن يُختَلَف به إلى البَيطار[٦] ، والطائر الوحشىّ من هذه المغنِّيات والنوائح ، لو أقام عندنا دهراً طويلاً لم يُصَوِّتْ إذا أخذناه وقد كرِّز[٧] . وكذلك المزاوجة والتعشيش والتَّفريخ .

---

(١) فيما عدا ل : « مع » .

(٢) مغضبة ، من التغضيب : وليس فى المعاجم . وهو من الغضاب ؛ وهو الجدرى . وكلمة « جرد » فى ل فقط . ط ، س « معصمة » ﻫ : « مغصمة »

(٣) ط ، ﻫ : « تنكرها » س : « ينكرها » ، صوابهما فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « فقد » .

(٥) فيما عدا ل : « بمنسره » .

(٦) ط ، س : « إلى من يختلف به إلى البيطار » .

(٧) كرز الطائر ، بالبناء للمجهول : إذا سقط ريشه . فيما عدا ل : « لو أقامت عندنا دهرا طويلا لم تصوت إذا اتخذناها وقد كبرت » .

(التكاثر بالفيلة)

[قال] : وكلُّ مَلِكٍ [كان] يصلُ إلى أن تكون عنده فِيَلة فإنّه[1] كان لايَدَعُ الاستكثار منها والتجمل بها[2] ، والتَّهويل بمكانها عنده ، ولا يَدَعُ ركوبَها فى الحروب ، وفى الأعياد ، وفى يوم الزِّينة .   ٣٢

(الفيل فى الشعر)

و [قد] كانت عند حِمير والتبابعة والمقَاول والعباهلة[3] من ملوكهم ، وأبى اليكسوم من ملوك الحبشة[4] ، وعند ملوك سبأ ، مقرَّبة مكرَّمة . يدلّ على ذلك الأشعارُ المعروفة ، والأخبارُ الصحيحة . ألا ترى أن الأعشى ذكر مأرِب[5] وملوك سَبأ وسَيلَ العرِم ، فقال[6] :

---

(١) فيما عدا ل : « الفيلة فإن » ، محرف .

(٢) ل : « الاستكبار منها » ط ، هـ : « الإكثار منها » ، وفيما عدا ل : « والتجمل منها » .

(٣) العباهلة : هم ملوك اليمن الذين أقروا على ملكهم لايزالون عنه . فيما عدا ل : « والعاهلة » تحريف .

(٤) أبو اليكسوم : بتقديم الياء على الكاف ، كنية أبرهة الملك الحبشى صاحب الفيل الذى وجه لهدم الكعبة . وفى السيرة ص ٤١ جوتنجن : « فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة ، وبه كان يكنى » . وقال لبيد :

لو كان حى فى الحياة مخلدا   فى الدهر ألفاه أبو يكسوم

يعنى أبرهة . ط ، ل : « والكيسوم » س ، هـ : « واليكسوم » ، صوابهما « أبو اليكسوم » فإنه هو الذى يعنيه الجاحظ .

(٥) فيما عدا ل : « وقال الأعشى لما ذكر حضرموت » ، محرف .

(٦) انظر الأبيات فى ديوان الأعشى ص ٢٤٥ ، والسيرة ٩ جوتنجن ، ومعجم البلدان (مأرب) .

فَفِى ذاك للمؤتسِى أُسْوَةٌ ... ومأرِبُ عَفَّى عليها العَرِمْ

رخَامٌ بنَتْه له حِمْيَرٌ ... إذا جاء ماؤُهُمُ لم يَرِمْ [١]

فأروى الحروثَ وأعنابَها ... على ساعة ماؤهم قد قسِم [٢]

وطار الفُيُولُ وفَيَّالهــا ... بتَيْهَاءَ [٣] فيها سَرابٌ يَطُمّ [٤]

وكان الأقيبِل [٥] القينيّ مع الحجاج يقاتل ابنَ الزُّبير ، فلما رأى البيتَ يُرْمَى بالمنجنيق أنشأ يقول :

ولم أرَ جَيْشًا غُرَّ بالحجِّ قبلنا [٦] ... ولم أرَ جَيْشًا مِثْلَنَا كلُّهم خرس [٧]

دَلَفْنَا لِبَيْتِ اللهِ نَرْمِى سُتُورَه ... بأحجارِنَا نَهْبَ الولائد للعُرْسِ [٨]

دَلَفْنَا لهمْ يَوْمَ الثلاثاءِ مِنْ مِنًى ... بجيش كصَدْرِ الفيلِ ليس له رأسُ [٩]

فلما فزِعَ وعاذ بقبر مروان [١٠] ، وكتبَ له عبدُ الملك كتابا إلى الحجَّاج يخبره فيه ، وفوَّض الأمرَ إليه ، قال [١١] :

---

(١) لم يرم : لم يبرح . ط ، هـ « رجام » صوابه فى ل : س والسيرة والديوان والمعجم . فيما عدا ل : « بنته لنا » ، وفى السيرة والمعجم والديوان : « لهم » .

(٢) فيما عدا ل : « فأردى الحروث وأعيانهم » ، محرف . وفى الديوان والسيرة : « على سعة ماؤهم » .

(٣) التيهاء : المفازة . ط ، س : « بتيماء » هـ : « بيما » صوابهما فى ل . وفى الديوان والمعجم : « بيهماء » .

(٤) طم السراب : ارتفع وعلا كما يرتفع الماء .

(٥) سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٥٣) . فيما عدا ل : « وكان العتبى » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « بالحج مثلنا » .

(٧) العرس ، بالضم وبضمتين : طعام الوليمة فى الزواج . ل : « فى العرس » هـ : « للمرس » وهذه محرفة ، وفى هذا البيت إقواء .

(٨) فيما عدا ل : « دلفناهم » ، محرفة .

(٩) فيما عدا ل : فلما فرغ وعاد تغيب مروان » ، صوابه فى ل والمؤتلف ٢٣ .

(١٠) فى المؤتلف ٢٤ : « فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يعرض له وجعله فى ذمته » . فلعل الوجه : « يجيره فيه » .

(١١) فيما عدا ل : « فقال » .

وقد علمتُ لو أنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنِى أَنَّ انْطِلاَقِى إلى الحجَّاج تغريرُ
مُستَحْقِبًا صُحُفًا تَدْمَى طوَابعُها وفى الصَّحائف حَيَّاتٌ مَناكيرُ
لئنْ رَحَلتُ إلى الحجَّاج معتذِرًا إنِّى لأَحْمَقُ مَنْ تَخْدِى به العِيرُ [١]

(لسان الفيل)

وكلُّ حيوانٍ فى الأرض ذو لسانٍ فأصْلُ لسانِه إلى داخل ، وطرفه إلى خارج ؛ إلاّ الفيل ، فإنّ طرَف لسانه إلى داخل ، وأصلَه إلى خارج .

(بعض خصائص الحيوان)

وتقول الهند : إنّ لسان الفيل مقلوب ، ولولا أنّه مقلوب ثمَّ لقن الكلامَ لتكلم [٢] .

وكلُّ سمكٍ يكون فى الماء العذب فإنّ له لساناً ودِماغا ، إلاّ ما كان منها فى [الماء] الملح ، فإنّه ليس لسمك البحر لسانٌ ولا دِماغ .

وكلُّ شىءٍ يأكل بالمضغ دون الابتلاع فإنّه إنما يحرِّك فكه الأسفلَ ، إلاّ التمساح فإنّه إنّما يحرِّك فكّه الأعلى .

وكلُّ ذى عينٍ من ذوات الأربع من السِّباع [٣] والبهائم الوحشية والأهلية ، فإنما الأشفار لجفونها الأعالى إلاّ الإنسان ، فإنّ الأشفار الأعالى والأسافل . ٣٣

وكلُّ حيوانٍ ذى صَدْرٍ فإنّه ضيِّق الصَّدْر ، إلاّ الإنسانَ فإنّه واسعُ الصَّدْر

---

(١) فيما عدا ل : « تجرى » ، وفى المؤتلف والحيوان (٤ : ٢٥٤) : « تحدى » .
(٢) فيما عدا ل : « تـكلم » .
(٣) فيما عدا ل : « والسباع » .

وليس لشيء من ذُكورةِ جميع الحيوان [وإناثها] ثدىٌ فى صدره إلا الإنسان والفيل[١] . وقال ابن مُقبل :

وليلةٍ مثل ظَهْرِ الفِيلِ غُبَّرُها طُلْسُ النُّجُوم إذا اغبرَّ الدياميمُ[٢]

(ضخم الفيل وظرفه)

والفيل أضخم الحيوان[٣] وهو مع ضِخَمه أملَحُ وأظْرَف وأحْكَى[٤] وهو يفوق فى ذلك كلَّ خفيفِ الجسم ، رشيق الطبيعة .

وإنّما الحكايةَ من جميع الحيوان فى الكلب والقِرد والدُّبّ والشاة المكّيّة[٥] . وليس عند الببْغاء إلاَّ حكايةُ صورِ الأصوات ، فصار مع غلظه [وضِخَمه] وفخامته أرشقَ مَذهباً[٦] ، وأدقَّ ظرفا ، وأظهَرَ طرَبا . وهذا[٧] من أعجب العَجَب . وما ظنُّكم بِعِظَم خَلْقٍ ربّما كان فى نَابَيْهِ[٨] أكثر من ثلاثمائة مَنٍّ[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : « وليس شيء من ذكور الحيوان له ثدى فى صدره إلا الإنسان والفيل » .

(٢) غبرها ، بضم أوله وتشديد الباء ، أى بقيتها ؛ وغبر كل شيء : بقيته . وفى الأصل : « غيرها » محرفة . طلس النجوم ، أى نجومها طلس ، والطاسة ، غبرة إلى سواد .

(٣) ط ، ﻫ : « حيوان » .

(٤) أى أكثر حكاية . وفيما عدا ل : « وأخطر » ، محرفة .

(٥) انظر ما سبق فى (٢ : ١٧٩ / ٥ : ٢٨٧ / ٦ : ٣١٦) .

(٦) فيما عدا ل : « ذهبا » .

(٧) فيما عدا ل : « فهذا » .

(٨) فيما عدا ل : « نابه » ، تحريف . وانظر ما سيأتى فى ص ١١٧ .

(٩) المن ، ويقال أيضا المنا : بالفتح والقصر : رطلان .

(أعظم الحيوان فى قول المتعصبين على الفيل)

فقال من يعارضهم[١] : قد أجمعوا على أنّ أعظمَ الحيوان خَلْقًا السمكةُ والسرَطان . وحكَوْا عن عِظَم بعض الحيَّات ، حتى ألحقوه[٢] بهما ، وأكثروا فى [تعظيم] شأن التّنّين ؛ فليس لكم أنْ تَدَّعُوا للفِيل ما ادّعيتم .

(رد صاحب الفيل على خصمه)

قال صاحبُ الهند والمعبِّرُ عن خصال الفيل : [أمَّا الفيل] وعلوُّ سَمْكه ، وعِظَم جُفْرته ، واتِّساع صَهْوَته ، وطولُ خُرطومه ، وسعَةُ أذنه وكِبر غُرموله ، مع خِفّة وطئه[٣] ، وطول عُمره ، وثقل حمله ، وقلة اكترائه لِما وُضع على ظهره ، فقد عايَنَ ذلك من الجماعات مَن لا يستطيعُ الردَّ عليهم إلاّ جاهلٌ أو مُعاند . وأمَّا ما ادّعيتم من عِظَم الحيَّة وأنّا[٤] متى مسَحْنا طولَها وثخنها ، وأخذْنا وَزْنَها كانت أكثرَ[٥] من الفيل ، فإنّا لم نَسْمَعْ هذا إلا فى أحاديث الرقّائين و [أكاذيب] الحوّائين ، وتزيُّد البحريين .

وأما التنّين فإنّما سبيلُ الإيمان به[٦] سبيلُ الإيمان بِعَنْقَاءِ مُغْرِب . وما رأيتُ مجلِسا قطُّ [جَرَى] فيه ذكر التنّين إلاّ وهم ينكرونه[٧]

(١) ط فقط : « يعارضه » .
(٢) فيما عدا ل : « وقد ألحقوه » .
(٣) فيما عدا ل : « مع خفته وطيشه » ، تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « فإنه » ، محرفة .
(٥) فيما عدا ل : « أكبر » .
(٦) فيما عدا ل : « فيه » .
(٧) فيما عدا ل : « خبر التنين إلا وهم ينكرون » .

ويكذِّبون المخبِر عنه ، إلاّ أنّا فى الفَرْط ربَّما رأينا بعضَ الشاميِّين يزعمُ أنَّ التِّنِّين إعصارٌ فيه نار يخرج من قِبَل البحر فى بعض الزَّمان ، فلا يمـرُّ بشىءٍ إلاَّ أحرَقه ، فسمَّى ذلك ناسٌ « التِّنِّين » ، ثمَّ جعَلوه فى صورة حيّة .

وأما السَّرَطان فلم نرَ أحداً قطُّ ذكرَ أنّه عايَنَه ، فإنْ كنّا إلى قول بعض البحريِّين نرجع ، فقد زَعَم هؤلاء أنَّهم ربما قَرُبوا إلى بعض جزائر البحر[1] ، وفيها الغِياض والأَودية واللَّخَاقيق[2] ، وأنَّهمْ فى بعض ذلك أوقدُوا ناراً عظيمة ، فلما وصلَتْ إلى ظهر السرطان هَاجَ بهم[3] وبكلِّ ماعليه من النَّبات ، حتَّى لم ينْجُ منهم إلا الشريد .

٣٤ وهذا الحديثُ قد طمَّ على الخُرافات والتُّرَّهات[4] وحديث الخَلْوَة[5] .

وأمَّا السَّمك فلعمرى إنَّ السمكة التى يقال لهـا « البالُ » لفاحشة العظم[6] . وقد عاينوا[7] ذلك عياناً ، وقتلوه يقيناً . ولـكن احسَـبوا[8] أنَّ

---

(١) ل : « بعض الجزائر » .

(٢) اللخاقيق : جمع لخقوق ، بالضم ، وهو الشق والخد فى الأرض ، ومثله الأخقوق ، بالضم . ولم يعرفه الأصمعى إلا باللام . ل : « الأخافيق » وفيما عدا ل : « اللحاقيق » ، صوابهما ما أثبت وما نبهت عليه .

(٣) فيما عدا ل : « صاح بهم » .

(٤) الترهات : الأباطيل . فيما عدا ل : « التهورات » .

(٥) ل : « الخلق » .

(٦) فيما عدا ل : « الفاحشة » وفى ط : « البالسة » س ، هـ « البالينة » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « عاينا » محرفة . وفى ط : « فقد » .

(٨) ط فقط : « احسب » .

الشأن فى البال[١] على ما ذكرتم ، فهل علمتم[٢] أن فيه[٣] من الحسّ والمعرفة ، واللّقَن والحكاية ، والطَّرَبِ[٤] وحسن المؤاتاة[٥] وشدَّة القتال ، والتمهُّد[٦] تحتَ الملوك ، وغير ذلك من الخصال ، كما وجدنا ذلك وأكثر منه[٧] فى الفيل .

وهل رغبتْ فى صيده الملوكُ واحتالت له التجار[٨] ، أو تمنَّى الظَّفَرَ بأجزائه[٩] بعض الأطبَّاء . وهل يَصلح لدواءٍ أو غذاءٍ أو لبْس[١٠] ، إنّما غاية البحريِّين أنْ يسلَمُوا من عبثه إن هجموا عليه نائماً أو غافلا ، حتّى ينفر ويفزع وينبّه[١١] بقَرْع العصا ، واصطكاك الخشب .

وإنما قَدَّمْنا خصالَ الفيل على خِصال الحيوان الذى فى كفِّه ومنقاره الصنعةُ العجيبة ، أو يَكون فيه من طريف[١٢] المعرفة ، وغريب الحسّ ، وثقوب البصر[١٣] ، أو بعض مافيه من الجمال والحُسْن ، ومن التفاريج ومن التَّحاسين ، والوشى والتلاوين[١٤] ، بالتأليف العجيب ، والتَّنضيد

---

(١) ط : « البالة » هـ ، س : « البالينة » صوابهما فى ل .
(٢) ط : « عرفتم » .
(٣) فيما عدا ل : « فيها » .
(٤) فيما عدا ل : « والظرف » .
(٥) ط ، هـ : « المؤاتاة » بالهمز .
(٦) فيما عدا ل : « والتصمد » ، محرفة .
(٧) فيما عدا ل : « منه » ، تحريف .
(٨) فيما عدا ل : « صيدها » و « لها » .
(٩) فيما عدا ل : « أو حث على الظفر بأجزائها » .
(١٠) فيما عدا ل : « أو ليس » .
(١١) فيما عدا ل : « من عينها نائمة أو غافلة حتى تفزع وتنفر » .
(١٢) فى الأصل : « من طوف » .
(١٣) س ، هـ : « نكوب » محرفة . ط : « نقوذ » ، وأثبت ما فى ل .
(١٤) فيما عدا ل : « والتساوى » .

الغريب ، أو بعض مافى حنجرته[١] من الأصوات الملحّنة ، والمخارج الموزونة ، والأغانى الدّاخلة فى الإيقاع ، الخارجة من سبيل الخطأ ، ممّا يجمع الطّرَب والشّجا ، ومما يفوق النوائح ويروق كلّ مغنّ ، حتى يُضرب بحسن تخريجه [وصفاء صوتِه] وشجًا مخرَجه المثلُ ، حتى[٢] يشبَّه به صوتُ المزمار والوَتر .

وأما [بعض] مايُعرف بالمكر والحِيَل ، والكَيْس والرَّوغان ، وبالفِطنة بالخديعة ، والرِّفق والتكسُّب ، والعلمِ بما يُعيشُه[٣] والحذَرِ ممّا يُعْطِبُه[٤] ، وتأتّيه لذلك وحِذقه [به] ؛ وأمّا بعضُ مايكون فى طريق الثّقافة يوم الثِّقافة[٥] [والبصر] بالمشاولة[٦] ، والصَّبر على المطاولة ، والعزم[٧] والرَّوغان والكرّ والجَوَلان ، ووضْع تلك التدابير فى مواضعها[٨] حتى لاتردُّ له طعنة ولا تخطىء له وثْبة ، وأما بعضُ ما يُعرَف بالنّظر فى العاقبة[٩] وبإحكام شأن المعيشة[١٠] والأخذ لنفسه [بالثقة] ، وبالتقدُّم فى حال المُهْلة والادِّخار ليوم الحاجة ، والأجناسُ التى تدّخر لأنفسها ليوم العجْز عن

---

(١) ط ، ﻫ : « وما فى خلقه » ، صواب هذه : « حلقه » . س : « صوته » محرفة . وأثبت ما فى ل .
(٢) ط فقط : « وحتى » .
(٣) فيما عدا ل : « يعنيه » .
(٤) فيما عدا ل : « والحذر بالمشاولة والصبر على المطاولة مما يعطبه » ، وفيه إقحام وتحريف .
(٥) ل : « الثقاف » .
(٦) المشاولة : المطاعنة بالرماح .
(٧) فيما عدا ل : « والقدم » ، محرف .
(٨) ط ، ﻫ : « موضعها » ط ، ﻫ : « حيث » س : « بحيث » .
(٩) فيما عدا ل : « والعاقبة » ، تحريف .
(١٠) فيما عدا ل : « شأن الحال والمعيشة » .

الطلب والتكسُّب — فَمِثْلُ الذَّرَّة ، والنملة ، والجُرَذ والفأرة ، وكنحو العنكبوت والنَّحل .

فإذا كان ليس للفيل إلا عِظَمُه وإن كان العظَم قد يدخل في باب من أبواب المفاخرة ، فلا ينبغي لأحد أن يُنَاهِد[1] به الأبدانَ التي لها الخصال [الشَّريفة] ، ويناضلَ به ذواتِ المفاخر العظيمة . فما ظنُّكَ ببدنٍ قد جمع مع العِظَم من الخصال الشريفة ما يُفْنِي الطَّوامرَ الكثيرة ، ويستغرق الأَجلاد[2] الواسعة . وقد علمت أنَّ مِنْ[3] جَهْلِ هذه السمكة بما يُعيشُها ويُصْلِحُها أنَّها شديدةُ الطَّلب والشَّهوة لأكل العَنبر . والعنبرُ أقتَلُ للبال من الدِّفْلَى للدوابّ ، فإذا أصابوه ميِّتاً استخرجوا من جَوفه عنبراً كثيراً فاسداً . ٣٥

وما فيه من النفْع إلاّ أنّ دهنَه يَصْلُح لتَمرِينِ سُفُن البحريين[4] .

(تعصب غانم الهندى على الفيل)

فسمِعَنِي[5] غانمُ العبد يوماً وأنا أحكى هذا الكلامَ ، وكان منْ أمْوَقِ الناس وأرْقَعهم رَقاعةً ، مع تِيهٍ شَدِيدٍ وعُجْب ورِضاً عن نفسه ، وسُخْط على النَّاس . فمِن حُمْقه أنه هنديٌّ وهو يتعصَّب على الفيل ، فقال [لى] : ماتقول الهند فى الحوت الذى يحمل الأرض ، أليس أعمَّ نفعاً وأعْلَى أمراً ؟ قلت :

(١) المناهدة : المناهضة. وفى الأصل : « يشاهد » ، محرفة .
(٢) فيما عدا ل : « الجلود » .
(٣) ل ، ط : « من أن » ، صوابه فى س ، هـ .
(٤) ل : « البحر » .
(٥) فيما عدا ل : « فرآنى » .

له : ياهالكُ ، إنَّ مدارَ هذا الكلام إنما يقع على الأقسام الأربعة من بين جميع الحيوان المذكورة فى الماء وفى الأرض وفى الهواء ، كالذى ينساح من أجناس[١] الحيَّات والدِّيدان ، وكالذى يمشى من الدوابّ والنَّاس ، وكالذى يَطير مِن أحرار الطير وبغاثها وخَشاشها وهَمَجها ، وكالذى يعوم كالسَّمك وكلٍّ ما يعايش السمك .

فأمَّا الحوت الذى تكون الأرض على ظهره[٢] فقد علمْنا أنَّ فى الملائكة مَن هو أعظمُ من هذا الحوت مراراً . ولولا مكانُ مَن قد حضَرَنا لكان ممن لايستأهِلُ الجواب[٣] ، وهذا مقدارُ معرفته .

(قوة الفيل)

قالوا : والفيل أقوى مِن جميع الحيوان إنْ حُمِّل الأثْقال[٤] . ومن قوة عظْمه وعصَبه[٥] أنه يمرُّ خلفَ القاعد مع عِظَم بَدَنه ، فلا يشعر بوطئه ، ولا يُحسُّ بِمَرِّه[٦] لاحتمال بعض بدَنه لبعض . وهذه أعجوبةٌ أخرى .

(طول مدة حمل الفيلة)

وليس فى حوامل إناث الحيوان أطولُ مدَّةَ حبَل[٧] من الفيل

(١) فيما عدا ل : « من جميع » .
(٢) فيما عدا ل : « يكون على وجه الأرض » ، محرف .
(٣) ط ، س : « يتساهل » هـ : « يساهل » ، صوابهما فى ل . وفى ط هـ : « بالجواب » محرف .
(٤) ط : « فى حمل الأثقال » .
(٥) فيما عدا ل : « وعظمه » ، محرف .
(٦) س ، هـ « سيره » ط : « بسيره » .
(٧) فيما عدا ل : « حمل » .

والكركَدَّن ، فإنه مذكورٌ فى هذا الباب ، والفيلُ يزيد عليه فى قول بعضهم[١] .

فأمَّا الهِنْدُ ففتنتهُم بالكركدَّن أشدُّ مِن فِتنتهم بالفيل .

فأما ما كان دون ذلك من أجناس الحيوان فأطولها حملاً الحافر والخفّ ، ولا يزيدان على السَّنَة إلا أن تُسحَب الأنثى وتُجرَّ[٢] أيَّاما . فأمَّا الظِّلف فعلى ضربين ، فما كان منها من البقر فإنّ مدَّة حَمْلها وحمل النساء[٣] تسعة أشهر ، وما كان من الغنم فإنّ حملها خمسةُ أشهر .

وقد ذكرنا [حال] أجنـاس الحيوان فى ذلك فيما سلف من كتابنا هذا .

(صولة الفيل)

قالوا : والفيلة هَوْلها فى العين ، فاحْذَر أنْ تتخذ ظهورها[٤] كالمناظر والمسالح والأرصاد .

وللفيل قتالٌ وضرب [بخرطومه]، وخَبْطٌ بقوائمه . وكانت الأكاسرة ربما قتلت الرَّجلَ بوَطْءِ الفيلة ، [وكانت] قد درَّبت على ذلك وعُلِّمَتْه ، فإذا ألقوا[٥] إليها الرّجل تركت العلَف وقصدَتْ نحوه فداسَتْه . ولذلك أنشد

(١) فيما عدا ل : « فى بعض قوته » .
(٢) فيما عدا ل : « وتزيد » .
(٣) فيما عدا ل : « السمكة » .
(٤) فيما عدا ل : « واحـد وإن فتحت ظهورها » ، لـكن فى س : « وإن قبحت » .
(٥) فيما عدا ل : « ألق » .

٣٦٨ العباس[1] بن يعقوب العامرىّ ، لناهِض بن ثومة[2] العامرى قوله :

أنا الشّاعرُ الخطّارُ مِن دون عامرٍ وذو الضَّغْمِ إذْبعضُ المحامين ناهشُ[3]

بخبطٍ كخَبْط الفيلِ حتى تركته أميماً به مُسْتَدْمِياتٌ مَقارشُ[4]

وأنشد الأصمعى وأبو عمرو لتميم بن مقبل[5] :

بنى عامر ما تأمُرُون بشاعر تَخَيَّرَ آياتِ الكتاب هِجائيا[6]

أأعفُو كما يعفُو الكريمُ فإنّنى أرَى الشَّعب فيما بيننا متدانيا

أمَ اَخبِطُ خبْطَ الفيل هامةَ رَأسِه بِجَرْدٍ فلا أُبقى مِن الرأس باقيا[7]

(بعض من رمى تحت أرجل الفيلة)

وكانت الأكاسرة — وهى الكُسُور[8] — تؤدِّبها وتعوِّدها وطْء الناس وخَبْطهم إذا أُلقِىَ تحت قوائمها بعضُ أهلِ الجنايات ، فكان ممنْ رُمِىَ

---

(١) فيما عدا ل : « أبو العباس » .

(٢) ل : « نومة » ، فيما عدا ل : « بوصة » : صوابه ما أثبت من القاموس (مادة نهض) .

(٣) ل : « المحابين ناهس » ، محرف .

(٤) الأميم : الذى بلغت طعنته أم الدماغ . ل : « مستدميان مفارس » ، تحريف . وفيما عدا ل : « مفارش » صوابه بالقاف كما أثبت ، يقال أقرشت الشجة فهى مقرشة إذا صدعت العظم ولم تهشم .

(٥) فيما عدا ل : « وأبو محمد لتمثيل بن مقبل » ، تحريف . والأبيات فى العمدة (٢ : ١٣٦) .

(٦) ط : « يحبر بآيات » س : « يحير بآيات » هـ : « يخير بآيات » ، صوابه فى ل والعمدة . وفى اللسان (بوب) : « تخير بابات » . وفسر البابات بأنها السطور .

(٧) الجرد : أخذ الشىء عن الشىء عسفا وجرفا . وفى س : « بحرد » والحرد : « الغضب » . وفى العمدة : « بمبرد روى يقط النواحيا » . فيما عدا ل : « من الريش » ، محرف .

(٨) الكسور : جمع كسرى ، كما سبق فى (٤ : ٢٧٧) .

به تحتَ أرجل الفِيَلة النُّعمانَ بن المنذر . وقال في ذلك الشاعر :

إنّ ذا التّاجِ لا أبا لَكَ أضْحَى وَذَرَى بَيْتِهِ بِجَوْزِ الفُيُولِ[1]

إنّ كِسْرَى عَدَا على الملك النُّعْـــمَانِ حَتَّى سقاه أمَّ البَليلِ[2]

(كتاب ملك الصين)

وذكر الهيثم بن عديّ ، عن أبي يعقوب الثّقفيّ ، عن عبد الملك بن عمير قال : رأيت في ديوان معاوية [بعد موته] كتاباً مِنْ ملك الصين [فيه : « من ملك الصّين] الذي على مَرْبِطه ألفُ فيل ، وبُنيت دارَه بلبِن الذهب والفضة ، والذي تخدمه بناتُ ألفِ ملكٍ ، والذي له نهرانِ يسقيان الألُوّة[3] . إلى معاوية » .

قالوا : ولمّا أراد كِسرى قتلَ زيوشت[4] المغنِّي ، لقتله فهلبذ[5] المغنى ، وأمر أن يرمى [به] تحت الفيلة [وقال : قتلتَ أحسنَ النّاس غِناءً، وأجودَهم إمتاعاً للملِك ، حسداً له . فلمّا سحبوه نحو الفيلة] التفت إلى كسرى وقال : إذا قتلتَ زيوشت المغنى ، وقد قتل زيوشت فهلبذ فمن يُطربك[6] ، فقال كسرى : المدة التي بقيت لك [هي[7]] التي أنطقَتْكَ ، خلُّوا سبيله .

---

(١) ل : « نحور النيول » .

(٢) أم البليل ، من كنى الداهية ، كما في مقاييس اللغة لابن فارس (١ : ٢٦) .

(٣) الألوة : العود الذي يتبخر به . أراد يسقيان منابته . ط : « ينشقان اللؤلؤ » ﻫ ، س : « ينشمان اللؤلؤ » ، صوابهما في ل .

(٤) فيما عدا ل : « روشك » في جميع المواضع .

(٥) ط ، ﻫ : « فلهوذ » س : « فلهيد » ، وأثبت ما في ل .

(٦) ل : « مطربك » .

(٧) هذه من ل ، ﻫ .

(تأديب الهند الفيلة)

وقال صفوان بن صفوان الأنصاريّ ، وكان عند داود بن يزيد بالمولتان[١] :
الهند تؤدّب الفيلة بأنواع[٢] من التّأديب ، وبضروب من التقويم ، فمنها
آدابُ الحروب[٣] ، حتى ربَّما رَبَطُوا السَّيف [الهُذَام[٤]] الرَّغيب ،
الشَّديد المتن ، الحديد الغَرْب ، التّام الطول[٥] ، الطَّويل السِّيلان[٦] ،
فى طرَف خُرطوم الفيل ، وعلموه[٧] كيف يضرب به قُدُمًا ، يميناً
وشمالا[٨] ، وكيف يرفعُه بخرطومه حتى يكونَ فوقَ رؤوس الفَيَّالين القعودِ
على ظهره .

(شعر هارون فى الفيل)

قال : وأنشدنى هارون بن فلان[٩] المولى ، مولى الأنصار ، قصيدته
التى ذكر فيها خروجَه فى الحرب إلى فيلٍ فى هذه الصفة ، فمشَى إليه ، فلما
٣٧ كان حيثُ ينالُه السَّيفُ وثَبَ وَثْبَةً أعجلَه بها عن الضَّربة ، ولصق[١٠]
بصدْر الفيل ، وتعلّق بأُصول نابيَه ــ وهما عندهم[١١] قرناه ــ فجال به الفيلُ

---

(١) فيما عدا ل : « المرزبان » . والمولتان : بلد بالهند .
(٢) ل : « بأشكال » .
(٣) فيما عدا ل : « ويدربونهم على أنواع آداب الحروب » .
(٤) الهذام ، كغراب : القاطع . فيما عدا ل : « اللهذم » . واللهذم ، بالفتح : الحاد .
(٥) فيما عدا ل : « الصقل » .
(٦) سيلان السيف : ما يدخل فى نصابه .
(٧) فيما عدا ل : « وعلمن » .
(٨) فيما عدا ل : « قداما ويمينا وشمالا » .
(٩) كذا ، وفى نهاية الأرب (٩ : ٣٠٤) : « هارون بن موسى » .
(١٠) ل : « ولزق » .
(١١) فيما عدا ل : « عنده » .

جوْلة كاد يحطِمُه مِن شدَّة ما جال به ، وكان رجلاً شديد الخلْق ، رابط الجأش . قال : فاعتمدتُ وأنا فى تلك الحال ــ وأصولُ الأنياب جُوف ــ فانقلعا من أصلِهما ، وأدبَرَ الفيلُ ، وصار القرنان فى يَدَىَّ ، وكانت الهزيمة وغَنِم المسلمون غنائمَ كثيرة . وقلت فى ذلك :

مشيتُ إليه وادعاً متمهِّلا ... وقد وصَلُوا خُرطومَه بحُسَامِ

فقلتُ لِنفسى : إنّه الفيلُ ضاربٌ ... بأبيضَ مِن ماءِ الحديد هُذَامِ (١)

فإنْ تَنْكلى عنْه فعذْرُكِ واضحٌ ... لَدَى كلِّ منخُوب الفُؤَادِ عَبامِ (٢)

وعندَ شُجاع القومِ أكلفُ فاحمٌ ... كظُلمة لَيْلٍ جُلِّلت بقَتامِ (٣)

فناهَشْتُه حتى لَصِقتُ بصدْره ... فلما هوى لازَمْتُ أىَّ لِزامِ (٤)

وَعذْتُ بِقرْنَيْهِ أُرِيدُ لَبَانَهُ ... وذلك مِن عادات كلِّ محامِى (٥)

فجَال وهِجِّيراهُ صوتُ مُخَضْرَمٍ ... وَأُبْتُ بقرْنَىْ يَذبُلٍ وشمامِ (٦)

وقال هارون :

ولمَّا أتانى أنّهُم يَعقِدُونه ... بقائمِ سَيفٍ فاضِلِ الطُّولِ والعَرضِ (٧)

مَرَرتُ ولم أحْفِلْ بذلك منهمُ ... إذا كانَ أنفُ الفيلِ فى عَفَرِ الأرضِ (٨)

---

(١) الهذام : القاطع ، كما سبق فى ص ١١٤ .

(٢) العبام ، بالفتح : العيى الأحمق .

(٣) ل : « خللت بقتام » .

(٤) فيما عدا ل : « فما هو أن لازمت » ، محرف .

(٥) عذت : لجأت . وفى الأصل : « فعدت » بالعين المهملة . والقرنان ، عنى بهما نابيه ، كما تقدم الكلام عليه قبل الشعر . فيما عدا ل : « ابانة » وإنما هى « لبانه » بمعنى صدره .

(٦) فيما عدا ل : « فحال » . والمخضرم : المقطوع نصف أذنه . ويذبل وشمام : جبلان . وفيما عدا ل : « بشام » محرفة .

(٧) ط ، س : « يحتدونه » ، هـ : «يفتدونه» ، صوابهما فى ل .

(٨) ل : « سررت » بدل « مررت » .

وحين رأيتُ السَّيفَ يَهْتَزُّ قائماً ... ويَلمعُ لَمْعَ الصُّبْح بالبَلَدِ المفْضِى [1]

وصارَ كمخراقٍ بِكَفٍّ حَزَوَّرٍ ... يُصرِّفُه في الرَّفْع طوراً وفي الخفْضِ [2]

فأقبلَ يَفْرِى كلَّ شىءٍ سَما لَهُ ... وصرتُ كأنِّى فَوْقَ مَزْلَقَةٍ دَحْض [3]

وأهوى لجارِى فاغتنمْتُ ذُهولَهُ ... فلاذَ بقرنيه أخو ثقةٍ محضُ [4]

فجال وجَالَ القَرْن فى كفِّ ماجدٍ ... كثيرِ مِراسِ الحربِ مجتنبِ الخفْض [5]

فطاحَ وَوَلّى هارباً لايَهِيــده ... رطانةُ هِندىٍّ برفعٍ ولا خفض [6]

(نابا الفيل)

والهندَ تزعمُ أنّ نابَى الفِيل يخرجان مستبطِنين حتى يخرقا الحنك ويخرجا أعقَفين ، وإنما يجعلُهما نابين مَن لايفهمُ الأمور . قالوا : والدَّليل على ذلك أنّ لهما أصلين فى [موضع] مخارج القرون ، يُوجَد ذلك عند سَلْخ جلده ، ولأنّ القرن لايكون [إلاّ مصْمت الأعلى مجوَّف الأسفل وكذلك صفةُ هذا الذى يسمِّيه مَن لاعلم له] ناباً . ومع ذلك إنّا لانجد ٣٨ الفيل يعضُّ كعضِّ الأسد للأكل [7] ، ولا كعضِّ الجمل الصَّؤُول

---

(١) يقال مكان فاض ومفض ، أى واسع . فيما عدا ل : « لمع البرق بالبلد الغض » محرف .

(٢) المخراق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به . والحزور : الغلام الذى قد شب وقوى.

(٣) ط فقط : « وأقبل سفرى » محرف . وسما : ارتفع وشخص . ط ، هـ : « شماله » ، صوابه فى ل ، س .

(٤) ط ، س : « وأهوى نجاتى » ، هـ : « بجالى » ، صوابهما فى ل . وفى ط ، هـ : « ولم يقترب عنه » س : « منه » وفى ل : « فلذ بقرنيه » وأثبت ما فى ل مصححا . وفى البيت إقواء.

(٥) س ، هـ : « وحال القرن » . وفى ل : « مراس الكف » .

(٦) لا يهيده : لا تزعجه ولا يكترث لها . فيما عدا ل : « لاتهيده » .

(٧) فيما عدا ل : « الأكول » .

للقتل (١) ، ولا كعضِّ الأفعى لإخراج السمّ ، ولا تراه يصنع به ويستعمله إلاّ [على شبيهٍ] بما تستعمله ذوات القرن (٢) عند القِتال والغضب .

فقال لهم بعضُ من يردُّ عليهم : أمّا قولكم إنّ القرنَ لايكون إلاّ مجوَّفَ الأصل ، فهذا قرنُ الأيّل مُصمَت من أوّله إلى آخره ، وهو ينصل (٣) فى كلِّ سنة ، فإذا نبتَ حديثاً لم يظهَرْ حتى يستحكِم فى يُبسه وصَلابته. وإذا علم أنه قد بلغ [ذلك] ظهَرَ . وأكثرُ القُرُونِ الُجوفِ يكون فى أجوافها قرونٌ ، وليس ذلك لقرن الفِيل (٤) .

قالوا : ولم نجِد هذا القرنَ فى لون القُرون ، ووجدناه بسائر أسنانه (٥) وأضراسه أشبهَ ، للبياض واليبس (٦) . وليس كذلك صفةُ القرون .

وتقول الهند (٧) : فم الأيّل صغير ، وهو أفقَم ، ولا يجوز أن يكون مثلُ ذلك اللَّحى والفكِّ ينبُتُ فيه ومنه نابان يكون فيهما ثلاثمائة مَنٍّ . وقد رأيتُ قروناً كثيرة الأجناس ، بِيضاً ، وبُرْشا ، وصُهْبا (٨) . وهذه أيضا من أعاجيب الفيل (٩) .

وقرن الكركَدَّن أغلظُ من مقدار ذراع ، وليس طولُه على قدر غِلَظه (١٠) ، وهو أصلب وأكرم مِن قرنَى الفيل .

---

(١) فيما عدا ل : « للعمل » .
(٢) فيما عدا ل : « كما يستعمله ذو القرن » .
(٣) ينصل : يسقط . فيما عدا ل : « يتنقل » ، محرفة .
(٤) فيما عدا ل : « كقرن الفيل » .
(٥) فيما عدا ل : « لسائر أسنانه » .
(٦) فيما عدا ل : « والسمرة » ، محرف .
(٧) فيما عدا ل : « ووجدناه يقول » .
(٨) ط ، س : « بيضاء وبرشاء وصهباء » .
(٩) فيما عدا ل : « عجائب الفيل » .
(١٠) فيما عدا ل : « إلا على قدر غلظه » ، تحريف .

(أعضاء التناسل لدي الحيوان)

ويقال [إنّ] أكبر أُيور الحيوان أيْر الفيل[١] ، وأصغَرَها قضيبُ الظبي . وقضيب البطّ لايذكر مع هذه الأشكال[٢] ، وليس شيءٌ على قَدْره ومقدار جسمه أعظمُ أيراً من البغل[٣] .

وقد علمنا[٤] أنّ للضب أيرَين ، وكذلك الجِرذَون والسَّقَنْقُور[٥] ، وعرفنا[٦] مقدارَ ذلك ، ولكنّه لايدخل فى هذا الباب [لضَعفٍ لايخفَى] .

(خرطوم الفيل)

ولو لم يكن من أعاجيب الفيل إلاّ خرطومُه الذى هو أنفُه وهو يدُه ، وبه يوصِل الطعامَ والشَّرابَ إلى جوفه ، وهو شيءٌ بَيْنَ[٧] الغُضروف [واللحم] والعصبِ ، وبه يقاتِل ويضرِب ، ومنه يصيح ، وليس صياحُه فى مقدارِ جرْم بدنه . ويضرِبُ به الأرضَ ويرفعُه فى السَّماء ويصرِّفه كيف شاء ، وهو مَقتلٌ من مقاتله . والهند تربِط فى طرَفه سيفاً شديدَ المتْن فيقاتِلُ به ، مع مافى ذلك من التهويل على من عايَنه[٨] .

---

(١) فيما عدا ل : « قرن الفيل » . وانظر كتاب البغال ص ٣٢١ .
(٢) فيما عدا ل : « الأشياء » . وانظر كتاب البغال .
(٣) فيما عدا ل : « الفيل » تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « علمت » .
(٥) بعدها فى ل : « نظير الحمار » ، وهى كلمة مقحمة .
(٦) ط ، هـ : « وقد عرفنا » .
(٧) فيما عدا ل : « من » ، تحريف .
(٨) فيما عدا ل : « من التهويل على العدو » .

(سباحة الفيل والجاموس والبعير)

وهو مع عِظم بدَنه جيِّد السِّباحة إلاّ أنه يخرج خرطومه ويرفعُه فى الهواء صُعُدًا[١] لأنّه أنفه . ألا ترى أنّ الجاموسَ يغيب جميعُ بدنِه فى المـاء إلاّ منخريه .

والبعير قبيح السِّباحة : لأنه لايسبح إلاّ على جنبه[٢] فهو فى ذلك بطىءٌ ثقيل . والبعير [مما] يُعايَر بينه وبين الفيل[٣] ، فلذلك ذكرناه .

(مايغرق من الحيوان)

وقد علمنا أنّ الإنسان يغرق فى الماء مالم يتعلَّم السِّباحة . فأمّا الفرَس الأعسرُ والقِرد فإنَّهما يغرقان البتَّة ، والعقرب تقُومُ[٤] وسطَ الماء لا طافيةً ولا لازقة بالأرض[٥] .

(أشراف السباع وساداتها)

٣٩ وأشراف السِّباع وساداتها وكبارها ورؤساؤها ثلاثة : الكَرْكدَّن والفِيل والجاموس . قال : ولعلَّ بعضَ مَن اعتاد الاعتراض[٦] على الكتب

---

(١) ل ، س : « صعداء » ، تحريف .

(٢) ل : « لأنه يسبح على جنبه » والعبارتان بمعنى . وفى س ، هـ : « لا يسبح على جنبه » ، وهذه محرفة .

(٣) يعاير بينهما ، أى يقابل ويوازن . وفى ل : « يغاير » . والمغايرة المعاوضة فى البيع والمبادلة وليست مرادة . وفيما عدا : « يخاير » . وانظر ما سبق فى ٢ : ١٤٥ .

(٤) ط ، هـ : « يقوم » س : « يعوم » ، صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « فى الأرض » .

(٦) ط : « أغرى بالاعتراض » . وفى س ، هـ : « اغترى بالاعتراض » ، وهذه محرفة .

يقول : وأينَ الخيل والإبل ، وفيها من خصال الشَّرَف والمنافع والغَناء في السَّفر والحضَر ، وفي الحرْب والسّلم ، وفي الزِّينة والبهاء ، وفي العُدَّة والعتاد ، ماليس عند الكَرْكدَّنِ ولا عندَ الفيل ولا عند الجاموس .

قال القوم : ليس إلى هذا الباب ذَهبْنا ، ولا إليه قصدنَا ، ولا ذلك البابُ ممَّا يجوز أن نُدخله في هذا الباب . ولكنَّا ذَهبْنا إلى المحاماة والدَّفع عن الأنفس[١] والقتال دون الأولاد ، وإلى الامتناع من الأضداد بالحيلة اللطيفة ، وبالبطش الشديد ، وليس عند الخيل والإبل إذا صادفت[٢] الأُسد والنُّمور والبُبُور ، ماعند الجاموس والفيل[٣] . فأمّا الكركَدَّن فإن كلَّ شيء من الحيوان يقصِّر عن غايته التقصيرَ الفاحش[٤] .

(إنكار الكركدن والعنقاء)

وما أكثر مَن ينكر أن [يكون] في الدنيا حيوانٌ[٥] يسمَّى الكَرْكدَّن ، ويزعمون أنَّ هذا وعَنْقاءَ مُغْرِبٍ سواء ، وإنْ كانوا يرون صُورة العَنقاء مصوَّرَةً في بُسُط الملوك ، واسمها عندهم بالفارسيَّة « سِيمَرْكْ[٦] » كأنه قال : [هو] وحدَه ثلاثون طائرا ، لأنَّ قولهم بالفارسية « سي » هو ثلاثون

---

(١) فيما عدا ل : « على الأنفس » ، محرفة .

(٢) ل : « صافت » وفيما عدا ل : « صادمت » ، وقد جمعت بينهما في التصحيح .

(٣) فيما عدا ل : « والفيل والكركدن » .

(٤) ط فقط : « عنه غاية التقصير الفاحش » .

(٥) فيما عدا ل : « حيوانا » .

(٦) كذا في جميع النسخ ، مع تساهل في النطق ، أو بعض التصرف في التعريب . وإلا فلفظها في الفارسية (سيمرغ) كما يفهم من البيان التالي ، وكما في معجم استينجاس ٧١٨ .

بالعربية[١] ، ومرغ[٢] بالفارسيَّة هو الطائر بالعربية . والعرب إذا أخبرت عن [هلاك] شيءٍ وبطلانه قالت : « حلّقت به فى الجوِّ عنقاءُ مغرب[٣] » .

وفى [بعض] الحديث : أنّ بعضَ الأمم سألوا نبيَّهم وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفعل كذا وتفعل كــذا ، أو تلقى فى فم العنقاء اللِّجام ، وتردَّ اليومَ أمسِ » .

(شعر فى العنقاء)

قال أبو السّرىّ الشَّميطى[٤] ، وهو مَعْدان المكفوف المديبرىّ[٥] :

يا سَمِىَّ النبىِّ والصادقَ الوَعـ ... ـدِ وَجَدَّ الصبىِّ ذى الخَلخالِ

صاحب التُّومة التى لم يشِنْها ... بعد حَرْسٍ مَثاقبُ اللآلِ[٦]

مَهَدتْه العنقاءُ وهِى عقيمٌ ... رُبَّ مهدٍ يكون فوقَ الهلالِ

(١) ل : « لأن سى بالفارسية ثلاثون » .

(٢) ل : « مرع » وإنما هو بالغين فى الفارسية . ط ، س : « وبرك » . وانظر التنبيه السابق . وفى هـ : « سيمرك » ، تحريف .

(٣) ومنه قول القائل (انظر اللسان : حلق ، عنق) :

ولولا سليمان الخليفة حلقت ... به من يد الحجاج عنقاء مغرب

ويروى :

ولولا سليمان الأمير لحلقت ... به من عتاق الطير عنقاء مغرب

(٤) فيما عدا ل : « أبو الهندى » ، تحريف . وانظر ما سبق فى (٢ ، ٢٦٨ / ٥ : ٢٣٦) . والشميطى ، بالشين المعجمة . ل : « الشمطى » وفيما عدا ل : « السميطى » . صوابهما ما أثبت . وانظر حواشى (٢ : ٢٦٨) .

(٥) المديبرى : نسبة إلى « المديبر » على هيئة تصغير مدبر ضد المقبل ، وهو موضع قرب الرقة . فيما عدا ل : « المريدى » ، تحريف . وقد سبق بعض أبيات القصيدة التالية فى (٢ : ٢٦٩) .

(٦) التومة ، بالضم : اللؤلؤة ، وجمعها توم ، بالضم ، وتوم بضم ففتح . فيما عدا ل : « صاحب اللؤلؤ الذى لم يشنه » . بعد حرس : أى بعد دهر . وفى ط ، هـ : « خرز » ، س : « حرز » ، صوابهما فى ل .

يومَ تُصغِى له النَّعامة والأحْـ ناشُ طُرًّا لِشدّة الزّلزال[١]

فأهل هذه النِّحلةُ يثبتون العنقاء ، ويزعمون أنها عقيم .

وقال زُرارة بن أعْيَن ، مولى بنى أسعد بن همام ، وهو رئيس الشميطيَّة[٢] ، وذكر هذا الصَّبيَّ الذى تـكفُله العنقاء ، فقال :

وأوّلُ مايحيَا نِعَاجٌ وأكبُشٌ ولو شاءَ أحيا ربها وهو مذنبُ[٣]

ولـكنّه ساعَى بأمٍّ وجَدّةٍ وقال سَيكفِينِى الشقيقُ المقرّبُ[٤]

٤٠٠ وآخِرُ برهاناتِه قلبُ يومكم وإلجامُه العنقاءَ فى العين أعجبُ[٥]

يَصِيفُ بسَاباطٍ ويشتُو بآمِدٍ وذلك سِرٌّ لو علمناه معجبُ[٦]

أماع له الـكِبريتَ والبحرُ جامدٌ ومَلَّـكَه الأبراجَ والشَّمْسُ تُجْنَبُ[٧]

فيومئذٍ قامت شماط بقدرها وقام عسِيبُ القفر يُثْنِى ويَخْطُبُ[٨]

وقام صبىٌّ دَرْدَقٌ فى قِماطِهِ عليهم بأصناف اللِّسَانَيْنِ مُعْرِبُ[٩]

---

(١) النعامة والأحناش معروفان بالصمم . وفى ل : « والأخفاش » ، محرفة .

(٢) ل : « النسمية » ، وفيما عدا ل : « التيمية » ، والوجه ما أثبت . وهو نسبة إلى أحمر بن شميط . انظر حواشى (٢ : ٢٦٨) .

(٣) ربها ، أى صاحبها . وفيما عدا ل : « قرنها » .

(٤) المساعاة : تـكليف الأمة أن تسعى على مولاها فتكسب له بضريبة خاصة . فيما عدا ل : « ساع » وفى ل : « وقال سيلقينى الشفيع » .

(٥) ل : « قلب نيلـكم » .

(٦) فيما عدا ل : « سر ما علمنا مغيب » .

(٧) أماع : أذاب . وفيما عدا ل : « أساغ » ، محرف . تجنب : تقاد إلى جنب .

(٨) ل : « شمال بعذبها » ط : « سماط بقدرها » هـ : « سماط بعذرها » ، وأثبت ما فى س . وفى البيت غموض .

(٩) الدردق : الصغير . والقماط ، بالـكسر : خرقة عريضة يلف بها الصبى . فيما عدا ل : « درنق فى حماطه » و : « بأصناف البساتين يغرب » ، تحريف .

فثبّت زرارة بنُ أعيَنَ قولَ أبي السَّرِيّ في العنقاء ، وزادنا [تثبيت] الكِبريت الأحمر . ولا أعلمُ في الأرض قومًا يُثَبِّتون العنقاءَ على الحقيقة غيرَهم .

(الكركدن)

قال : والذي يثبت الكركَدَّن أن داود النبي صلى الله عليه وسلم ذكره في الزّبور حتّى سمّاه[1] .

وقد ذكره صاحب المنطق (في كتاب الحيوان) إلاّ أنه سمّاه بالْحِمار الهنديّ ، وجعل له قرناً واحداً في وسْط جبهته . وكذلك أجمع [عليه] أهلُ الهند كبيرُهم وصغيرُهم . وإنما صار الشكُّ يعرِضُ في أمْرِهِ من قِبَل أنّ الأنثى منها تكون نَزُوراً[2] ، وأيام حَمْلها ليست بأقل من أيام حمل الفيلة[3] فلذلك قلَّ عددُ هذا الجنس .

وتزعم الهندَ أنّ الكركَدَّن إذا كانت ببلاد[4] ، لم يَرْعَ شيءٌ من الحيوان شيئاً من أكناف تلك البلاد ، حتى يكونَ بينه وبينها[5] مائةَ فرسَخٍ من جميع جهات الأرض ؛ هيبةً له ، وخضوعا له ، وهرباً منه .

وقد قالوا في ولَدها وهو في بطنها قولاً لولا أنّه ظاهرٌ على ألسِنَة الهند لكان أكثرُ النّاس ، بل كثيرٌ من العلماء ، يُدْخلونه في باب الخرافة

(١) فيما عدا ل : « قال فيثبتون الكركدن ذكر النبي داود عليه السلام في الزبور حين سماه » ، محرف .

(٢) النزور ، بالفتح : القليلة الولد . فيما عدا ل : « أن الأنثى منها مايكون نزورا » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « ليست أقل من أيام حمل الفيل » .

(٤) ل : « أنه إذا كانت الكركدن ببلاد » .

(٥) ل : « وبينه » .

وذلك أنهم يزعُمون أنَّ أيامَ حَمْلها إذا كادت أن تتم ، وإذا نضجت وسُحِبتْ[١] [وجرّت] وجرى وقت الولادة ، فربما أخرجَ الولدُ رأسَه من ظَبْيتها[٢] فأكل من أطراف الشجر ، فإذا شبع أدخَلَ رأسَه ، حتَّى إذا تمّت أيامُه وضاق به مكانَه وأنكرتْه الرَّحِم ، وضعَتْه مُطيقاً قويًّا على الكسب والحُضْر والدفع عن نفسه[٣] ، بل لا يَعْرِضُ له شيءٌ من الحيوان والسِّباع .

(ولد الفيل)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ ولد الفيل يخرُج من بطن أمّه نابت الأسنان ، لطول لبثه فى بطنها[٤] .

وهذا جائزٌ فى ولد الفيل غيرُ مُنكر ، لأن جماعةَ نساءٍ معروفاتِ الآباء والأبناء ، قد ولدْنَ أولادَهنَّ ولهم أسنانٌ نابتة : كالذى روَوْا فى شأن مالك ابن أنس ، ومحمد بن عَجْلان[٥] وغيرهما .

(أعاجيب الولادة)

وقد زعم ناسٌ من أهل البصرة أنَّ خاقانَ بنَ عبد الله بن الأهتم استوفى فى بطن أُمِّه ثلاثةَ عشر شهراً ، وقد مُدِح بذلك وهُجِيَ ، وليس

(١) س : « وسخنت » ط ، هـ : « وشحنت » ، وأثبت ما فى ل . والكلمة التى بعدها تكملة من ل ، س ، هـ .

(٢) الظبية : الحياء من المرأة وكل ذى حافر . ط ، هـ : « باطنها » س : « ظنيها » وهذه محرفة .

(٣) بعدها فى ل : « ممتنعا من العدو » .

(٤) فيما عدا ل : « مكثه فى بطنها » .

(٥) سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٩٢) .

٤١ هذا[١] بالمستنكر ، وإنْ كنت لم أَرَ قطُّ قابلةً تُقرّ بشيء من هذا الباب وكذلك الأطبّاء . وقد روَوْه كما علمت ، ولكنَّ العجبَ كلَّ العجَب ماذكروا من إخراج ولَد الكركدَّن رأسَه واعتلافَه ، ثم إدخاله رأسَه[٢] بعد الشِّبع والبِطْنة . ولا بدَّ — أكرمك الله[٣] — لِمَا أكَلَ مِنْ نَجْوٍ فإن كان بقى [ذلك] الولدُ يأكل ولا يرُوث فهذا عجبٌ ، وإن كان يروث فى جَوْفها فهذا أعجب .

وإنما جعلناه يروثُ حيثُ سمَّوه حماراً ، وهذا ممّا ينبغى لنا أن نذكرَه فى خصال الحمير إذا بلغْنا ذلك الباب[٤] .

ولا أُقِرُّ أنّ الولدَ يُخرج رأسه من فرج أمِّه[٥] حتى يأكل شبِعَه ، ثمَّ يدخل رأسَه [من فَرْج أمّه] ، ولستُ أُراه مُحالا ولا ممتنعاً فى القُدرة ، ولا [ممتنعاً] فى الطبيعة ، وأرى جَوازَه مَوْهُومًا[٦] غيرَ مستحيل ، إلاّ أنَّ قلبى ليس يقبلُه ، وليس فى كونه ظُلْمٌ ولاعَبَثٌ[٧] ولاخطأ ولا تقصير فى شىء من الصفات المحمودة ، ولم نجد القرآنَ يُنكره، و [لا] الإجماعَ يدفعُه ، والله هو القادر دون خَلْقه ، ولست أبتُّ بإنكاره وإن كان قلبى شديدَ الميل إلى ردِّه ، وهذا ممّا لايعلمه النّاسُ بالقياس ، ولا يعرفونه إلاّ بالعيان الظاهر[٨] ، والخبر المتظاهر .

---

(١) فيما عدا ل : « ذلك » .
(٢) فيما عدا ل : « ثم إدخالها » .
(٣) ل : « يرحمك الله » .
(٤) فيما عدا ل : « خصال الخصال إذا بلغ ذلك الباب » .
(٥) فيما عدا ل : « من بطن أمه » .
(٦) موهوما : يذهب إليه الوهم . فيما عدا ل : « مرهوبا » ، تحريف .
(٧) فيما عدا ل : « عيب » .
(٨) فيما عدا ل : « ولا يعرف إلا بالعيان البادر » .

(عجيبة الدسَّاس)

وليس الخبر عنهُ مثلَ الخبرِ عن الدَّسَّاس التى تَلِدُ ولا تَبيض[١] . وإنما أنكر ذلك ناسٌ لأنَّ الدَّسَّاس ليس بأشرف كالخُفَّاش ، بل هو من الممسوح[٢] كسائر الطير . وكاللواتى يبضْن[٣] من ذوات الأربع من المائيَّات والأرضيَّات .

(عجائب الدلفين واللُّخم والكوسج)

وليس الخبر عن الكركدَّن أيضا كالخبر عن الدُّلفين أنَّها تَلِد وعن اللُّخْم مثل ذلك ، وأنَّ الكَوسج يتولَّد من بين اللُّخْم وسمكةٍ أخرى ، وهذا كلُّه غيرُ مستحيل ، إلاّ أنِّى لا أجعلُ الشىءَ الجائزَ [كونُه] كالشىء الذى تثبته الأدلَّة ويخرِجه البرهان من باب الإنكار . والواجبُ فى مثل هذا الوقفُ[٤] ، وإن كان القلبُ إلى نقض ذلك أمْيَل .

والمَيْل أيضا يكون فى طبقات[٥] ، وكذلك الظن [قد] يكون داخلا فى باب الإيجاب[٦] ، وربَّما قصَّر عن ذلك [شيئاً] .

---

(١) فيما عدا ل : « التى لاتبيض ولا تلد » ، تحريف . وانظر ماسبق فى (٤ : ٢٢٢ / ٦ : ٣٣) .

(٢) الممسوح : أى الذى خفيت أذنه . انظر (٦ : ٣٣ ، ١٢٥) . فيما عدا ل : « بل هو كالممسوح » .

(٣) فيما عدا ل : « تبيض » .

(٤) فيما عدا ل : « الرفيق » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « من طبقات » .

(٦) ل : « باب الأغلب » .

(زعم ولادة السمك)

وقد زعم ناسٌ من أهل العلم أنَّ السَّمَكَ كلَّه يلِد ، وأنهم إنما سمَّوْا ذلك [الحَبِّ] بيضا على التشبيه والتمثيل ، لأنّه لا قشر له هناك ولا مُحَّ ولا بَياضَ ، ولا غِرْ قِئَ[1] ، وأنّ السمكةَ لاتخرج أبداً[2] إلاَّ فارغةَ الْبَطْنِ أو محشوَّة ، ولم نر الحَبَّ الذى بقرب مَبالها[3] أعظمَ ، ولم نَرها ألقَتْ إحدى تلك الطّوامير[4] [وبقّت الأخرى . وإنما غلط فى ذلك ناسٌ من قِبَل ضيق السبيل والمَسْلَك ، فظنوا أنّ خرق المبال يضيق عن عِظَم ذلك الجسم العظيم المجتمع من الحبِّ الصغار . قالوا : فإنما تُخرج تلك الطواميرَ] واحداً فواحداً ، وأوّلا فأولاً .

(عجائب الولادة)

وما ذلك بأعجبَ ولا أضيقَ من حَياء الناقة والسَّقبُ والحائلُ يخرجان منه خروجًا سَلِسا إذا أذن الله بذلك[5] . وكذلك المرأة وولدها ، [والفِيلةُ] والجاموسة[6] والرَّمَكةُ ، والحِجْر والأتان ، والشاة فى ذلك كلِّه مثلُ السمكة .

وقالوا : لابُدَّ للبيض من حَضْن ، ومتى حَضَنَت السمَكةُ بيضَها لاتلتفت إلى بيضها وفراخها .

---

(١) الغرقئ : قشر البيض الذى تحت القيض . ل : « ولا سره » . والسره : البيض .

(٢) فيما عدا ل : « لاتوجد أبدا » .

(٣) فيما عدا ل : « عند مثالها » ، تحريف .

(٤) أصل معنى الطومار الصحيفة . وأراد بها ما يتجمع فى جوف السمكة من البيض ، ويسمى بالعامية المصرية : « البطارخ » .

(٥) ل : « سليما إذا أذن الله فى ذلك » .

(٦) فيما عدا ل : « والجاموس » .

(زعم العوام فى الكركدن)

والعوامُّ تضرِبُ المثلَ فى الشدّة والقوّة بالكركدَّن ، وتزعم أنه ربما نطحَ الفيلَ فرفعه بقرنه الواتِد فى وسْط جَبْهته[١] ، فلا يشعرُ بمكانه ولا يحسّ به حتّى ينتمطع على الأيّام .

وهذا القولُ بالخرافة أشبَه .

(مزاعم فى ضروب من الحيوان)

وأعجبُ من القول فى ولد الكركدَّن مايخبرنا به ناسٌ من أهل النظر والطبّ[٢] وقراءة الكتب ، وذلك أنّهم يزعمون أنّ النمرة لاتَضَعُ ولدَها أبداً إلاّ وهو متطوِّق بأفعى[٣] ، وأنها تعيش وتنهش ، إلاّ أنها لاتقتل . ولوكنتُ أجسُر فى كتبى على تكذيب العلماء وَدَرَّاسِى الكتب[٤] ، لبدأت بصاحب هذا الخبر .

وليس هذا عندى كزعمهم أنّ الأفعى تلد وتبيض ، لأنَّ تأويل [ذلك أنَّ] الأفعى تتعضَّلُ ببيضها[٥] ، فإذا طرَّقتْ بالبيض تلوّت فحطمَتْه فى جَوفها ، ثم ترمى بتلك القشور والخَرَاشِىّ[٦] أَوّلاً فأولا ، كما لابدّ[٧] لكلِّ ذات حملٍ أن تُلْقِىَ مشيمتَها .

---

(١) الواتد : الثابت المنتصب . فيما عدا ل : « الواحد الذى فى وسط جبهته » .

(٢) فيما عدا ل : « أهل النظر والأدب » .

(٣) انظر ماسبق فى (٤ : ٢٢٢ / ٦ : ٣٤) .

(٤) فيما عدا ل : « ودراس الكتب » .

(٥) تعضلت ببيوضها : عسر عليها إخراجه . فيما عدا ل : « ينفصل ببيضها » : محرف .

(٦) الخراشى : جمع خرشاء ، وهى جلدة البيضة الداخلة ، فيما عدا ل : « الحراشى » محرقة .

(٧) فيما عدا ل : « ولابد » .

ويزعم كثيرٌ من الأعراب أنّ الكَمْأة تتعفّن ، ويتخلّق منها أفاعٍ[١] . فهذا الخبرُ وإن كنت لا أتسرَّعُ[٢] إلى ردّه فإنّى على أصحابه ألْيَن كَنفًا[٣] .

(قرن الكركدن)

وأمّا قَرْن الكَرْكَدَّن فخبَّرنى من رآه[٤] ممّن أثِقُ بعقْله ، وأسكن إلى خبَره ، أنَّ غِلَظَ أصله وسَعَةَ جسمه يكونُ نحواً من شِبرين ، وليس طولُه على قدْرِ ثِخَنه . وهو محدَّد الرأس ، شديدُ الملاسة ، ململوم الأجزاء مُدْمج[٥] ، ذو لدونةٍ وعُلوكة فى صلابة ، لايمتنع عليه شىءٌ . ويُجهز مِنْ عِندنا بالبصرة[٦] إلى الصين ؛ لأنّه[٧] يقع إلينا قبلهم ، فإذا قطعُوه[٨] ظهرت فى مقاطعه صُوَرٌ عجيبة[٩] . وفيه خصال غير ذلك ، لها يطلب[١٠] .

(خيل النهر)

وقد كنا نزعُم أنّ الهواء للعقاب ، والمـاء للتمساح ، والغياض للأسَد حتى زعم أصحابُنا أنَّ فى نيل مصر خُيولاً تأكل التماسيح[١١] أكلاً ذريعا

(١) فيما عدا ل : « أفاعى » ، على لغة من يثبت الياء فى المرفوع والمجرور . انظر همع الهوامع (٢ : ٢٠٥ — ٢٠٦) .
(٢) فيما عدا ل : « أسرع » .
(٣) الكنف : الجانب . وفيما عدا ل : « كفا » ، محرفة .
(٤) فيما عدا ل : « من رأى قرنه » .
(٥) ط فقط : « مدبج » ، تحريف .
(٦) إثبات كلمة « من » من ل . فيما عدا ل : « ويحضر عندنا بالبصرة » .
(٧) فيما عدا ل : « إلا أنه » .
(٨) فيما عدا ل : « فإذا ظهر » .
(٩) فيما عدا ل : « صورة عجيبة » .
(١٠) فيما عدا ل : « لما يطلب » .
(١١) فيما عدا ل : « التمساح » ، محرفة .

وتقوى عليها قوةَ ظاهرة ، وتغتصِبُها أنفسَها فلا تمتنع عليها ، وعارَضوا مَن أنكر خيلَ الماء ، بخنازير الماء وبكلابِ الماء ، وبدُخّس الماء[1] .

(إنقاذ بعض حيوان البحر للغريق)

ولم أجدْهم يشكّون أن بعضَ الحيوان الذى يكون فى البحر ممّا ليس بسمك [وهو يعايش السمك] — وقد ذهبَ عنّى اسمُه[2] — [أنّه] متى أبصر غريقاً[3] عرَض له وصار تحت بَطنه وصَدْره ، فلا يزال كالحامل له والمُزْجى والمعين ، حتى يقذفَ به إلى جزيرة ، أو ساحلٍ ، أو جبل .

وأصنافُ سمك البحر ، وأجناسَ ما يعايش سمكَ البحر [لاتكون فى أوساط اللُّجج وفى تلك الأهوَار العِظام ، مثل لجّة سُقُوطْرَا ، وهركند ، وصنجى[4] . وكذلكَ أهلُ البحرِ] إذا عاينُوا نباتاً أو طيراً ، أيقَنُوا بقرب الأرض[5] إلاّ أنّ ذلك القريب قد سمّيَ بعيداً ، فلذلك سَلِم ذلك الغريقُ بمعونة ذلك الحيوان .

(مسالمة الأسد للببر ومعاداته للنمر)

٤٣ فأمّا الأسَد والبَبْر فَمُتسالمان ، وأما الأسد والنمر فَمُتَعَاديان[6] والظَّفَر بينهما سِجال . والنّمر وإن كان ينتصف من الأسد فإنّ قُوَّته على سائر

---

(١) انظر الدخس ما مضى فى (١ : ٣١ / ٥ : ٥٤٥ / ٦ : ٢٢ / ٧ : ٤٠) فيما عدا ل : « وبديس الماء » ، محرف .

(٢) انظر حواشى إشارات الأرقام التى فى التنبيه السابق .

(٣) فيما عدا ل : « إذا أبصر غريقا » .

(٤) سقوطرا ، أرسقطرى ، بضم السين والقاف فيهما : جزيرة كبيرة ، فيها عدة قرى ومدن تناوح عدن . وهركند : بحر فى أقصى بلاد الهند والصين ، فيه جزيرة سيلان . وأما « صنجى » فلم أجدها فيما لدى من المراجع .

(٥) فيما عدا ل : « أيقنوا بالأرض » .

(٦) فيما عدا ل : « فيتسالمان » و « فيتعاديان » .

الحيوان دون قوّته على الأسد[1] ، وبدنه فى ذلك أحملُ لوَقْع السِّلاح .
ولا يعرِضُ له البَبْر[2] ، وقد أيقنا أنَّهما ليسا من بابته ، فلا يعرض لها ،
لسلامة ناحيته وقلة شرِّه ، وهما لايعرضان له لما يعرفان من أنفسهما من
العَجْز عنه . وأمَّا البهائم الثلاث اللواتى[3] ذكَرْناها فإنَّها فوق
الأسد والنمر .

والبَبْر هندىٌّ أيضا مثل الفيل ، و [أمَّا] الكركدَّن فلا يقوم له سبعٌ
ولا بهيمة ، ولا يطمع فيه ، ولا يَرومُ ذلك منه .

(مبارزة الجاموس للأسد)

وأمّا الجاموس والأسَد فخبَّرنى محمد بن عبد الملك أنَّ أميرَ المؤمنين
المعتصمَ بالله ، أبرَزَ للأسد جاموسَيْن فغلبَاه[4] ، ثم أبرز له جاموسةً ومعها
ولدُها فغلبته وحمَتْ ولدَها منه ، وحَصَّنته ، ثم أبرز له جاموساً وحْدَه
فواثَبَه ثم أدبر عنه[5] .

هذا وفى طبع الأسد الجرأة عليه ، [لأنَّه يعدّ الجاموسَ من طعامه ،
والجاموسُ يعرف نفسَه بذلك ، فمع الأسد من الجُرأة عليه على حسَب ذلك

---

(١) فيما عدا ل : « دون قوة الأسد » .
(٢) فيما عدا ل : « ولا يعرض النمر البر » .
(٣) فيما عدا ل : « التى » .
(٤) فيما عدا ل : « جاموستين فغلبتاه » .
(٥) فى نهاية الأرب (١٠ : ١٢٤) : « وليس ما حكى عن المعتصم فى أمر الجاموس وغلبته للأسد بعجيب ، فإن الجواميس بالأغوار تقاتل الأسد وتمانعه وتدفعه ، فلا يقدر على قهرها . وأصحاب الجواميس هناك منهم من يغلف قرونها بالنحاس ويحددون أطرافه ، يقصدون بذلك إعانته على حرب الأسد وقتاله » .

ومع الجاموس من الخوف على قَدْر ذلك . وفى معرفة الأسد أنّ له فى فمه من السِّلاح ماليس لشىء سواه ، وفى معرفة الجاموس بعدم ذلك السِّلاح منه ، فمعه من الجرأة عليه] بمقدار مامع الجاموس من التهيُّب له ، فيعلم أنّه قد أعطى فى كفِّه ومخالبه من السلاح ماليس لشىء سواه . ويعلم الأسَد والجاموسُ جميعاً أنّه ليس فى فم الجاموس ويده(١) وظِلْفه من السِّلاح قليلٌ ولا كثير ، فمع الأسد من الجراءة عليه ، ومع الجاموس من الخوف منه ، على حَسب ذلك . ويَعلمُ الأسدُ أنّ بدنَه يَمُوج(٢) فى إهابه ، وأنّ له مِن القوَّة على الوثوب والضَّبْر(٣) والحُضْر ، والطَّلَب والهرَب ، ماليس فى الجاموس ، بل ليس ذلك عند الفَهْد فى وثوبه ، ولا عند السِّمْع(٤) فى سرعة مَرِّه ، ولا عند الأرنب فى صَعْدَاء ولا هَبُوط(٥) ، ولا يبلُغُه نَقَزان الظَّبى إذا جَمَعَ جراميزهُ ، ولا ركْضُ الخيلِ العِتاق إذا أُجيد إضمارُها . والجاموسُ يعرف كلَّ ذلك منه ، ومع الجاموس من النُّكوص عنه بقَدْر مامع الأسد من الإقدام عليه ، ويعلم أنّه ليس له إلّا قرنُه وأنّ قرنَه ليس فى حدّة قُرون(٦) بقَر الوحْش ، فضلاً عن حِدّة أطراف مخالب الأسَد وأنيابه

---

(١) فيما عدا ل : « ويديه » .

(٢) ط ، س : « يتموج » .

(٣) الضبر ، بالضاد المعجمة : جمع القوائم فى العدو . وفى الأصل : « الصبر » .

(٤) فيما عدا ل : « السبع » ، تحريف . انظر (١ : ١٨٢) حيث ذكر أنه أسرع من الطير والريح .

(٥) ط ، ه : « صعد » . والصعد ، بالتحريك : مقابل الهبوط ، والهبوط ، بالفتح : الانحدار والانخفاض . وأما « الصعداء » وهى التى وردت فى ل ، س فهى اللفظة التى يختارها الجاحظ فى مثل هذا . انظر (٥ : ٤٤٧ / ٦ : ٣٥٦ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦) .

(٦) فيما عدا ل : « قرن » .

وأن قرنه مُبْتَذَلٌ[١] ، لا يصان عن شيء . ومخالب الأسد فى أكمام وَصِوان[٢] .

وإذا قوى الجاموسُ مع هذه الأسباب المجبِّنة[٣] على الأسد مع تلك الأسباب المشجِّعَة[٤] حتى يقتله أو يعرِّدَ عنه[٥] ، كان قد تقدَّمه تقدُّمًا فاحشاً ، و [قد] علاه عُلوًّا ظاهرا . فلذلك قدَّمنا الجاموسَ وهو بهيمة ، وقدَّمنا رؤساء البهائم على رؤساء السباع . هذا سِوى مافيها من المرافق والمنافع والْمَعاون[٦] .

والجاموس أجْزَعُ خلْق الله مِن عَضِّ جِرجِسةٍ[٧] وبعوضةٍ ، وأشدُّه هرباً مِنْهُما إلى المــاء[٨] . وهو يمشى إلى الأسد رَخِيَّ البال[٩] ، رابط الجأش ، ثابت الجنان . فأمَّا الفيلُ فلم يولِّد الناسُ عليه وعلى الكركدَّن ما ولَّدُوا من إفراط القُوَّة[١٠] والنَّجــدة والشَّهامة ، إلّا والأمرُ بينهما متقاربٌ عندهم :

٤٤

---

(١) ط ، هـ : « معبذل » ، تحريف .

(٢) الصوان ، بالضم والكسر : ما يصان به الشيء . وفيما عدا ل : « مران » تحريف . انظر ما مضى فى (٤ : ٢٨٤ / ٥ : ٣٤٦) .

(٣) ط : « المخففة » س ، هـ : « المخيفة » ، صوابهما فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « الأنياب المستحقة » ، تحريف .

(٥) التعريد : الإحجام والنكول والفرار . فيما عدا ل : « يمرض » .

(٦) المعاون : جمع معونة ، وهى الإعانة .

(٧) الجرجس : صغار البعوض . فيما عدا ل : « خرشنة » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « وأشد هربا » . منهما ، متعلق بـ « هربا » ، أى هربه من الجرجسة والبعوضة . فيما عدا ل : « منها » .

(٩) ط فقط : « رضى البال » .

(١٠) ط فقط : « فرط القوة » .

(مغالبة الفيل للأسد)

والهندُ أصحابُ البُبور والفُيول ، كما أنَّ النُّوبةَ أصحابُ الزَّرافات دونَ غيرهم من الأُمم . وأهلُ غانةَ إنما صار[١] لباسُهم جلودَ النمور [لكثرة النمور] بها . إلا أنَّها على حالٍ موجودةٍ فى كثيرٍ من البُلدان .

وقد ذكَرُوا بأجمعهم قُوَّةَ الفيلِ الوحشىِّ على الأَسد ، وقالوا فى الفِيَلة الأَهليَّة إذا لقِيتْ عندنا بالعِراق الأُسْد وجمعنا بينهما[٢] . قالوا : أما واحدة فإنّ ذُكور الفِيَلة لاتكاد تعيشُ عندكم ، وأنيابُها التى هى أكبَرُ سلاحِها لاتنبُت فى بلادكم[٣] ، ولا [تعظُم ولا] تزيدُ على ما كانت عليه ما أقامت فى أرضكم ، وهى أيضا لاتتناتج عندكم ، وذلك من شدّة مُخالَفة البلدة لِطبائعها[٤] ونقضها لقواها . وإنما أسْرَعَ إليها الموتُ عندكم للذى يعتريها من الآفات والأعراض فى دُوركم ، فاجتمعت عليها خصال ، أوّل ذلك أنّها مع الوحش[٥] [و] فى صميم بلادها أجرأ وأقوى ، وأشهَمُ نفسًا وأمضى ، فلمّا اصطَدْناها بالحِيَل[٦] ، وصيَّرْناها مقصورة[٧] أهليَّة بعد أنْ كانت وحشيَّةً وفى غير غذائها ، لأنّها كانت تشرب إذا احتاجت ، وتأكل إذا احتاجت وتأخذ من ذلك على مقادير ما تعرف من مَوقعِ الحاجة[٨] ، فلما صارت

---

(١) ط : « ما صار » تحريف .

(٢) ل : « بينها » .

(٣) فيما عدا ل : « أكثر سلاحها لاتنبت ببلادكم » ، وفيه تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « وطبائعها » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « من الوحش » ، تحريف .

(٦) ط : « بالجبل » ، محرفة .

(٧) مقصورة : محبوسة . وفيما عدا ل : « مقهورة » .

(٨) فيما عدا ل : « من ذلك مقدار مانعرف من توقع الحاجة » ، محرف .

إلى قيام العبيد عليها ، والأجَراء بشأنها[١] ، والوكلاء بما يصلحها دخل ذلك من النقض[٢] والخوَر ، والخطأ والتقصير ، على حسب ما تَجِدُ[٣] فى سائر الأشياء ، ثم لم نَرْض بذلك حتّى نقلناها من تلك البلدة على إنكارها لتلك البلدة[٤] ، فصيَّرْناها إلى الضدِّ بعد أن كانت فى الخلاف .

وقد علمنا أنَّ سبيلَها سبيلُ سائر الحيوان ، فإنّ الإبلَ تموت ببلاد الروم وتَهلكُ وتسوءُ حالُها[٥] ، والعقارب تموت [فى مدينة حِمْص] ، والتماسيح تموت إن نُقلت إلى دِجلة والفرات ، والنّاس يصيبهم الجلاءُ فيموتون ويتهافتون . وقد علمنا أنَّ الزِّنج إذا أُخرجوا من بلادهم فما يحصل[٦] بالبصرة عندنا منهم [إلاَّ اليسير] ؛ وكذلك لو نقلوا إليكم بزر الفُلفُل والسَّاج والصَّندل والعُود ، وجميعَ تلك الأهضام[٧] ، فما امتناعُ نباتِ العاج ببلادكم إلاّ كامتناعِ نباتِ الآبنوس ، وإن كان ينبت فى حيوان والآخر[٨] فى أرض .

فلا يفتخرنَّ مفتخر فى الأسد فى هذه البلدة إذا قاوم الفيل[٩] . والأسد هاهنا فى بلاده وفى الموضع الذى تتوفّر أموره عليه ، لأنَّ أُسْد العراق هى الغاية ، وأقواها أُسْد السّواد ثم أُسْد الكوفة[١٠] . ولأنّ الفِيَلَة عندكم أيضاً

---

(١) فيما عدا ل : « لسواسها » .

(٢) س ، هـ : « النقص » بالصاد المهملة .

(٣) ل : « يجد » بالياء .

(٤) فيما عدا ل : « حتى نقلنا ما كانت تجده من إنكارها لتلك البلدة » .

(٥) انظر ما سبق فى (٤ : ٧١) .

(٦) فيما عدا ل : « إذا خرجوا من بلادهم كما يحصل » ، وفيه تحريف .

(٧) الأهضام : الطيب ، وقيل البخور ، واحده هضم ، بالكسر ، وهضم وهضمة بالفتح .

(٨) ط ، هـ : « والأرضى » س : « والأرض » ، صوابهما فى ل .

(٩) ط ، هـ : « قام الفيل » س : « أقام الفيل » ، صوابهما فى ل .

(١٠) ل : « أسود » فى هذا الموضع وسابقه .

٤٥ تَرَى عندَكم السَّنانير ، وقد جَعَل اللهُ فى طَبْع الفيل الهربَ من السِّنَّور والوَحشةَ منه ، كما أنَّ بعضَ شُجعانِكم يمشى إلى الأسد ، ويقبض على الثُّعبان ، ولا يستطيع النَّظَرَ إلى الفأر والجرذان ، حتى يهرُب منها كلَّ الهرب ، ويعتريه من النَّفضة[1] واصفرار اللَّوْن مالا يعترى المصبور على السَّيف[2] وهو يلاحِظُ بريقَه عند قفاه .

(خوف عبد الله بن خازم من الجرذ)

وذكر علىّ بن محمد السميرى[3] قال : بينما عبد الله بن خازم السُّلَمىّ[4] عند عبيد الله بن زياد ، إذ أُدْخِلَ على عبد الله[5] جرذ أبيض ليُعجَّبَ منه[6] ، فأقبل عبيدُ الله على عبد الله فقال : هل رأيتَ يا أبا صالحٍ أعجبَ من هذا الجرذ [قط] ؟ وإذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخٌ ، واصفرَّ حتى [صار] كأنَّه جرادة [ذَكَرٌ[7]] ، فقال عبيد الله : أبو صالحٍ يَعصِى الرَّحمن ، ويتهاوَنُ بالشيطان ، ويقبض على الثعبان ، ويمشى إلى الأسَد ، ويَلقَى الرِّماح بوجهه ، وقد اعتراه من جُرَذ ماترون ؟ ! أشهَدُ[8] أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير .

---

(١) فيما عدا ل : « القبض » .

(٢) المصبور : الذى يحبس ويمسك للقتل . ل : « الصبور » ، محرف .

(٣) ل : « السمرى » .

(٤) فى الأصل : « حازم » ، صوابه بالخاء المعجمة ، كما فى المعارف ١٨٤ .

(٥) فى الأصل : « إذ دخل » ، وفيما عدا ل : « إذ دخل عليه » .

(٦) فيما عدا ل : « ليقبل منه » .

(٧) انظر لصفرة ذكور الجراد ما مضى فى (٣ : ٤٢ - ٤ : ١٧٤ - ٥ : ٥٥٩) .

(٨) ط ، هـ : « اشهدوا » .

(خوف الفيل من السنور)

وإذا عاين الفيلُ الأسدَ رأى فيه شَبَه السِّنّور ، فيظنُّ أنه سنّور عظيم فلا يبلغ [منه] مقدارَ تلك المناسبة ، وذلك الشّبه ، ومقدارَ ذلك الظنّ مايبلغ رؤيةُ السِّنَّور نفسِه . وليس هربُه منه مِن جهةِ أنّه طعامٌ له ، وأنّه إن ساوَرَه خافه على نفسه[١] ، وإن كان فى المعنى يرجع إلى أنّه طعامٌ لصغار السِّباع وكبارها . وهَلْ قتل أسدٌ[٢] قطُّ فيلاً ، ومتى أكله ؟ !

وإنَّه مع ذلك لَرُبَّما رَكَله الرَّكْلة ، فإمّا أنَ يقتُلَه ، وإمَّا أنْ يذهبَ عنه هارباً فى الأرض ، وإمَّا أن يُجْلِيَهُ[٣] .

وأيّة حُجَّة على الفيل فى أن يرى سنوراً [فينفر منه ؟ ! فالأسـدُ يُشار إليه بِشُعلةٍ من نار ، أو يُضرَب له بالطَّسْتِ فيهربُ منه ، فإنما هذا كنحو تفزُّع الفرَس من كلِّ شيءٍ يراه فى الماء وهو عطشانُ فيأباه .

ويزعم ناسٌ من أصحاب الخيل أنّ الفرَس ليس يضرب بيديه فى المـاء الصافى ليثوِّره ، لأنَّ المـاء الكدرَ أحبُّ إليه ، وما هو إلا كالثَّور الذى يحبُّ الصافى ويختاره ، ولكنه إذا وقف على المـاء الصافى رأى فيه ظِلّه وظلّ غيرِه من الأشخاص] ، فيفزعه ذلك ، فلمعرفته بأنَّ المـاء الكدرَ لاتتصوَّر فيه الصُّوَر يضرِب بيديه . هذا قول هؤلاء[٤] . وأمَّا صاحبُ

---

(١) فيما عدا ل : « غلبه على نفسه » .

(٢) فيما عدا ل : « الأسد » .

(٣) ل : « يجليه » فيما عدا ل : « يخليه » ، ولعل وجهه ما أثبت .

(٤) فيما عدا ل : « بعضهم » .

المنطق وغيرُه ممَّن يدَّعى معرفةَ شأنِ الحيوان فإنّه يزعُم أنَّ الفرسَ بالماء الكدِر أشدُّ عُجْباً منه بالماء الصافى ، كما أنَّ الإبلَ لا يُعجِبها الماءُ إلاَّ أنْ يكونَ غليظاً ، وذلك هو الماءُ النَّمير عندهم . وإنَّما تصلُح الإبل عندَهم على الماء الذى تصلُح عليه الخيل .

(تداوى الحبشة والنوبة بأضراس خيل الماء وأعفاجها)

ويزعُم مَنْ أقام ببلاد السُّودان أنَّ الذين يسكُنون شاطىء النيل من الحبشة والنُّوبة ، أنهم يشربون الماء الكدر ، ويأكلون السَّمك النِّىء فيعتريهم طحالٌ شديد[١] ، فإذا شدُّوا على بطونهم ضِرْسا من أضراس خَيل الماء وجدُوه صالحا لبعض ما يعرض من ذلك . ويزعمون أن أعفاج هذا الفرس تُبْرِئُ من الصَّرْع الذى يكون فى الأهِلَّة[٢] .

(دفاع صاحب الأسد)

وقال بعض من يَنْصُرُ الأسَد[٣] : إن الأُسْدَ فى الهند أضعَفُ ، بل هى ضعيفةٌ جدًّا ، والفيل فى بلادهم أقوى ، والوحشى منها [أجرأ] ، والمغتلم لايقوم له إلا الكركدَّن ؛ وإنه ليهجُم عليه[٤] فيحجم عنـه حتى ٤٦

(١) إنما هو الطحل ، بالتحريك ، وهو وجع الطحال ، بالكسر . ويحتمل أن يكون الجاحظ قد قاسه على الكباد ، بالضم ، وهو وجع الكبد .

(٢) انظر للصرع عند الأهلة مامضى فى (٥ : ٤٧٩ – ٦ : ٢٤٣) .

(٣) فيما عدا ل : « يبصر بالأسد » تحريف .

(٤) ط ، هـ : « ليقحم » س : « ليفحم » ، وهذه محرفة . وأثبت مافى ل .

تذهب عنه سَكْرة الغلْمة ، فيرجعُ إلى معرفةِ حال الكركدَّن فلا يَطور طوَارَه[١] ، ولا يحلُّ بأَداني أرضه[٢] .

وأما الفيل فإذا كان غيرَ هائجٍ والأسدُ فى غير أيَّام هِيَاجِه[٣] ثم يكونُ الأسَدُ عِراقيًّا ويكونَ سَوادِيًّا ويكون من أجَمَة أبْزيقيا[٤] فإنَّ الفيلَ لايقوم له .

(قول صاحب الفيل)

وقال صاحب الفيل : الفيل لايُعاينُ أسداً أبْزيقيًّا[٥] حتى تفسَخَه البلْدة ، وتَهدِمَهُ الوحشة[٦] ، ويُمرضه الغِذاء ، ويُفسده الماء . وهو لايصل إلى ذلك المكان حتى يجمع بينه وبين [ذلك] الأسد ، وحتى يَسْمَع تجاوُبَ السَّنانير وتَضَاغِيَها[٧] — وهو أسمَعُ من قُراد — فيغِبّ ذلك فى صدره[٨] ، وتتزايد[٩] تلك الوَحشةَ فى نفسه ، فمتى رأى أسداً قائماً فربَّما دعَته الوحشة[١٠] منه ، والبغض المجعُول[١١] [فيه] ، إلى الصُّدُود والذَّهاب

---

(١) لايطور طواره : لايقرب منه . والطور والطوار : ما كان على حذو الشىء أو بحذائه . فيما عدا ل : « طوره » .

(٢) فيما عدا ل : « ولا يخليه » ، محرف .

(٣) فيما عدا ل : « سفاده » .

(٤) فيما عدا ل : « أفريقيا » .

(٥) فيما عدا ل : « أفريقيا » .

(٦) فيما عدا ل : « وتوهنه الوحشة » .

(٧) تضاغيها : تصايحها ، وهو الضغو والضغاء . فيما عدا ل : « وتضغاطها » ، محرف .

(٨) يغب فى صدره : يقع فيه . انظر اللسان (٢ : ١٢٧) . فيما عدا ل : « فيثبت » .

(٩) هـ : « وتزايد » ل : « وتتراد » .

(١٠) فيما عدا ل : « حلته الدهشة » .

(١١) ط ، س : « المجبول » .

عنه . فيظنُّ كثيرٌ من الناس أنَّ ذَهابَه هرَب ، وأنَّ صدودَه جُبْن ، وإنَّما هو من الوَحشة منه ، والكَراهة لمنظَرِته[1] . وربَّما اضطرَّهُ الأسدُ بخَرْقه حتى يُنقَضَ حِلمُه ، ويُغلَب وقارُه ، فيخبطُه خَبطةً لايُفلح بعدها أبداً .

(فخر صاحب فرس الماء)

قال صاحبُ الفَرَس : زعمتم أنَّ الأسدَ فى الأرض كالعقاب فى الهواء ، وكالتمساح فى الماء ، وأنَّ تمساحا وأسداً اعتلجا على شريعةٍ فقتَلَ كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه ، وكأنَّ التمساح ضرب [الأسد] بذنبه فى الشريعة ، وضغمَ الأَسدُ رأْسَه فماتا جميعاً .

قال : والفرَسُ المائىُّ بالنِّيل يقتُلُ التَّماسيحَ ويقهرُها ويأكلها ولا يُساجلُها الحرب ، ولا تقَعُ بينهما مغالَبةٌ ومجاذَبة ، وتكون الأيام بينهما دُوَلاً . فهذه فضيلةٌ ظاهرة على الأَسد ، وشرفُ فرَس الماء راجعٌ إلى فرس الأَرض ، فإنْ كان فرسُ الأرض لايقوى على الأَسَد ولا على النَّمر ولا على البَبْر ، فإن ابنَ عمِّه وشكلَه فى الجنْسِ قد قوِىَ على التِّمساح وهو رئيسُ سُكان الماء .

قالوا : أمَّا واحدة فإن التمساح ليس برئيسِ سُكان الماء إلا أن تَريد[2] بعضَ سكان الأَودية والأَنهار والخُلجان والبُحَيْرات[3] فى بعض

---

(١) فيما عدا ل : « لمنظره » . وانظر لاستعمال الجاحظ « المنظرة » ماسبق (٣ : ٣٩٥ / ٥ : ٤٨ ، ١٦٠) .

(٢) فيما عدا ل : « يريد » .

(٣) البحيرات : جمع بحيرة ، وهو البحر الصغير ، أدخلوا الهاء فيه على توهم « بحرة » . فيما عدا ل : « المتحيزات » .

المياه العذبة . والكوسج والُّلخْم والسَّرَطان والدُّلْفين وضُرُوبٌ من السباع[١] مما يعايشُ السَّمك ليس التمساح من بابه[٢] . وعلى أن التمساح إنما[٣] يأكله ذلك الفرسُ وهو فى الماء ، وليس للتمساح فى جوف الماء كبيرُ عملٍ إلا أن يحتمل شيئاً بذنبه ويحتجنَه إليه[٤] ، ويدخله الماء ؛ وربَّما خرج إلى الأرض للسِّفاد ولحضْن البيض ، فلا يكونُ على ظهر الأرض شئٌ أذلُّ منه . وذلُّه على [ظهر] الأرض شبيهٌ بذُلِّ الأسَد فى وسط الماء الغَمْر . ولَعمرى أنْ لو عَرَض له هذا الفرسُ فى الشرائع فغلبه[٥] لقد كان ذلك من مفاخره ، فلذلك لم تُذْكَر[٦] الخيل فى باب الغلبة ، والقتال والمساجلة ، والانتصاف من الأعداء . ٤٧

والفرَس قد يُقاتل الفرسَ فى الْمرُوج إذا أراد أن يحمِىَ الُحجور ، كما يحمِى العيرُ العانة ويقاتل دونها[٧] كلَّ عيرٍ يريد مشاركتَه فيها ، وهذا شئٌ يعرض لجميع الفُحولة فى زمن الهيج .

وقد يصاوِلُ الجملُ الجملَ فربَّما قتلَ أحدُهما صاحبَه ، ولكنَّ هذه الفَحولةَ لاتعرِض لشئٍ من الحيوان فى غير هذا الباب .

---

(١) أى سباع البحر . وفيما عدا ل : « من السمك » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « ينهش التمساح من بابه » ، محرف .

(٣) فيما عدا ل : « ربما » .

(٤) الاحتجان : الضم والإمساك ؛ وأصله أن يجذب الشئ بالمحجن ، وهو عصا معققة الرأس . فيما عدا ل : « ويلحجه إليه » ، وهى صحيحة أيضا ، يقال ألحجه إليه ، أى أماله .

(٥) فيما عدا ل : « فقتله » .

(٦) فيما عدا ل : « لم نذكر » .

(٧) فيما عدا ل : « عليها » .

وإن أرادَ الفرسَ أسدٌ ، فليس عنده من إحراز نفسه وقَتْل عدوِّه ماعند الجاموس ، فإنْ فضَلَه الجاموسُ بقرنيه ، فإن السِّلاح الذى فى فَم الفَرس[1] لو استعمله لكان سِلاحا ، ولو استدْبَرَ الأسدَ فركله ورَمحه وعَضّه بفيه ، لكان ذلك ممَّا يدفع عنه ويحمِى لحمَه .

وليس للجاموس فى أظلافه وفى [يديه و] رجليه وفى فمه سلاح ، فقد دلّت الحالُ على أنّ مدارَ الأمر إنَّما هو [فى] شَجاعة القلب .

وفى هذا القياس أنّ الصَّقْر إنَّما[2] يواثِبُ الكُرْكِىَّ لمكان سلاحه دون شجاعة القلب[3] التى يقوى بها الضَّعيف ، و بخلافها يضعُف القوىّ .

وسأقرّب ذلك عندك[4] ببعض ماتعرِفه ، لانَشكّ[5] أنّ الهرّ أقوى من الهرَّة فى كلِّ الحالات ، حتى إذا سفِدها فحدثَتْ بينهما بغضاء ومطالبة[6] حدثت للهرَّة شجاعةٌ وللهرِّ ضَعف ، فصارت الهرَّةُ فى هذه الحال أقوى منه ، وصار الهرُّ أضعف . ولولا أنَّه يُمعِن فى الهرب غايةَ الإمعان ثمَّ لحقته ، لقطَّعته وهو مستخْذٍ .

ومثل ذلك[7] أنَّ الجُرذ يُخْصَى ، ويرمى به فى أنابِير التّجّار[8]

---

(١) فيما عدا ل : « فإن البيان الذى فى القرن » محرف .

(٢) ل : « لم » .

(٣) ل ، س : « قلبه » .

(٤) فيما عدا ل : « وسأقرو لك ذاك » لكن فى هـ : « وسافر » ؛ وهذه محرفة .

(٥) فيما عدا ل : « لاتشك » بالتاء .

(٦) فيما عدا ل : « حدث بينهما بغض ومطالبة » مع زيادة واو أول الكلام بعدها .

(٧) فيما عدا ل : « ومثال ذلك » .

(٨) الأنابير : جمع أنبار ، والأنبار : جمع نبر بالفتح . والأنبار : أهراء الطعام ، وهى البيوت الكبيرة الضخمة التى يجمع فيها طعام السلطان . س : « أبابين » ، بالإهمال . هـ : « أبابين » محرفتان . انظر ما سبق فى (٥ : ٣٦٠) .

وفى الأقرِحَة[١] والبيادر ، فلا يدَعُ جُرذًا ضخما قد أعيا المرّ[٢] وابن عِرْس إلاَّ قَتَلَه ، وإنْ كان أعظمَ منه وأشدّ .

والخَصىُّ من كلِّ شيءٍ أضعَفُ قوّةً من الفَحْل إلّا الجرذ ، فإنه إذا خُصى أحدث له الخصاء[٣] شجاعةً وجَراءة ، وأحدثَتْ له الشَّجَاعة قوّة وأحدث علم الجرذان بحال الخصاء لها[٤] جُبْنا ، وأحدَثَ الُجبنُ لها ضعْفاً .

والرَّجُلُ الشّدِيدُ الأسر قد يَفْزَعُ فتنحلُّ قُوَاهُ[٥] ، ويسترخى عصبُه حتّى يضربه الصبىُّ . والذِّئبُ القوىُّ من ذئاب الخمَر[٦] يكون معه الذئبُ الضعيف [من ذئاب البرارى] ، فيصيب القوىَّ خدشٌ يسيرٌ[٧] ، فحينَ يَشَمُّ ذلك الذئبُ الضعيف رائحةَ الدَّم وثب عليه[٨] ، فيعترى ذلك القوىَّ عند ذلك من الضّعف بمقدار ما يعترى الضعِيفَ من القُوَّة حتى يأكله كيف شاء .

---

(١) الأقرحة : جمع قراح ، كقذال وأقذلة . والقراح : الأرض المخلصة لزرع أو لغرس ، وكل قطعة على حيالها من منابت النخل وغير ذلك . ط ، س : « الأبرجة » هـ : « الأبرحة » ، صوابهما فى ل . وانظر ماسبق فى (٥ : ٣٢٣) .

(٢) ل : « قد غلب الهر » .

(٣) فيما عدا ل : « الخصى » ، وهو تحريف كتابى .

(٤) لها ، أى الجرذان التى لم تخص . وفى س : « له » أى بحال الخصاء الجرذ . أقحمت كلمة « له » بعد « أحدث » فى كل من ط ، هـ .

(٥) فيما عدا ل : « قوته » .

(٦) الخمر ، بالتحريك : ماواراك من شجر وغيره . انظر لذئب الخمر ما سبق فى (١ : ٢٢٠ / ٤ : ١٣٣ ، ١٣٤ / ٦ : ١٢٣ ، ١٧١ ، ١٨٨ ، ٤١٠) . فيما عدا ل : « ذئب الحم » تحريف .

(٧) بدلها فيما عدا ل : « فإن رمى القوى أحدث ذلك الضعيف طمعا » .

(٨) وثب عليه ، كذا وردت فى جميع النسخ ، على الحكاية . فيما عدا ل : « فعنده مايرى الدم وثب عليه » .

والأسَد الذى يعتريه الضَّعف فى الماء الغَمْر حتَّى يركبَ ظهرَه الصبىُّ ثم يقبضَ على أذنيه فيُغُطّه [1] كيف شاء .

وقد يفعل به ذلك غِلمان السَّوَادِ وشاطئ الفرات ، إذا احتملت ٤٨ المدودُ الأسَدَ لاتملك من أنفُسها شيئاً ، وهو مع ذلك يشدُّ على العسكر حتى يفرقه فَرْقَ الشعَر [2] ، ويطويه طيَّ السِّجِل ؛ ويهارِشُ النمرَ عامّة يومه [3] لايقتلُ أحدُهما صاحبَه ، وإنْ كان الجمل الهائجُ باركا أتاه [4] فضرب جنبَه ليثْنِيَ إليه عنقَه ، كأنه يريد عضّهُ [5] فيضربُ بيساره إلى مشْفره [6] فيجذبه جذبةً يفصل بها [بين] دَأْيات عنُقه ، وإن ألفاه قائماً وثب وثبة [7] فإذا هو فى ذروة سنامه [8] ، فعند ذلك يصرفه كيف شاء ، ويتلعَّب [9] به كيف أحبّ .

ونحن لانشكُّ أنّ للفَرَس تحتَ الفارس غَناءً فى الحرب لايُشْبهه غَناء ، ولذلك فُضِّل فى القَسْم . وإنما ذلك بتصرِيف راكِبه له ، وقتالِه عليه . فأمَّا هو نفسهُ فإنه إذ كان [10] أوفرَ سلاحا من الجاموسِ

---

(١) غطه فى الماء يغطه ، بضم غين المضارع وكسرها : أى غمسه . ل : « فيعطيه » ، محرفة .

(٢) فيما عدا ل : «حتى يفرق تفريق الشعر » .

(٣) اليوم : النهار . فيما عدا ل : « عامة نهاره » .

(٤) فيما عدا ل : « أتى » .

(٥) ط ، هـ : « غصته » .

(٦) س : « مشرفة » محرفة ط ، هـ : « مشفر فه » ، وأثبت ما فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « وثب به »

(٨) فيما عدا ل : « على ذروة سنامه » .

(٩) فيما عدا ل : « ويلعب » .

(١٠) فيما عدا ل : « فأما هو فى نفسه فإن كان » ، محرف .

وخام عن قِرنه [١] ، واستسلم لعدوّه؛ فإنه من هاهنا لايقدم [٢] [على غيره . ولم يكن اللهُ ليجعلَ [انحصارَ] [جميع] أقسام الخير فى شخصٍ واحد ، ولكن [لمَّا] أن كان [الفَرَس] عليه تقاتل الأنبياءُ وأتْباع الأنبياء، ملوكَ الكفَّار [٣] [وأتْباعَ مُلوك الكُفّار] حتّى يقمَع اللهُ الباطلَ ويُظْهِر الحقّ ؛ فلذلك قدّمناه على جميع البهائم والسِّباع ؛ وإنما نُقدِّمه على الوجه الذى قدَّمه اللهُ فيه .

(الرد على صاحب فرس الماء)

واعترضَ على أصحاب فرَس الماء معترِضون فقالوا : الفرسُ لايكون إلاّ بهيمة ، والبهائم لاتصيد وتأكل صَيدَها ، وإنما طعامُ الفرسِ النَّباتِ وليس اللَّحمُ لها بطعام . وقال النمر بن تولب :

والخيلُ فى إطعامها اللّحمَ ضرَرْ ... نُطعِمُها اللّحمَ إذا عَزَّ الشَّجَرْ [٤]

فى كلمته التى يقول فيها :

* اللهُ من آياته هذا القمرْ *

وقد تُعلَف فى تلك الحالاتِ اللّحمَ اليابس وهسيسَ السّمك [٥] . فأمّا الهسيس [٦] فلخُيول أهل الأسياف خاصّة .

---

(١) خام عنه يخيم : نكص وجبن . ط : « وفر عن قرنه » هـ : « والبقر عن قرنه » تحريف . والكلمة التى قبل « قرنه » موضعها بياض فى س .

(٢) فيما عدا ل : « لايقدر » .

(٣) فيما عدا ل : « وملوك الكفار » ، والواو مقحمة .

(٤) كتاب البغال ٣٢٩ والشعراء ٢٦٨ والأغانى (١٩ : ١٥٩) واللسان (لحم) .

(٥) الهسيس : المدقوق من كل شىء . فيما عدا ل : « حشيش السمك » ، تحرف .

(٦) فيما عدا ل : « الحسيس » . وانظر التنبيه السابق .

(الانتصار لصاحب فرس الماء)

قيل لهؤلاء المعترضين على فَرَس الماء : وقد يكون فى الخلْق المشترك وغير المشترك ما يأكلُ اللَّحمَ والحَبّ . فالمشترك مثلُ الإنسانِ الذى يأكل الحيوان والنبات . و [هذا] العصفور من الخلق [المشترك[1]] لأنّه يأكل الحبّ[2] ، ويصطاد النمل الطيّار والأَرَضة فيأكُلها ، ويأكل اللّحم . والدَّجاجُ تأْكل اللَّحمَ والدِّيدان ، وتحسُو الدّمَ وتلقُط الحبّ . والغراب لايَدَعُ شيئاً إلّا أكله .

وما خرج من حدِّ المشترك وهو[3] كنحو الذِّئب والضَّبع ، وكنحو الشَّاهين والصَّقر ، فإنّ هذه وأشباهَها لاتعرفُ إلا اللَّحم . [والحمامُ] وضروبٌ من الطيرِ لا تعرِف إلّا الحبَّ والنَّبات . والمشتركُ أجمَعُ[4] مما هو غير مشترك .

والسّمكة تأكل الطِّين[5] والنّبات ، وتأكل الجيف التى تصيب فى الماء ، وتُصاد بضروبٍ من الحيوان تُجعل لهـا فى الشُّصوص[6] ، ثم ينصبون لـكلِّ ضربٍ [من السَّمك بضربٍ] من الطُّعم[7] . ٤٩

والجِرّيُّ يأكل الجرذانَ ويصيدُها ، وهو آكلُ لها من السّنانير

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط .

(٢) فيما عدا ل : « يأكل اللحم والصيد » .

(٣) ل : « فهو » .

(٤) أجمع : أى أكثر جمعا لضروب الطعام

(٥) فيما عدا ل : « الطير » ، تحريف .

(٦) الشصوص : جمع شص . وفيما عدا ل : « الشطوط » ، محرف .

(٧) فيما عدا ل : « من الطعام » .

والحيّات والكلابِ السّلوقية ، ويأكلُ الجَرِّىَ جميعَ جِيفِ الموتى .
والسَّمك يأكل السّمكَ ويأكلُ من كلّ حَبّ ونبات يسقط فى الماء .

وإن استفهَمَ مستفهِمٌ ، أو اعترض معترضٌ فقال : وكيف يأكل الجِرِّىُّ الجرذان ، والجرذانُ أرضيَّةٌ بيوتيَّة ، والجِرِّىُّ مائى ؟ قيل له : يخبِّرنا جميعُ مَن يبيتُ فى السُّفن وفى المشارع ، فى فيض[1] البَصرة عندنا ، أنّ جرذان الأنابير[2] تخرُج أرسالاً باللّيل كأنّها بناتُ عِرْس ، والجرِّىُّ قد كَمَنَ لهنَّ وهو فاتحٌ فاه ، فإذا دنا الُجرذُ من الماء فعبَّ فيه التهمه[3] ليس دون ذلك شيء ، بشَجْر فمٍ واسع[4] يَدخُل فى مثله الضبُّ الهرم .
وإنما يضَع بخطمه على الشَّريعة[5] .

(شيء من الطرف والحكم والأشعار)

[وسنذكر شيئاً من الطُّرَف والحِكم والأشعار ، إذْ كُنَّا قد ذَكَرْنا من الكلام فى الحيوان صدراً صالحا ، وأبوابا جامعة ، ثم نعود فى ذكر الفيل إنْ شاء الله ، واللهُ الموفّق . قال الشَّاعر[6] :

ونحنُ أناسٌ لاحجازَ بأرْضِنا ... معَ الغَيْثِ ماتَلْقَى ومَن هو غالبُ[7]

(١) ط فقط : « فيض » تحريف . وفيما عدا ل : « وفى » .
(٢) الأنابير ، سبق تفسيرها فى (٥ : ٣٦٠) . س : « الأيايير » بالإهمال . هـ : « أيايير » صوابهما فى ل ، ط .
(٣) فيما عدا ل : « التقمه » .
(٤) شجر الفم : مفرجه . فيما عدا ل : « بسحر » ، محرف .
(٥) بعد هذه الكلمة فى نسخة كوبريلى المرموز إليها بالرمز « ل » تكملة كبيرة تبدأ من المعقف التالى . وسأنبه إلى موضع انتهائها فيما بعد . وموقع هذه الزيادة فى نسخة كوبريلى مابين صفحتى ١٤٥ ، ١٥٧ ثم مابين صفحتى ١٢ ، ١٥ . وسننبه إلى نهايتها فى ص ١٦٧ .
(٦) هو الأخنس بن شهاب التغلبى ، من قصيدة له فى المفضليات (٢٠٤ - ٢٠٨) .
(٧) أى نلقى مع الغيث : كلما وقع فى بلد صرنا إليه وغلبنا عليه أهله .

وإن قصُرَت أسيافُنا كان وصلُها ... خُطانا إلى أعدائنا فنضارب[١]

ترى كلّ قومٍ ينظرون إليهمُ ... وتقصُر عمّاً يبلغون الذّوائبُ

مثل قول الآخر :

لكلِّ أناسٍ سُـلَّم يَرْتَقَى به ... وليس إلينا فى السَّلاليم مطلعُ

ومنزلُنا الأعلَى حجازٌ لمن به ... وكلُّ حجازٍ إن هبطناهُ بلقَعُ

وينفِر منا كلُّ وحشٍ وينتمِى ... إلى وَحْشِنا وحشُ البِلاد فيَرْبعُ

وقال حسَّان بن ثابت :

ونَدْمانِ صِدقٍ تقطر الخيرَ كَفُّه ... إذَا راح فَضْفاضَ العشيَّاتِ خِضْرِما[٢]

وصلتُ به كفِّى وخالَطَ شِيمَتِى ... ولم أكُ عِضًّا فى الندامى مُلوّما[٣]

لنـا حاضرٌ فعمٌ وبادٍ كأنّه ... شماريخُ رَضْوَى عِزّةً وتكرُّما

ولدْنا بنى العَنْقاء وابْنَىْ محرِّقٍ ... فأكرِمْ بنا خالاً وأكرم بِنا ابنما

لنا الجفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فى الضُّحَى ... وأسيافُنا يقطُرْنَ من نجدةٍ دَما

وقال أعرابىٌّ غزلىّ :

بنفسى وأهلى مَن إذا عَرَضُوا له ... بِبَعض الأذَى لم يَدْرِ كيف يُجيبُ[٤]

ولم يعتذِرْ عُذْرَ البرىء ولم تَزَلْ ... به سَكْتةٌ حتّى يُقَالُ مُريبُ

وقال أعرابىٌّ من هُذيل :

رَعاكِ ضمانُ اللهِ يا أمَّ مالكٍ ... ولَلهُ أن يَسْقِياكِ أولَى وأوسَعُ[٥]

يُذَكِّرُنيكِ الخيرُ والشرُّ والذى ... أخافُ وأرجو والذى أتوقَّعُ

---

(١) انظر تاريخ هذا المعنى فى شرح المفضليات (٢ : ٧) .

(٢) رواية الديوان ٣٧٠ : « بمطر الخير » و : « فياض العشيات » .

(٣) العض ، بالكسر : السيىء الخلق . وعجز هذا البيت فى اللسان والمقاييس (عضض).

(٤) وكذلك ورد البيتان بدون نسبة فى الحماسة (٢ : ١١٨) .

(٥) البيتان بدون نسبة فى البيان (٣ : ٣٣٠) والحماسة (٢ : ١١١)

قطعة من أشعار الاتعاظ

قال الشاعر :

عليك من أمرِكَ ماتستطيع ... ومالَيس يُغْنِيك عنه فَذَرْ

وللصَّمْتُ أجْمَلُ فى حِينِهِ ... مِنَ القَوْلِ فى خَطَلٍ أوْ هَذَرْ

وكم غائبٍ كانَ يَخشَى الرَّدَى ... فعادَ وَأَوْدَى الذى فى الحضَرْ

وبينا الفَتى يُعْجِبُ النَّاظِرِيـ ... ـنَ مال إلى عِطْفِه فانقعَرْ

وبعضُ الحوادث إن يُبْقِهِ ... فإنَّ الفَنَــا شأْنُهُ وَالـكِبَرْ

وكم من أخى نجدة ماهرٍ ... تعلَّقَه الدَّهْرُ حتى عثَرْ

وكم من أخى عثرة مُقْــترٍ ... تأتَّى لهُ الدَّهرُ حَتى انجَبَرْ

وقال علقمة بن عبدة[1] :

وكلُّ قوْمٍ وإن عزُّوا وإنْ كَثُرُوا ... عَرِيفُهُمْ بأَثافى الشَّرِّ مرجومُ

والحمدُ لا يُشْتَرَى إلا لهُ ثمنٌ ... مِمَّا يَضَــنُّ به الأقوامُ معلومُ

والجهلُ مَنْقَصَةٌ شَيْنٌ لصاحبِهِ ... والحِلْمُ آونَةً فى النَّاس مَعْدُومُ[2]

وكلُّ حِصْنٍ وإنْ طالَتْ سلامَتهُ ... على دعائمه لابدَّ مَهدومُ

ومَنْ تَعَرَّضَ للغرْبانِ يَزْجُرُهَا ... عَلَى سَــلامَتِهِ لابُدَّ مشئومُ

وَمُطْعَمُ الغُنْمِ يَوْمَ الْغنمِ مُطْعَمُهُ ... أَنَّى تَوَجَّهَ والمحرومُ مَحْرُومُ

وقال عدىُّ بن زيد العبادىّ ، وهو أحدُ من قدحُمِـل عَلَى شعره الحَمْلُ الكثير ، ولأهل الحِيرة بشعره عناية ، وقال أبو زيدٍالنحوىّ : « لَو تمنَّيت أنْ أقولَ الشِّعر ماقلتُ إلا شعرَ عدىٍّ بن زَيد » :

---

(١) انظر ديوانه ١٢٩ والمفضليات (٤٠١) .

(٢) الحلم : نقيض الجهل . وفى الأصل : « والعلم » ، صوابه فى الديوان والمفضليات .

كَفَى زاجراً للمرء أيَّامُ عُمْـرِهِ ... تَرُوح له بالواعظات وتغتدى
فنفسَك فاحفَظْها من الغىِّ والرَّدَى ... مَتَى تُغْوِها تُغْوِ الذى بك يَقتَدِى
فإنْ كانتِ النَّعماءُ عندَك لامرئٍ ... فمثلاً بهاَ فاجْزِ المُطالب أوزِدِ[1]
عن المرْء لاتَسألْ وأبصِرْ قرينَه ... فإنَّ القرين بالمقارَنِ مُقتدِى[2]
ستُدرِك مِن ذى الجَهْل حقَّك كله ... بحلمك فى رِفْق ولَمَّا تَشَدَّدِ
وظُلم ذوِى القرْبَى أَشـدُّ عداوةً ... على المرء من وَقْع الحُسام المهنَّدِ[3]
وفى كثرة الأيدى عن الظُّلمِ زاجرٌ ... إذا خَطَرَتْ أيدى الرِّجال بمشهَـدِ

قال المهلب بن أبى صُفرة : « عجِبْتُ لمن يشترى المماليكَ بمالِهِ كيف لايشترى الأحرارَ بمعروفه » .

وقال عبد الله بنُ جعفرٍ لرجلٍ يُوصِيه : « عليك بصُحبةِ مَنْ إنْ صحِبْتَهُ زَانَك ، وإنْ تركتَه شانَكَ ؛ إن سألتَه أعطاك ، وإن تركتَه ابتداك ؛ إنْ رأى منك سيِّئة سدَّها ، وإن رأى حسنةً عدَّها ؛ إن وَعَدَك لم يُجْرِضْك[4] وإن ألجِئْتَ إليه لم يرفُضْك » .

وسأل يزيدَ بنَ المهلَّب رجلٌ من أصحابه حاجةً وذَكَرَ له خَلَّة ، فقال : أوجِّهُ بها إليك . ثمَّ حَمَـلَ إليه خمسين ألفَ درهم ، ثم كتب إليـه : « قد وجَّهتُ إليك بخمسينَ ألفَ دِرهم ، لم أذكُرْها تمنُّنا ، ولم أدَعْ ذكرها تجبُّرا ، ولم أقْطَعْ بها لك رَجاء ، ولم أُرِدْ بها منك جزاء » .

---

(١) فى الأصل : « فمثلاتها فاجز المطالب أورد » . وقد جاء على الصواب الذى أثبت فى حماسة البحترى ٢٥٣ .

(٢) فى حماسة البحترى ٣٣٦ : « وسل عن قرينه » .

(٣) نسب هذا البيت إلى طرفة فى معلقته . وقال التبريزى : « قيل إن هذا البيت لعدى بن زيد العبادى وليس من هذه القصيدة » .

(٤) أجرضه : أغصه بريقه بالهم والحزن . وفى الأصل : « لم يعرضك » والإعراض : الإفساد .

وقيل[1] ليزيد : ما أحسَنُ مامُدِحتَ به ؟ قال : قول زياد الأعجم :

فتًى زادهُ السُّلطانُ فى الحمدِ رَغبةً ... إذا غَيَّرَ السلطانَ كلَّ خليلِ[2]

شبيهٌ بقول الآخَر :

فتى زادَهُ عِزُّ المَهابةِ ذِلَّةً ... وكلّ عزيزٍ عندَه متواضعُ

وقال الآخر ، وهو يدخل فى باب الشكر :

شوقى إليك يا أبا العبّاسِ ... طيَّرَ ما أبْلَيْتَنى نُعاسِى[4]

إنّى لمعروفك غير ناسِ ... والشُّكرُ قِدْمًا فى خيار النَّاسِ

أبيات لبعض الشعراء العميان

أنشدنى ابنُ الأعرابىّ لرجلٍ من بنى قُرَيع يَرْثى عينَه ويذكر طبيبا :

لقد طُفتُ شرقَ البلادِ وَغَرْبَها ... فأعْيا عَلَىَّ الطِّبُّ والمتطبِّبُ

يقولون إسماعيلُ نَقّابُ أعيُنٍ ... وما خير عَيْنٍ بعد ثَقْبٍ بمثقبِ

يقولون ماءٌ طيِّبٌ خان عينَه ... وما ماءُ عينٍ خانَ عيناً بطيِّبِ

ولكنّه أيّامَ أنْظُرُ طيِّبٌ ... بعينَىْ قُطامىٍّ علا فوقَ مَرْقبِ[5]

أحَمَّ حديدِ الطَّرْف ماخال عينَه ... شآبيبُ ماءِ المُزْنة المتصبِّبِ

كأنَّ ابنَ حَجلٍ مدَّ فضلُ جناحه ... على ماء إنسانيهما ماءَ طُحلبِ

وقال الخُرَيمىّ :

كفى حزَناً أن لا أزورَ أحبّتى ... من القرْب إلاّ بالتَّكلُّفِ والجهدِ

---

(١) فى الأصل : «فقيل» .

(٢) فى البيان (١ : ٧١) : « فى الود رفعة » . وفى الكامل ٣٦٦ : « فى المدح رغبة » وفى الحماسة بشرح المرزوقى ١٧٩١ : « فى الحمد رغبة » ، مع نسبته فى الحماسة إلى حبيب ابن عوف .

(٣) البيت فى البيان (٢ : ٢٣٣) .

(٤) أبلاه : صنع به صنيعا . قال زهير :

جزى الله بالإحسان مافعلا بكم ... فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

(٥) القطامى ، بضم القاف وفتحها : الصقر .

وأنى إذا حُيِّيتُ ناجَيتُ قائدِى ليُعدِلَنى قبل الإجابة فى الردِّ[(١)]
إذا ماأفاضُوا فى الحديث تقاصَرَتْ بىَ النَّفْسُ حتى ماأحِيرُ وما أُبْدِى
كأنى غريبٌ بينهم لستُ منهمُ فإنْ لم يحولوا عن وفاءٍ ولا عَهدِ
أقاسى خطوبا لايقوم بثِقْلها من الناسِ إلا كلُّ ذى مِرَّةٍ جَلْدِ

باب
فى الحاجة

قال ابنُ الأعرابىّ : قيل للأحنف : أتيناك فى حاجةٍ ، لاتَرْزَؤُك ولا تنكؤك . فقال : « ليس مِثلى يُؤْتى فى حاجةٍ لاتَرْزأ ولا تَنكأ » .

وقال أعرابىٌّ لرجل : « إنى لم أصُنْ وجْهى عن الطَّلب إليك ، فصُنْ وجهَك عن رَدِّى ، وأنزِلْنى مِنْ كرمك بحيثُ وَجْهى مِنْ رجائك » .

وقال أبو عقيل بن دُرُسْت : « لم يقْضِ ذِمامَ التَّأميل ، ولم يَقم بحُرمة الرَّجاء إلّا مَن أعطاها حقَّها ، ووفَّاها حظَّها ، وعرَف قدْرَها ، وكيف يستبقى النِّعمة فيها ، وكيف الشُّكرُ على أداء حقِّها ، بالبِشْر عند المسألة ، وقلّةِ التَّضجُّر عند المعاودة ، وتوكيد الضَّمان عند العِدَة ، وانتهازِ الفرصة عند القُدرة . ويكونُ النُّجح المعجل أحبَّ إليه من عُذْر المَصْدَق[(٢)] ، وحتّى يرى أنَّ حقّك عليه فى بذل وجهك إليه أكثرُ من حقِّه عليك فى تحقيق

(١) يقول : لاأعرف من أين يصدر صوت التحية ، وذلك لثقل السمع ، فأطلب من قائدى أن يوجهنى إلى جهة من حياقى لأرد تحيته . ومثله قول ذى الإصبع فى المعمرين ٩٠ :

لاأسمع الصوت حتى أستدير له ليلا وإن هو ناغانى به القمر

(٢) المصدق : الصدق ، مصدر ميمى .

أملك فيه . ثم إيجاب سترها ، فإنَّ سَتْرَها هو المخبر عنها ، والدالُّ عليها ، والزَّائد فى قدرها ، والمتولِّى لنَشرها[١] » .

وقال الشاعر :

فإنَّ إحياءَها إماتتُها وإنَّ مَنًّا بِهَا يكدِّرَها[٢]

باب فى الوعد والوفاء به والخلف له

قال عمرو بن الحارث : « كنتُ متى شئتُ أن أجِدَ صفةَ من يَعِد ويُنجز وجدتُه ، فقد أعيانى من يعدُ ولا ينجز[٣] » .

وقال أبو إسحاق النَّظّام : « كنَّا نلهو بالأمانى ، ونَطيب أنفسَنا بالمواعيد ، فَذَهَبَ مَنْ يَعِدُ ، وقطعَتْنا الهمومُ عن فضول الأمانى » .

وقال الشّاعر :

قد بَلَوناكَ بحمد اللـــه إن أغنى البلاءُ[٤]

فإذا جُـلُّ مواعيـــدِكَ والجَحدُ سواءُ

وقال أعرابىٌّ : «وعْدُ الكريم نقدٌ وتعجيل ، ووعد اللئيم مَطلٌ وتعطيل» .

(١) فى الأصل : « لبشرها » محرف .

(٢) البيت لعروة بن أذينة ، كما فى عيون الأخبار (٣ : ١٧٣) . وقبله :

لاتتركن ، إن صنيعة سلفت منك وإن كنت لاتصغرها

إلى امرئ ، أن تقول إن ذكرت عندك فى الجد لست أذكرها

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٣ : ١٤٤) وبعده : « قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون فقد صاروا يقولون ويفعلون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون » .

(٤) البيتان بدون نسبة فى البيان (٢ : ٣٥٥) وعيون الأخبار (٣ : ١٤٥) .

وذمّ أعرابيٌّ رجلاً فقال : « إذا أَوْعَدَ (١) صدق ، وإذا وَعَدَ كذب ، ويغضَبُ قبل أن يُشتَمَ ، ويجزِم قبلَ أن يَعْلَم » .

وقال عبدُ الله بنُ قيس الرقيَّات (٢) :

اخْتَرْتُ عبدَ العزيزِ مرتغِبا ... واللهُ لِلمرْءِ خَيرُ مَنْ قَسَمَا

مِن الهاليل مِنْ أميَّةَ يَزْ ... دادُ إذا ما مَدَحْتَه كرَما

جاءت به حُرَّةٌ مهذَّبةٌ ... كلبيَّةٌ كان بيتُها دِعَما

هُنَّ العَرَانينُ من قضاعةَ أَمْـ ... ـثالُ بنيهنَّ تمنع الذِّمَما (٣)

تُكِنُّهُ خِرْقةُ الدِّرَفْس من الشَّمْـ ... ـسِ كلَيْثٍ يُفرِّج الأَجَما (٤)

يقُوتُ شِبْلَين فى مَغارِها ... قد ناهَزَا للفِطام أو فُطِما (٥)

لم يأتِ يومٌ إلا وعندَهُما ... لحمُ رجال أو يَوْلَغان دَما (٦)

فذاك أشبَهْتَهُ ابنُ ليْلَى ولـ ... ـكنَّ ابنَ ليلَى يفوقُه شِيَمَا (٧)

---

(١) فى الأصل : « وعد » .

(٢) من قصيدة فى ديوانه ص ٢٥٣ — ٢٦٠ يمدح بها عبد العزيز بن مروان ، مطلعها :

طرقته أسماء أم حلما ... أم لم تكن من رحالنا أمما

(٣) فى الأصل : « بينهن » ، صوابه من الديوان .

(٤) فى شرح الديوان : « يريد الراية » يعنى خرقة الدرفس .

(٥) فى الديوان : « شبلين عند معاركة » . وفى الأغانى (٤ : ١٦٠) : « وترضع شبلين وسط غيلهما » . وفى اللسان (ولغ) : « مرضع شبلين » . وقد نسب البيت وتاليه فى اللسان إلى ابن هرمة ؛ قال : « ونسبه الجوهرى لأبى زبيد الطائى » . وهذا وهم فى النسبة والرواية .

(٦) يقال ولغ يولغ ، مثل وجل يوجل . وروى : « يألغان دما » ، ولذلك قصة ذكرها صاحب الأغانى . ورواية الأغانى واللسان : « ما مر يوم إلا وعندهما » .

(٧) هذا على الالتفات . ورواية الديوان : « فذاك شبهته ابن ليلى » ؛ يقال شبهه إياه وشبهه به .

مَنْ يَهَبُ البُخْتَ والولائد كالـ ... غِزْلانِ والخيلَ تعلك اللجما

يُنكر « لا » إنّ « لا » لمنكَرَةٌ ... مِنْ فيه إلّا مُحَالِفاً نَعَما

وقال زيادَة بن زيد[1] :

إذا فُرْجَةٌ سدّتْ عليكَ فروجَها ... فأنتَ مُلاقٍ لا مَحالةَ مَذْهَبا[2]

فلم يجعلِ اللهُ الأُمورَ إذا اغتدت ... عليك رِتاجًا لا يُرامُ مُضبَّبا

كفاك الغِنى يوماً إذا ما تقلَّبتْ ... به صَيرفيَّاتُ الأمورِ تقلبا

وإنى لمَزْوَرٌّ قليلٌ تقلُّبى ... لوجهِ آمرئٍ يوماً إذا ما تجنَّبا[3]

قليلٌ ليوم الشَّرِّ وَيْكَ تعرُّضى ... فإنْ حَلّ يوما قلتُ للشَّرِّ مَرْحَبا

مَلَكْنا ولم نُملَكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ ... وكان لنا حقًّا على الناس تَرْتُبَا[4]

وقال هُدْبة العُذْرِىّ[5] :

فأُبْ بى إلى خيرٍ فقد فاتنى الصِّبا ... وصِيحَ بريْعانِ الشَّبابِ فنُفِّرا[6]

أُمورٌ وألوانٌ وحالٌ تقلَّبتْ ... بنا وزمانٌ عُرْفُه قد تنكَّرا

أُصِبْنا بما لو أنّ سَلْمى أصابَهُ ... لَسُهِّلَ من أركانه ما توعَّرا[7]

---

(١) فى الأصل : « زياد بن زيد »، تحريف . وزيادة بن زيد ، هو ابن أخت هدبة ابن الخشرم ، كما فى اللسان (رتب) . وقد قتله هدبة كما فى الأغانى (٢١ : ١٧٢) .

(٢) فى الأغانى (٢١ : ١٧٢) : « وإن جهة سدت عليك فروجها » .

(٣) فى حماسة البحترى ٨٥ والأغانى : « وإنى لمراض قليل تعرضى » .

(٤) ترتبا ، أى ثابتا ، كما فى اللسان (رتب) عند إنشاد البيت . ويروى كما فى اللسان : « فضل على الناس ترتبا » ومعناه فى هذه الرواية : على الناس جميعا . ورواية الأغانى : « كان لنا حقا » .

(٥) هو هدبة بن خشرم ، شاعر فصيح من بادية الحجاز ، وكان راوية الحطيئة . وهو وإخوته حوط وسيحان والواسع ، وأمه حية بنت أبى بكر بن أبى حية ، شعراء جميعا . وكان بينه وبين زيادة بن زيد مناقضات ومهاداة بالأشعار انتهت بقتل هدبة لزيادة . انظر الأغانى (٢١ : ١٦٩ — ١٧٣) .

(٦) فى الأصل : « فأوبى إلى خير »، تحريف .

(٧) سلمى : أحد جبلى طيىء ، وهما أجأ وسلمى .

فإن ننجُ من أهوالِ ماخاف قومُنا عليـنـا فإنّ اللهَ ماشاء يَسَّرَا
وإنْ غالَنا دهرٌ فقد غال قبلَنا ملوكَ بنى نَصْرٍ وكِسرى وقَيْصَرَا (١)
وذى نَيربٍ قد عابَنى لينالَنى فأعيا مَداهُ عن مَداىَ فقَصَّرَا (٢)
فإن يكُ دَهرٌ نالنى فأصابَنى برَيْبٍ فإنْ تَشْوِى الحوادثُ مَعْشَرا (٣)
فلستَ إذا الضَّرَّاءُ نابَتْ بجُبَّإٍ ولا جَزِعٍ إنْ كان دَهرٌ تغيَّرَا

وكان هُدبةُ هذا من شياطين عُذْرة ، وهذا شعرُه كما ترى ، وقد أُمِرَ بضرب عنقه وشَدّ خِناقه . وقليلاً ماترى مثلَ هذا الشّعر عند مثل هذه الحال ؛ وإنَّ آمراً مجتمعَ للقلب ، صحيحَ الفكر ، كثير الرين (٤) ، عَضْبَ اللّسان فى مثل هذه الحال ، لَتَناهيكَ به مطلقاً غير موثق ، وادِعًا غير خائف . ونعوذ بالله من امتحان الأخيار .

وهو القائلُ فى تلك الحال :

فلا تعذُلينى لا أرى الدَّهرَ مُعْتِبًا إذا ما مضى يومٌ ولا اللَّوْمُ مَرْجِعا
ولكنْ أرى أنَّ الفتى عُرْضةُ الرَّدَى ولاقِى المنايا مُصعِدا ومفرِّعا (٥)

---

(١) فى العمدة (٢ : ١٧٨) عند ذكر عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى أحد ملوك الحيرة : « ويقال إن نصرا هذا هو الساطرون صاحب الحضر . وهو جرمقانى من أهل الموصل ، وقيل هو من أشلاء قنص بن معد بن عدنان » .

(٢) النيرب ، بالفتح : الشر والنميمة . وفى الأصل : « وذى يترب » ، محرف .

(٣) تشوى : تخطئ ولا تصيب . و « إن » قبلها نافية . وبين النحويين خلاف فى نحو هذا التعبير ، فقال بعضهم : لاتأتى إن النافية إلا وبعدها « إلا » . ورد عليهم بقوله تعالى : (إن أدرى أقريب) ، (وإن أدرى لعله فتنة) ، و (فيما إن مكناكم فيه) . انظر ابن هشام فى المغنى .

(٤) كذا فى الأصل . ولعلها : « الزبن » أى الدفع .

(٥) مفرعا ، هنا بمعنى منحدرا . وفى الأصل « مفزعا » تحريف . والتفريع من الأضداد ؛ يقال فرعت فى الجبل ، إذا صعدت ، وفرعت أى انحدرت . انظر اللسان (فرع ١١٩) والأضداد ٢٧٥ .

وإن التُّقَى خيرُ المتاع وإنما نَصيبُ الفتى مِن ماله ماتمتّعا[١]

فلا تَنْـكِحى إنْ فرّقَ الدّهرُ بيننا أغمَّ القَفا والوجهِ ليس بأنْزَعا[٢]

ضروبا لِلَحْيَيه على عَظْم زَوْره إذا القوم هَشُّوا للفَعَال تقنّعا[٣]

وأُخرى إذا مازارَ بيتَك زائرٌ زيالك يومًا كان كالدّهرِ أجمَعا[٤]

سأذكرُ من نفسى خلائقَ جمّةً ومَجْـدًا قديماً طالما قد ترفّعا

فلم أَرَ مثْـلى كاوياً لدوائهِ ولاقاطعًاعِرقًا سَنُونا وأخْدَعا[٥]

وما كنت ممَّن أرّثَ الشرَّ بينَهم ولا حين جدَّ الشّرُّ مِمَّنْ تخشّعا

وكنتُ أرى ذا الضِّغنِ ممّن يكيدنى إذا ما رآنى فاتِرَ الطّرْفِ أخْشَعا

وما قرأتُ فى الشِّعر كشعر عبد يغوث بن صَلاءَة الحارثىّ ، وطرفة ابن العَبْد ، وهدبة هــذا ، فإنّ شِعرَهم فى الخوفِ لا يقصِّر عن شِعرهم فى الأمْن[٦] . وهذا قليلٌ جدًّا .

---

(١) البيت فى حماسة البحترى ٢٥٠ .

(٢) البيت فى اللسان (١٠ : ٢٣٠) . وقد روى فى حماسة البحترى ١٨٩ من بيتين هما :

فلا تنكحى إن فرق الدهر بيننا أكيبد مبطان الضحى غير أروعا

كليلا سوى مانال من أمر ضرسه أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

وللشعر قصة فى الأغانى (٢١ : ١٧٥) والخزانة (٤ : ٨٤ — ٨٨) . وبعض الأبيات فى عيون الأخبار (٤ : ١٥) بدون نسبة .

(٣) فى الأصل : « لحييه » ، صوابه فى حماسة البحترى ١٨٩ . وبعد البيت فى حماسة البحترى :

أصيهب لايرضيك فى الحى قاعدا إذا مشى أو قال قولا تبلتعا

وكونى حبيسا أو لأروع ماجد إذا ضن أوباش الرجال تبرعا

وصول وذى أكرومة وحمية وصبر إذا ماالدهر عض فأوجعا

(٤) كذا فى الأصل .

(٥) فى الأصل : « عرفا » بالفاء ، تحريف . والسنون ، بالفتح : وصف من سن الماء أى أرسله من غير تفريق ؛ فإذا فرقه بالصب قيل « شن » بالشين المعجمة . والسنون ، لم يذكر فى المعاجم .

(٦) نحو هذا الكلام فى البيان والتبيين (٢ : ٢٦٨) . أما شعر عبد يغوث =

من أشعار الأعراب

أنشدنى ابنُ الأعرابىِّ فى معنى قوله :

* كمَخْض الماءِ ليس له إتَاءُ[١] *

وما كان مثلى يعتريكَ رجاؤُه ... ولكن أساءتْ هِمّةً مِن فتى مَحْضِ

وإنّى وإشرافى إليك بهمّتى ... لكالمُرْتجى زُبداً من الماء بالمخضِ

وقال الآخر فى مثل قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

فلولا اتّقاءُ الله قلتُ مقالةً ... تسير مع الرُّكبان أبْرَدُها يَغْلِى

أبِنْ لى فكنْ مِثْلِى أوَ ابْتغ صاحباً ... كمثلكَ ، إنى مُبْتغٍ صاحبًا مِثْلى[٢]

ولا يلبثُ الأصحابُ أن يتفرَّقُوا ... إذا لم يؤلِّف رُوح شكلٍ إلى شكلِ

فقال :

لكلِّ امرئٍ شكلٌ يقرُّ بعينِه ... وقُرَّةُ عينِ الفَسْل أن يتبع الفَسْلا[٣]

وتعرف فى جُودِ امرئٍ جُودَ خالِه ... ويَنْذُلُ أنْ تلقَى أخَا أمِّهِ نَذْلا[٤]

وفى غير هذا الباب يقول الجَرَنفَس اللص[٥] :

= فإنه يعنى به القصيدة اليائية التى رواها الضبى فى المفضليات (١٥٥ - ١٥٨) . وانظر الأمالى (٣ : ١٣٢) والأغانى (١٥ : ٧٢) والنقائض ١٥٣ . وأما شعر طرفة فلم أقف عليه .

(١) عجز بيت للربيع بن أبى الحقيق رواه الجاحظ فى البيان (٣ : ٢٠٣) والحيوان (٣ : ٦٨) . وصدره كما فيهما وكما فى اللسان (١٨ : ١٩) :

* وبعض القول ليس له عناج *

(٢) فى الأصل : « أو اتبع . . . فإنى متبع » ، والوجه ماأثبت .

(٣) الفسل ، بالفتح : الرذل النذل الذى لامروءة له ولا جلد . وفى الأصل : « الفيل أن يتبع الفيلا » ، تحريف ، وقد جاء على الصواب الذى أثبت فى اللسان (١٤ : ١٧٩) .

(٤) فى الأصل : « ويبذل أن تلق » ، صوابه ماأثبت مطابقا مافى اللسان .

(٥) الجرنفس ، بالجيم والراء المفتوحين وآخره سين مهملة ، ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ٢٣٣ .

أبلغ بنى ثعلٍ عــنِّى مُغَلغَلةً فقدْ أَتَى لكَ مِنْ نِىءٍ بإنْضَاجِ
أمَّا النهـــارَ ففى قَيْـــدٍ وسلسلةٍ
والليْلَ فى جوفِ منحُوتٍ من السَّاجِ

وقال بعضُ اللصوص :

أقَيْدٌ وَحَبْسٌ واغْترَابٌ وفرقةٌ وهَجْرُ حبيبٍ ، إنَّ ذا لَعظيمُ [١]
وإنْ امرأً دَامت مَواثِيقُ وَدِّهِ عَلَى عُشْرِ مابى إنَّه لَـكريمُ

ومن المراثى المستحسَنة قولُ حارثة بن بدر الغُدانىّ ، يرثى زيادَ ابنَ أبيه [٢] :

أبَا المغيرةِ والدُّنيا مغيِّرةٌ [٣] وإنّ مَن غرّت الدُّنيا لَمغْرُورُ
قد كانَ عِندكَ للمعروف مَعرِفةٌ وكان عندك للنُّـكْراء تنـكيرُ
وكنتَ تُوتَى فتؤْتِى الخيرَ من سعةٍ إن كان قبرُكَ أمْسَى وهو مهجورُ [٤]
صَلَّى الإلهُ على قبرٍ بِمَحْنِيةٍ دُونَ الثَّوِيَّة يسفِى فوقَه المُورُ [٥]

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

وما حسَبُ الأقوامِ إلا فِعالهم ورُبَّ حسيبِ الأصلِ غيرُ حَسيبِ

---

(١) البيتان فى البيان (٤ : ٦٢) . وهما فى الحماسة (٢ : ١١١) برواية أخرى .
(٢) الأبيات فى زهر الآداب (٤ : ٥٧) والأغانى (٢١ : ١٩) ومعجم البلدان (الثوية) .
(٣) فى زهر الآداب فقط : « مفجعة » . وفى معجم البلدان : « وإن من غر بالدنيا » .
(٤) فى زهر الآداب : « وكنت تغشى نتوّق المال فى سعة » وفى الأغانى : « توّق فتعطى الخير عن سعة » ، وفى زهر الآداب : « فالآن بابك أمسى » ، وفى الأغانى : « فاليوم بابك دون الهجر مهجور » .
(٥) الثوية ، بفتح الثاء وضمها : موضع قريب من الكوفة . وفى معجم البلدان وزهر الآداب : « على قبر وطهره * عند الثوية » . وفى الأغانى :

إن الرزية فى قبر بمنزلة يجرى عليها بظهر الكوفة المور

وقال الآخر فى مثله :

ليس الكريمُ بمَنْ يدنِّسُ عِرضَه ... وَيَرَى مُرُوءتَه تكون بمَنْ مضَى
حَتَّى يَشِيدَ بناءَهم ببنائِه ... وَيَزِينَ صالحَ ماأتَوْه بما أتَى

وقال عبد الله بن مُعاوِيةَ بنِ عبد الله بن جعفر :

لَسْنا وإنْ كرُمَتْ أوائلُنا ... يومًا على الأحسابِ نَتَّكِلَ
نَبْنِى كما كانت أوائلُنا ... تَبْنِى ونَفْعَلُ مِثْلَ مَافعَلوا[1]

وقال عُمر بنُ الخطّاب : « كفى بالمرء عيباً أن تكون فيه خَلَةٌ من ثلاث : أن يبدو له مِن أخيه مايخفى عليه من نفسه ، أو يَعيبَ شيئاً ثم يأتىَ مثله ، أو يؤذِىَ جليسَه فيما لايعنيه » .

ووصف أعرابىٌّ رجُلا فقال : « آخَذَ النَّاسِ بما به أمَرَ ، وأتْرَكُهم لما عنه زَجَر » .

من هجا امرأته

قدِم أعرابىٌّ فحلَفَ بطلاقِ امرأتَيه على شىء فحنِث ثم هربَ فقال :

لو يعلم الغرَماءُ منزلَتَيْهما ... ما خوَّفونى بالطَّلاقِ العاجلِ
قد مَلَّتا وَمَلِلْتَ من وجْهَيهما ... عجفاءُ مرضِعةٌ وأُخرَى حاملُ

وقال الأقرع بن مُعاذ القُشَيرىّ :

لَعمرُك إنّ المسّ من أُمِّ خالدٍ ... إلىّ وإنْ ضاجَعْتُها لَبغيضُ
إذا بُزَّ عنها ثوبُها فكأنما ... على الثَّوْب نملٌ عاذمٌ وبَعوضُ[2]

---

(١) البيتان رويا فى حماسة أبى تمام (٢ : ٣٦٥) منسوبين إلى المتوكل الليثى .
(٢) فى الأصل : « إذا فرشتنا » . عاذم : ذو عض . وفى الأصل : « عازم » .

وقال أعرابىٌّ يتألّه، لامرأته ؛ وما الأعرابُ وهذا المذهبُ ، ولكن كذا وقعَ ، واللهُ أعلمُ بكثيرٍ من الرِّواية :

لولا مخافةُ ربِّى أنْ يُعاقِبَنى وأنَّها عِدَّةٌ تُقْضَى وأوتارُ
لقد جعلْتُ مكانَ الطَّوقِ ذا شُطَبٍ وتُبْتُ بعدُ فإنّ اللهَ غفَّارُ

وقال بعض المولَّدين :

تجهَّزى للطَّلاقِ وانصرِفى ذاكِ جزَاءُ الجوامِحِ الشُّمُسِ (١)

[فأجابته المرأةُ (٢)] :

لَلَيْلَتِى حين بِتُّ طالقةً ألذُّ عِنْدِى مِنْ لَيلة العُرُسِ

وأنشدنى ابنُ الأعرابىِّ لأعرابى :

قد قَرَنُونى بعجوزٍ جَحْمَرِشْ ناتِئةِ النَّابِ كَزُومٍ قَنْفَرِشْ (٣)
كأنَّما دَلاها على الفُرُشْ (٤) مِنْ آخِرِ اللَّيلِ كلابٌ تهترِشْ
وجلدُها مِنْ حَكِّها القَملَ بَرِشْ كأنّ طىَّ بَطْنِها طىُّ كَرِشْ
فَقْماءُ فى حِضْنِ الضَّجِيعِ تهتَمِشْ تَخَشْخشَ الضَّبِّ دنا للمُحْتَرِشْ

وقال رجلٌ من بنى نُميرٍ لامرأته ، وكانت حضَرية :

لَعمرِى لَأعرابيّةٌ بدويةٌ تظلُّ بِروْقَىْ بَيتها الرِّيحُ تخفقُ
أحبُّ إلينا من ضِنَاكٍ ضِفَنّةٍ إذا رُفِعَت عنها المراويحُ تعرقُ (٥)
كبِطّيخةِ البُسْتان ظاهرُ جِلدها صحيحٌ ويبدُو داؤها حين تُفتَقُ

(١) جمحت المرأة : خرجت من بيت زوجها إلى أهلها قبل أن يطلقها . وفى الأصل : « الحوائج » تحريف . والشمس : جمع شموس ، وهى النفور .
(٢) ليستا فى الأصل . وبهما يصح الكلام .
(٣) الكزوم : الهرمة المسنة . والقنفرش : العجوز الكبيرة .
(٤) دلاها ، أى مايظهر لها من صوت حين تبدى دلاها .
(٥) الضناك ، بالكسر : الضخمة الثقيلة العجيزة . والضفنة : الرخوة الضخمة .

وأنشدنى محمد بن يَسِير[1] فى امرأته أو فى غيرها :

أُنْبِئْتُ أنَّ فتاةً كنتُ أخطبُها ... عُرقوبُها مِثلُ شهر الصَّوم فى الطولِ

أسنانُها مائةٌ أو زِدْن واحدةً ... كأنَّها حين يبدو وَجْهُها غُولُ

وإنما أكتب لك من كلِّ بابٍ طَرَفاً ، لأنّ إخراجَك مِن بابٍ إلى بابٍ أبقى لنشاطك ، ولو كتبتُه بكمالِه لكان أكملَ وأنبل ، ولكن أخافُ التَّطْويل ، وأنتَ جديرٌ أن تعرف بالجملةِ التّفصيلَ ، والآخرَ بالأوّل .

مَن هجته زوجته

قالت عصيمة الحنظليّة :

كأنّ الدّارَ حين تكونُ فيها ... علينا حُفْـرَةٌ مُلِئَتْ دُخانا

فليتَك فى سَفين بنى عِبادٍ ... فتصبِحَ لانَراك ولا تَرانا[2]

فلو أنّ البُـدور قَبِلْنَ يوماً ... لقـد أعطيتُها مائةً هِجانا

وقالت امرأةٌ من بنى ضبة لزوجها :

تراهُ أهْوَجَ ملعوناً خليقتُه ... يمشى على مِثْل معوَجِّ العراجين

وما دعوتُ عليه قطُّ ألعنُه ... إلّا وآخَـرُ يَتْلُوهُ بآمِين

فليتَه كان أرضُ الرُّوم مَنْزِلَه ... وأنّنى قبلَه صُيِّرتُ بالصِّين[3]

وقالت جمرة الأزدية لزوجها أبى وائل :

---

(١) فى الأصل : « بشير » ، تحريف . وانظر البيت الأول مما يلى فى عيون الأخبار (٤ : ٣١٧) .

(٢) فى الأصل : « فتصبح لايزال » ، محرف .

(٣) إلى هنا ينتهى القسم الأول من التكملة وهو نهاية ص ١٥٦ من نسخة كوبريلى . وتبدأ بعده بقية التكملة من منتصف ص ١١ من نسخة كوبريلى إلى مايقرب من نهاية ص ١٧ . وعلة هذا الاضطراب تهاون الناسخ أو جامع نسخة أصل الناسخ . وقد رددت الوضع إلى نصابه بهذا الترتيب .

لعمرك ما إن أبو وائل إذا ذُكِرَ القومُ بالطائلِ
فياليتنى لم أكنْ عِرْسَه وعُوجِلْتُ بالحدَث العاجلِ

وقالت امرأةٌ من بنى زياد الحارثى (١) :

فلا تأمُرُونى بالتزوُّج إنَّنى أريد كرامَ النَّاس أو أتبتَّلُ
أريد فتًى لايملأُ الهَوْلُ صدرَه يُريحُ عليه حلمُه حين يجهلُ
كمثل الفتَى الجعْدِ الطَّويل إذا غَدا كعالية الرُّمح الطويل أوَ اطوَلُ

وقالت امرأةٌ من باهلة (٢) :

أحبُّ الفتَى ينفِى الفواحشَ سمعُه كأنَّ به كلُّ فاحشةٍ وَقْرَا
سليمُ دَوَاعِى الصَّدْرِ لاباسطٌ أذًى ولا مانع خيراً ولا قائلٌ هُجْرا
كَمثل الفتَى الذُّهْلِىِّ تحسَبُ وجهَه إذا مابدا فى ظلمةٍ طالعاً بَدْرا

وقال لبيد بن ربيعة :

إنما يحفظُ التقَى الأبرارُ وإلى الله يستقرُّ القَرَارُ
وإلى الله تُرْجَعُونَ وعِنْدَ اللهِ وِرْدُ الأمورِ والإصدارُ
إنْ يَكنْ فى الحياة خيرٌ فقد أُنْ ظِرتَ لوكان ينفع الإِنظارُ
عشْتُ دهراً فلن يدوم على الأيَّـــامِ إلَّا يَرَمْرَمٌ وتِعَارُ (٣)

وأنشدنى الأصمعىُّ قال : أنشدنى رجلٌ ، ولم يُسمِّهِ :

إذا مابَدَا عمرٌو بدَتْ منه صورةٌ تدلُّ على مكنُونِهِ حين يُقْبِلُ
بياضُ خُراسانٍ ولُكْنَةُ فارسٍ وَجُثَّةُ رُومىٍّ وشَعْرٌ مُفَلْفَلُ
لقد أَلَّفَتْ أعضاءُ عمرٍو عِصابَةً يدُلُّ عليها آخِرَ القَوْمِ أوَّلُ

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) الأبيات نسبت فى الحماسة (٢ : ١٦) إلى سالم بن وابصة .

(٣) الأبيات فى ديوان لبيد ص ١٠ — ١٣ طبع فينا سنة ١٨٨٠ . ويرمرم وتعار بكسر التاء : جبلان فى بلاد بنى قيس . وفى الأصل : « يدمدم ويمار » تحريف .

وقالت أخت ذى الرُّمّةِ ترثيه[1] :

تعزَّيتَ عن أوفى بغَيلانَ بعدَه ... عَزاءً وجفنُ العَين مَلآنُ مُترَعُ

ولَمْ تُنْسِنِي أوفَى المصيباتُ بَعْدَهُ ... ولـكنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أوجَعُ

وذو الرُّمّة القائل : «إذا قلت كأنَّ فلم أجِدْ مَخْرَجًا فقطَعَ اللهُ لِسَانِى[2]» .

وأنشد :

لا أتَّقِى حَسَكَ الضَّغائنِ بالرُّقَى ... فِعْلَ الذَّليلِ ولو بَقِيتَ وحِيدا

لـكن أعِدُّ لها ضغائنَ مِثلَها ... حتَّى أُداوِىَ بالحُقود حُقودا

كالخمرِ خَيْرُ دوائها منها بها ... تَشْفِى السَّقِيمَ وتُبْرِئُ المنجودا[3]

فأخذ الحِكَمىُّ هذا فقال :

وكأْس شرِبْتُ على لذَّةٍ ... وأخرَى تداوَيْتُ منها بها[4]

وقال ابنُ هَرْمة :

إنَّ أياديك عندى غيرُ واحدةٍ ... جَلَّتْ عن الوَصْفِ والإحصاء والعددِ

وليس منها يدٌ إلَّا وأنْتَ بها ... مُستوجِبُ الشُّكرِ منِّى آخِرَ الأبَدِ

وقال الآخر :

سأشكُرُ ما أبْقانىَ اللهُ خالِدًا ... كشُكْرِى، ولا يَدْرِى، علىَّ بنَ ثابتِ

حمَلْتُ عليــه مُثْقِلاً فأطاقَهُ ... وحَمَّلَنى مِن شكرِه فوقَ طاقتى

ورأى رجلٌ من النبيط الحجَّاج بعد موته فى منامه فقال : ياحجَّاج ،

---

(١) الشعر منسوب فى الحماسة (١ : ٣٢٨) إلى هشام بن عقبة ، يرثى أخويه : أوفى ، وذا الرمة . والتحقيق أنه لمسعود أخى ذى الرمة يرثى ذا الرمة وابن عمه أوفى بن دلهم . انظر حواشى (٦ : ٥٠٦) .

(٢) يعنى بذلك قدرته على التشبيه .

(٣) المنجود : المكروب ، والمعيى .

(٤) انظر العقد (٦ : ٣٧٨) .

إلامَ صيَّرك ربُّك ؟ فقال : وماذا عليكَ يا ابنَ الزَّانية ، فقال : ماسلِمْنا مِن قَولك مَيْتاً ، ولا مِن فِعْلك حَيًّا .

وقال الأشهب — رجلٌ من أهل الكوفة — يهجو نُوح بن دَرَّاج :

إنَّ القيامة فيما أحسَبُ اقتربت إذ صار حاكمنا نوحُ بنُ درّاج
لو كان حَيًّا لَهُ الحجَّاجَ ماسَلِمَتْ صَحيحةً يدهُ من نَقْش حَجَّاجِ

وكان الحجَّاج يَشِمُ أيدىَ النَّبَط علامةً يُعْرَفُون بها .

وقال رجلٌ من طيء لرجلٍ من فَزارة ، وكان الرجل يتوعّده :

فإن كان هذا يافزارُ تجلُّباً لنَخْشَى فما نرتاع للجلباتِ
أألآن لما أنْ علا الشَّيبُ مَفرِقى وصارت نُيُوب العَوْدِ مختلفاتِ
فلو أنَّ ساقى الريحِ يَحمِلُكم قَذًى لأعيُنِنا ما كنتمُ بقَذاةِ
ألستَ فزاريًّا تبيَّنُ لؤمُهُ إذا قام بين الأنْفِ والسَّبَلاتِ
ترى الخيلَ تستحيي إذا ماركبْتَمَ عليها حَياءَ البُدَّنِ الخَفِرَاتِ

وقال أبو عبيدة : « ما ينبغي أن يكون فى الدُّنيا مثل النظّام : سألتُه وهو صبىّ عن عَيب الزُّجاج ، فقال : سريع الكَسْرِ ، بطيء الجبر » .

ومَدَحوا النَّخلةَ عِندَه ، فقال : « صعبةُ المرتقَى ، بعيدةُ المَهْوَى ، خشِنة المسّ ، قليلة الظلِّ » .

وذكر النظّام الخليلَ بنَ أحمدَ فقالَ : « توحَّدَ به العُجْبُ فأهلَكَه ، وصوَّر له الاستبدادُ صوابَ رأيه فتعاطَى مالا يحسنُه ، ورامَ ما لا يناله ، وفتنَتْه دوائرُه التى لايحتاج إليها غيره[1] » .

---

(١) يعنى دوائر العروض .

وكان أبو إسحاق إذا ذكر الوهمَ لم يشكَّ فى جُنونه ، وفى اختلاط عقله . وهكذا كان الخليلُ ، وإن كان قد أحسَنَ فى شىء .

وكان[١] النظّام كثيراً ماينشد :

فلو كنت أرضَى لا أبالَكَ بالذى ... به الخامل الجَثّامُ فى الخفْض قانع

قُصرْتُ عَلَى أدْنى الهموم وأصبحَتْ ... عَلَىّ وعندى للرِّجال صنــائعُ

وقال المَرِيسىُّ[٢] لأبى الهُذيل بحضرة المأمون ، بعد كلامٍ جرى : كيف ترى هذه السِّهام ؟ قال : ليِّنة كالزُّبد ، حُلْوة كالشُّهد ، فكيفَ ترى سِهامَنا ؟ قال : ما أحسستُ بها ، قال : لأنَّها صادفَتْ جَمادا .

وأُنشِدَ أبو الهذيل :

فإذا توهَّمَ أنْ يراهَا ناظرٌ ... ترَكَ التَّوهُّمُ وجْهَها مَكلُوما

فقال : « هذِهِ تُنَاكُ بأيرٍ من خاطر » .

وأنشدنى أبو الهذيل بعد أن أنشد هذا البيت :

اسجُدْ لقِرد السَّوء فى زمانِهِ ... ولا تُسَائِلْ عن خَبِيء شَانِهِ[٣]

وقال آخر :

كم من كريم ضَعْضَعَ الدَّهرُ حالَهُ ... وكم مِنْ لئيمٍ أصبَحَ اليومَ صاعِدَا

وقد قال فى الأمثال فى النَّاسِ واعظٌ ... بتجربةٍ أهْدَى النَّصيحةَ جاهِدا

---

(١) فى الأصل : « فكان » .

(٢) هو بشر بن غياث المريسى ، صاحب المريسية ، من مرجئة بغداد . ونسبته إلى « مريس » : قرية بصعيد مصر ، أخذ عن أبى يوسف الفقه ، فلما أظهر قوله بخلق القرآن هجره أبو يوسف . توفى سنة ٢١٨ . انظر الفرق بين الفرق ١٩٢ ولسان الميزان (٢ : ٢٩) والسمعانى ٥٢٣ — ٥٢٤ وتاريخ بغداد ٣٥١٦ .

(٣) انظر شبيه هذا الرجز فى الحيوان (١ : ٣٥٥) واللسان (٢٠ : ٣٦) .

إذا دولةٌ للقِرد جاءت فكُنْ لهُ وذلك من حُسن المداراة، ساجداً (١)
بذاك تداريهِ ويُوشِكُ بعدَها تَراه إلى تُبَّانِهِ الرَّثِّ عائدا

وأنشدنى الأصمَعىُّ فى معنى قول الفرزدقِ :

* بهِ لابظِى بالصَّرِيمةِ أعفرا (٢) *

لرجل من بنى القَين :

أقولُ لصالحٍ لمَّا دَهَتْهُ بَناتُ الدَّهرِ وَيْحَكَ مادَهَاكا
شجاكَ العَزْل ، لا بأخِى نَوالٍ منَ الفتيانِ كُرْبَةُ ماشجاكا
أتيتُك زائراً فرجَعتُ صِفْرًا كذاك تكونُ أوبةَ من أتاكا
أحبُّ لك السلامة يا ابنَ أُمِّى وإنْ كنتَ امرأً بخِلَتْ يَداكا
حِفاظاً للعشيرة لا بِعُرْفٍ فإنَّ العُرف مَنَّ بِهِ سِواكا

وقال الفرزدق :

ألا خبِّرُونى أيُّها الناس إنّنى سألتُ ومن يَسْأَلْ عن العِلمِ يَعْلَمِ
سؤالَ امرئٍ لم يُغْفِلِ العلمَ صدرُه وما العالمُ الواعى الأحاديثَ كالعَمِى

وقال أيضا :

ألم تعلموا يا آل طَوْعةَ أنما يَهِيجُ جَليلاتِ الأمور دقيقُها
سأُثْنِى عَلَى سعدٍ بما قد عَلِمْتُهُ وخير أحاديثِ الرِّجال صدوقُها (٣)]

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) صدره كما فى الديوان ٢٤٦ :

* أقول له لما أتانى نعيه *

يخاطب مسكينا الدارمى ، وكان مسكين قد رثى زياد بن أبيه . وقبل البيت :

أتبكى امرأ من أهل ميسان كافرا ككسرى على عدانه أو كقيصرا

(٣) إلى هنا تنتهى التكملة التى بدأت فى ص ١٤٧ .

قال أبو عثمان : ومما أكتب لك من الأخبار العجيبة[١] التى لايجسُر عليها إلا كلٌّ وَقَاحٍ أخبارُ بعضِ العلماء وبعضٍ من يؤلِّف الكُتب ويقرؤها ويدارس أهل العبر[٢] ويتحفَّظها .

زعموا أنّ الضبع تكون[٣] عامًا ذكراً وعاماً أنثى . وسمعتَ هذا من جماعةٍ منهم ممَّنْ لا أستجيز تسميته[٤] .

قال الفضل بن إسحاق : أنا رأيتُ العَفْص والبَلُّوط فى غصن واحد . قال : ومن العفْص مايكونُ مثلَ الأُكَر . وقد خبَّرنى بذلك غيرُه ، وهو يشبه[٥] تحوُّلَ الأنثى ذكراً والذَّكرِ أنثى .

وقد ذكرت العربُ فى أشعارها الضِّباعَ والذِّئابَ والسِّمعَ والعِسبار ، وجميعَ الوحوش والحشرات والأحناش[٦] ، وهم أخْبَرُ الخلقِ بشأن الضَّبع ، فكيف تركَتْ ماهو أعجبُ وأطرَفُ[٧] .

وقد ذكرت العلماء الضِّباعَ فى مواضعَ من الفُتْيا لم نرَ أحداً ذكَرَ ذلك . وأولئك بأعيانهم هم الذين زعموا[٨] أن النمر الأنثى[٩] تضع فى مشيمةٍ واحدةٍ جرواً وفى عنقه أفعى قد تطوَّقَتْ به[١٠] . وإذا لم يأتِنا فى تحقيق

---

(١) فيما عدا ل: « ومما لا أكتبه لك من الأجناس العجيبة » محرف .

(٢) فيما عدا ل : « أهل البصرة » .

(٣) فيما عدا ل : « يكون » .

(٤) فيما عدا ل : « منهم من لاأستجيز تسميته » .

(٥) ل : « وهذا لايشبه » .

(٦) ل : « والأخفاش » ، صوابها ماأثبت . وفيما عدا ل: « والأجناس » .

(٧) فيما عدا ل: « وأظرف » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « يزعمون » .

(٩) ط : « النمر » س ، هـ : « النمرة » .

(١٠) انظر ماسبق فى (٤ : ٢٢٢ / ٦ : ٣٤) .

[هذه] الأخبارِ شعرٌ شائع ، أو خبرٌ مستفيض، لم نلتفِتْ لِفْتَه[١] ، وقد أقرَرْنا أن للسَّقَنْقُور أيرَين ، وكذلك الحِرْذَون والضبّ[٢] ، حين وجَدْناه ظاهراً على ألسنة الشُّعراء وحكاية الأطِبّاء .

(خرطوم الفيل)

والخرطوم للفيل هو أنفُه ويقومُ مقام يده ومقام عنقه[٣] ، والخَرْق الذى هُوَ فيه لاينفذ ، وإنما هو وعاءٌ[٤] إذا ملأه الفيل من طعام أو ماء أولجه فى فيه[٥] ؛ لأنّه قصير العُنق لاينال ماء ولا مرعى . وإنما صار ولدُ البُخْتِيِّ من البُخْتِيّة جَزُور لحمٍ لقِصَر عنقه ، ولعجْزه عن تناوُل الماء والمرعَى .

(خرطوم البعوضة)

وللبعوضة خرطومٌ ، وهى تُشَبَّهُ بالفيل[٦] إلاّ أنّ خرطومها أجوفُ فإذا طَعَنَ به فى جوف الإنسان والبهيمة فاستقَى به الدَّمَ من جوفه قذفت به إلى جوفها[٧] ، فهو لها كالبلعوم والحلقوم .

وللذبابة خرطومٌ تخرِجُه إذا أرادَتِ الدَّم ، وتُدْخِلُه إذا رَوِيَتْ . فأمّا

---

(١) فيما عدا ل : « لم نلتفت إليه » .

(٢) انظر مامضى فى (٤ : ١٦٣ ، ١٦٤ / ٦ : ٥٧ ، ٧٢ ، ٧٥) .

(٣) كلمة « ومقام » ساقطة من ط .

(٤) فيما عدا ل : « وإنما هو وغل » مع زيادة واو بعدها ، تحريف .

(٥) ط : « أو فى لجه فيه » ، س : « أو لحه فيه » ، هـ : « أو لجه فيه » والصواب من ل .

(٦) فيما عدا ل : « وهو أشبه بالفيل » ، تحريف .

(٧) جعل الضمير فى صدر العبارة مذكرا ، عنى البعوض ، وفى آخرها مؤنثا ، أراد البعوضة .

مَنْ سَمَّى(١) خطمَ الخنزيرِ والكلبِ والذِّئبِ خرطوما فإنما ذلك على التشبيه .
وكذلك يقولون لكلِّ طويل [الخطم(٢)] قصير اللَّحيَيْن .

وقد يقال للخَطْم خرطوم [على قوله : ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾] .
وأنشد [نا] ابنُ الأعرابى لفتًى من بنى عامر :

ولا أقومُ على شيخى فأشتُمُه ... ولا أمرُّ على تلك الخَراطيمِ

جعل سادةَ عشيرته فى النَّادى [والمجالس] كالخراطيم والمقاديم والهوادى ، وعلى ذلك قالوا : بنو فلانٍ [أنفُ بنى فلانٍ و] رؤوسُهم وخَراطيمُهم ، ومعنى العامريِّ الذى ذهب إليه فى شعره كأنَّه عظَّم المشيخَة أن يمرّ بهم(٣) ، وقد قال الشاعر :

* هم الأنفُ المقدَّمُ والسَّنامُ(٤) *

والفِيلُ والببْرُ ، والطَّاوس والببْغا ، والدّجاج السِّندىُّ ، والكركَدَّن ، مما خصّ الله به الهندَ . وقد عدَّد ذلك مطيعُ بن إياس ، حين خاطب جاريةً له [كانت] تسمى « رُوقَة » ، فقال :

رُوقَ أىْ رُوقَ كيف فيكِ أقولُ ... سادسنا دونى وأرمائيل(٥)

---

(١) فيما عدا ل : « يسمى » .

(٢) تكملة يفتقر إليها الكلام .

(٣) المشيخة : الشيوخ . فيما عدا ل : « الشيخة » وهى صحيحة أيضا ، جمع شيخ ، وتقرأ كعنبة وشيمة . وللشيخ جموع أخر .

(٤) لعله رواية فى بيت حسان بن ثابت :

فلا تفخر فإن بنى قصى ... هم الرأس المقدم والسنام

(٥) فيما عدا ل : « صار بيننا ورد ورمل ونيل » . وما أثبت من ل محرف أيضا . وأرمائيل : لغة فى أرمئيل ، وهى مدينة كبيرة بين مكران والديبل من أرض السند .

وبعيدٌ مَنْ بَيْنَهُ حيثُما كا ... نَ وبينَ الحبيب قَنْدَابيلُ (١)
[رُوقَ يا رُوقَ لو ترينَ مَحَلِّى ... ببلادٍ معروفها مجهولُ]
ببلاد بها تبيض الطواوي ... سُ وفيها يُزاوجُ الزَّندبيلُ
وبها البَبَّغاء والصُّفْرُ والعو ... دُ لهُ فى ذَرَى الأراك مَقيلُ (٢)
والخموعَ العَرْجاءُ (٣) والأيِّلُ الأقْ ... رَنَ والليْثُ فى الغِياضِ النَّسُولُ (٤)

وقال أبو الأصلع الهندىُّ ، يفخر بالهند وما أخرجت بلاد الهند (٥) :

لقد يَعذِلُنى صحبى ... وما ذلك بالأمثَلْ
وفى مِدْحَتِىَ الهندَ ... وسهمُ الهندِ فى المَقْتَلْ
وفيه السّاجُ والعاجُ ... وفيه الفيلُ والدَّغْفَلْ (٦)
وإنَّ التّوتِيا فيه ... كمثل الجبل الأطْوَلْ
وفيه الدَّارَ صينِىٌّ ... وفيه ينبتُ الْفُلْفُلْ (٧)

والمتشابه (٨) عندهم من الحيوان [الفيل و] الخنزير ، والبعوضة ، والجاموس . وقال رؤبة :

ليث يَدُقّ الأسَدَ الهَمُوسَا (٩) ... والأَقْهَبَيْنِ الفيلَ والجاموسا (١٠)

---

(١) قندابيل : مدينة بالسند . فيما عدا ل : « وبين الحبيب بين وبيل » .
(٢) الصفر ، بالضم : ضرب من النحاس . ط ، هـ : « والصقر والعرد » س : « والصقر والعود » ل : « والصفرد والعود » ، والوجه ماأثبت . ط ، هـ : « ذرى الاياط » هـ : « ذرى الأباط » ، وأثبت ما فى ل . وذرى الأراك ، بفتح الذال : كنفه .
(٣) الخموع العرجاء ، أى الضبع .
(٤) النسول : وصف من النسلان ، وهو السرعة . فيما عدا ل : « الشبول » محرفة .
(٥) فيما عدا ل : « وما أخرجت ببلادها » .
(٦) فيما عدا ل : « وفيه العود والدغفل » . والدغفل : ولد الفيل .
(٧) ل : « وفيها منبت » .
(٨) ل : « والمتشابهة » .
(٩) الهموس : الخفى الوطء . فيما عدا ل : « الهاموسا » ، صوابه فى ل والديوان واللسان (همس ، قهب) .
(١٠) الأقهب : ما كان لونه إلى الكدرة مع البياض السواد . ط ، هـ : « والأقهمين » =

(هجاء أبي الطروق لامرأته)

٥١ ولما هجا أبو الطّروق[١] الضبيُّ امرأتَه ، وكان اسمها شعفرَ[٢] [بالقُبح والشناعة فقال :

جاموسة وفيلةٌ وخَـنزرُ وكلُّهنَّ فى الجمالِ شَعْفرُ

جعل الخنزير خنزَرًا[٣] ، فجمعها كما ترى للتّشابه . وقال الآخر :

كأنّ الذى يَبْدُو لنا من لِثامِها جَحافلُ عَيْرٍ أو مَشافر فِيلِ[٤]

(شعر فى الفيل)

والفيل يوصف [بالفَقَم] ، ولذلك قال الأعرابىّ :

قد قادنى أصحَبِىَ المعَمَّمُ[٥] ولم أكن أُخْدَعُ فيما أعْلمُ

إذ صُفِقَ البابُ العريضُ الأعظمُ[٦]

وأُدْنِىَ الفيـلُ لنَـا وترجموا[٧]

وقيل إنّ الفيلَ فِيلٌ مِرْجَمُ[٨] خَبَعْثِنٌ قد تمَّ منه الحزمُ[٩]

= هـ : « والأفهمين » صوابه فى ل والديوان واللسان (قهب ، همس) .

(١) فيما عدا ل : « أبو طروق » .

(٢) فيما عدا ل : « سعفير » .

(٣) ل : « خنزر » وفيما عدا ل : « خنزيرات » ، والوجه ماأثبت .

(٤) فيما عدا ل : « أشافر » ، محرفة .

(٥) الأصحب : الذى يضرب لونه إلى الحمرة . وقد عنى به قائد الفيل . فيما عدا ل : « ياصاحبى المعصم » .

(٦) صفق الباب : فتحه . فيما عدا ل : « إذ يصفق الناب » محرفة .

(٧) أدنى : قرب . ط ، س : « وأذنى » محرف . ط : « له أو ترجم » س : « له أو ترحم » هـ : « له أو تزحم » ، والصواب فى ل .

(٨) المرجم : الشديد ، كأنه يرجم به . هـ : « مزجم » محرف .

(٩) الخبعثن : الضخم الشديد . ط : « خنفش » : س : « خنفش » هـ =

أجردُ أعلى الجسمِ منه أَصَحَمُ[1] يجرُّ أرحاءَ ثِقالاً تَحْطِمُ[2]

ماتحتها من قَرْضِها وتهشِمُ[3] وحنكٌ حينَ يُمَدُّ أفقمُ[4]

ومشفرٌ حين يُمَدُّ سَرْطَمُ[5] يَردُّهُ فى الجوف حين يطعَمُ[6]

لو كان عندى سَبَبٌ أو سُلَّمُ نجَّيتُ نفسى جاهداً لا أظلِمُ

وقال آخر :

مَنْ يركبِ الفيلَ فهذا الفيلُ إنَّ الذى يركَبُهُ محمـولُ

على تهاويلَ لهـا تهويلُ كالطَّودِ إلَّا أنَّهُ يجـولُ

* وأذنٌ كأنها مِنديلُ *

وقال عمارة بن عقيل[7] يضرب المثل بقوَّة الفِيل :

إذا أتانا أميرٌ لم يقلْ لهمُ هَيْداً وجالتْ بنا منه الأحابِيلُ[8]

= « حنفص » والصواب فى ل . والمحزم : موضع الحزام من الدابة . ل : « المحرم » وفيما عدا ل : « المخزم » ، صوابهما ماأثبت .

(١) الأصحم : مالونه الصحمة ، وهى لون من الغبرة إلى سواد قليل . فيما عدا ل : « الضخم » تحريف .

(٢) الأرحاء : جمع رحى ، وهى تلك التى يطحن بها الحب ، شبه بها أخفافه . س : «أرخاء» وفى سائر النسخ « أرجاء » بالجيم ، والوجه ماأثبت .

(٣) هـ : « من قوضها » ل : « من فوقها » . فيما عدا ل : « مبهم » بدل : « وتهشم » محرف .

(٤) الفقم : أن يخرج أسفل اللحى ويدخل أعلاه . ط ، س : « أفمم » هـ : « أقمم » صوابهما فى ل .

(٥) السرطم ، بفتح السين والطاء : الطويل .

(٦) فيما عدا ل : « حتى » تحريف . هـ : « يمطم » ط : « يعظم » صوابهما فى ل ، س .

(٧) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان النحويون البصريون يأخذون عنه اللغة . انظر الأغانى (٢٠ : ١٨٣ - ١٨٨) . وفيما عدا ل : « عمارة بن الوليد » تحريف .

(٨) العرب تقول : « هيد مالك » إذا استفهموا الرجل عن شأنه . فيما عدا ل : « لم يقم لهم هذا وجاءت بنا منه الأحاييل » ، محرف .

وعَضَّ مجهودنا الأقصى وحَمَّله   مِنَ المظالم مالا يحمِلُ الفِيلُ[١]

وقال أبو دَهْبَلٍ[٢] يمدح أبا الفيل الأشعريّ :

إنّ أبا الفيل لاتحصى فضائله   قدعَمَّ بالعُرْفِ كلَّ العُجْمِ والعَربِ

ونظر ابن شهلة المدينيّ[٣] إلى خُرطوم الفيل وإلى غُرموله فقال :

ولم أرَ خُرطومَينِ فى جسمٍ واحدٍ   قد اعتدَلاَ فى مَشْرَبٍ ومَبالِ

فقد غلِط لأنّ الفيلَ لايشرَبُ بخرطومه ولكن به يُوصِلُ الماءَ إلى فمه ، فشبَّه غُرموله بالخرطوم . وغَرموله يشبَّه بالجَعْبة والقنْديل[٤] والبَرْبخ[٥] .

وقال المخبَّل فى تعظيم شأن الفيل :

٥٢ أتهزأ مِنِّى أمُّ عمرة أنْ رأت   نهارًا وليلاً بَلَّيانى فأسْرَعَا[٦]

فإن أكُ لاقيتُ الدَّهارِيسَ منهما   فقد أفْنيا النُّعْمان قبلى وتبَّعا[٧]

ولا يلبثُ الدَّهرُ المفرِّق بَيْنَهُ   على الفيل حتى يستدير فيصْرَعا

وقال مروان بن محمد وهو أبو الشَّمَقْمَق — [و] حدّثنى صديقٌ لى قال سألتُ أبا الشَّمقمقِ عن اسمه ونسبه[٨] . فقال : أنا مَرْوَان بن محمد ، مولى مروانَ بنِ محمد : —

---

(١) فيما عدا ل : « وعض مجهولنا الأفعى » .

(٢) ط : « الهذين » س ، ه : « أبو الهذيل » ، وأثبت ما فى ل.

(٣) فيما عدا ل : « ابن أبى سلمة المدنى » .

(٤) فيما عدا ل : « والمنديل » .

(٥) ل : « الربخ » وفيما عدا ل : « النزع » ، ولعل الوجه ماأثبت.

(٦) فيما عدا ل : « أم عزة » وفيه أيضا « أبلياني » وهى صحيحتان . وشاهد المضعف قول العجير :

وقائلة هذا العجير تقلبت   به أبطن بلينه وظهور

(٧) فيما عدا ل : « فقد أبليا » .

(٨) فيما عدا ل : « وكنيته » تحريف . وقد سبقت ترجمة أبى الشمقمق فى (١ : ٢٥٥) .

ياقوم إنّى رأيتُ الفِيلَ بعدَكُم فبارَكَ اللهُ لى فى رُؤْيةِ الفيلِ

[رأيت بيتاً له شيءٌ يحرّكه فـكدتُ أصنعُ شيئاً فى السراويلِ

وقالت دودةَ لأمِّها :

يا أمِّ إنّى رأيتُ الفِيلَ مِن كَثَبٍ لابارَكَ اللهُ لى فى رؤية الفيلِ]

لمّا بصُرْتُ بأيرِ الفِيل أذْهَلنى عن الحميرِ وعن تلك الأباطيلِ [١]

(خطبة بدوى فيها ذكر الفيل)

وقال الأصمعى : جَنَى قومٌ من أهل اليمامة [جناية] فأرسل إليهم السُّلطانُ جنداً من بُخاريّةِ ابن زياد [٢] ، فقام رجلٌ من أهل البادية يُذمِّرُ أصحابَه [٣] فقال : « يامعشرَ العرب ، ويابنى المحصَنات ، قاتِلُوا عَن أحسابكم ونِسائكم . والله لَئِنْ ظَهَرَ هؤلاء القومُ عليكم لا يَدَعُون بها لِينَةً حَمْراءَ [٤] ، ولا نخلةً خضراء [٥] إلّا وضعُوها بالأرض . ولا أُغُرُّكم مِن نُشّابٍ معهم [٦] ، فى جِعاب كأنّها [٧] أيور الفِيَلة ، يَنزِعُون فى قِسِيٍّ كأنّها العَتَلُ [٨]

---

(١) الأباطيل : جمع الباطل . ل : « البواطيل » وهى صحيحة فى مذهب الكوفيين الذى يجيزون زيادة الياء فى مثل هذا الجمع .

(٢) فيما عدا ل : « من غازية ابن زياد » .

(٣) التذمير والذمر : الحض والحث . فيما عدا ل : « من أصحابه » ، تحريف .

(٤) اللينة ، بالكسر : الدقل من النخل . فيما عدا ل : « فيها لبنة حمراء » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « ولا كلة خضراء » ، تحريف .

(٦) النشاب ، بالضم وتشديد الشين : السهام ، واحدها نشابة .

(٧) فيما عدا ل : « كأنه » ، تحريف .

(٨) النزع : جذب الوتر بالسهم . والعتل : جمع عتلة ، وهى الهراوة الضخمة . فيما عدا ل : « الفيل » ، تحريف .

تئط إحداهُنّ أطِيطَ الزُّرنُوق(١) ، يَمْغَطُ أحدُهم فيها حتى يتفرّق شعرُ إبطَيْه(٢) ، ثم يُرْسِل نُشَّابةً كأنها رِشاءٌ منقطع(٣) ؛ فما بينَ أحَدِكم وبين أن تفضخ عينه(٤) أو يُصدَع قلبُه منزلةٌ » .

قال : فخلَعَ قلوبَهم فطارُوا رُعْبًا .

(الزندبيل)

قالوا : الفِيَلة ضربانِ : فيلٌ وزندبيل . وقد اختلفوا فى أشعارهم وأخبارهم . فبعضهم يقول كالبُخْت والعراب ، والجواميسِ والبقَر ، والبَراذين والخيل ، والفأر والجِرذان ، والذّرّ والنمل . وبعضهم يقول : إنما ذهبوا إلى الذَّكرِ والأُنثى .

قال خالدٌ القنَّاص ، فى قصيدته تلك المزاوَجَةِ [والمخمَّسة] ، التى ذكر فيها الصَّيد(٥) فأطنَبَ فيها ، فقال حينَ صار إلى ذِكْر الفيل :

ذاك الذى مِشفَرُهُ طويلُ ... وهو من الأفيال زَنْدَبيلُ

---

(١) الزرنوق : واحد الزرنوقين ، وهما دعامتا البئر . فيما عدا ل : « الزربوق » محرفة .

(٢) يقال معط الوتر يمعطه ، بفتح العين المهملة ، ومغطه بفتح الغين المعجمة ، أى أغرق فى نزعه ، ويقال فيه أيضا مخطه يمخطه . فيما عدا ل : «يمعط» بالمهملة وهما صحيحتان . وفيما عدا ل : « حتى يعرق شعر إبطيه » .

(٣) الرشاء : الحبل . فيما عدا ل : « رشأ » ، محرف .

(٤) الفضخ : كسر كل شىء أجوف ، نحو الرأس والبطيخ . والكلمة محرفة فى الأصل : فى ل : « تفضح » بالحاء المهملة ، وفيما عدا ل : « تنضح » ، والوجه ما أثبت .

(٥) فيما عدا ل : «الضبة» ، تحريف ، ولعل سبب التحريف كلمة « فيها » التالية فإن الضمير فيها للقصيدة لا لشىء آخر .

فذهب إلى العِظَم[1] . [وقال الذَّكْوانى :

* وفيلة كالطَّوْدِ زندبيل *]

وقال الآخر :

* مِن بين فِيلاتٍ وزَنْدَبِيلِ[2] *

فجعل الزَّنْدَبِيل هو الذكر . وقال أبو اليقظان[3] سحيم بن حفص[4] : إنّ الزَّنْدَبيلَ هو الأُنثى . فلم يقِفُوا مِن ذا على شىءٍ[5] .

(الجنّ والحن)

وبعض النّاس يقْسِم الجنَّ على قِسْمين فيقول : هم[6] جِنّ وحِنّ ، ويجعل التى بالحاء أضعفَها . وأما الرّاجزُ[7] فقال :

أبِيتُ أهْوِى فى شَيَاطِينَ تُرِنّْ مُختلفٍ نَجْرَاهُمُ جِنٌّ وحِنّ[8] ٥٣

ففرق هذا بين الجنسين .

---

(١) فيما عدا ل : « الفطس » تحريف .

(٢) الفيلات : جمع فيلة ، وهى أنثى الفيل . فيما عدا ل : « فيلان » محرف .

(٣) ط : « أبو يقطان » ، صوابه فى ل ، س . وفى هـ : « أبو يقظان » . وانظر ماسبق فى حواشى (٢ : ١٠) .

(٤) هذا ماذكره الجاحظ أيضا فى (٢ : ١٥٥ / ٣ : ٢١١) . وانظر للخلاف فى اسمه ماسبق فى (٢ : ١٠) .

(٥) فيما عدا ل : « من ذلك على شىء » .

(٦) بدلها فيما عدا ل : « فيكون » ، تحريف .

(٧) الرجز للمهاصر بن المحل ، كما فى اللسان (١٦ : ٢٨٩) . وانظر ماسبق فى (٦ : ١٩٢) .

(٨) النجر : الطبع والأصل والشكل والهيئة . ط ، هـ : « نجواهم » ، وهى رواية اللسان . وفى س : « نجوهم » .

(الناس والنسناس)

وسمع بعضُ الجهَّال قولَ الحسَن : « ذهبَ النَّاسُ وَبَقِيتُ فى النِّسناس » فجعَلَ النِّسناس جنساً على حِدَة . وسمع آخرون [هم] أجهلُ من هؤلاء قولَ الكميت : * نِسناسهم والنَّسانسا *

فزعموا أنَّهمْ ثلاثةُ أجناسٍ : ناس ، ونِسْناس ، ونَسانِسُ[١] هذا سوى القول فى الشِّق ، وواق [واق] ، وذوال باى[٢] ، وفى العُدَار[٣] ، وفى أولاد السَّعالِى من الناس ، وفى غير ذلك ممـا ذكرناه فى موضعـه من ذكر الجنّ والإنس .

وقد علم أهلُ العقلِ أنّ النِّسناس [إنما] وقَعَ على السِّفْلة والأوغاد والغَوْغاء ، كما سمَّوا [الغوغاء] الجراد إذا ألقَى البيضَ وسخُف وخَفّ وَطار[٤] .

(هياج الفيل)

قال : وإذا اغْتَلَمَ الفيلُ قَتَلَ الفِيَلَة والفيَّالين وكلَّ مَن لقِيَه من سائر النَّاس ، ولم يقمْ له شيءٌ ، حتى لا يكونُ لسُوَّاسِه هَمٌّ إلّا الهرَبُ ، وإلّا الاحتيالُ لأنفسهم .

---

(١) النسناس : بفتح النون ويكسر . أما النسانس ، بفتح أوله ، فهم الإناث من النسناس ، أوهم أرفع قدرا ، أوهم يأجوج ومأجوج ؛ أو خلق على صورة الناس وخالفوهم فى أشياء وليسوا منهم . انظر القاموس .

(٢) فيما عدا ل : « والزوال » . وانظر ماسبق فى (١ : ١٨٩) .

(٣) فى القاموس (عدر) : « وكغراب : دابة تنكح الناس باليمن ، ونطفتها دود . ومنه ألوط من عدار » . ط ، س : « فى أولاد العراق » ، هـ : « فى العراق » صوابهما فى ل .

(٤) ل : « وطاش » .

وتزعُم الفُرس أنّ فِيلاً من فِيَلة كِسرى اغتلمَ ، فأقبَلَ نحوَ النّاس فلم يقمْ له شيءٌ ، حتى دنا من مَجلس كِسرى فأقشَعَ عنه جُندُه[1] ، وأسلمتْهُ صنائعُه ، وقَصَد إلى كسرى ولم يبقَ معه إلاّ رجلٌ واحدٌ من فرسانِه[2] كان أخصَّهم به حالاً ، وأرفعَهم[3] مكاناً . فلمّا رأى قُرْبَه[4] من الملك شَدّ عليه بِطَبْرَزِينٍ[5] كان في يده فضرَبَ به جبهتَه ضربةً غابَ لها جميعُ الحديدة[6] في جبهته ، فصدَفَ عنها[7] وارتدع ، وأبَى كِسرَى أن يزُولَ من مكانه ، فلمّا أيقَنَ بالسَّلامة قال لذلك الرجل : ما أنا بما وَهَبَ اللهُ لي من الحياةِ على يدك[8] بأشدَّ سروراً منّي بالذى رأيتُ من هذا الجلَد والوفاء والصَّبْر[9] في رجلٍ من صنائعي[10] ، وحين لم تخطئْ فِرَاسَتي ، ولم يَفِلْ رأيي[11] فهل رأيت أحداً قطُّ أشدَّ منك ؟ قال : نعم . قال : فحدِّثْني عنه . قال : عَلَى أن تؤمِّنني . فأمّنه فحدَّث عن بَهْرام جُوبين[12] بحديثٍ شقّ على الملِك وكرِهَه ، إذْ كان عدُوَّه على تلك الصِّفة .

---

(١) أقشعوا : تفرقوا ، كانقشعوا وتقشعوا . فيما عدا ل : « فانسع عنه جنده » تحريف .

(٢) ط ، هـ : « من فرسانهم » .

(٣) ط فقط : « وأرفقهم » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فلما قرب » .

(٥) الطبرزين : فأس يعلقها الفارس في سرج جواده . انظر المعرب للجواليقي ١٩٤ وأدى شير ١١١ . وفي معجم استينجاس : « تبرزين : A battle-axe (usually fixed to the saddle) . أى فأس القتال ، وهي تعلق عادة في السرج .

(٦) فيما عدا ل : « الحديد » .

(٧) فيما عدا ل : « عنه » .

(٨) فيما عدا ل : « مما وهب الله لي من الحياة على يديك » .

(٩) فيما عدا ل : « والظفر » .

(١٠) فيما عدا ل : « صنائعنا » .

(١١) فال رأيه يفيل فيالة وفيولة : أخطأ وضعف . ل : « ولم يزل وأبي » ، تحريف .

(١٢) ط ، هـ : « سوبين » س : « سومن » بالإهمال . وأثبت ما في ل . وفي =

قال : إذا اغتَلَمَ الفِيلُ وصَالَ وغَضِبَ وخَمِط(١) خلاّهُ الفيَّالون والرُّوَّاضُ ، فربَّما عادَ وحشيًّا .

(أهليُّ الفيلة ووحشيُّها)

والفيلة من الأجناس التي يكون فيها الأهليُّ والوحشيّ ، كالسَّنانير والظِّباء والحمير وما أشْبَهَ ذلك . وأنشد الكِرمانيّ لشاعر المُولْتانِ(٢) قولَه :

فكنتُ فى طلبى مِنْ عندِه فرَجًا

كراكب الفيل وَحْشِيًّا ومُغْتَلِمَا(٣)

وهذه القصيدة [هى] التى يقول فيها :

قدكنت صَعَّدْتُ عن بُغْبُورُ مغتربًا حتى لقيت بها حِلْفَ النَّدَى حَكَمَا(٤)

٥٤ قَرْمٌ كأنَّ ضيــاءَ الشَّمْس سُنَّتُــه

لو نَـاطَقَ الشَّمْس ألقَتْ نحـوه الـكَلِما(٥)

= التنبيه والإشراف ٨٩ عند ذكر ملوك الساسانيين : « والعشرون هرمز بن أنو شروان ، ملك اثنتى عشرة سنة ، وخالف عليه بهرام جوبين الرازى ، فآل ذلك إلى أن سمل هرمز . ولا يعلم فيمن قبله وبعده من ملوك الفرس من سمل غيره » . وانظر التنبيه والإشراف ص ١٣٣ ومعجم استينجاس ٢١١ . وفى الاشتقاق ٢٣١ « بهرام شوبين » .

(١) خمط : مثل غضب وزنا ومعنى . ل : « وخبط » .

(٢) المولتان ، سبق القول فيها فى ص ٧٥ . ط ، « لمومان » س : « المولمان » هـ : « المومان » ، صوابها ما أثبت من ل .

(٣) فيما عدا ل : « من عنده كرما » .

(٤) بغبور ، بضم أوله : لقب ملك الصين ، كما فى القاموس . ط ، هـ : « يعبور » ، صوابه فى ل . وصدر البيت ساقط من س .

(٥) ل : « قرما » . والسنة ، بالضم : الوجه ، أو حره ، أو دائرته ، أو الجبهة والجبينان .

(خصائص كسرى)

وتقول الفُرْس : أُعْطِيَ كسرى أَبْرَوِيزَ[١] ثمانِ عشْرَةَ خَصْلةً لم يُعطها ملكٌ قطّ[٢] ولا يعطاها أحدٌ أبداً ؛ من ذلك [أنّه] اجتمعَ له تِسْعُمائة وخمسون فيلاً ، وهذا شيءٌ لم يجتمعْ عندَ ملِكٍ قطّ . ومن ذلك أنّه أنْزَى الذُّكورةَ على الإناث ، وأنّ فِيلةً منها وضعَتْ عنده ، وهى لاتتلاقح[٣] بالعراق ، فكانت أوّل فِيلةٍ بالعراق وآخِرَ فيلةٍ تضع .

قالوا : ولقِى رُسْتَمُ الآزَرِىّ[٤] المسلمين يوم القادسيّة ومعه [من الفيلة] عشرون ومائة فيل ، [وكنّ] من بقايا فِيَلة كِسرى أبرويز[٥] .

قالوا : ومن خصاله أنّ النَّاس لم يَرَوْا قط أَمَدَّ قامةً ، ولا أتمّ ألواحًا ولا أبرَعَ جمالا منه ، فلما مات فرسُهُ الشَّبْدِيز[٦] كان لايحمله إلّا فِيلٌ من فِيَلته ، وكان يجمع وَطاءةَ[٧] ظَهْر الفِيل وثَبات قوائمه ، ولِينَ مِشيته وبُعْدَ خَطوِه ، وكان ألطفَها بدَناً ، وأعدلها جسما[٨] .

---

(١) ل : « أبرواز » وهى إحدى لغات تعريبه . وأبرويز ، بكسر الواو وفتحها .

(٢) فيما عدا ل : « ملك مضى » .

(٣) فيما عدا ل : « لاتتناتج » .

(٤) الآزرى : نسبة إلى آزر ، كهاجر ، وهى ناحية بين الأهواز ورامهرمز . انظر القاموس (أزر) ومعجم البلدان (١ : ٥٧) والتنبيه والإشراف ٧٦ . فيما عدا ل : « الأدنى » تحريف .

(٥) ل : « أبرواز » . وانظر مامضى فى التنبيه الأول من هذه الصفحة.

(٦) ل : « الشبذار » وفيما عدال : « الصيد » ، صوابه ماأثبت من معجم استينجاس ٧٣١ . قال ماتفسيره : « اسم فرس مشهور لكسرى » .

(٧) س : « وطا » ، وفى سائر النسخ : « وطاء » ، والوجه ماأثبت .

(٨) فيما عدا ل : « ألطفها لدنا وأعدلها خيما » ، تحريف .

(أكثر خلفاء المسلمين فيلة)

قالوا : ولم يجتمع لأحدٍ من ملوك المسلمين[١] مِن الفِيَلة ما اجتمع عندَ أمير المؤمنين المنصور ، اجتمعَ عنده أربعون فيلا ، فيها[٢] عشرون فحلاً .

(شرف الفيل)

قالوا : والفِيل أشرَفُ مراكب الملوك ، وأكثرُها تصرُّفاً ، ولذلك سأل وَهْرِز الأسْوارُ[٣] عن صاحبِ الحبشة ، حين صافَّهم فى الحرب ، فقيل له : هاهو ذاكَ على الفيل . فقال : لا أرميه [وهو على مركب الملوك[٤]] . ثم سأل عنه فقيل له : قد نزل عنه ورَكِبَ الفرَس . قال : لا أرميه وهو على مركب الحُمَاةِ . قيل : قد نزَل عنه وركب الحمار . قال : قد نزل عن مَرْكبِه لِحمارٍ ! فدعَا بعِصابةٍ رَفَع بها حاجِبَيْه — وكان قد أسنَّ حتى سقط[٥] حاجباه على عينيه — ثم رماه فقتلَه .

(ذكاء الفيل)

وكان سهلُ بنُ هارونَ يتعجَّبُ مِنْ نَظَر الفيلِ إلى الإنسان ، وإلى كلّ شيء يمرّ به[٦] . وهو الذى يقول :

ولمَّا رأيتُ الفيلَ ينظُرُ قاصداً ظننْتُ بأنّ الفيلَ يلزمُه الفرضُ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « الإسلام » .

(٢) فيما عدا ل : « منها »

(٣) الأسوار ، بالضم والكسر : قائد الفرس . فيما عدا ل : « والذلك » .

(٤) هذه التكملة من ل ، س . وكلمة « هو » ليست فى س . وانظر البغال ٣٤٦ .

(٥) فيما عدا ل : « سقطت » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « إلى كل مايمر به » .

(٧) لعله يعنى أنه موضع للتكليف والمطالبة بالفرض . س : « الهرض » .

قال أبو عثمان : وقد رأيتُ أنا فى عَين الفِيل من صحّة الفَهْم والتأمُّلِ إذا نظرَ بها ، و [ما] شبهت نظرَه إلى الإنسان [إلاّ] بنظرِ ملكٍ عظيم الكِبْر راجحِ الحِلم . وإذا أردْتَ أن ترَى من الفيل ما يُضحِك ، وترَاهُ فى أسخَفِ حالاته [وأجهلِهِ] فألق إليه جوزةً ، فإنّه يريد أن يأخذ[1] بطرَف خُرطومِه ، فإذا دنا منها تنفَّسَ ، فإذا تنفَّس طارت الجَوزة من بين يديه ، ثم يدنو ثانيةً ليأخذَها فيتنفسُ أخرى ، فتبعد [عنه] ، فلا يزال ذلك دأبَه .

(فضله فى الحرب)

قالوا : ويفضُل الفيلُ القرسَ فى الحرب أنّ الفيل يحمِى الجماعة كلهم ، ويقاتل ويَرمِى ويزجّ بالمزاريق[2] ، وله من الهول ماليس للفرسِ[3] ، وهو أحسن مطاوعةً ، ولا يُعْرَفُ بجِماحٍ ولا طِماحٍ ولا حِران .

والخيولُ العِتاقُ ربّما قتلَت الفُرسانَ بالحِرانِ مَرَّةً وبالإقدام مَرَّة ، وبسُوء الطّاعة وشدّة الجزع ، وربّما شبَّ الفرسُ بفارسه حتى يلقِيَه بين الحوافر والسُّيوف ، للسَّهم يصيبه والحجرِ يقع به[4] .

٥٥

وما يُشبه ظهرُ الفرَسِ مِن ظهره ، وظهرُ الفيل منظرةٌ من المناظر[5] ومَسْلَحَةٌ من المسالح :

---

(١) فيما عدا ل : « فإنه يأخذها » .

(٢) المزراق : رمح قصير . فيما عدا ل : « المذاريق » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « وليس له من الهول ماللفرس » ، وهو عكس مايريد .

(٤) فيما عدا ل : « لسهم يصيبه ولحجن يقع به » .

(٥) فيما عدا ل : « قنطرة من القناطر » ، تحريف .

(عمر الفيل)

وفى الفِيَلةِ عجبٌ آخَرُ، وذلك أنّ قِصَر الأعمارِ مقرونٌ بالإبلِ والبراذين وبكلِّ خَلْقٍ عظيم . وكلُّ شيء يعايشُ النَّاسَ فى دُورهم وقُراهم ومَنازلهم فالناس أطولُ أعماراً منها ، كالجمل ، والفَرَس والبرذَوْن ، والبغل والحِمار ، والثَّوْر والشَّاة ، والكلْب والدَّجاج ، وكلٍّ صغيرٍ وكبيرٍ ؛ إلاّ الفيل فإنّه أطولُ عمراً .

والفيلُ أعظم مِن جميع الحيوان جسماً وأكثرُ أكلاً ، وهو يعيشُ مائة السنة ومائتى السَّنة[١] .

وزعم صاحبُ المنطق فى كتاب الحيوان أنّه قد ظَهَرَ فيلٌ عاش أربَعمائة سنة . فالفيل فى هذا الوجه يشارك الضِّباب والحيَّات والنُّسُور ، وإذا كان كذلك فهو فوقَ الوَرَشان وعَيْر العانة — وهو من المعمَّرين وفوقَ المعمَّرين — وهو مع ذلك أعظم الحيوان[٢] بدنًا ، وأطولُها عمراً .

(الأسد والفيل)

وقال بعض من يستفهم ويحب التَّعلمَ[٣] : مابال الأسد إذا رأى الفيلَ عَلِم أنّه طعام له ، وإذا رأى النَّمر والبَبْر لم يكونا عنده كذلك ؟ وكيف وهو

---

(١) فيما عدا ل : « المائة سنة والمائتى سنة » بتعريف العدد وتنكير المضاف إليه ، وهو وجه جائز مع قبح ، حكاه ابن عصفور . قال الخفاجى فى شرح درة درة الغواص (١٣٥) : « ووقع فى صحيح البخارى : وأتى بالألف دينار » . ونقل الخفاجى عن التسهيل : « إذا قصد تعريف العدد أدخل حرفه على الآخر إن كان مضافا ، أو عليهما شذوذا لاقياسا ، خلافا للكوفيين » . فما أثبت من ل هو الوجه المرتضى .

(٢) فيما عدا ل : « أطول الحيوان » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « العلم » .

أعظمُ وأَضْخَم وأشْنَع وأهْوَل ؟ فإن كانَ الأسدُ إنما اجترأ عليه لأنّه [من] لحمٍ ودمٍ ، واللّحْمُ طعامُه والدَّم شرابُه ، فالببر والنَّمر من لحمٍ ودم ، وهما أقلُّ من هؤلاء وأقمأ جسما .

قال القوم : ومَتَى قَدَّرَ الأسدُ فى الفيل أنه إذا قاتله غلبه ، [وإذا غلبه قَتله] ، وإذا قتلَه أكلَه ؟ وقد نَجِدُ الببْرَ فوقَ الأسد وهو لايعْرِض له ؛ والأسد فوق الكلب وهو يشتهى لحمه ، و [يشتهى] لحم الفهد(١) بأكثر مّما يشتهى لحمَ الضَّبع والذئب ، وليست علَّته المواثبة(٢) التى ذهبتم إليها .

(معرفة الحيوان)

فأمَّا عِلْم جميعِ الحيوانِ بمواضع ما يُعيشها(٣) ، فَمنْ علّم البعوضةَ أنّ مِن وراء(٤) ظاهرِ جلد الجاموس دَمًا ، وأنّ ذلك الدمَ غذاءٌ لها ، وأنّها مَتَى طعنَتْ فى ذلك الجلدِ الغليظ الشَّثْن(٥) ، الشديد الصُّلبِ ، أن خرطومَها ينفذ فيه على غير مُعاناة(٦) . ولو أن رجلا منَّا طعَنَ جلدَه بشوكةٍ لانكسرت الشَّوكةُ قبل أن تصل إلى موضع الدم . وهذا بابٌ يُدْرَك بالحسِّ وبالطّبع وبالشبه وبالخِلْقة(٧) . والذى سخّر لخرطوم البَعوضةِ جلدَ الجاموس ، هو الذى سخَّر الصخرةَ لذنَب الجرادة ، وهو الذى سخَّر قمْقُمَ النُّحاس لإبرة العقرب(٨) .

---

(١) فيما عدا ل : « القنفذ » ، تحريف . وانظر لولوع الأسد بلحم الفهد ماسبق فى (٤ : ٢٢٨ / ٦ : ٤٨١) .
(٢) فيما عدا ل : « تحله الموائبة » ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « بالمواضع التى تعيشها » .
(٤) فيما عدا ل : « أن بين » .
(٥) الشثن : الغليظ . ل فقط : « المتين » .
(٦) فيما عدا ل : « من غير معاناة » .
(٧) ل : « وبالبنية والخرقة » ، تحريف .
(٨) انظر ماسبق فى (٥ : ٥٥٠) .

(علة عدم تلاقح الفيلة بالعراق)

وقال بعض خصماء الهند (١) : لوكانت الفِيَلة لاتتلاقَحُ عندنا بالعِراق لأنها هنديَّة لتغيّر الهواء والأرض ، فعَقَر ذلك أرحامَها ، وأعْقَمَ أصلابَها لـكان ينبغى للطواويس أن لاتتزاوج عندنا(٢) ولا تبيض ولا تُفرخَ(٣) . ٥٦ ونحن قد نَصيد البلابِل والدباسىّ(٤) ، والوراشين ، والفواخت والقَمارىَّ [والقَبَجَ] والدُّرَّاج ، فلا تتسافَدُ عندنا فى البيوت ، وهى من أطيار بساتيننا وضِياعنا ، ولا تتلاقَحُ إذا اصطَدْناها [كرارزة(٥)] ، بل لاتصوِّت ولا تغنِّى ولا تَنُوح ، وتبقى عندَنا وحشيّةً كمِدةً ماعاشت ، فإن أخذْناها فراخاً زاوَجَتْ وعَشَّشتْ وباضت وفرّخت ، فلعلّـكم أن تـكونوا لو أهديتم إلينا(٦) أولادَها صغاراً فنشأت عندنا وذهب عنها وحشة [الخَلاء ، وجدَتْ] أُنسَ الأهلىّ ؛ فإنَّ الوحشة هى التى أكْمَدَتْها ، ونقضَتْ قوّتَها(٧) ، وأفنت شهْـوَتَها .

---

(١) خصماء : جمع خصيم ، وهو المخاصم . فيما عدا ل : « بعض الحكماء » وليست بشىء .

(٢) فيما عدا ل : « للطاوس أن لايتزاوج عندنا » .

(٣) فيما عدا ل : « وأن لايبيض ولا يفرخ » .

(٤) الدباسى : جمع دبسى ، وهو ضرب من الحمام سبق الـكلام عليه فى (١ : ١٩٤ ، ٢٨٨ / ٣ : ٢٠١ ، ٢٤٣) . فيما عدا ل : « الدناسى » ، تحريف .

(٥) الـكرارزة : جمع كرز ، بضم الـكاف وتشديد الراء ، وهو من الطير الذى قد أتى عليه حول .

(٦) فيما عدا ل : « إليها » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « ونقصت » بالمهملة .

(وفاء الشفنين)

وقد نجد الشِّفْنينَ الذَّكرَ تهلِكُ أنثاه فلا يُزاوِج غيرَها أبداً ، فى بلادها كان ذلك أوفى غير بلادها . ونحن لو جِئْنا بالأُسْد والذِّئاب والنُّمور والبُبُور فأقامَتْ عِندنا الدَّهرَ الطَّويلَ لم تتلاقح .

(قصة الذئب والأعرابى)

وقد أصاب أعرابىٌّ جروَ ذئبٍ فربّاه ورجَا حراستَه وأن يألفَه ، فيكونَ خيراً [له] من الكلب ، فلما قوِىَ وثب على شاةٍ له فأكلها[١] ، فقال الأعرابى :

أكلْتَ شُوَيْهَتِي ورَبِيتَ فينا فما أدراك أنَّ أباكَ ذِيبُ[٢]

(تسافد حمير الوحش)

وقد تتسافد عندنا [حمير الوحش[٣]] . وقد تلاقحتْ عندَ بعضِ الملوك .

(تلاقح الظباء فى البيوت)

وكان جعفرُ بنُ سليمانَ أحضَرَ على مائدته بالبَصرة يوم زارَهُ الرّشيدُ ألبانَ الظّباء وزُبْدَها وسِلاها[٤] ولبأها ، فاستطاب الرشيدُ جميعَ طُعومِها

---

(١) ل : « على جمل له فأكله » ، والشاهد يأباه . وقد سبقت القصة فى (٤ : ٤٨ / ٦ : ٢٤) . وانظر ثمار القلوب ٣١٢ وعيون الأخبار (٢ : ٥) وجمهرة العسكرى ١٣٨ وغرر الخصائص ٥٥ ومحاضرات الراغب (١ : ١٢٢) وأمثال الميدانى (١ : ٤١) والمحاسن والمساوى للبيهقى (١ : ٩٦) .

(٢) فيما عدا ل : « وربيت عندى فما أدراك » .

(٣) موضع هذه التكملة بياض فى س .

(٤) أراد السلاء ، وهو بالكسر والمد : السمن ، والجمع أسلئة .

فسأل عن ذلك(١) وغَمَزَ جعفرٌ بعضَ الغِلمان فأطلَقَ عن الظِّباء ومَعَها خِشْفانُها(٢) ، وعليها شُمُلها(٣) ، حتى مَرَّتْ فى عَرْصةٍ تُجاهَ عينِ الرَّشيد ، فلما رآها على تلك الحال وهى مقرَّطة مخضَّبة(٤) استخفَّه الفرح والتعجُّب(٥) حتى قال : ماهذه الألبان ؟ وما هذه السُّمْنان واللِّبأ والرَّائب والزُّبد الذى بينَ أيدينا ؟ ! قال : مِن حَلَبِ هذه الظِّباء أُلِّفَتْ(٦) وهى خشفانٌ فتلاقحتْ وتلاحقت(٧) .

(استنتاج الذئاب والأسد بالعراق)

ولو أطلقوا الذِّئابَ والأُسْد فى مُرُوجِ العراق ، وأقاموا لها حاجاتِها لتسافدَتْ وتلاقحت . فلعلَّهم لو تقدَّموا فى اصطناع أولاد الفِيَلة واقتنائها صغاراً أن تأنس(٨) حتى تتسافَدَ وتتلاقح .

وقد زعمتم أنَّ كسرى أبرويز(٩) استنْتج دَغْفَلاً واحداً(١٠) .

---

(١) ل : « فاستطاب الرشيد جميع ذلك » .
(٢) الخشفان : أراد به جمع خشف ، وهو ولد الظبية . والمعروف فى هذا الجمع « خشفة » كقردة . وقد سبق استعمال الجاحظ للخشفان فى (٤ : ٤٢٨ س ٢) .
(٣) الشمل : جمع شمال ، ككتاب ؛ وهو شىء كمخلاة يغطى به ضرع الشاة إذا ثقلت . فيما عدا ل : « سملها » تحريف .
(٤) مقرطة : ذات أقراط ، ه : « مفرطة » ، تحريف . وفيما عدا ل : « مخصية » .
(٥) فيما عدا ل : « استخفه الطرب » .
(٦) فيما عدا ل : « اقتنيت » .
(٧) ط ، س : « فتسافدت وتلاقحت » ه : « فتلاحقت وتلاحقت » ، وأثبت ما فى ل .
(٨) فيما عدا ل : « لم تلبث » .
(٩) ل : « أبرواز » . وانظر ماسبق فى حواشى ص١٨١ .
(١٠) الدغفل : ولد الفيل ، وهو بفتح الدال والفاء .

(احتجاج الهندى)

قال الهندىّ : تكفِينا هذه الُحجَّة ، وهى بيننا وبينكم . أوَ ليس قد جَهد فى ذلك جميعُ الملوك من جميع الأمم فى قديم الدهر ، فلم يستنتجوا إلا واحدا . وعلى أنَّ[١] هذه الأحاديثَ من أحاديث الفُرْس ، وهم أصحاب نَفْجٍ وتزيّد[٢] ولا سيَّما فى كلِّ شىء ممـا [يدخل] فى باب العصبيَّة ، ويزيد فى أقدار الأكاسرة ، وإن كانوا كذلك فهم أظِنَّاءُ[٣] ، والمتهم لاشهادة له[٤] .
ولكن هل رأيتم قطُّ هندياً أقرَّ بذلك ، أو هل أقرَّت[٥] بقايا [سائر] الأمم للفرسِ بهذا الأمر للفيلِ المعروفِ بهذا الاسم[٦] . ٥٧

(استطراد لغوى)

ويقال رجل فيلٌ إذا كان فى رأيهِ فِيَالة ، والفِيَالة : الخطأ والفساد . وهم يسمُّون الرَّجُلَ بفيل . منهم فِيلٌ مولى زِياد . ويكنون بأبى الفيل ، منهم أبو الفِيل الأشعرىّ الذى امتدحه أبو دَهْبَل[٧] . وقال : الرَّاجز غَيْلان

---

(١) فيما عدا ل : « واعلم أن » .

(٢) النفج : الفخر والكبر . ط ، س : « نفخ » هـ : « نقع » ، صوابهما فى ل .

(٣) أظناء : جمع ظنين ، وهو المتّهم الذى تظن به التهمة . فيما عدا ل : « أطباء » تحريف .

(٤) ط ، هـ : « وأئمتهم لاشهادة له » س : « وأيمنهم لاشهادة له » ، صوابهما من ل .

(٥) فيما عدا ل : « أم هل أقر » .

(٦) مابعد كلمة « الأمر » إلى هنا ساقط من ل . والكلام بعد هذه الكلمة إلى : « أضحى » فى ص ١٩٠ ليس فى ل . وقد سبق متصلا بكلام آخر فى التكملة التى مضت فى ص ٨١ — ٨٥ .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ١٠) س ، هـ : « أبو ذهيل » ، تحريف .

يقال له راكبُ الفِيل : ومنهم عَنْبَسة الفيل ، وكذلك يقال لأبيه مَعدَان. وله حديث . وقال الفرزدق :

لقدكان فى مَعْدانَ والفيلِ زاجرٌ لعَنْبسةَ الرّاوى علىَّ القصائدَا

وقال الأصمعىّ : إذا كان الرجلُ نبيلاً جباناً قِيلَ هذا فِيلٌ ، وأنشد :

يقولون للفِيلِ الجبان كأنّه أزبُّ خَصِىٌّ نَفَّرَتْهُ القَعاقِعُ

وقال سَلمة بن عَيَّاش[(١)] : قال لى رؤبة : « ماكنتُ أرَى فى رأيك فِيالة » . ويقول الرَّجلُ لصاحبه : لم يَفِلْ رأيُك . وهو رأىٌ فائل ، ورجلٌ فِيل . وبالكوفة بابُ الفيل ، ودار الفِيل فى السبابجة[(٢)] ، وكذلك حَمَّام فيل ؛ وفى حمَّام فِيل يقول بعضُ السَّلَف :

لَعمْرُ أبيكَ ما حمَّامُ كِسرَى على الثلثينِ من حمَّامِ فِيلِ

[وقال الجارود بن أبى سبرة[(٤)]] :

وما إرْقاصُنا خَلْفَ المَوَالِي كسنَّتنا على عهد الرّسولِ[(٥)]

وأبو النَّميل محمد بن إبراهيم الرافقىّ[(٦)] كان فارس أهل العراق . وفِيلويه السَّقطى هو الذى كان يُجرى لأمّه كلَّ أضحى دِرهما . فحدثتنى امرأةٌ قالت قلتُ لأمّ فِيلُويَهْ : أوَ ما كان يجرى فِيلويَه فى كلِّ أضْحَى إلا درهمًا ؟ قالت : إى والله ، و ربّما أَدْخلَ أضْحى فى أضحى !

---

(١) فى الأصل : « سلمة بن عباس » ، تحريف . وقد سبقت ترجمته فى ص ٨٢ .

(٢) سبق الكلام على « السبابجة » فى حواشى ص ٨٣ . هـ : « السابجة » ط : « الساحة » س : « بالسابجة » ، والوجه ما أثبت .

(٣) فى الأصل : « على البانين » ، صوابه مما سبق فى ص ٨٤ .

(٤) التكملة مما سبق فى ص ٨٤ .

(٥) فى الأصل : « ولم أر قاضيا خلف الموالى كنسبتنا » ، تصحيحه مما سبق فى ص ٨٥ .

(٦) فى الأصل : « الرافعى » ، تحريف . وانظر ما سبق فى ص ٨٥ .

(مثالب الفيل)

وقال بعضُ من يخالف الهند : الفيل لا يُنْتَفع بلحمه ولا بلبَنه ، ولا بسمْنِه ولا بزبده ، ولا بشَعره ولا بوبَره ولا بصوفه ، عظيم المَؤُونة فى النفقَة(١) ، شديد التَّشزُّن على الرُّوَّاض(٢) ، [و] إن اغتلم لم تفِ جميعُ منافعه فى [جميع] دهرِه بمضرَّة ساعةٍ واحدة . وهو مرتفعٌ فى الثمن ، وإن أخطئوا فى تدبير مَطعَمِه ومَشربه ، وتعلُّمه وتلقنه(٣) هلَكَ سريعا ، ولا يتصرَّف كتصرُّف الدَّوابّ ، ولا يُركَب فى الحوائج والأسواق(٤) و [فى] الجنائز والزِّيارات . ولو أنَّ إنسانا عادَ مريضًا أو اتَّبع جنازةً على فِيلٍ لصارَ شُهرةً ، وتركَ الميِّتَ آية .

(رؤيا الفيل)

وسُئِل ابنُ سِيرينَ عن رجلٍ رأى فيما يَـرَى النَّائم كأنه راكبٌ على فيل ، فقال : أَمرٌ جسيمٌ لا منفعة له(٥) .

قالوا : وقال رجلٌ للحجَّاج [بن يوسف] : رأيتُ فى المنامِ رجلاً مِن عُمَّالك قدَّمَ فيلاً فضرَب عُنقَه . فقال : إن صدقَتْ رُؤْياك هلك دَاهَر ابن بصبهرى(٦) . ٥٨

(١) ط ، ل : « فى المنفعة » .
(٢) التشزن : التحرف والاعتراض . فيما عدا ل : « التحرف على الرياض » ، تحريف .
(٣) ل : « وتقليبه وتنقله » .
(٤) فيما عدا ل : « فى الأسواق » .
(٥) فيما عدا ل : « فقال له أمر جسيم لامنفعة فيه » .
(٦) فى القاموس : « داهر ، كهاجر : ملك الديبل قتله محمد بن القاسم الثقفى » . فيما عدا ل : « زاهر » تحريف . وفى ل : « داهر بن صعصعة » .

(حكم أكل لحمه)

وسئل الشَّعبىُّ عن أكل لحمِ الفيـــل ، فقال : ليس هو من بهيمة الأنعام .

(خرطوم الفيل)

وخرطومُه ، الذى هو سلاحُه والذى به يبطِشُ وبه يعيش ، مِنْ مَقاتِله .

وقال زَهْرة بن جُوَيَّة[1] يوم القادسية : أمَا لهذه الدابة مقتل ؟ قالوا : بلَى ، خُرطومه ، فشدَّ عليهم حتى خالَطَهم ، ودنا من الفيل ، فحمَلَ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه فضرَبَ خرطومَه فبرَكَ وأدبر القوم .

(بعض صفة الفيل)

قال : والفيل أفقَمُ قصير العنق[2] ، مقلوبُ اللسان ، مشوَّه الخَلْق ، فاحش القُبْح ، ولم يفْلِحْ[3] ذو أربعٍ قطُّ قصير العُنق فى طلبٍ ولا هرب . ولو [لا] أنَّ مسلوخَ الثَّور[4] يجول فى إهابه ، ولولا سعته وغَبَبُه ، لما خطَا[5]

---

(١) زهرة ، بفتح الزاى ، كما فى القاموس (زهر) . وجؤية ، أوله جيم ، كما فى ل وتاج العروس (زهر) قال : « وهو الصواب . ويقال فيه زهرة بن حوية بالحاء المهملة المفتوحة وكسر الواو . وقيل إنه تابعى ، كما حققه الحافظ . وقيل صحابى » . انظر الإصابة ٢٨١٥ . وفيما عدا ل : « حيوة » تحريف . وجاء فى نسخة القاموس المطبوعة : « بن جويرية » .

(٢) فيما عدا ل : « صغير العنق » .

(٣) فيما عدا ل : « ولم يصلح » .

(٤) فيما عدا ل : « سلاح الثور » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « ولولا سعته لما خطا » .

مع قِصَر عنقه ، ولذلك قال الأعرابى[1] : « [ومن جَعَل الأوْقَص كالأعْنق والمطبِّق كالضابع[2] » . و] قال الشَّاعر فى غَبَبِ الثَّور[3] ، وهو إسحاق ابن حسان الخُرَيمىّ[4] :

وأغلبَ فضفاض جلد اللَّبَانِ يُدافع غَبْغَبَه بالوظِيفِ

وليس يُؤْتَى البَعيرُ فى حُضره[5] مع طول عنقه إلاّ من ضِيقِ جلْده .
والفيلُ ضئيل الصَّوت ، وذلك من أشدِّ عيوبه . والفيل إذا بَلَغَ فى الغلمة أشدَّ المبالغ[6] أشبَهَ الجملَ فى تَرْك الماءِ والعلَف حتى تنضمَّ أيْطلاه ويتورَّم رأسه[7] . وقد وصف الرَّاجزُ الجملَ الهائج فقال :

سامٍ كأنَّ رأسَه فيه وَرَمْ[8] إذْ ضَمَّ إطْليْهِ هَيَاجٌ وقَطَمْ[9]

* وآضَ بعد البُدْنِ ذَا لحمٍ زِيَمْ[10] *

---

(١) ط : « أعرابى » . وبعد هذه الكلمة موضع بياض فى كل من س ، ه وأصل المطبوعة .

(٢) الأوقص : القصير العنق . والأعنق : الطويلها . والمطبق : الذى يثب فتقع قوائمه بالأرض معا . والضابع : الذى يمد ضبعيه فى سيره ، والضبع : العضد .

(٣) الغبب : الجلد المتدلى تحت الحنك . فيما عدا ل : « عيب الثور » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « بن حبان » تحريف . وكلمة « الخريمى » ساقطة من ل . وهى فى سائر النسخ « الجريمى » ، والصواب ما أثبت . وقد سبقت ترجمة إسحاق الخريمى فى (١ : ٢٢٤ — ٢٢٥) .

(٥) فيما عدا ل : « فى ظهره » .

(٦) ط ، ه : « المبالغة » ، وكلمة « أشد » ساقطة من ل .

(٧) فيما عدا : « وترم رأسه » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « ودم » ، تحريف .

(٩) الإطل ، بكسرتين وبكسرة ، والأيطل أيضا : الخاصرة . والقطم : شهوة الضراب . فيما عدا ل : « أيطلا هياج فقطم » ، تحريف .

(١٠) زيم : متفرق ليس بمجتمع . فيما عدا ل : « ودم » ، تحريف .

ولو لم يكنْ فى الفِيَلة من العيب(١) إلا أن عِدَّةَ أيام حملها(٢) كعمر بعض البهائم ، لـكان ذلك عيباً .

وقد(٣) ترك أهلُ المدينة غِراسَ العَجْوة ، لمَّا كانت [لا] تطعِمُ إلّا بعد أربعين سنة .

(قدرته على حمل الأثقال)

قال : وليس شىءٌ يحمل من عدد الأرطال ما يحمِل الفِيلُ ؛ لأنّ الذى يفضُل [فيما] بين حِمْـل الفيل وحِمْـل البُخْتىّ أكثرُ مِن قَدْرِ مايفضـل بين جسم الفيل على جسم البُخْتى .

وقد قال الأعرابىُّ الذى أُدخِلَ(٤) على كِسرى ليَعْجب(٥) من جفائه وجَهْله ، حين قال له : أىُّ شىء أبعَدُ صوتاً ؟ قال : الجمل . قال : فأىُّ شىءٍ أطيَبُ لحماً ؟ قال : الجمل . [قال : فأىُّ شىء ينهض بالْحمل ؟ قال : الجمل] . قال كسرى : كيف يكون الجملُ أبعَدَ صوتًا ونحن نسمَعُ صوتَ الـكُركىِّ من كذا وكذا ميلاً ؟ قال الأعرابى : ضَعِ الـكرْكىَّ فى مكان الجمل ، وضَعِ الجملَ فى مكان الـكُركىَّ حتى يُعرفَ(٦) أيُّهما أبعَدُ صوتاً . قال : وكيف يكون لحمُ الجملِ أطيبَ من لحم البطّ والدَّجاج والفِراخ

---

(١) فيما عدا ل : « عيب » .

(٢) فيما عدا ل : « عدد أيام عمرهم » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « ولو » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « دخل » .

(٥) فيما عدا ل : « ليتعجب » .

(٦) فيما عدا ل : « حتى تعلم » .

والدُّرّاج والنَّوَاهِض والجِداء[١] ؟ قال الأعرابىّ : يُطبَخ لحمُ الدَّجاج بمــاء ومِلح ، ويُطبخ لحم الجملِ بمــاء وملح ، حتى يُعرَف[٢] فَضْل مابين اللّحمَين . قال كِسرى : فكيف تزعُم أنّ الجملَ أحْمَلُ للثِّقْل[٣] من الفيل والفيلُ يحمل كذا وكذا رطلا ؟ قال الأعرابىّ : ليبركِ الفيلُ ويَبركِ الجمل ، وليُحمَل [على] الفيل حِمْل الجْمل ، فإنْ نهض به فهو أحْمَلُ للأثقال . ٥٩

قال القوم : ليس فى استطاعة الجِمال النهوضَ بالأحمال[٤] مايوجب لها فضيلةً [على حَمْل ماهو أثقل . ولعمرى ، إنَّ للجمل بِلِينِ أرساغه وطُول عنقه لفضيلةً فى] النُّهوض بعد البروك[٥] ، فأمَّا نفس الثقل[٦] فالذى بَينهما أكثر من أن يقع بينهما الخيار .

قالوا : وبِفارِسَ ثِيرانٌ تحمِل حِمْلَ الجْملِ باركةً ثم تَنهض به[٧] . فهذا باب الذمّ .

(مناقب الفيل)

[فأمَّا باب الحْمدِ] فقد حُدِّثنا عن شَرِيكٍ ، عن جَابر الُجعْفى ، قال : رأيت الشعبىَّ خارجاً فقلت له : إلى أينَ[٨] ؟ قال : أنظُرُ إلى الفيل .

قال : وسألتُ أبا عبيدةَ فقلتُ : ما لونُ الفيل ؟ قال : جَوْن .

---

(١) الجداء : جمع جدى . وانظر لطيب لحمه مامضى فى (١ : ٢٣٣ / ٢ : ٢٤٩ / ٤ : ٤٥ / ٥ : ٤٨١ - ٨٤٢) . فيما عدا ل : « الجوازل » : جمع جوزل ، وهو فرخ الحمام .

(٢) فيما عدا ل : « حتى تعرف » .

(٣) فيما عدا ل : « للثقيل » .

(٤) فيما عدا ل : « الجمل للنهوض بالأحال » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « النزول » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « الفيل » .

(٧) فيما عدا ل : « ثم ناهضة » .

(٨) بدله فيما عدا ل : « فقلت له أين تريد » .

(ما يحث به الفيل)

ومن أعاجيب الفيل [أن] سَوطه الذى به يُحَثُّ ويصَرَّف[١] ، مِحجَنُ حديدٍ[٢] طرفُه فى جبهته ، والطَّرَف الآخَر فى يد راكبه ، فإذا أراد منه شيئاً غمَزَ تلك الحديدةَ فى لحمه ، على قَدْر إرادته لوجوهِ التصرُّف .

(قصة الفيل)

وقد ذكر [ذلك] أبو قيس بن الأسلت فى الجاهليَّة . وهذا الشِّعر حجَّة فى صَرْفِ الله الفيلَ والطَّيرَ الأبابيل ، وصـدِّ أبى يَـكسوم[٣] عن البيت . وسنذكر من ذلك طرفاً إن شاء الله تعالى . قال أبو قيس[٤] :

ومِن صُنْعِه يومُ فِيل الُحبو شِ إذْ كلّما بَعثُوه رَزَمْ[٥]
محاجِنُهم تحـتَ أقرابِهِ وقد كَلَمُوا أنفـه فانْخرَمْ
وقد جعلوا سَوْطَهُ مِعْوَلاً إذا يَمَّمُوهُ قَفَاهُ كـلَمْ[٦]
فأرسَلَ من فوقهم حاصِبًا يلفُّهمُ مثلَ لَفِّ القَزَمْ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « ويضرب » .
(٢) ط ، هـ : « بمحجن حديد » ، تحريف .
(٣) أبو يكسوم كنية أبرهة ملك الحبشة الذى وجه الفيل لهدم البيت . انظر ماسبق فى حواشى ص ١٠١ . ل : « وجند الكيسوم » ، تحريف .
(٤) أنشد هذه الأبيات ابن إسحاق فى السيرة ٣٩ جوتنجن . قال ابن هشام : « وهذه الأبيات فى قصيدة له . والقصيدة أيضا تروى لأمية بن أبى الصلت » .
(٥) فى الأصل والسيرة : « كل ما » . ورزم : لم يقدر على النهوض رزاحا وهزالا . فيما عدا ل : « وزم » تحريف .
(٦) ل : « وقد جعلوا وسطه » س : « صوته » ، صوابهما فى ط ، هـ والسيرة .
(٧) ل : « فوقهم صاحبا » فيما عدا ل : « من ربهم حاصب » . وتصح هذه الأخيرة ببناء الفعل للمجهول . وأثبت ما فى السيرة . والقزم ، بالتحريك : صغار الغنم . فيما عدا ل : « القرم » ، صوابه فى ل والسيرة .

[و] قال أيضًا صَيْفِىُّ بنُ عامر ، وهو أبو قيس بن الأسلت ، وهو رجلٌ [يمان] من أهل يثرب ، وليس بمكىّ [ولا] تهامٍ[١] ولا قُرَشِىّ ولا حَليفِ قرشىّ ، وهو جاهلىّ :

قُومُوا فصلُّوا رَبَّكم وتعوَّذُوا
بأركان هذا البيتِ بين الأخاشبِ[٢]

فعندكمُ منه بَلاءٌ مُصدَّقٌ غداةَ أبى يَكْسُومَ هادِى الكتائبِ
فلمَّا أجازُوا بطن نُعمانَ رَدَّهُم جُنُودُ الإلٰه بين سافٍ وحاصبِ
فولَّوْا سِرَاعًا نادِمِينَ ولم يَؤُب إلى أهله مِلْحُبْشِ غيرُ عصائبِ[٣]

ويدلُّ على صحَّة هذا الخبرِ قول طُفيل الغَنَوِىّ ، وهو جاهلىّ ، وهذه الأشعارُ صحيحةٌ معروفةٌ لايرتاب بها[٤] أحدٌ من الرُّواة ، وإنما قال[٥] ذلك طُفيلٌ لأنَّ غَنِيًّا[٦] كانت تنزل تِهامة ، فأخرجتها كِنانةُ فيمن أخرجَتْ ، فهو قوله : ٦٠

تَرْعَى مَذَانِبَ وَسْمِىٍّ أطاعَ له بالجِزْعِ حيثُ عَصَى أصحابَه الفِيلُ[٧]

---

(١) تهام ، بالفتح : نسبة إلى تهامة بالكسر . فيما عدا ل : « تهامى » ، وهذه بكسر التاء نسبة قياسية .

(٢) الصلاة هنا : بمعنى الدعاء . والأخاشب ، أراد بهما الأخشبين ، وهما جبلا مكة : أبو قبيس والأحمر . والأبيات فى السيرة ٣٩ — ٤٠ جوتنجن .

(٣) ط ، س : « ملجيش » ، ل : « مل جيش » ، هـ : « ملحس » ، والوجه ماأثبت من السيرة .

(٤) فيما عدا ل : « فيها » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وفى ط ، هـ : « ذكر » .

(٦) فيما عدا ل : « تحتها » .

(٧) المذانب : جمع مذنب ، وهو مسيل مابين كل تلعتين . فيما عدا ل : «مذالف» ، تحريف . وانظر ديوان طفيل ص ٣٠ .

قال أبو الصَّلت ، واسمه ربيعة ، وهو أبو أميَّة بن أبى الصَّلت ، وهو ثقَـفِىّ طائفىّ ، وهو جاهلىٌّ ، وثقيفٌ يومئذ أضداد بالبلدة وبالمال وبالحدائق والجِنان[١] ، ولهم اللّاتُ والغَبْغَب[٢] ، وبيتٌ له سَدَنة يضاهِئُون[٣] بذلك قريشا . فقال [مع اجتماع] هذه الأسباب[٤] التى توجب الحسدَ والمنافسة :

إنَّ آياتِ ربِّنا بيِّناتٌ ما يمارِى فيهنَّ إلاَّ الكَفورُ[٥]

حَبسَ الفيلَ بالمغمَّس حَتَّى ظَلَّ يَحْبُو كأنَّه مَعْقور[٦]

واضعًا حَلْقَةَ الجِرَانِ كما قُطِّ رَ صخرٌ من كَبْكَب محدُورُ

وقال بعضهم[٨] لأبْرَهَةَ الأشرم :

أينَ المفرُّ والإله الطالبْ والأشرمُ المغلوبُ غير الغالبْ

وقال عبد المطَّلب [يوم الفيل] وهو على حِراء :

لاهُمّ إنَّ المـــرءَ يَمْنَعُ رَحْلَه فامْنَعْ حِلالَكْ[٩]

---

(١) فيما عدا ل : « وبالجفان » ، تحريف .

(٢) الغبغب ، بتكرار الغين المعجمة ، ويقال أيضا بتكرار المهملة .

(٣) المضاهاة والمضاهأة : المشاكلة والمعارضة . وقرئ (يضاهئون) و(يضاهون) . فيما عدا ل : « يضاهون » .

(٤) فيما عدا ل : « الأشياء » .

(٥) الأبيات مع زيادة فى السيرة ٤٠ جوتنجن . وتنسب أيضا إلى أمية بن أبى الصلت كما فى السيرة ومعجم البلدان (المغمس) .

(٦) المغمس ، بتشديد الميم المفتوحة : موضع قرب مكة فى طريق الطائف ، مات فيه أبو رغال . ل فقط : « ظل يكبو » .

(٧) الجران : باطن عنق البعير . فيما عدا ل : « خلفه الجوار » . قطر : أى ألقى على قطره ، وهو جانبه . فيما عدا ل : « فطر » تحريف . وكبكب : جبل خلف عرفات .

(٨) هو نفيل بن حبيب ، كما فى السيرة ٣٦ .

(٩) الحلال ، بالكسر : متاع الرحل . فيما عدا ل : « رحالك » ، وما أثبت من ل هو رواية السيرة ٣٥ .

لايغلبنَّ صليبُهُـــمْ وَمِحَالُهُمْ أَبَدًا مِحالَكْ[1]

إنْ كنتَ تاركَهُمْ وَقِبْـــلَتَنا فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ

وقال نُفَيْل بن حَبيب الخثعميّ ، وهو جاهليٌّ شهِدَ الفيلَ وصُنْعَ اللهِ في ذلك اليوم[2] :

أَلاَ رُدِّى جِمالَكِ يارُدَيْنَا نَعِمْنَاكُمْ مع الإصْباحِ عَيْنَا[3]

فإنَّكِ لو رأيتِ وَلَنْ تَرَيْهِ لدى جنْبِ المحصَّبِ مارأيْنَا[4]

أكلُّ الناسِ يَسْأَلُ عن نُفيل كأنّ عَلَىَّ للحُبْشَانِ دَيْنَا

حَمِدْتُ اللهَ أَنْ عايَنْتُ طيرًا وحَصْبَ حجارة تُلْـقَى علينا[5]

وقال المغيرة بنُ عبدِ الله المخزوميّ :

أنتَ حبستَ الفيلَ بالمغمَّسْ حبَسْتَه كأنَّهُ مُكَرْدَسْ

* مُحْتَبَسٌ تزهَقُ فيه الأنفُسْ *

61 قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ[6] . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ . وأنزل هذه السورة وقريشٌ يومئذٍ مُجْلِبون[7] فى الردِّ على النبى صلى الله عليه وسلم ، وما شىءٌ

---

(١) س ، ل : « جهلا وما جمعوا شدالك » .

(٢) فيما عدا ل : « ومنع الله عز وجل فى ذلك اليوم » .

(٣) الجمال : جمع جمل . ل ، س : « حمالك » بالمهملة ، جمع حمل . ورواية السيرة ٣٦ ، ومعجم البلدان (٨ : ١٥٤) : « ألا حييت عنا ياردينا » . « نعمناكم » قال السهيل فى الروض الأنف ٤٦ : « دعاء ، أى نعمنا بكم ، فعدى الفعل لما حذف حرف الجر . وهذا كما تقول : أنعم الله بك عينا » .

(٤) فيما عدا ل : « إلى جنب المحصب » .

(٥) ل : « وخصب » تحريف . وفى السيرة ومعجم البلدان : « وخفت » .

(٦) بعدها فيما عدا ل : « إلى آخر السورة » .

(٧) ط ، هـ : « مجلية » ، تحريف . وفى س : « مجلبة » ، وأثبت مافى ل .

أحبُّ إليهم مِن أن يَرَوْا له سَقطةً أو عَثْرَةً أو كِذْبة ، أو بعضَ مايتعلَّق به مثلُهم ، فلولا أنّه كان أذكَرَهم أمراً لايتدافعونه(١) ولا يستطيع العدوُّ إنكارَه ، لِلذى يُرى من إطباق الجميع عليه ، لوجدوا أكبرَ المقال(٢) . فهذا بابٌ يكثر الكلام فيه ، وقد أتينا عليه فى (كتاب الحجَّة) .

وقال(٣) : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ مثل قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ وقال ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ . وهذا كلُّه ليس من رؤية العين لنا .

(استطراد لغوى)

وباب آخرُ من هذا ، وهو قوله : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . ويقول الرجُل : رأيتُ الرجلَ قال كذا وكذا ، وسمعتُ الله قال كذا وكذا ، وفلانٌ يرى السّيف ، وفلان يرَى رأىَ أبى حنيفة ، وقد رأيت عَقْلَهُ حسنا . وقال ابن مُقبل :

سَلِ الدَّارَ مِنْ جَنْبَىْ حِبِرٍّ فَوَاهِبٍ   بِحَيْثُ يَرَى هَضْبَ القليبِ المضيَّحُ(٤)

(١) فيما عدا ل : « يتدافعون » .

(٢) فيما عدا ل « أكثر المقال » .

(٣) الكلام من هنا إلى نهاية قول الكميت فى ص ٢٠١ : « خطاف ومسحة والأجدل » موضعه فيما عدا ل بعد كلمة « تصرف يدى الفيل » الواردة فى ص ٢٠٨ س ٦ . وورد قبلها فيما عدا ل : « يوصل هذا الموضع بالباب الذى فيه ألم تر كيف فعل ربك » وهى عبارة إلحاق لمسودة الأصل .

(٤) فيما عدا ل : « حين جبير براهب » ، تحريف . وقد سبق البيت فى (٢ : ٢٥٣) .

وإذا قابل الجبلُ الجبلَ فهو يراهُ ، إذْ قام منـه مقام الناظر الذى ينظر إليه .

وتقول العرب : دارُ فلانٍ تَنْظر إلى دار فلان ، ودُورُ بنى فلان تتناظر[1] .
وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا برىءٌ من كلّ مسلمٍ مع مشرك » قيل : ولم يارسول الله ؟ قال : « لاتتراءى ناراهما[2] » .

ويقولون : إذا استقمت[3] تلقاءَ وجهك فنظَرَ إليك الجبلُ فَخُذْ عن يمينك . وقال الكميت :

وفى ضِبْنِ حِقْفٍ يَرَى حِقْفَهُ   خَطافٍ وسَرْحَةَ والأحْدَلُ[4]

(جسامة الفيل)

قال أبو عثمان : خرجتُ يومَ عيدٍ ، فلما صِرت بعيساباذ[5] إذَا بتَلٍّ مُجَلَّلٍ بقطوع ومقطَّعات[6] ، وإذا رِجالٌ جلوسٌ ، عليهم أسلحَتُهم[7]

---

(١) فى الأصل : « ودور فلان تتناظر » تحريف ، وفى (٢ : ٢٥٤) : « ودورنا تتناظر » .

(٢) سبق الحديث فى (٢ : ٢٥٣) .

(٣) فيما عدا ل : « استقبلت » .

(٤) سبق البيت فى (٢ : ٢١) . وهذا البيت فى ل فقط وليس فى سائر النسخ . والضبن ، بالكسر : الناحية ، يقال أخذ فى ضبن من الطريق ، أى ناحية منه . وفى الأصل : « ضين » تحريف . والحقف ، بالكسر : مااعوج من الرمل ، جمعه أحقاف . والأحدل ، بالحاء المهملة : اسم كلب ، كما فى القاموس (حدل) ، وفى الأصل : « الأجدل » تحريف .

(٥) عيساباذ : محلة كانت بشرقى بغداد ، منسوبة إلى عيسى بن المهدى ، ومعنى « باذ » بالفارسية العمارة . ط ، س : « بقساد » هـ : « بمساد » ، صوابهما فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « وإذا فيل مجلل بمقطوع ومقطعات » ، تحريف . وفى اللسان (١٠ : ١٥٦) : « والقطع — يعنى بالكسر — : ضرب من الثياب الموشاة ، والجمع قطوع . والمقطعات : برود عليها وشى مقطع » .

(٧) فيما عدا ل : « الأسلحة » .

فسألتُ بعضَ مَن يشهَدُ العِيد(١) فقلتُ : مابال هذه المَسْلَحةِ فى هذا المكان وقد أحاطَ النّاس(٢) بذلك التّلِّ ؟ فقال [لى] : هذا الفيلُ ! فقصدتُ نحوَه ومالى هَمٌّ إلاّ النّظرُ إلى أذنيه [فرجعتُ عنه بعد طول تأمُّل وأنا أتوهّم عامّة أعضائه بل جميعَ أعضائه إلّا أذنَيه] ، وما كانت لى فى ذلك عِلّةٌ إلّا شَغْلَ قلبى بكلِّ شىءٍ هجمتُ عليه منه ، وكلُّه كان شاغلاً [لى] عن أذنه التى إليها كان قَصْدى ، فذاكرتُ فى ذلك سَهيل بنَ هارون ، فذكر لى أنّه ابتُلِىَ بمثلها ، وأنشد [نى] فى ذلك بيتين من شعره ، وهما قوله :

أتيتُ الفيل محتسِبا بقَصْدى ... لأُبصِرَ أُذنَه وَيطولَ فِكْرِى

فلم أرَ أذْنَه ورأيتُ خَلْقاً ... يقرِّب بين نِسيانى وذِكرِى

(أعجب الأشياء)

قال : وقال رجلٌ مرّة : أخزى الله الفيل [فما أقبحه] . فقال بكر ابن عبد الله [المزنىّ] : لاتشتم شيئًا جعلَه الله آيةً فى الجاهليّة ، وإرهاصاً للنبوّة .

وقال سعدان الأعمَى النحوى(٣) : قلتُ للأصمعىّ : أىُّ شىءٍ رأيت أعجبُ ؟ قال(٤) : الفيل .

(١) فيما عدا ل : « من شهد العيد » .

(٢) فيما عدا ل : « اختلط الناس » .

(٣) هو أبو عثمان سعدان بن المبارك الضرير ، كان مولى عاتكة مولاة المهدى ، وكان من رواة العلم والأدب البغداديين ، يروى عن أبى عبيدة . انظر نزهة الألباء وبغية الوعاة وتاريخ بغداد ٤٧٨١ .

(٤) فيما عدا ل : « فقال » ، وكذا زيدت الفاء على « قال » فيما عدا ل فى سائر هذه المجموعة من الأخبار .

وقيل لابن الجهم(١) : أيُّ أمورِ الدنيا أعجب ؟ قالَ : الشمّ .

وقيل لإبراهيم النظّام : أيُّ أمور الدُّنيا أعجب(٢) ؟ قال : الرُّوح .

وقيل لأبى عقيل بن دُرُسْت : أيُّ أمورِ الدُّنيا أعجب ؟ قال : النَّوْم واليقَظة .

وقيل لأبى شمر : أيُّ أمورِ الدُّنيا أعجب ؟ قال : النِّسْيان والذِّكر .

وقيل لسلم الخلاَّل(٣) : أيُّ أمور الدُّنيا أعجب ؟ قال : النار .

وقيل لبَطْلَيْمُوس : أيُّ أمور الدنيا أعجب ؟ قال : بَدَنُ الفلك(٤) .

وقال مرّة أخرى : الضِّياء .

وقيل لأبى [علىٍّ] عمرو بن فائدٍ الأُسْوارىّ(٥) : أىّ شىءٍ [ممّا رأيت] أعجب ؟ قال : الآجال والأرزاق .

وكان إبراهيم بن سيَّارٍ النَّظامُ شديدَ التعجُّب من الفيل(٦) .

وكان مَعْبَدُ بنُ عُمَر(٧) يقول : إنَّ السرطان والنعامة أكثر عجائبَ من الفيل . وهذا [كله] تفسير(٨) .

---

(١) هو محمد بن الجهم البرمكى ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٢٦) . فيما عدا ل : « لأبى الفيل » .

(٢) الكلام بعد كلمة « أعجب » الأولى ، إلى هنا ساقط من ل .

(٣) فيما عدا ل : « لسالم الخلال » .

(٤) فيما عدا ل : « بطن الفلك » .

(٥) سبقت ترجمته فى (٦ : ١٩١) . فيما عدا ل : « عمرو بن فايل » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « فى الفيل » .

(٧) فيما عدا ل : « سعيد بن عمرو » .

(٨) فيما عدا ل : « وهذا تفسير » .

(قول الخضر فى بعض الدواب)

أبو عقيل السوّاق ، عن مُقاتل بن سليمان ، قال : قال مُوسى للخضر[1] : أى الدوابِّ أحبُّ إليك ، وأيُّها أبغَض ؟ قال : أُحِبُّ الفرسَ والحمارَ والبعيرَ ؛ لأنّها [من] مراكب الأنبياء ، وأُبغِض [الفيل و[2]] الجاموسَ والثَّور .　٦٢

فأمّا البعير فمركب هُودٍ وصالحٍ وشَعيب والنبيِّين عليهم السلام . وأما الفرَس فمركب أُولِى العزْم من الرُّسل وكلِّ من أمرَهُ الله بحمل السِّلاح وقتالِ الكفّار . وأمّا الحِمار فركب عيسى بنِ مَريم وعُزَير وبَلعَم[3] . وكيف لا أحبُّ شيئاً أحياه الله بعدَ موته قبل الحشْر[4] .

قال : ولمّا نظر الفضلُ بن عيسى الرَّقاشيُّ إلى سَلْم بن قُتيبة[5] على حمارٍ يريد المسجد قال : قِعْدة نَبيٍّ وبِذْلة جبّار[6] .

وأُبغض الفيل لأنّه أبو الخنزير[7] ، وأبغض الثَّور لأنّه يشبه الجاموس ، وأبغض الجاموسَ لأنّه يشبه الفيل .

وأنشد [نى] فى هذا المعنى جَعفرٌ ابنُ أختِ واصل ، فى منزل الفضل ابن عاصم الباخَرزيّ[8] :

---

(١) الخضر النبى صاحب موسى الذى التقى معه بمجمع البحرين . وهو بفتح فكسر . وفى اللسان : « يجوز فى العربية الخضر — أى بالكسر — كما يقال كبد وكبد . قال الجوهرى : « وهو أفصح » .

(٢) هذه التكملة من ل ، س .

(٣) ل : « بعلوم » .

(٤) إشارة إلى قصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، فأماته الله هو وحماره مائة عام ثم بعثهما . انظر التفاسير للآية ٢٥٩ من سورة البقرة .

(٥) فيما عدا ل : « مسلم بن قتيبة » ، تحريف . وانظر البيان (١ : ٣٠٧) .

(٦) البذلة و بالكسر ، هو من الثياب مايلبس ويمتهن ولا يصان .

(٧) ط ، هـ : « الخنازير » .

(٨) فيما عدا ل : « الناجورى » .

ما أَبْغَضَ الحَضرُ فيلاً منذُ كان ولا … أحبَّ عيرًا وذاكم غايةُ الكَذبِ
[وكيف يُبغِض شيئاً فيه مُعتَبرٌ … وكان فى الفُلك فَرَّاجًا من الكُرَبِ]
والفيلُ أقْبَلُ شىء لو تُلقِّنُه … حاجاتِ نفسِك مِن جِدٍّ ومن لعِبِ
ولو تَتَوَّجَ فينا واحدٌ فرأى … زىّ الملوكِ لقد أوْفى على الرُّكبِ (١)
يُغْضِى ويَرْكَعُ تعظيماً لهيبته … وليس يعدِلُه النَّشْوَانُ فى الطرب (٢)
[وليس يَجْذَل إلّا كلُّ ذِى فَخَرٍ … حُرٍّ ومَنبِته مِن خالص الذَّهبِ
مثل الزُّنوج فإنّ الله فضَّلهم … بالجود . . . والتَّطويل فى الخطب]

قال : أنشدنيها يونس لابن رباح الشارزنجىّ (٣) . فمَدَحَ الفيل (٤) كما ترى بالطَّرب والحِكاية ، وأنّه قد أُدِّب وعُلِّم السجودَ للملوك .

(سجود الفيل الملك)

وزعموا أنّ أوَّلَ شيءٍ يؤدّبونَه بِهِ السجُودُ للملك (٥) ؛ قالوا : خرج كِسرى أبرويز (٦) ذات يومٍ لبعض الأعياد ، وقد صَفُّوا له ألفَ

---

(١) ط ، س : « منها » ، وفيما عدا ل : « واحد لرأى رأى الملوك ولو أوفى » . وفى ل : « عن الركب » . يقول : إذا توج أحدنا فرأى الفيل عليه زى الملوك وشارة السلطان أوفى الفيل على ركبه ساجدا ، وذلك أن الفيلة قد علمت السجود للملوك .

(٢) فيما عدا ل : « النسوان » .

(٣) فيما عدا ل : « أنشدنيها يونس بن رياح » تحريف . وقد سبق بعض تحقيق هذا العلم فى (١ : ٢٧٠) . وقد اختلف فى اسمه ، فقيل سنيح بن رباح ، كما سبق فى الجزء الأول . وقيل رياح بن سنيح كما فى الكامل ٤١٥ ليبسك ، وقيل رياح بن سبيح ، وسبيح بن رياح كما فى اللسان (طول) . وقال ابن الأثير فى الكامل (٤ : ١٦١) فى ذكر فتنة الزنج أيام مصعب بن الزبير : « وجعلوا عليهم رجلا اسمه رباح ، ويلقب شيرزنجى ، يعنى أسد الزنج » .

(٤) فيما عدا ل : « وهو يمدح الفيل » .

(٥) فيما عدا ل : « أن أول شيء يؤذنونه بالسجود للملك الفيل » .

(٦) ل : « أبرواز » . انظر ماسبق من التنبيه فى ص ١٨١ .

فيل[1] ، وقد أحدق[2] [به و] بها ثلاثونَ ألفَ فارِس ، فلما بصُرَتْ به الفِيَلةُ سجدتْ له ، فما رفعَتْ رأسَها حتى جُذِبَت بالمحاجن وراطَنَها الفيَّالون. وقد شهد ذلك المشهدَ جميعُ أصناف الدوابِّ : الخيلُ فما دونها[3] ، وليس فيها شيءٌ يفصِل بين الملوكِ والرعيَّة[4] ، فلما رأى ذلك كسرى قال : ليت أنَّ الفيلَ كان فارسيًّا ولم يكن هنديًّا ، انظُروا إليها وإلى سائر الدوابّ ، وفضِّلوها بقدر ماتَرَون من فَهْمها وأدبها .

وأما ماذَكَرَ بِهِ الزِّنجَ[5] من طول الخُطب فكذلك همْ فى بلادهم وعند نوائبهم ، ولكنَّ معانيَهم لاترتفع عن أقدار الدوابّ إلّا بما لايذكر[6] .

(ما قيل فى تعظيم شأن الفيل)

وأنشدوا[7] فى تعظيم شأن الفيل وصحة نظره وجَودة تحديقه وتأمُّله وسكونِ طرْفه ، [والشّعر لبعض المتكلّمين] :

إذا مارأيت الفيل ينظر قاصداً ظننت بأنَّ الفيلَ يلزمُه الفَرْضُ[8]

[وقد قيل إن الشِّعر لسهل بن هارون] .

---

(١) فيما عدا ل : « وقد وضعوا له ألف فيل » .

(٢) ل : « أحدقت » .

(٣) فيما عدا ل : « والخيل فما دونها » بزيادة واو .

(٤) يفصل : أى يميز ويعرف الملوك من غيرهم . فيما عدا ل : « الملك » .

(٥) إشارة إلى البيت الذى سبق فى ص ٢٠٥ س٧ . ل : « ماذكره الزنج » ، وفيما عدا ل : « ماذكرته الزنج » ، والوجه ما أثبت .

(٦) فيما عدا ل : « إلا مالا يذكر » .

(٧) فيما عدا ل : « وأنشدنا » .

(٨) سبق البيت فى ص ١٨٢ .

(مثل النون والضب)

وقال عبد الأعلى [القاصّ[1] : يقال] فى المثل : إنّ النون قال للضبّ[2] حينَ رأى إنساناً فى الأرض : إنى قد رأيتُ عجبًا . قال : وماهو ؟ قال : رأيتُ خَلْقًا يمشى على رجليه ، ويتناول الطعام بيديه [فَيُهْوِى به] إلى فيه. قال : إنْ كان ماتقولُ حَقا فإنّه سيُخرجُنى من قعر البحر ويُنزِلُك من وَكْرك من [رأس] الجبل .

٦٣

(تناول الفيل والقرد طعامه)

والفيل أعجَبُ منه ، لأنَّ أنفَه[3] ، وأيدى البهائمِ والسِّباع على حال عاملة شيئًا[4] ، والقِردُ يأكل بيديه وَيَنْقِى الجَوزة[5] ويتفلَّى ويَفْلِى أُنثاه[6] . وليس شىءٌ يكرَع بأنفه ويُوصِلُ الطعامَ إلى فيه بأنفه غير الفيل .

(إطعام الدب ولدها)

والدب الأنثى تُقيم أولادَها تحت شَجرةِ الجوز ، ثم تصعَد الشّجرة فتجمَع الجوزَ فى كفّها ، ثم تضرب باليمنى على اليسرى فتحطم ذلك الجوز فترمى به إلى أولادها ، فلا تزال كذلك حتى إذا شبعْنَ نزلَتْ .

---

(١) فى الأصل — وهو هنا ل — : « القاضى » تحريف . وقد سبق بعض خبره فى (١ : ١٠٧ / ٥ : ٢٢٥) .

(٢) كذا . والوجه « قال له الضب » .

(٣) فيما عدا ل : « لأن يده فمه » ، تحريف .

(٤) كذا فى ل . وفيما عدا ل : « على ذلك عاملة شيئا » .

(٥) ينقيها : يستخرج لبها من القشر ، يقال نقّى العظم نقيا : استخرج نقيه . فيما عدا ل : « الجوز » .

(٦) بدله فيما عدا ل : « ويفلى ثيابه » ، تحريف .

وربّما قطع الدّبُّ من الشجرة الغُصْن [العَبْل] الضّخمَ الذى لايقطعه صاحب الفأس إلّا بالجهد [الشَّديد] ، ثم يشدّ به على الفارس قابضاً عليه[١] فى موضع مقبض العصا[٢] فلا يصيبُ شيئاً إلّا هتَكه .

(كثرة تصرف يدى الفيل)

قال صاحب المنطق : ليس شىءٌ من ذوات الأربع إلاّ وتصرُّف يديهِ فى الجهات أقلُّ من تصرُّف يَدَى الفيل[٣] .

(شعر فى وصف جلد الفيل والجاموس)

وقال أبو عثمان : ويوصف جِلدُ الفيل و [جلدُ] الجاموس بالقوَّة ، قال جميل :

إذا ماعلَتْ نَشْزًا تمدُّ زِمامَها كما امتدّ نِهىُ الأصْلَفِ المترقرقِ[٤]
وما يبتغِى مِنِّى العُداةُ تفاقدوا ومِن جِلدِ جاموسٍ سمينٍ مطرَّقِ[٥]
وأبيضَ مِن ماءِ الحديدِ اصطفيتُه له بعد إخلاص الضريبة رَوْنَقُ[٦]

---

(١) فيما عدا ل : « عليها » ، محرف .

(٢) فيما عدا ل : « قبض العلماء » ، تحريف .

(٣) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل عبارة مقحمة تبتدئ من (ألم تركيف فعل ربك) . وتنتهى إلى « فخذ عن يمينك » . وقبلها إشارة إلحاق نصها : « نوصل هذا الموضوع بالباب الذى فيه . . » وقد تنبه كاتب نسخة كوبريلى إلى هذه الإشارة فرد هذه العبارة إلى موضعها فيما سبق . انظر ص ٢٠٠ — ٢٠١ .

(٤) النهى ، بالكسر : الغدير وكل موضع يجتمع فيه الماء . والأصلف : ما اشتد من الأرض وصلب . فيما عدا ل : « جلد الأصلف » ، تحريف .

(٥) تفاقدوا : دعاء عليهم ؛ أى فقد بعضهم بعضا . المطرق ، عنى به الغليظ ، كأنه طراق فوق طراق . ل : « جاموس بسبتين مطرق » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « من ماء الحديد مهند له بعض إخلاص ضريبة رونق » . و« ضريبة رونق » تحريف ، صوابه فى ل مع مافيه من الإقواء .

(شعر فيه ذكر الفيل)

وقال كعبُ بن زهير في اعتذارِهِ إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

لقد أقوم مقامًا لو يقوم به … أرى وأسمعُ ما لوْ يَسْمَعُ الفيلُ (١)

لظَلَّ يُرعَدُ إلاّ أن يكون له … مِنَ الرّسول بأمر الله تنويل (٢)

وذكر أمية بن أبي الصلت سفينةَ نوح فقال :

تصرخ الطَّيرُ والبريَّة فيها … مَعْ قويِّ السِّباعِ والأفيالِ

[حينَ فيها من كلِّ ماعاشَ زوجٌ … بين ظَهرَيْ غوارب كالجبالِ]

وقال أميَّة أيضاً :

خَلَقَ النَّخل مُعْصِرَاتٍ تَرَاها … تَعْصِف اليابسات والمخْضُورا (٣)

والتماسيحِ والثيَاتِل والأيَّ … لَ شَتَّى والرِّئمَ واليعفورا (٤)

وصِوارًا من النَّواشط عِيناً … ونعامًا خواضباً وحَميرا (٥)

---

(١) انظر توجيه ابن هشام لإعراب هذا البيت في شرح بانت سعاد ٧٦ . فيما عدا ل : « مايقوم به » ، تحريف . وفي ل : « مالا يسمع الفيل » : محرف .

(٢) في بانت سعاد : « بإذن الله تنويل » والتنويل : العطية . ل : « بإذن الله تنزيل » ، وهذه الكلمة الأخيرة محرفة .

(٣) في اللسان : « الخضر والمخضور : اسمان للرخص من النبات » . ط ، هـ : « والمحظورا » صوابه في ل ، س .

(٤) الثياتل : جمع ثيتل ، وهو الوعل . ط ، هـ : « والرتائل » س : « والسنابيل » صوابهما في ل . والرئم : الظبي الخالص البياض . واليعفور : الظبي الذي لونه كلون العفر ، وهو التراب . فيما عدا ل : « والمصفورا » ، تحريف . وقد ورد البيت محرفا في اللسان (ثتل) .

(٥) الصوار ، بالكسر والضم : القطيع من البقر . والنواشط : جمع ناشط ، وهو الثور الوحشي يخرج من أرض إلى أرض . والخواضب : جمع خاضب ، وهو الظليم قد احمرت ساقاه . ط ، س : « ضواحيا » هـ : « صواحيا » ، صوابه في ل .

وأسـوداً عوادِيا وفُيولاً وسِباعاً والنّمرَ والخِنزيرا[1]

(طيب عرق الفيل)

وتزعم الهند أنّ جبهة الفيل فى بعض الزمان تَعرق[2] عرَقًا غليظاً غيرَ سائل ، يكون أطيبَ رائحة من المِسْك . وهذا شىءٌ يعتريه كلَّ عامٍ . وموضعُ ذلك الينبوعِ فى جَبْهته .

(فأرة المسك والإبل)

والنّاسُ يجِدُون رِيحَ المسك فى بيوتهم فى بعض الأحايين ، وهى ريح فارةٍ يقال لها فارة المِسْك . [والذى يكون فى ناحية خراسان الذى يقال له فأر المسك] ليسَ بالفأر[3] ، وهو بالخِشف حين تضعُه الظّبيةُ أشبَه .

وتقول العرب فى فارةِ الإبلِ صادرةً : إنَّ أرَجَ ذلك العرقِ أطيبُ من المسك الأذْفَر فى ذلك الزمان ، وفى ذلك الوقت من اللّيل والنّهار .

قال الراعى :

لها فارةٌ ذَفْرَاءُ كلَّ عشيَّةٍ كمَا فَتَقَ الكافورَ بالمسكِ فاتقُه

قال الأصمعىّ : قلت لأبى مهدية[4] ، [أو قيل لأبى مهدية] : كيف تقول لاطِيب إلا المسك ؟ [قال : فأين أنت عن البان . قال : فقيل له :

---

(١) عواديا : من العدو أو من العدوان. ط : « عواريا » ، تحريف . فيما عدا ل : « والنمل » بدل « والنمر » ، تحريف .

(٢) ط ، س : « بهيمة الفيل فى بعض الزمان يعرق » ، صوابه فى ل ، س .

(٣) فيما عدا ل : « وليس به » .

(٤) فى الأصل : « لابن مهدية » ، تحريف . وانظر ماسبق فى (٥ : ٣٠٩) .

فقل : لاطيب إلا المساك والبان . قال : فأين أنت عن أدهانٍ بِحَجْر . قالوا له : فقل : لاطيبَ إلّا المسك] والبانُ وأدهانٌ بِحَجْر . قال : فأين أنتم عن فارة الإبل صادرة ؟

قالوا : وربّما وجَدَ النّاسُ فى بيوتهم الجُرذَ يضرب إلى السَّوَاد ، يجدونَ من بدَنه إذا عَدا إلى جُحْره رائحةً تشبه رائحةَ المسك ، وبعضُ النّاس يزعم أنّ هذا الجنسَ هو الذى يَخْبأ الدّنانير والدراهمَ والحُلىّ ، كما يصنع العَقْعق والغُرَابُ . وهذا الجرذُ غير فأرة المسك التى تـكون بخُراسان ، وتلك بالخِشْف الصَّغير أشبه ، وإنما يأخذون سُرَّتَه وهى ملأى[١] من دمٍ عَبيط .

(الآية فى الفيل)

قالوا : وقد جعل الله الفيلَ من أكبر الآيات وأعظمِ البُرْهانات للبيت الحرام ولقِبْلة الإسلام ، وتأسيساً لنبوَّة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وتعظيماً لشأنه ولما أجْرَى[٢] من ذلك على يَدَىْ جدِّه عبد المطلب ، حين غدَت الحبشةُ لِتَهدمَ البيتَ الحرام وتُذِلَّ العرب[٣] ، فلم يذكر اللهُ منهم مِلِكاً ولا سُوقةً باسمٍ ولا نسَب ولا لقب[٤] وذكرَ الفيلَ باسمه المعروف ، وأضاف السورةَ التى ذكر فيها[٥] [الفيل إلى الفيل] ، وجعل فيه[٦] من الآية أنهم ٦٥

---

(١) فيما عدا ل : « ملآنة » ، وهما صحيحتان ، يقال ملآنة وملأى .

(٢) فيما عدا ل : « وما أجرى » .

(٣) ل : « حين غزت الحبشة لهدم البيت الحرام وإذلال العرب » .

(٤) فيما عدا ل : « نعت » .

(٥) ط فقط : « وأضاف إليه السورة التى ذكره فيها » .

(٦) فيما عدا ل : « فيها » .

[كانوا] إذا قصدُوا به نحوَ البيت تعَاصَى وبَرَكَ[1] ، وإذا خلَّوه وسَوْمَه[2] صَدَّ عنه وصَدَف . وفى أضعاف ذلك التقَمَ أذنَه نُفيل بن حَبِيب ، وقال : « آبرُكْ محمود[3] » ، وكان ذلك اسمَه .

(الطعن فى قصة الفيل)

وقد طعن فى ذلك ناسٌ فقالوا : قد يستقيم أن ينصرف عنه ويَحْرِدَ[4] دونَه ، كلّ ذلك بتصريف الله له[5] . وكيف يجوز أن يَفْهَمَ كلامَ العرب ويعرفَ معنى قول نُفيل ؟ فإن قلتم[6] : [قد] يفهم الفيل عن الفيّال جميعَ الأدب والتقويم ، وجميعَ مايريد منه[7] عنـد الحَطِّ والرَّحيل ، والمُقام والمسير . قلنا : قد يَفهم بالهنديّة كما يعرف الكلبُ اسمَه ، ويعرفُ قولهم آخسَا . وقد يعرِف السّنورُ اسمَه ويعرف الدُّعاءَ والزَّجْر ، وكذلك الطِّفلُ والمجنون ، وكذلك الحمارُ والفرس إذا كنَّ قد عُوِّدْن تلك الإشارة ، وسماعَ تلك الألفاظ . فأمّا الفيل وهو هنـدىٌّ جلبَه[8] إلى تلك البلْدة حبشىٌّ ، فخرجَ من عُجْمة إلى عجمة ، كيف يفهمُ مع ذلك لسانَ العرب[9] وسِرار نُفَيل بن حَبيب بالعربيّة ؟

---

(١) ل : « تعصى وبرك » يقال ، تعصى الأمر اعتاص .

(٢) يقال خلاه وسومه ، أى تركه وما يريد . فيما عدا ل : « وشأنه » .

(٣) ط ، س : « جمهور » هـ : « حهور » ، والصواب ماأثبت من ل مطابقا مافى السيرة ٣٥ جوتنجن .

(٤) يحرد : يتنحى . س ، هـ : « يحرر » ، تحريف . ل : « يحزن » صوابه هذه « يحرن » .

(٥) ل : « بتعريف الله له » .

(٦) ط ، س : « قلت » فقط ، تحريف . هـ : « قال قلتم » ، الصواب فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « ماراد منه » .

(٨) فيما عدا ل : « جاء به » .

(٩) ط فقط : « كلام العرب » .

قلنا : قد يستقيم أن يكون قال له كلامًا بالهنديّة كان قد تعوَّدَ سَماعه من الفيّالين ، فيكونَ ترجمته بالعربيّة هذا الكلامَ الذى حكَوْه ، وقد يكون الذى أنطقَ الذِّئبَ لأُهبانَ بنِ أوس، وجعل عود المنبر يحنّ[1] إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، أن يصوِّر لوهم الفيل إرادةَ نُفَيل بن حبيب . وقد يستقيم مع لَقَن الفيل وذكَائه وحكايته[2] ومُؤاتاته ، أن يعرف ذلك كلَّه وأكثرَ منه ، لطول مُقامِه فى أرض الحبَشة واليمن ، وليس يبعُد أن يكون بأرض الحبشة جماعةٌ كثيرةٌ من العرب من وافد وباغٍ وتاجر ، وغيرِ ذلك من الأصناف ، فيسمع ذلك منهم الفيلُ [فيعرفه] ، وليس هذا المقدار بمستنكَرٍ من الفيل ، مع الذى قد أجمَعُوا عليه من فَهم الفيل ومَعرفته .

وكان منكه المتطبّب[3] الهندىّ صحيح الإسلام ، وكان إسلامُه بعد المناظرة والاستقصاء والتثبُّت ، قالوا : فسمع مَرَّةً من رجل[4] [وهو] يقرأ : ﴿أفلاَ يَنْظُرُونَ إلَى الإبِل كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ، وسمع بعضَ الجهال يقول : فكيف لو رأى الفيل ؟ فعذلَه قَوم ، فقال منكه : لاتَعْذُلُوه فإنّه لاشكَّ أنَّ خَلْقَ الفيل أعجَبُ ، فقيل له : فكيف[5] لم يضرب به الله تعالى المثلَ دونَ البعير ؟ فقال [أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام : فقلت له : ليس الفيلُ بأعجبَ من البعير . واجعَلْه يعجِّب من البعير . وهو[6]]

(١) فيما عدا ل : « عود الهيثم يجىء » ، تحريف .

(٢) ط ، هـ : « وحكاياته » .

(٣) فيما عدا ل : « الطبيب » . ومنكه هذا أحد أطباء الهند الذين اجتلبهم يحيى بن خالد . انظر البيان (١ : ٩٢) .

(٤) فيما عدا ل : « رجلا » .

(٥) فيما عدا ل : « قيل له كيف » .

(٦) هذه الكلمة من ل ، س هـ ، والكلام قبلها تكملة من ل .

٦٦ إنما خاطب العرب ، وهم الحجةُ على جميع [أهل] اللغات ، ثم تصير [تلك] المخاطبةُ لجميع الأمم بعد الترجمة على ألسنة هؤلاء العرب ، الذين بهم بَدَأت المخاطبة لجميع الأمم[١] . وكيف يجوز أن يعجِّب جماعةَ الأمم من شيء لم يروْه قطّ ، ولا كانَ على ظهرها يوم نزلَتْ هذه السورة رجلٌ واحد [كان] قد شهد الفيلَ والحبشة[٢] . وعلى أنَّ الفيلَ وافَى مكَّةَ وما بها أحدٌ إلاّ عبدُ المطلب فى نفير[٣] من بقيَّة النَّاس ، ولا كانوا حيث يتأمّلون [الفيل] .

و[قد] قال ناسٌ : كان النَّاسُ رَجلين[٤] ، رجلٌ قد سمِع بهذا الخبر من رِجالات قريش الذين يجترُّون إلى أنفسهم[٥] بذلك التَّعظيم ، كما كانت السَّدنةُ تكذِب للأوثان[٦] والأصنام [والأنصاب] ، لتجترَّ بذلك المنافع[٧] ، ورجلٌ لم يكن عندَه علمٌ بأنّ هذا الخبرَ باطل فلم يتقدَّم[٨] على إنكار ذلك الخبر ، وجميعُ قريش تثبِّته .

قيل لهم : إنَّ مكَّة لم تَزَل دارَ خُزاعة[٩] وبقايا جُرهم[١٠] [وبقايا

---

(١) لجميع الأمم : ليست فى ل .
(٢) فيما عدا ل : « الفيل من الحبشة » ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « نفر » .
(٤) فيما عدا ل : « كرجلين » ، تحريف .
(٥) فيما عدا ل : « يحقرون أنفسهم » ، محرف .
(٦) فيما عدا ل : « تكذب الأوثان » ، محرف .
(٧) فيما عدا ل : « لتحقر بذلك التابع » ، تحريف .
(٨) فيما عدا ل : « ولم يتقدم » .
(٩) فيما عدا ل : « لم تزل وإن خزاعة » ، محرف .
(١٠) فيما عدا ل : « وبقايا جرهم بها » .

الأمم البائدة ، وكانت كنانة منها النَّسَأة ، وكانت مرّ بن أدّ من رهط صُوفة والرَّبيط[1] منها أصحاب المزدلفة ، وإليهم كانت السِّدانة ، وكانت عَدْوان وأبو سيَّارة عَمِيلة بن أعزَل ، تدفع بالنّاس] ، وقد كان بين خزاعة وبقايا جرهم ما كان[2] حتى انتزعوا البيت منهم[3] ، وقد كان بين ثقيف وقُريش لقُرب الدار والمصاهرة ، والتَّشابه فى الثروة[4] والمشاكَلة فى المجاورة[5] تحاسدٌ وتنافر[6] ، وقد كان هنالك فيهم الموالى والحُلفاء والقطّان[7] والنازلة ، ومَن يحجُّ فى كلِّ عام ، وكان البيت مَزُوراً على وجْه الدهر ، يأتونه رجالاً ورُكبانا وعلى كل ضامرٍ يأتينَ من كلِّ فجٍّ عميق ، وبشِقِّ الأنفس ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ ﴾ ، وكانوا[8] بقرب سُوق عُكاظ وذى المجاز ، وهما سوقان معروفانِ ، وما زالتا قائمين حتى جاء الإسلام ، فلا يجوز أن يكون السَّالب والمسلوب ، والمفتخر [به والمفتخرَ] عليه ، و [الحاسد و] المحسود ، والمتديِّن به والمنكر له ، مع

(١) صوفة : أبوحى من مضر ، وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة ، كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج فى الجاهلية ، أى يفيضون بهم من عرفات . وكان أحدهم يقوم فيقول : أجيزى صوفة . فإذا أجازت قال : أجيزى خندف ، فإذا أجازت أذن الناس كلهم فى الإجازة . وأما الربيط ، فلقب الغوث أيضا ، كما فى القاموس (ربط) ، قالوا : سمى بذلك لأن أمه كانت لايعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش هذا لتربطن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة .

(٢) فيما عدا ل : « وقد كان بينهم ما كان » .

(٣) ط ، هـ : « بينهم » ، وأثبت ما فى ل ، س .

(٤) فيما عدا ل : « والمشابهة والثروة » .

(٥) أى مجاورة البيت . فيما عدا ل : « التجارة » .

(٦) فيما عدا ل : « وتصاقب » .

(٧) ط ، هـ : « وقد كان بينهم هنالك أموال والحلفاء والسكان » ، تحريف . س : « وقد كان بينهم هنالك أموال والحلفاء والسكان » ، وأثبت ما فى ل .

(٨) فيما عدا ل : « وكان » .

اختلاف الطبائع وكثرة العلل ، يُجْمِعُون كلهم على قبول هذه [الآية] وتصديق هذه السُّورة ، وكلهم مُطْبِقٌ[1] على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ، والكُفْر به .

والمحِلُّون من العرب ممّن كان لا يرى للحَرَم ولا للشّهر الحرام حُرمةً : طيّئٌ كلها ، وخثعمٌ كلُّها ، وكثيرٌ من أحياء قُضاعة ويَشْكُرَ والحارثِ ابن كعب ، [و] هؤلاء كلُّهم أعداءٌ [في] الدِّين والنَّسَب . هذا مع[2] ما كان في العرب من النّصارى[3] الذين يخالفون دِينَ مُشركي العرب كلَّ الخلاف ، كتغلبَ ، وشيبانَ ، وعبدِ القيس ، وقضاعةَ ، وغسّان ، وسَليح[4] ، والعِباد ، وتَنوخَ ، وعاملةَ ، ولخمٍ ، وجُذامَ ، وكثيرٍ من بَلحارث بن كعب ؛ وهم خُلَطاء وأعْداء ، يُغاوِرون[5] ويَسبُون ، ويُسْبَى منهم ، وفيهم الثُّؤُور[6] والأوتار والطوائل ، وهي العربُ[7] وألسنتُها الحِداد ، وأشعارُها التي [إنما] هي مَياسم[8] ، وهِمَمُها البعيدة[9] ، وطلبُها للطّوائل ، وذمُّها لكلِّ دقيقٍ وجليلٍ من الحسَن والقبيح ، في الأشعار

---

(١) فيما عدا ل : « وهم مطبقون » .

(٢) فيما عدا ل : « إلى » .

(٣) فيما عدا ل : « في العرب والنصارى » ، تحريف .

(٤) سليح بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، كما في الاشتقاق ٣٦٤ . وفي القاموس (سلح) : « وكجريح قبيلة باليمن » . وفي العمدة (٢ : ١٧٧) : « سليح ، وهم من غسان وقيل من قضاعة » . فيما عدا ل : « وسليم » ، تحريف .

(٥) المغاورة : أن يغير بعضهم على بعض . ط ، س : « يغارون » ، تحريف .

(٦) الثؤور : جمع ثأر . فيما عدا ل : « الشرور » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وهم العرب » .

(٨) ل : « ميسم » .

(٩) ط ، س : « همها البعيدة » ه : « وهمها البعيده » ، صوابهما في ل .

والأوجاز [والأسجاع] ، والمزدوِج والمنثور ، فهل سمعْنا[١] [بأحد] من جميع هؤلاء الذين ذكرْنا[٢] أنكَرَ[٣] شأنَ الفيلِ ، أو عَرَضَ[٤] فيه بحرف واحد . ٦٧

(كلام الفيل والذئب)

ورَزِينٌ العَروضيُّ — وهو أبو زهير[٥] — لم أر قطُّ أطيبَ منه احتجاجاً ، ولا أطيب عبارة قال فى شعرٍ له يهجو ولدَ عقبةَ بنِ جعفر[٦] ، فكان فى احتجاجه عليهم وتقريعِه لهم[٧] أن قال :

تِهتُمْ علينا بأنَّ الذِّئبَ كلّمكمْ　　فقد لعمرى أبُوكُم كَلَّمَ الذيبا

فكيفَ لو كلمَ اللّيث الهصورَ ، إذاً　　تركتمُ الناس مأكولا ومَشرُوبا

هذا السُّنَيدىُّ لا أصلُ ولا طرف　　يكلّم الفيـلَ تصعيداً وتَصويبا

ولو كان ولد أُهبان بن أوسٍ ادَّعَوا أنّ أباهم كلم الذئب ، كانوا مجانين . وإنما ادَّعوا أنّ الذئبَ كلّمَ أباهم ، وأنّه ذُكِرَ ذلك للنبىِّ صلى الله عليه وسلم وأنّه صَدَّقه .

والفيلُ ليس يكلِّم السندىّ ، ولم يدَّعِ ذلك السندىّ قطُّ ، وربّما كان السِّندِىُّ[٨] هو المكلِّم له ، والفيل هو الفَهِمَ عنه[٩]

(١) فيما عدا ل : « فما سمعنا » .
(٢) فيما عدا ل : « ذكرنا أحدا » .
(٣) ل : « إنكار » ، ولا يلتئم بما بعده .
(٤) فيما عدا ل : « أو عرف » ، تحريف.
(٥) فيما عدا ل : « أبو وهب » .
(٦) فيما عدا ل : « عتبة بن جعفر »
(٧) فيما عدا ل : « وتمرينه لهم » .
(٨) فى ثمار القلوب ٣١٠ نقلا عن الحيوان : « وإنما السندى » .
(٩) فيما عدا ل : « المتفهم عنه » .

فذهب رَزِين العَرُوضىُّ من الغَلَط[1] فى كل مذهب .

(ما يكلَّم من ضروب الحيوان)

والنَّاس [قد] يكلِّمون الطيرَ والبهائم والكلابَ والسَّنانير والمَرَاكب[2] ، وكلَّ ما كان تحتَهم من أصناف الحيوان للتى قد خوِّلوها وسُخِّرَتْ لهم ، وربَّما رأيتَ القرَّادَ يكلم القِرد بكلِّ ضرب من الكلام ، ويُطيعه القِرد فى [جميع] ذلك ، وكذلك ربَّما رأيتَه يلقِّن الببغاء ضروباً من الكلام ، والبَبْغاء تحكيه ، وإنّ فى غراب البَيْنِ لَعَجَباً[3] ، وكذلك كلامهم للدب [والكلب] والشاة المكِّيَّة ، وهذه الأصنافِ التى تَلْقَن وَتَحْكِى .

(تكليم الأنبياء للحيوان)

وقد رَوَى الناسُ عن النبى صلى الله عليه وسلم فى كلام السِّباع والإبل ضروباً ، ولم يذهبوا إلى أنها نطقَتْ بحروفٍ مقطّعة ، ولكنّ النبى صلى الله عليه وسلم إما أن يكون [الله] أوحَى إليه بحاجاتها ، وإمَّا أن تكون فِراسته وحِسّه وتثبُّته فى الأمور ، مع مايُحْضِرُهُ الله[4] من التوفيق ، بَيَّنَ له معانيَها وجَلاَّها له ، واستدلَّ بظاهرٍ على باطنٍ ، وبهيئةٍ[5] وحركةٍ على

---

(١) هـ ، ط : « التغليط » محرف ، إذ التغليط أن تقول لصاحبك : غلطت .

(٢) أى مايركب من الدواب .

(٣) فيما عدا ل : « تعجبا » ، تحريف .

(٤) ط فقط : « يحضر الله » .

(٥) فيما عدا ل : « ونبهه » ، تحريف .

موضع الحاجة ، وإمّا أن يكون الله ألهمه ذلك إلهاماً : وأمّا جِهةُ سليمان ابن داود ، صلى الله على نبينا وعليه ، فى المعرفة بمنطق الطير ومَنطِق كلّ شىء ، فلا ينبغى أن يكون ذلك إلاّ أن يقوم منها فى الفهم عنها مَقامَ بعضِها من بعض ، إذ كان الله قد خصَّه بهذا الاسم ، وأبانَه بهذه الدّلالة .

وأعلام الرُّسُل لا يكثُر عددُها ، ولا تَعظم أقدارها[1] على أقدار فضائل الأنبياء[2] ؛ [لأن أكثر الأنبياء] فوقَ سليمان بن داود ، وأدنى ذلك أنّ داود فَوْقه ؛ لأن الحكم فى الوارث والمورِّث ، والخليفة والذى استخلفه ، أن يكون الموروثُ أعلى ، والمستخلِف أرفَعَ . كذلك ظاهر هذا الحكم حتى يخصّ ذلك برهانٌ حادث . وإنما تكثُر العلامات وتعظُم على قدْر طبائع أهل الزمان ، وعلى قدر الأسباب التى تتَّفق وتهيَّأ لقومٍ دون قوم ، وهو أن يكونوا جبابرةً عُتاةً ، أو أغبياءَ مَنقوصين ، أو علماءَ معاندين ، أو فلاسفةً محتالين ، أو قوماً [قد] شملهم من العادات السيِّئة وتراكَمَ على قلوبهم من الإلف للأمور المرْدية[3] ، [مع طول] لبثِ ذلك فى قلوبهم ، أو تكون[4] نِحْلتهم وملتهم ودَعوتهم تحتمل من الأسْباب والاحتيالات[5] أكثَرَ ممَّا يحتملُ غيرها من ذلك ، فإنّ[6] من الكفر ما يكون عند المسألة ، والجواب أسرَع انتشاراً وأظهرَ انتقاضاً ، ومنه ما يكون أمْتَنَ[7]

٦١

(١) فيما عدا ل : « ولا يعظم قدرها » .
(٢) فيما عدا ل : « فضل الأنبياء » .
(٣) المردية : المهلكة . وفى ل : « الردية » .
(٤) فيما عدا ل : « أن تكون » .
(٥) فيما عدا ل : « والأحساب » .
(٦) فيما عدا ل : « إن » .
(٧) فيما عدا ل : « أمتن شيئا » .

شيئاً ، وإن كانَ مصيرُ الجميع إلى الانتقاض وإلى الفساد . ومنه شيء يحتاج من المعالجة إلى أكثَرَ وأطولَ ، وإنما يتفاضَلُ العلماءُ عند هذه الحال ، وقد يكون أن ينقدح[1] فى قلوب الناس عداواتٌ وأضغانٌ سَبَبُها التَّحاسُد[2] الذى يقع[3] بين [الجيران و] المتفقين فى الصِّناعة[4] ، وربما كانت العداوةُ من جهة العصبيَّة ، فإنَّ عامَّةَ مَن ارتاب بالإسلام إنما كان [أوَّل] ذلك رأى الشُّعوبية والتمادى [فيه] ، وطول الجدال المؤدِّى إلى القتال ، فإذا أبغض شيئاً أبغضَ أهلَه ، وإنْ أبغَضَ تلك اللغةَ أبغض تلكَ الجزيرةَ ، [وإذا أبغض تلك الجزيرةَ أحبَّ مَن أبغض تلك الجزيرة] . فلا تزال الحالاتُ تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام ؛ إذ كانت العرب هى التى جاءت به ، وكانوا السَّلف [والقدوة] .

(أثر الغُلمة فى الجسم والعمر)

وتزعم الهندُ أنّ شِدّةَ غلْمة الفيل وطولَ أيَّامه فيها[5] وهجرانَه الطَّعامَ والشرَابَ ، وبقيَّة تلك الطبيعة ، وعملَ ذلك العرقِ السَّارى ، هو الذى يمنع الفيل أن يصير فى جسمه مَرَّتين ، لأنّ ذلك مِن أمتن أسباب الهُزَال . وإذا تقادَمَ ذلك فى بدن وغَبَّ فيه[6] ، عمِل فى العظْم والعصَب ،

---

(١) ل : « ينقدم » .

(٢) ط ، هـ : « شبيها بالتحاسد » س : « شبيهات بالتحاسد » ، صوابهما فى ل .

(٣) فيما عدا ل : « يكون » .

(٤) فيما عدا ل : « الصناعات » .

(٥) فيما عدا ل : « وطول إقامته فيها » .

(٦) فيما عدا ل : « فى بدنه » وفى الأصل : « وعب فيه » . والوجه ما أثبت .

بعْدَ الشَّحم[1] واللّحم . وإذا كان[2] رفعُ الصوت والصِّياحُ وكثرةُ الكلام والغضبُ والحدّة ، [إنما صار] يورثُ الهُزال لأنّ البدن يسخُن عن ذلك ، [و] إذا شاعَت فيه الحرارة أحرقَتْ وأكلَتْ وشربت ، ولذلك صار الخصىُّ من الدُّيوكِ والأنعامِ أسمَنَ .

وزعَمُوا أنّه ليس [فيما] يعايش الناس من [أصناف] الحيوان أقصرُ عمراً من العصفور ، ولا أطْوَلُ عمراً من البغل . وللأمور[3] أسبابٌ ، فليس يقع الظنُّ إلاّ على قلّة سِفاد البغل وكثرة سفاد العُصفور .

قالوا : ونجد العمرَ الطّويلَ خاصا فى الرُّهبان ، فنظنّ أيضاً [أنّ] تركها الجْماعَ من أسباب ذلك .

قالوا : وإذا اغتلم الذكرُ من الحيوان فهو أخبَث ما يكون لحماً ، وإذا كثُر سِفادُه تضاعَفَ فيه ذلك ، وصار لحمه أيبَسَ ودمُه أقلَّ[4] . ٦٩

قال الشاعر :

أُحِبُّ أنْ أصطادَ ضَبًّا سَحْبَلاَ ... أو جُرَذًا يرعى رَبيعاً أرْمَلاَ[5]

فجعله أرْمَلَ لازوجةَ له ليكون[6] أسمَنَ له ؛ لأنَّ كثرةَ السفاد [مما] يورث الهزال[7] ، ولا يكثر سفاده إلاّ من شدّة غلْمته .

---

(١) ط : « ونفذ فى الشحم » ، س : « ونفد الشحم » ، هـ : « ونمد الشحم » ، محرفات .
(٢) ط ، هـ : « وإن كان » .
(٣) فيما عدا ل : « وللبغل » .
(٤) فيما عدا ل : « أيبس منه » فقط .
(٥) فيما عدا ل : « ظبيا سحبلا » تحريف . وفى اللسان (رمل) :
* رعى الربيع والشتاء أرملا *
(٦) فيما عدا ل : « فيكون » .
(٧) فيما عدا ل : « يورثه الهزال » ، تحريف .

وهجا أعرابيٌّ صاحبَه حين أكل لحمَ سَوْءٍ غثٍّ[1] فقال :

أكلته من غَرَثٍ ومن قَرَمْ[2] كالورد السافد يَغْنَى بالنَّسَمْ[3]

لأنّ [لَحْمَ] الورلِ [لا] يشبه لحم الضبّ، وهم لا يرغبون فى أكله[4] لأنه عَضِلٌ مَسِيخٌ[5] ، ولأنهم كثيراً ما يجدون فى جوفه الحيّاتِ والأفاعى ، وله ذنبٌ سمينٌ، وذلك [عامٌّ فى الأذناب ، وإنْ رأيتَها فى العين كأنها عَضَل . فإذا كان لحمُها كذلك ، ثم كان فى زمن هيجه وسِفاده كان] شرًّا له[6] .

وللورَل فى السِّفاد ما يجوز به حَدّ الجملِ والخنزير[7] .

قال : والنسم هو النَّسيم فى هذا المكان[8] .

وقالت [أمُّ] فَرْوَة القرنية[9] :

نفى نَسَمُ الرِّيح القَذَى عن مُتونِه فما إنْ به عيبٌ تراه لشاربِ

وأنا أعلمُ أنى لو فسَّرْتُ لك معانىَ هذه الأشعار وغريبَها ، لكان أتمَّ للكتاب وأنفعَ لمن قرأ هذه الأبواب ، ولكنى أعرف مَلالَة الناس للكتاب إذا طال . قال الشاعر[10] يهجو من قَرَاه لحمَ كلب[11] :

---

(١) فيما عدا ل : « سوعث » ، محرف .

(٢) الغرث : الجوع . فيما عدا ل : « من عوث » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « يغرى » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « فيه » .

(٥) ط ، س : « متشنج » وفى هـ : « متسيح » ، تحريف ، وأثبت ما فى ل .

(٦) ط فقط : « شر له » .

(٧) هـ : « غذا الجمل والخنزير » ، محرفة . وفى ل : « حال الجمل والخنزير » .

(٨) فيما عدا ل : « والنسم والنسيم فى هذا الموضع واحد » .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من ل . وقد سبق فى (٣ : ٥٤) : « الغطفانية » حيث أنشد الشعر . وقد أعاده ثانية فى (٥ : ١٤٢) .

(١٠) هو اللعين المنقرى كما سبق فى (١ : ٢٦٦) .

(١١) كذا ، وقد سبق قول الجاحظ فيما مضى : « وقال اللعين فى بعض أضيافه يخبر أنه قراه لحم كلب . وقد قال ابن الأعرابى : إنما وصف تيسا » .

فجاءَ بِخَرْشَاوَىْ شَـعيرٍ عليهما كَرَادِيسُ من أوصالِ أعقدَ سافِدِ[١]

فلم يرضَ أنْ جعله كلباً حتى جعله سافداً . فأمَّا ابنُ الأعرابىِّ فزعم أنَّه إنما عَنَى تيساً . وقد أبطَلَ ، وعلى أنَّ المعنى فيهما سواء[٢] .

(أثر الخصاء فى اللحم)

قالوا : وإنما صار الخصىُّ من كلّ جنسٍ[٣] أسمنَ لأنّه لا يَسْفَد ولا يَهيج .

(السقنقور)

قالوا[٤] : والسقنقور إنما ينفَعُ أكلُه إذا اصطادوه فى أيام هَيْجه وسِفاده ؛ لأنَّ العاجز عن النِّساء[٥] يتعالج بأكل لحمه ، فصار لحمُ الهائج[٦] أهْيَج له .

(١) الخرشاء : كل شىء أجوف فيه انتفاخ وخروق وتفتق . فيما عدا ل : « بخرشاوى » تحريف . والكراديس : جمع كردوس ، وهو كل عظم تام ضخم . والأعقد : الملتوى الذنب . ط ، ه : « أعقر » س : « أعفر » ، صوابهما فى ل . وأول البيت فى (١ : ٢٦٦ ، ٣١٩) : « فجاءا » على التثنية ، لأن قبله :

فقلت لعبدى اقتلا داء بطنه وأعفاجه اللائى لهن زوائد

(٢) فيما عدا ل : « واحد » .

(٣) فيما عدا ل : « كل شىء » .

(٤) فيما عدا ل : « قال » .

(٥) فيما عدا ل : « السفاد » .

(٦) فيما عدا ل : « الهياج » .

(أبو نواس والحرامِيُّ)

أقبل أبو نواسٍ ومعه الحرَامِيّ[١] الـكاتب ، وكان أطْيَبَ الخَلْق ، وقد كانا قبل ذلك [قد] نظرا إلى الفيلة فأبصرا[٢] غُرمولَ فيل منها وعلم الحَرَامِىّ[١] أنّ غُرمولَ الفيلِ يُوصَفُ بالجَعْبة ، فوصف لنا غرمولَه ، وأنشدنا فيه شعراً لنفسه :

كأنّه لَمَّا بَدَا للسفْدِ[٣] جَعْبةُ تُرْكِىٍّ عليها لِبْدُ

قلنا له : أقْوَيْتَ واجتلبتَ ذِكر اللِّبد عن غير حاجة[٤] ، قال : فإنى قد قلتُ غيرَ هذا . قلنا : فأنشِدْنا . فقال :

كأنه لمَّا دنا للشدِّ[٥] شمعةُ قَيلٍ لُفِّفَتْ فى لِبْدِ[٦]

قلنا : فلا نرى لك بُدًّا من اللِّبد على حال ؟ قال : قال أبو نواس: فإنى أقولُ عنك بيتين . قال : فهاتِهما[٧] . فقال :

كأنه لما دَنَا للوثْبَه[٨] أُيورُ أعيارٍ جمعن ضَرْبَهْ

---

(١) فيما عدا ل : « الخزامى » ، وفى البخلاء ٤٧ : « الحزامى » . ولم أعرف له ترجمة إلا ما ذكر الجاحظ فى البخلاء أن اسمه عبد الله بن كاسب ، كاتب مؤنس ، وكاتب داود ابن أبى داود . وإن صحت نسبته فهى إلى بنى حرام : خطة كبيرة بالبصرة منها أبو محمد قاسم بن على الحريرى الحرامى صاحب المقامات » .

(٢) ط ، هـ : « وقد كان قبل ذلك نظر إلى الفيلة فأبصر » ، بالإفراد .

(٣) ل : « للعد » .

(٤) فيما عدا ل : « وأجريت ذكر اللبد على غير حاجة » .

(٥) فيما عدا ل : « بدا للسفد » .

(٦) فيما عدا ل : « جعبة فيل » .

(٧) فيما عدا ل : « هاتهما » .

(٨) فيما عدا ل : « لما بدا الوثبه » .

قال الحَرَامى[١] لأبى نواس : هَبهُما لى على أن لاتدَّعيهما ، فعسى [أن] أنتحِلَهما . قلت له[٢] : وما ترجُو من هذا الضَّرب [من الأشعار] ؟ قال : قد رأيتُ غُرمولَه ، فما عُذْرى عند الفيل إنْ لم أقُلْ فيه شيئاً .

(فهم الفيل الهندية)

وحدَّثنى صديقٌ لى قال : رأيتُ الفيَّالينَ على ظهر فيلٍ من هذه الفِيَلة ، وأقبل[٣] صبىٌّ يريد السِّندىّ الرّاكب ، فكلَّمَ الفيلَ بالهنديَّة فوقف ، ثم كلَّمه فمدّ يدَه رافِعَها[٤] فى الهواء حتى رَكِبَها الغلامُ ، ثم رفع يدَه حتى مدَّ السندىُّ يدَه ، فأخذ بيد الصبىّ .

(أخلاف الحيوان وأطْباؤه)

وللبقر والجواميس أربعةُ أخْلافٍ فى مُؤخّر بُطونها ، وللشاة خِلفان ، وللناقة أربعة فى مؤخّر البطن[٥] . وللمرأة والرّجُل والفِيل ثديانِ فى الصدر ، وثَدْىُ الفيل يصغُر جدًّا إذا قرنته إلى بدنه[٦] . وللسِّنَّور ثمانيةُ أطْباءٍ ، وكذلك الكلْبةُ فى جميع بطونهما[٧] . والخنزيرة كثيرةُ الأطْباء . وللفَهدةِ

(١) فيما عدا ل : « الخزامى » . وانظر ماسبق فى ص ٢٢٤ .
(٢) فيما عدا ل : « قال » فقط .
(٣) فيما عدا ل : « فأقبل » .
(٤) فيما عدا ل : « رافعا » .
(٥) فيما عدا ل : « مواخر البطن » .
(٦) فيما عدا ل : « إلى الفيل » .
(٧) فيما عدا ل : « بطنها » .

فى بطنها أربعةَ أطْباء[١] : وللّبؤة[٢] طبْيانِ لايصغُران عن مقدار بَدَنِها؛ والبقرة والأتان[٣] والرَّمَكة والحِجْر فى ذلك سواءٌ إلاّ أنّها من الحافر أطْباء ، ومن الظّلْف أخلاف . والسِّباعُ فى ذلك والحافرُ[٤] سواءٌ .

(عضو الفيل)

وقال صاحبُ المنطق: غُرمول الفِيل يصغُر عن مقدار بَدَنِه، وخُصيتُه لاحقةٌ بكُلْيته لاتُرَى ، ولذلك يكونُ سريع السِّفاد .

وزعم الهندىُّ صاحبُ (كتاب الباهِ) أنَّ أعظمَ الأُيور أيْرُ الفِيل ، وأصغرها أير الظّبى .

(الفيل فى كتاب الحيوان)

وما أعجَبَ ما قرأتَ فى كتاب الحيوان لصاحب المنطق[٥] ، وجدتُه قد ذكر [رأس الفيل و] قِصَر عنقه ، ولم يذكر انقلابَ لسانه . وذلك أعجَبُ مافيه ، ولم يذكر[٦] فى كم يَضَعُ ، ولا مقدار وزن أعظم الأنياب[٧] وكيف يخرج من بطن أمّه نابت الأسنان .

---

(١) الكلام من « وكذلك » إلى هنا ساقط من س .

(٢) فيما عدا ل : « والمرأة » ، تحريف .

(٣) ط فقط : « والإنسان » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « والحوافر » .

(٥) فيما عدا ل : « لصاحب الحيوان فى كتاب المنطق » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « ينظر » .

(٧) فيما عدا ل : « ولا مقدار مدة حمله » ، فيكون تكراراً لما سبق .

(خصائص الفيلة)

والفِيَلةَ لاتلِد التؤام . قال : وهى تفذُّ وتُفْرِد . قال : وقال بعضُ العلماء : لايقال أفذّت ولا أفرَدَت إلاّ لما يجوز أن يُتْئِم .

قال : وأمراضُها أقلُّ من أمراضِ غيرها ، إلاّ أنّ النّفْخَ والرِّياحَ يعرِضُ لها كثيراً ويُؤْذِيها أذًى شديداً ، وعامَّةُ أمراضِها من ذلك ، [حتى ربَّما مَنَعها البولَ وغير ذلك . قال : وإذا أكلت التُّراب ضرَّها ذلك] ، ولا سيَّما إذا أكثرَتْ منه فعاودَتْه .

(علاج الفيلة)

قال : وربَّما ابتلعت [منه] الحجارة . قال : وإذا أصابَها استطلاقٌ سُقِيت الماءَ الحارَّ وعُلِفَت الحشيشَ المعْسول[1] . وإذا أتْعَبُوها اعتراها السَّهَر ، فتعالجَ عند ذلك بأنْ تُدْلَكَ أكتافُها بزيتٍ [وماءٍ حار . قال] : وبعضها يشرب الزّيتَ شُرْباً ذَريعاً .

(تذليل الفيل)

٧١ قال : وإذا تصعَّب الفيل وكانَ فى حِدْثان مااقتطعُوه من الوحْش فإنهم يُنْزُون عليه فِيلاً مثلَه ، ويحتالون له فى ذلك ؛ فما أكثرَ مايَجِدُونه بعد ذلك قد لاَنَ .

قال : وهو مادامَ راكبُه عليه فهو ألينُ من كلِّ ذى أربع ، وأحسَنُ طاعة ، ولكن لبعضها صعوبةٌ عند نزُوله عنه ، فإذا شدُّوا مقاديمَ قوائمها بالحبال شَدًّا قويًّا لانَتْ .

(١) المعسول : المخلوط بالعسل . وفى الأصل : « المغسول » .

قال : وهى على صعوبتها تأنَسُ سريعاً وتَلقَنُ سريعاً ، فأوّلُ مايعلَّم السُّجودُ للملك ، فإذا عَرَفه فكلما رآه سجَدَ له .

(صدق حس الفيل)

فأمّا صِدْقُ الحسّ فهو يفوقُ فى ذلكجميعَ الحيوان ،وهو والجملسواءٌ إذا علِما ، لأنّ الأنثى إذا لَقِحت لم يعاوِدَاها للضِّراب . فهذه فضيلةٌ مذكورة فى حسِّ الجمل ، وقد شاركهُ الفيلُ فيها وبايَنَه فى خصالٍ أخر .

(بعض خصائص الفيل)

وإناثُ الفِيَلة وذكورُها متقاربة فى السنّ[1] ، وكذلك النِّساء والرِّجال ، وهو بحرىّ الطِّباع ، ونَشأ فى الدَّفاء[2] ، وهو[3] أجردُ الجلد ، فلذلك يشتدُّ جزعه منَ البرْد . فإنْ كان أجْرَدَ الجلدِ ، فما قولهم فى أحاديثهم : طلبوا من الملك الفيلَ الأبيضَ والفِيل الأبقَع ، وجاء فلانٌ على الفيل الأسود .

(حقد الفيل)

[قال] : وأخبرَنى رجلٌ من البَحْريِّين لم أر فيهم أقْصَد ولاَ أسدّ ولا أقلَّ تكلُّفا منه ، قال : لم أجدْهم يشُكُّون أنَّ فيَّالاً ضربَ فِيلاً فأوجَعَه فألحَّ عليه ، وأنَّهم عند ذلك نَهَوْه وخوّفوه وقالوا : لاتَنمْ حيثُ

(١) فيما عدا ل : « السمن » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « فى الريف » .

(٣) فيما عدا ل : « فهو » .

ينالك ؛ فإنه من الحيوان الذى يَحقِد ويُطالِب . ولمَّا أراد ذلك السائسُ القاتلةَ شدَّه إلى أصل شجرةٍ وأحكم وَثاقَه ، ثم تنحَّى عنه بمقدارِ ذراعٍ ونام ، ولذلك السائس جُمَّـة . [قال] : فتناولَ الفيلُ بخُرطومه غصناً كان مطروحاً ، فوطِئ على طَرَفه حتى تشعَّث ، ثم أخذَه بخرطومه ، فوضع ذلك الطَّرَف على جُمَّة الهندى ، ثم لواها بخُرْطومه ، فلما ظنَّ أنها [قد] تشبَّكت به وانعقدت ، جذبَ العود جَذبةً فإذا الهندىُّ تحت قوائمه[١] ، فخبطه خبطة كانت نَفْسُه فيها .

فإنْ كان الحديثُ حقًّا فى أصل مخرَجِه فكفاك بالفيل معرفةً ومكيدةً . وإنْ كان باطلاً فإنهم لم يَنْحَلُوا الفيلَ هذِه النِّحْلة[٢] دونَ غيره من الدوابّ إلاّ وفيه عندهم مايحتمل ذلك[٣] ويليق به .

(طيب عرق الفيل)

قال : والعرَق الذى يسيل من جَبْهته فى زمنٍ من الزّمان يضارِع المِسْكَ فى طيبه ، [و] لايعرِض له وهو فى غير بلاده .

(أثر المدن فى روائح الأشياء)

وقد علمنا أنّ لرائحة الطِّيب فضيلةً إذا كان بالمدينة ، وأنّ الناسَ إذا وجَدُوا ريح النَّوى المنقَعِ[٤] بالعِراق هَرَبوا منه . وأشراف أهل المدينة[٥]

---

(١) فيما عدا ل : « جذب الهندى فإذا هو تحت رجليه » .

(٢) ل : « مثل هذه الحيل » .

(٣) فيما عدا ل : « يحتمل عليه » .

(٤) فيما عدا ل : « النقيع » وهما بمعنى .

(٥) فيما عدا ل : « وإن أهل المدينة » .

يجتنبون المواضعَ التى يكون فيها ذلك ، التماساً لِطيب تلك الرائحة .

ويزعم تُجّار التُّبّتِ ممن قد دخل الصِّين والزّابِج[1] ، وقلّب تلك الجزائر ، ونقّب فى البلاد ، أنّ كلّ من أقام بقصبة تُبّت اعتراه سُرورٌ لايدرى ماسببُه ، ولا يزال مبتسما ضاحكا من غير عَجَب حتى يخرجَ منها .

٧٢

ويزعمون[2] أنّ شِيرازَ من بين[3] قُرى فارس ، لها فغمَةٌ[4] طيّبة . ومَن مَشَى واختلف فى طُرقات مدينة الرّسول صلى الله عليه وسلم ، وجَدَ منها عَرْفاً طيِّباً وَبَنّةً عجيبةً[5] لاتخفَى على أحدٍ ، ولا يستطيع أنْ يسمِّيَها .

ولو أدخلتَ كلَّ غالية وكلَّ عطر ، من المعجونات وغير المعجونات ، قَصبة الأهواز أو قصبة أنطاكِية[6] لوجدتَه قد تغيَّر وفسَد ، إذا أقام فيها[7] الشَّهرين والثّلاثة .

(أثر بعض التمر فى العرق)

وأجمعَ أهلُ البَحْرين أنَّ لهمْ تمراً يسمى النَّابجِيَّ[8] ، وأنّ من

---

(١) الزابج ، بفتح الباء وكسرها : جزيرة فى أقصى بلاد الهند ، وراء بحر هركند فى حدود الصين . وفى الأصل : « الزانج » ، تحريف . وقبلها فيما عدا ل : « قد حصل الصين » .

(٢) فيما عدا ل : « وزعموا » .

(٣) فيما عدا ل : « جميع » .

(٤) فى اللسان : « وفغمة الطيب رائحته » . ط ، هـ : « نبته » س : « نية » صوابهما فى ل .

(٥) البنة ، بالفتح : الرائحة الطيبة . فيما عدا ل : « نبتة » محرفة .

(٦) فيما عدا ل : « بقصبة الأهواز وقصبة أنطاكية » .

(٧) فيما عدا ل : « فيه » ، تحريف .

(٨) النابجى ، كذا وردت فى ل . وفيما عدا ل : « المانحى » ، ولم أجد لأحدهما ذكرا فى كتب اللغة .

نَضَخَه وجعله نبيذاً ثمّ شربه وعليه ثوبٌ أبيض ، صبغَهُ عرقه ، حتى كأنه ثوب أتحمىٌّ[1] .

(استعمال الفيلة)

وزعم لى بعضُ البحريِّين أنها بالهند تكون نَقّالةً وعوامِلَ كعوامل البقر والإبل[2] . والنّقالة التى تكون فى الكَلاَّءِ والسُّوق[3] . وأنها تذلّ لذلك] وتُسامِح وتُطاوع ، وأنّ [لها] غلاَّتٍ[4] من هذا الوجه .

وزعم لى أنَّ أحَدَ هذه الفِيَلَةِ التى رأيناها بُسرّ من رأى ، أنّه كان لقَصَّارٍ بأرض سَنْدان[5] ، يحملُ عليه الثِّيابَ إلى الموضع الذى يغسلُها فيه[6] . ولا أعلَمُه إلا الفيلَ الذى بعثَ به ماهانُ أو زكريا بن عطية[7] .

(العاج)

قالوا : وعظامُ الفيل كلها عاجٌ ، إلاّ أنّ جوهَرَ النّاب أثمنُ وأكرم . وأكثَرُ ماترَى[8] من العاج الذى فى القِباب والحِجال والفُلْك والمَداهن إنما هو من عظام الفيل[9] ، يعرَفُ ذلك بالرّزانة والملاسة .

---

(١) فى ل : « سحمى » . وفيما عدا ل : « سخمى » بالخاء المعجمة ، صوابهما ماأثبت . والأتحمى من البرود هو الأحمر .

(٢) ل : « كعوامل الإبل » فقط .

(٣) الكلاء ، كشداد : مرفأ السفن . وفى الأصل : « الكلا » . وفى ل : « والنوق » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « وأنها غلات » .

(٥) سندان ، بالفتح : مدينة فى ملاصقة السند ، بينها وبين الديبل والمنصورة نحو عشر مراحل .

(٦) فيما عدا ل : « المواضع التى يغسلها فيه » .

(٧) ل : « أو بكر بن عطية » .

(٨) فيما عدا ل : « مايرى » .

(٩) فى الأصل : « الإبل » .

والعاجُ مَتْجر كبير ، [و] يتصرّف في وجوهٍ كثيرة ، ولولا قَدْرُهُ لما فخر الأحنفُ بن قيس فيما فخر به على أهل الكوفة ، حيث قال : « نحن أكثرُ منكم عاجاً وساجاً ، وديباجاً وخراجاً » . ويقال إنّه من كلام خالد بن صفوان ، ويقال إنه من كلام أبي بكر الهذلي .

(موت الذباب)

[وإذا خفق بأذنه الفيلُ فأصاب ذُباباً أو يعسوباً أو زنبوراً لم يُفلِحْ] . والفرسُ الكريم تقعُ الذُّبابة على مُوقَيْ عينيه ، فيَصْفِق(١) بأحَدِ جفنَيه ، فتخرُّ الذُّبابة ميّتة . وقال ابن مُقْبل :

كأنّ اصطفاقَ مَأْقِيَيْهِ بِطرْفِهِ ... صِفاق أديمٍ بالأديم يُقابِلُه(٢)

ويصيح الحمار فتصعق [منه] الذبابة فتموت . قال العَبْشَمِيّ(٣) :

مِنَ الحمير صَعِقاً ذِبَّانُهُ ... بكلّ مَيْثاء كتغريد المغَنّ(٤)

وقال عُقبة بن مكدَّم التَّغلبي(٥) :

وترَى طَرْفَها حديداً بعيداً ... أعْوَجِيًّا يُطنُّ رأسَ الذُّباب(٦)

---

(١) صفق عينه : غمضها . فيما عدا ل : « بإحدى جفنيه » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « مآقيه بطرفته » ، وبه يختل الوزن .

(٣) فيما عدا ل : « العبسى » .

(٤) فيما عدا ل : « صعق ذبابه » .

(٥) هو المعروف بابن مكبرة الجعدى ، ومكبرة أمه . وهو عقبة بن مكدم بن عامر بن مالك ابن عبد الله بن جعدة ذكره الآمدي في المؤتلف والمختلف ١٦٢ . ومكدم ، بفتح الدال المشددة . وفيما عدا ل : « مكرم » تحريف .

(٦) يقال أطن ذراعه بالسيف فطنت : ضربها به فأسرع قطعها . وفيما عدا ل : « الطن » محرف .

وقال ابن مُقبل :

تَرى النُّعَرَاتِ الُخضْرَ تحتَ لَبَانِهِ   فرَادَى وشَتَّى أصعقَتْهَا صواهِلُه[1]

وقال[2] فى غير هذا الباب :

وإنِّى لقاضٍ بين شيبان وائل   وَيَشْكُرَ إنِّى بالقضاء بصيرُ[3]

[وجدنا بنى شيبانَ خُرطوم وائل   ويَشْكُرُ خنزيرٌ أدَنُّ قصيرُ[4]

وليس هذا موضع هذين البيتين . وأنشد :

أمسى المَضَاءُ ورهطُهُ فى غِبطةٍ   ليسُوا كما كان المَضَاءُ يقولُ[5]

لا تَخْرَأُ الذِّبان فوقَ رؤُوسِهم   فاليومَ تَخْرَأُ فوقَها وتبولُ

(قول زياد فى بناء داره)

أبو الحسن قال : قال زياد ودخلَ دارَه[6] ، وكان بناها [له] فيلٌ مولاهُ ، فلم يرضَ بناءَها ، فقال : ادعُوا [لى] فيلا . فلم يجِدُوه . فقال : ليتَها فى بطن فيل ، وفيلٌ فى البحر .

(قصة فيل مولى زياد)

وكان فيلٌ مولى زيادٍ شديدَ اللُّكْنة ، وأهدى بعضُهم إلى زيادٍ حمارَ وحش ، فقال فيل : أصلح الله الأمير ، [قد] أهدَوْا لنا هِمارَ وَهْش !

---

(١) النعرات : جمع نعرة كهمزة : وهى ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها . وفيما عدا ل : « البعرات » ، تحريف . والرواية فى اللسان (نعر) : « أحاد ومثنى » .

(٢) فيما عدا ل : « وأنشد » .

(٣) ل : « إنى لقاضى » بالخرم .

(٤) الأدن : الذى يداه قصيرتان وعنقه قريبة من الأرض . وفى الأصل وهو هنا ل : « أذب » محرف .

(٥) فيما عدا ل : « أمسى المضاء وأهله » .

(٦) فيما عدا ل : « وقال أبو الحسن قال دخل زياد داره » ، تحريف

فقال : أيَّ شيءٍ تقول ويْلَكَ ؟ قال : أهْدَوْا لنا أيراً . يريد عيراً[1] فقال زياد : الأوَّل أمثل .

(العيثوم)

وكان أبو مالكٍ يقول : العيثُوم الفيلَ الأنثى. وذهب إلى قول الشاعر :

* وطِئَتْ عليكَ بخُفِّها العيثومُ *

ويدلّ[3] قولُ علقمةَ بن عَبْدَةَ على أنَّ العيثومَ من صفات الفيل [العظيم الضَّخْم] . وقال :

تَتْبعُ جُوناً إذا ماهيِّجَتْ زَجَلَتْ ... كأنّ دُفًّا عَلَى العَلياءِ مَهزُومِ[4]

إذا تزغَّمَ من حافاتها رُبَعٌ ... حَنَّت شعاميمُ من أوساطها كُومُ[5]

يَهْدِى بها أسْجَحُ الخدَّين مُخْتَبرٌ ... من الجمال شديدُ الخلْقِ عَيثُومُ[6]

---

(١) فيما عدا ل : « يعنى أيرا » . والقصة فى البيان والتبيين (٢ : ٣١٢) .

(٢) من بيتين للأخطل فى اللسان (عثم) لم يرويا فى ديوانه . وصدر الأول :

* وملحب خضل النبات كأنما *

وصدر الثانى : * تركوا أسامة فى اللقاء كأنما *

(٣) فى الأصل : « فدل » . وإنما يعنى الجاحظ الأبيات التالية وهى فى ديوانه ١٣١ والمفضليات ٤٠٤ .

(٤) ط ، س : « يقبع » ط ، س : « حدبا » هـ : « حوبا » ، وفيما عدا ل : « كأن رفا » والصواب فى ل والديوان والمفضليات . أى تتبع هذه الفرس الإبل لتسقى من ألبانها ، وهذه الإبل إذا هيجت الورد سمعت لها صوتا عاليا لكثرتها كأنه صوت دف مشقوق على مكان مرتفع .

(٥) تزغم : حن حنينا خفيا . ط ، س : « ترعم » هـ « نزعم » ، والصواب فى ل والديوان والمفضليات . والشعاميم : المسان التوام . وفيما عدا ل : « سعاميم » صوابه فى ل . وفى المفضليات : « شغاميم » وهى بالغين المعجمة لغة فى الشعاميم .

(٦) الأسجح : السهل الطويل القليل اللحم . وفى المفضليات والديوان : « أكلف الخدين » . والمختبر ، بكسر الباء : المجرب ، وبفتحها المعروف بالنجابة .

(ضرب المثل ببعد ما بين الجنسين)

وقد أكثروا في ضرب المثل ببُعدِ مابين الجِنْسين . وقال عبد الرحمن ابن الحكم[١] :

أتغضَبُ أن يقالَ أبوك عَفٌّ ... وتَرْضَى أنْ يقال أبوك زَانِى

وأشهدُ أنْ رحمك من زيادٍ ... كرحم الفيلِ من ولد الأتانِ[٢]

فجعل معاويةَ من نسل الفيل لشرفه ، وجعل زياداً من نسل الحمار لَضَعَتِه[٣] .

ولعمرى لقد باعد ؛ [لأنّ الغنم وإن كانت من النعَم من ذوات الجِرّة والكروش فإنّ مابين الغنم والإبل بعيد] .

وكذلك قول الكميت :

وما خِلتُ الضِّبابَ معطَّفاتٍ ... على الحيتان من شَبَهِ الْحُسُولِ[٤]

قال : فهذا أبْعَد وأبعد ، لأنه وإن [ذهب إلى أنّ] ولدَ نزارٍ عربٌ فهم في معنى الضِّباب[٥] وساكنى الصَّحارَى ، وأولئك عَجَم ، فجعلهم كالسَّمك ٧٤

---

(١) وكذا وردت هذه النسبة في الحيوان (١ : ١٤٦) والخزانة (٢ : ٥١٨) . ونسب أيضا إلى يزيد بن مفرغ كما في الشعراء ٧٩ والموشح ٢٧٣ . وإلى عبد الرحمن بن حسان ، كما في العقد (٤ : ١٨٢) . وقد رسم في شفاء الغليل ١٧٣ « كرحم الفيل من ولد الأتان » . وقال : « هذا في شعر للكميت » .

(٢) فيما عدا ل : « أن آلك من قريش كآل » . وهي تحريف رواية : « إلك من قريش كإل » . قال الخفاجي في شفاء الغليل : « وأصله كما في كتاب أفعل لابن حبيب ، أن فيلا أتى واديا فرأى به حمارا فطرده ، فقال له : لم تطردني وبيني وبينك رحم ؟ فقال : ماهي ؟ فقال : إن غرمولي يشبه خرطومك . فصدقه . وهذا مما يحكى على ألسنة الحيوانات لضرب المثل » .

(٣) فيما عدا ل : « لضعفه » تحريف .

(٤) في الأصل : « وما خفت » ، صوابه مما سبق في (٦ : ١٣٣) . وفي س ، ط : « على الحيات » ، صوابه في ل ، هـ وما سبق .

(٥) فيما عدا ل : « الذئاب » محرف .

الذى يعيش فى الماء . ألا ترى أنّ معاويةَ بنَ أبى سفيانَ بن يزيد ابن معاوية[1] ، لمّا قتلَتْه ضبّةٌ دسَّت فى أسته سَمَكة .

وقال جرير :

ما بين تيم وإسماعيلَ مِن نَسبٍ إلاّ قرابةُ بَيْنِ الزِّنْجِ والرُّوم[2]

فقال قطرب : الصَّقالبة أبعد . قيل له : إنّ جريراً لايفْصِل[3] بين الصَّقالبة والرُّوم .

وعلى معنى الكميت قال الآخر[4] :

* حتى يؤلفَ بين الضبِّ والنّونِ[5] *

وتقول العرب : « لايكون ذاك[6] حتى يجمع بين الأروَى والنَّعام » لأنّ الأرْوَى جبليّة والنعامَ سُهْلية . و [قد] قال الكميت :

يؤلِّف بين ضِفْدِعَة وضَبٍّ ويعجبُ أنْ نبرَّ بنى أبينا[7]

وهذا هو معناه الأوّل . وأبعَدُ من هذا قولُ الشاعر :

* حَتّى يؤلّف بين الثّلجِ والنّارِ *

---

(١) فى الأصل : « بن معاوية بن يزيد » وليس لمعاوية بن يزيد بن معاوية عقب ؛ كما فى المعارف ١٥٤ . والذى له عقب هو أبوه يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . وقد ذكر ابن قتيبة فى أولاد يزيد بن معاوية « أبا سفيان بن يزيد بن معاوية » .

(٢) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٤٨٨ يهجو بها التيم .

(٣) ط فقط : « يفضل » ، تحريف .

(٤) بدله فيما عدا ل : « إنما هو على معنى قول الكميت » ، محرف . وانظر ما سبق فى (٦ : ١٣٣) .

(٥) نظيره لحارثة بن بدر فى البيان (٤ : ٦٦) :

لاتحسبن فؤادى طائرا فزعا إذا تحالف ضب البر والنون

(٦) فيما عدا ل : « ذلك » ، وقد سبق المثل ونظائره فى (٥ : ٥٢٨) .

(٧) مضى البيت فى (٥ : ٥٢٩ / ٦ : ١٣٣) .

(قصة الجارية وأمها)

وقال أبو الحسن المدائني[١] : قال أبو دهمان الغلاّبي عن الوقّاصي[٢] قال وحدثني بذلك الغَيْدَاقيّ عن الوقّاصي قال : قالت جارية لأمّها ليلةَ زَفافها : يا أُمَّهْ ، إن كان أيرُ زوجي مثلَ أير الفيل كيف أحتال حتى أنتفع به ؟ قال : فقالت الأم : أي بُنَيّة قد سألتُ عن هذه المسألة أميّ فذكرتْ أنّها سألتْ عنها أمَّها فقالت : لايجوز إلا أن يجعلَكِ اللهُ مثلَ امرأةِ الفيل . قال : فسكتَتْ حولاً ثم قالتْ لأمّها : يا أمَّه ، فإنّي إنْ سألتُ ربِّي أن يجعلَني مثلَ امرأةِ الفيل أتطمعين[٣] أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : يابُنَيَّة ، قد سألتُ عن هذه المسأله أمِّي فذكَرَتْ أنها سألَتْ عنها أمَّها فقالت : لايجوز [ذلك] إلا أن يجعلَ اللهُ جميعَ نساءِ الرِّجال مثلَ نساءِ الفيلة . قال : فسكتَتْ عنها حولاً ثم قالت : فإن سألتُ ربّي أن يَجْعَلَ نساءَ جميعِ الرِّجالِ مثلَ نساء الفيلة أتطمعين[٣] أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : يابنَيَّة ، قد سألتُ عن مثل هذه أمِّي فذكرت أنها سألَتْ أمَّها عنها فقالت : لايجوز [ذلك] إلا أن يجعلَ الله جميعَ رجال النساء مثلَ رجالِ نساء الفيلة . قال : فسكتَتْ عنها حولاً ثم قالت : فإنْ سألتُ

(١) فيما عدا ل : « المديني » ، تحريف .

(٢) ل : « قلت لأبي دهمان للغلابي عن الوقاصي » ، وفيما عدا ل : « قال أبو البرهان الملائى ثم الوقاصي » ، وقد جمعت منهما الصواب . وأنشد الجاحظ في البيان (٢ : ٢٩١) لأبي دهمان الغلابي :

لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي ... وأخلفني منها الذي كنت آمل
فما كل مايخشى الفتى بمصيبه ... وما كل ما يرجو الفتى هو نائل
فما كان بيني لو لقيتك سالما ... وبين الغنى إلا ليال قلائل

(٣) فيما عدا ل : « أتطمعي » .

ربِّى أنْ يجعلَ جميعَ رجالِ النساء مثلَ جميع نســاء الفِيَلة أتطمعين أن يَفْعَل ذلك ؟ قالت : يابُنيَّة ، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّى فذكرَتْ أنّها [قد] سألَتْ أمَّها عنها ، وأنّها قالت : يا بُنَيّة ، إنّ الله إنْ جعلَ جميع النّاسِ فِيلةً لم تجد امرأةُ الفيل مع عِظَمِ بدنها من اللّذة إلا مثلَ ماتجدين أنتِ اليومَ مع زوجك من اللذّة ، ثم تذهب عنك لذّةُ الشّمِّ والتّقبيل والضمّ [والتقليب] ، والعِطْر والصِّبْغ ، والحَلْى والمِشطة(١) والعِتاب والتفدية وجميع مالكِ اليومَ . [قال] : فسكتَت حَولاً ثم قالت : يا أمَّهْ ، إنْ سألتُ ربِّى أن يجعلَ أيرَ الفِيل أعظمَ أتطمعينَ أن يفعلَ ذلك ؟ قالت الأمّ : أىْ بُنيَّة ، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّى فذكرَتْ أنها سألَتْ عنها أمّها ، وأنها قالت : أىْ بُنيَّة ، إنّ الله إنْ جعَل أيرَ الفيل أعظمَ ، جعل(٢) حِرَ امرأةِ الفيل أوسَع وأعظمَ ، فيعودُ الأمرُ كلُّه إلى الأمر الأوَّل . قال : فسكتَتْ [عنها] حولاً ثم قالت : يا أمّه ، فإنْ سألتُ ربِّى أن يجعل أيرَ الفيل أشدَّ غلْمة(٣) فيصير عددُ أكوامه أكثرَ أتطمَعين أن يفعل [ذلك] ؟ قالت : أى بُنَيّة ، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّى فذكرَتْ أنها سألَتْ أمَّها عنها ، وأنها قالت : أىْ بُنَيّة سَلِى اللهَ أن يجعل زوجَك أشدَّ غُلْمةً مما هو عليه ، ولكن لاتسأليه ذلك حتى تسأليه أن يزيدك(٤) فى غلمتك . قالت : يا أُمَّه ، فإن سألْتُ ربِّى أن يجعلَه فى غُلْمة

٧٥

(١) المشطة ، بالكسر : الضرب من الامتشاط ، فيما عدا ل : « الممشطة » وهو مصدر ميمى .

(٢) فيما عدا ل : « وجعل » . وإنما هو جواب « إن » .

(٣) فيما عدا ل : « أعظم غلمة » .

(٤) فيما عدا ل : « يزيد » .

التيس أتطمعين أن يفعلَ ذلك؟ قالت : أىْ بُنَيَّة ، قد سألتُ عن مثل هذه المسألة أُمِّى فذكرَتْ أنها سألت عنها أُمَّها ، وأنها قالت : لايجوز أن يجعلَه فى غُلمة التَّيس حتى يجعلَه تَيساً ، قالت : يا أُمَّه فإنْ سألتُ ربِّى أن يجعله تيساً [أتطمعين فى ذلك . قالت : أى بنيَّة ، إنه لايجعله تيساً حتى يجعلَك عَنْزاً . قالت : أىْ أُمَّه ، فإنْ سألتُه أن يجعله تيساً] ويجعلنى عنزاً أتطمعين أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : أىْ بنيّة قد سألتُ عن هذه المسألة أُمِّى فذكرَتْ أنها زارَتْ أُمَّها لتسألها عن هذه المسألة فوجدَتْها فى آخِرِ يومٍ من الدّنيا وأوّلِ يومٍ من الآخرة ، وما أشكُّ أن يَوْمى قد دنا(١) .

فلم تلبَثِ [الأمُّ] إلا أياماً حتى ماتت(٢) .

باب الظلف

وهى الظِّباء وهى مَعْزٌ ، والمعزُ أَجناسٌ . والبقرُ الوحشىُّ ذاتُ أظلافٍ وهى بالمعْز أشبَهُ منها بالبقر الأهلىّ ، و [هى] فى ذلك تسمَّى نعاجا . وليس بينها وبين الظِّباء ،وإن كانت ذواتِ جرّةٍ وكُروشٍ وقُرونٍ وأظلافٍ تَسافدٌ ولا تلاقح . وهى تُشْبِهها فى الشعَر ، وفى عَدَم السّنام .

ومن الظِّلْف الوَعِل ، والثَّيتَل ، والتّامور(٣) ، والأيّل . جَبَليات كلُّها ، لا أدرى كيفَ التَّسافد والتلاقح منها .

---

(١) ل : « أن أجلى قد دنا » .

(٢) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « معناها فى تسويف اللذة ودفعها بالحيلة » ، ولا إخالها من كلام الجاحظ .

(٣) فى اللسان (أمر) : « التامور جنس من الأوعال أو شبيه بها ، له قرن واحد متشعب فى وسط رأسه » . فيما عدا ل : « النامور » ، محرف .

ومن الظّلف الخنازيرُ وهى بلا كَرِشٍ ولا جِرّة ولا قَرْنٍ[١] . وليس بينهما موافقةٌ إلا فى الظّلف .

وفى الخنازير ما ليس ظِلفه بمنشقٍّ ، فذاك[٢] هو المخالفُ بالنّاب وبعدم[٣] [هذه] الأشياءِ كلِّها .

وتُشاكلُ[٤] المعزَ والبقرَ والظباءَ بالشَّعَر وقِصَر الذَّنب ، وتُخالف[٥] البقر والجواميسَ فى طول الذَّنَب ، وفى عدد أيّام الحَمْل .

ومن الظلف الضأنُ والمَعْز ، وقد يكون بينهما[٦] تسافدٌ وتلاقح إلا أنها تُلقيه مَلِيطاً قبل أن يُشْعِر[٧] ، وذلك أقلُّ من القليل .

ومن الظلف البقر الأهليُّ ، والجواميس ، وهى أهليةٌ أبداً ، وهى موافقةٌ للضأن فى القرن[٨] وفى عدم النَّاب ، و[فى] الجرَّة والكَرِش . وتخالف الضأنَ فى الصُّوف والسنام[٩] وتوافق المعز فى الشعر وتخالف [فى] السنام[٩] ، وتخالف جميعَ الغنم فى الحَمْل ؛ لأن الغنمَ تضع لخمسة أشهر . والبقر تضعُ كما تضعُ المرأةُ فى تسعة أشهر . وليس تُشْبه المرأة فى غير ذلك ، إلا مايذكرون من الغَبَب ونُتُوِّ الكاهل ، فإنهما ربما كانا فى بعض النساء ، وأكثر ذلك فى نساء الدَّهاقين .

---

(١) فيما عدا ل : « وهى لا كرش ولا جرة ولا قرون » ، محرف .

(٢) فيما عدا ل : « فيقال » .

(٣) فيما عدا ل « وتقدر » ، محرف .

(٤) أى الخنازير . وفى ل : « تتشاكل » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « ويخالف » ، محرف .

(٦) ل : « بينها » .

(٧) المليط : الذى لاشعر عليه . ويقال أشعر الجنين فى بطن أمه ، وشعر بالتشديد ، واستشعر ، أى نبت عليه الشعر .

(٨) فيما عدا ل : القرون » .

(٩) كذا وردت هذه الكلمة .

(القول فى الزرافة)

قالوا : وللزّرافة تكون فى أرض النّوبة فقط . قالوا : وهى تسمّى بالفارسية أُشترْ كاوْ بلنك[1] كأنه قال : بعير ، بقرة ، نمر[2] . لأنّ كاوْ هو البقرة ، وأُشتُر [هو[3]] الجمل ، وبلنك هو النَّمِر[4] .

فزعموا أنّ الزرافةَ ولدُ النمرة[5] من الجمل . فلو زعمتم أنّ الجملَ يكوم الضَّبُعَ ويكوم [بعض] ماله ظِلفٌ ما كان إلا كذلك . والمسافدةُ فى أجناس المخلب والخُفِّ والحافر أعمُّ ، فلو جعلوا الفحلَ هو ا ر ، والأنثى هى الناقة ، كان ذلك أقرَبَ فى الوهم .

وليس كل ذكر يكومُ[6] أنثى يُلقِحُها . وقد يكومُ الإنسانُ الدابَّةَ بشهوةٍ منهما جميعاً ولا يكون تَلاقُح كما اتّفقا فى المسافدة . وإنّ الرّاعىَ يكومُ الغنمَ وغيرَ الغنم .

وانظرْ ، كم مِنْ ضَرْبٍ ادَّعَوْا مّما لا يُعرَف : فواحدةٌ أنّ بهيمةً[7]

---

(١) أشتر ، بضم الهمزة والتاء . وفى ط ، ﻫ : « شتر » وهى صحيحة أيضا ، تقال بضم الشين والتاء . وبلنك ، هى فى الفارسية بالباء المفخمة .

(٢) ط ، س : « كأنه يعنى بقرة » ﻫ : « كأنه يعنى بقرة جمل » ، وأثبت النص كاملا من ل .

(٣) هذه من ﻫ فقط .

(٤) الذى فى ل بعد كلمة « نمر » السابقة : « لأن بلنك نمر » . وكلمة « النمر » هى فيما عدا ل : « الضبع » وهو يوافق مامضى فى (١ : ١٤٣) ، والصواب ما أثبت . أما الضبع بالفارسية فهى « كفتار » كما سبق التحقيق فى (٦ : ٤٥٢) .

(٥) فيما عدا ل : « النمر » .

(٦) الكوم : الضراب . ط فقط : « يكون » ، محرف .

(٧) فيما عدا ل : « بهيما » ، تحريف .

ذكراً اشتهى سبعاً أنثى ، وهو من أصعب السِّباع . ثم الثانية أنه ألقح[1] .
والثالثة أنّ أرحامَ النمور لا تتّسع لأولاد الإبل .

قالوا : نمورُهم عِظامٌ وإبلُهم لِطاف . وقد تتّسع أرحامُ القِلاص العربيَّة لفوالج[2] كِرْمان ، فتجىء بهذه الجَمَّازات[3] . ولولا أنه فسَّرَ[4] لجازَ أن يكونَ النَّمِرُ يكومُ النّاقةَ فتتَّسع أرحامُها لذلك .

قالوا : وفى أعالى بلاد النُّوبة تجتمع سباعٌ ووحوشٌ ودوابٌّ كثيرة ، فى حَمَارَّةِ القَيظ إلى شرائعِ المياه ، فتتسافَدُ هناك فيَلْقَح منها ما يَلْقَح ، ويمتنعَ ما يمتنع ، فيجىءُ من ذلك خلقٌ كثيرٌ[5] مختلفُ الصُّورة والشكل والقَدْر ، منها الزَّرَافة .

وللزَّرافةُ خَطْمُ الجمل ، والجِلد للنَّمِر[6] ، والأظلاف والقرن للأيِّل[7] ، والذَّنَب للظَّبْى ، والأسنان للبقَر ، فإنْ كانت أمُّها ناقة فقد كامَها نمِرٌ وظبىٌ وأيِّل فى تلك الشرائع . وهذا القولُ يدلُّ على جَهْلٍ شديد.

والزَّرافة طويلةُ الرِّجْلين ، منحنية إلى مآخيرها[8] ، وليس لرجلَيْها ٧٧ ركبتان ، وإنما الرُّكبتانِ ليديها ؛ وكذلك البهائم كلُّها . وعَسَاهُ إنما أرادَ

---

(١) ط فقط : « أن ألقح » .

(٢) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين . فيما عدا ل : « للواقح » ، محرف .

(٣) الجمازات : جمع جمازة ، وهى التى تجمز ، أى تسرع فى عدوها . وانظر (١ : ٨٣ — ٨٤ / ٥ : ٤٥٩) . وفيما عدا ل : « الجبارات » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « ولولا أنه سبع » .

(٥) ل : « عظيم » .

(٦) أى جلد الزرافة يمت إلى النمر بسبب وشيه .

(٧) بدلها فى ل : « والرأس والأظلاف للأيل » ، والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٨) فيما عدا ل : « إلى أواخرها » .

الثفِنات[١] . والإنسانُ رُكبتاه فى رجلَيه .

ويقولون : « أُشْتُرْ مُرْك[٢] » للنَّعامة ، على التَّشبيه بالبعير والطَّائر ، يريدون تشابُهَ الخلق ، لا على الولادة .

ويقولون للجاموس « كاوماش[٣] » على أن الجاموس يُشْبه الكبشَ والثَّوْر ، لا على الولادة ، لأنّ كاو بقرة ، وماش[٤] [اسمٌ للضأن .

وقال آخر : تضع أمُّ الزَّرافة ولدَها من بعض السِّباع ، ولا يشعرُ النَّاسُ بذلك الذَّكر . قالوا : كاوماش] على شَبَه الجواميس بالضّأن ، لأنَّ البقرَ والضأنَ لا يقع بينهما تلاقحٌ . والتّفليس[٥] الذى فى الزَّرافة لا يُشْبه الذى فى النَّمر ، وهو بالبَبْر[٦] أشبَه ، وما النمرُ بأحقَّ به[٧] من هذا الوجه من الفَهْد .

(تسافد الأجناس المختلفة)

وقد يمكن أن تُسْمِحَ الضَّبعُ للذّئب[٨] ، [والذّئبة للذِّيخ] ، والكلبةُ للذِّئبِ وكذلكَ الثعلبُ والهِرَّةُ ، وكذلِكَ الطَّيْرُ وأجْناس الحمامِ كالوَرْدَانىِّ

(١) كذا وردت هذه العبارة فى ل . وبدلها فى ط : « وعصاها إن أرادت القيام » ، وفى س ، هـ : « وعصاها إذا أرادت القيام » لكن فى س : « فعساها » وهاتان عبارتان مقحمتان ، وأما ماجاء فى ل فهو إما دليل على سقط قبله ، أو هو دخيل على الكتاب من تعليق قارئ أو ناسخ .

(٢) مرك ، والأصح فيه « مرغ » بضم الميم وآخره غين معجمة كما فى معجم استينجاس ١٢١٦ ، وكما سبق (١ : ١٤٣ / ٤ : ٣٢١) . لكن سبق نظير هذا التساهل فى النطق فى ص ١٢٠ وقد نبهت عليه . وفيما عدا ل : « اشترمك » محرف .

(٣) فيما عدا ل : « كاوماس » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ماس » ، تحريف .

(٥) التفليس : أراد به اللمع التى تشبه الفلوس .

(٦) فيما عدا ل : « بالليث » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وما الليث أحق به » ، محرف .

(٨) فيما عدا ل : « للأرنب » ، تحريف .

والوَرَشان والحمام ، وكالشِّهرىّ من بين الحِجْر والبِرْذَوْن ، والرَّمَكة والفَرَس ، والبغلِ من بين الرَّمَكة والحمار .

فأمّا بُروك الجمل على النَّمرة ، والجملُ لابدَّ أنْ تكون طَرُوقتُه باركةً ، فكيف تبركُ النّمرة للجمل ، والسِّباع إنما تتسافد وتتلاقح قائمةً ، وكذلك الظِّلف والحافر ، والمِخْلَب ، والخُفّ . والإنسانُ والتِّمْساح يتبطّنان الأنثى . والطيرُ كلُّه إنما يتسافَدُ ويتلاقح بالأستاه من خلف[1] وهى قائمة .

(شواذ السفاد)

وزعموا أنَّ الغرابَ يُزَاقُّ[2] . والحُمَّرُ والقَبَج ربّما ألقحا الإناث[3] إذا كانا على عُلاَوَة الرِّيح[4] . ولا تكونُ الولادةُ إلاّ فى موضع[5] إلقاء النُّطفة [والشيءِ الذى يلقح منه] .

وأمّا السَّمكةُ فقد عايَن[6] قومٌ مُعارضَةَ الذكر للأُنْثَى ، فإذا سَبَح الذكَرُ إلى جنب الأنثى عَقَفَ ذنبَه وعقفتْ ذَنَبها ، فيلتقى المبالان[7] فتكونُ الولادة [من] حيث يكون التلقيح ، لا يجوزُ غير ذلك .

والذين يزعمون[8] أن الحجَلةَ تلقَحُ من الحجَل إذا كانتْ فى سُفَالة

---

(١) هاتان الكلمتان ليستا فى ل .
(٢) أى يكون لقاحه الأنثى بالتزاق . انظر لهذا المعنى ماسبق فى (٣ : ١٧٧) .
(٣) فيما عدا ل : « الحجل و القبج فربما ألقحا الإناث » ، تحريف .
(٤) علاوة الريح بالضم : أعلاها ، ويقابلها السفالة بالضم أيضا .
(٥) فيما عدا ل : « مواضع » .
(٦) فيما عدا ل : « باين » ، محرفة .
(٧) فيما عدا ل : « الحياءان » .
(٨) فيما عدا ل : « زعموا » .

الرِّيح ، من شيءٍ ينفصل من الذَّكر[1] . فإنما شبَّهوا الحجَل بالنَّخْل ، فإن[2] النخلةَ ربما لقِحَتْ من ريح كافورِ الفُحَّالِ[3] إذا كانت تحتَ الرِّيح .

(المخايرة بين ذوات القرون والجم)

[قال] : وسئل الشَّرْقيّ عن مخايرةِ[4] مابين [ذوات] القرون والُجمّ فقال : الإبل والخيل من [الخفّ و] الحافر . والبرثُن والمِخْلب والقدَم التي هي للإنسان[5] . [قال] : فمن خصال ذى القرن أنَّ منه [وإليه ينسب] ذو القرنين[6] الملكُ المذكورُ فى القرآن ، ويزعم بعضهم أنه الإسكَنْدَر . وقال أميَّة بن أبي الصَّلْت :

رَجُلٌ وثَوْرٌ تحتَ رجل يمينهِ والنَّسْرُ للأُخْرى ولَيْثٌ مُرْصَدُ[7]

(استطراد لغوى)

وَيقالُ ضَرَبه على قَرْنه . وقَرْنٌ من دم ، كما يقال قرنٌ من عرَقٍ[8] . والقَرْن : أمَّة بعد أمَّة . والقَرْنُ[9] : شيءٌ يصيب فُروج النساء يُشْبِه العَفَلة[10] .

---

(١) ط : « فى شيء لنقصان منى الذكر » س ، هـ : « فى شيء لنقصان من الذكر » صوابهما فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « وإن » .

(٣) الفحال ، بالضم : ذكر النخل . فيما عدا ل : « النخال » ، محرفة .

(٤) فيما عدا ل : « محاجزة » ، تحريف .

(٥) كذا وردت هذه العبارة .

(٦) فيما عدا ل : « ذا القرنين » .

(٧) سبق البيت والكلام عليه فى (٦ : ٢٢٢) .

(٨) القرن : الدفعة من العرق ، يقال عصرنا الفرس قرنا أو قرنين . قال زهير :

تضمر بالأصائل كل يوم تسن على سنابكها القرون

(٩) هو بسكون الراء اسم العفلة ، وبفتحها اسم العيب .

(١٠) العفلة ، بالتحريك هى للنساء شبه الأدرة التى للرجال فى الخصية . قالوا : والعفل =

(ذوات القرون)

٧٨ والفيل من ذوات القرون ، وفى الحيَّات والأفاعِى مالها قرون ، وإنما ذلك الذى تسمع أنه[١] قرن إنما هو شيءٌ يقولونه على التَّشبيه ، لأنّه من جنس الجِلْد والغضروف . ولو كان من جنس القُرون لكانت الحيّة صلبةَ الرأس ، والحية أضعفُ خَلق الله رأسًا[٢] ، ورأسُه هو مَقْتَلُه ؛ لأن كلَّ شيءٍ له قرنٌ فرأسُه أصْلَب ، وسلاحُه أتمّ . والقَرْنُ[٣] سلاحٌ عَتِيدٌ غير مُجْتَلَبٍ[٤] ولا مصنوع ، وهو لذَوات القُرون فى الرؤوس . وللكرْكدَّن قرنٌ فى جبهته ، والجاموس أوثق بقَرْنِه من الأسد بمِخْلبه ونابه .

وتقول المجوس : يجىء شُوتَن[٥] على بقرةٍ ذاتِ قُرون .

وظهرت الآية فى شأن داودَ وطالوتَ فى القَرْن . وشَبُّورُ اليَهود من قَرْن[٦] . والبُوق فى الحُروب مُذ كانت الحَرْب[٧] إنما كان قرناً .

= لايكون فى الأبكار ، ولا يصيب المرأة إلا بعد ماتلد . ط : « يشبه بالعقلة » س : « لشقه بالعفلة » ، هـ : « لشفه بالعفلة » ، والوجه ماأثبت من ل .

(١) ط ، هـ : « سمع به » ل ، س : « تسمع به » والوجه ماأثبت .

(٢) فيما عدا ل : « أضعف شىء رأسا » .

(٣) فيما عدا ل : « والقرون » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « غير مختلف » ، تحريف .

(٥) ل : « بشوْتن » وفيما عدا ل : « سرقين » . وانظر ماسبق فى (٦ : ٤٧٧) واستدراكات الجزء السادس .

(٦) انظر للشبور مامضى فى (٤ : ٥٢٥) .

(٧) فيما عدا ل : « التى منها كانت الحرب » ، تحريف .

[وبُوق الرَّحَى قرنٌ . والأيّل يَنْصُل قَرنُه فى كلّ عامٍ . وكان سِنان رُمح الفارس فى الجاهليَّة رَوقَ ثَور] .

(مايسمى بروق)

ويسمَّى الرَّجلُ بِرَوق ، والرَّوْق كالشيء يعاقب الشيء[1] . وقال بشّار فى التَّعَاقُب[2] :

أعقَبَتْه الجَنُوبُ رَوْقاً من الأزْيَبِ [3]

وفى العرَب رَوْق وأبو رَوْقٍ[4] . وقال ابن مَيّادة :

دَانَ له الرَّوقانِ من وائلٍ وَقَبْلَهُ دَانتْ له حِمْيَرُ [5]

الرَّوْقانِ : بكرٌ وتَغلِب[6] .

(استطراد لغوى)

ويقال قَرْنُ الضُّحى ، وقَرْنُ الشّمس ، [وقُرون الشَّعَر] ، وقَرْنُ الكَلأ[7] ، وقرون السُّنْبل ، وأطرافُ عذوق النَّخْل وأطراف عروق الحَلْفاء[8] وإبرةُ العقرب كلُّها قُرون .

---

(١) فيما عدا ل : « كل شيء يضاف إلى شيء » .
(٢) فيما عدا ل : « اليعاقيب » تحريف .
(٣) كذا ورد البيت منقوصا . وفيما عدا ل : « أعقبه » . والأزيب : النكباء التى تجرى بين الصبا والجنوب . ط ، س « الأريب » وفى ل ، هـ : « الأرنب » ، صوابهما ما أثبت .
(٤) وردت هذه الجملة فى ل قبل « وقال بشار » .
(٥) فيما عدا ل : « دان له حمير » .
(٦) كذا . وقد ذكر المحبى فى جنى الجنتين ٥٦ أنهما مالك وجشم ابنا بكر بن حبيب ، وقال فى ٥٣ : « الرأسان مالك وجشم ابنا بكر بن حبيب ، وهما الروقان أيضا » .
(٧) ط فقط : « قرن الكلام » ، محرف . وفى اللسان : « وقرن الكلأ أنفه الذى لم يوطأ ، وقيل خيره ، وقيل آخره . وأصاب قرن الكلأ ، إذا أصاب مالا وافرا » .
(٨) ل : « عروق » فى الموضعين . وفيما عدا ل : « عذوق » فى الموضعين . ولعل الوجه فيما أثبت .

(علاقة القرون واللحى بالذكور)

والأجناس التى [تكون] لها القرون تكون قرونُها فى الذُّكور منها . وقد يكون الفحلُ أجمَّ ، كما أن اللِّحَى عامٌّ فى الرِّجال . وقد يكون فيهم السِّناط[١] .

(أنواع القرون)

وقد تَتَشعَّبُ[٢] قرونُ الظباء إذا أسنَّتْ .

وقرونُ الظِّباء وبقَرِ الوحْش شِدادٌ جدًّا ، وإنما تعتمد الأوعالُ فى الوُثوب[٣] وفى القذْف بأنفسها مِن أعالى الجبال على القُرون . والأغلب على القُرون أن تكون اثنَيْن اثنَين[٤] . وقد يكون لبعض الغنم قرون عِدّة .

(استخدام القرون)

والجواميسُ تمنَعُ أنفسَها وأولادَها من الأُسْد بالقُرون ، وبقَر الوحش تمنَع أنفسَها وأولادَها من كِلاب القُنَّاص ومن السِّباع التى تُطيف بها ، بالقُرون . قال الطِّرِمَّاح :

أكَلَ السَّبْعُ طِلاَها فما   تَسْأَلُ الأشباحَ غيرَ انهزامْ[٥]

---

(١) السناط ، بكسر السين وضمها . ويقال أيضا « السنوط » كصبور : الذى لا لحية له . ط : « السنباط » صوابه فى س ، هـ . وفى ل : « السوط » صواب هذه « السنوط » . وكلمة « فيهم » هى فيما عدا ل : « منهم » .

(٢) فيما عدا ل : « تشعب » .

(٣) فيما عدا ل : « وإنما تعتمد الأوعال فى السلاح والوثوب » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « اثنتين اثنتين » ، محرف .

(٥) البيت فى ديوان الطرماح ١٠٧ . فيما عدا ل : « فما نسل الإسلام » صوابه =

(قصة فى سفاد الخنزير)

وقال ابن النُّوشَجانىّ[1] : أقبلت من خراسان فى [بعض] طُرُق الجِبال[2] فرأيتُ أكثرَ من مِيلَين [متّصلين] فى مواضعَ كثيرةٍ من الأرض ، أثر ستِّ أرجل ، [فقلت فى نفسى : ما أعرف دابّة لها ستُّ أرجُل] ! فاضطرَّنى الأمر[3] إلى أنْ سألتُ المُكارِىَ ، فزَعَم أنّ الخنزيرَ الذّكرَ فى زمان الهَيْج يركب الخنزيرة وهى ترتَع أو تذهَبُ نحوَ مَبيتِها ، فلا يَقْطَعُ سفادَه أميالاً ، ويداه على ظَهْرها ورجلاهُ خَلْف رجليها ، فمَنْ رأى تلك الآثار[4] ، رأى ستّ أرجل ، لايدرى كيفَ ذلك . ٧٩

(مايعرف بطول السفاد)

قال : فالخنزير فى ذلك على شَبيهٍ[5] [بحال] الذباب [الذكر] إذا سقط[6] على ظهر الأنثى ، فى طول السِّفاد .

وإنّ الجملَ فى ذلك لعجيب الشّأن ، فأمّا العدد فالعصفور[7] ، ويُحكَى أنّ للورَل فى ذلك ما ليس لشيءٍ ، يعنى فى القوة ، وأنشد أبو عبيدةَ :

= فى ل والديوان . وفى شرح الديوان : « هذا مثل . يقول : لاتسأل الأشباح عما بها من الفزع ... غير انهزام : غير أنها تغدو وهى منهزمة » .

(١) النوشجانى : نسبة إلى نوشجان ، بضم النون وفتح الشين ، وهى مدينة بفارس . وفى ط ، س : « النوسحار » ، وفى هـ : « البرسحار » ، صوابهما ماأثبت من ل وكتاب البغال ص ٣١٧ من رسائل الجاحظ .

(٢) فيما عدا ل : « طروف الجبال » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « فاضطرنى ذلك » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « ذلك الأثر » .

(٥) فيما عدا ل : « شبه » .

(٦) فيما عدا ل : « سقطت » ، تحريف

(٧) فيما عدا ل : « والعدد فى العصفور » .

فى عُظْمِ أيرِ الفيل فى رَهْز الفرَسْ[1]
وطولِ عَيْسٍ جَمَــل إذا دَحَسْ[2]

(فرس المـاء)

قال عَمْرُو بنُ سعيد : فرس الماء يأكل التمساح . قال : ويكون فى النِّيل خُيول ، وفى تلك البحور ـ يعنى تلك الخُلْجان ـ مثلُ خيول البرّ ، وهى تأكل التماسيح أكلاً شديداً[3] ، وليس للتماسيح فى وسط الماء سلطان[4] شديد[5] إلاّ على ما احتمَلَه بذنَبه من الشَّريعة .

قال : وفرس الماء[6] يؤْذِن بطلوع النِّيل ، بأثر وطْء حافره ، فحيث وجدَ أهلُ مِصرَ أثرَ تلك الأرجل عرَفُوا أنّ [ماء] النيل سيَنتهى[7] فى طلوعه إلى ذلك المكان .

وهذا الفَرَس ربَّما رعَى الزُّرُوع[8] ، وليس يبدأُ إذا رَعَى فى أدْنَى الزَّرْع إليه ، ولكنّه يحزِرُ منه قدْرَ ما يأكل[9] ، فيبدَأُ بأكله[10] من

(١) ط ، س : « الفيل وهو قوس » ، ﻫ : « وهو موس » ، وأثبت ما فى ل . وفى كتاب البغال ٣١٥ : « أير البغل » .
(٢) العيس ، بالفتح : الضراب . وفيما عدا ل : « وطول حبس إذا حبس » .
(٣) فيما عدا ل : « التمساح أكلا ذريعا » .
(٤) هذه الجملة ساقطة من ﻫ . وفيما عدا ل : « ولا للتمساح فى وسط الماء سلطان » ، تحريف .
(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها فى ط ، ﻫ : « يظهر » .
(٦) فيما عدا ل : « وفرس البحر » .
(٧) فيما عدا ل : « ينتهى » .
(٨) فيما عدا ل : « الزرع » .
(٩) الحزر : تقدير الشىء بالحدس والظن . فيما عدا ل : « يحرز منه بقدر ما يأكل » تحريف .
(١٠) ط ، ﻫ : « يبدأ فيأكل بأكله » س : « فيبدأ فيأكل بأكله » ، ووجهه ما أثبت من ل .

أقصاه ، فيرعى مُقْبِلا إلى النِّيل ، وربَّما شرب [هذا الفرس] من الماء ، بعد المَرْعَى[١] ثم قاءه في المكان الذى رَعَى فيه[٢] ، فينبت أيضاً .

والطَّير عندنا يأكلُ التُّوت ويَذرُقه[٣] ، فينبت من ذَرْقه شجَر التُّوت .

قالوا : وإذا أصابُوا من هذه الخيل فِلْوًا صغيراً[٤] ربّوه مع نسائهم وصبيانهم في البيوت ، ولم يزِدْ على هذا الكلام [شيئا] .

قال : وفى سنّ من أسنانه شفاءٌ من وجع المَعِدة .

(التداوى بفرس الماء وبنات عرس)

قال : والنُّوبةُ وناسٌ من الحبَشة يأكلون الحيتان[٥] نِيَّةً بغير نار ، ويشربون الماءَ العكر فيمرَضُون[٦] ، فإذا علّقوا سنّ هذا [الفرس] أفاقوا ، قال : وأعفاج هذا الفرس تُبرِئ من الجنون والصَّرْع الذى يعترِى مع الأهلَّة[٧] .

قال : وكذلك لحومُ بنات عِرْسٍ صالحة لِمَنْ به هذه العِلّة .

---

(١) فيما عدا ل : « بعد الرى » ، تحريف .

(٢) ط ، هـ : « ثم قاء » . وفيما عدا ل : « يرعى فيه »

(٣) فيما عدا ل : « تأكل التوت وتذرقه » والأمثل ما كتبت من ل .

(٤) الفلو : الجحش والمهر إذا افتلى وفطم . يقال بكسر الفاء ، وبضمها مع اللام وتشديد الواو ، وبفتحها مع ضم اللام وتشديد الواو .

(٥) فيما عدا ل : « الحية » .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفيما عدا ل : « الماء العطن » .

(٧) انظر لهذا ماسبق فى ص ١٣٨ .

(صيد الذئب للإنسان)

قال : وإنما يكونُ الإنسان من مصايد الذِّئب إذا لقيه والأرضُ ثَلْجاء[١] ، فإنّه عند ذلك يخْفِش وجْهَ الأرض[٢] ويجمعُه، ويضرب وجهَ الرجل[٣] فارساً كان أو راجلاً . قال : ودُقاق[٤] الثَّلج وغُباره إذا صَكَّ وجهَ الفارس سَدِرَ واستَرْخَى وتحيَّر بَصَرُه ، فإذا رأى ماقد حلَّ به فربَّما بَعَجَ بطنَ الدَّابَّة ، وربما عضَّها ، فيقبضُ على الفارس فيصرعُه ولا حَرَاكَ به ، فيأكله كيف شاء ، إلا أن يكون الفارس مجرباً ماهراً ، فيشدُّ عليه عند ذلك بالسِّلاح ، وهو فى ذلك يَسيرُ ويقطعُ المفازةَ ، ولا يدعَه[٥] حينئذ يتمكّن من النفر عليه .

(تعليم الذئب وتأليفه)

وزَعَم عبويه أنّ الحصىّ العبدى الفقيه من أهل هَمَدان ، السودانىّ[٦] ، ٨٠ الجَبَلّى ، وهو رجل من العرب قد ولدته حليمةُ ظئرُ النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، وهو من بنى سعد بن بكر ، فزعَم أنَّ السُّودانى أشبَهُ خلْق الله بجارحةٍ ، وأحكمُهمْ بتدبير ذئبٍ وكلبٍ وَأسدٍ ونَمر ، وتعليم وتثقيف ، وأنّه

(١) لم أجد هذا الوصف فيما لدى من المعاجم .

(٢) يخفشه : يقشره . ط : « يخفش » ، صوابه بالخاء كما أثبت من س . وفى هـ : « يحنش » تحريف .

(٣) ط فقط : « وجه الأرض » تحريف .

(٤) الدقاق ، بالضم . ط ، هـ : « دقائق » .

(٥) الكلام بعد هذا اللفظ إلى « منحتكم المودة من فؤادى » التى ستأتى فى ص ٢٥٦ لم أعثر على موضعها فى نسخة ل .

(٦) انظر ماسبق فى حواشى (٦ : ٢٦) .

بلغ من حذقه ورِفقه أنّه ضَرّى ذئباً وعلّمه، حتى اصطاد له الظِّباء والثّعالبَ وغيرَ ذلك من الوحوش ، وأنّ هذا الذئبَ بعينه سَرَّحَه فرجَع إليه من ثلاثين فرسخا ، وذكر أنّ هذا الذئبَ اليومَ بالعسكر ، وحدّثنى بهذا الحديث فى الأيام التى قام بها أميرُ المؤمنين المتوكِّلُ على الله ، وذكر أنّه ضَرَّى أسداً حتى ألِف وصار أهليًّا صَيُوداً ، حتى اصطادَ الحميرَ والبقرَ وعِظامَ الوحش صيداً ذريعا ، إلا أنَّ الأسَد بعد هذا كله وثَب على ولدٍ له فأكلَه ، فقتَلهُ السودانى .

والذى عندنا فى الذِّئب أنه يألف . ولو أخذ إنسانٌ جرواً صغيراً من جرائه ثمَّ ربَّاه ، لما نَزَعَ إلا وحشيًّا غَدُورًا مُفْسداً . ولذلك قال الأعرابى :

أكلْتَ شُوَيْهَتى ونَشَأْت فينا فمن أنباك أنَّ أباكَ ذيبُ[1]

فالذى حكى عبويه من شأن هذا الذِّئب والأسد من غريب الغريب .

(مصارعة كلبة لثعلب)

وأخبرنى عبويه صاحب ياسر الخادم قال : أرسلتُ كلبة لى فحاصرَتْ ثعلبا ، فوالله إنْ زالا كذلك حتى خرَّا ميّتين ، قال : فقلت : أكرِمْ بهما صيداً ومَصيداً ، وطالبا ومطلوبا .

(من خصائص الكبار والفلاسفة)

قال : وإذا أسنَّ القرشىُّ رَحَل إلى الحجاز .

وقال : ما احتنَك رجلٌ قطُّ إلا أحبَّ الخلوة ، وقالوا : مافكَّر فيلسوفٌ قط إلا رأى الغُربةَ أجمَعَ لهمِّه وأجوَدَ لخواطره .

---

(١) سبق البيت والخبر وتخريجهما فى ١٨٧ .

(قول بكر المزنى فى الأَرَضَة)

قال : وشتم رجلٌ الأَرَضَة فقال بكر بن عبد الله المُزَنى : « مَهْ ، فهى التى أكلَتْ جميع الصَّحِيفةِ التى تعاقَدَ المشركون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ذِكرَ رسول الله ؛ وبها تبيَّنت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيبَ ما لبثوا فى العذاب المهين ، وبها تكشَّف أمرُها عند العوّام بعد الفتنة العظيمة عندهم ، وكان على الخاصّة من ذلك أعظم المحن » .

(طول ذماء الضب)

وخبَّرَنى رجلٌ من بنى هاشمٍ كان منهوماً بالصَّيدِ لَهِجاً به ، أنَّه ضَرَبَ وَسَطَ ضَبٍّ بالسَّيفِ فقطعه نِصفَين ، فتحرَّك كلُّ واحدٍ منهما على حِيالِه ساعةً من نهار ثمَّ سَكَنا .

(الورل والضب)

وأخبرنى أنهم كانوا يُهارِشون بين الضَّبِّ والورَل ، فيُلْغِبُه الورلُ حتى يقتله[1] .

وحكَى أنَّ الورلَ يقتل الضبَّ على معنى الصائد والطالب ، وأن الضبَّ يقاتل على معنى المُحْرَج ، وأنّه هارَشَ بين الورَل والحيَّة فوجد الورَلَ يقتل الحيّة ويأكلها ، ويقتل الضبَّ ولا يأكله ولكن حُسُوله[2] . ٨١

(١) ألغبه : أنصبه وأتعبه . واللغوب : التعب والإعياء . س ، هـ : « فيغلبه » تحريف صوابه فى ط .

(٢) الحسول : جمع حسل ، وهو ولد الضب . وفى الأصل : « ولكنه » .

(علة عدم قتل الأعراب للورل والقنفذ)

وزعم أنّه وجَدَ مشايخَ الأعرابِ لايقتلون وَرَلاً ولا قنفُذًا ولا يدَعُون أحداً يصطادهما ، لأنهما يقتلان الأفاعيَ ، ويُريحانِ الناسَ منها .

(نوادر من الشعر والخبر)

وأنشد أبو عبيدة لأبي ذؤيب :

وسَوَّدَ ماءُ المَرْدِ فاها فلَونُه ... كلَوْنِ النَّؤُورِ وهي بيضاءُ سَارُها [(١)]

وأنشد شبيها به للنابغة :

يَتَحَلَّبُ اليعضيد من أشداقها ... صفرًا مَناخِرُها من[الجرجار] [(٢)]

وأنشد شبيها بذلك لإبراهيم بن هَرْمَة :

كأنَّها إذْ خُضِبتْ حِنًّا وَدَمْ [(٣)] ... والُحرضِ والعـ..ن والهَرْمِ العُصُمْ [(٤)]

وأنشد أيضاً :

تعلّم الأكل أولاد الظباء بها ... فما يحسُّ بها سِيدٌ ولا أسَدُ

(١) المرد : الغض من ثمر الأراك . ط ، س : « المزن » صوابه في هـ . وفي الأصل : « منها » بدل « فاها » صوابه في ديوان أبي ذؤيب ٢٤ . وسارها ، أراد سائرها . ورواية الديوان « أدماء سارها » .

(٢) اليعضيد : بقلة زهرها أشد صفرة من الورس . وفي الأصل : « يتحلب » ، تحريف . وفي ط ، س : « ليصيد » هـ : « التعصيد » ، صوابهما ماأثبت من الديوان ٣٨ واللسان (عضد ، جرر) . وكلمة « الجرجار » ساقطة من الأصل ، كما أن كلمة « من » قبلها ثابتة في س فقط .

(٣) ط : « حنا ورم » ، س : « بحنا ورم » ، هـ : « بحنا أودم » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ط ، هـ : «من حرص» ، وأثبت ما في س والكلمة التي بعدها ساقطة من ط ، وبدلهما بياض في هـ ، لكن هكذا وردت مبتورة في س . والحرض : الأشنان تغسل به الأيدي على أثر الطعام . والهرم ، بالفتح : البقلة الحمقاء ، أو ضرب من الحمض فيه ملوحة . والعصم : جمع أعصم .

وأنشد :

ذكرتُكِ ذِكْرةً فاصطدت ظبياً   وكُنْتُ إذا ذكرتُكِ لا أخِيبُ

منحتُكم المودَّة مِن فؤادِى   ومالى فى مودَّتكم نصيب

وقال ابن مُقبل :

وكم من عَدُوٍّ قد شققنا قميصَهُ   بأسمرَ عَسَّالٍ إذا هُزَّ عاملُهْ[1]

وقال أيضاً :

ولم أصطبِح صهباءَ صافية القَذَى   بأكْدَرَ من ماءِ اللِّهابة والعَجْبِ[2]

ولم أسْرِ فى قومٍ كرامٍ أعِزَّةٍ   غَطارفةٍ شُمِّ العَرانِين من كلْبِ

اللِّهابة[3] والعَجْب : ماءان من مياه كلب موصوفانِ بالعُذوبة ، وهى فى ذلك كَدِرة . وأنشد ابن مَزْرُوع[4] لعدىِّ بن غُطيفٍ[5] الكلبىّ ، وكان جاهليًّا :

أهلكَنا اللّيلُ والنهارُ مَعا   والدَّهر يَعدُو عَلَى الفَتَى جَذَعا[6]

والشَّمْسُ فى رأسِ فُلْكةٍ نُصِبَتْ   رَفَّعها فى السماء مَن رَفَعا

أمرٌ بلِيطِ السماءِ مُكْتَتَمٌ   والنَّاسُ فى الأرض فُرِّقوا شِيَعا[7]

---

(١) فيما عدا ل : « شققت » . والعسال : الرمح المضطرب اللدن . ط ، س : « عزال » ه : « عنآل » ، صوابه فى ل .

(٢) صافية القذى ، أى قد صفت من القذى . واللهابة ، بالكسر . فيما عدا ل : « اللهاءة » تحريف . والعجب ، هنا بالفتح .

(٣) فيما عدا ل : « اللهاءة » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ابن مروع » .

(٥) فيما عدا ل : « عطيف » ، تحريف . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ص ٢٥٢ .

(٦) فيما عدا ل : « أكلن الليل » ، تحريف . والدهر يسمى جذعا لأنه أبدا جديد ، كأنه فتى لم يسن . وفى الأصل : « جزعا » ، تحريف . انظر اللسان (جذع ٣٩٤ - ٣٩٥) .

(٧) أصل الليط ليط العود ، وهو القشر الذى تحت القشر الأعلى .

كما سَطَا بالآرامِ عادٌ وبالحِجْـ ـرِ وأرْكَى لتُبَّعٍ تبعـا[1]

فليس ممّـا أصابنى عجب إن كنتَ شَيئاً أنكرتَ أو صَلَعا[2]

قال : هو عاد بن عُوص بن إرم[3] . وسَطَا بالحِجْر ، أى بأهل الحِجْر[4] . وأرْكَى أى أخَّر. والإركاء[5] : التأخير .

٨٢

وقال كعبُ بنُ زهير :

فَعْمٌ مُقلَّدُها عَبْلٌ مقيَّدُها فى خَلْقِها عن بَناتِ الفَحْلِ تَفضِيلُ[6]

حَرْفٌ أخوها أبوها من مُهَجَّنةٍ وعمُّها خالُها قَوداءُ شِمْلِيلُ[7]

[وكما قال ذو الرّمّة :

* أخوها أبوها والضَّوَى لا يضيرُها[8] *]

(١) فى القاموس (أرم) : « وذو آرام : حزن به آرام جمعتها عاد » . فيما عدا ل : « بالأنام » تحريف . وأركى : أخر . وفى اللسان « أركيت الدين ، أى أخرته » . فيما عدا ل : « أرجا » بالجيم فى البيت وفى التفسير بعده . وهما بمعنى .

(٢) فيما عدا ل : « إن كنت شيئا أنكرت أو صنما » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « بن أيد » ، صوابه فى ل والاشتقاق ٥٢ .

(٤) فيما عدا ل : « أى أتى بأهل الحجاز » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « والإرجاء » وهما بمعنى ، كما سبق فى التنبيه الأول .

(٦) يروى أيضا : « ضخم مقلدها » . والضخم والفعم بمعنى . انظر شرح بانت سعاد لابن هشام ٥١ .

(٧) قال ابن هشام : « يحتمل لمعنيين : أحدهما التشبيه ، أى إن أخاها يشبه أباها فى الكرم وعمها يشبه خالها فى ذلك . والثانى التحقيق ، وإنها من إبل كرام ، فبعضها يحمل على بعض حفظا للنوع . ولهذا النسب صور ، منها أن فحلا ضرب بنته فأتت ببعيرين فضربها أحدهما فأتت بهذه الناقة . وقال الفارسى فى تذكرته : صورة قوله أخوها أبوها أن أمها أتت بفحل فألقى عليها فأتت بهذه الناقة . وأما عمها خالها فيتجه على النكاح الشرعى : تزوج أبو أبيك بأم أمك فولد لها غلام فهو عمك وخالك إلا أنه عم لأب وخال لأم . صورة أخرى : تزوجت أختك من أمك أخاك من أبيك فولد لها ولد فأنت عم هذا الغلام أخو أبيه وخاله ، لأنك أخو أمه من أمها » . ثم قال ابن هشام : « ولا ينطبق تفسير أبى على رحمه الله على ما ذكرت فى البيت ، لأن الشاعر لم يصف الناقة بأحد النسبين بل بهما معا » .

(٨) عجزه كما فى ديوان ذى الرمة ١٧٥ . * وساق أبيها أمها اعتقرت عقرا *

وقال سالم بن دارة :

حَدَوْتُ بهم حتّى كأنّ رِقابَهُمْ
من السَّير فى الظّلماء خيطان خِرْوَعِ

وقال بعض المحدَثين :

وقد شَرِبُوا حتى كأنّ رقابَهُمْ　　من اللِّين لم تُخلق لهنّ عظامُ

وقال آخر(٢) :

كأنّ هامَهُمُ والنَّوْمُ واضِعُها　　على المناكِبِ لم تُعْمَدْ بأعناقِ

وقال الكميت :

وفى اللّزَباتِ إذا ما السِّنُو　　نَ أُلْقِيَ مِن بَرْكها كلكل(٣)

لعامٍ يقولُ له المُؤلِفُو　　نَ هذا المُعِيمُ لنا المُرْجِلُ(٤)

وقال أيضاً :

الطَّيِّبُو　تُرْبِ المَغَارِ　سِ والمنابتِ والمكَاسِرْ(٥)

والساحِبُـــون اللاحفُو　نَ الأرضَ هُدّابَ المآزِرْ(٦)

---

(١) ل : « وقال آخر » .

(٢) ل : « وقال بعض المحدثين » .

(٣) اللزبات : الشدائد من السنين . والبرك : الإبل الكثيرة . وفى الأصل : « برقها » .

(٤) المؤلفون ، لعله عنى بهم أصحاب الإيلاف ، وهم هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل . المعيم : الشديد العيمة ، وهى شهوة اللبن . والمرجل : الذى يجعل القوم لا مركوب لهم فيصيرون راجلين . وفى الأصل : « المقيم » صوابه فى السيرة ٣٨ واللسان (عيم) . وفى ط ، س ، هـ : « المرحل » ول : « الموجل » ، صوابهما فى السيرة واللسان .

(٥) المكاسر : جمع مكسر ، وهو من الشجرة أصلها حيث تكسر منه أغصانها . ويقال فلان طيب المكسر إذا كان محمودا عند الخبرة .

(٦) فيما عدا ل : « اللاحقون » ، تحريف . ويلحفون الأرض : يغطونها . ومثله لطرفة :

ثم راحــوا عبق المسك بهم　　يلحفون الأرض هداب الأزر

والمآزر : جمع مئزر . فيما عدا ل : « المآسر » ، تحريف .

أنتم معادنُ للخلافة كابراً مِن بَعدِ كابرْ
بالتِّسْعة المتتابعين خلائفاً وبخير عاشرْ

وقال أيضاً :

ولا يكن قوله إلا لرائدها
أعشَبْتَ فانزِلْ إلى معشوشب العشبِ [1]

ذهب إلى قوله :

مستأسد ذِبَّانُه فى غَيطلِ [2] يقلْنَ للرّائد أعشَبْتَ انزِلِ

ولكن انظُرْ كمَ بين الدِّيباجتَين . وفى الأوّل ذَهَبَ إلى قول الأعشى :

إذا الحِبَرَاتُ تَلوَّتْ بهِمْ وجرّوا أسافِلَ هُدَّابِها

قال : كان [3] أصحابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم يقولون «كونوا بُلْهًا كالحمام»
ولقد كان الرّجل منهم يدعُو لصاحبه يقول : أقلَّ الله فِطْنتاك .   ٨٣

قال : وهذا يخالف قول عمرَ رضى الله عنه ، حين قيل له : إنّ فلاناً
لايعرف الشَّرّ . قال : ذلك أجْدَرُ أن يقَعَ فيه .

وقال النابغة الذبيانى :

ولايحسَبونَ الخيرَ لا شَرَّ بَعْدَه ولايحسبون الشَّرَّ ضربةَ لازبِ

---

(١) صدره فيما عدا ل : « مكرم قوله لزائرين له » ، وفى ط : « معلوبة العشب » ، س ، هـ : « مقلوبة » ، والوجه ماأثبت من ل .

(٢) ل : « مستأسدا » ط : « ذئابه » تحريف . والرجز لأبى النجم من أرجوزة له طويلة نادرة عدد أبياتها ١٩١ وقد نشرت بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (٨ : ٤٧٢ - ٤٧٩) سنة ١٩٢٨ . وكان رؤبة يسميها أم الرجز . انظر ماسبق فى (٣ : ٣١٤) .

(٣) فى الأصل : « فإن » . وانظر مامضى من الكلام على الخبر التالى فى حواشى (٣ : ١٨٩) .

وقال الآخر :

ولا تعذِرانى فى الإساءة إنّه شِرَارُ الرجال مَن يسىء فيُعذَرُ [١]

وقالت امرأة ترثى عُمَير [٢] بنَ مَعْبَد بن زُرارة :

أعَيْنُ ألا فابكى عُميرَ بن مَعبدٍ وكان ضروباً باليدين وباليدِ [٣]

تقول : بالسَّيف وبالقداح ، لأنّ القداح تُضرَبُ باليدين جميعاً . وقال ابن مقبل :

وللفؤاد وجيب عند أبهَرِهِ لَدْمَ الوليدِ وراءَ الغيبِ بالحجَرِ

وقال ابن أحمر :

* وفؤادُه زَجِلٌ كعَزفِ الهُدْهُدِ [٤] *

وكان حسّان يقول لقائده [إذا شهد طعاماً : « أ] طعامُ يدٍ أم طعام يدين ؟ » . طعام يدين : الشِّواءُ وما أشبه ذلك ، وطعام اليد : الثرائد [٦] [وما أشبَهَها] .

وقال بعض السَّلاطين لغلامٍ من غِلمانه وبين يديه أسيرٌ : اضربْ .

---

(١) سبق البيت فى (٣ : ٤٨٢) .

(٢) ل : « امرأة فى عمير » .

(٣) سبق عجز البيت فى (٦ : ٤٢٤) وأنشده ابن قتيبة فى الميسر والقداح ١٤٠ بدون نسبة ، وبرواية : « عمير بن معمر » .

(٤) صدره كما سبق فى (٣ : ٥٣٣) :

* إذ صبحته طاويا ذا شرة *

وفى اللسان (٤ : ٤٤٦) .

* ثم اقتحمت مناجدا ولزمته *

فيما عدا ل : « وجل » ، تحريف . والزجل : ذو الصوت . والهدهد ، يروى بضم الهاءين ، وهو ذاك الطائر . ويروى بفتحهما ، وهو أصوات الجن ، ولا واحد له .

(٥) سبق الخبر برواية أخرى فى (٦ : ٤٢٤) .

(٦) فيما عدا ل : « الثريد » .

قال : بيدٍ أو يدين ؟ قال : بيَد . فضرَبَه بالسِّياط . قال : اذهبْ فأنتَ حُرٌّ(١) . وزوّجَه وأعطاه مالاً .

[وسارَّ رجلاً من الملوك بعضُ السُّعاة بابنٍ له ذكر أنّه بموضع كذا وكذا يشرب الخمر مع أصحابٍ له ، فبعثَ غلاماً له يتعرّف حالَه فى الشراب ، فلمّا رجع وجَدَ عنده ناسا فـكره التفسير ، فقال له : مَهْيَمْ(٢) . قال : كان نَقْـلُه جُبْنا . قال : أنت حُرٌّ . لأنّ مُعاقِرى الخمرِ يتنقلون بالجبن لأسبابٍ كثيرة] .

وكان فرجٌ الحجَّام مملوك جعفر بن سليمان(٣) ، إذا حَجَمه أو أخذَ من شَعره(٤) لم يتكلَّم ولم يتحرّك ، ولم يأخذ فى شىء من الفضول ؛ فقال جعفر(٥) ذاتَ يومٍ : [والله لأمتحننّه ، فإن كان الذى هو فيه من عَقْلٍ لا يَنْتَهُ ، وإن كان كالطَّبيعة والخِلْقة لأحمدَنّ الله على ذلك فقال له يوماً] : ما اسمك ياغلام(٦) ؟ قال : فرَج . قال : وما كُنْيتُك ؟ قال : لا أكتنِى بحَضْرَة الأمير . قال : فهل تحتجِم ؟ قال نعم . قال : مَتَى ؟ قال : عند هيجه(٧) . قال : وهل تعرفُ وقتَ الهيج ؟ قال : فى أكثر ذلك . قال : فأىَّ شىءٍ تأكلُ على الحجامة(٨) ؟ قال : أما فى الصَّيف فسِكْباجةٌ محمَّضَة

(١) فيما عدا ل : « أحسنت فأنت حر » .
(٢) مهيم ، بفتح الميم والياء وسكون الهاء وآخره ميم : كلمة يمانية معناها : ما أمرك وما شأنك . وقد ورد فى أكثر من حديث .
(٣) فيما عدا ل : « مولى جعفر بن سليمان » .
(٤) فيما عدا ل : « وأخذ من شعره » .
(٥) فيما عدا ل : « فقال له جعفر » ، وكلمة « له » مقحمة .
(٦) فيما عدا ل : « ياحجام » .
(٧) أى عند هيج الدم . وفيما عدا ل : « عند الهيج » .
(٨) فيما عدا ل : « عند الحجامة » .

عذبة[١] ، وأمّا في الشتاء فديجبراجة[٢] خاثرةٌ حُلوة . فأعتقه وزوّجه ، ووهَبَ له مالاً

وكان قاطعَ الشهادة ، ولم يكنْ أحدٌ من مواليه [يطمع] أن يُشهدَه إلاّ على شيء [لا] يختلف فيه الفقهاء[٣] . وهو الذي ذكره أبو فِرْعون[٤] فقال :

خَلُّوا الطَّريق زَوْجتي أَمامي أنا حمــيمُ فَرَجِ الحجّام[٥]

وكان أهل المربد[٦] يقولون : لانرى الإنصاف إلا في حانوتِ فرجِ الحجّام ، لأنّه كان لايلتفت إلى مَن أعطاه الكثيرَ دونَ من أعطاه القليل ، ويقدِّم الأوّل ثم الثاني ثم الثالث أبداً[٧] حتى يأتيَ على آخرهم ، على ذلك يأتيه من يأتيه ، فكان[٨] المؤخَّر لا يغضَب ولا يشكُو .

وقال ابن مقْروم الضَّبي[٩] :

---

(١) سبق الكلام على السكباجة في (٢ : ٢٥٠) ، ويقال لها أيضا « الخلية » نسبة إلى الخل . فيما عدا ل : « محضة » تحريف . وقد وردت كلمة « عذبة » في ط ، هـ بعد « سكباجة » .

(٢) فيما عدا ل : « فدا كراجة » . وجاء في كتاب الطبيخ للبغدادي ص١٢ : « ديكبريكة » وذكر محققه العلامة داود الحلبي أنه يظنه من الآرامية بمعنى الديك المبارك . وكتب البغدادي في صفته « ومن الناس من يحليه بقليل سكر » .

(٣) فيما عدا ل : « إلا على مايختلف فيه الفقهاء » ، محرف .

(٤) ترجمته سبقت في (٦ : ٧٨) .

(٥) فيما عدا ل : « أنا حام » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « المدينة » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « ويقدم الأول فالأول » .

(٨) فيما عدا ل : « وكان » .

(٩) هو ربيعة بن مقروم الضبي ، سبقت ترجمته في (١ : ٤٢٧) . ط ، هـ : « ابن مقوم » محرف . والبيت الأول والثاني مضيا في (٦ : ٤٢٥) . وانظر بعض أبيات قصيدته في الحماسة (١ : ١٣ — ١٤) والأغاني (١٩ : ٩٢ ـــ ٩٣) والخزانة (٣ : ٥٦٥ — ٥٦٦) والخيل لأبي عبيدة ١٧٢ .

وإذا تُعلَّل بالسِّياط جِيادُنا ... أعطاكَ ثائبــةً ولم يتعلّل [١]

فدعَوْا نَزَالِ فـكنتُ أوّلَ نازلٍ ... وعَلاَمَ أركَبُهُ إذا لم أنْزِلِ

ولقد أفَدْتُ المالَ مِن جَمْعِ امرئٍ ... وظَلفْتُ نفسى عن لئيم المأكلِ [٢]

ودخلتُ أبنيــةَ الملوكِ عليهمُ ... ولَشَرُّ قولِ المرءِ مالم يفعَلِ

وشهدتُ مَعْرَكةَ الفُيولِ وحَولَها ... أبناءُ فارسَ بَيْضُها كالأعْبَلِ [٣]

متسَرْبِلى حَاقِ الحديدِ كأنّهُمْ ... جُرْبٌ مُقارِفةٌ عَنِيَّةُ مُهْمِلِ [٤]

تم المصحف السابع من كتاب الحيوان ، وبتمامه تم الـكتاب [بعون الملك الوهاب[٥]] ، والحمد لله على حسن الختام. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الـكرام[٦] .

---

(١) البيت سـقط من ل . وفى الأصل : « ثانية » ، تحريف . والثائبة : الدفعة الراجعة من الجرى ، ثاب : رجع .

(٢) ظلفت : منعت وكففت . ط : « وعففت » هـ : « وكلفت » س : « وظلقت » صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « عن كريم المأكل » ، تحريف .

(٣) الأعبل والعبلاء : حجارة بيض . وأنشد فى صفة ناب الذئب :

* يبرق نابه كالأعبل *

(٤) العنية : هناء الإبل . والمهمل : الذى يهمل الإبل فى الرعى يخلى بينها وبين نفسها . ط ، هـ : « متقاذفة » ، صوابه فى ل ، س . وفى ط ، هـ : « الشحم الحنظل » ، وفى س : « بشحم الحنظل » ، صوابهما فى ل .

(٥) هذه من س .

(٦) جاء فى ختام ل : « تم الجزء السابع من كتاب الحيوان بحمد الله ومنه ، وهو آخر الـكتاب » . وفى نهاية هـ : « ووافق الفراغ من كتابته يوم الثلاثاء لتسع خلت من شهر رجب الأصم المعظم عام إحدى عشر وثلثمائة وألف من هجرة من له كمال العزة والشرف. على يد كاتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى محمد بن عبد الله الزمرانى غفر الله ذنوبهما ، وستر عيوبهما ، وفعل ذلك بكافة المسلمين والمسلمات . وكتب بالمحروسة العامرة حفظها الله وحرسها . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . آمين » .



الفهارس العامة

لكتاب الحيوان

صنع وترتيب

عبد السلام محمد هارون



الفهرس الأول

فهرس أنواع الحيوان

القصد من هذا الفهرس أن يتمكن القارئ من جمع معارف منظّمة فى كلّ نوع من أنواع الحيوان ، على أسلوب علمى ، بحيث لا يلقى صعوبة فى البحث . وقد وجدت أن أفضل طريقة لتنظيم هذه المعارف أن تكون على الترتيب التالى بقدر الإمكان :

١ — تسمية الحيوان وبيان جنسه وأنواعه وأشباهه .

٢ — الكلام فى أعضائه وتطوراته وألوانه .

٣ — بيان طعامه وشرابه وسلاحه وصوته وصنعته ونفعه وضرره .

٤ — الكلام فى تناسله وطباعه وتعليمه وأمراضه وعمره .

٥ — بيان موطنه وأثر الطبيعة فيه وعلاقته بغيره من الحيوان .

١ – فهرس انواع الحيوان

ا

(١) انظر أيضا : (بخت ، بهونية ، جمل ، عراب ، عسجدية ، فالج ، مهرية ، ناقة) .

---

[1] انظر : (حمار) .

ب

(١) انظر أيضا : (إبل ، جمل) .

ت

ث

ج

(١) انظر أيضا : (إبل) .

(١) انظر أيضا : (شيطان ، عبقرى ، عمار) .

ح

---

(١) انظر أيضا : (أتان) .

---

(١) انظر أيضا : (دبسى ، راعبى ، ساق حر ، شفنين ، فقيع) .

(١) انظر : (جن) .

(٢) انظر : (إبل) .

(٣) انظر أيضا : (أجدهانى ، أسود ، أصلة ، أفعى ، أيم ، تنين ، ثعبان ، دساس ، شجاع ، عربد ، هندية) .

خ

---

(١) انظر أيضا : (برذون ، فرس) .

(١) انظر : (جراد) .

(٢) انظر أيضا : (ديك ، فروج) .

---

(١) انظر : (قملة النسر) .
(٢) انظر : (قنفذ) .

(١) ذكر استينجاس فى معجمه ٥٣٦ هذا الجنس من البشر وقال ماترجمته : دوال باى . . . اسم لقوم من الهند يقال إن لهم سيقانا دقيقة قابلة للتثنى كأنها السيور المتخذة من الجلد . وهم يتظاهرون بالعرج . فإذا رأوا جماعة من المسافرين طلبوا إليهم أن يحملوهم على ظهورهم فإذا استجابوا لهم أعملوا فيهم الخنق بضم أرجلهم عليهم .

ذ

(١) انظر أيضا : (ضبع) .

ز

س

(١) انظر أيضا : (فيل) .

(١) انظر أيضا (بنى : ربيثاء ، زجر ، شبوط ، شلقة ، صحناء) .

ش

---

(١) انظر أيضا : (ضأن ، غنم) .

(١) انظر أيضا : (جن) .

ص

ض

(١) انظر أيضا : (شاة ، غنم)

(١) انظر أيضا : (ذيخ) .

(١) هو مايسمى بالفارسية : دو برادران

(١) انظر أيضا : (بغاث ، خشاش) .

ظ

ع

(١) انظر أيضا : (حمار) .

غ

---

(١) انظر : (ظبى) .
(٢) انظر أيضا : (بنات حذف ، حمل ، شاة ، ضأن ، كبش) .

ف

(١) انظر أيضا : (خيل) .

ق

---

(١) انظر أيضا : (رباح) .

ك

(١) انظر أيضا : (دلدل) .

(١) انظر أرقام الكلاب السلوقية ثم كلاب الصيد فى نهاية هذا الرسم .

ل

م

ن

(١) انظر أيضا : (ظليم) .

(١) انظر أيضا : (ذر) .

هـ

ى

(١) انظر أيضا : (أروى).

الفهرس الثانى

فهرس أعلام الحيوان

أ

ب

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ع

غ

ق

ك

ل

م

ن

و

الفهرس الثالث

فهرس سائر الأعلام

١ – ما وضع من الأعلام بين معقفين فهو مما ورد فى الحواشى فقط .

٢ – ما وضع بإزائه نجم فهو مما ورد فى الشعر فقط .

٣ – الأرقام الكبيرة تدل على مواضع التراجم .

٣ — فهرس سائر الأعلام

ا

ت

ث

ج

(١) هذه رواية الأغانى (١٩ : ١٥٩) . وفى الأصل واللسان (غلل) : « حمرة ابنة نوفل » .

ح

خ

د

ذ

ر

ز

(١) انظر لاستلحاق معاوية زيادا ما فى الخزانة (٢ : ٥١٧ — ٥١٩) .

س

ش

ص

ط

(١) قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٤٩ فى ذكر رجال مجاشع : « ومن رجالهم ضمرة بن ضمرة . وكان من رجال بنى تميم فى الجاهلية لسانا وبيانا ، وكان اسمه شق بن ضمرة فسماه بعض ملوك الحيرة ضمرة ».

ظ

ع

---

(١) بفتح العين ، انظر حواشى وقعة صفين ١٢٩ .

غ

ف

ق

ك

---

(١) إذا أطلق كسرى ، أريد به غالبا كسرى أبرويز ، الذى أرسل إليه رسول الله كتابا فمزقه . وقد ملك ثمانيا وثلاثين سنة ، وقتله ابنه شيرويه . وفى المعارف لابن قتيبة ٢٩٣ : « أبرويز بن هرمز ، ويعرف بكسرى » . على أنه قد يطلق ويراد به أى ملك للفرس كان . لذلك آثرت أن أفرد له رسما إلا ما تيقنت أنه كسرى أبرويز فإنى أضفت أرقامه إلى الرسم الآخر .

(١) المحلق هذا ، أحد الولاة الإسلاميين ، ولاه الحكم بن أيوب الثقفى سفوان . انظر الخزانة (٣ : ٢١٤) . وهو غير المحلق ممدوح الأعشى فى الجاهلية .

(١) فى تاريخ الطبرى (٩ : ٥٦) أنه كان صهرا للأبرش بن الوليد .

(١) هو أبو معقل عبد الله بن عتيبة .

ن

و

ى

الفهرس الرابع

فهرس القبائل والطوائف

٤ ــ فهرس القبائل والطوائف

خ

(١) انظر فهرس أجناس الحيوان ص ٣١٠ .

(١) في الأصل : « نمير » ، صوابه من الاشتقاق ١٢٤ .

(١) قال السمعانى فى الأنساب : « والقبيلة المعروفة هى كلاب بن عامر بن صعصعة » .

ن

الفهرس الخامس

فهرس البلدان والمواضع

٥ — فهرس البلدان والمواضع

ج

ح

خ

ش

ع

نهاية الجزء السابع

يتلوه الجزء الثامن وفيه بقية الفهارس العامة

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

كتاب الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى
نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ — ١٩٥٠]

الجزء الثامن

يحتوى على القسم الثانى من الفهارس العامة لجميع أجزاء الكتاب

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء



تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثامن

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

الفهرس السادس

فهرس الأمثال

٦ — فهرس الأمثال

أ

ب

ق

ك

ل

م

ن

هـ

الفهرس السابع

فهرس الأشعار

١ ـ ما وضع قبله نجم من القوافى أو الأرقام فهو ماورد عجزه فقط .

٢ ـ ماجعل من القوافى بين قوسين فهو ما ورد صدره فقط وأمكن معرفة قافيته .

٣ ـ وضعت القوافى المتشابهة متتالية ، وفيما عدا ذلك فأرقام القوافى متسلسلة بترتيب الصفحات فى مجموعاتها المتماثلة .

٧ – فهرس الأشعار

ت

د

ش

ص

(١) اعتبرت الكاف رويا فى كل قافية مختتمة بها ؛ جريا على مذهب بعض علماء القافية .

م

ن

ه

الألف

أجزاء الأبيات

---

(١) انظر البيت بتمامه فى ٦ : ٢٤٠ .

(٢) انظر البيت بتمامه فى ٦ : ٢٩١ .

(٢) قافيته (عقرا) كما فى الحواشى .

الفهرس الثامن

فهرس الأرجاز

٨ — فهرس الأرجاز

(١) هذه الأرجوزة من المزاوج .

(١) أرجوزة من المزاوج .

الفهرس التاسع

فهرس اللغة

التى فسَّرها الجاحظ أو أشار إلى تفسيرها

يشتمل هذا الفهرس على فصلين :

١ — ماهو عربى أو فى حكم العربى من المعربات .

٢ — ماهو غير عربى ، كالفارسى واليونانى والعبرى .

٩ — فهرس اللغة

التي فسرها الجاحظ أو أشار إلى تفسيرها

١ — العربية وما في حكمها

ت

ث

(١) لعلها : « تربة لقيك » .

ح

ز

ش

ص

غ

ف

ك

ى

ب — غير العربية

(١) كذا زعم الجاحظ . وانظر التحقيق فى تذييل الجزء الرابع ص ٥٣٥ .



الفهرس العاشر

فهرس اللغة التي فسرها شارح الحيوان
في الحواشي أو الاستدراكات

يشتمل هذا الفهرس على فصلين :

١ ــ ما هو عربي أو في حكم العربي من المعربات

٢ ــ ما هو غير عربي كالفارسي واليوناني والعبري

١٠ — فهرس اللغة

التي فسرها شارح كتاب الحيوان

ا — الألفاظ العربية وما فى حكمها(*)

(*) ماوضع من الكلمات أو من الأرقام بين معقفين هكذا [ ] فهو مما ورد فى الحواشى فقط وليس فى صلب الكتاب .

ب

خ

د

ذ

ز

ص

ض

غ

ف

ك

ل

م

ب ـ الألفاظ غير العربية

الفهرس الحادى عشر

فهرس الكتب

وهى الكتب التى ذكرها الجاحظ . فما قرن منها بنجم فهو من تأليف الجاحظ . ومالم يقرن فهو لغيره .

١١ — فهرس الكتب

الفهرس الثانى عشر

فهرس أيام العرب

١٢ — فهرس أيام العرب

ف

ق

ك

م

ن

هـ

و



الفهرس الثالث عشر

فهرس المعارف العامة

١٣ — فهرس المعارف العامة

ا

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

ن

هـ

و

ى

الفهرس الرابع عشر

فهرس المباحث الكلامية

١٤ — فهرس المباحث الكلامية

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

س

ش

ص

الفهرس الخامس عشر

فهرس مقابلة نسخة كوبريلى من الجزء السابع
بنسخة الساسى

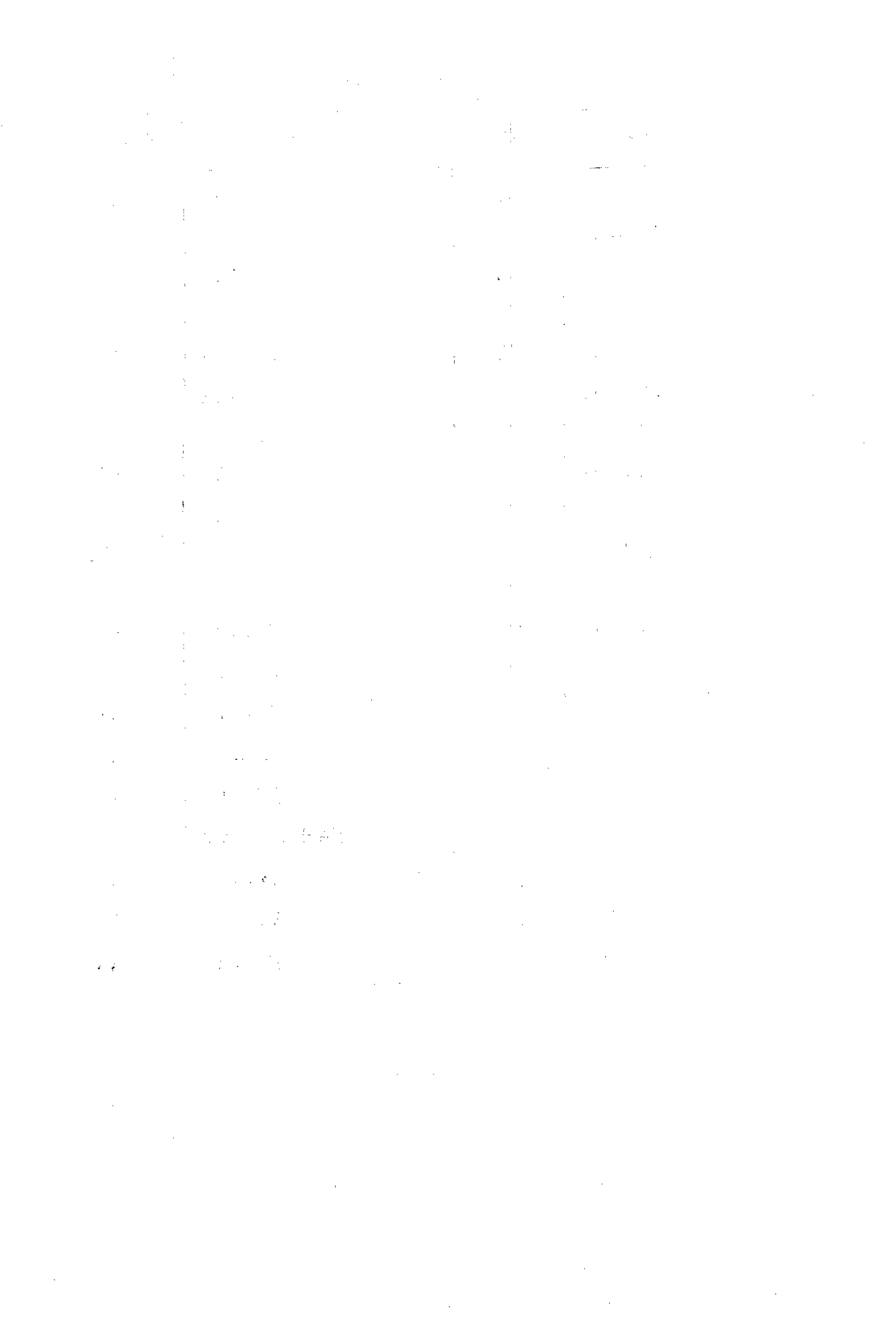
تخالف نسخة كوبريلى « المرموز لها برمز – ل » سائر نسخ الحيوان فى ترتيبها . لذلك اعتمدت ترتيب سائر النسخ التى توافق نسخة الساسى فى نظامها . وهذا الفهرس المقارن يوضح هذا التخالف البين .

نسخة الساسى	نسخة كوبريلى
٢	١ — ٢
٣	٢ — ٣
٤	٣ — ٥
٥	٥ — ٧
٦	٧ — ٨
٧	٨ — ٩
٨	—
٩	٧١ — ٧٢
١٠	٦٣ — ٦٤ + ٧٢
١١	٦٤ — ٦٦
١٢	٦٦ — ٦٨
١٣	٦٨ — منتصف ٦٩
	+ سقط من ٦٩ — ٧١
	+ منتصف ٧٢ — ٧٣
١٤	٧٣ — ٧٤
١٥	٧٤ — ٧٦
١٦	٧٦ — ٧٨
١٧	٧٨ — ٧٩
	+ سقط من ٧٩ — ٨٤
	+ ٨٤ — ٨٥
١٨	٨٥ — ٨٧
١٩	٨٧ — ٨٨
	+ سقط من ٨٨ — ٩٣
٢٠	٩٣ — ٩٥
٢١	٩٥ — ٩٦
٢٢	٩٦ — ٩٨
٢٣	٩٨ — ٩٩
٢٤	٩٩ — ١٠١

نسخة الساسى	نسخة كوبريلى
٢٥	١٠١ — ١٠٢
٢٦	سطران من ١٠٣ +
	١١٧ — ١١٩
٢٧	١٠٣ — ١٠٤ +
	سقط من ١١٩ — ١٢٢
٢٨	١٠٤ — ١٠٥ +
	١٢٢ — منتصف
	١٢٣
٢٩	١٠٥ — ١٠٦
٣٠	١٠٦ — ١٠٨
٣١	١٠٨ — ١١٠
٣٢	١١٠ — ١١١
٣٣	١١١ — ١١٣
٣٤	١١٣ — ١١٥
٣٥	١١٥ — ١١٦
٣٦	١١٦ — ١١٧
	+ ١٢٤
٣٧	١٢٤ — ١٢٦
٣٨	١٢٦ — ١٢٧
٣٩	١٢٧ — ١٢٩
٤٠	١٢٩ — ١٣٠
٤١	١٣٠ — ١٣٢
٤٢	١٣٢ — ١٣٤
٤٣	١٣٤ — ١٣٦
٤٤	١٣٦ — ١٣٨
٤٥	١٣٨ — ١٤٠
٤٦	١٤٠ — ١٤١
٤٧	١٤١ — ١٤٣
٤٨	١٤٣ — ١٤٥

نسخة الساسى	نسخة كوبريلى
٤٩	١٥ — ١٦ + سقط من ١٤٥ — ١٤٧ + ١١ — ١٥
٥٠	١٦ — ١٨
٥١	١٨ — ١٩
٥٢	١٩ — ٢١
٥٣	٢١ — ٢٣
٥٤	٢٣ — ٢٥
٥٥	٢٥ — ٢٦
٥٦	٢٦ — ٢٨
٥٧	٢٨ — ٢٩
٥٨	٢٩ — ٣٠
٥٩	٣٠ — ٣٢
٦٠	٣٢ — ٣٣
٦١	٣٣ — ٣٥
٦٢	٣٥ — ٣٧
٦٣	٣٣ — ٣٤ + ٣٨
٦٤	٣٨ — ٤٠
٦٥	٤٠ — ٤١
٦٦	٤١ — ٤٣

نسخة الساسى	نسخة كوبريلى
٦٧	٤٣ — ٤٥
٦٨	٤٥ — ٤٦
٦٩	٤٦ — ٤٨
٧٠	٤٨ — ٥٠
٧١	٥٠ — ٥١
٧٢	٥١ — ٥٢
٧٣	٥٢ — ٥٤
٧٤	٥٤ — ٥٦
٧٥	٥٦ — ٥٧
٧٦	٥٩ — ٦١
٧٧	٥٧ — ٥٩
٧٨	٦١ — ٦٢
٧٩	١٠ — ١١ + ٦٢ — ٦٣
٨٠	—
٨١	منتصف ١٥٧ — ١٥٨
٨٢	١٥٨ — ١٥٩
٨٣	١٥٩ — ١٦٢
٨٤	١٦٢



الفهرس السادس عشر

فهرس مراجع الشرح والتحقيق

١٦ — فهرس مراجع الشرح والتحقيق

آكام المرجان ، للشبلى . السعادة ١٣٢٥ .

إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطى . حنفى ١٣٥٩ .

الأحكام السلطانية ، للماوردى . السعادة ١٣٢٧ .

أخبار الأول ، للإسحاقى . الأزهرية ١٣١١ .

إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطى . السعادة ١٣٢٦ .

أخبار الظراف والمتماجنين ، لابن الجوزى . دمشق ١٣٤٧ .

أخبار عبيد بن شرية . حيدر أباد ١٣٤٧ .

أخبار مكة ، للأزرقى . الماجدية بمكة ١٣٥٢ .

أخبار أبى نواس ، لابن منظور . الاعتماد ١٣٤٣ .

أدب الدنيا والدين ، للماوردى . الأميرية ١٣٤٣ .

أدب الكاتب ، لابن قتيبة . السلفية ١٣٤٦ .

أدب الكتاب ، للصولى . السلفية ١٣٤١ .

أراجيز العرب ، للبكرى . القاهرة ١٣١٣ .

الإرشاد الشافى ، للدمنهورى = حاشية الدمنهورى .

الأزمنة والأمكنة ، للمرزوقى . حيدر أباد ١٣١٨ .

أساس البلاغة ، للزمخشرى . دار الكتب ١٣٤١ .

أساس التقاويم ، لجرجس فيلوثاؤس . المصرية ١٣٣٣ .

الاستيعاب ، لابن عبد البر . حيدر أباد ١٣١٨ .

أسد الغابة ، لابن الأثير . الوهبية ١٢٨٩ .

أسماء المغتالين ، لابن حبيب . مخطوط دار الكتب المصرية ٥٧ ش أدب .

الاشتقاق ، لابن دريد . جوتنجن ١٨٥٣ م .

أشعار الهذليين ، رواية السكرى . لندن ١٨٥٤ م .
الإصابة ، لابن حجر . السعادة ١٣٢٣ .
إصلاح المنطق ، لابن السكيت . المعارف ١٣٦٨ .
الأصمعيات ، للأصمعى . ليبسك ١٩٠٢ .
الأصمعيات ، للأصمعى . المعارف ١٣٧٥ .
الأصنام ، لابن الكلبى . دار الكتب ١٣٤٢ .
الأضداد ، لابن الأنبارى. الحسينية ١٣٢٥ .
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، للرازى . لجنة التأليف ١٣٥٦ .
إعجاز القرآن ، للباقلانى . السلفية ١٣٤٩ .
إعراب ثلاثين سورة من القرآن ، لابن خالويه . دار الكتب ١٣٦٠ .
الأغانى ، لأبى الفرج الأصبهانى . التقدم ١٣٢٣ .
الاقتضاب ، لابن السيد . بيروت ١٩٠١ م .
الإكليل ، للهمدانى . بغداد ١٩٣١ م .
الألفاظ الفارسية المعربة ، لأدى شير . بيروت ١٩٠٨ .
أمالى الزجاجى . السعادة ١٣٢٤ .
أمالى ابن الشجرى . حيدر أباد ١٣٤٩ .
أمالى القالى . دار الكتب ١٣٤٤ .
أمالى المرتضى . السعادة ١٣٢٥ .
الإمتاع والمؤانسة ، لأبى حيان التوحيدى . التأليف ١٣٧٣ .
إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطى . دار الكتب ١٣٦٩ .
إنجيل متى .
الأنساب ، للسمعانى . ليدن ١٩١٢ م .
الإنصاف ، لابن الأنبارى ، الاستقامة ١٣٦٤ .
الأوراق ، للصولى . الصاوى ١٩٣٦ .
أوضح المسالك ، لابن هشام . السعادة ١٣٦٨ .

أيمان العرب ، للنجيرمى . السلفية ١٣٤٣ .
بحر العوام ، لابن الحنبلى ، ابن زيدون بدمشق ١٣٥٦ .
البحر المحيط ، لأبى حيان . السعادة ١٣٢٨ .
البخلاء ، للجاحظ . الساسى ١٣٢٣ .
بدائع البدائه لابن ظافر الأزدى . بولاق ١٢٧٨ .
البداية والنهاية ، لابن كثير . السعادة ١٣٢٨ .
البغال ، للجاحظ . فى رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون .
بغية الوعاة ، للسيوطى . السعادة ١٣٢٦ .
بقية أشعار الهذليين . برلين ١٨٨٤ م وليبسك ١٩٣٣ .
بلوغ الأرب ، للآلوسى . الرحمانية ١٣٤٣ .
البيان والتبيين ، للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٦٩ .
التاج ، للجاحظ . الأميرية ١٣٣٢ .
تاج العروس ، للزبيدى . الخيرية ١٣٠٦ .
تاريخ الأمم الإسلامية ، للخضرى . عيسى الحلبى ١٣٢٦ .
تاريخ الأمم والملوك ، للطبرى . الحسينية ١٣٢٦
تاريخ الأمة القبطية ، لجنة التاريخ القبطى . المقتطف ١٩٢٥ م .
تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى . السعادة ١٣٤٩ .
تاريخ ابن الوردى . الوهبية ١٢٨٥ .
تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة . كردستان ١٣٢٦ .
التبصر بالتجارة ، للجاحظ . الرحمانية ١٣٥٤ .
التجريد الصريح ، لأحاديث الجامع الصحيح ، للزبيدى . الأزهرية ١٣٣٣ .
تحقيق النصوص ونشرها ، لعبد السلام هارون . التأليف ١٣٧٤ .
تذكرة أولى الألباب ، لداود الأنطاكى . الشرفية ١٣١٧ .
تزيين الأسواق ، لداود الأنطاكى . الأزهرية ١٣٢٨ .
التصريح بمضمون التوضيح ، للشيخ خالد . الأزهرية ١٣٤٤ .
تفسير أبى حيان = البحر المحيط .

تفسير الفخر الرازى ، الشرفية ١٣٢٧ .

تقريب التهذيب ، لابن حجر . الهند ١٣٢٠ .

التنبيه على أمالى القالى ، للبكرى . دار الكتب ١٣٤٤ .

التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ، لابن جنى . مصورة خاصة عن مخطوط أحمد الثالث .

التنبيه والإشراف ، للمسعودى . الصاوى ١٣٥٧ .

التنبيهات ، لعلى بن حمزة . مخطوط خاص .

تنزيل الآيات ، شرح شواهد الكشاف ، لمحب الدين أفندى . عبد الرحمن محمد ١٣٤٤ .

التهذيب ، للمزى . مخطوط دار الكتب المصرية .

تهذيب الألفاظ ، للتبريزى . بيروت ١٨٩٥ م .

تهذيب التهذيب ، لابن حجر . حيدر أباد ١٣٢٧ .

التيجان ، لوهب بن منبه . حيدر أباد ١٣٤٧ .

تيسير الوصول ، لابن الديبع الشيبانى . التجارية ١٣٥٥ .

ثمار القلوب ، للثعالبى . الظاهر ١٣٢٦ .

الجامع الصغير ، للسيوطى . حجازى ١٣٥٢ .

جرزة الحاطب ، وليم رايت . ليدن ١٨٥٩ م .

الجماهر ، للبيرونى . حيدر أباد ١٣٥٥ .

جمع الجواهر ، للحصرى . الرحمانية ١٣٥٣ .

جمع الفوائد ، لمحمد بن محمد بن سليمان . الخيرية بالهند ١٣٤٥ .

الجمهرة فى اللغة ، لابن دريد . حيدر أباد ١٣٥١ .

جمهرة أشعار العرب ، للقرشى . بولاق ١٣٠٨ .

جمهرة الأمثال ، للعسكرى . بمباى ١٣٠٦ .

جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم . دار المعارف ١٣٨٢ .

جنى الجنتين ، للمحبى . الترقى بدمشق ١٣٤٨ .

جواهر الألفاظ ، لقدامة . السعادة ١٣٥١ .

حاشية الدمنهورى على الكافى . الحلبى ١٣٤٤ .

حاشية الصبان على الأشمونى . عيسى الحلبى ١٣٦٦ .

حلبة الكميت ، للنواجى . إدارة الوطن ١٢٩٩ .

حماسة البحترى . الرحمانية ١٩٢٩ م.

حماسة أبى تمام . السعادة ١٣٣١ .

حماسة ابن الشجرى . حيدر أباد ١٣٤٥ .

حياة الحيوان ، للدميرى . صبيح بدون تاريخ .

الحيوان ، للجاحظ . الحميدية ١٣٢٣ والتقدم ١٣٢٤ .

خمسة دواوين العرب = مجموع خمسة دواوين .

الخيل ، لأبى عبيدة . حيدر أباد ١٣٥٨ .

دائرة المعارف الإسلامية (النسخة المعربة) . الاعتماد من ١٣٥٢ .

درة الغواص ، للحريرى . الجوائب ١٢٩٩ .

ديوان الأخطل . بيروت ١٨٩١ م .

« الأعشى . فينا ١٩٢٧ م .

« امرئ القيس . هندية ١٣٢٤ والمعارف ١٩٥٨ م .

« أمية بن أبى الصلت . بيروت ١٣٥٣ .

« أوس بن حجر . فينا ١٨٩٢ م .

« بشر بن أبى خازم . دمشق ١٣٧٩ م .

« جران العود . دار الكتب المصرية ١٣٥٠ .

« جرير . الصاوى ١٣٥٣ .

« الحادرة . مخطوطة الشنقيطى ٣٤ أدب ش .

« حسان بن ثابت . الرحمانية ١٣٤٧ .

« الحطيئة . التقدم ١٣٢٣ .

« ابن الدمينة . المنار ١٣٣٧ .

ديوان ذى الرمة . كمبردج ١٩١٩ م .
» زهير . دار الكتب ١٣٦٣ .
» سحيم عبد بنى الحسحاس . دار الكتب ١٣٦٩ .
» الشماخ . السعادة ١٣٢٧ .
» طرفة . قازان ١٩٠٩ م .
» الطرماح . لندن ١٩٢٧ م .
» طفيل الغنوى . لندن ١٩١٣ م .
» عبيد الله بن قيس الرقيات . فينا ١٩٠٢ م .
» أبى العتاهية . بيروت ١٩١٤ م .
» عروة بن حزام . مخطوطة الشنقيطى ٧٠ أدب ش .
» عمر بن أبى ربيعة . السعادة ١٣٧١ .
» عنترة . الرحمانية بدون تاريخ .
» الفرزدق . الصاوى ١٣٥٤ .
» القطامى . ليدن ١٩٠٢ م .
» قيس بن الخطيم . ليبسك ١٩١٤ .
» كثير . الجزائر ١٩٢٨ م .
» لبيد . فينا ١٨٨٠ ، ١٨٨١ م .
» أبى محجن الثقفى . الأزهار بدون تاريخ .
» مسلم بن الوليد . المعارف ١٣٧٦ .
» المعانى ، للعسكرى . القاهرة ١٣٥٢ .
» أبى نواس . العمومية ١٨٩٨ م .
رحلة ابن بطوطة . الخيرية ١٣٢٢ .
الرسالة للشافعى . الحلبى ١٣٥٨ .
رسالة الغفران ، للمعرى . هندية ١٩٠٧ م .
رسائل إخوان الصفا . العربية ١٣٤٧ .

رسائل الجاحظ . الساسى ١٣٢٤ .

رسائل الجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون . السنة ١٣٨٤ .

رغبة الآمل ، للمرصفى . النهضة ١٣٤٦ .

الروض الأنف ، للسهيلى . الجمالية ١٣٣٢ .

زهر الآداب ، للحصرى . الرحمانية ١٩٢٥ م .

الزهرة ، للأصفهانى . بيروت ١٣٥١ .

السامى فى الأسامى ، للميدانى . مخطوط دار الكتب المصرية ٥ لغة م .

سر الفصاحة ، لابن سنان الحلبى . الرحمانية ١٣٥٠ .

سراج القارئ ، لابن القاصح . الشرفية ١٣٠٤ .

السعيديات ، لمحمد سعيد . الحسينية ١٣٢٧ .

سمط اللآلئ ، للراجكوتى . لجنة التأليف ١٣٥٤ .

السنن الكبرى ، البيهقى . حيدر أباد ١٣٥٥ .

سنن النسائى . الميمنية ١٣١٢ .

السيرة ، لابن هشام . جوتنجن ١٨٥٩ م .

شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى . القدسى ١٣٥١ .

شرح بانت سعاد ، لابن هشام . الميمنية ١٣٢١ .

« درة الغواص ، للخفاجى . الجوائب ١٢٩٩ .

« ديوان الحماسة للتبريزى . بولاق ١٢٩٦ .

« ديوان الحماسة ، للمرزوقى . لجنة التأليف ١٣٧٢ .

« ديوان المتنبى ، للعكبرى . الشرفية ١٣٠٨ .

« الشافية ، للرضى . حجازى ١٣٥٦ .

« شواهد المغنى ، للسيوطى . البهية ١٣٢٢ .

« القصائد العشر ، للتبريزى . السلفية ١٣٤٣ .

« الكنز ، لمنلا مسكين . محمد منير ١٩٢٨ — ١٩٣١ م .

« المفضليات ، لابن الأنبارى . بيروت ١٩٢٠ م .

شرح مقامات الحريرى ، للشريشى . بولاق ١٣٠٠ .
شروح سقط الزند ، لجنة أبى العلاء . دار الكتب ١٩٤٥ م .
الشعر والشعراء ، لابن قتيبة . الحلبى ١٣٧٠ .
شفاء الغرام ، للفاسى . ليبسك ١٨٦١ م .
شفاء الغليل ، للخفاجى . السعادة ١٣٢٥ .
شمس العلوم ، لنشوان الحميرى . ليدن ١٩١٦ م .
الصاحبى ، لابن فارس . المؤيد ١٣٢٨ .
صبح الأعشى ، للقلقشندى . دار الكتب ١٣٤٠ .
الصحاح ، للجوهرى . بولاق ١٢٨٢ .
صحيح البخارى . بولاق ١٣١٣ .
صحيح مسلم . بولاق ١٢٩٠ .
صفة جزيرة العرب ، للهمدانى . ليدن ١٨٩١ م .
صفة الصفوة ، لابن الجوزى . حيدر أباد ١٣٥٦ .
الصيدنة ، للبيرونى . القاهرة بدون تاريخ .
الضرائر ، للآلوسى . السلفية ١٣٤١ .
طبقات الشعراء ، لابن سلام . السعادة ١٩٢٠ م .
الطبقات الكبرى ، لابن سعد . ليدن ١٩٠٥ - ١٩٢١ م .
الطبيخ ، للبغدادى . الموصل ١٣٥٣ .
طراز المجالس ، للخفاجى . الوهبية ١٢٨٤ .
الطرائف الأدبية ، للميمنى . لجنة التأليف ١٩٣٧م .
العثمانية ، للجاحظ . دار الكتاب العربى ١٣٧٤ .
عجائب المخلوقات ، للقزوينى . المعاهد بالقاهرة .
العقد الفريد ، لابن عبد ربه . لجنة التأليف ١٣٧٠ .
العمدة ، لابن رشيق . هندية ١٣٤٤ .
عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى ، للعينى . محمد منير ١٣٤٨ .

عيون الأثر ، لابن سيد الناس . القدسى ١٣٥٦ .
عيون الأخبار ، لابن قتيبة . دار الكتب ١٣٤٣ .
عيون الأنباء ، لابن أبي أصيبعة . الوهبية ١٢٩٩ .
غرر الخصائص الواضحة ، للوطواط . بولاق ١٢٨٤ .
الغريب المصنف ، لأبي عبيد . مخطوط دار الكتب ١٢١ لغة .
الغيث المنسجم ، بشرح لامية العجم ، للصفدى . الأزهرية ١٣٠٥ .
غيث النفع ، للسفاقسى . العامرة الشرفية ١٣٠٤ .
الفاخر ، للمفضل بن سلمة . ليدن ١٩١٥ .
الفائق ، للزمخشرى . عيسى الحلبى ١٣٦٧ .
الفراسة ، لفليمون الحكيم . حلب ١٣٤٧ .
فرق الشيعة ، للنوبختى . الدولة بالقسطنطينية ١٩٣١ م.
الفرق بين الفرق ، للبغدادى . المعارف ١٣٢٨ .
الفصل فى الملل والنحل ، للشهرستانى . الأدبية ١٣١٧ .
الفصول والغايات ، للمعرى . حجازى ١٣٥٦ .
فقه اللغة ، للثعالبى . الحلبى ١٣٥٧ .
الفهرست ، لابن النديم . الرحمانية ١٣٤٨ .
فوات الوفيات ، لابن شاكر. بولاق ١٢٨٣ .
القاموس الإنجليزى الفارسى العربى . ج . ريتشاردسن . ليدن ١٨١٠ م .
قاموس الأعلام ، للزركلى . العربية ١٣٤٥ .
القاموس العصرى ، لإلياس أنطون إلياس . العصرية ١٣٤٠ .
قاموس القرن العشرين . إدنبره .
القاموس المحيط ، للفيروزابادى . الحسينية ١٣٣٢ .
القراءات الشاذة ، لابن خالويه . الرحمانية ١٩٣٤م .
الكامل ، لابن الأثير . بولاق ١٢٩٠ .
الكامل ، للمبرد . ليبسك ١٨٦٤ م .

الكتاب ، لسيبويه . بولاق ١٣١٦ .

الكشاف ، للزمخشرى . البهية ١٣٤٤ .

كشف الخفا ، للعجلونى . القدسى ١٣٥١ .

كشف الظنون ، لكاتب جلبى . تركيا ١٣١٠ .

كليلة ودمنة ، ترجمه ابن المقفع . المعارف ١٣٦٠ .

الكنايات ، للثعالبى . السعادة ١٣٢٦ .

الكنايات ، للجرجانى . السعادة ١٣٢٦ .

الكنز اللغوى ، للدكتور أوغست . بيروت ١٩٠٣ م .

اللآلئ = سمط اللآلئ .

لباب الآداب ، لأسامة بن منقذ . الرحمانية ١٣٥٤ .

لسان العرب ، لابن منظور بولاق ١٣٠٧ .

لسان الميزان ، لابن حجر . حيدر أباد ١٣٣٠ .

ما اتفق لفظه ، للمبرد . السلفية ١٣٥٠ .

مبادئ اللغة ، للإسكافى . السعادة ١٣٢٥ .

مباهج الفكر ، للوطواط . مخطوط دار الكتب ٣٢٤ طبيعيات .

مجالس ثعلب . دار المعارف ١٣٦٩ .

مجالس العلماء ، للزجاجى . الكويت ١٩٦٢ .

مجلة الثقافة . القاهرة .

» الرسالة . القاهرة .

» الرياضة البدنية . القاهرة .

» المجمع اللغوى . القاهرة .

» المشرق . بيروت .

مجمع الأمثال ، للميدانى . البهية ١٣٤٢ .

مجمع الزوائد ، للهيثمي . القدسى ١٣٥٣ .

مجموع خمسة دواوين . الوهبية ١٢٩٣ .
مجموعة المعانى ، لمجهول . الجوائب ١٣٠١ .
المحاسن والأضداد ، للجاحظ . الجمالية ١٣٣٠ .
المحاسن والمساوى ، للبيهقى . السعادة ١٣٢٥ .
محاضرات الأدباء ، للراغب الأصفهانى . الشرفية ١٣٢٦ .
محاضرة الأوائل ، ومسامرة الأواخر ، للبسنوى على دده . بولاق ١٣٠٠ .
المحبر ، لابن حبيب . حيدر أباد ١٣٦١ .
المختار من شعر بشار ، للخالديين . الاعتماد ١٣٥٣ .
مختارات شعراء العرب ، لابن الشجرى . بولاق ١٣٠٦ .
مختصر تهذيب الألفاظ ، لابن السكيت . بيروت ١٨٩٧ م .
مختلف القبائل ومؤتلفها ، لابن حبيب . جوتنجن ١٨٥٠ م .
المخصص ، لابن سيده . بولاق ١٣١٨ .
مخطوطات الموصل ، لداود جلبى . الفرات ببغداد ١٩٢٧ م .
المداخل ، لغلام ثعلب . مخطوط دار الكتب ١٦٦ مجاميع م .
مرآة الجنان ، لليافعى . حيدر أباد ١٣٣٩ .
مروج الذهب ، للمسعودى . السعادة ١٣٦٧ .
مزامير داود .
المزهر ، للسيوطى . الحلبى ١٣٦١ .
المستدرك ، للحاكم . الهند ١٣٣٤ .
المستطرف ، للأبشيهى . المعاهد ١٣٥٤ .
مسند أحمد . دار المعارف ١٣٦٥ — ١٣٧٥ .
مشارق الأنوار ، للقاضى عياض . السعادة ١٣٣٢ .
المشتبه ، للذهبى ، ليدن ١٨٨١ م .
المصون ، لأبى أحمد العسكرى . الكويت ١٩٦٠ م .
المعارف ، لابن قتيبة . الإسلامية ١٣٥٣ .

معانى الشعر ، للأشناندانى . الترقى بدمشق ١٣٤٠ .
معانى القرآن ، للفراء . دار الكتب ١٣٧٤ .
المعانى الكبير ، لابن قتيبة . حيدر أباد ١٣٦٨ .
معاهد التنصيص ، للعباسى . البهية ١٣١٦ .
المعتمد ، لابن رسولا الغسانى . الميمنية ١٣٢٧ .
معجم الأدباء ، لياقوت . دار المأمون ١٣٢٣ ومرجليوث ١٩٢٣م .
معجم أسماء النبات ، لأحمد عيسى . الأميرية ١٣٤٩ .
معجم البلدان ، لياقوت . السعادة ١٣٢٣ .
معجم الحيوان ، للمعلوف . المقتطف ١٩٣٢ م .
معجم شرف . الأميرية ١٩٢٩ م .
معجم الشعراء ، للمرزبانى . القدسى ١٣٥٤ .
المعجم الفارسى الإنجليزى ، لاستينجاس . لندن ١٩٣٠ م .
المعجم الفارسى الإنجليزى ، لبالمر . لندن ١٩١٤ م .
معجم الفرق الإسلامية ، لعبد السلام هارون . مخطوط .
معجم ماستعجم ، للبكرى . لجنة التأليف ١٣٧١ .
معجم المطبوعات العربية ، لسركيس . سركيس ١٣٤٦ .
المعرب ، للجواليقى . دار الكتب ١٣٦١ .
المعلقات بشرح الزوزنى . السعادة ١٣٤٠ .
المعمرين ، للسجستانى . السعادة ١٣٢٣ وليدن ١٨٩٩ .
معيار اللغة ، للشيرازى . طهران ١٣١٦ .
مفاتيح العلوم ، للخوارزمى . محمد منير ١٣٤٢ م.
مفتاح كنوز السنة (ا . ى . فنسنك) ترجمة محمد فؤاد عبد الباقى . مصر ١٣٥٣ .
المفردات ، للراغب الأصفهانى . الميمنية ١٣٢٤ .
المفضليات ، بشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون . المعارف ١٣٦١ .
المفضليات الخمس ، لعبد السلام هارون . المعارف ١٩٤٢ م.

المقابسات ، لأبى حيان التوحيدى . الرحمانية ١٣٤٧ .
مقاييس اللغة ، لابن فارس . عيسى الحلبى ١٣٦٦ .
المقدمة ، لابن خلدون . البهية ١٩٢٧ م .
المقصور والممدود ، لابن ولاد . السعادة ١٣٢٦ .
مقطعات مراث . ليدن ١٨٥٩ م .
الملاحن ، لابن دريد . السلفية ١٣٤٧ .
الملل والنحل ، للشهرستانى . الأدبية ١٣١٧ .
من نسب إلى أمه من الشعراء ، لابن حبيب . (فى نوادر المخطوطات) .
المنتظم ، لابن الجوزى . حيدر أباد ١٣٥٩ .
منهاج الدكان ، لأبى المنى الإسرائيلى . القاهرة ١٣٥١
الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، للآمدى بيروت ١٣٣٢ .
المواقف ، للعضد . العلوم ١٣٥٧ .
المواقف ، للعضد بشرح السيد . بولاق ١٢٦٦ .
المؤتلف والمختلف ، للآمدى . القدسى ١٣٥٤ .
الموشح ، للمرزبانى . السلفية ١٣٤٣ .
الميسر والأزلام ، لعبدالسلام هارون . دار الفكر ١٩٥٣ م .
الميسر والقداح ، لابن قتيبة . السلفية ١٣٤٣ .
نبراس المدارس . للشيخ مسعود السنندجى . السعادة ١٣٤٦ .
نتائج الفطنة ، لابن الهبارية . اللبنانية ١٩٠٠ م .
نثار الأزهار ، لابن منظور . الجوائب ١٢٩٨ .
النجوم الزاهرة ، لابن تغرى بردى . دار الكتب ١٣٨٤ .
نخب الذخائر ، لابن الأكفانى . العصرية ١٩٣٩ م .
نزهة الألباء ، لابن الأنبارى . القاهرة ١٢٩٤ .
نسب الخيل ، لابن الكلبى . ليدن ١٩٢٨ م .
نسب عدنان وقحطان ، للمبرد . التأليف ١٣٥٤ .

نسب قريش ، للمصعب الزبيرى . المعارف ١٩٥٣ م .
نظام الغريب ، للربعى . هندية ١٩١٣ م .
النقائض ، رواية أبى عبيدة . ليدن ١٩٠٥ م .
نقد الشعر ، لقدامة . الجوائب ١٣٠٢ .
نقد النثر ، لقدامة . لجنة التأليف ١٣٥٦ .
النقود العربية وعلم النميات ، للأب أنستاس مارى الكرملى . العصرية ١٩٣٩م .
نكت الهميان ، للصفدى . القاهرة ١٩١٠م
النهاية ، لابن الأثير . العثمانية ١٣١١ .
نهاية الأرب ، للنويرى . دارالكتب ١٣٤٢ .
النوادرفى اللغة ، لأبى زيد الأنصارى . بيروت ١٨٩٤م .
النوادر ، لأبى على القالى . دار الكتب ١٣٤٤ .
نوادر المخطوطات ، لعبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٠ — ١٣٧٤ .
الهاشميات ، للكميت . شركة التمدن ١٣٣٠ .
همع الهوامع ، للسيوطى . السعادة ١٣٢٧ .
الوزراء والكتاب ، للجهشيارى . الحلبى ١٣٥٧ .
الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للجرجانى . صيدا ١٣٣١ .
وفيات الأعيان ، لابن خلكان . الميمنية ١٣١٠ .
وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم . عيسى الحلبى ١٣٦٥ .
الولاة والقضاة ، للكندى . بيروت ١٩٠٨ م .
يتيمة الدهر ، للثعالبى . دمشق ١٣٠٣ .

الفهرس السابع عشر

فهرس الفهارس

خاتمـــة

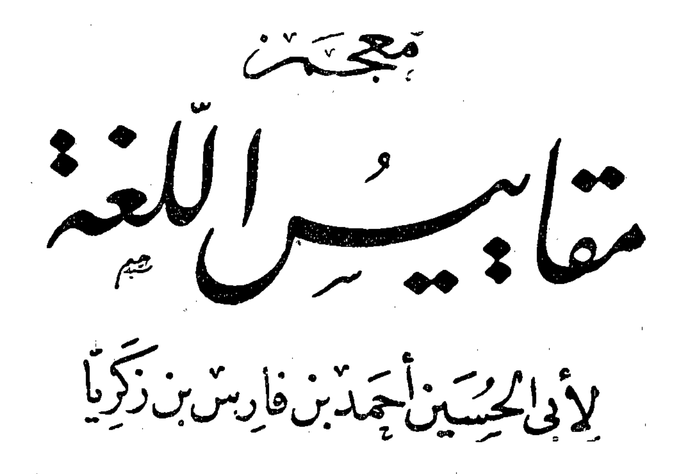
تم بعون الله وحمده هذا الجزء الثامن من كتاب الحيوان فى طبعته الثانية ، وبه تم الكتاب الأول من مكتبة الجاحظ ، التى نصبت نفسى لتحقيقها وتوضيحها . وكان الكتاب الثانى هو كتاب البيان والتبيين ، وقد أخرجته كذلك إلى الآن فى طبعات ثلاث . والكتاب الثالث كتاب العثمانية ، وقد تم طبعه وتحقيقه بدار الكاتب العربى سنة ١٣٧٤ . يلى ذلك سبعة عشر كتابا ورسالة نشرتها محققة فى مجلدين بعنوان (رسائل الجاحظ) . وأرجو إن مدّ الله سبحانه فى الأجل أن أنشر مجلدين آخرين يشتملان على (الفصول المختارة) اختيار عبيد الله بن حسان ، عن نسختين تزيدان كثيرا على ما فى النسخة المنشورة على هامش كامل المبرد .

وإنى حين أختتم هذه الطبعة المنقحة من كتاب الحيوان ، لأحمد الله سبحانه كل الحمد على نعمته السابغة وتوفيقه ، وأكل إليه الجزاء على ما قدمت من عمل ، وما أسلفت من بر .

(الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى هَدَانَا لِهٰذَا ، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللّٰهُ)

عبد السلام محمد هارون

مصر الجديدة فى { ١٩ جمادى الثانية سنة ١٣٨٩ هـ
أول سبتمبر سنة ١٩٦٩ م



٠٠٠ — ٣٩٥

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

شرعت الدار فى إصدار طبعة حديثة من هذا المعجم بها إضافات وتعليقات ، مع زيادة فى الضبط والتنقيح بقلم الأستاذ المحقق، وستصدر بعون الله ومشيئته فى ستة مجلدات على ورق ممتاز وطباعة أنيقة .

محققات ومؤلفات أخرى للمؤلف

تطلب من

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

عدد المجلدات :

عدد المجلدات	الكتاب	
١	الميسر والأزلام (بحث تاريخي ، اجتماعي ، أدبي ، لغوي)	
١	تهذيب سيرة ابن هشام	
٢	تهذيب إحياء علوم الدين	
١	تهذيب الحيوان ، للجاحظ	
١	حول ديوان البحتري	
١	الأساليب الإنشائية في النحو العربي	(بحث مبتكر)
٦	الألف المختارة من صحيح البخاري	(اختيار وشرح وتخريج)
٧	الحيوان ، للجاحظ	شرح وتحقيق
٤	البيان والتبيين ، للجاحظ	» »
١	العثمانية ، للجاحظ	» »
٢	رسائل الجاحظ	» »
٦	مقاييس اللغة ، لابن فارس	» »
٢	مجالس ثعلب	» »
٤	شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي	» »
١	وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم	» »
١	المفضليات الخمس	» »
١	همزيات أبي تمام	» »
١	المصون ، لأبي أحمد العسكري	» »
١	مجالس العلماء ، للزجاجي	» »

عدد المجلدات			
١	أمالى الزجاجى		شرح وتحقيق
٢	نوادر المخطوطات (فى ثمانية أجزاء)		» »
١	الأغانى ، لأبى الفرج (ج ١٥)		» »
١	جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم		» »
٢	الاشتقاق ، لابن دريد		» »
٢	تهذيب اللغة ، للأزهرى (الجزء الأول والتاسع)		» »
٢	كتاب سيبويه والباقى تحت الطبع (فى أربعة أجزاء)		» »
٤	خزانة الأدب « « « (فى ١٢ مجلدا)		» »
١	شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الأنبارى		» »
١	فهارس المخصص لابن سيده		
١	المفضليات	(بالاشتراك مع الشيخ أحمد شاكر)	شرح وتحقيق
١	الأصمعيات	(» » » » »)	» »
١	إصلاح المنطق	(» » » » »)	» »
١	تعريف القدماء	(بالاشتراك مع لجنة أبى العلاء)	» »
٥	شروح سقط الزند	(» » » » »)	» »
٣	تهذيب الصحاح للزنجانى	(بالاشتراك مع الأستاذ أحمد عطار)	» »
٦	صحاح الجوهرى	(» » » » »)	» »